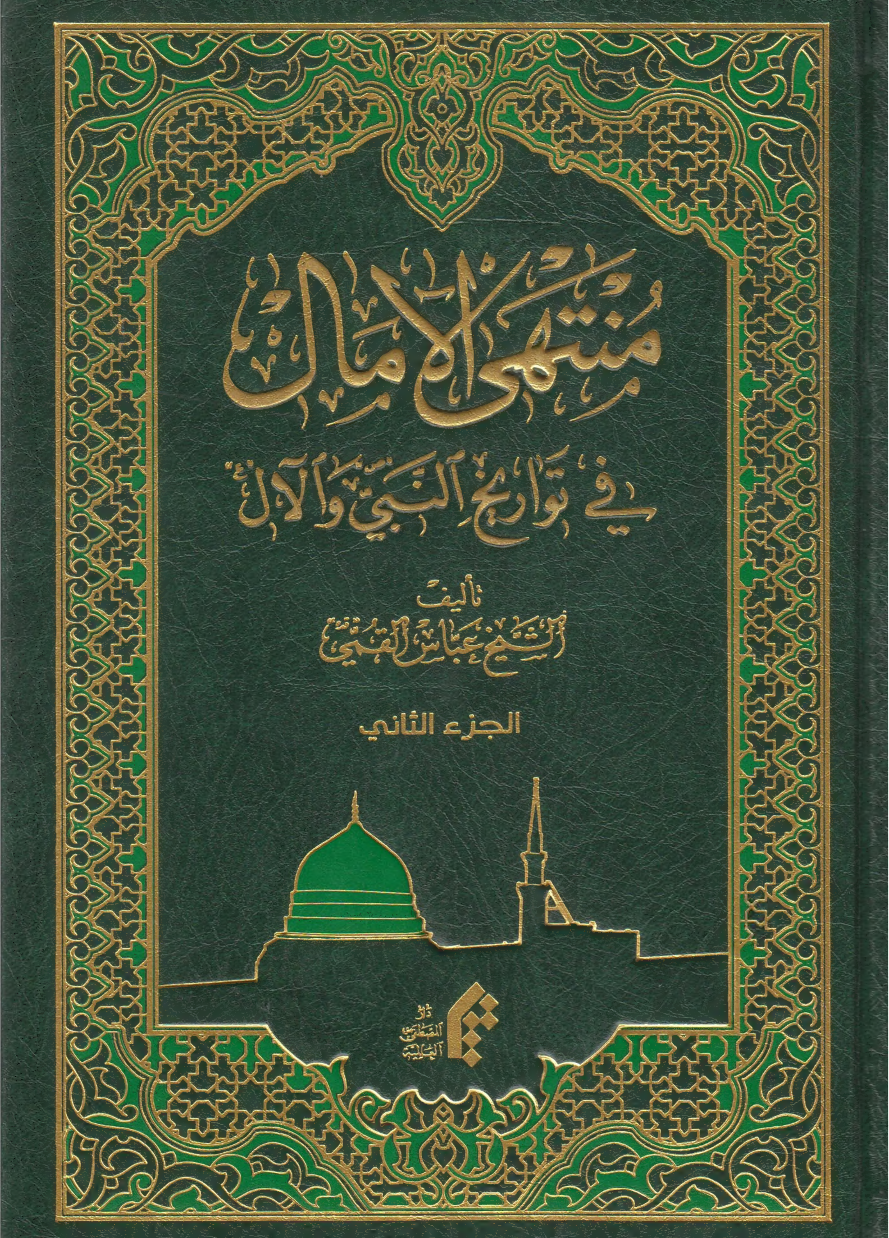


منتهى الآمال
في تواريخ النبي والآل
تأليف
الشيخ عباس القمي
الجزء الثاني
دار
المصطفى
العالمية


شبكة الفكر
alfeker.net


منتهى الآمال
في تواريخ النبي والآل
٢

الطبعة الثالثة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



لبنان بيروت حارة حريك
شارع دكاش مقابل ثانوية الشهيد محمود قعيق
هاتف: 113666ـ 70

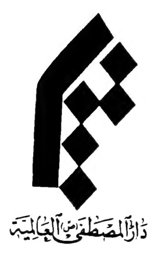


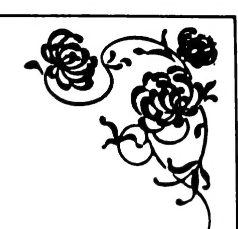
في تواريخ النبي والآل

تأليف

الشيخ عباس القمي

الجزء الثاني



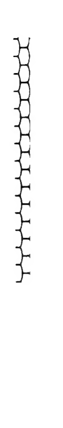


الباب السادس

في تاريخ الإمام عليّ بن الحسين
زين العابدين (عليه السلام)

وفيه سبعة فصول






بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

في ولادة الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) وطرف من أحواله

ولادة الإمام زين العابدين (ع)

اعلم أنّ هناك اختلافاً كثيراً في تاريخ ولادة الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، ولعلّ أصحّ الأقوال هو أنّ ولادته السعيدة كانت في منتصف جمادى الأولى سنة ست وثلاثين ، أو في الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة .

أمّه المكرّمة شهر بانو ابنة يزد جرد بن شهريار بن پرويز بن هرمز بن أنو شيروان ملك العجم ، ويذكر البعض (شاه زنان) اسماً لها بدلاً من شهر بانو ، كما يقول شيخنا الحرّ العامليّ في أرجوزته :

وأمّه ذات العلى والمجدِ — شاه زنانٍ بنت يزد جردِ
وهو ابن شهر يار ابن كسرى — ذو سؤدد ليس يخاف كسرا

ويروي العلاّمة المجلسيّ في (جلاء العيون) بسند معتبر عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال :

« إنّ عبد الله بن عامر لمّا افتتح خراسان اصاب ابنتين ليزد جرد بن شهر يار ملك الأعاجم ، فبعث بهما إلى عثمان بن عفان ، فوهب إحداهما للحسن والأخرى للحسين (عليهما السلام) فماتتا عندهما نُفَساوين ، وكانت صاحبة الحسين (عليه السلام) نفست بعليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، فكفل عليّاً بعض أمّهات ولد أبيه ، فنشأ وهو لا يعرف أمّاً غيرها ، ثمّ علم أنّها مولاته (وبعد استشهاد الحسين (عليه السلام) زوّجها من أحد شيعته) وكان الناس يسمّونها امّه ، وزعموا أنّه زوّج أمّه ، ومعاذ الله ! إنّما زوّج هذه على ما ذكرناه » .

يقول المؤلّف : في هذا الحديث اختلاف ، فقد تقدّم في فصل سابق عند الحديث عن

أبناء الحسين (عليه السلام) أنّ شهر بانو أحضرت أيّام عمر ، ولعلّ الأمر خطأ من أحد الرواة ، وما روي هناك هو الأشهر والأقوى ، فقد روى القطب الراونديّ بسند معتبر عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال :

« لمّا قدمت ابنة يزد جرد بن شهريار آخر ملوك الفرس وخاتمهم على عمر ، وأدخلت المدينة استشرفت لها عذارى المدينة ، وأشرق المجلس بضوء وجهها ، ورأت عمر (وأراد أن يرى وجهها فامتنعت) فقالت : « سياه باد روز هرمز »[1] ، فغضب عمر وقال : شتمتني هذه العلجة ، وهمّ بها ، فقال له عليّ (عليه السلام) : ليس لك الإنكار على تعلمه ، فأمر أن ينادى عليها (قصد بيعها) فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : لا يجوز بيع بنات الملوك وإن كنّ كافرات ، ولكن اعرض عليها أن تختار رجلاً من المسلمين حتّى تتزوّج منه ، وتحسب صداقها عليه من عطائه من بيت المال يقوم مقام الثمن .

فقال عمر : أفعل ، وعرض عليها أن تختار ، فجالت فوضعت يدها على منكب الحسين (عليه السلام) ، فقال أمير المؤمنين لها بالفارسيّة : ما اسمك يا صبيّة ؟ قالت : جهان شاه ، فقال : بل شهر بانويه (أي هكذا سمّوك) قالت : تلك أختي ، قال : صدقت .

ثم التفت إلى الحسين فقال : احتفظ بها وأحسن إليها ، فستلد لك خير أهل الأرض في زمانه بعدك ، وهي أمّ الأوصياء الذرّيّة الطيّبة ؛ فولدت عليّ بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) » .

ويروى أنّها قالت تقصّ قصّة لها :

« رأيت في النوم قبل ورود عسكر المسلمين كأن محمّداً رسول الله (صلّى الله عليه وآله) دخل دارنا ، وقعد مع الحسين (عليه السلام) وخطبني له وزوّجني منه ، فلمّا أصبحت كان ذلك يؤثر في قلبي ، وما كان لي خاطر غير هذا ، فلمّا كان في الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمّد (صلّى الله عليه وآله) قد أتتني وعرضت عليّ الإسلام فأسلمت ، ثمّ قالت : « إنّ الغلبة تكون للمسلمين ، وإنّك تصلين عن قريب إلى ابني الحسين سالمة لا يصيبك بسوء أحد » ، قالت : وكان في الحال أنّي خرجت إلى المدينة ما مسّ يدي إنسان » .

وهكذا فلمّا رأت الحسين (عليه السلام) عرفت فيه ذلك الذي رأته مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في نومها ، وعقد لها عليه ، فاختارته زوجاً .

---

(١) كلام فارسي معناه : « اسودّ يوم هرمز » ، ومرادها الدعاء على أبيها هرمز إذ تؤسر إبنته وتمتدّ إليها الأيدي ، أو تشكو إساءة الأيّام وانقلاب الزمان عليهم حتّى غدوا أسارى عند أمثال هذا !

ويروي الشيخ المفيد (ره) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان قد ولّى حريث بن جابر جانباً من المشرق ، فبعث إليه بنتي يزد جرد بن شهريار ، فنحل ابنه الحسين (عليه السلام) شاه زنان منهما ، فأولدها زين العابدين (عليه السلام) ، ونحل الأخرى محمّد بن أبي بكر فولدت له القاسم (جدّ الإمام الصادق (عليه السلام) لأمّه) ، فالقاسم وزين العابدين (عليه السلام) ابنا خالة . انتهى .

ألقاب عليّ بن الحسين (عليه السلام) وكناه

المشهور من كناه (عليه السلام) أبو الحسن ، وأبو محمّد ؛ أمّا ألقابه (عليه السلام) فأشهرها زين العابدين ، وسيّد الساجدين والعابدين ، والزكيّ ، والأمين ، والسجّاد ، وذو الثفنات .

وكان النقش في فصّ خاتمه (عليه السلام) برواية الصادق (عليه السلام) : « الحمد لله العليّ » ، وبرواية الباقر (عليه السلام) : « العزة لله » ، وبرواية أبي الحسن موسى (عليه السلام) : « خزي وشقي قاتل الحسين بن عليّ » (عليه السلام) .

يروي ابن بابويه عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال :

« إنّ أبي عليّ بن الحسين ما ذكر لله عزّ وجلّ نعمة عليه إلاّ سجد ، ولا قرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ فيها سجود إلاّ سجد ، ولا دفع الله عزّ وجلّ عنه سوءاً يخشاه أو كيد كائد إلاّ سجد ، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلاّ سجد ، ولا وُفّق لإصلاح بين اثنين إلاّ سجد ؛ وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده ، فسمّي السجّاد لذلك » .

كما يروى أيضاً عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال :

« كان لأبي (عليه السلام) في موضع سجوده آثار ناتئة ، وكان يقطعها في السنة مرّتين ، في كلّ مرّة خمس ثفنات ، فسمّي ذا الثفنات لذلك » .

يقول المؤلّف : يقول أهل اللغة : الثَفِنَة واحدة الثفِنات من البعير ، وهي : ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغلظ ، كالركبتين وغيرهما ، ومن هنا يُعلم أنّ جبهته (عليه السلام) وكفّيه وركبتيه تتخشّن من كثرة السجود فتظهر كثفنات البعير ، فكان يقطعها في السنة مرّتين ، فتعاود الظهور من جديد .

ويروي أيضاً أنّ الزهريّ كان إذا حدّث عن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) قال : حدّثني زين العابدين عليّ بن الحسين ، فقال له سفيان بن عيينة : ولم تقول له زين العابدين ؟ قال : لأنّي سمعت سعيد بن المسيّب يحدّث عن ابن عبّاس أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :

« إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ : أين زين العابدين ؟ فكأنّي أنظر إلى ولدي عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب يخطر بين الصفوف » .

وجاء في (كشف الغمّة) : كان سبب تلقيبه بزين العابدين أنّه كان ليلة في محرابه قائماً في تهجّده ، فتمثّل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته ، فلم يلتفت إليه ، فجاء إلى إبهام رجله فالتقمها ، فلم يلتفت إليه ، فآلمه ، فلم يقطع صلاته ، فلمّا فرغ منها وقد كشف الله له فعلم أنّه شيطان ، فسبّه ولطمه وقال : اخسأ يا ملعون ، فذهب ، وقام إلى إتمام ورده ، فسمع صوتاً ولا يرى قائله ، وهو يقول :

« أنت زين العابدين » ، ثلاثاً ، فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقباً له (عليه السلام) .



الفصل الثاني

في مكارم أخلاق الإمام
زين العابدين (عليه السلام)

وفي ذلك أخبار عديدة في حلمه وتقواه وحسن خلقه :

الأوّل : **في كظمه الغيظ** : يروي الشيخ المفيد وغيره : قيل : وقف على عليّ بن الحسين رجل من أهل بيته فأسمعه وشتمه ، فلم يكلّمه ، فلمّا انصرف قال لجلسائه : لقد سمعتم ما قال هذا الرجل ، وأنا أحبّ أن تبلغوا معي إليه حتّى تسمعوا ردّي عليه ؛ فقالوا له : نفعل ، لقد كنّا نحبّ أن يقول له ويقول . فأخذ نعليه ومشى وهو يقول : ﴿ **والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحبّ المحسنين** ﴾ .

قال الراوي : فعلمنا أنّه لا يقول له شيئاً ، فخرج حتّى أتى منزل الرجل ، فصرخ به فقال : قولوا له : هذا عليّ بن الحسين ، فخرج إلينا متوثباً للشرّ وهو لا يشكّ أنّه إنّما جاء مكافئاً له على بعض ما كان منه ، فقال له عليّ بن الحسين : « يا أخي ، إنّك كنت قد وقفت عليّ آنفاً فقلت وقلت ، فإن كنت قلت ما فيّ فأستغفر الله منه ، وإن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك » .

قال الراوي : فقبّل الرجل بين عينيه وقال : بل قلت فيك ما ليس فيك ، وأنا أحقّ به .

قال الراوي للحديث : والرجل هو الحسن بن الحسن رضي الله عنه .

الثاني : يروي صاحب كشف الغمّة أنّه كان (عليه السلام) يوماً خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبّه ، فثارت إليه العبيد والموالي ، فقال لهم عليّ (عليه السلام) : مهلاً كفوا ، ثمّ أقبل على ذلك الرجل فقال :

« ما سُتر عليك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟! »

فاستحيى الرجل ، فألقى إليه عليّ خميصة[١] كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنّك من أولاد الرسل .

الثالث : كان عنده (عليه السلام) قوم أضياف ، فاستعجل خادماً له بشواء كان في التنور ، فأقبل به الخادم مسرعاً ، فسقط السفّود منه على رأس بُنيّ لعليّ بن الحسين (عليه السلام) كان تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله .

فقال عليّ للغلام وقد تحيّر الغلام واضطرب : أنت حرّ ، فإنك لم تعتمده ، وأخذ في جهاز ابنه ودفنه .

الرابع : ورد نقلاً عن كتب معتبرة أنّه (عليه السلام) دعا مملوكه مرّتين فلم يجبه ، فلمّا أجابه في الثالثة قال له : يا بنيّ ، أما سمعت صوتي ؟ قال : بلى ، قال : فما لك لم تجبني ؟ قال : أمنتك ، قال (عليه السلام) : الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني .

الخامس : روي أنّه (عليه السلام) كان يدعو جواريه كلّ شهر ويقول : إنّي قد كبرت ولا أقدر على النساء ، فمن أرادت منكنّ التزويج زوّجتها ، أو البيع بعتها ، أو العتق عتقتها ؛ فإذا قالت إحداهنّ : لا ، قال : اللهمّ أشهد ، حتى يقولها ثلاثاً ؛ وإن سكتت واحدة منهن قال لنسائه : سلنها ما تريد ، وعمل على مرادها .

السادس : يروي الشيخ الصدّوق عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : « كان عليّ بن الحسين (عليه السلام) لا يسافر إلاّ مع رفقة لا يعرفونه ، ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة في ما يحتاجون إليه .

فسافر مرّة مع قوم فرآه رجل فعرفه ، فقال لهم : أتدرون من هذا ؟ فقالوا : لا ، قال : هذا عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، فوثبوا إليه فقبّلوا يده ورجله وقالوا : يا بن رسول الله ، أردت أن تصلينا نار جهنّم ، لو بدرت منّا إليك يد أو لسان ، أما كنّا قد هلكنا إلى آخر الدهر ؟ فما الذي يحملك على هذا ؟ فقال :

إنّي كنت سافرت مرّة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله (صلّى الله عليه وآله) ما لا أستحقّ ، فإنّي أخاف أن تعطوني مثل ذلك ، فصار كتمان أمري أحب إليّ » .

السابع : وروى أيضاً عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال :

---

(١) الخميصة : ثوب أسود مربّع .

« كان بالمدينة رجل بطّال يضحك الناس منه ، فقال : قد أعياني هذا الرجل أن أضحكه ، يعني عليّ بن الحسين ، قال : فمرّ عليّ (عليه السلام) وخلفه موليان له ، فجاء الرجل حتى انتزع رداءه من رقبته ، ثمّ مضى ، فلم يلتفت إليه عليّ (عليه السلام) ، فاتّبعوه وأخذوا الرداء منه ، فجاؤوا به فطرحوه عليه ، فقال لهم : من هذا ؟ فقالوا : هذا رجل بطّال يضحك أهل المدينة ، فقال : قولوا له : إنّ لله يوماً يخسر فيه المبطلون » .

الثامن : يروي الشيخ الصدّوق في (الخصال) عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال :

« كان (أبي) عليّ بن الحسين (عليهما السلام) يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة ، كما كان يفعل أمير المؤمنين (عليه السلام) ؛ كانت له خمسمئة نخلة ، فكان يصلي عند كلّ نخلة ركعتين ، وكان إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر ، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عزّ وجلّ ، وكان يصلّي صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلّي بعدها أبداً .

ولقد صلّى ذات يوم فسقط الرداء عن أحد منكبيه ، فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته ، فسأله بعض أصحابه عن ذلك ، فقال :

« ويحك ، أتدري بين يدي من كنت ؟ إنّ العبد لا يقبل من صلاته إلاّ ما أقبل عليه منها بقلبه ، فقال الرجل : هلكنا ! فقال : كلاّ ، إنّ الله عزّ وجلّ متمّم ذلك بالنوافل » .

وكان (عليه السلام) ليخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره ، وفيه الصرر من الدنانير والدراهم ، وربّما حمل على ظهره الطعام أو الحطب حتّى يأتي باباً باباً فيقرعه ، ثمّ يناول من يخرج إليه ، وكان يغطّي وجهه إذا ناول فقيراً لئلاّ يعرفه ، فلمّا توفّي (عليه السلام) فقدوا ذلك ، فعلموا أنّه كان عليّ بن الحسين (عليه السلام) ؛ ولّما وضع (عليه السلام) على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل ، ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين .

ولقد خرج ذات يوم وعليه مطرف خزّ ، فتعرّض له سائل فتعلّق بالمطرف ، فمضى وتركه ، وكان يشتري الخزّ في الشتاء ، وإذا جاء الصيف باعه فتصدّق بثمنه ؛ ولقد نظر (عليه السلام) يوم عرفة إلى قوم يسألون الناس ، فقال :

« ويحكم ، أغير الله تسألون في مثل هذا اليوم ؟! إنّه ليرجى في هذا اليوم لما في بطون الحبالى أن يكون سعيداً » .

ولقد كان (عليه السلام) يأبى أن يؤاكل أمّه ، فقيل له : يا بن رسول الله ، أنت أبرّ

الناس ، وأوصلهم للرحم ، فكيف لا تؤاكل أمّك ؟

فقال : « إنّي أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه » !

ولقد قال له رجل : يا بن رسول الله ، إنّي لأحبّك في الله حبّاً شديداً ، فقال : « اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أُحَبّ فيك وأنت لي مبغض » .

ولقد حجّ على ناقة له عشرين حجّة فما قرعها بسوط ، فلمّا نفقت أمر بدفنها لئلاّ يأكلها السباع .

ولقد سئلت عنه مولاة له ، فقالت : أُطنب أو أختصر ؟ فقيل لها : بل اختصري ، فقالت : ما أتيته بطعام نهاراً قطّ ، وما فرشت له فراشاً بليل قطّ ، ولقد انتهى ذات يوم إلى قوم يغتابونه ، فوقف عليهم فقال لهم : « إن كنتم صادقين فغفر الله لي ، وإن كنتم كاذبين فغفر الله لكم » .

وكان (عليه السلام) إذا جاءه طالب علم قال : « مرحباً بوصيّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) » ، ثمّ يقول : « إنّ طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجليه على رطب من الأرض إلاّ سبّحت له إلى الأرضين السابعة » .

ولقد كان (عليه السلام) يعول مئة أهل بيت من فقراء المدينة ، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضرّاء والزّمنى ، والمساكين الذين لا حيلة لهم ، وكان يناولهم بيده ، ومن كان له منهم عيال حمل له إلى عياله من طعامه ؛ وكان لا يأكل طعاماً حتّى يبدأ فيتصدّق بمثله .

ولقد كان تسقط منه كلّ سنة سبع ثفنات من مواضع سجوده لكثرة صلاته ، وكان يجمعها ، فلمّا مات دفنت معه .

ولقد بكى على أبيه الحسين (عليه السلام) عشرين سنة ، وما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى ، حتّى قال له مولى له ؛ يا بن رسول الله ، أما آن لحزنك أن ينقضي ؟ فقال له :

« ويحك ، إنّ يعقوب النبيّ (عليه السلام) كان له اثنا عشر ابناً فغيّب الله عنه واحداً فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه ، وشاب رأسه من الحزن ، واحدودب ظهره من الغمّ ، وكان ابنه حيّاً في الدنيا ، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي ، فكيف ينقضي حزني » ؟!

التاسع : روي أنّه (عليه السلام) كان إذا جنّه الليل وهدأت العيون قام إلى منزله فجمع ما يبقى فيه عن قوت أهله ، وجعله في جراب ، ورمى به على عاتقه ، وخرج إلى دور

الفقراء وهو متلثّم ، ويفرّقه عليهم ؛ وكثيراً ما كانوا قياماً على أبوابهم ينتظرونه ، فإذا رأوه تباشروا به وقالوا ؛ جاء صاحب الجراب .

العاشر : جاء نقلاً عن (دعوات الراوندي) أن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : قال (أبي) عليّ بن الحسين (عليهما السلام) :

« مرضت مرضاً شديداً ، فقال لي أبي (عليه السلام) : ما تشتهي ؟ فقلت : أشتهي أن أكون ممّن لا أقترح على الله ربّي ما يدبّره لي ، فقال لي : أحسنت ، ضاهيت إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ، حيث قال (له) جبرئيل (عليه السلام) : هل من حاجة ؟ فقال : لا أقترح على ربّي ، بل حسبي الله ونعم الوكيل » .

الحادي عشر : قال ابن الأثير في (كامل التواريخ) أنّه لمّا نقض أهل المدينة بيعة يزيد ، وأخرجوا عامل يزيد وبني أميّة من المدينة ، قدم مروان بن الحكم إلى عبد الله بن عمر وكلّمه في أن يغيّب أهله عنده ، فلم يفعل ، فكلّم عليّ بن الحسين وقال : إنّ لي رحماً ، وحرمي تكون مع حرمك ، فقال : أفعل ، فبعث مروان بامرأته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفّان مع حرمه إلى عليّ بن الحسين ، فخرج عليّ بحرمه وحرم مروان إلى ينبع ، وقيل : بل أرسل حرم مروان وأرسل معهم ابنه عبد الله إلى الطائف .

الثاني عشر : يروي نقلاً عن (ربيع الأبرار) للزمخشري أنه لمّا وجّه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لاستباحة أهل المدينة ضمّ عليّ بن الحسين (عليه السلام) إلى عياله أربعمئة امرأة كثيرات الأبناء مع عيالهنّ وحشمهنّ ، وجعل يعولهنّ حتّى خرج عسكر ابن عقبة من المدينة ؛ وينقل عن إحداهنّ قولها : لقد لقيت في كنف هذا الرجل من حسن الرعاية ما لم ألقه في كنف أبي وأمّي .

❁

الفصل الثالث

في عبادات الامام زين العابدين (عليه السلام)

في كثرة تعبّده (عليه السلام)

إن كثرة عبادة سيّد العابدين (عليه السلام) أشهر من أن يُنَوه بها أو أن تُذكر ، فقد كان (عليه السلام) أعبد أهل زمانه ، كما مرّ في الحديث عن ألقابه الشريفة إذ أشير إلى بعضها ، ويكفي في هذا المقام أنّه لم يكن لأحد من الطاقة على العبادة كما كان يفعل أمير المؤمنين (عليه السلام) ما كان له ، ذلك أنّه كان (عليه السلام) يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكان إذا دخل وقت الصلاة ارتعد بدنه واصفرّ لونه ، فإذا قام في صلاته فكأنّه ساق شجرة لا يتحرّك منه شيء إلاّ ما حرّكت الريح منه ، فإذا بلغ في قراءته « الحمد » إلى قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، جعل يكرّرها حتى كاد أن يموت ، فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفضّ[1] عرقاً ؛ وكان شديد الدأب في العبادة قائماً ليله صائماً نهاره ، حتّى يضرّ قيامه بجسمه ، فيحبو من الجهد إلى فراشه حبو الأطفال ؛ وكان إذا قيل أقبل شهر رمضان لم يتكلّم إلاّ بالدعاء والتسبيح والاستغفار .

وكانت له (عليه السلام) خريطة[2] وضع فيها من تربة أبيه الحسين (عليه السلام) ، فكان إذا أراد السجود سجد على تلك التربة .

وجاء في (عين الحياة) أنّ صاحب كتاب (حلية الأولياء) يروي أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) كان إذا فرغ من وضوء الصلاة وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة ، فقيل له في ذلك ، فقال : ويحكم ، أتدرون إلى من أقوم ؟ ومن أريد أن أناجي ؟!

---

(١) ارفضّ : سال وترشّش .

(٢) الخريطة : الوعاء من جلد أو غيره .

وكان (عليه السلام) إذا توضّأ يعروه مثل ذلك ، ويكون جوابه : أتدرون من أتأهبّ للقيام بين يديه ؟

وفي المرويّات أنّ فاطمة بنت عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أتت يوماً جابر بن عبد الله الانصاري (رضي الله عنه) فقالت له :

يا صاحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، إنّ لنا عليكم حقوقاً ، ومن حقّنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكّروه الله ، وتدعوه إلى البقيا على نفسه ، وهذا عليّ بن الحسين بقيّة أبيه الحسين قد انخرم أنفه ، ونقبت جبهته وركبتاه وراحتاه ، وأذاب نفسه في العبادة .

فأتى جابر إلى بابه واستأذن ، فلمّا دخل عليه وجده في محرابه قد أنضته العبادة ، فنهض عليّ فسأله عن حاله سؤالاً خفيّاً ، ثمّ أجلسه بجنبه ؛ ثم أقبل جابر يقول :

يا بن رسول الله ، أما علمت أنّ الله إنّما خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم ؟ وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم ؟ فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك ؟!

فقال له عليّ بن الحسين : يا صاحب رسول الله ، أما علمت أنّ جدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، فلم يدع الاجتهاد له ، وتعبّد ـ بأبي هو وأمّي ـ حتّى انتفخ الساق وورم القدم ؟ وقيل له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ فقال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » ؟

فلمّا نظر إليه جابر وليس يغني فيه قول ، قال : يا بن رسول الله ، البقيا على نفسك ، فإنّك من أسرة بهم يُستدفع البلاء ، وبهم تستكشف اللأواء ، وبهم تستمسك السماء .

فقال : يا جابر ، لا أزال على منهاج أبويّ مؤتسياً بهما حتّى ألقاهما .

ويروى نقلاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّ أباه قال :

دخلت على أبي يوماً فإذا هو بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد ، ورأيته وقد اصفرّ لونه من السهر ، ورمضت عيناه من البكاء ، ودبرت[1] جبهته ، وانخرم أنفه من السجود ، وقد ورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة .

قال : فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء ، فبكيت رحمة له ، فإذا هو يفكّر ، فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي فقال : يا بنيّ ، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة

---

(١) دبرت : تقرّحت ، من الدَّبَرة : وهي قرحة الدابّة تحدث من الرحل .

عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، فأعطيته ، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ، ثمّ تركها من يده تضجّراً وقال : من يقوى على عبادة عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ؟

ويروي الكليني عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال :

« كان عليّ بن الحسين (عليه السلام) إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه ، فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفضّ عرقاً » .

ويروى نقلاً عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال :

« كان عليّ بن الحسين (عليه السلام) يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكان إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر ، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عزّ وجلّ ، وكان يصلّي صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلّي بعدها أبداً » .

وربّما سئل عن هذا التغيّر الذي يعروه فيقول بأنّ من يقف بين يدي إله عظيم فحريّ به أن يخاف وتأخذه الخشية .

وروي أنّ بعض ولده سقط في بعض الليالي فانكسرت يده ، فصاح أهل الدار ، وأتاهم الجيران ، وجيء بالمجبّر فجبّر الصبيّ وهو يصيح من الألم ، وكلّ ذلك لا يسمعه ؛ فلمّا أصبح رأى الصبيّ يده مربوطة إلى عنقه ، فقال : ما هذا ؟ فأخبروه .

ووقع حريق في بيت هو فيه ساجد ، فجعلوا يقولون : يا بن رسول الله ، النار النار ، فما رفع رأسه حتّى أطفئت ، فقيل له بعد قعوده : ما الذي ألهاك عنها ؟ قال : ألهتني عنها النار الكبرى .

انتهى ما نقلناه عن (عين الحياة) .

روي عن أبي حمزة الثماليّ ، وكان من زهّاد الكوفة ومن شيوخها أنّه قال : رأيت الإمام عليّ بن الحسين يدخل مسجد الكوفة حتى أتى إلى العمود السابع ، فخلع نعليه وقام للصلاة ، فرفع يديه حتّى أذنيه وكبّر تكبيراً وقف له شعر بدني ، وقال : لمّا فرغ (عليه السلام) من صلاته أصغيت فلم أسمع لهجة أصفى ولا آخذ بالقلوب من لهجته .

وروي أيضاً أنّه كان (عليه السلام) أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان السقّاؤون يمرّون فيقفون ببابه يستمعون قراءته .

وقال الغزاليّ في كتاب (أسرار الحجّ) نقلاً عن سفيان بن عُيينة : لمّا أراد عليّ بن الحسين (عليه السلام) الإحرام للحجّ أوقف راحلته ، واصفرّ لونه وأخذته الرعدة حتّى لم يقدر على

قول « لبيك » ، فقال له سفيان : ما لـك لا تلبّي ؟ قال : أخـاف أن يقل لي : « لا لبيّـك ولا سعديك » !

فلمّا لبّى غشي عليه ، وسقط عن راحلته إلى الأرض ، ولازمـه ذلك العـارض حتّى فرغ من حجّه .

وجاء في كتاب (حديقة الشيعة) عن طاووس اليماني أنّه قال :

دخلت حجر إسماعيـل عند منتصف الليـل فإذا عـليّ بن الحسين (عليهـما السلام) قـد دخل فقام يصلّي ، ثم سجد فسمعته يقول في سجوده :

« إلهي عُبَيْدك بفنائك ، مسكينك بفنائك ، فقيرك بفنائك » .

قال طاووس : فما دعوت بهنّ في كرب إلاّ فُرّج عنّي .

وهذه كلمات ما قالها أحد مخلصاً إلاّ كان لها تأثيرها وقضيت حاجته .

صلاته (عليه السلام) ونجواه في طريق مكّة

وعلى العموم فإنّ ما نُقل في صدد عبادته (عليه السلام) يفـوق بكثير مـا ذكر ، ونكتفي في هذا الموجز بنقل الخبر الآتي :

يروي القطب الراوندي وآخرون عن حمّاد بن حبيب الكوفيّ أنّه قال :

خرجنا حجّاجاً فرحلنا من زبالة (اسم موضع) ليلاً ، فاستقبلتنا ريح سوداء مظلمـة ، فتقطّعت القافلة ، فتهت في تلك الصحاري والبراري فانتهيت إلى واد قفر ، فلمّا أن جنّ الليل أويت إلى شجرة عالية ، فلمّا أن اختلط الظلام إذا أنا بشابّ قد أقبل عليه أطمار بيض ، تفـوح منـه رائحة المسـك ، فقلت في نفسي : هـذا وليّ من أوليـاء الله ، متى أحسّ بحـركتي خشيت نفاره ، وأن أمنعه عن كثير مما يريد فعاله ، فأخفيت نفسي ما استطعت ، فدنا إلى الموضع فتهيّأ للصلاة ، ثمّ وثب قائماً وهو يقول :

« يـا من حاز كـلّ شيء ملكوتـاً ، وقهر كـلّ شيء جـبروتـاً ، أولـج قلبي فـرح الإقبـال عليك ، وألحقني بميدان المطيعين لك » .

ثمّ دخل في الصلاة ، فلمّا أن رأيتـه قد هـدأت أعضاؤه ، وسكنت حـركاتـه ، قمت إلى المـوضع الـذي تهيّأ للصـلاة فيه ، فـإذا بعين تفيض بمـاء أبيض ، فتهيّأت للصـلاة ، ثمّ قمت خلفه ، فإذا أنا بمحراب كأنّه مُثّل في ذلك الوقت ، فرأيته كلّما مرّ بآية فيها ذكر الـوعد والـوعيد يردّدها بأشجان الحنين ، فلمّا أن تقشّع الظلام وثب قائماً وهو يقول :

« يا من قصده الضالّون فأصابوه مرشداً ، وأمّه الخائفون فوجدوه معقلاً ، ولجأ إليه العابدون (العائذون) فوجدوه موئلاً ؛ متى راحةُ مَن نصبَ لغيرك بدنه ، ومتى فرح مَن قصد سواك بهمّته ؟ إلهيّ ، تقشّع الظلام ولم أقض من خدمتك وطراً ، ولا مِن حياض مناجاتك صدراً ، صلّ على محمد وآل محمّد ، وافعل بي أوْلى الأمرين بك يا أرحم الراحمين » .

يقول حمّاد بن حبيب : فخفت أن يفوتني شخصه ، وأن يخفى عليّ أثره ، فتعلّقت به ، فقلت له :

بالذي أسقط عنك ملال التعب ، ومنحك شدّة شوق لذيذ الرعب إلاّ ألحقتني منك جناح رحمة ، وكنف رقّة ، فإنّي ضالّ ، وبغيتي كلّ ما صنعت ، ومناي كلّ ما نطقت ، فقال :

« لو صدق توكلك ما كنت ضالاًّ ، ولكن اتّبعني واقف أثري » .

فلمّا أن صار بجنب الشجرة أخذ بيدي ، فخيّل إليّ أنّ الأرض تميد من تحت قدمي ، فلمّا انفجر عمود الصبح قال لي : « أبشر فهذه مكّة » .

قال : فسمعت الضجّة ، ورأيت المحجّة ، فقلت : بالذي ترجوه يوم الآزفة ، ويوم الفاقة ، من أنت ؟

فقال لي : « أمّا إذا أقسمت فأنا عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليهم أجمعين » .



الفصل الرابع

في ذكر طرف من كلماته ومواعظه (عليه السلام)

ونكتفي بذكر بضعة أخبار :

الأوّل : قال (عليه السلام) يوماً :

« أصحابي إخواني ، عليكم بدار الآخرة ، ولا أوصيكم بدار الدنيا فإنّكم عليها وبها متمسّكون ، أما بلغكم ما قال عيسى ابن مريم للحواريّين ؟ قال لهم : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ، وقال : أيّكم يبني على موج البحر داراً تلكم الدار الدنيا ، فلا تتخذوها قراراً » .

دنياكم جسر يقود القهقهرى   هي منزل خرب وليست بالقرار
والخلق مذ خُلقوا فموج هالك   بالقعر كان أم اعتلى أوج البحار[1]

الثاني : في (جامع الأخبار) عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) قال :

« يغفر الله للمؤمنين كلّ ذنب ويطهر منه في الآخرة ما خلا ذنبين : ترك التقية ، وتضييع حقوق الإخوان » .

لا يخفى أنّ الإمام (عليه السلام) يعدّ ترك التقيّة في هذا الخبر من الكبائر التي لا تقبل المغفرة ، ومن ذلك فإن ترك التقيّة كثيراً ما يورث المفاسد العظيمة التي تصيب الدين والمذهب بأشدّ الضربات ، فتسيل الدماء ، وتذرّ الفتن بقرنها ، فتستبّد قلوب المخالفين على العناد واللجاج ، وتثبت وتستمّر في الغيّ والجهالة ؛ ففي هذا الحكم عين الحكمة ؛ وكذلك ففي

---

(١) تعريب بيتين بالفارسيّة (المعرّب) .

تضييع حقوق الناس دليل على الخروج عن مدارج العدل ، والدخول في متاهات الظلم ، ويقود إلى النتائج نفسها .

ويؤيّد هذا ما روي من أنّ رجلاً مؤمناً فقيراً قدم إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) وسأله مالاً يسدّ به عوزه ، فتبسّم (عليه السلام) في وجهه وقال له : مسألة أسألك عنها فإن أجبت صواباً أعطيتك عشرة أضعاف ما تطلب ، وكان الرجل يريد مئة درهم يتّخذها رأس مال له في عمل يعتاش منه ، فقال : سل ، قال (عليه السلام) :

لو خيّرت في أن تتمنّى لنفسك شيئاً فما الذي تتمنّاه ؟

قال : أتمنّى أن يرزقني الله عزّ وجلّ التقيّة في الدين وقضاء حقوق الإخوان المؤمنين .

قال (عليه السلام) : وما لك لا تتمنّى ولايتنا أهل البيت ؟

قال : لأن الله عزّ وجلّ قد أعطاني هذه ، ولم يعطني تلك ، فأنا أشكره على ما أعطاني ، وأسأله ما لم يعطني .

فقال له (عليه السلام) : أحسنت ، وأمر له بألفي درهم وقال : اجعلها رأس مال تتجّر به .

الثالث : روي عنه (عليه السلام) قال : « عجبت لمن يحتمي من الطعام لمضرّته كيف لا يحتمي من الذنب لمعرّته » !

يقول المؤلّف : هذه الكلمة الشريفة أشبه بقول الإمام الحسن (عليه السلام) : « عجبت لمن يتفكّر في مأكوله ، كيف لا يتفكّر في معقوله » !

وهذا القول أخذه عن أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ قال :

« ما لي أرى الناس إذا قرّب إليهم الطعام ليلاً تكلّفوا إنارة المصابيح ليبصروا ما يدخلون بطونهم ، ولا يهتّمون بغذاء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ، ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب في اعتقاداتهم وأعمالهم » !

الرابع : جاء في (عين الحياة) نقلاً عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) أنّه قال :

إن الدنيا قد حزمت متاعها وأدبرت ، وهي إلى ذهاب ، وإن الآخرة قد حزمت متاعها وأقبلت وهي إلى وصول ، وللدنيا والآخرة أبناء وأصحاب ، فكونوا من أبناء الآخرة لا من أبناء الدنيا وعمّالها .

يا قوم ، كونوا من الزهّاد في الدنيا والراغبين بالآخرة ، فإن الزهّاد في الدنيا يتّخذون

الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً ، عرفوا طيب ريح الماء فاغتسلوا به وتطيّبوا ، وفارقوا الدنيا وانقطعوا عنها .

إن المشتاق إلى الجنّة ينسى شهوات الدنيا ، والخائف من جهنم لا يقترف المحرّمات ، ومن ترك الدنيا سهلت عليه مصائبها .

عرفوا العبوديّة لله معرفة اليقين ، فكأنّهم رأوا أهل الجنة في الجنّة مخلّدين ، وأهل النار في جهنّم معذّبين ، الناس من شرّهم في أمان ، وقلوبهم في حزن متّصل من غمّ الآخرة ، ونفوسهم عفّت عن المحرّمات والشبهات ، أعمالهم خفيفة فلم تكن عليهم صعبة ، صبروا أياماً قليلة ، فهم في الآخرة في راحة طويلة غير متناهية أعدّت لهم ، إذا جنّهم الليل قاموا لربّهم ، وجرت دموعهم على وجوههم ، وتضرّعوا إلى خالقهم واستغاثوا به ، راجين خلاص أبدانهم من العذاب الإلهيّ ، فإذا جاءهم النهار كانوا صابرين حكماء مخلصين متّقين .

أصبحوا من العبادة كالنبال الدقيقة ، قد أنحلهم الخوف الإلهي وبراهم ، فإذا رآهم أهل الدنيا حسبوهم يشكون العلّة ، وليس ما فيهم علة في أبدانهم بل هو داء الخوف والعشق والمحبّة ، ويحسب البعض أنّهم خولطوا وهم ليسوا كذلك ، بل هو الخوف من نار جهنّم ملأ قلوبهم .

الخامس : جاء في (كشف الغمّة) عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال :

أوصاني أبي فقال : يا بنيّ : انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق ، فقلت : من هم يا أبتاه ؟ قال :

« لا تصحبنّ فاسقاً فإنّه يبيعك بأكلة فما دونها » .

فقلت : وما دونها ؟ قال : يطمع فيها ولا ينالها . قلت : فمن الثاني ؟ قال : « إيّاك ومصاحبة البخيل ، فإنّه يخذلك في ما أنت أحوج ما تكون إليه » .

فقلت : فمن الثالث ؟ قال : « إيّاك ومصاحبة الكذّاب ، فإنّه بمنزلة السراب ، يقرّب لك البعيد ، ويبعّد لك القريب » .

قلت ؛ فمن الرابع : قال : « إيّاك ومصاحبة الأحمق ، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك » .

قلت : فمن الخامس ؟ قال : « إيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه ، فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله » .

السادس : جاء في (البحار) وغيره أنّ من جملة وصاياه (عليه السلام) لابنه قوله :

« يا بنيّ ، اصبر على النوائب ، ولا تتعرّض للحقوق ، ولا تجب أخاك إلى الأمر الذي مضرّته عليك أكثر من منفعته له » .

السابع : جاء في (كشف الغمّة) عن زين العابدين (عليه السلام) قوله :

« هلك من ليس له حكيم يرشده ، وذلّ من ليس له سفيه يعضده » .

الثامن : روي عنه (عليه السلام) قوله ما مضمونه :

اعلموا أنّ لكلّ عبد أربع أعين : فهو يرى بعينيه الظاهرتين أمر دينه ودنياه ، ويرى بعينيه الباطنتين أمر آخرته ، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له عيني قلبه فرأى بهما الغيب وأمر آخرته ، وإذا أراد به غير ذلك ترك قلبه على ما هو عليه .

التاسع : قال (عليه السلام) : « خير مفاتيح الأمور الصدق ، وخير خواتيمها الوفاء » .

أقول : يقرب هذا القول من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ قال : « إن الوفاء توأم الصدق ، ولا أعلم جُنّة أوقى منه » .

العاشر : قال (عليه السلام) : « مسكين ابن آدم ، له في كلّ يوم ثلاث مصائب لا يعتبر بواحدة منهنّ ، ولو اعتبر لهانت عليه المصائب وأمر الدنيا .

فأمّا المصيبة الأولى : فاليوم الذي ينقص من عمره ، وإن ناله نقصان في ماله اغتمّ به ، والدرهم يخلف عنه ، والعمر لا يردّه شيء .

والثانية : أنه يستوفي رزقه ، فإن كان حلالاً حوسب عليه ، وإن كان حراماً عوقب .

والثالثة : أعظم من ذلك ، قيل : وما هي ؟ قال : ما من يوم يمسي إلاّ وقد دنا من الآخرة مرحلة لا يدري على الجنّة أم على النار » .

يقول المؤلّف : أخذ أبو بكر بن عياش عن هذا الكلام قوله إذ قال :

« مسكين محبّ الدنيا : يسقط منه درهم فيظلّ نهاره يقول « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » ، وينقص عمره ودينه ولا يحزن عليهما » .

وهو مفاد قول أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ قال :

« من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه ، وحنينه إلى أوطانه ، وحفظه قديم إخوانه » .

وقال (عليه السلام): « أكبر ما يكون ابن آدم اليوم الذي يولد من أمه ». قالت الحكماء : ما سبقه إلى هذا أحد.

الحادي عشر : قال (عليه السلام) : « إنّ من سعادة المرء أن يكون متجره في بلده ، ويكون خلطاؤه صالحين ، ويكون له وُلد يستعين بهم » .

يقول المؤلّف : وردت كلمات كثيرة عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) في معرض النصائح والمواعظ والزهد ، ومعلوم أن لكلماته تأثيراً كبيراً ، وخاصّة في ما نقل عنه من مناداب[1] أو ندبات .

ويروى عن أبي حمزة الثمالي أنّه قال : ما رأيت أزهد من عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، إلاّ ما بلغني عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، كان عليّ بن الحسين (عليهما السلام) إذا تكلّم في الزهد والمواعظ أبكى كلّ من حضر مجلسه .

في ذكر ندبات سيّد الساجدين (عليه السلام)

وحيث إنّ هذا الكتاب الشريف لا يتّسع لذكر تلك الكلمات العالية والجواهر الغالية ، فإنّي أتبرّك بذكر بضعٍ منها ، وأكتفي بها .

قال (عليه السلام) في ندبته المرويّة عن الزهري :

« يا نفس حتّام إلى الحياة سكونك ، وإلى الدنيا وعمارتها ركونك ؟ أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك ، ومن وارته الأرض من الُألاّف[2] ، ومن فجعت به من إخوانك ، ونقلت إلى دار البلى من أقرانك ؟ :

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها ... محاسنهم فيها بوالٍ دواثر
خلت دورهم منهم وأقوت[3] عراصهم ... وساقتهمُ نحو المنايا المقادر
وخلّوا عن الدنيا وما جمعوا لها ... وضمّتهمُ تحت التراب الحفائر

كم اخترمت أيدي المنون من قرون بعد قرون ، وكم غيّرت الأرض ببلاها ، وغيّب في ثراها ممّن عاشرت من صنوف الناس ، وشيّعتهم إلى الأرماس :

وأنت على الدنيا مكبّ منافس ... لخاطبها فيها حريص مُكاثر

---

(١) مناداب : جمع مندبة ، أو ندَبة وجمعها ندبات ، والندبة : تعداد محاسن الميّت .
(٢) الُألاّف : جمع الإلف بالكسر ، بمعنى الأليف .
(٣) أقوت : خلت .

على خطر تمسي وتصبح لاهياً أتدري بماذا ـ لو عقلت ـ تخاطر
وإنّ امرأً يسعى لدنياه جاهداً ويذهل عن أخراه لا شكّ خاسر

أنظر إلى الأمم الماضية ، والقرون الفانية ، والملوك العاتية كيف أنتسفتهم الأيّام فأفناهم الحِمام ، فانمحت من الدنيا آثارهم ، وبقيت فيها أخبارهم :

وأضحَوا رميماً في التراب وأقفرت مجالس منهم عُطّلت ومقاصر
وحلّوا بدار لا تزاوُرَ بينهم وأنّى لسكّان القبور التزاور
فما أن ترى إلاّ جُثى[1] قد ثووا بها مسنّمةً تسفي عليها الأعاصر

كم عاينت من ذي عزّ وسلطان ، وجنود وأعوان ، تمكّن في دنياه ، ونال منها مناه ، وبنى الحصون والدساكر ، وجمع الأعلاق والذخائر :

فما صرفَت كفَّ المنيّة إذ أتت مبادرةً تهوي إليه الذخائرُ
ولا دفعت عنه الحصونُ التي بنى وحفّ بها أنهارها والدساكر
ولا قارعت عنه المنيّة خيلُه ولا طمعت في الذبّ عنه العساكر

فالبدار البدار ، والحذار الحذار من الدنيا ومكائدها ، وما نصبت لك من مصائدها ، وتجلّي لك من زينتها ، واستشرف لك من فتنتها :

وفي دون ما عاينت من فجعاتها إلى رفضها داع وبالزهد آمر
فجُدَّ ولا تغفل فعيشك زائل وأنت إلى دار المنيّة صائر
فلا تطلب الدنيا فإنّ طِلابها وإن نلت منها غِبّه لك ضائر

كم غرّت من مخلد إليها ، وصرعت من مكبّ عليها ، فلم تنعشه من صرعته ، ولم تُقِله من عثرته ، ولم تداوه من سقمه ، ولم تشفه من ألمه :

بلى أوردته بعد عزّ ومنعة موارد سوء ما لهنّ مصادر
فلمّا رأى أن لا نجاة وأنّه هو الموت لا ينجيه منه المؤازر
تندّم لو يغنيه طول ندامة عليه وأبكته الذنوب الكبائر

بكى على ما سلف من خطاياه ، وتحسّر على ما خلّف من دنياه ، حيث لا ينفعه الاستعبار ، ولا ينجيه الاعتذار من هول المنيّة ، ونزول البليّة :

أحاطت به آفاته وهمومه وأبلس لمّا أعجزته المعاذر

---

(١) الجُثى والجثى : القبور ، أو الحجارة المجموعة .

فليس له من كربة الموت فارج ... وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت خوف المنيّة نفسه ... تردّدها دون اللهاة الحناجر

هنالك خفّ عنه عُوّاده ، وأسلمه أهله وأولاده ، وارتفعت الرنّة والعويل ، ويئسوا من برء العليل ، غضّوا بأيديهم عينيه ، ومدّوا عند خروج نفسه رجليه :

فكم موجع يبكي عليه تفجّعاً ... ومستنجد صبراً وما هو صابر
ومسترجع داع له الله مخلص ... يعدّد منه خير ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته ... وعمّا قليل للذي صار صائر

شقّ جيوبها نساؤه ، ولطم خدودها إماؤه ، وأعول لفقده جيرانه ، وتوجّع لرزئه إخوانه ، ثمّ أقبلوا على جهازه ، وتشمّروا لإبرازه :

فظلّ أحلّ القوم كان لقربه ... يحثّ على تجهيزه ويبادر
وشمّر من قد أحضروه لغسله ... ووُجّه لمّا فاض للقبر حافر
وكُفّن في ثوبين فاجتمعت له ... مشيّعةً إخوانُه والعشائر

فلو رأيت الأصغر من أولاده ، وقد غلب الحزن على فؤاده ، فغشي من الجزع عليه ، وقد خضبت الدموع عينيه ، وهو يندب أباه ، ويقول بشجو : واويلاه :

لأبصرت من قبح المنيّة منظراً ... يهال لمرآه ويرتاع ناظر
أكابر أولاد يهيج اكتئابهم ... إذا ما تناساه البنون الأصاغر
ورنّة نسوان عليه جوازع ... مدامعها فوق الخدود غزائر

ثمّ أُخرج من سعة قصره إلى ضيق قبره ، فحثوا بأيديهم التراب ، وأكثروا التلدّد والانتحاب ، ووقفوا ساعة عليه ، وقد يئسوا من النظر إليه :

فولّوا عليه معولين وكلّهم ... لمثل الذي لاقى أخوه محاذر
كشاءٍ رتاع آمنات بدا لها ... بمديته بادي الذراعين حاسر
فريعت ولم ترتع قليلاً وأجفلت ... فلمّا انتحى منها الذي هو جازر

عادت إلى مرعاها ، ونسيت ما في أختها دهاها ، أفبأفعال البهائم اقتدينا ، وعلى عادتها جرينا ، عد إلى ذكر المنقول إلى الثرى ، والمدفوع إلى هول ما ترى :

ثوى مفرداً في لحده وتوزّعت ... مواريثَه أرحامه والأواصر
وأنحوا على أمواله يخضمونها ... فما حامد منهم عليها وشاكر
فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها ... ويا آمناً من أن تدور الدوائر

كيف أمنت إلى هذه الحالة ، وأنت صائر إليها لا محالة ، أم كيف تتهنّأ بحياتك وهي مطيّتك إلى مماتك ، أم كيف تسيغ طعامك وأنت تنتظر حمامك ؟!

ولم تتزوّد للرحيل وقد دنا وأنت على حال وشيكاً مسافر
فيا ويح نفسي كم أسوّف توبتي وعمري فانٍ والردى لي ناظر
وكلّ الذي أسلفت في الصحف مثبت يجازي عليه عادل الحكم قاهر

فكم ترقع بدينك دنياك ، وتركب في ذلك هواك ، إنّي لأراك ضعيف اليقين يا راقع الدنيا بالدين ، أبهذا أمرك الرحمن ، أم على هذا دلّك القرآن ؟ :

تخرّب ما يبقى وتعمر فانياً فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
وهل لك إن وافاك حتفك بغتة ولم تكتسب خيراً لدى الله عاذر
أترضى بأن تفنى الحياة وتنقضي ودينك منقوص ومالك وافر

فبك إلهنا نستجير ، يا عليم يا خبير ، من نؤمّل لفكاك رقابنا غيرك ، ومن نرجو لغفران ذنوبنا سواك ؟ أنت المتفضّل المنّان ، القائم الديّان ، العائد علينا بالإحسان ، بعد الإساءة منّا والعصيان ؟

يا ذا العزّة والسلطان ، والقوّة والبرهان ، أجرنا من عذابك الأليم ، واجعلنا من سكّان دار النعيم ، يا أرحم الراحمين » .

في قلة شأن الدنيا والاعتبار بالماضي

وقال في ندبة أخرى :

« أين السلف الماضون ، والأهلون والأقربون ، والأوّلون والآخرون ، والأنبياء والمرسلون ؟ طحنتهم والله المنون ، وتوالت عليهم السنون ، وفقدتهم العيون ، وإنّا إليهم صائرون ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون :

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا فإنّا على آثارهم نتلاحق
فكن عالماً أن سوف تدرك من مضى ولو عصمتك الراسيات الشواهق
فما هذه دار المقامة فاعلمن ولو عمّر الإنسان ما ذرّ شارق

أين من شقّ الأنهار ، وغرس الأشجار ، وعمر الديار ؟ ألم تمح منهم الأثار ، وتحلّ بهم دار البوار ؟ فاخش الجوار ، ولك اليوم بالقوم اعتبار ، فإنّما الدنيا متاع والآخرة دار القرار :

تخرّمهم ريب المنون فلم تكن لتنفعهم جنّاتهم والحدائق

ولا حملتهم حين ولّوا بجمعهم نجائبهم والصافنات السوابق
وراحوا عن الأموال صفراً وخلّفوا ذخائرهم بالرغم منهم وفارقوا

أين من بنى القصور والدساكر ، وهزم الجيوش والعساكر ، وجمع الأموال والذخائر ، وحاز الآثام والجرائر ؟ أين الملوك والفراعنة ، والأكاسرة والسياسِنة ؟ أين العمّال والدهاقنة ؟ أين ذوو النواحي والرساتيق ، والأعلام والمناجيق ، والعهود والمواثيق ؟ :

كأن لم يكونوا أهل عزّ ومنعة ولا رُفعت أعلامهم والمناجق
ولا سكنوا تلك القصور التي بنوا ولا أخذت منهم بعهدٍ مواثق
وصاروا قبوراً دارسات وأصبحت منازلهم تسفي عليها الخوافق

وقد قيل :

أمسى تراباً ذلك الجسد الذي من ذا التراب حياته لو يعلم
ماذا يكنّ له التراب بجوفه غير العذاب وغير سجن يظلم
هو ذا ترابك يا أخيّ فلا أما نا ترتجيه به ولا من يرحم
إن كنت منه قد خلقت فإنّما فيه المآل ومنه بعثك ينجم[1]

ولقد أخذ منها من قال :

أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شدّاد من إرمٍ وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهبٍ وأين عاد وشدّاد وقحطان
أتى على القوم أمرٌ لا مردّ له حتّى قضوا فكأنّ القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلكٍ ومن مَلِك كما حكى عن خيال الطيف وَسْنان

وقال في ندبة أخرى :

« فانظر بعين قلبك إلى مصارع أهل البذخ ، وتأمّل معاقل الملوك ومصانع الجبّارين ، وكيف عركتهم الدنيا بكلاكل الفناء ، وجاهرتهم بالمنكرات ، وسحبت عليهم أذيال البوار ، وطحنتهم طحن الرحى للحبّ ، واستودعتهم هوج الرياح تسحب عليهم أذيالها فوق مصارعهم في فلوات الأرض ، فتلك مغانيهم ، وهذه قبورهم توارثهم إعصارها وحريقها » .

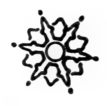
يقول المؤلف : لو أطلنا أكثر من ذلك لخرجنا عن وضع هذا الكتاب ، فنكتفي بهذا

(١) تعريب أبيات بالفارسيّة (المعرّب) .

المقدار، ولمّا كان الإمام (عليه السلام) قد أمرنا أن ننظر نظرة تأمّل وتعقّل ببصيرة القلب إلى مصانع الجبابرة ومقابرهم ، وإلى المعاقل الحصينة والقصور المنيفة للجبارين ، وإلى عماراتهم ومصانعهم ، وأن نأخذ منها العبر فمن المناسب أن نختم الفصل بأشعار للحكيم الخاقاني التي تناسب المقام ، وإليك مضمونها بإيجاز :

الأبيات عَبرة يذرفها الشاعر على ما آل إليه إيوان كسرى في المدائن ، عَبرة هي ترجمان للقلب والوجدان ، حلّ فيها الدمع مكان اللسان ، يحدّث بما تراه عين القلب فتبكي دماً على المرابع والمغاني التي كان يرويها ماء دجلة ، فغدت نار حسرة تشوي كبد دجلة نفسه ، وحجارة القصر وأساساته تهتف بالمواعظ والعِبر ، والأطلال تروي حكاية المجد الآفل والسؤدد الغابر .

ومن الإيوان وزخارفه ، والقصر ومغانيه ، ما آلت إليه نقوش الذهب فيه ، ويعرّج الشاعر إلى قصور أصحاب التيجان وجبابرة الزمان من ملوك فارس وبابل والهند وتركستان ، إلى پرويز وأنو شروان والنعمان ، بعد أن كانوا على رقعة الأرض مجرّد أحجار على رقعة الشطرنج غيّبتهم الأقدار واحداً إثر واحد ، فلم يخلّفوا إلاّ ذكرى مجد غابر ، بعد أن توهّموا أنهم سيخلدون في قصور منيفة ، فانتهوا إلى قبور مخيفة ، تسفي عليها الرياح ، فتروح تحدّث الأجيال عنهم حديثاً فيه مع العبرات على من غبر أفصح العِبَر لكلّ من اعتبر .



الفصل الخامس

في ذكر بعض معجزات الامام زين العابدين (عليه السلام)

لا يخفى أنّه ما من معجزة أو كرامة تفوق ما كان عليه (عليه السلام) من آداب وأخلاق كـريمة ، ومـا صدر عنـه من كلمات ومواعظ بليغـة ، وصحـائف وأدعيـة شريفـة ، ولعـلّ من المناسب في هذا المختصر الاكتفاء بما ذكرناه في الفصول السابقة في هذا الصـدد ، غير أنّنـا نرى من الواجب علينا أن نورد بضعة أخبار في المقام رجاء اليمن والبركة .

الأوّل : في شهادة الحجر الأسود بإمامته (عليه السلام)

يروي الشيخ الكليني وآخرون عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنّه قال :

« لمّا قتل الحسين بن عليّ (عليهما السلام) أرسل محمد ابن الحنفيّـة إلى عليّ بن الحسـين (عليهما السلام) فخلا به ، ثم قال :

يا بن أخي ، قد علمت أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان جعل الوصيّة والإمامة بعـده لعـليّ بن أبي طـالب (عليـه السـلام) ثمّ إلى الحسن ثمّ إلى الحسـين ، وقـد قتـل أبـوك (رضي الله عنه وصلّى الله عليه) ولم يوص ، وأنا عمّك وصنو أبيك ، وأنا في سنّي وقدمتي أحقّ بها منك في حداثتك ، فلا تنازعني الوصيّة والإمامة ، ولا تخالفني .

قـال له عـليّ بن الحسين (عليهـما السلام) : اتّق الله ولا تـدّع ما ليس لـك بحقّ ، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين ، يا عمّ ، إنّ أبي صلوات الله عليه أوصى إليّ قبل أن يتـوجّه إلى العراق ، وعهد إليّ قبل أن يستشهد بساعة ، وهـذا سلاح رسـول الله (صلّى الله عليـه وآله) عنـدي ، فلا تعـرض لهذا فـإنّي أخاف عليك نقص العمر ، وتشتّت الحـال ؛ وإنّ الله تبـارك وتعالى أبى إلاّ أن تجعل الوصيّة والإمامة في عقب الحسين ، فإن أردت أن تعلم فـانطلق بنـا إلى الحجر الأسود حتى نحتكم إليه ونسأله عن ذلك .

قال الباقر (عليه السلام) : وكان الكلام بينهما وهما يومئذ في مكّة ، فانطلقا حتّى أتيا الحجر الأسود ، فقال عليّ بن الحسين (عليه السلام) لمحمّد : ابدأ فابتهل إلى الله واسأله أن ينطق لك الحجر ، ثمّ سله .

فابتهل محمّد في الدعاء وسأل الله ، ثم دعا الحجر فلم يجبه ، فقال عليّ بن الحسين (عليهما السلام) : أما إنّك يا عمّ لو كنت وصياً وإماماً لأجابك ! فقال له محمّد : فادع أنت يا بن أخي ، وسله .

فدعا الله عليُّ بن الحسين (عليهما السلام) بما أراد ثمّ قال : أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لمّا أخبرتنا بلسان عربيّ مبين : من الوصيّ والإمام بعد الحسين بن عليّ ؟

فتحرّك الحجر حتّى كاد أن يزول عن موضعه ، ثمّ أنطقه الله بلسان عربيّ مبين فقال :

اللهمّ إنّ الوصيّة والإمامة بعد الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وابن فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

فانصرف محمّد وهو يتولّى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) » .

ووفقاً لبعض المرويّات : فإنّ محمّداً قبّل رجليه (عليه السلام) وقال : الإمامة لك خاصّة .

يقول المؤلّف : جاء في (حديقة الشيعة) أنّ هذا كان لإزالة شكوك المستضعفين من الأنام وأوهامهم ، وأراد محمّد ابن الحنفيّة أن يظهر الإمام (عليه السلام) ومنزلته لأولئك الذين يقولون بإمامته هو ، لا أنّه كان ينازعه في أمر الإمامة ، وأنه لم يسمع من أبيه وأخيه ، أو سمع وأغمض عينه ، فهو أرفع من أن يرد عليه هذا التوهّم ، ذلك أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أخبر وصيّه أنّه سيرزق بعده بابن من امرأة من بني حنيفة ، وأنّه نحله اسمه وكنيته ، وأنّه (صلّى الله عليه وآله) لا يحلّ لأحد غيره أن يجمع بين اسمه وكنيته إلاّ للقائم من آل محمد (صلّى الله عليه وآله) خليفته الثاني عشر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ، ولهذا فقد سمّاه أمير المؤمنين (عليه السلام) محمّداً ، وكنّاه بأبي القاسم ، ولم يكن لمحمّد هذا نظير أو عديل في العلم والورع والزهد والتقوى ، فكيف يستطيع أن يغفل عن إمام زمانه، أو يدّعي أمراً ليس من حقّه ؟!

والدليل على ذلك هو أنه مع وجود شهادة الحجر الأسود فإنّ جماعة كثيرة كانت تقول بإمامته ، ورغم منعه إيّاهم فلم يزايلوا اعتقادهم هذا ، واستمرّوا على عقيدتهم الفاسدة هذه مدّة ، حتّى أنّ خلقاً كبيراً كانوا يقولون ببقائه حيّاً ، ولا يزال جماعة من أولئك القوم يقولون

بأنّه موجود في غارٍ في جبل رضوى ـ وهو جبل قرب المدينة ـ منصرفاً إلى العبادة ، ويزعمون بأنّه المهديّ الموعود ، وأنّ الله تعالى يخرج له في ذلك الغار ماء وعسلاً كي لا يجوع ولا يعطش ، والبيتان الآتيان من أقوال أحد شيعته فيه :

وسبط لا يذوق الموت حتّى ... يقود الخيل يقدمه اللواء
يغيب فلا يُرى فيهم زماناً ... برضوى عنده عسل وماء

وهذا الشاعر لم يقع في خطأ زعم الإمامة والمهدويّة له فحسب ، بل وقع في خطأ آخر وهو اعتباره سبطاً أيضاً .

يقول المؤلّف : نقل الشيخ المفيد (ره) هذه الأبيات عن كثيّر عزّة ، ومطلعها :

ألا إنّ الأئمّة من قريش ... ولاة الحقّ أربعة سواء
عليّ والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبرّ ... وسبط غيّبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت . . الخ .

الثاني : خبر الزهريّ وما شهده من دلائل

جاء في (حديقة الشيعة) أنّ من معجزات عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ما ذكر في (كشف الغمّة) عن شهاب الزهري أنه قال :

أمر عبد الملك بن مروان بحمل عليّ بن الحسين من المدينة إلى الشام ، ووكّل به حفّاظاً فأثقلوه حديداً ، فاستأذنتهم في التسليم عليه وتوديعه ، فأذنوا ، فدخلت عليه والقيود في رجليه والغلّ في يديه ، فبكيت وقلت : وددت أنّي مكانك وأنت سالم ، فقال : يا زهريّ ، أو تظنّ هذا بما ترى عليّ وفي عنقي يكربني ؟ أما لو شئتُ ما كان ، فإنّه ـ وإن بلغ بك وبأمثالك ـ ليذكّرني عذاب الله ؛ ثم أخرج يديه من الغلّ ورجليه من القيد ، ثمّ قال : يا زهريّ ، لا جزتُ معهم على ذا منزلتين من المدينة .

قال : فما لبثنا إلّا أربع ليال حتّى قدم الموكّلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه ، فكنت فيمن سألهم عنه ، فقال لي بعضهم : كنا حوله نرصده إذ أصبحنا فما وجدنا إلّا حديده .

فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عن عليّ بن الحسين فأخبرته ، فقال : إنّه قد جاءني في يوم فقده الأعوان ، فدخل عليّ فقال : ما أنا وأنت ؟ (أي : ما شأني معك ، وما شأنك معي ؟) فقلت : أقم عندي ، فقال : لا أحبّ ، ثم خرج ، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة !!

يقول الزهري : فقلت : ليس عليّ بن الحسين (عليهما السلام) حيث تظنّ ، إنّه مشغول بنفسه ، فقال : حبّذا شغل مثله ، فنعم ما شُغل به .

الثالث : خبر الفقير وحبّتي اللؤلؤ في جوف السمكة

وجاء في الكتاب المذكور نقلاً عن الزهريّ أنّه قال :

كنت عند عليّ بن الحسين (عليهما السلام) فجاءه رجل من أصحابه ، فسأله عن حاله فقال : أصبحت وعليّ أربعمئة دينار ديناً لا قضاء عندي لها ، ولي عيال ثقال ليس لي ما أعود عليهم به .

فبكى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) بكاء شديداً ، فقيل له : ما يبكيك يا بن رسول الله ؟ فقال : أيّ محنة ومصيبة أعظم على حرّ مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن خللا فلا يمكنه سدّها ؟ ويشاهده على فاقة فلا يطيق رفعها ؟!

قال : فتفرّقوا عن مجلسهم ذاك ، فقال بعض المنافقين ـ وهو يطعن على عليّ بن الحسين ـ : عجباً لهؤلاء ، يدّعون مرّة أنّ السماء والأرض وكلّ شيء يطيعهم ، ثم يعترفون أخرى بالعجز عن إصلاح حال خواصّ إخوانهم !!

فاتصل ذلك بالرجل صاحب القصّة فجاء إلى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) فقال له : يا بن رسول الله ، بلغني عن فلان كذا وكذا ، وكان ذلك أغلظ عليّ من محنتي ، فقال له (عليه السلام) : فقد أذن الله في فرجك ، يا فلانة (مخاطباً جاريته) احملي سحوري وفطوري ، فحملت قرصين من خبز الشعير ، فقال للرجل : خذهما فليس عندنا غيرهما ، فإنّ الله يكشف عنك بهما ، وينيلك خيراً واسعاً .

فأخذهما الرجل ودخل السوق لا يدري ما يصنع بهما ، يتفكّر في ثقل دينه وسوء حال عياله ، ويوسوس له الشيطان : أين موقع هذين من حاجتك ! وأخذ يتجوّل في السوق ، فمرّ بسمّاك قد بارت عليه سمكة قد أراحت (تغيّرت رائحتها) فقال له : أعطني سمكتك هذه البائرة بهذا القرص ، فقال : نعم ، فأعطاه القرص وأخذ السمكة ؛ ثمّ مرّ برجل معه ملح قليل مزهود فيه لامتزاجه بالتراب ، فقال له : هل لك أن تعطيني ملحك هذا بقرصي هذا ؟ قال : نعم ، فجاء الرجل بالسمكة والملح فقال : أُصلح هذه بهذا .

فلمّا شقّ بطن السمكة وجد فيه لؤلؤتين فاخرتين فحمد الله عليهما ، وبينما هو في سروره إذ قرع بابه ، فخرج ينظر من بالباب ، فإذا صاحب السمكة وصاحب الملح قد جاءا يقولان : يا عبد الله ، جهدنا أن نأكل من هذين القرصين فلم تعمل فيهما أسناننا ، فإليك قرصيك ،

وقد طبنا لك عمّا أخذته منّا ، إذ يبدو أنّك تناهيت في سوء الحال .

فما استقرّ بعد انصرافهما حتّى قرع بابه ، فإذا رسول عليّ بن الحسين (عليهما السلام) يقول : إنّه يقول لك : إنّ الله قد أتاك بالفرج ، فاردد إلينا طعامنا فإنّه لا يأكله غيرنا .

وذهب الرسول بالقرصين ، وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه ، وحسنت بعد ذلك حاله .

ولمّا اطّلع المنافقون على ما جرى قالوا : ما أشدّ هذا التفاوت ! بينا عليّ بن الحسين لا يقدر أن يسدّ منه فاقة إذ أغناه هذا الغناء العظيم !

فلمّا بلغ الإمام (عليه السلام) قولهم قال : هكذا قالت قريش للنبيّ (صلّى الله عليه وآله) : كيف يمضي إلى بيت المقدس من مكّة ويرجع إليها في ليلة واحدة من لا يقدر أن يبلغ من مكّة إلى المدينة إلاّ في اثني عشر يوماً ؟!

ثمّ قال (عليه السلام) : جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه .

الرابع : إعادة حبابة الوالبيّة إلى الشباب بإعجاز منه (عليه السلام)

يروي الشيخ الصدّوق وآخرون عن حبابة الوالبيّة أنّها قالت :

رأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) في شرطة الخميس ومعه درّة يضرب بها باعة أسماك الجرّي والزّمّير والطّبراني المحرّمة ويقول لهم : يا باعة مسوخ بني إسرائيل ، يا جند بني مروان ، فوقف فرات بن الأحنف وقال : يا أمير المؤمنين ، ومن جند بني مروان ؟ قال : قوم يحلقون اللحى ويفسدون السبيل .

قالت حبابة : لم أر متكلّماً أفضل منه ، فتبعته حتى أخذ مجلسه ، فدنوت منه وقلت : يا أمير المؤمنين ، ما الدليل على الإمامة رحمك الله ؟ قال : إليّ بالحصاة ، وأشار بيده إلى حصاة قدمتها إليه فختم عليها بخاتمه المبارك وقال لي : يا حبابة ، من ادّعى الإمامة وقدر على ختم الحصاة كما رأيت فاعلمي أنّه إمام واجب الطاعة ، فما أراده الإمام لم يحجب عنه ، ثم انصرفت .

ومرّت الأيّام حتّى مضى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقدمت إلى الإمام الحسن (عليه السلام) ، وكان يجلس مجلس أمير المؤمنين (عليه السلام) والناس حوله يسألونه ، فقال لي :

يا حبابة الوالبيّة ، قلت : نعم يا مولاي ، قال : هات ما معك ، فأعطيته الحصاة فختم عليها بخاتمه المبارك كما فعل أمير المؤمنين (عليه السلام) .

قالت حبابة : وبعد الإمام الحسن (عليه السلام) قدمت إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ، وكان في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فأدناني منه مرحّباً وقال : « إنّ في الدلالة دليلاً على ما تريد » ، ومراده أنّ ما رأيته من أبي وأخي من الدلالة دليل على ما تريدين معرفته منّي ، ثم قال : هات الحصاة التي تحملينها ، فأعطيته إيّاها فختم عليها .

قالت حبابة : وبعد الحسين (عليه السلام) قدمت إلى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، وكنت في ذلك الوقت قد ظهرت عليّ آثار الشيخوخة وتركتني ضعيفة عاجزة ، وبلغت سنيّ عمري مئة وثلاث عشرة ، فرأيته (عليه السلام) متّصل الركوع والسجود مشغولاً بالعبادة دون فراغ ، فيئست لذلك من سؤاله عن الدلالة ، فأشار إليّ بسبّابته فعاد إليّ شبابي بإعجازه (عليه السلام) فقلت : يا مولاي أخبرني عمّا مضى من دنياي وعمّا بقي ، فقال : « أمّا ما مضى فنعم ، وأمّا ما بقي فلا » ، ثمّ قال : هات ما معك ، فأعطيته الحصاة فختم عليها .

وقدمت بعده إلى الإمام الباقر (عليه السلام) فختم عليها ، ثمّ لقيت الإمام الصادق (عليه السلام) فختم عليها ، ثم لقيت الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) فختم عليها . ولقيت بعده الإمام الرضا (عليه السلام) فختم عليها أيضاً .

وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة شهور ثم توفّيت . روى ذلك عبد الله بن همّام .

يقول المؤلّف : كانت حبابة الوالبيّة ، راوية الخبر ، امرأة من الشيعة ، عاقلة كاملة جليلة عالمة بمسائل الحلال والحرام ، كثيرة العبادة حتّى ترك جهدها فيها آثاره ، فخشن الجلد على بطنها ، واحترق وجهها من كثرة السجود ومن شدّة الجور على محلّ السجود ، وكانت تزور الإمام الحسين (عليه السلام) باستمرار ، وكانت كلّما وفد الناس على معاوية تفد هي على الإمام الحسين (عليه السلام) ، ولمّا أصيبت في وجهها بعارض البرص تخلّصت منه ببركة ريقه المقدّس .

وحبابة هي القائلة : رأيت الإمام الباقر (عليه السلام) في المسجد الحرام عند العصر ، والناس قد تحلّقوا حوله يسألونه عن أمور الحلال والحرام ، ويعرضون عليه مشكلاتهم ، فما تحرّك (عليه السلام) من مكانه حتّى أفتى بألف مسألة .

وفي صدر الخبر دلالة على عدم جواز حلق اللحية ، وأن حالق لحيته يتشبّه بهيئة بني مروان وبني أميّة ، حيث أنّ حلق اللحى شائع في زماننا ، ولا يُنظر إلى قبحه ، حتّى قارب هذا المنكر أن يكون معروفاً ، فمن المناسب أن نشير هنا إلى الأدلّة على عدم جواز هذا العمل :

عدم جواز حلق اللحية : يقول الشهيد الأوّل في (القواعد) : لا يجوز للخنثى حلق اللحية وذلك لورود احتمال بأنّ الخنثى رجل ، وظاهر هذا القول أن الحرمة مسلّمة على الرجل ، ويحكم الأمير الداماد في (شارع النجاة) بالحرمة ، ويعطي الاحتمال بالإجماع .

وينسبها العلاّمة المجلسيّ (ره) في (الحلية) إلى المشهور ، ويروى في كتاب (الجعفريّات) بسند صحيح أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال ما مضمونه : الحلق من المثلة ، ومن عمل المثلة فعليه لعنة الله ؛ وجاء في (غوالي اللآلي) أنه (صلّى الله عليه وآله) قال : « ليس منّا من سلق ولا خرق ولا حلق » ، ويفسّره المؤلف ابن أبي جمهور في الحاشية بقوله : ليس منّا من أكثر القول بوقاحة ودون حياء ، ومن بذّر ماله ، ومن حلق لحيته .

وروي في (الفقيه) أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :

« أحفوا الشوارب واعفوا اللحى[1] ، ولا تتشبّهوا باليهود والمجوس » ، وقال أيضاً : « إن المجوس جزّوا لحاهم ووفّروا شواربهم ، وإنّا نحن نجزّ الشوارب ونوفّر اللحى » ، ويقول البعض : يحتمل أنّ المراد بعدم التشبّه باليهود تشذيب اللحية ، لأن اليهود لا يحلقون لحاهم .

ولّما بلغ كتاب الدعوة النبويّة كسرى كتب إلى عامله على اليمن باذان أن يبعث إليه به (بالرسول (صلّى الله عليه وآله)) ! فبعث باذان بكاتبه بانويه ورجل يقال له خرخسك إلى المدينة ، وكان هذان قد جزّا لحيتيهما وأطلقا شاربيهما ، فلم يسرّ (صلّى الله عليه وآله) برؤيتهما ، وقال لهما : الويل لكما ، من الذي أمركما بهذا ؟ قالا : ربّنا (يريدان كسرى) ، فقال (صلّى الله عليه وآله) : لكنّ ربّنا أمرنا بإطلاق اللحية وجزّ الشارب .

وروى السيوطي في (الجامع الصغير) عن الإمام الحسن (عليه السلام) قوله : عشر خصال كانت عند قوم لوط ، وهلكوا بسببها ، وتزيد أمّتي خصلة أخرى ، وعدّ من تلك العشر : جزّ اللحية بالمقراض .

واستدلّ الشيخ عليّ في (الدرّ المنثور) من طريقين : أحدهما خبر (الفقيه) المذكور ، فاستحباب جزء منه بسبب دليل الخارج لا يتنافى مع وجوب الجزء الآخر بسبب ظاهر الأمر وهو الوجوب ، وخصوصاً مع النهي عن التشبّه باليهود والمجوس .

والطريق الآخر هو أن الشرع قرر دية كاملة على إزالة شعر اللحية ، وما كان كذلك

---

(١) معلوم أنّ ترك اللحية طويلة مقابل أخذ الشارب هو أن لا تطول بما يزيد عن حدّ القبضة ، ولقد أحسن من قال : « اللحية لحِليّة ما لم تطل عن الطليّة » ، والطليّة : العنق وأساسه .

ففعله على الغير ، بله على صاحبه ، حرام ، وخروج بعض الأفراد النادرة كإزالة شعر الرأس لا يتنافى مع هذه القاعدة الكلّيّة .

وأقول : إنني نقلت عن (الكلمة الطيّبة) هذه الجملة : وفي الحديث جاء في ذيل الآية الشريفة : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات فأتمّهنّ ﴾ : أنّ أخذ الشارب وتوفير اللحية من العشر الحنيفيّة التي نزلت على إبراهيم (عليه السلام) ، وتلك الأمور العشرة لم تنسخ ، ولن تنسخ حتّى يوم القيامة ، وكون توفير اللحية من المستحبّات ليس دليلاً على الاستحباب لأنّ بعض المذكورات هي من الواجبات مثل غسل الجنابة والختان ، ويمكن الاستدلال بالأخبار الدالّة على عدم جواز تشبّه الرجال بالنساء ، إذ إنّ الرجل بحلقه لحيته يصبح شبيهاً بالمرأة .

وقال الصادق (عليه السلام) في (توحيد المفضل) : إن ظهور الشعر على الوجه باعث للعزّة فبه يخرج عن حدّ الطفولة ومشابهة المرأة .

وقال الرضا (عليه السلام) : إنّ الله عزّ وجلّ زيّن الرجال باللحى ، وجعل للّحية فضيلة بها يظهر امتيازهم عن النساء .

وفي شطر من خبر مرويّ عن الصادق (عليه السلام) أنّ شخصاً من قوم عاد كذّب يعقوب النبيّ ، فدعا عليه بأن تسقط لحيته ، وبدعائه سقطت لحية الرجل على صدره وأصبح أمرد ، ويُعلم من هذا الخبر قبح الوجه الخالي من الشعر وبشاعته ، إذ كان ذلك عقوبة للرجل اختارها يعقوب جزاء له على تكذيبه له .

ويمكن التمسّك أيضاً بالحديث الدالّ على تحريم التشبه بأعداء الدين ، وقد رواه الشيخ الصدّوق عن الصادق (عليه السلام) إذ قال :

أوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من أنبيائه أن قل للمؤمنين لا يلبسوا لباس أعدائي ولا يطعموا طعامهم ولا يسلكوا مسلكهم فيصبحوا أعداء لي كما هم أعدائي .

ولا يخفى أنّ حلق اللحية يحرم من كثير من الفوائد والبركات ، ومنها الخضاب الذي ورد أنّ درهماً ينفق في الخضاب ، أفضل من إنفاق ألف درهم في سبيل الله ؛ وفي الخضاب أربع عشرة خصلة : يبعد الريح عن البطن ، ويضيء العين ، و . . . الخ . ويحرم من تمشيط اللحية والفوائد المترتّبة عليه كإبعاد الفقر ، ودفع الوباء ، ومنها أنّ ما من رجل مشّط لحيته سبعين مرّة ابتعد عنه الشيطان بعدد كل مرّة أربعين يوماً .

وروي عن الصادق (عليه السلام) في الآية الشريفة : ﴿ وخذوا زينتكم عند كلّ مسجد ﴾ ، أنّه قال : هي التمشيط عند كلّ صلاة فريضة ونافلة ، إلى غير ذلك .

أقول : لا اعرف ماذا يقول من حلق لحيته في دعاء رجب : « يا من أرجوه لكلّ خير » .

وبماذا يستعيض عن لحيته التي يمسك بها بقبضته إذا بلغ قوله : « حرّم شيبتي على النار » ، فماذا يقول ؟ وكيف يحرم نفسه من توجّه الحقّ تعالى إليه ومن استرحامه له ؟

أم لعلّه لم يسمع بأنّ من أراد طلب الرحمة من الله عزّ وجلّ ، وأن يخلّصه من عذاب جهنّم ، يقبض على لحيته بعد الصلاة بيمناه ، ويرفع يسراه نحو السماء ويقول سبعاً :

« يا ربّ محمّد وآل محمّد ، صلّ على محمّد وآل محمّد ، وعجّل فرج آل محمّد » ، ثمّ ـ وهو على هذه الحال ـ يقول ثلاث مرّات :

« يا ذا الجلال والإكرام ، صلّ على محمّد وآل محمّد ، وارحمني وأجرني من النار » .

الخامس : الحجر وقضاء الحاجات بإعجازه (عليه السلام)

جاء في (مدينة المعاجز) عن أبي جعفر الطبريّ أنّ أبا نمير عليّ بن يزيد قال :

كنت مع عليّ بن الحسين (عليهما السلام) عندما انصرف من الشام إلى المدينة ، فكنت أحسن إلى نسائه ، وأقضي حوائجه ، فلمّا نزلوا المدينة بعثن إليّ بشيء من حليهنّ ، فلم آخذه ، فقلت : فعلت هذا لله تعالى . فأخذ عليّ بن الحسين (عليهما السلام) حجراً أسود صمّاً ، فطبعه بخاتمه ، ثمّ قال لي :

خذه ، وسل كلّ حاجة لك منه ، فوالذي بعث محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلم) بالحقّ لقد كنت أسأله الضوء في البيت فيسرج في الظلماء ، وأضعه على الأقفال فتنفتح ، وآخذه بيدي وأقف بين يدي السلاطين فلا أرى منهم شرّاً .

السادس : أسدان يمزّقان لصّاً تعرّض له (عليه السلام)

وجاء أيضاً في الكتاب المتقدّم وغيره عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله :

خرج عليّ بن الحسين (عليهما السلام) إلى مكّة حاجّاً حتّى انتهى إلى واد بين مكّة والمدينة ، فإذا هو برجل يقطع الطريق ، قال : فقال لعليّ : انزل ، قال تريد ماذا ؟ قال : أريد أن أقتلك وآخذ ما معك !

قال : فأنا أقاسمك ما معي وأُحلّك ، فقال اللصّ : لا ، قال : فدع معي ما أتبلّغ به ، فأبى .

قال (عليه السلام) : فأين ربّك ؟ قال : نائم !

قال : فإذا أسدان مقبلان بين يديه ، فأخذ هذا برأسه وهذا برجليه .

قال (عليه السلام) : زعمت أنّ ربّك عنك نائم !!

السابع : في توكله (عليه السلام)

جاء في (المناقب) و(مدينة المعاجز) وغيرهما أنّ إبراهيم بن أدهم وفتح الموصلي قال كل واحد منهما :

كنت أسيح في البادية مع القافلة ، فعرضت لي حاجة ، فتنحّيت عن القـافلة ، فإذا أنـا بصبيّ يمشي ، فقلت : سبحان الله ، بادية بيداء وصبيّ يمشي !

فدنوت منه وسلّمت عليه ، فـردّ عليّ السـلام ، فقلت له : إلى أين ؟ قـال : أريد بيت ربّي ، فقلت : حبيبي ، إنّك صغير ليس عليك فرض ولا سنّة ، فقال : يـا شيخ ، أمـا رأيت من هو أصغر منّي مات ؟! قلت أين الزاد والراحلة ؟ فقال :

« زادي تقواي ، وراحلتي رجلاي ، وقصدي مولاي » .

فقلت : ما أرى شيئاً من الطعام معـك ، فقال : يـا شيخ ، هـل يستحسن أن يدعـوك إنسـان إلى دعوة فتحمـل من بيتك الـطعام ؟ قلت ؛ لا ، قـال : فالـذي دعـاني إلى بيتـه هـو يـطعمني ويسقيني ، فقلت : ارفـع رجلك حتّى تـدرك[1] ، فقـال : عـليّ الجهـاد ، وعليـه الإبلاغ ، أما سمعت قوله تعالى :

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا ، وإنّ الله لمع المحسنين ﴾ ؟!

قال الراوي : فبينا نحن كذلك إذ أقبل شابّ حسن الوجه ، عليه ثيـاب بيض حسنة ، فعانق الصبي وسلّم عليه ، فأقبلت على الشابّ وقلت له :

أسـألك بـالذي حسّن خلقـك ، من هذا الصبيّ ؟ قـال : أما تعـرفـه ؟ هـذا عـليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب .

فـتركت الشابّ وأقبلت عـلى الصبيّ ، وقلت : أسألـك بآبـائك ، من هـذا الشـابّ ؟ فقال : أما تعرفه ؟ هذا أخي الخضر يأتينا كلّ يوم فيسلّم علينا .

فقلت : أسألك بحقّ آبائك لّما أخبرتني بم تجوز المفاوز بلا زاد ؟

قال : بل أجوز بزاد ، وزادي فيها أربعة أشياء ، قلت : وما هي ؟ قال :

« أرى الدنيا كلّها بحذافيرها مملكـة الله ، وأرى الخلق كلّهم عبيد الله وإمـاءه وعيالـه ،

---

(١) يعني : اركب مطيّتي حتى تدرك الحجّ ، أو القافلة .

وأرى الأسباب والأرزاق بيد الله ، وأرى قضاء الله نافذاً في كلّ أرض الله » .

فقلت : نعم الزاد زادك يا زين العابدين ، وأنت تجوز به مفاوز الآخرة ، فكيف مفاوز الدنيا !!

الثامن : في جلالته وعظمته (عليه السلام) وقول الفرزدق فيه

جاء في العديد من الكتب المعتبرة أن هشام بن عبد الملك بن مروان حجّ في إحدى السنين أيام حكم أبيه ، وطاف بالبيت فأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر من الزحام ، فنصب له منبر فجلس عليه ، وأطاف به أهل الشام .

فبينما هو كذلك إذ أقبل عليّ بن الحسين (عليه السلام) وعليه إزار ورداء ، من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة ، وبين عينيه سجّادة من أثر السجود ، فجعل يطوف ، فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحّى الناس حتّى يستلمه هيبة له وإجلالاً ، فغاظ ذلك هشاماً ، فقال رجل من أهل الشام لهشام : من هذا الذي قد هابه الناس فأفرجوا له عن الحجر ؟ فقال هشام : لا أعرفه ! لئلاّ يرغب فيه أهل الشام ! فقال الفرزدق وكان حاضراً : لكنّي أعرفه :

قد قال أعرفه ، بل خير معرفة ... عندي البيان لمن أنكرت يا بَكمُ [1]

فقال الشاميّ : ومن هذا يا أبا فراس ؟ فقال :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم
وليس قولك : من هذا ؟ بضائره ... فالعرب تعرف من أنكرتَ والعجم
هذا ابن فاطمةٍ إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد ختموا
مقدَّم بعد ذكر الله ذكرهمُ ... في كلّ برّ ومختوم به الكلم
يُستدفع الضرّ والبلوى بحبّهمُ ... ويُسترَبّ به الإحسان والنعم
إن عُدّ أهل التقى كانوا أئمّتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض ؟ قيل هم
ما قال « لا » قطّ إلاّ في تشهّده ... لولا التشهّد كانت لاؤه نعم

فغضب هشام ، ومنع عطاء الفرزدق ، وأمر به فحبس في عسفان ، وهو موضع بين مكّة والمدينة .

---

(١) تعريب بيت بالفارسية ، والبكم : الأبكم وهو من خرس تعمّداً (المعرّب) .

ولما بلغ ذلك عليّ بن الحسين (عليه السلام) بعث إليه باثني عشر ألف درهم ، وقال : اعذرنا يا أبا فراس ، فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به ، فردّها وقال : يا بن رسول الله ، ما قلت الذي قلت إلاّ غضباً لله ولرسوله ؛ فردّها إليه وقال : بحقّي عليك لمّا قبلتها ، فقبلها .

وجاء في بعض المرويّات أنّ حبسه طال ، وقد هدّده هشام بالقتل ، فاشتكى الفرزدق إلى الإمام (عليه السلام) ، فدعا له بالخلاص من الحبس ، فاستجيبت دعوته ، وقدم إلى الإمام (عليه السلام) وشكا له أنّ هشاماً محا اسمه من ديوان العطاء ، فسأله (عليه السلام) : وكم هو عطاؤك ؟ فأخبره ، فأمر له بما يكفيه أربعين عاماً ، وقال له : لو علمنا أنّك تحتاج إلى أكثر من ذلك لأعطيناك ؛ وتوفّي الفرزدق بعدها بأربعين عاماً .

يقول المؤلّف : الفرزدق هو همّام بن غالب بن صعصعة التميميّ المجاشعيّ ، وكنيته أبو فراس ، والفرزدق لقبه ، وكان من أعيان شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، مدح السلالة الطيّبة الطاهرة ، وهو من عائلة عظيمة ، وكان لآبائه مآثر ظاهرة ومفاخر باهرة .

وقد جاء في (الإصابة) أن غالباً أبا الفرزدق كان من أجواد عصره ، يمتلك إبلاً لا حصر لها ، ولمّا قدم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) في البصرة والفرزدق معه انكبّ على قدميه يقبّلهما ، وأظهر أنّه يقول الشعر الجيدّ ، فأشار عليه الأمير (عليه السلام) أن يتعلّم القرآن بدلاً من الشعر وإنشاده ، فأخذ الفرزدق عهداً على نفسه أن لا يلتفت إلى شيء حتّى يحفظ القرآن المجيد .

ومجمل القول : فالقصيدة تزيد عن أربعين بيتاً ، ويعرف منها ما كان عليه الفرزدق من ضلوع بالأدب حتى يرتجل هذه القصيدة الشريفة كلّها أو بعضها .

يقول الأستاذ الأكبر المحقّق البهبهانيّ عن جدّه تقيّ المجلسيّ رضوان الله عليهما ، أنه قال :

وذكر عبد الرحمن الجاميّ (المشهور بالنصب والعداوة) في (سلسلة الذهب) هذه القصيدة منظومة بالفارسيّة ، وذكر أنّ كوفيّة رأت في النوم الفرزدق وقالت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر الله لي بقصيدة عليّ بن الحسين (عليه السلام) :

قال الجاميّ : وبالحريّ أن يغفر الله للعالمين بهذه القصيدة . انتهى .

وقال الجاميّ في (السلسلة) أيضاً أبياتاً بالفارسيّة :

شيخ صدوق من أهالي الحرمين   أصغى لقول طاهر من كلّ شين

قال : الفرزدق لم يشأ من قوله إلّا الرضى ، في مدح زين العابدين
يسعى إلى رحمانه سبحانه فأناله الرحمن نول الخالدين
قد قال حقاً لأمير جائر فأثابه الحقّ ثواب الفائزين[1]

التاسع : في تكلّم الظبية معه (عليه السلام)

جاء في (كشف الغمّة) وغيره من الكتب المعتبرة أنّه بينا عليّ بن الحسين (عليه السلام) مع أصحابه إذ أقبلت ظبية من الصحراء حتّى قامت حذاءه ، وصوّتت فقال بعض القوم : يا بن رسول الله ، ما تقول هذه الظبية ؟ قال : تزعم أنّ فلاناً القرشيّ أخذ خشفها بالأمس ، وأنّها لم ترضعه من أمس شيئاً ، فخطر في قلب رجل من الحضور شيء ، أي ظهر عليه الإنكار ، وأدرك الإمام (عليه السلام) بعلمه ذلك ، فأمر بإحضار ذلك الرجل القرشيّ وقال له : ما لهذه الظبية تشكوك ؟ قال : وماذا تقول ؟ قال : تقول إنّك أخذت خشفها بالأمس ، وإنّها لم ترضعه مذ ذاك شيئاً ، وهي تسألني أن نردّ عليها خشفها ، فترضعه ثمّ تردّه عليك .

قال الرجل : والذي بعث محمّداً (صلّى الله عليه وآله) بالرسالة قد قلت حقّاً ، قال : إذاً فابعث إليّ بذلك الخشف ؛ فلمّا رأت الظبية خشفها صوّتت وضربت الأرض بيديها ، وأقبلت فأرضعته .

فقال الإمام (عليه السلام) للرجل : أسألك بحقّي عليك لمّا وهبت لي هذا الخشف ، قال : قد فعلت ، فأرسل (عليه السلام) الخشف مع الظبية فبصبصت وحرّكت ذنبها ، ثم مضت مهمهمة ، قالوا : ماذا قالت يا بن رسول الله ؟ قال : دعت لكم وجزاكم بخير .

العاشر : في ما ظهر من دلائله (عليه السلام) في وقعة الحرّة

جاء في (المناقب) أنّ ليث الخزاعي سأل سعيد بن المسيّب عن إنهاب المدينة فقال :

نعم ، شدّوا الخيل إلى أساطين مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ورأيت الخيل حول القبر ، وانتهبت المدينة ثلاثاً ، فكنت أنا وعليّ بن الحسين (عليه السلام) نأتي قبر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، فيتكلّم عليّ بن الحسين بكلام لم أقف عليه ، فيحال ما بيننا وبين القوم ، ونصلّي ونرى القوم وهم لا يروننا .

وقام رجل عليه حلل خضر على فرس محذوف[2] أشهب بيده حربة مع عليّ بن الحسين

---

(١) تعريب أبيات بالفارسية (المعرب) .

(٢) المحذوف : لعلّ المراد : المحذّف الذي أحسن صنعه (المعرّب) ، أو لعلّه قصير الذيل .

(عليه السلام) ، فكان إذا أومأ الرجل إلى حرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يشير ذلك الفارس بالحربة فيموت من غير أن يصيبه .

فلمّا أن كفّوا عن النهب دخل عليّ بن الحسين على النساء فلم يترك قرطاً في أذن صبيّ ، ولا حليّاً على امرأة ولا ثوباً إلّا أخرجه إلى الفارس ، فقال له الفارس : يا بن رسول الله ، إنّي ملك من الملائكة من شيعتك وشيعة أبيك ، لمّا أن ظهر القوم بالمدينة استأذنت ربّي في نصركم آل محمّد ، فأذن لي لأن أدّخرها يداً عند الله تبارك وتعالى ، وعند رسوله (صلّى الله عليه وآله) وعندكم أهل البيت إلى يوم القيامة .

يقول المؤلّف : المراد بهذين الإنهاب والإغارة تلك الإغارة التي جرت في واقعة الحرّة ، وقصّتها بإيجاز هي الآتية :

لّما عمّ ظلم يزيد وطغيانه وجور عمّاله العالم ، وظهر فسقه وجوره للناس ، بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) سنة ستّين ، قدم جماعة من أهل المدينة إلى الشام ورأوا بأمّهات أعينهم كيف يقضي يزيد وقته بشرب الخمر وملاعبة الكلاب ، ولعب القمار والعزف على الطنابير وآلات اللهو ، فعادوا إلى المدينة وقصّوا ما رأوه من شنيع عمله ، فثار أهل المدينة ، وطردوا عامل يزيد عثمان بن محمّد بن أبي سفيان من المدينة مع مروان بن الحكم وسائر الأمويّين ، وجعلوا يجهرون بسبّ يزيد ولعنه ، وينعتونه بقاتل أولاد الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، وناكح المحارم ، وتارك الصلاة ، وشارب الخمر ، ثم بايعوا عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة .

ولّما بلغ مسامع يزيد ما جرى في المدينة سيّر إليها مسلم بن عقبة المرّي ، المعروف بقسوته وإجرامه ويدعى بالمسرف ، مع جيش كبير ، ولما اقترب مسلم من المدينة في موقع كثير الصخور يعرف بحرّة واقم ، على ميل واحد من مسجد سيّد الأنبياء (صلّى الله عليه وآله) ، لقيه أهل المدينة وقد خرجوا لمنعه من دخولها ، فأعمل فيهم السيف ، ومروان اللعين يحرّضه حتى قتل منهم مقتلة عظيمة . وفرّ من بقي منهم يلوذون بقبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

وانحدر مسلم بجيشه نحو المدينة ، وانتهكوا حرمة المسجد المطهّر دون ذرّة من حياء أو احترام لساكنه العظيم ، وعاث الجند بخيولهم داخل الروضة المطهّرة ، وأعملوا القتل بمن لاذ بها من الناس حتّى امتلأ المسجد والروضة بالدماء ولوّثوا طهارتها بالروث والبول ، وهي التي قال فيها (صلّى الله عليه وآله) : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » ، وبلغ عدد من قتل برواية المدائني عن الزهري ـ سبعمئة من وجوه الناس من قريش والأنصار

والمهاجرين ، أمّا من قتل من سائر الناس والموالي ـ ما بين رجل وامرأة ، وحرّ وعبد ـ فقد بلغوا عشرة آلاف مقتول .

يقول أبو الفرج : إنّ من قتل من آل أبي طالب : آثنان هما أبو بكر بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعون الأصغر ، وهو ابن عبد الله بن جعفر أيضاً ، وأخو عون الأكبر الذي استشهد في كربلاء ، وأمّه جمانة بنت المسيّب بن نَجَبة الذي خرج على ابن زياد مطالباً بثأر الحسين (عليه السلام) وقتل في عين وردة .

وقال المسعودي : إنه قتل من بني هاشم من غير آل أبي طالب الفضل بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث عبد المطّلب ، والحمزة بن نوفل بن الحارث ، والعبّاس بن عتبة بن أبي لهب وغيرهم من قريش والأنصار ومن سائر الناس من المعروفين وعددهم أربعة آلاف ، دون من لم يعرف ، ثمّ انتهك مسلم بن عقبة الأعراض ونهب الأموال بإباحته المدينة لجنده ثلاثة أيام بنسائها وأموالها .

ويروي ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) أن أوّل دور انتهبت والحرب قائمة دور بني عبد الأشهل ، فما تركوا في المنازل من أثاث وحليّ ، ولا فراش إلاّ نقض صوفه ، حتّى الحمام الدجاج كانوا يذبحونها ، ثمّ دخلوا دار محمّد بن مسلمة ، فصاح النساء ، فأقبل زيد بن محمّد بن مسلمة إلى الصوت ، فوجد عشرة ينهبون ، فقاتلهم ومعه عشرة من أهله حتى قتل الشاميّون جميعاً ، وخلّصوا منهم ما أُخذ منهم ، فألقوا متاعهم في بئر لا ماء فيها ، وألقوا عليها التراب ، ثم أقبل نفر من أهل الشام ، فقاتلوهم حتى قتل زيد بن محمّد أربعة عشر رجلاً ، فضربه أربعة منهم بالسيوف في وجهه .

ولزم أبو سعيد الخدري بيته ، فدخل عليه نفر من أهل الشام فقالوا : أيّها الشيخ ، من أنت ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدريّ صاحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فقالوا : ما زلنا نسمع عنك ، فبحظّك أخذت في تركك قتالنا ، وكفّك عنّا ، ولزوم بيتك ، ولكن أخرج إلينا ما عندك ! قال : والله ما عندي مال ، فنتفوا لحيته ، وضربوه ضربات ، ثمّ أخذوا كلّ ما وجدوه في بيته حتّى الصواع ، وحتّى زوج حمام كان له .

ثمّ تحدّث ابن قتيبة عن مقتل جماعة من الأشراف صبراً ، وقال : بلغت عدّة قتلى الحرّة يومئذ من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألفاً وسبعمئة ، وسائرهم من الناس عشرة آلاف ، سوى النساء والصبيان .

قال أبو معشر : دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبيّ لها ، فقال لها : هل من مال ؟ قالت : لا ، والله ما تركوا لي شيئاً ، فقال : والله

لتخرجنّ إليّ شيئاً أو لأقتلنّك وصبيّك هذا ، فقالت له : ويحك ، إنّه ولد ابن أبي كبشة الأنصاريّ صاحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فاتقّ الله ، ثم قالت تخاطب ابنها : والله لو كان عندي شيء لافتديتك به .

قال الراوي : فأخذ الشاميّ برجل الصبيّ والثدي في فمه ، فجذبه من حجرها ، فضرب به الحائط فانتثر دماغه على الأرض .

قال : فلم يخرج من البيت حتّى اسود نصف وجهه ، وصار مثلاً .

ومجمل القول : فبعد أن فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها دعا الناس إلى بيعة يزيد على أن يكونوا له عبيداً ، ومن أبى قدّمه إلى السيف ، وبايع أهل المدينة كافّة على ذلك إلاّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) وعليّ بن عبد الله بن عبّاس ، فلم يتعرّض لهما مسلم ، ذلك أنّ ذوي قربى عليّ بن عبد الله لأمّه كانوا بين عسكره الأمر الذي منعه من التعرّض لهما .

وكان السجّاد (عليه السلام) قد لاذ بقبر النبي (صلّى الله عليه وآله) وهو يدعو ويقول :

« اللهمّ ربّ السماوات السبع وما أظللن ، والأرضين السبع وما أقللن ، ربّ العرش العظيم ، ربّ محمّد وآله الطاهرين ، أعوذ بك من شرّه ، وأدرأ بك في نحره ، أسألك أن تؤتيني خيره ، وتكفيني شرّه » .

فأتي به إلى مسلم بن عقبة وهو مغتاظ ، وكان قد تبرّأ منه ومن آبائه الكرام عليهم السلام ، فلمّا رآه وقد أشرف عليه ارتعد ، وقام له وأقعده إلى جانبه ، ثمّ قال له : سلني حوائجك ، فلم يسأله في أحد ممّن قدّم إلى السيف إلاّ شفّعه فيه ، ثم انصرف عنه مكرّماً .

ومجمل القول : فإن وقعة الحرّة قد ذكرها الشيعة والسنّة في كتبهم ، وكانت تلك الوقعة لثمان وعشرين مضين من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين من الهجرة ، قبل موت يزيد بشهرين ونصف .

ولمّا فرغ مسلم من أمر المدينة ارتحل عن المدينة يريد عبد الله بن الزبير في مكّة ، ولمّا بلغ موضعاً في الطريق يقال له ثنيّة المشلّل وهو اسم جبل هناك يقود إلى القُدَيد ، هلك ودفن هناك .

فلمّا ارتحل عنه القوم اتته أمّ ولد ليزيد بن عبد الله بن ربيعة ، وكانت من وراء العسكر تترقّب موته ، فنبشت عنه ، فلمّا انتهت إلى لحده وجدت أفعى سوداء ملتفّة حول رقبته ، فتهيّبت ، ثم اصطبرت حتّى تنحّت الأفعى عنه فأخرجته وصلبته على الثنيّة ، وعلى قول : إنّها أحرقته بعد أن مزّقت كفنه وعلّقته على شجرة هناك ، فجعل من مرّ به يرميه بالحجارة ؛ وإنّ ما

صنعه مسلم بن عقبة بأهل المدينة ، كان بسر بن أرطاة قد صنع مثله بأهل الحجاز واليمن بأمر من معاوية .

وجاء في (الكامل) لابن الأثير أن يزيد أراد أن يبعث بعمرو بن سعيد لقتال أهل المدينة فأبى ، فأمر ابن زياد بذلك فأبى وقال : والله لاجمعتهما للفاسق : قتل ابن رسول الله ، وغزو الكعبة ؛ فبعث بمسلم بن عقبة ، وقد قبل بذلك رغم شيخوخته ومرضه .

الحادي عشر : في نزول الغيث بدعائه (عليه السلام)

يروي الشيخ الطبرسي في (الاحتجاج) وغيره عن ثابت البنانيّ أنّه قال :

كنت حاجّاً مع جماعة من عبّاد البصرة مثل أيّوب السجستانيّ ، وصالح المرّيّ ، وعتبة الغلام ، وحبيب الفارسيّ ، ومالك بن دينار ؛ فلمّا أن دخلنا مكّة رأينا الماء ضيّقاً ، وقد اشتدّ بالناس العطش لقلّة الغيث ، ففزع إلينا أهل مكّة والحجّاج يسألوننا أن نستسقي لهم ، فأتينا الكعبة وطفنا بها ، ثمّ سألنا الله خاضعين متضرّعين بها ، فمُنعنا الإجابة .

فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل وقد أكربته أحزانه ، وأقلقته أشجانه ، فطاف بالكعبة أشواطاً ، ثمّ أقبل علينا فقال :

يا مالك بن دينار ، ويا ثابت البنانيّ ، ويا أيوب السجستانيّ ، ويا صالح المرّيّ ، ويا عتبة الغلام ، ويا حبيب الفارسيّ ، ويا سعد ، ويا عمر ، ويا صالح الأعمى ، ويا رابعة ، ويا سعدانة ، ويا جعفر بن سليمان ؛ فقلنا : لبّيك وسعديك يا فتى ، قال : أما فيكم أحد يحبّه الرحمن ؟! فقلنا : يا فتى ، علينا الدعاء وعليه الإجابة .

فقال : ابعدوا من الكعبة ، فلو كان فيكم أحد يحبّه الرحمن لأجابه ! ثمّ اتى الكعبة فخرّ ساجداً ، فسمعته يقول : سيّدي ، بحبّك لي إلاّ سقيتهم الغيث .

قال : فما استتمّ الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب ، فقلت : يا فتى ، من أين علمت أنّه يحبّك ؟ قال : لو لم يحبّني لم يستزرني ، فلمّا استزارني علمت أنّه يحبّني ، فسألته بحبّه لي فأجابني .

قال : ثمّ ولّى عنّا وأنشأ يقول :

من عرف الربّ فلم تغنه	معرفة الربّ فذاك الشقي
ما ضرّ في الطاعة ما ناله	في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقى	والعزّ كلّ العزّ للمتقي

يقول ثابت البنانيّ : فقلت : يا أهل مكّة ، من هذا الفتى ؟ قالوا : عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) .

يقول المؤلّف : إن نزول الغيث بدعاء زين العابدين (عليه السلام) ليس بالأمر العجيب ، بل إنّ أضعف عباد الله عزّ وجلّ إذا استسقاه بالدعاء أجابه برحمته ، أما سمعت ما يرويه المسعوديّ في (إثبات الوصيّة) عن سعيد بن المسيّب ؟ قال :

قحط الناس يميناً وشمالاً ، فمددت عيني فرأيت شخصاً أسود على تلّ قد انفرد ، فقصدت نحوه ، فرأيته يحرّك شفيته ، فلم يتمّ دعاءه حتّى أقبلت غمامة ، فلمّا نظر إليها حمد الله وانصرف .

وأدركنا المطر حتّى ظننّاه الغرق ، فاتّبعته حتّى دخل دار عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، فدخلت إليه ، فقلت له : يا سيّدي ، في دارك غلام أسود تفضّل عليّ ببيعه ، فقال : يا سعيد ، ولم لا يوهب لك ؟

ثم أمر القيّم على غلمانه يعرض كلّ من في الدار عليه ، فجمعوا ، فلم أر صاحبي بينهم ، فقلت : فلم أره ، فقال : إنّه لم يبق إلاّ فلان السائس ، فأمر به فأحضر ، فإذا هو صاحبي ، فقلت له ؛ هذا هو ، فقال له : يا غلام ، إنّ سعيداً قد ملكك ، فامض معه ، نقال لي الأسود : ما حملك على أن فرّقت بيني وبين مولاي ؟ فقلت له : إني رأيت ما كان منك على التلّ ، فرفع يديه إلى السماء مبتهلاً ثمّ قال : إن كانت سريرة بينك وبيني ، فإذاً قد أذعتها عليّ ، فاقبضني إليك .

فبكى عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، وبكى من حضره ، وخرجت باكياً فلمّا صرت إلى منزلي وافاني رسوله فقال لي : إن أردت أن تحضر جنازة صاحبك فافعل ، فرجعت معه ، فوجدت العبد قد مات بحضرته (عليه السلام) .

الفصل السادس

في وفاة الامام زين العابدين (عليه السلام)

في وفاته (عليه السلام)

اعلم أن هناك اختلافاً كبيراً بين العلماء في تاريخ وفاة الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، والمشهور أنّها وقعت في واحد من ثلاثة أيام : الثاني عشر من المحرم ، أو الثامن عشر منه ، أو الخامس والعشرين منه ، سنة خمس وتسعين أو أربع وتسعين من الهجرة . وسمّيت سنة وفاته سنة الفقهاء لكثرة من مات فيها من العلماء والفقهاء .

كما أنّ هناك اختلافاً في مدّة عمره الشريف ، ويقول الأكثر بأنها سبع وخمسون سنة ، ويروي الشيخ الكليني بسند معتبر عن الصادق (عليه السلام) قوله :

« قبض عليّ بن الحسين (عليه السلام) وهو ابن سبع وخمسين سنة في عام خمس وتسعين سنة ، وعاش بعد الحسين خمساً وثلاثين سنة » .

ويظهر من الأخبار المعتبرة التي وردت على وجه العموم أنّه (عليه السلام) مات مسموماً ، ويعتقد ابن بابويه وجماعة أنّ الوليد بن عبد الملك دسّ له سمّاً ، ويقول البعض : هشام بن عبد الملك .

ويمكن القول : إنّ هشام بن عبد الملك بسبب ما يكنّه من عداء وبغض من ذلك اليوم الذي استلم فيه (عليه السلام) الحجر الأسود في طوافه في حين لم يقدر هشام على ذلك ، ومديح الفرزدق الشاعر له بقصيدته المعروفة كما تقدّم في فصل معجزاته (عليه السلام) ، فلهذا السبب وأسباب أخرى فقد دفعه أخوه الوليد ـ وكان خليفة وقته ـ إلى تسميمه ، ولهذا يمكن نسبة قتله (عليه السلام) إلى كليهما .

وصاياه (عليه السلام) ووصيّته لابنه الباقر (عليه السلام)

يروي الشيخ الثقة الجليل عليّ بن محمّد الخزّاز القمّي في كتاب (كفاية الأثر) عن عثمان بن خالد أنّه قال :

مرض عليّ بن الحسين (عليه السلام) مرضه الذي توفّي فيه ، فجمع أولاده محمّداً والحسن وعبد الله وعمر وزيداً والحسين ، وأوصى إلى ابنه محمّد بن عليّ ، وكنّاه الباقر ، وجعل أمرهم إليه ، وكان في ما وعظه في وصيّته أن قال :

« يا بنيّ ، إن العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والعقل ترجمان العلم ؛ واعلم أنّ العلم أبقى ، واللسان أكثر هذراً ؛ واعلم يا بنيّ أنّ صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين إصلاح شأن المعايش ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل ، لأنّ الإنسان لا يتغافل إلّا عن شيء قد عرفه ففطن له ؛ واعلم أنّ الساعات تذهب عمرك ، وأنّك لا تنال نعمة إلّا بفراق اخرى ، فإيّاك والأمل الطويل ، فكم من مؤمّل أملاً لا يبلغه ، وجامع مال لا يأكله ، ومانع ما سوف يتركه ، ولعلّه من باطلٍ جمعه ، ومن حقّ منعه ، أصابه حراماً وورّثه ، احتمل إصره ، وباء بوزره ، وذلك هو الخسران المبين » .

وروي عن الزهريّ أيضاً قوله : دخلت على عليّ بن الحسين (عليه السلام) في المرض الذي توفّي فيه ، إذ قُدّم إليه طبق فيه خبز وهندباء ، فقال لي : كل ، قلت : قد أكلت يا بن رسول الله ، قال : إنّه الهندباء ، قلتِ : وما فضل الهندباء ؟ قال : ما من ورقة من الهندباء إلّا وعليها قطرة من ماء الجنّة ؛ فيه شفاء من كلّ داء .

قال : ثمّ رفع الطعام وأتي بالدهن ، فقال : ادّهن يا أبا عبد الله ، قلت : قد ادّهنت ، قال : إنّه هو البنفسج ، قلت : وما فضل البنفسج على سائر الأدهان ؟ قال : كفضل الإسلام على سائر الأديان .

ثمّ دخل عليه محمّد ابنه ، فحدّثه طويلاً بالسرّ ، فسمعته يقول فيما يقول : عليك بحسن الخلق .

قلت : يا بن رسول الله ، إن كان من أمر الله ما لا بدّ لنا منه ـ ووقع في نفسي أنّه قد نعى نفسه ـ فإلى من يُختلف بعدك ؟ قال : يا أبا عبد الله ، إلى ابني هذا ـ وأشار إلى محمّد ابنه ـ إنّه وصيّي ووارثي وعيبة علمي ، معدن العلم (الحلم) وباقر العلم ؛ قلت : يا بن رسول الله ، ما معنى باقر العلم ؟ قال : سوف يختلف إليه خلّاص شيعتيّ ، يبقر العلم عليهم بقراً .

يقول الزهريّ : ثمّ أرسل محمّداً ابنه في حاجة له إلى السوق ، فلمّا جاء محمّد قلت :

يا بن رسول الله ، هلاّ أوصيت إلى أكبر أولادك ؟ قال : يا أبا عبد الله ، ليست الإمامة بالصغر والكبر ، هكذا عهد إلينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وهكذا وجدناه مكتوباً في اللوح والصحيفة ؛ قلت : يا بن رسول الله ، فكم عهد إليكم نبيّكم أن يكون الأوصياء من بعده ؟ قال : وجدنا في الصحيفة واللوح أثني عشر أسامي مكتوبة بإمامتهم وأسامي آبائهم وأمّهاتهم ، ثمّ قال : يخرج من صلب محمّد ابني سبعة من الأوصياء فيهم المهديّ ، صلوات الله عليهم .

ويروي الشيخ الكلينيّ عن الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) أنّه قال :

« لمّا حضرت عليّ بن الحسين (عليهما السلام) الوفاة ضمّني إلى صدره وقال : يا بنيّ ، أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ، وممّا ذكر أنّ أباه أوصاه به : يا بنيّ ، إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله » .

وجاء في (البحار) نقلاً عن (بصائر الدرجات) أنّ عليّ بن الحسين (عليه السلام) التفت إلى وُلده ـ وهو في الموت ـ وهم مجتمعون عنده ، ثمّ التفت إلى محمّد بن عليّ ابنه فقال : يا محمّد ، هذا الصندوق فاذهب به إلى بيتك ، ثمّ قال : أما إنّه لم يكن فيه دينار ولا درهم ، ولكنّه كان مملوءاً علماً .

وفي رواية أخرى أنّ الصندوق حُمل بين أربعة رجال ، وكان فيه سلاح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكتبه .

وجاء في (جلاء العيون) وفي (بصائر الدرجات) بسند معتبر عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال :

« لمّا كانت الليلة التي وُعدها عليّ بن الحسين قال لمحمّد : يا بنيّ ، ابغني وضوءاً ، قال : فقمت فجئت بوضوء فقال : لا ينبغي هذا فإنّ فيه شيئاً ميّتاً ، قال : فجئت بالمصباح فإذا فيه فأرة ميّتة ، فجئته بوضوء غيره .

قال : فقال : يا بنيّ ، هذه الليلة التي وُعدتها ، فأوصى بناقته أن يُحضر لها عصام[1] ، ويقام لها علف ، فجُعلتْ فيه .

ثمّ قال الصادق (عليه السلام) : لمّا دُفن (عليه السلام) لم تلبث الناقة أن خرجت حتّى أتت القبر ، فضربت بجرانها[2] ورغت ، وهملت عيناها ؛ فأتي محمّد بن عليّ فقيل له :

---

(١) العصام : رباط القربة ، وفي بعض النسخ : خطار ، وهو الخطيرة تعمل للإبل .
(٢) الجران من البعير : مقدّم العنق .

إنّ الناقة قد خرجت إلى القبر فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها ، فأتاها فقال : مه ، الآن قومي بارك الله فيك ، فثارت ودخلت موضعها ، فلم تلبث أن خرجت حتّى أتت القبر ، فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها ، فأتي محمّد بن عليّ فقيل له : إن الناقة قد خرجت فأتاها فقال : مه ، الآن قومي ، فلم تفعل ، قال : دعوها فإنّها مودِّعة ، فلم تلبث إلّا ثلاثة حتّى نفقت ، وإن كان ليخرج عليها إلى مكّة فيعلّق السوط بالرحل ، فما يقرعها قرعة حتّى يدخل المدينة » .

وروي أنّه حجّ عليها اثنتين وعشرين حجّة ، ما قرعها بمقرعة قطّ .

ويروي عليّ بن إبراهيم بسند حسن عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال :

« لمّا حضرت عليّ بن الحسين (عليه السلام) الوفاة أغمي عليه ثلاث مرّات ، فقال : في المرّة الأخيرة : ﴿ **الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين** ﴾ ، ثمّ مات صلوات الله عليه » .

ويروي الكليني بسند حسن عن الإمام الرضا (عليه السلام) مثله ، وأضاف أنّه (عليه السلام) قرأ قبل الآية المتقدّمة سورة الواقعة ، ﴿ **إنّا فتحنا** ﴾ ثم قبض من ساعته .

وجاء في (مدينة المعاجز) عن محمّد بن جرير الطبري قال :

حضر عليّ بن الحسين (عليه السلام) الموت فقال مخاطباً ابنه الإمام الباقر (عليه السلام) : يا محمّد ، أيّ ليلة هذه ؟ قال : ليلة كذا وكذا ، قال : وكم مضى من الشهر ؟ قال : كذا وكذا ، قال : إنّها الليلة التي وُعدتها .

ثمّ دعا بوضوء ، فقال : إنّ فيه فأرة ، فقال بعض القوم : إنّه ليهجر ، فقال : هاتوا المصباح ، فجيء به فإذا فيه فأرة ، فأمر بذلك الماء فأهريق ، وأتوه بماء آخر فتوضّأ وصلّى ، حتّى إذا كان آخر الليل توفّي (عليه السلام) .

ونُقل عن (دعوات الراوندي) أنه لمّا حضرته الوفاة (عليه السلام) جعل يكرّر : « اللهمّ ارحمني فإنّك كريم ، اللهمّ ارحمني فإنّك رحيم » .

ثمّ توفّي ، فصاحت المدينة صيحة واحدة ، من رجل وامرأة ، وأسود وأبيض ، وصغير وكبير ، وظهرت آثار الحزن من الأرض والسماء .

وفي رواية عن عليّ بن زيد وعن الزهريّ أنه قال :

قلت لسعيد بن المسيّب : إنّك أخبرتني أنّ عليّ بن الحسين كان النفس الزكيّة ، وأنّك لا

تعرف له نظيراً ، قال : كان كذلك ، وما هو مجهول ما أقول فيه ، قال عليّ بن زيد : والله ما رؤي مثله .

فقلت : والله إنّ هذه الحجّةُ الوكيدة عليك يا سعيد ! فلمَ لم تصلّ على جنازته ؟ فقال : إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، فخرج وخرجنا معه ألف راكب ، فلمّا صرنا بالسُّقيا (اسم موضع) نزل فصلّى ركعتين ، وسجد بعد الصلاة فسبّح في سجوده ، فلم يبق شجر ولا مدر إلاّ سبّح معه ، ففزعنا ، فرفع رأسه وقال : يا سعيد ، أفزعت ؟ فقلت : نعم يا بن رسول الله ، فقال :

يا سعيد ، إنّ الله جلّ جلاله لمّا خلق جبرئيل ألهمه هذا التسبيح ، فسبّحت السماوات ومن فيهنّ لتسبيحه الأعظم ، وهو اسم الله ـ جلّ وعزّ ـ الأكبر .

يا سعيد ، أخبرني أبي الحسين ، عن أبيه ، عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، عن جبرئيل ، عن الله جلّ جلاله أنّه قال :

« ما من عبد من عبادي آمن بي ، وصدّق بك ، صلّى في مسجدك ركعتين على خلاء من الناس إلاّ غفرت له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر » .

يقول سعيد : فلم أر شاهداً أفضل من عليّ بن الحسين (عليه السلام) حيث حدّثني بهذا الحديث ، فلمّا أن مات شهد جنازته البرّ والفاجر ، وأثنى عليه الصالح والطالح ، وانهالوا يتبعونه حتّى وضعت الجنازة ، فقلت في نفسي : إن أدركت الركعتين يوماً من الدهر فاليوم هو ، ولم يبق إلاّ رجل وامرأة ، ثم خرجا إلى الجنازة ؛ وثبتّ في مكاني لأصلّي ، فجاء تكبير من السماء ، فأجابه تكبير من الأرض ، وأجابه تكبير من السماء ، فأجابه تكبير من الأرض ، ففزعت وسقطت على وجهي ؛ فكبّر مَن في السماء سبعاً ومَن في الأرض سبعاً ، وصلّي على عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما .

ودخل الناس المسجد ، فلم أدرك الركعتين ، ولا الصلاة على عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما .

قال الراوي : فقلت : يا سعيد ، لو كنتُ أنا لم أختر إلاّ الصلاة على عليّ بن الحسين ، إنّ هذا لهو الخسران المبين .

فبكى سعيد ، ثمّ قال : ما أردت إلاّ الخير ، ليتني كنت صلّيت عليه ، فإنّه ما رؤي مثله .

وجاء في (جنّات الخلود) في ذكر مدفنه (عليه السلام) أنّه توفّي في المدينة في بيته ،

ودفن في البقيع عند عمّه العظيم . والبقيع مكان مشرّف وهو من البقاع المكرّمة التي من دفن فيها دخل الجنّة دون حساب ، بشرط الإيمان الصحيح ، كما جاء في الحديث المعتبر : « الحَجون والبقيع يأخذان بأطرافهما وينشران في الجنّة » .

والحجون مقبرة في مكة ، ومعنى الحديث أنّ هذين الموضعين يجمعان أطرافهما يوم القيامة ، ثم ينشران كما ينشر القماش في الجنّة .

خصائصه (عليه السلام)

قيل إنّ ممّا اختصّ به (عليه السلام) الآتي :

أولاً : إنشاؤه الصحيفة الكاملة التي هي مصحف أهل البيت والعروة الوثقى للشيعة .

ثانياً : جمعه نجابة العرب والعجم كليهما من جهة الأب والأمّ ، وذلك بقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « إنّ لله من عباده خِيرَتين : فخيرته من العرب قريش ، ومن العجم فارس » ، ولهذا لقّب بذي الخيرتين .

ثالثاً : منه انتشر أولاد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، لهذا يقال له : آدم بني الحسين ، وهو أول من اختار الاعتكاف والاعتزال ، وأوّل من سجد على خاتم وسبحة من تربة الإمام الحسين (عليه السلام) ، وهو أكثر الخلائق بكاءً ، فقد ورد أنّ رؤوس البكّائين أربعة : آدم ويعقوب ويوسف والإمام زين العابدين (عليه السلام) .

يقول المؤلّف : الصحيفة الكاملة هي الأدعية السجّاديّة المباركة ، وتدعى بأخت القرآن ، وإنجيل أهل البيت ، وزبور آل محمّد صلوات الله عليهم .

يروي ابن شهر آشوب أنّه جرى الحديث عن [فصاحة] الصحيفة الكاملة عند أحد البلغاء من أهل البصرة فقال : خذوا عنّي حتّى أملي عليكم ، وأخذ القلم وأطرق رأسه ، فما رفعه حتّى مات .

* * *

الفصل السابع

في بيان أولاد الإمام زين العابدين (عليه السلام) وأحفاده

أولاد الإمام زين العابدين (عليه السلام)

يقول الشيخ المفيد وصاحب (الفصول المهمّة) : إن أولاد عليّ بن الحسين (عليه السلام) كانوا خمسة عشر ذكوراً وإناثاً :

الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) ويكنّى بأبي جعفر ، أمّه أمّ عبد الله بنت الحسن المجتبى (عليه السلام) ؛ وعبد الله ، والحسن والحسين ، وأمّهم أمّ ولد ؛ وزيد ، وعمر من أمّ ولد أخرى ؛ وحسين الأصغر ، وعبد الرحمن ، وسليمان من أمّ ولد ثالثة ؛ وعليّ ، وكان أصغر ولد عليّ بن الحسين (عليه السلام) وخديجة وأمّهما أمّ ولد رابعة ، ومحمّد الأصغر وأمّه أمّ ولد خامسة ؛ وفاطمة ، وعليّة ، وأمّ كلثوم ، وأمّهنّ أمّ ولد سادسة .

يقول المؤلّف : إنّ عليّة هي تلك السيّدة التي ذكرها علماء الرجال في كتبهم ، وقالوا إنّها جمعت كتاباً ينقل عنه زرارة ، وكانت خديجة زوجة لمحمّد بن عمر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

ونشرع الآن بالحديث عن أحوال أولاد زين العابدين (عليه السلام) بالتفصيل :

أبو محمّد عبد الله الباهر بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) وأحوال بعض عقبه

يقول الشيخ المفيد رحمه الله : كان عبد الله يلي صدقات رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وصدقات أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان فاضلاً فقيهاً ، وروى عن آبائه عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أخباراً كثيرة ، وحدّث الناسُ عنه ، وحملوا عنه الآثار ؛ ومما روي عنه قوله : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : إنّه بخيل كلّ البخل ، من ذُكرتُ عنده ولم يصلّ عليّ .

كما روى عن أبيه عن جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه كان يقطع اليد اليمنى للسارق عند أوّل سرقة له ، فإذا سرق ثانية قطع قدمه اليسرى ، وإذا سرق ثالثة خلّده في السجن .

يقول المؤلّف : عبد الله المذكور هو المعروف بالباهر وذلك لحسنه وجماله ، وإشراق طلعته ، ونقل أنّه لم يحضر مجلساً إلّا وبهر الحضور بإشراق طلعته وجماله ، ويقول جماعة إنّ أمّه هي أمّ عبد الله والدة الإمام الباقر (عليه السلام) ، كما يقولون بأنّ أولاده هم من ابنه محمد الأرقط ، ومن أحفاده العبّاس بن محمّد بن عبد الله بن عليّ بن الحسين (عليهما السلام)، الذي قتله هارون الرشيد بعد أن جرى بينهما أخذ وردّ في الكلام في إحدى المقابلات ، فما كان من الرشيد إلّا أن قال له : يا بن الفاعلة ! فأجابه العباس : الفاعلة تعني الزانية ، وهي أمّك التي كانت عبدة صغيرة يختلف تجّار العبيد إلى فراشها ، فغضب هارون أشدّ الغضب ، وأمر بأن يدنوه منه ، وأهوى عليه بهراوة حديديّة فقتله .

ومن أحفاده كذلك عبد الله بن أحمد الدخّ بن محمّد بن إسماعيل بن محمّد بن عبد الله الباهر ، الذي يقول صاحب (عمدة الطالب) : إنّه خرج في عهد المستعين ، فأخذوه وحملوه إلى سرّ من رأى ، ومن جملة عياله كانت زينب ابنته ، وعاشوا هناك مدّة توفّي عبد الله على أثرها ، فاتّصل عياله بالإمام العسكريّ (عليه السلام) فضمّهم إليه ، وأبدى عطفه على زينب وأهداها خاتمه ، وكان من الفضّة ؛ فاتّخذت زينب منه قرطاً علّقته في أذنها ، ولمّا توفيت زينب كان القرط في أذنها ، وقد بلغت المئة من عمرها وشعرها لا يزال أسود .

وأخوه الحمزة بن أحمد الدخّ المعروف بالقمّي لقدومه من طبرستان إلى قمّ بعد مقتل الحسن بن زيد كان أخوه مع الحسين بن أحمد الكوكبيّ ومع الحمزة ، وابناه أبو جعفر محمّد وأبو الحسن عليّ كانا يتكلّمان باللهجة الطبريّة ؛ ولمّا استوطن الحمزة في قمّ اتّخذ فيها وجهاً لمعاشه وبقي فيها حتّى وفاته ، ودفن في مقبرة بابلان حيث دفنت المعصومة ، وأصبح ابنه أبو جعفر بعد وفاة أبيه زعيماً ، واتّخذ له بعض الصناعات في قمّ بعد أن تجاوز أحزانه ، وأقام مصنعاً للجصّ والآجرّ ، ودفن في مقبرة بابلان أيضاً .

وابنه أبو القاسم عليّ الجوّانيّ كان رجلاً فاضلاً كاملاً ، موصوفاً بقوّة البطش ، امتلك أملاكاً عديدة غير التي ورثها عن أبيه ، وغدا رئيساً مقدّماً للسادات ، وفوّضت إليه نقابة العلويّين بقمّ بعد عمّه النقيب عليّ بن الحمزة ، ورزق من جارية تركيّة بابنه أبي الفضل محمّد سنة ثلاث وأربعين وثلاثمئة ، وفي شوّال من سنة خمس وأربعين وثلاثمئة ذهب إلى الحج ، وقد كرّمه معزّ الدولة وسادات العراق والحجاز ، وعاد إلى قمّ سنة ستّ وأربعين وثلاثمئة ، وبقي رئيساً مقدّماً حتّى توفّي ، وكانت وفاته في يوم الجمعة الأخير من شعبان سنة سبع وأربعين

وثلاثمئة ، ودفن في القبّة المتّصلة بمشهد أبيه ، وجدّه محمّد بن إسماعيل هو من حمله رجاء بن أبي الضحّاك مع الإمام الرضا (عليه السلام) إلى المأمون سنة مئتين .

ومجمل القول فإن أولاد وأعقاب الحمزة القمّي كانوا نقباء وأشرافاً ، ومنهم أبو الحسن عليّ الزكيّ نقيب الريّ ، وهو ابن أبي الفضل محمّد شريف الذي سيلي الحديث عنه .

سليل الأئمّة الأجلّاء السلطان محمد شريف

كان هذا الرجل الكبير سيّداً جليل القدر ، رفيع المنزلة ، فاضلاً ، يكنّى بأبي الفضل ، ابن السيّد الجليل أبي القاسم عليّ نقيب قمّ ، ابن أبي جعفر محمد بن حمزة القمّي ، ابن أحمد بن محمّد إسماعيل بن محمد بن عبد الله الباهر بن الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، ولهذا السيّد الشريف بقعة ومزار معروف في قمّ في محلّة السلطان محمّد شريف التي اشتهرت باسمه ، حيث أبوه وجدّاه عليّ ومحمّد وأخوه الحمزة أيضاً مدفونون في مقبرة بابلان حيث مدفن المعصومة .

وأعقاب هذا السيّد الجليل منهم نقباء وملوك الريّ ، ومن جملتهم السيّد الأجلّ عزّ الدين أبو القاسم يحيى بن شرف الدين أبي الفضل محمد بن أبي القاسم عليّ ، ابن عزّ الإسلام والمسلمين محمّد ، ابن السيّد الأجلّ نقيب النقباء الأعلم الأزهد أبي الحسن المطهّر ، ابن ذي الحَسَبَيْن علي الزكيّ ، ابن السلطان محمد شريف المذكور ، الذي كان نقيباً للريّ ، وقمّ ومنطقة أخرى ، وقد قتله خوارزم شاه ، وانتقل أولاده إلى بغداد .

وكان هذا السيّد الشريف الجليل الشأن عظيم المنزلة ، ويكفي في هذا الصدد أنّ العالم جليل ، والمحدّث النبيل ، والفقيه النبيه ، والثقة الثبت المعتمد الحافظ الصدّوق الشيخ منتجب الدين ، الذي كان شيخ الأصحاب ووحيد عصره ، وكانت وفاته سنة خمس وثمانين وخمسمئة ، قد صنّف فهرسته مع كتاب (الأربعين عن الأربعين من الأربعين) في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) بسببه ، وقال في (الفهرست) في باب الياء : السيّد الأجلّ المرتضى عزّ الدين يحيى بن محمّد بن عليّ ابن المطهر أبي القاسم نقيب الطالبيّين في العراق عالم فاضل كبير ، مدار رحى التشيّع ، متّع الله المسلمين والإسلام بطول بقائه ، يروي الحديث عن والده السعيد شرف الدين محمّد ، وعن مشايخه قدّس الله أرواحهم ، وأورد في أوّل (الفهرست) مدحاً كثيراً له ، ومن قوله فيه : هو سلطان العترة الطاهرة ، رئيس رؤساء الشيعة ، صدر علماء العراق ، قدوة الأكابر ، حجّة الله على الخلق ، ذو الشرفين ، كريم الطرفين ، سيّد أمراء السادات شرقاً وغرباً ، ملك السادة ، ومنيع السعادة ، وكهف الأمّة ، وسراج الملّة ، وعضو من أعضاء الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، وجزء من أجزاء الوصيّ والبتول . . إلى غير ذلك .

ومن أبناء أحمد الدخّ أبو جعفر محمّد بن أحمد المعروف بالكوكبيّ ، ومن عقبه أبو الحسن أحمد بن عليّ بن محمد الكوكبيّ ، وكان نقيب فقهاء بغداد في عصر معزّ الدولة البويهيّ ، ومنهم أبو عبد الله جعفر بن أحمد الدخّ ، وقد أعقب ، ومنهم الشريف النسّابة أبو القاسم الحسين بن جعفر الأحول بن جعفر المذكور ، الذي كان يعرف بابن خدّاع ، وخدّاع امرأة كان جدّه قد ربّاها ، وسكن السيّد هذا في مصر ، وكتاب (المعقّبين) من تصنيفه ، وقد أعقب .

عمر الأشرف بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) وأحوال بعض عقبه

يقول الشيخ المفيد (ره) : كان عمر بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) فاضلاً جليلاً ، ولي صدقات النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وصدقات أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان ورعاً سخيّاً .

وقد روى داود بن القاسم عن الحسين بن زيد ، قال : رأيت عمّي عمر بن عليّ بن الحسين يشترط على من ابتاع صدقات عليّ (عليه السلام) (أي من يشترون فواكه البساتين وزراعات الصدقات) أن يثلم في الحائط كذا وكذا ثلمة ، ولا يمنع من دخله أن يأكل منه .

يقول المؤلّف : إنّ عمر بن عليّ المذكور يلقّب بالأشرف ، ويقال له : عمر الأشرف مقابل عمر الأطرف ابن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فعمر الأشرف لكونه ابن الزهراء صلوات الله عليها وله هذا الشرف ، فهو أشرف من ذاك الذي يقال له : عمر الأطرف لكون فضله وجلالته من طرف واحد فقط هو طرف أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وليس له هذا من طرف أمّه ، في حين أنّ عمر الأشرف يكتسب التشريف من جهة الأب والأمّ معاً .

وجاء في (الرجال الكبير) أنّ عمر بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) مدنيّ ومن التابعين ، ويروى عن أبي أمامة سهل بن حنيف أنّه توفّي عن خمس وستّين سنة ، وبقول آخر : عن سبعين سنة .

اعلم أنّ عمر الأشرف تزوّج من أمّ سلمة بنت الإمام الحسن (عليه السلام) ، وجاء في كتب الأنساب أن عمر الأشرف أعقب من ابن واحد هو عليّ الأصغر المحدّث ، يروي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، وقد أعقب من ثلاثة أبناء هم : أبو علي القاسم . وعمر الشجريّ ، وأبو محمّد الحسن .

واعلم أيضاً أنّ عمر الأشرف جدّ أمّ علم الهدى السيّد المرتضى وأخيه السيّد الرضيّ ، وقد بيّن السيّد المرتضى نسبه الشريف في أوّل كتاب (الرسائل الناصريّات) ، وذكر فضائل أجداد أمّه ، إلى أن قال :

وأمّا عمر بن عليّ الملقّب بالأشرف فكان فخم السيادة ، جليل القدر والمنزلة في دولتي بني

أميّة وبني العبّاس جميعاً ، وكان ذا علم ، روي عنه الحديث ، وروى أبو الجارود بن المنذر قال : قلت لأبي جعفر الباقر (عليه السلام) : أيّ إخوتك أحبّ إليك ؟ قال : أمّا عبد الله فيدي التي أحمل بها (وعبد الله هذا أخ شقيق له) ، وأمّا عمر فعيني التي أرى بها ، وأمّا زيد فلساني الذي أتنطّق به ، وأمّا الحسين فصبور حليم يمشي على الأرض هوناً ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾ .

نسب السيّدة فاطمة والدة السيّدين المرتضى والرضيّ : أقول : إنّ نسب السيّدين من جهة أمّهما يتّصل بعمر الأشرف بالتسلسل الآتي : فاطمة ابنة الحسين بن أحمد بن أبي محمّد الحسن بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن عمر الأشرف ابن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، وأبو محمّد الحسن هو ذاك الملقّب بالأطروش (الأصمّ) والناصر الكبير ، ومالك بلاد الديلم ، وطود العلم ، والعالم العيلم ، صاحب مؤلّفات كثيرة منها (مئة مسألة) التي صححها له السيّد المرتضى رضي الله عنه ، ووضع لها اسم (الناصريّات) ، ثم كتاب (أنساب الأئمة) عليهم السلام ومواليدهم ، وكتابان في الإمامة وغير ذلك .

في السنة الأولى بعد الثلاثمئة قدم إلى طبرستان ، وساد عليها لثلاث سنين وثلاثة أشهر ، ونال لقب الناصر للحقّ ، وأسلم الناس على يديه ، وعظم شأنه ، وتوفّي بآمل في السنة الرابعة بعد الثلاثمئة عن عمر بلغ تسعاً وتسعين سنة ، وبقول آخر خمساً وتسعين ، وأعقب غير ابنه أحمد ابناً آخر يسمّى أبا الحسن عليّاً ، وكان على مذهب الإماميّة ، وقد هجا الزيديّة ، ونقض قصائد عبد الله المعزّ في ذمّ العلويّين .

قال المسعودي في (مروج الذهب) : في السنة الأولى بعد الثلاثمئة ظهر الحسن بن علي الأطروش في بلاد طبرستان والديلم وأخرج منها المسوّدة (العامّة) ، والأطروش المذكور كان رجلاً عالماً فهيماً عارفاً بالآراء والنحل ، أقام بالديلم مدّة ، وكان أهلها من الكفّار والمجوس ، فدعاهم الأطروش إلى عبادة الله ، فأسلموا على يديه ، وبنى فيها المساجد . انتهى .

ومجمل القول : فإن السيدة فاطمة هي التي وضع عنها الشيخ المفيد (ره) كتاب (أحكام النساء) ودعاها بالسيّدة الجليلة الفاضلة أدام الله إعزازها ؛ كما نقل في الكتب المعتبرة أن الشيخ المفيد (ره) رأى في منامه ذات ليلة الزهراء (عليها السلام) قادمة إليه في مسجده مع قرّتي عينيها الحسن والحسين (عليهما السلام) وكانا طفلين ، وسلّمتهما له قائلة : علّمهما الفقه ، فاستيقظ الشيخ من نومه وهو في عجب من هذا المنام ، وفي يومه هذا قدمت إلى مسجده السيّدة فاطمة والدة السيّدين مع جواريها وابنيها المرتضى والرضيّ ، وكانا طفلين ، فلما رآها الشيخ وقف احتراماً لها وسلّم عليها ، فقالت : أيّها الشيخ ، هذان ابناي وقد أحضرتهما إليك لتعلّمهما الفقه ، فلمّا سمع قولها بكى ، وقصّ عليها منامه ، ثمّ انصرف إلى تعليمهما حتى

بلغا تلك الدرجة الرفيعة والمقام المعلوم من الكمال والفضل والإلمام بالعلوم كافّة .

ولمّا توفّيت تلك السيّدة الجليلة رثاها ولدها السيّد الرضيّ بقصيدة ، منها :

أبكيك لو نقع الغليلَ بكائي وأردّ لو ذهب المقال بدائي
وألوذ بالصبر الجميل تعزّياً لو كان في الصبر الجميل عزائي
لو كان مثلك كلّ أمّ برّةٍ غني البنون بها عن الآباء

محمد بن القاسم العلويّ : ومن عقب عمر الأشرف أيضاً : محمّد بن القاسم العلويّ الذي أُسر في أيّام المعتصم ، ومن الجدير أن نشير إلى طرف من أحواله .

هو أبو جعفر محمّد بن القاسم بن عليّ بن عمر بن الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، أمّه صفيّة بنت موسى بن عمر بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، وكان رجلاً عابداً زاهداً ورعاً ذا علم وفقه ودين ، كان لباسه الصوف على الدوام ، خرج في الكوفة أيام المعتصم فخرج المعتصم لردّه ، فخاف محمّد على نفسه وسافر إلى خراسان ، وجعل يتنقّل باستمرار ، فمرّة إلى مرو ، وأخرى إلى سَرَخْس ، وثالثة إلى الطالقان ، ورابعة إلى النسّاء ، وجرت معه معارك ووقائع كثيرة ، وبايعه كثيرون ملتزمين طاعته والانقياد إلى أوامره .

يروي أبو الفرج أنّه في مدّة قصيرة بايعه في مرو أربعون ألف نفر ، وكان ذات ليلة قد جمع جيشه ، فسمع صوت بكاء ، ولمّا تحرّى الأمر علم أنّ أحد جنوده اغتصب لبّاداً من نسّاج قهراً ، وكان ما سمعه هو بكاء ذلك النسّاج ، فأمر بإحضار المغتصب ، ولما سأله عن سبب فعلته أجاب : إنّما كانت بيعتنا لك وخروجنا معك على أن نفوز بأموال الناس ونصنع ما نشاء !! فأمره بإعادة اللبّاد إلى صاحبه ، وقال : بأمثال هذا لا يمكن الدعوة لدين الله ، ثمّ أمرهم بالتفرّق .

وبعد أن تفرّق القوم توجّه مع الخاصّة من أصحابه ، من كوفيّين وغيرهم نحو الطالقان ، وبينها وبين مرو أربعون فرسخاً ، ولما انتهى إلى الطالقان تقاطر إلى بيعته خلق كثير .

سارع عبد الله بن طاهر عامل المعتصم على نيسابور فبعث الحسين بن نوح لقتاله ، ولما التقى الجمعان لم يصمد جند محمّد للقتال فانهزموا ، كما أردف عبد الله بن طاهر جيش ابن نوح بمدد جديد ، فأقام كمائن متفرّقة لجند محمّد فهزمهم شرّ هزيمة ، وفرّ محمّد متخفّياً حتى انتهى إلى النسّاء ، لكنّ عبد الله بن طاهر عرف مكانه عن طريق جواسيسه ، فبعث بإبراهيم بن غسّان على رأس ألف فارس مع دليل إلى النسّاء ، وأمره بإحضار محمّد إليه .

تحرّك إبراهيم مع الدليل نحو النسّاء فبلغها بعد ثلاثة أيّام ، وأمر جنده فأحرقوا البيت

الذي اتّخذه محمّد مخبأ لـه ، ثم تقدّم إبـراهيم وأمسك بمحمّـد بن القاسم مـع أبي تراب أحـد خلّص أصحابه ، فأمر بوضعهما بالأغلال ، وعاد بهما إلى نيسابور فبلغها بعد ستّة أيّام ، ودخل بأسيريه على عبد الله بن طاهر .

ما أن وقع نظر عبد الله على محمّد ورأى ثقل أغلالـه حتى التفت إلى إبراهيم وقـال : ألا تخشى الله يا ابراهيم ، كيف تضع عبداً لله صالحاً في الأغلال ؟! فقال إبراهيم : أيّها الأمير ، لقد منعني خوفي منك عن خوفي من الله !

ثم أمر عبد الله بمحمّد فخفّفوا عنه قيوده ، واحتفظ بـه في نيسابـور ثلاثـة شهور ، وكي يخفي أمـره عن الناس أمـر بتجهيز هـوادج حملت على البغـال ووجّهت إلى بغـداد ، فخيّـل إلى الناس أن محمداً بُعث به إلى بغداد .

وبعـد انقضاء الشهـور الثلاثـة أمر إبـراهيم بن غسان بحمـل محمّدٍ ليـلاً والسير بـه إلى بغداد ، وقبل تحرّك الموكب عرض عبد الله على محمّد أشياء نفيسة ليأخذ منها معه ما شاء ، غير أن محمّداً أبى أن يأخذ منه شيئاً سوى مصحف قبله منه واصطحبه معه .

ومجمل القول : فلمّا اقتربوا من بغداد ، وبلغ المعتصم أمْرَهُم أمر برفـع غطاء الهـودج ، ونزع عمامة محمّد عن رأسه كي يدخل إلى بغداد مكشوفاً حـاسراً ، وعـلى هذا النحـو دخلوا به بغداد ، وكان ذلك يوم نوروز سنة تسع عشرة ومئتين ، وتقدّم موكبه أوباش المعتصم والـرعاع وهم يرقصون ويطربون ويلهون ، والمعتصم يشرف عليهم من موضع مرتفع ويضحك شامتاً .

وعرض لمحمّد في ذلك اليوم غمّ عظيم ، في حين لم تشـاهد منـه قطّ وفي أي وقت حالـة جزع أو وهن أمام الشدائد ، بكى محمّـد وقال : يـا ربّ ، أنت تعلم أنّي لا أقصد سـوى دفع المنكر وتغيير هذه الأوضاع ! وراح لسانه يلهج بالتسبيح والاستغفار ، ويدعو على القوم .

ثمّ إنّ المعتصم أمر مسروراً الكبير أن يـرميه في السجن ، فـألقي محمّد في سرداب أشبـه بالبئر حتى كاد من سوء هذا المكان أن يهلك؛ فبلغ خبر ما يلقاه من شدّة أسماع المعتصم، فأمر به فأخرج من سجنه، وحبس في قبّة في بستان، وعُيّن جماعة لحراسته.

أمّا ما وقع عليه بعد ذلك ففي روايته اختلاف بين المؤرّخين ، فالبعض يقولون : إنّه قـد سُمّم ، وآخرون يقولون : إنّه فرّ بتدبيره من محبسه وبلغ واسط ، حيث توفّي ، وفي قول : إنّه كان حيّاً أيّام المعتصم والواثق ، يعيش متوارياً ، حتى أيّام المتوكّـل حيث أخذ وسجن ، وتـوفّي في سجنه .

ومن أحفاد عمر الأشرف : سليل الأئمّة الجعفريّ ، المعروف في دامغان ، وهو صاحب مشهد ومزار ، ونسبه كما هو مكتوب في ذلك المقام :

« هذا قبر الإمام الهُمام المقتول المقبول قرّة عين الرسول (صلّى الله عليه وآلـه) جعفر بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم » .

وهـو غير سليـل الأئمّة الجعفـريّ المقتول في الـريّ ، فهو جعفـر بن محمّد بن جعفـر بن الحسن بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، كما جاء في مقاتل الطالبيّين .

وقـال ياقـوت الحمويّ في (معجم البلدان) : قـبر النذور مشهـد في ظاهـر بغداد عـلى نصف ميل من سور البلد ، وهذا القبر يزوره الناس ويقدّمون له النذور .

ونقل عن القاضي التنوخيّ البغداديّ أنّـه قال : كنت مـع عضد الـدولة حـين خرج من بغداد عازماً التوجّه إلى همدان ، فوقع نظره على قبر النذور ، فسألني بقوله : ما هـذا البناء أيّها القاضي ؟ قلت : أطال الله بقاء مولانا ، هذا مشهد النذور ، ولم أقل : قبر النذور ، ذلك أنني كنت أعلم أنه يتطيّر من لفظ القبر وأقلّ منه ، فسرّ عضد الدولة وقال : أعلم أنّه قـبر النذور ، إنّما مرادي من السؤال شرح أحواله ، فقلت : هذا قبر عبيـد الله بن محمّد بن عمـر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ، أراد بعض الخلفاء أن يقتله خفية فأمر بحفـر زُبية[1] في هذا الموضع من الأرض ، وغطّوا سطحها الخارجي ، ومـرّ عبيد الله من هنـاك دون أن يعلم فسقط في الزبية ، فأهالوا عليه التراب ودفنوه حيّاً .

وقـد اشتهر هـذا القـبر بقـبر النـذور لأن أصحـاب الحـوائـج ينـذرون لـه نـذراً فتقضى حوائجهم ، وقد نذرت له تكراراً ونلت مقصودي ، فرفض عضد الدولة هذا القول وقال : إن وقوع هذه الأمور مجرد اتّفاق ، ومنشأ ذلك العوامّ والناس الذين يريدون الاتّجار فيروّجـون هذه الأباطيل .

قال القاضي : فسكتّ ، وبعد أيّام بعث عضد الدولـة في طلبي وصدّق أقـوالي في صدد قبر النذور وقال : إنّ نذره مجرّب ، وقد نذرت له نذراً لأمر عظيم فتحقّق لي ما أردت .

زيد بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ومقتله

يقول الشيخ المفيد (ره) : كان زيد بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) عين إخـوته بعـد أبي جعفـر (عليه السـلام) ، وأفضلهم ، وكان عـابداً ورعـاً فقيهاً سخيّـاً شجـاعـاً ، وظهـر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويـطلب بثارات الحسـين (عليه السـلام) ؛ وروى عن أبي الجارود زياد بن المنذر أنه قال : قدمت المدينة فجعلت كلّما سألت عن زيد بن عليّ قيل لي : ذاك حليف القرآن ، يعني لانشغاله المستمر بقراءة القرآن المجيد .

---

١) الزبية : حفرة لصيد السباع .

كما نقل عن خالد بن صفوان قوله : كان زيد يبكي من خشية الله حتّى تختلط دموعه بمخاطه ، واعتقد كثير من الشيعة فيه الإمامة ، وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمد (صلّى الله عليه وآله) ، فظنّوه يريد بذلك نفسه ، ولم يكن يريدها به لمعرفته استحقاق أخيه الإمامة من قبله ، ووصيّته (عليه السلام) عند وفاته إلى أبي عبد الله (عليه السلام) .

يقول المؤلّف : إن ظهور كمال النفس عند زيد بن عليّ ومقارعته لبني مروان غنيّان عن الوصف ، وصيت فضله وشجاعته مشهورة ، ومآثر سيفه وسنانه على الألسنة مذكور ، وجاء في كتاب (مجالس المؤمنين) هذه الأبيات عن حسن الكناني في وصف شجاعته :

فلمّا تردّى بالحمائل وانتهى ... يصول بأطراف القناء الذوابل
تبيّنتِ الأعداء أنّ سنانه ... يطيل حنين الأمّهات الثواكل
تبيّن فيه ميسم العزّ والتقى ... وليداً يفدّى بين أيدي القوابل

وقال السيّد الأجل السيّد على خان في (شرح الصحيفة) : إنّ زيد بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) يكنّى بأبي الحسين ، وأمّه أمّ ولد ، ومناقبه أكثر ممّا يُحصَر ويُعدّ ، وهذا السيّد رفيع النسب موصوف بحليف القرآن ، لأنّه لم يكن يترك القرآن المجيد .

ويروي أبو نصر البخاري عن ابن الجارود أنّه قال : قدمت المدينة فجعلت كلّما سألت عن زيد قيل لي : تريد حليف القرآن ؟ أو : ذاك أسطوانة المسجد ، ويدعى بذلك لكثرة صلاته .

ثم نقل السيّد كلام الشيخ المفيد الذي تقدّم نقله ، ثم قال :

يقول أهل التاريخ : كان سبب خروج زيد وانصرافه عن طاعة بني مروان أنّه توجه إلى الشام ، وطلب الإذن بالدخول على هشام بن عبد الملك يشكو إليه خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم أمير المدينة ، فلم يأذن له هشام بالحضور ، فكتب زيد له مطالبه ، فكتب هشام في ذيل المكتوب : عد إلى أرضك ، فأقسم زيد أنّه لن يعود إلى ابن الحرث .

ومجمل القول : فقد بقي زيد هناك مدّة أذن له هشام بعدها بالحضور إليه ، فلمّا جلس أمامه قال له هشام : بلغني أنّك تؤهّل نفسك بالخلافة ، وترجوها ، وما أنت وذاك ، وإنّما أنت من أمة ! فقال له زيد :

إنّي لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من نبيّ بعثه وهو ابن أمة ، وهو إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) ، واختاره للنبوّة ، وجعل من صلبه خير البشر محمّداً (صلّى الله عليه وآله) .

وترادّا الكلام ، وأخيراً قال هشام : خذوا هذا الأبله الجاهل وأخرجوه عنّي ، فأخرجوه وتحرّكوا به نحو المدينة ، ولمّا جاوزوا حدود الشام افترقوا عنه ، فاتّخذ طريقه نحو العراق ، فقدم الكوفة فبايعه أهلها .

ويقول المسعودي في (مروج الذهب) : كان سبب خروج زيد هو أنّه دخل على هشام في الرصافة (من أراضي قنّسرين) فلم يجد مكاناً لجلوسه ، ولم يفسحوا له مكاناً فجلس في أدنى المجلس ، والتفت إلى هشام وقال له :

« ليس أحد يكبر على تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله ، وأنا أوصيك بتقوى الله ، فاتّقه » .

فقال هشام : صه لا أمّ لك ، أنت المؤهّل نفسك للخلافة ، وإنّما أنت من أمة ؟ فقال زيد : إن لقولك جواباً ، فإن شئت قلته ، وإلاّ سكتّ ، قال : قل .

قال : إنّ الأمّهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، فإسماعيل كان ابن جارية لأمّ إسحاق ، وبعثه الله بالنبوّة وجعله أباً للعرب ، وأخرج من صلبه النبيّ الخاتم (صلّى الله عليه وآله) ، أنت تعيّرني بأمّي وأنا ابن عليّ وفاطمة صلوات الله عليهما ، ثمّ وقف وهو يقول :

شرّده الخوف وأزرى به كذاك من يكره حرّ الجلاد
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد
إن يحدث الله له دولة يترك آثار العدى كالرّماد

ثم خرج من عند هشام ، وصار إلى الكوفة .

وفي الكوفة بايعه أشرافها وقرّاؤها ، ثمّ خرج بهم ، واستعدّ يوسف بن عمر الثقفي لحربه ، وكان عامل هشام على العراق ، واحتدمت بينهما حرب كالتنّور ، لكنّ أصحاب زيد خذلوه ونكثوا ببيعتهم له ، ثمّ فرّوا وتركوه في جماعة قليلة من أصحابه ، فقاتلوا أشدّ قتال حتى كان الليل وافترق الجند ، وكان زيد قد أصيب بجراحات كثيرة ، كما أصيب بسهم في جبينه ، ثمّ دعي بحجّام فنزع السهم من جبينه ، فكانت نفسه معه ، فجيء به إلى ساقية تجري ، فحفر له فيها ودفن ، وأجري عليه الماء ، بعد أن أخذوا على الحجّام عهداً بالكتمان .

فلما كان الصباح سارع الحجّام إلى يوسف بن عمر فأخبره بمدفنه ، فأخرجه يوسف ففصل رأسه عن جسده ، وبعث بالرأس إلى هشام ، فكتب إليه هشام يأمر بصلبه عريان ، فصلبه في الكنّاسة .

وإلى هذا يشير بعض شعراء بني أميّة مخاطباً آل أبي طالب وشيعتهم بقوله :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم أر مهديّاً على الجذع يصلب

وبعد مدة كتب هشام إلى يوسف يأمره بإحراق جثّة زيد وذرّ رمادها في الرياح .

وذكر أبو بكر بن عيّاش وجماعة أنّ زيداً بقي مصلوباً في كنّاسة الكوفة ، وهو عار خمسين شهراً ، وأنّ أحداً لم ير عورته ، ذلك أنّ الله ستره ، ولمّا كانت أيّام حكم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وما كان من خروج يحيى بن زيد في خراسان ، كتب الوليد إلى عامله على الكوفة يأمره بإحراق زيد مع الجذع المصلوب عليه ، فأحرق وذرّي رماده في الريح على شاطىء الفرات .

ويقول المسعوديّ أيضاً : حكى هيثم بن عديّ الطائيّ عن عمرو بن هانىء أنّه قال :

خرجنا أيّام السفّاح مع عليّ بن عبد الله العبّاسيّ لنبش قبور بني أميّة ، فوصلنا قبر هشام فأخرجناه من قبره ، وكان بدنه لمّا يتلاش بعد ، فأعضاؤه بقيت صحيحة عدا أرنبة أنفه ، فجلد علي بن عبد الله بدنه ثمانين جلدة ، ثمّ أحرقه .

وإذ ذاك قدمنا إلى حيث الوابق سليمان ، فأخرجناه من قبره ، وكان لم يتبقّ منه سوى صلبه وأضلاعه ورأسه ، فأحرقناه أيضاً .

وفعلنا مثل ذلك بسائر أموات بني أميّة الذين كانت قبورهم في قنّسرين ، ثم توجّهنا إلى دمشق ، فنبشنا قبر الوليد بن عبد الملك فلم نعثر فيه على شيء ، فنبشنا قبر عبد الملك بن مروان فلم نجد فيه سوى شؤون رأسه .

ثمّ نبشنا قبر يزيد بن معاوية فلم نجد سوى عظم واحد ، ورأينا في لحده خطّاً طوليّاً أسود كما لو أن رماداً نثر على امتداد لحده ، ثم فتّشنا عن قبورهم في سائر البلدان وأحرقنا ما عثرنا عليه فيها .

يقول المسعودي : إنّما ذكرنا هذا الخبر في هذا الموقع لأجل الفعلة الشنيعة التي فعلها هشام مع زيد بن عليّ (عليه السلام) ، وما لقيه كان جزاء عمله . انتهى .

اللحد قال لظالم مستكبر ... أوَ ظالم ضيف الظلام ؟ فما الجواب

صمت العتاة ، أجابهم : لا تحلموا ... أبداً فما في تربتي إلّا العذاب

قد خاف منّي الطاهرون وأنتمُ ... ترجون أمني ؟ شأنكم عجب عجاب

خربت مغانيكم بدنياكم ، وفي ... طيّات تربي فارقبوا يوم الحساب[1]

(١) تعريب أبيات بالفارسية (المعرّب).

ها إنّ عجلة الزمان قد دارت على عبد الملك ومروان فراحا وأيديهما من عظمة الملك فارغة ، وها إنّ سفّاكي العصر وليداً وهشاماً قد أصبحا غرضاً لحوادث السهام ودواهي الحسام ، ودار الفلك فلم يخلّف للجبابرة والتبابعة[1] سوى الخيبة ، فكم من ملوك بكنوز وتيجان أسكنهم قبوراً من تراب أسود بعد قصور منيفة مشرقة ، وكم من فاتحين عتاة أبدلهم أسرّة العروش بأسّرةٍ من خشب التوابيت !

فواعجباً كم رأوا وكم سمعوا كيف أنّ الجبابرة من السلف كم من ظلم فعلوا ، وكم من دم سفكوا دون وجه حقّ ، وكم من مال ضيّعوا ، وكم من لباس من حرير وديباج لبسوا ، وكم من عرش وتاج عليه تسلّطوا ، وكم من بناء شادوا ، وكم من أساس أحكموا ، فإلامَ آلت أمورهم بعد هذا كلّه ؟ إنّهم آبوا بالوبال والخيبة ، وحملوا أوهامهم معهم إلى قبورهم ، ولم يتركوا من هذا كلّه سوى أعمالهم !!

روى الشيخ الصدّوق عن حمزة بن حمران أنّه قال :

« دخلت إلى الصادق جعفر بن محمّد (عليه السلام) فقال لي : يا حمزة ، من أين أقبلت ؟ قلت : من الكوفة، فبكى (عليه السلام) حتّى بلّت دموعه لحيته ، فقلت له : يا بن رسول الله ، مالك أكثرت البكاء ؟ فقال :

ذكرت عمّي زيداً وما صنع به ، فبكيت ؛ فقلت : وما الذي ذكرت منه ؟ فقال : ذكرت مقتله وقد أصاب جبينه سهم ، فجاء ابنه يحيى فانكبّ عليه ، وقال له : أبشر يا أبتاه ، فإنّك ترد على رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم ، فقال : أجل يا بنيّ ، ثمّ دعي بحدّاد فنزع السهم من جبينه ، فكانت نفسه معه ؛ فجيء به إلى ساقية تجري عند بستان زائدة ، فحفر له فيها ودفن ، وأجري عليه الماء .

وكان معهم غلام سنديّ لبعضهم ، فذهب إلى يوسف بن عمر فأخبره بدفنهم إيّاه ، فأخرجه يوسف بن عمر فصلبه في الكنّاسة أربع سنين ، ثمّ أمر به فأحرق بالنار ، وذرّي في الرياح .

فلعن الله قاتله وخاذله ، وإلى الله جلّ اسمه أشكو ما نزل بنا أهل بيت نبيه بعد موته ، وبه نستعين على عدوّنا ، وهو خير مستعان » .

كما روى الشيخ الصدّوق أيضاً عن عبد الله بن سباية أنّه قال :

« خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة ، فدخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال :

---

(١) لقب ملوك اليمن الأقدمين.

أعندكم خبر عمّي زيد ؟ فقلنا : قد خرج ، أو هو خارج ، قال : فإن أتاكم خبر فأخبروني .

فمكثنا أيّاماً ، فأتى رسول بكتاب فيه : أمّا بعد ، فإنّ زيداً خرج يوم الأربعاء غرّة صفر ، فمكث الأربعاء والخميس ، وقتل يوم الجمعة ، وقتل معه فلان وفلان .

فدخلنا على الصادق (عليه السلام) ودفعنا إليه الكتاب ، فقرأه وبكى ، ثمّ قال :

إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، عند الله أحتسب عمّي ، وإنّه كان نعم العمّ ، إنّ عمّي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا ، مضى والله عمّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعليّ والحسن والحسين ، صلوات الله عليهم » .

قال الشيخ المفيد (ره) : لمّا قتل زيد بلغ ذلك من أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) كلّ مبلغ ، وحزن له حزناً عظيماً حتّى بان عليه ، وفرّق من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه ألف دينار ، ومنهم عيال عبد الله بن الزبير أخي فضيل بن الزبير الرسّانيّ الذي أصاب منها أربعة دنانير ، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومئة ، وكانت سنّه يوم قتل اثنتين وأربعين سنة .

أولاد زيد بن عليّ ومقتل يحيى بن زيد

كان لزيد بن عليّ أربعة أبناء ـ بقول صاحب (عمدة الطالب) ـ ولم يكن له بنات ، وأبناؤه هم : يحيى ، والحسين ، وعيسى ، ومحمد .

أمّا يحيى فقد خرج في أوائل حكم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، للنهي عن المنكر ، ودفع الظلم الذي أشاعه بنو أميّة ، ثم قتل في نهاية الأمر ، وكان مقتله باختصار على النحو التالي :

يذكر أبو الفرج وغيره أنّه لمّا استشهد زيد بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) سنة إحدى وعشرين ومئة في الكوفة ، وفرغ ابنه يحيى من دفنه ، وتفرّق أصحابه وأعوانه فلم يبق منهم مع يحيى سوى عشرة نفر ، فلا غرو أن يغادر يحيى الكوفة ليلاً متّجهاً إلى نينوى ، ومنها إلى المدائن .

وكانت المدائن تقع إذ ذاك على الطريق إلى خراسان ، فبعث يوسف بن عمر الثقفي والي العراق بحُريث الكلبي إلى المدائن لأخذ يحيى ، لكنّ يحيى سارع بالخروج منها إلى الريّ ، ومنها إلى سرخس ، حيث نزل عند يزيد بن عمرو التيميّ ، وبقي عنده ستّة أشهر .

ورغب جماعة من المحكّمة ـ وهم من الخوارج ، وشعارهم : « لا حكم إلاّ لله » ـ إلى يحيى أن يتحالف معهم على قتال بني أميّة ، غير أنّ يزيد بن عمرو حذّر يحيى منهم ، وقال له :

كيف تستعين على دفع العدوّ بقوم أعلنوا البراءة من عليّ وأهل بيته ؟! فصرفهم يحيى عنه .

ثمّ خرج من سرخس إلى بلخ ، ونزل هناك عند حريش بن عبد الرحمن الشيبانيّ ، وبقي عنده حتى هلك هشام وخلفه الوليد ، فكتب يوسف بن عمر إلى النصر بن سيّار عامل خراسان أن يبعث إلى حريش بمن يأتي بيحيى ، فكتب النصر إلى عقيل عامل بلخ يأمره بالقبض على حريش وألاّ يطلقه ما لم يسلّمه يحيى ، فأخذ عقيل حريشاً وجلده ستّمئة سوط ، وأقسم أنه سيقتله إنْ لم يسلّم يحيى إليه ، فأبى .

وجاء قريش بن حريش إلى عقيل وقال : أطلق أبي وأنا أكفيك أمر يحيى ، فبعث عقيل معه جماعة في طلب يحيى فوجدوه في بيت يفضي إليه من داخل بيت آخر ، فأخذوه مع يزيد بن عمرو أحد أصحابه من الكوفة ، وسيّروهما إلى النصر الذي قيّدهما وسجنهما ، وكتب بأمرهما إلى يوسف بن عمر ، فكتب يوسف إلى الوليد في شأنهما ، فجاء ردّ الوليد يأمر بإطلاق يحيى وأصحابه من الأغلال فكتب يوسف بذلك إلى النصر ، فأحضر النصر بن سيّار يحيى إليه ، وحذّره من الخروج وإثارة الفتن ، ثم أعطاه عشرة آلاف درهم مع زوج من البغال ، وأمره باللحاق بالوليد .

يروي أبو الفرج أنّه بعد إطلاق يحيى من قيده أتى جماعة من متموّلي الشيعة إلى الحدّاد الذي نزع القيد من قدمي يحيى وطلبوا أن يبيعهم هذا القيد الحديديّ ، لكنّ الحدّاد عرض القيد للبيع في مزاد ، وجعلوا يتزايدون حتى بلغت المزايدة عشرين ألف درهم ، وتوافقوا أخيراً على أن يقدّموا هذا المبلغ معاً ويكونوا فيه شركاء ، ثم توزّعوا القيد قطعاً فيما بينهم ، صنع كلّ منهم من حصّته فصّاً تختّم به تبركاً .

ومجمل القول فإن يحيى بعد خلاصه توجّه إلى سرخس ومنها إلى عمرو بن زرارة والي مدينة أبرشهر ، فقدّم عمرو إليه ألف درهم كنفقة ، وأخرجه عنه إلى بيهق ، وفي بيهق التحق به سبعون رجلاً ، فابتاع الدوابّ لهم ، ثمّ خرج بهم .

ولمّا علم عمرو بن زرارة بخروجه كتب في شأنه إلى النصر بن سيّار فكتب النصر إلى عبد الله بن قيس عامل سرخس ، وإلى الحسن بن زيد عامل طوس يأمرهما بالذهاب إلى أبرشهر والالتحاق بعمرو بن زرارة لقتال يحيى ، فقدما على عمرو في عشرة آلاف من الجند ، قادهم عمرو إلى قتال يحيى ، الذي قابلهم بسبعين فارساً ، واحتدمت بين الفريقين معركة حامية انتهت بمقتل عمرو وتفرّق جيشه ، واستولى يحيى على أموالهم غنيمة حرب .

ثمّ سارع يحيى بالذهاب إلى هرات ، ومنها إلى جوزجان (وهي من بلاد خراسان ، وتقع بين مرو وبلخ) فبعث النصر بسَلْم (سالم) بن الأحوز على رأس ثمانية آلاف فارس ،

فلقي جيش يحيى في قرية أرغوى ونشب بينهما قتال عنيف امتدّ ثلاثة أيّام بلياليها ، وأخيراً ، وفي خضمّ المعركة أصيب يحيى بسهم في جبهته فأرداه .

وبعد المعركة أمر سلم بيحيى فاحتزّوا رأسه ، وبعث به إلى النصر بن سيار ، الذي بعث به بدوره إلى الوليد ، أمّا بدنه فصلبوه عارياً عند بوّابة جوزجان ، وبقي مصلوباً حتى تزلزلت أركان الدولة الأموية ، وقويت شوكة بني العبّاس ، فقام داعية بني العبّاس أبو مسلم المروزي بقتل سلم بن الأحور قاتل يحيى ، وأنزل جسد يحيى فغسّله وكفّنه ، وصلّ عليه ودفنه في موضعه .

ثمّ إنّه لم يدع أحداً ممّن شرك في دم يحيى إلاّ قتله ، ثم أقام مآتم العزاء بيحيى لمدّة أسبوع في خراسان وسائر أعمالها ، وقد سمّيت مواليد خراسان في ذلك العام باسم يحيى ؛ وكان مقتله رحمه الله سنة خمس وعشرين بعد المئة ، وأمّه ريطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمّد ابن الحنفيّة .

وقد أشار دعبل الخزاعي إلى قبره بقوله : وأخرى بأرض الجوزجان محلّها . . .

سند الصحيفة الكاملة وبيان ما يتعلّق بيحيى بن زيد : جاء في سند الصحيفة الكاملة أنّ عمير بن المتوكّل الثقفي البلخيّ روى عن أبيه المتوكّل بن هارون أنه قال :

لقيت يحيى بن زيد بن عليّ (عليه السلام) وكان متوجّهاً إلى خراسان ، فسلّمت عليه فقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من الحجّ ، فسألني عن أهله وبني عمّه بالمدينة ، وأحفى السؤال عن جعفر بن محمّد (عليه السلام) ، فأخبرته بخبره وخبرهم وحزنهم على أبيه زيد بن عليّ (عليه السلام) .

فقال لي : قد كان عمّي محمّد بن عليّ قد أشار على أبي بترك الخروج ، وعرّفه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره ، فهل لقيت ابن عمّي جعفر بن محمّد (عليه السلام) ؟ قلت : نعم ، قال : فهل سمعته يذكر شيئاً من أمري ؟ قلت ؛ نعم ، قال : بم ذكرني ؟ خبّرني ، قلت : جُعلت فداك ما أحبّ أن أستقبلك بما سمعته منه ، فقال : أبالموت تخوّفني ؟ قلت : سمعته يقول : إنّك تُقتل وتصلب كما قتل أبوك وصلب ، فتغيّر وجهه ، وقال : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أمّ الكتاب ﴾ .

وبعد بعض الكلام قال لي : أكتبت من ابن عمّي شيئاً ، (يريد : هل أملى عليك الصادق (عليه السلام) شيئاً فكتبته ؟)قلت : نعم ، قال : أرنيه ، فأخرجت إليه وجوهاً من العلم ، وأخرجت له دعاء أملاه عليّ أبو عبد الله (عليه السلام) ، وحدّثني أنّ أباه محمّد بن عليّ (عليهما السلام) أملاه عليه ، وأخبره أنّه من دعاء أبيه عليّ بن الحسين (عليه السلام)

من دعاء الصحيفة الكاملة ، فنظر فيه يحيى حتىَ أتى على آخره ، وقال لي : أتـأذن في نسخه ؟ فقلت : يا بن رسول الله ، أتستأذن في ما هـو عنكم ؟ فقال : أمـا لأخرجنّ إليـك صحيفة من الدعاء الكامل ، ممّا حفظه أبي عن أبيه ، وإنّ أبي أوصاني بصونها ومنعها غير أهلها .

قـال عمير : قـال أبي : فقمت إليه فقبّلت رأسـه وقلت له : والله يـا بن رسـول الله إنّي لأدين الله بحبّكم وطاعتكم ، وإنّي لأرجو أن يسعدني في حياتي ومماتي بولايتكم ؛ قـال : فرمى صحيفتي التي دفعتهـا إليه إلى غـلام كان معـه ، وقال : اكتب هـذا الدعـاء بخَط بيّن حسن ، واعرضه عليّ لعلّي أحفظه ، فإنّي كنت أطلبه من جعفر ـ حفظه الله ـ فيمنعه .

قـال المتوكّـل : فنـدمت عـلى مـا فعلت ، ولم أدر مـا أصنـع ، ولم يكن أبـو عبـد الله (عليه السلام) تقدّم إليّ ألاّ أدفعه إلى أحد .

ثمّ دعا (يحيى) بعيبةٍ فاستخرج منها صحيفة مقفلة مختومة ، فنظر الخاتم وقبّله وبكى ، ثمّ فضّه وفتح القفل ، ثمّ نشر الصحيفة ووضعها على عينه ، وأمرّها على وجهه ، وقال :

والله يا متوكّل ، لولا ما ذكرت من قول ابن عمّي إنّني أُقتل وأصلب لما دفعتها إليـك ، ولكنت بها ضنيناً ، ولكنّي أعلم أنّ قوله حقّ أخذه عن آبائـه ، وأنّه سيصـحّ ، فخفت أن يقع مثل هذا العلم إلى بني أميّـة فيكتموه ، ويـدّخروه في خـزائنهم لأنفسهم ، فاقبضهـا واكفنيها ، وتربّص بها ، فإذا قضى الله من أمري وأمر هؤلاء القوم ما هو قاض ، فهي أمانة لي عندك حتىَ تـوصلهـا إلى ابني عمّي محمـد وإبـراهيم ابني عبـد الله بن الحسن بـن الحسن بن عـليّ (عليهما السلام) ، فإنّهما القائمان في هذا الأمر بعدي .

قـال المتوكّـل : فقبضت الصحيفة ، فلمّا قتـل يحيى بن زيد صرت إلى المدينة ، فلقيت أبـا عبد الله (عليـه السلام) فحـدّثتـه الحديث عن يحيى ، فبكى واشتـدّ وجـده بـه وقـال : رحم الله ابن عمّي وألحقه بآبائه وأجداده ، والله يا متوكّل ، ما منعني من دفع الـدعاء إليـه إلاّ الذي خافه على صحيفته ! وأين الصحيفة ؟

فقلت : هـا هي ، ففتحها وقـال : هذا والله خطّ عمّي زيـد ، ودعـاء جـدّي عـليّ بن الحسين (عليه السلام) ؛ ثمّ قال لابنه : قم يا إسماعيل فـأتني بالـدعاء الـذي أمرتـك بحفظه وصونه .

فقام إسماعيل فأخرج صحيفة كـأنّها الصحيفة التي دفعهـا إليّ يحيى بن زيد ، فقبّلهـا أبو عبد الله ووضعها على عينه وقال : هذا خطّ أبي وإملاء جدّي بمشهد منّي .

فقلت : يا بن رسول الله ، إن رأيت أن أعـرضها مـع صحيفة زيـد ويحيى ، فأذن لي في ذلك ، وقال : قد رأيتك لذلك أهلاً .

فنظرت وإذا هما أمر واحد ، ولم أجد حرفاً منها يخالف ما في الصحيفة الأخرى ، ثمّ استأذنت أبا عبد الله (عليه السلام) في دفع الصحيفة إلى ابني عبد الله بن الحسن ، فقال :

﴿ إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ﴾ ، نعم ، ادفعها إليهما .

فلمّا نهضت للقائهما قال لي : مكانك ، ثمّ وجّه إلى محمّد وإبراهيم فجاءا ، فقال : هذا ميراث عمّكما يحيى من أبيه ، قد خصّكما به دون إخوته ، ونحن مشترطون عليكما فيه شرطاً ، فقالا : رحمك الله ، قل ، فقولك المقبول ، فقال : لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة ! قالا : ولم ذاك ؟ قال : إنّ ابن عمّكما خاف عليها أمراً أخافه أنا عليكما ! قالا : إنّما خاف عليها حين علم أنّه يقتل ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) :

وأنتما فلا تأمنا ، فوالله إنّي لأعلم أنّكما ستخرجان كما خرج ، وستقتلان كما قتل !

فقاما وهما يقولان : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

ذكر أحوال الحسين ذي الدمعة وأولاده : وهو الحسين بن زيد ، المكنّى بأبي عبد الله ، وأبي عاتقة ، ويلقّب بذي الدمعة ، وذي العبرة ، وحين قتل أبوه كان ابن سبع سنين ، فأخذه الصادق (عليه السلام) إلى بيته فربّاه ونشأ في حجره ، وأخذ عنه علماً كثيراً ، وزوّجه من ابنة محمّد بن الأرقط بن عبد الله الباهر ، وكان سيّداً زاهداً عابداً ، ولقّب بذي الدمعة لكثرة بكائه في صلاة الليل من خشية الله ، كما دعي بالمكفوف لأنّه عمي في أواخر عمره .

كان يروي عن الصادق وعن موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، كما روى عنه ابن أبي عمير ، ويونس بن عبد الرحمن وغيرهما ، وقال تاج الدين بن زهرة في حديثه عن بيت زيد الشهيد : حسين ذو العبرة وذو الدمعة كان سيّداً جليلاً ، شيخ أهله ، وكريم قومه ، وكان من رجال بني هاشم لساناً وبياناً ، وعلماً وزهداً وفضلاً ، وإحاطة بالنسب وأيّام الناس ، روى عن الصادق (عليه السلام) ، وتوفّي سنة أربع وثلاثين بعد المئة . انتهى .

وذكر أبو الفرج أن الحسين ذا الدمعة كان مع المنصور في قتال محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ، ثم توارى بعد ذلك خوفاً من المنصور .

كما ذكر أيضاً عن يحيى بن الحسين بن زيد أنّه قال : قالت أمّي لأبي ما أكثر بكاءك ! فقال : وهل ترك السهمان والنار سروراً يمنعني من البكاء ؟! يعني السهمين اللذين قتل بهما أبوه زيد وأخوه يحيى .

ومجمل القول : فإن الحسين توفّي سنة خمس وثلاثين ومئة ، وبقول آخر : سنة أربعين ومئة ، وتزوّجت ابنته من المهديّ العبّاسيّ ، وأعقب كثيراً ، ومن عقبه : أبو المكارم محمّد بن

يحيى ، ابن النقيب أبي طالب الحمزة بن محمّد بن الحسين بن محمّد بن الحسن الزاهد ، ابن أبي الحسين يحيى بن الحسين بن زيد الشهيد ، الذي حفظ القرآن ، كما فعل كلّ من آبائه حتّى أمير المؤمنين (عليه السلام) ؛ ويحيى بن الحسين ذي الدمعة الذي توفّي في بغداد سنة سبع ومئتين أو تسع ومئتين ، وصلّى عليه المأمون .

ومن عقب الحسين ذي الدمعة يحيى بن عمر الذي قتل أيام المستعين بالله ، الخليفة العبّاسيّ الثاني عشر .

مقتل يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد الشهيد وذكر بعض عقبه : هو يحيى بن عمر المكنّى بأبي الحسين ، وأمّه أمّ الحسن بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيّار رضي الله عنه ، خرج في خراسان أيّام المتوكّل فأُخذ وأُتي به إلى المتوكّل ، فأمر به فجلد وسجن في حبس الفتح بن خاقان ، وبقي مدة أُفرج عنه بعدها .

ثمّ قدم إلى بغداد ، ومنها بعد مدة صار إلى الكوفة ، وخرج أيّام المستعين بالله ، ولما عزم على الخروج شرع بزيارة قبر الحسين (عليه السلام) ، وأعلن للزوّار ما عزم عليه ، فانضمّ إليه جماعة منهم ، وقدموا إلى قرية شاهي حيث لبثوا حتّى الليل ، فتوجّهوا إلى الكوفة .

دعا أصحابُه أهل الكوفة لبيعته ، وكانوا ينادون : أيّها الناس ، أجيبوا داعي الله ، فدخل في بيعته خلق كثير .

ولمّا كان اليوم التالي وضع يحيى يديه على ما كان من أموال في بيت المال ووزّعها على الناس ، وقام بينهم بالعدل والقسط ، فأحبّه أهل الكوفة بقلوبهم وأرواحهم .

وكان عامل الخليفة على الكوفة عبد الله بن محمود ، فجمع جيشه وخرج به لقتال يحيى ، فحمل عليه يحيى وعاجله بضربة على وجهه فانهزم مع جيشه .

وكان يحيى رجلاً قويّاً شجاعاً مقداماً ، ويذكر أبو الفرج عنه في صدد قوّته أنّه كان إذا غضب على أحد غلمانه أو جواريه لفّ على عنقه عموداً من الحديد ، فلا يستطيع أحد أن يفتحه ، ما لم يفعل هو .

ومجمل القول : فإن أمر يحيى ذاع وانتشر في البلاد والأمصار ، ولمّا بلغ خبره بغداد بعث عبد الله بن الطاهر بابن عمّه الحسين ابن إسماعيل في جيش لدفعه ، وكان البغداديّون قد خرجوا لقتال يحيى على كره منهم ، ذلك أنهم يميلون في الباطن إلى يحيى .

ومجمل القول فبعد معارك ومناوشات التقى العسكران في قرية شاهي حيث دارت رحى معركة عنيفة بينهما ، وخلال المعركة فرّ هيضم أحد رؤوس جيش يحيى مما أضعف جيشه ،

وقويت به شوكة عدوّه ، ولمّا رأى يحيى انهزام هيضم ثبت للحرب ثباتاً عظيماً ، وقاتل قتالاً متواصلاً حتّى أثخنته الجراح فسقط ، فدنا منه سعد الضبابيّ واحتزّ رأسه ، وحمله إلى إسماعيل ، وهو لا يكاد يُعرف لكثرة ما أصاب وجهه من جراح ، ثمّ حمل الرأس إلى عبد الله بن الطاهر في بغداد فبعث به إلى المستعين في سرّ من رأى ، ثمّ عادوا به إلى بغداد فنصبوه هناك .

واستنكر أهل بغداد مقتله ، ذلك أنهم كانوا يميلون إليه لما شهدوه من حسن عشرته ، وتورّعه عن أخذ المال ، ونظافة كفّه من الدماء ، وكثرة عدله وإحسانه ، فجاء جماعة إلى ابن الطاهر لتهنئته بالنصر ، وكان بينهم أبو هاشم الجعفري ، ولمّا دخل على ابن الطاهر قال له :

أيّها الأمير ، جئتك مهنّئاً لك بأمر لو كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حيّاً لوجب تعزيته به .

قال : فلم يحر محمّد جواباً ، فخرج أبو هاشم وهو يقول :

يا بني طاهر كلوه وَبِيّا ... إنّ لحم النبيّ غير مريّ
إنّ وتراً يكون طالبه الـ ... له نجاحه لحريّ

ثم إنّ محمّداً أمر بأهل بيت يحيى فسير بهم إلى خراسان ، وقيل إنّهم ما نزلوا بالرؤوس في بيت إلّا كانت باعثاً على زوال النعمة عن هذا البيت .

وذكر أبو الفرج عن ابن عمّار أنّه لمّا ساروا بأسرى أهل بيت يحيى وأصحابه إلى بغداد كانوا يجولون بهم حفاة بقسوة وخشونة ، فإذا تخلّف أحدهم من تعبه ضربوا عنقه ، ولم يُسمع حتى ذلك الوقت أنّ أسيراً عومل بمثل تلك المعاملة .

ومجمل القول : ففي هذا الوقت ، وكانوا لا زالوا في بغداد ، وصل كتاب من المستعين بالله يأمر بإطلاقهم ، فأطلقهم محمّد بن الطاهر جميعاً عدا إسحاق بن جناح صاحب شرطة يحيى ، الذي تركه في حبسه حتى مات فيه ، فألقيت جثته في خربة وأهالوا فوقها جداراً بعد أن هدموه .

كان يحيى رجلاً شريفاً ورعاً ديّناً خيّراً كثير الإحسان ، عطوفاً على الرعيّة ، رؤوفاً بهم ، وكان حامي أهل بيته من الطالبيّين ، إحسانه إليهم متّصل ، ولهذا فقد ترك مقتله أثراً في قلوب الناس خاصّتهم وعامّتهم ، كبيرهم وصغيرهم ، قريبهم وبعيدهم ، وكان استشهاده حوالى سنة خمسين ومئتين ، ورثاه كثيرون ، وممّا قاله أحد شعراء وقته :

بكت الخيل شجوها بعد يحيى ... وبكاه المهنّد المصقول

وبكاه العراق شرقاً وغرباً وبكاه الكتاب والتنزيل
والمصلّى والبيت والركن والحجـ ـر جميعاً له عليه عويل
كيف لم تَسقط السماء علينا يوم قالوا أبو الحسين قتيل
وبنات النبيّ يندبن شجواً موجعات دموعهنّ همول
ويرثّين للرزيّة بدراً فقده مفظع عزيز جليل
قطعت وجهه سيوف الأعادي بأبي وجهه الوسيم الجميل
قَتلُه مذكر لقتل عليّ وحسينٍ يوم أوذي الرسول
صلوات الإله وقفا عليهم ما بكى موجع وحنّ ثكول

فضل النسّابة بهاء الدين عليّ : ومن عقب الحسين ذي الدمعة أيضاً السيّد الأجلّ النسّابة ، العلّامة النحرير بهاء الدين عليّ بن غياث الدين عبد الكريم النيليّ النجفيّ ، ابن عبد الحميد بن عبد الله بن أحمد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن غياث الدين العالم التقيّ (وهو الذي أغار عليه بعض الأعراب في شطّ سواره فسلبوه ملابسه ، وأرادوا خلع سراويله فقاومهم حتّى الموت) ابن السيّد جلال الدين عبد الحميد (الذي يروي عنه محمّد بن جعفر المشهديّ في المزار الكبير) إبن العالم الفاضل المحدّث عبد الله التقيّ النسّابة ، ابن نجم الدين أسامة نقيب العراق ، ابن النقيب شمس الدين أحمد بن النقيب أبي الحسين عليّ بن السيّد الفاضل النسّابة أبي طالب محمّد بن أبي عليّ عمر الشريف الرئيس الجليل وكان أميراً للحجّ ، وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة أعاد الحجر الأسود بيديه إلى موضعه ، وفي واقعة القرامطة الذين أتوا مكّة فانتزعوا الحجر الأسود وحملوه إلى الكوفة ، ونصبه بعضهم على السارية السابعة في المسجد .

وإلى هذه الواقعة يشير أمير المؤمنين (عليه السلام) في إخباره بالمغيّبات ، إذ قال ذات يوم بالكوفة : « لابدّ أن يصلب في هذه السارية » ، وأشار إلى السارية السابعة ، وهي قصّة طويلة .

وهذا السيّد الجليل هو الذي بنى القبّة على مقام جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) من ماله الخاصّ ، ابن يحيى النسّابة نقيب النقباء القائم بالكوفة ، ابن الحسين النسّابة النقيب الطاهر ، ابن أبي عاتقه أحمد المحدّث ، ابن أبي عليّ عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة ، ابن زيد الشهيد ، ابن الإمام زين العابدين (عليه السلام) .

ومجمل القول : فبهاء الدين عليّ المذكور كان جليل الشأن ، صاحب مناقب لا تحصى ، ومن مؤلّفاته الشريفة التي يركن إليها نَقَدة الأخبار وسَدَنة الآثار ويعتمدون عليها ، وأخذوا عنها ، كتاب (الأنوار المضيئة) وكتاب (سرور أهل الإيمان في علامات ظهور صاحب الزمان)

صلوات الله عليه ، وكتاب (الغيبة والإنصاف في الردّ على صاحب الكشّاف) ، و(شرح المصباح الصغير للشيخ) وغيرها .

وهو أستاذ الشيخ حسن بن سليمان الحلّي صاحب (مختصر البصائر) وابن فهد الحلّي ، وتلميذ الشيخ الشهيد ، وفخر المحققين ، والسيّد عميد الدين ؛ وجدّه محمّد الشريف الجليل ، ابن عمر بن يحيى بن الحسين النسّابة ، ابن أبي عاتقة أحمد المحدّث ؛ وأحمد المحدّث هو من قال فيه صاحب (عمدة الطالب) : كان رجلاً وجيهاً متمولاً ، ولم يمتلك أحدٌ من العلويّين قدر ما امتلكه من أموال وأملاك وزراعة وفلاحة ، ويقول البعض إنه زرع في سنة واحدة فقط ثمانية وسبعين ألف جريب[1] .

ومن غرائب ما يحكى عنه أنّه بينا هو جالس في الديوان مع المطهّر بن عبد الله وزير عزّ الدولة بن بويه ، وصل للوزير توقيع يفيد بأن رسول القرامطة سيرد الكوفة ، ومن المناسب الكتابة إلى الكوفة لاتّخاذ ما يلزم لدفعه عنها .

عرض الوزير ذلك التوقيع على الشريف وأشار عليه بإرسال رسول إلى الكوفة مع تأمين ما يحتاجه من منزل وغيره ، ثم انصرف الوزير إلى مهمّاته فانشغل بها ساعة ، ثمّ التفت فإذا به يرى الشريف جالساً حيث تركه فارغ البال مرتاح الضمير ، فقال له متعجّباً : أيها الشريف ، هذه الأمور لا تحتمل أي تهاون أو تكاسل ، قال الشريف : لقد بعثت رسولاً إلى الكوفة ، وعاد بالجواب ، وهم الآن منصرفون إلى إعداد ما يلزم !!

تعجّب الوزير ، وتساءل عن كيفيّة ذلك ، فأخبره الشريف أنّ له في بغداد طيوراً كوفيّة ، وأنّ له في الكوفة طيوراً بغداديّة ، وقال : لمّا أشرتَ عليّ بما أشرت به أمرت برسالة فأرسلت بواسطة طائر إلى الكوفة ، وعاد الجواب بأن الرسالة بلغت الكوفة ، وأنهم شرعوا بتنفيذ الأوامر الصادرة إليهم .

ومن عقب الحسين ذي الدمعة أيضاً السيّد الأجلّ بهاء الشرف نجم الدين أبو الحسن محمّد بن الحسن بن أحمد بن عليّ بن محمّد بن عمر بن يحيى بن الحسين النسّابة ، ابن أحمد المحدّث ، ابن عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة ، الذي جاء اسمه في أوّل الصحيفة الكاملة ، روى عنه عميد الرؤساء وغيره كثيرون أمثال ابن السكون ، وجعفر بن عليّ والد الشيخ محمّد بن المشهديّ ، والشيخ هبة الله بن نما وغيرهم ، عليهم الرضوان .

عيسى، الابن الثالث لزيد بن علي بن الحسين (عليه السلام): هو عيسى بن زيد،

---

(١) الجريب: مساحة من الأرض تعادل عشرة آلاف متر مربع، معرّبة عن الفارسية (المعرّب).

ويكنّى بـأبي يحيى ، ويلقّب بميتّم الأشبال، وقـد نال هـذا اللقب بعد أن عـرضت له لبـوة معها أشبالها، فجعلت تحمل على الناس، فنزل إليها فقتلها، ومذ ذاك صار يلقّب بميتّم الأشبال.

مدحه أبو الفرج كثيراً ، وقال : كـان رجلاً جليـل القدر ، صـاحب علم وورع وتقوى وزهد ، يروي عن الصادق (عليه السلام) وعن أخيه عبد الله بن محمّد (عليه السلام) وعن أبيه زيد بن عليّ (عليه السلام) وغيرهم ، وكان علماء عصره يعتبرونه مقدّماً مباركاً .

وكان سفيان الثوري مريداً له بإخلاص ، وكان يخصّه بمـزيد الاحـترام والتعظيم ، غـير أنّه مدحه ـ وفقاً لرواية ـ محلّ نظر ، لما أظهر من جرأة وسوء أدب بالنسبة لإمـام زمانـه الصادق (عليه السلام) ، أرواح العالمين فداه .

ومجمل القول : فإنّ عيسى شهد واقعـة محمّد وإبـراهيم ابني عبد الله بن الحسن ، وبعـد مقتلهما اختار اعتزال الناس ، وتوارى في منزل عـليّ بن صالـح بن حيّ في الكوفـة ، كما أخفى نسبه عن الناس حتى وفاته .

وخلال اختفائه رغب ابن أخيه يحيى بن الحسـين بن زيد ـ أو محمّـد بن محمّد بن زيـد ، وفقاً لرواية صاحب (عمـدة الطالب) ـ أن يتعـرّف على عمّـه عيسى ، فقال لأبيـه : أحبّ أن تدلّني على عمّي وتخبرني اين ألقاه ، فمن القبيح أن يكون لي عمّ كهذا ولا أراه ؛ فقال لـه : يا بنيّ ، دع عنـك هذه الأوهـام ، فعمّك قـد أخفى نفسـه ، ولا يـريـد أن يُعـرف ، وأخشى إن دللتك عليه ، وذهبت إليه أن يقع في شدّة فيغيّر منـزله ؛ لكن يحيى أصرّ وألـحّ في السؤال حتى رضي أبوه أن يدلّه على مكان عمّه .

قال الحسين لابنه : يا بنيّ ، إن رغبت لقاء عمّك فعليـك أن تبرح المـدينة إلى الكـوفة ، فإذا انتهيت إليها فسل عن محلّة بني حيّ ، فإذا عرفتها فاذهب إلى الزقاق الفلانيّ (وصفـه له) فإذا بلغته رأيت فيه بيتاً صفته كذا وكذا ، وهو منزل عمّك ، لكن إيّـاك أن تقوم عـلى الباب ، بل قف في أول الزقاق ، فإذا كان الغروب فسـترى رجلاً كهـلاً طويـل القامـة حسن الوجـه ؛ وآثار السجود ظاهرة عـلى جبهته ، يلبس جبّـة صوفيّـة ، يقود أمـامه بعيـراً وهو في عـودته من السقاية ، ومع كل قدم يرفعها أو يضعها يذكر الله ، وعيناه تهملان ، فهذا هو عمّـك عيسى ، فإن لقيته فسلّم عليه ، وعانقه ، وسيشعر عمّك في البداية بالخوف منك ، فعرّفه بنفسـك حتى يسكن قلبه ، فإذا كان ذلك فلا تطل البقاء معه ، لئلا يراك أحـد فيتعرّف عليـه ، فإذا ودّعتـه فلا تعد ثانية للقياه ، وإلاّ فسيتوارى عنك أيضاً ، وتسبّب له المشقّة .

قال يحيى : سمعاً وطاعة ، سأفعل بما أمرتني . ثم جهّز نفسه ، وودّع أباه ، وتوجّه نحو الكوفة .

ولمّا انتهى إلى الكوفة شرع يبحث عن بيت عمّه ، فتعرّف على محلّة بني حيّ ، ثم على البيت الذي وصفه له أبوه ، ثم قعد خارج الزقاق يرقب مجيء عمّه ، ولمّا كان الغروب رأى كهلاً يقود بعيراً ، بالأوصاف التي سمعها من أبيه ، فتقدّم إليه وسلّم عليه وعانقه .

قال يحيى : لمّا فعلت ذلك رأيت عمّي أشبه بوحش خاف من إنسيّ فسارعت أقول : عمّاه ، أنا يحيى بن الحسين بن زيد ، ابن أخيك ، فلمّا سمع قولي ضمّني إلى صدره ، وراح يبكي بكاء خفت معه أن يصيبه مكروه ، ولمّا استعاد قدراً من سكونه التفت إلى البعير فأناخه ، وجعل يسألني عن أحوال أهل بيته وذوي قرباه من رجال ونساء وأطفال واحداً فواحداً ، فأخبرته بأحوالهم وهو لا يفتأ يبكي ، وبعد أن عرف عنهم كلّ شيء أخذ يحدّثني عن أحواله فقال :

يا بنيّ ، إن شئت أن تعرف أحوالي فاعلم أنّني أخفيت نسبي وشأني عن الناس ، واكتريت هذا البعير أغدو به إلى السقاء كلّ يوم وأروح به محمّلاً بالماء أبيعه من الناس ، وما أحصّله من هذا العمل اسدّد أجرة البعير بقسم وأنفق ما يتبقّى على القوت ، فإن جدّ يوماً ما يمنعني من العمل فلن يكون لي قوت في ذلك اليوم ، فلا غرو أنّي أتوجّه إلى البادية لأجمع ما رمى به الناس من بقايا الخسّ والخيار وأمثالها فيكون قوت يومي .

وكنت في مدّة اختفائي هذه أسكن هذا البيت دون أن يعرفني صاحبه ، وبعد أن طالت إقامتي في بيته زوّجني من ابنته ، ورزقني الله منها بابنة ، فلمّا بلغت البنت أخبرتني الأمّ برغبتها في تزويجها من ابن جارنا السقّاء ، لأنّهم جاؤوا خاطبين ، فلم أجب زوجتي ، لكنّها أصرّت ، ولم أجد في نفسي الجرأة على إخبارها بجليّة الأمر ، وأنّ ابنتنا من سلالة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وليس ابن السقّاء بالكفؤ حسباً ونسباً ، لكنّ زوجتي ـ مع ملاحظتها لفقري وإفلاسي وخمول ذكري ـ خيّل إليها أنّ اللقمة التي لم تكن لتستقرّ في خيالها قد أضحت سائغة ، فلا غرو أنّها أصرّت إصراراً بليغاً حتى بتُّ عاجزاً عن تدبير الأمر ، وسألت الله أن يكفينيه ، فاستجاب دعائي عزّ وجلّ ، فلم تمض أيّام حتّى فارقت ابنتي الحياة ، وأراحتني من غصّتها ، ولكن ، يا ولدي العزيز ، بقيت في قلبي غصّة لا أتصوّر أحداً بقادر على احتمال غصّة توجع القلب كهذه ، ذلك أنّي لم أقدر ـ وابنتي على قيد الحياة ـ أن أعرّفها بنفسي وأقول لها : يا نور عيني إنّك سيّدة ومن نسل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، ولست ابنة عامل من العمّال ، وقد ماتت وهي تجهل شأنها ، تلك هي غصّتي !!

قال يحيى : ثمّ إنّ عمّي ودّعني وأقسم عليّ أن لا ألقاه ثانية لئلّا يُعرف فيؤخذ ، لكنّي بعد أيّام ذهبت لرؤيته فلم أعثر عليه ، وكان لقائي به ذاك هو اللقاء الوحيد .

وذكر أبو الفرج عن خصيب الوابشيّ الذي كان من أصحاب زيد بن عليّ ، ومن أخصّاء

عيسى بن زيد أنّه قال : في الوقت الذي كان فيه عيسى متوارياً في الكوفة متخفياً كنّا نأتي لرؤيته خائفين ، وكان كثيراً ما يكون في البادية ينضح الماء ، فنجلس إليه فيحدّثنا ويقول : أما والله ، لكم أحبّ أن أكون آمناً عليكم من هؤلاء ـ يعني المهديّ العبّاسيّ وأعوانه ـ إذاً لجالستكم طويلاً ، فتزوّدت من أحاديثكم والنظر إليكم ، فأنا والله في شوق متّصل لرؤيتكم ، وإنّي دائماً في ذكركم ، فاذكروني في خلواتكم وفي نومكم كي لا يشتهر أمركم أو موضعكم فيصيبكم ضرر أو أذيّة .

ومجمل القول : فإن عيسى بقي على حاله تلك حتى فارق الحياة ، وكان بضعة نفر من خاصّته على معرفة باختفائه : أحدهم ابن علّاق الصيرفي ، والثاني : حاضر ، والثالث : الصبّاح الزعفرانيّ ، والرابع : الحسن بن صالح ؛ وكان المهدي في صدد أنّه إذا لم يتمكّن من كشف عيسى فلا أقّل من أن يظفر بأولئك النفر ، فلمّا ظفر بحاضرٍ يوماً ورماه في السجن ، وتوسّل بكلّ حيلة كيما يأخذ من حاضر خبراً عن عيسى وأصحابه ، لكنّ حاضراً بقي على كتمانه فلم يفه بشيء حتى قتلوه ، ولما توفيّ عيسى ترك وراءه طفلين صغيرين أخذهما الصبّاح في كفالته .

وروي أنّ الصبّاح قال للحسن بن صالح : الآن وقد توفّي عيسى فماذا يمنعنا من أن نظهر أنفسنا ونخبر المهديّ بموت عيسى ، فيرتاح هو ونأمن نحن من الخوف ؟ فالمهديّ إنّما يطلبنا بسبب عيسى ، وقد مات ، فلا شأن له بنا .

قال الحسن : لا والله ، لن تقرّ عين عدوّ الله بموت وليّ الله ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ! إنّ ليلة أقضيها في الخوف خير من جهاد وعبادة سنة .

قال الصبّاح : وبعد انقضاء شهرين على موت عيسى توفّي الحسن بن صالح ، وعندها أخذت أحمد وزيداً يتيمي عيسى وتوجّهت إلى بغداد ، فلمّا انتهيت إليها أودعت الطفلين في بيت ، وقصدت إلى دار الخلافة ، فلمّا بلغتها قلت : أنا الصبّاح الزعفرانيّ ، وطلبت الإذن بالدخول ، فطلبني الخليفة فلمّا دخلت عليه قال : أنت الصبّاح الزعفرانيّ ؟ قلت : بلى ، قال :

لا حيّاك الله ولا بيّاك الله ولا قرّب دارك ، يا عدوّ الله ، ألست كنت تدعو إلى بيعة عدوّي عيسى ؟ قلت : بلى ، قال : فقد قدمت إذاً إلى حتفك بظلفك !!

قلت : أيّها الخليفة ، إن لك بشارة عندي ، وتعزية كذلك ، قال : ما هما ؟ قلت ؛ أما البشارة فهي بموت عيسى بن زيد ، وأمّا التعزية فهي أيضاً بموت عيسى ، ذلك أنّ عيسى ابن عمّك ومن أهلك .

فلمّا سمع المهديّ هذا سجد شكراً ، ثمّ سألني : متى توفي عيسى ؟ قلت : منذ شهرين ، قال : ولم لم تخبرني في الحال ؟ قلت : الحسن بن صالح لم يدعني أفعل حتّى توفّي هو أيضاً ، فقدمت إليك .

ولما سمع المهديّ خبر موت الحسن سجد شكراً للمرّة الثانية ، وقال : الحمد لله الذي كفاني شرّه ، فقد كان لي العدوّ الألدّ ، ثم قال : أيّها الرجل ، سلني ما شئت أقض حاجتك ، وسأغنيك عن مال الدنيا .

قلت : أما والله لا أطلب منك شيئاً ، وليست لي إليك إلاّ حاجة واحدة ، قال : وما هي ؟ قلت : كفالة يتيمي عيسى ، فوالله لو كان عندي ما أقدر معه على كفالتهما لما طلبت منك هذه الحاجة ، ولما أتيت بهما إلى بغداد !

ثم شرحت له أحوال عيسى وطفليه ، وقلت ؛ حريّ بك أن تكون الأب لهذين اليتيمين الجائعين اللذين قاربا الهلاك ، وأن تخلّصهما من جوعهما وغمّهما .

فلمّا سمع المهديّ قصة يتيمي عيسى بكى دون إرادته ، وجرى الدمع من عينيه ، ثمّ قال : أيّها الرجل الربّانيّ ، جزاك الله خيراً ، لقد صنعت خيراً بإخباري عن حالهما وإظهار حقّهما ، إنّ أبناء عيسى كأبنائي ، فاذهب الآن وائتني بهما . قلت : فهل لهما من أمان ؟ قال : نعم ، في أمان الله وفي أماني ، وفي ذمّتي وذمّة آبائهما ؛ وأخذت بلا انقطاع أقسم عليه آخذ الأمان منه لئلاّ ينزل بهما ضرراً إن أنا جئته بهما ، وكان بدوره لا يفتأ يعطيهما الأمان حتى قال أخيراً : يا حبيبي ، وأيّ تقصير بدر منهما حتى أعاقبهما ، وهما طفلان صغيران ؟ كان أبوهما ينازعني السلطة ، ولو جاءني هو أيضاً وكفّ عن منازعتي فلن يكون لي معه أيّ شأن ، فكيف بالأطفال الصغار ، والآن قم وائتني بهما ، جزاك الله خيراً ، كما أطلب منك أن تقبل عطائي ؛ قلت : أنا لا أريد شيئاً .

ثمّ إنّي ذهبت وأتيت بهما ، فلما رآهما المهديّ رقّ لهما وضمّهما إليه ، وأمر جارية بالاعتناء بهما ، وعيّن بضعة نفر لخدمتهما ، وكنت آتي لأطمئنّ عليهما بين وقت وآخر ، وبقيا في دار الخلافة حتّى قُتل محمّد الأمين فغادرا دار الخلافة ، وتوفّي زيد من مرض أصابه ، وتوارى أحمد واختفى .

أولاد عيسى بن زيد وعقبه : أعقب عيسى بن زيد من أربعة أبناء ، هم : أحمد المختفي ، وزيد ، ومحمّد ، وحسين الغضارة ، والحسين هو جدّ عليّ بن زيد بن الحسين الذي خرج بالكوفة في أيّام المهتدي بالله ، بعد أن بايعه جماعة من عوامّ الكوفة وأعرابها ، فبعث المهتدي بشاه بن ميكال مع جيش كبير لحربه ، فلما بلغ الخبر أصحاب عليّ بن زيد خافوا لأنّ

عددهم لم يكن ليتجاوز مئتي فارس ، ولما رأى عليّ ما هم فيه من خوف قال لهم : أيّها الناس ، إن هذا الجيش يطلبني أنا ، ولا شأن له مع غيري ، وإنّي أحلّكم من بيعتي ، فانصرفوا لشأنكم ، ودعوني معهم ، فقالوا : لا والله لا نفعلها ، لكنّهم لمّا وصل جيش ابن ميكال غلب عليهم الخوف فقال لهم عليّ : الزموا أمكنتكم وتفرّجوا .

ثم إنّه استلّ سيفه ، واندفع بينهم من خلفهم فراحوا يفرّون بين يديه حتى عاد لى مكانه مع اصحابه ، بجواده بين جموع الجيش يضربهم بسيفه عن يمين وشمال حتى اخترق الجيش من جانبه الآخر ، فوقف على تلّ هناك ، ثم اندفع عمله ذاك مرتين أو ثلاثاً ، الأمر الذي بثّ الجرأة في قلوب أصحابه ، فحملوا على جيش ابن ميكال حملة صادقة فهزموهم وفتح الله عليهم ، وبقي حتّى أيام المعتمد حيث أخذه ناجم بالبصرة فضرب عنقه مع الطاهر بن محمّد بن أبي القاسم بن الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، والطاهر بن أحمد بن القاسم بن محمّد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

أحمد بن عيسى بن زيد وناجم صاحب الزنج : كان أحمد بن عيسى بن زيد رجلاً عالماً فقيهاً زاهداً عظيماً ، له كتاب في الفقه ، وأمّه عاتكة بنت الفضل بن عبد الرحمن بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلّب ، كانت هاشميّة ، كانت ولادته سنة ثمان وخمسين ومئة ، ووفاته سنة أربعين ومئتين ، أصبح في آخر أيّامه ضريراً ، كما جاءت الإشارة إلى ذلك في ذيل وفاة أبيه عيسى ، وعاش منذ جرى تسليمه للمهديّ حتى زمان الرشيد في دار الخلافة ، وقال صاحب (عمدة الطالب) إنّه عاش مع الرشيد حتى كبر وخرج ، فأخذوه وحبسوه ، لكنّه تخلّص من سجنه وتوارى حتى توفّي بالبصرة ، وكان عمره قد جاوز ثمانين عاماً ، ولذلك سمّوه المختفي . انتهى .

زوجته هي خديجة بنت عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) وهي أمّ محمّد ابنه ، الذي كان وجيهاً فاضلاً ، وتوفّي في الحبس ببغداد .

يقول المؤلّف : ممّن أدعوا لأنفسهم لقب المختفي صاحب الزنج ، فقد زعم أنّه عليّ بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، والبعض يدعونه دعيّ آل أبي طالب ، وجاء في توقيع للإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) : « صاحب الزنج ليس من أهل البيت » ، ويعود أصله إلى أحد قرّاء الريّ ، ويميل إلى مذهب الأزارقة والخوارج ، ويقول بأن جميع الذنوب شرك ، وكان أنصاره وأصحابه من الزنج .

خرج في ظاهر البصرة أيام المهتدي بالله لثلاثة أيّام بقين من شهر رمضان سنة خمس

وخمسين ومئتين ، ثم توجّه إلى البصرة فاستولى عليها ، وأثار الزنج نحو الفتنة من أجل حركته ، وكان الزنج في ذلك الحين يشكّلون أكثريّة في البصرة والأهواز وأطرافها ، وكان أهل تلك النواحي يشترون تلك الجماعة لاستخدامها في أملاكهم وضياعهم وبساتينهم ، وانضمّ إليهم أيضاً فريق من الأعراب .

وقد صدرت عن صاحب الزنج أفعال لم يسبق أن صدرت عن أحد قبله ، وفي أيّام المعتمد على الله بعث أبو العبّاس أحمد بن المتوكّل أخاه طلحة بن المتوكّل ـ وكان يلقّب بالموفّق ، والقائم بأمر الخلافة ـ لقتاله ، فلجأ طلحة إلى الحيلة والكرّ والفرّ حتّى تمكّن من قتله ، وأراح الناس من شرّه ، وكانت فترة تسلّط صاحب الزنج أربعة عشر عاماً وأربعة شهور .

كان صاحب الزنج رجلاً قسيّ القلب ذميم الأفعال ، فلم يكن ليعفّ عن سفك دماء المسلمين وأسر نسائهم وأطفالهم ، وقتلهم ونهب أموالهم ، وروي أنّه قتل في واقعة بالبصرة ثلاثمئة ألف نفس ، وكانت فتنته شديدة قاسية على الناس .

إخبار أمير المؤمنين (عليه السلام) عن فتنة الزنج :

وقد كرّر أمير المؤمنين (عليه السلام) ضمن إخباره بالمغيّبات الإشارة إلى صاحب الزنج ، ومعاناة أهل البصرة منه ، وممّا قاله :

« يا أحنف ، كأنّي به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب ، ولا قعقعة لُجُم ، ولا حمحمة خيل ، يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النعام » .

قال السيّد الرضيّ (رضي الله عنه) ، يومىء أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الخطبة إلى صاحب الزنج .

يقول المؤلّف : في أوائل ظهور صاحب الزنج ولجوء الزنوج إلى حمايته ، وعند اتّساع جموعهم لم يكن في جيشه كلّه كما يذكر المؤرّخون أكثر من ثلاثة سيوف ، ولما قصد إلى البصرة بلغ قرية تعرف بالكرخ ، فسارع كبار القرية إلى مقابلته ، وقدّموا له فروض الطاعة ، وصحبهم تلك الليلة راجلاً ، فلمّا كان الصباح أهدوه جواداً كميتاً دون سرج أو لجام ، فكان لا ينقاد إليهم ، فشدّوا له رسناً وركبوه ، كما كمّموا خرطومه بحبل من ليف .

يقول ابن أبي الحديد : هذه القصّة مصداق لقول أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ قال : « كأنّي به قد سار في الجيش الذي له غبار ولا لجب . . . » الخ .

ثمّ قال (عليه السلام) للأحنف :

« ويلٌ لسكككم العامرة ، والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور ، وخراطيمُ

كخراطيم الفيلة ، من أولئك الذين لا يُندَب قتيلهم ، ولا يُفقد غائبهم » .

(والمراد أنّ من قتل منهم لا نـدبه أحـد ، ومن غاب منهم لا يفتقـده أحد ، لأنّهم عبيـد غرباء ، كما فيه إشارة إلى خراب الدور واحتراقها في فتنة الزنج) .

كما ذكر المؤرّخون أنّ صاحب الزنج دخل البصرة يوم الجمعة السابع عشر من شوّال سنة سبع وخمسين ومئتين ، فقتّل أهلها وأحرق المسجد الجامع والدور فيها ، واستمرّ قتل الناس يوم الجمعـة وليلة السبت ونهاره حتّى جرت الـدماء أنهاراً ، ورويت الأزّقـة والأسـواق بـالـدمـاء ، وتحوّلت القصور والحدائق إلى مقابر ، والتهمت النار كلّ ما كـان ممراً لإنسـان أو حيوان ، مـع كـلّ أثاث ومتـاع ، « واتّسع الحـريق من الجبل إلى الجبـل ، وعظم الخـطب ، وعمّهـا القتـل والنهب والإحراق » .

ثمّ إنّهم أعطوا الأمان من القتل العام ، وأعلنـوا أنّ من حضر كان في أمـان ، ولما جمعـوا النـاس ، أعملوا السيف فيهم غـدراً ، وارتفعت من المستشهـدين الأصـوات ، وجـرت عـلى الأرض منهم الدماء ، حتى قتلوا كل من رأوه ، وكانـوا يقتلون الغنيّ بعد أن يـأخذوا أمـواله ، وبعد أن يعذّبوه ليخرج ما لديه، أمّا الفقير فكان يقتل دون انتظار.

وقيل كان الناس يفرّون بأرواحهم فيتوارون في الآبـار المحفورة في القصـور ، فإذا جنّهم الليل خرجوا منها ، ولما فقد الطعام صار الناس يأكلون لحوم الكلاب والفئران والقـطط ، فإذا مـا عـادت الشمس إلى الـظهـور عـادوا إلى الإختفـاء في الآبـار ، وهكـذا حتّى لم يبق حيـوان يـأكلونه ، فـانصرفوا بـاهتمامهم نحـو الإنسان من جنسهم ، فـإذا مات أحـد من الجـوع اتّخـذ الآخرون من لحمه وسيلة للحياة ، ومن قدر منهم على قتل رفيقه وأكله ، لم يتأخّر .

هكذا اشتدّ الأمر على الناس حتّى أنّ امرأة شوهدت تحمل رأساً بين يديهـا وهي تبكي ، ولما سئلت عن السبب أجابت : اجتمعوا حول أختي يرقبون مـوتها ليـأكلوها ، وكـانت لمّا تمت حين قطّعوها قـطعاً تقـاسموهـا فيما بينهم ، ولم يعـطوني منها سـوى الرأس ، وهـذه قسمة غير عادلة !!

يقول المؤلّف : ممّا قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الخطبة الشريفة قوله :

« فـويل لـك يـا بصرة من جيش من نِقم الله ، لا رهـج لـه ولا حسّ ، وسيبتـلى أهلك بالموت الأحمر ، والجوع الأغبر » .

والمراد : القتل والقحط ، وتعتبر هذه الكلمات معجزة كبيرة منه (عليه السلام) .

محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) وعقبه : كان محمّد بن زيد أصغر أبناء

زيد الشهيد ، وأعقب في العراق من الأبناء الكثير ، كنيته أبو جعفر ، كان في غاية الفضل ونهاية النبل ، وقصّة مروءته ونبله معروفة ، وهي القصة التي رواها الداعي الكبير للسادة والعلويّين كي ينهجوا نهجه ويسلكوا سبيله ، وقد أوردنا القصة عند الحديث عن أولاد الإمام الحسن (عليه السلام) ، فيُرجع إليها هناك .

وابنه محمّد بن زيد هو من بايعه الناس في أيّام أبي السرايا سنة تسع وتسعين ومئة بعد وفاة محمّد بن إبراهيم طباطبا ، وقد أُخذ في نهاية الأمر وأُرسل إلى المأمون في مرو ، وكان إذ ذاك في العشرين من عمره ، وقد تعجّب المأمون من حداثة سنّه ، وقال له : كيف رأيت صنع الله في ابن عمّك ؟ فقال :

رأيت أمين الله في العفو والحلم وكان يسيراً عنده أعظم الجرم

ويقال إنه بقي في مرو أربعين يوماً ، ودسّ له المأمون السمّ بعدها ، فلفظ كبده في طست قطعاً قطعاً وهو ينظر إليها ؛ أمّه فاطمة بنت عليّ بن جعفر بن إسحاق بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

وابنه الآخر جعفر بن محمّد بن زيد ، وكان عالماً فقيهاً أديباً شاعراً ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهو مدفون في كلاجرد نيسابور كما جاء في بعض المشجّرات ، ويظهر أنّه والد أحمد السكين ، الذي سيأتي الحديث عنه فيما بعد إن شاء الله .

فضائل ومآثر السيّد الأجلّ عليّ خان الشيرازيّ : ومن أحفاد محمّد بن زيد : السيّد الأجلّ وحيد عصره وفريد دهره صدر الدين عليّ بن نظام الدين أحمد بن الأمير محمّد المعصوم المدنيّ المشهور بالسيّد عليّ خان الشيرازي ، جامع الكمالات والعلوم ، صاحب المؤلّفات النفيسة كـ (شرح الصمديّة) و(شرح الصحيفة) و(السلافة) و(أنوار الربيع) و(سلوة الغريب) وغيرها ؛ كانت وفاته سنة تسع عشرة ومئة بعد الألف في شيراز ، وقبره في شاه چراغ قرب قبر السيّد الأجلّ السيّد ماجد ، وكان آباء السيّد علي خان جميعهم علماء وفضلاء ومحدّثين ، وجاء في كتاب (سلافة العصر من محاسن أعيان العصر) في ترجمة والده نظام الدين أحمد :

« إمام ابن إمام ابن همام هلمّ جرّا إلى أن أجاوز المجرّة مجرّاً لا أقف على حدّ حتّى أنتهي إلى أشوف جدّ ، وكفى شاهداً على هذا المرام قول أحد أجداده الكرام : ليس في نسبنا إلاّ ذو فضل وحلم ، حتّى نقف على باب مدينة العلم » .

ومن جملة آبائه أستاذ البشر والعقل الحادي عشر غياث الدين المنصور الدشتكيّ ، الذي يقول عنه القاضي نور الله في ترجمته في (المجالس) : خاتم الحكماء وغوث العلماء ، الأمير

غياث الدين المنصور الشيرازيّ ، الذي يفاخر أرسطو وأفلاطون ـ بل حكماء الدهر والقرون ، لو كانوا في زمان قبلة أهل الإيمان هذا ـ ويتباهون بانخراطهم في سلك المنتفعين والحاضرين في مجلسه العالي . انتهى .

يقال إنه فرغ من ضبط العلوم في العشرين من عمره ، وكان في الرابعة عشرة من عمره قد رأى نفسه ما يدعوه لمناظرة العلّامة الدوّانيّ ، وفي سنة ست وثلاثين وتسعمئة أيام حكم الشاه طهماسب الصفويّ وصل إلى الصدارة العظمى ولقّب بصدر الممالك ، وفي سنة ثمان وثلاثين وتسعمئة قدم خاتم المجتهدين المحقق الكركي من عراق العرب إلى تبريز ، ورأى من السلطان كلّ الاحترام نحو الأمير غياث الدين المذكور في طريقة المحبّة والمعاملة .

ويقال إن هذين الرجلين الكبيرين اتّفقا على أن يقرأ المحقّق على الأمير كتاب (شرح التجريد) في أسبوع ، وأن يقرأ الأمير كتاب (القواعد) على المحقّق في أسبوع آخر ، وسار الأمر بهما على هذا المنوال حتّى شرع المفسدون في بثّ الكلام الملتوي المغرض ممّا أوقع بينهما ، فاستقال الميرزا من منصب الصدارة وعاد إلى شيراز ؛ وفي سنة ثمان وأربعين وتسعمئة انتقل إلى رحمة الله ودفن إلى جوار مزار والده الكبير .

وللمذكور مصنّفات كثيرة لا موجب لذكرها هنا ، ووالده الماجد سيّد الحكماء والمدقّقين أبو المعالي صدر الدين محمّد بن إبرهيم المعروف بصدر الدين الكبير ، الذي قال القاضي نور الله في ترجمته : كان آباؤه وأجداده الأمجاد جميعهم ـ حتّى الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ـ حَفَظَة للأحاديث ، حَمَلَة للعلوم الشرعيّة . انتهى .

من مآثره مدرسة المنصوريّة الرفيعة في شيراز ، توفّي سنة ثلاث وتسعمئة .

ومن أجدادهم نصير الدين أبو جعفر أحمد السكين ، وكان من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) مقرّباً عنده ، من أجله كتب (عليه السلام) الكتاب المسمّى بالفقه الرضوي بخطّه المبارك ، وذلك الكتاب الشريف هو من جملة كتب السيّد علي خان في مكّة المكرمة كما يقول صاحب (الرياض) ، وقال السيّد صدر الدين محمّد المذكور :

« ثمّ إنّ أحمد السكين جدّي صحب الإمام الرضا (عليه السلام) من لدن كان بالمدينة إلى أن أشخص تلقاء خراسان عشر سنين ، فأخذ منه العلم ، وإجازته عندي ؛ فأحمد يروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وهذا الإسناد أيضاً ممّا أنفرد به لا يشركني فيه أحد ، وقد خصّني الله تعالى بذلك ، والحمد لله » .

الحسين بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) وبعض عقبه

قال الشيخ المفيد (ره) : كان الحسين بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) سيّداً فاضلاً ورعاً ، روى الحديث عن أبيه وعمّته فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) ، وعن أخيه الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر (عليه السلام) .

ويروي أحمد بن عيسى عن أبيه أنّه قال : رأيت الحسين بن عليّ يدعو ، فكنت أقول : لا يضع يده حتّى يستجاب له في الخلق جميعاً .

وعن سعيد صاحب الحسن بن صالح أنّه قال : إنّي لم أر أحداً أخوف من الحسن بن صالح حتّى قدمت المدينة فرأيت الحسين بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، فلم أر أشدّ خوفاً منه ، كأنّما أدخل النار ثمّ أخرج منها .

وروى يحيى بن سليمان بن الحسين عن عمّه إبراهيم بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) أنّه قال :

كان إبراهيم بن هشام المخزوميّ والياً على المدينة ، وكان يجمعنا يوم الجمعة قريباً من المنبر ، ثمّ يقع في عليّ (عليه السلام) ويشتمه ، يقول الحسين : فحضرت يوماً وقد امتلأ ذلك المكان ، فلصقت بالمنبر فاغفيت ، فرأيت (قبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله)) قد انفرج ، وخرج منه رجل عليه ثياب بياض (بيض) فقال لي : يا أبا عبد الله ، ألا يحزنك ما يقول هذا ؟ قلت : بلى والله ، قال : افتح عينيك فانظر ما يصنع الله به ، فإذا هو قد ذكر عليّاً فرمي من فوق المنبر فمات . لعنه الله .

يقول المؤلّف : عرفت ممّا تقدّم أنّه كان للإمام زين العابدين (عليه السلام) ولدان باسم الحسين ، وكان يقال لأحدثهما سنّاً : الحسين الأصغر ، ولا يعلم من أقوال الشيخ المفيد في وصفه للحسين أيّهما أراد ، لكن شيخنا يُرجع في (مستدرك الوسائل) ، كما يرجع آخرون حديثه إلى الحسين الأصغر ؛ وعلى أيّ حال فذلك الحسين الذي كان ذا أولاد وعقب إنّما هو الحسين الأصغر المكنّى بأبي عبد الله ، وكان عفيفاً محدّثاً فاضلاً ، وروى عنه الحديث جماعة منهم عبد الله بن المبارك ، ومحمّد بن عمر الواقديّ الشيعيّ ، توفّي سنة سبع وخمسين ومئة عن أربعة وستّين عاماً ، ودفن بالبقيع .

وكان له أبناء منهم : عبد الله أبو القاسم ، وكان رئيساً جليلاً ؛ ومنهم : الحسن بن الحسين نزيل مكة ، وكان محدّثاً ، وتوفّي في أرض الروم ؛ ومنهم : أبو الحسين عليّ بن الحسين الذي كان من رجالات بني هاشم ؛ ذا فضل ولسان وبيان وسخاء ، ويروى عنه أنّه أُعدّ له الطعام فسمع صوت سائل فقدّم له طعامه ، فأعدّ له طعام غيره ، فسمع صوت سائل آخر

فأعطاه الطعام ، فاضطرّت زوجته أن توقف جارية عند الباب وقت غدائه ، فإذا ظهر لها سائل أعطته شيئاً لتسكته ، حتّى يفرغ عليّ من طعامه .

ومن أبنائه : عبيد الله الأعرج ، الذي سيأتي الحديث عنه ، وسيأتي عند الحديث عن أولاد الصادق (عليه السلام) أنّ فاطمة بنت الحسين كانت زوجه (عليه السلام) ، وأمّاً لإسماعيل وعبد الله ابنيه ، وعلى العموم فأبناء الحسين الأصغر وأحفاده كانوا كثرة في الحجاز والعراق وبلاد العجم والمغرب .

فمنهم : حفيده أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن الحسين المذكور ، المدنيّ نزيل الكوفة الذي ذكره علماء الرجال ، وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين ومئة ، وأخوه القاسم بن عبد الله بن الحسين ، وكان رئيساً فاضلاً ، ذكره أبو الفرج في (مقاتل االطالبيّين) .

ومنهم : عبد الله بن الحسن بن الحسين الأصغر ، المدفون في شوشتر ، الذي يقول عنه القاضي نور الله (في المجالس) إنّه من أكابر ذرّية سيّد المرسلين ، وكان في الفضل والطهارة أشبه بجدّه الإمام زين العابدين (عليه السلام) ولهذا قتلوه بأيديهم ، وذكر أنّ اسمه عبد الله ، وكان لقبه مُنيفش زين العابدين ؛ وقد وضع الأساس لمقامه المستنصر الخليفة العبّاسيّ ، الذي كان أوّل من بنى قبّة الإمام موسى الكاظم والإمام محمّد الجواد (عليهما السلام) ، ثم جاء المتأخّرون من السادة الحسينيّين المرعشيّين الشوشتريّين فزادوا في عمارتها ، وبذلوا المساعي الجميلة في الترويج لزيارة مزار فائض البركات ، الذي هو أشرف بقاع شوشتر وألطفها ، شكر الله سعيهم . انتهى .

كما جاء في (تحفة العالم) أيضاً ما يقرب من هذا ، وفيه أن أيّام الخميس والجمعة عموماً ، واليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان خصوصاً ، وهو يوم وفاة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، هي أيّام يتقاطر فيها الناس لزيارتها ، ويحصل ازدحام عظيم ، ويقولون إن رأسه مدفون في شوشتر .

ومن أحفاده أيضاً : أحمد بن عليّ بن محمّد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر ، المعروف بالعقيقيّ ، والذي كان مقيماً في مكّة المعظّمة ، وقد سمع مرويّات كثيرة من أصحابنا الكوفيّين ، وصنّف كتباً ، وابنه عليّ بن أحمد المعروف بالعقيقيّ صاحب كتب كثيرة ، وكتاب (الرجال) المعاصر للشيخ الصدّوق ، وينقل عنه الشيخ أبو عليّ الكثير في (منتهى المقال) وعلامته فيه (عق) ، وقال إنّه من أجلّة علماء الإماميّة ، وأعظم فقهاء الاثني عشريّة ، صاحب مصنّفات مشهورة ؛ كما ينقل آية الله العلّامة الكثير عن كتابه (الرجال) ، وينقل الشيخ الصدّوق في كتاب (إكمال الدين) حديثاً صريحاً في جلالة شأنه وعلوّ منزلته ؛ وعمّه الحسن بن محمّد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر كان حاكماً لمدينة ساري من جانب

الداعي الكبير ، وذلك في غيابه ، كان يضع ثياباً سوداً هي شعار العبّاسيّين ، ويخطب باسم سلاطين خراسان ، ولمّا قوي شأن الداعي وعاد ، قتلوه .

ومنهم : السيّد الشريف النسّابة سليل الأئمّة القاضي الصابر المدفون في وَنك من قرى طهران ، ونسبه الشريف في الروح والريحان كذلك وهو الآتي : أبو القاسم عليّ بن محمّد بن نصر بن المهديّ بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عيسى بن عليّ بن الحسين الأصغر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ، ونقلاً عن (نهاية الأعقاب) فقد كانت ولادته في القرية نفسها ، وقد امتاز في علم النسب بالكمال ، وكان لكلّ بلد في ماضي الأيّام نسّابة ، وكان هو نسّابة الريّ ، يقصده النسّابون وينتفعون بعلمه .

وذُكر نقلاً عن مجد الدين أحد نسّابي الريّ قوله : وقد رأيته بالريّ وحضرت مجلسه ، وكان يدخل عليّ ويجري بيننا مذاكرة في علم الأنساب في شهور سنة ستّ وعشرين وخمسمئة .

ومنهم : محمّد السليق ، وعليّ المرعش ابنا عبيد الله بن محمّد بن الحسن بن الحسين الأصغر ، وهذا اللقب مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ سلقوكم بألسنة حداد ﴾ .

السادة المرعشيّة : وأمّا عليّ المرعش فيقول القاضي نور الله : يقال له : « حمامة مرعش المحلّقة » ، وقد وصف بالمرعش كناية عن علوّ منزلته ورفعة شأنه ، وقال : إليه ينتسب السادة المرعشيّة ، وهم أربع فرق :

الفرقة الأولى : سادة مازندران ذوو الدرجات الرفيعة ، المشهورون بالتشيّع ، ومنهم الأمير قوام الدين ينتسب إليه سلاطين القواميّة المرعشيّة في مازندران ، وهو مشهور بالأمير الكبير ، ونسبه كما يلي :

السيّد قوام الدين الصادق بن عبد الله بن محمّد بن أبي هاشم بن عليّ بن الحسن بن عليّ المرعش ، انشغل بالإدارة مدّة في خراسان ، ثم قفل عائداً إلى مازندران وطنه الأصلي ، وأصبح سنة ستّين وسبعمئة أميراً على مازندران ، توفّي سنة إحدى وثمانين وسبعمئة ، ودفن في آمل ، ومشهده مزار ساطع الأنوار ، حظي مقامه بالاهتمام الكلّيّ في عهد الصفويّين ، ورفعت فوقه قبّة عظيمة ، أنجب أبناء ذوي مقامات رفيعة ، منهم السيّد رضيّ الدين والي آمل ، والسيّد فخر الدين الرئيس البطل ، والسيّد كمال الدين حاكم ساري .

الفرقة الثانية : سادة شوشتر الذين قدموا إليها من مازندران ، وجعلوا يروّجون لمذهب الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، ومن أكابر متأخّريهم الصدر عالي المقدار الأمير شمس الدين الشهير بـ : شاهمير ، أبو منشرح الصدر الأمير السيد شريف .

الفرقة الثالثة : مرعشيّة إصفهان الذين قدموا إليها أيضاً من مازندارن .

الفرقة الرابعة : مرعشيّة قزوين الذين عبروا العصور في تلك الديار منذ القدم ، وتولّى بعضهم نقابة عتبات الحسين (عليه السلام) .

أمّا أولاد عليّ المرعش فمنهم : السيّد الفاضل الفقيه العارف الزاهد الورع الأديب أبو محمّد الحسن بن الحمزة بن عليّ المرعش ، من أجلّاء فقهاء الطائفة الشيعيّة ، ومن علماء الإماميّة في المئة الرابعة ، وكان في طبرستان ؛ وقد ذكره الشيخ النجاشيّ والطوسيّ والعلّامة وسائر أرباب الرجال رضوان الله عليهم ، وأثنوا عليه ثناء بالغاً ، وأوردوا أسماء مصنّفاته ، يروي عنه التّلْعُكْبَري شيخ النجاشيّ ، وقال : هو المعروف بالمرعشيّ ، من كبار هذه الطائفة وفقهائها ؛ قدم بغداد والتقى به شيوخنا ، توفّي سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة ، وثقة السيّد بحر العلوم وقال : « وقد صحّ بما قلناه أنّ حديث الحسن صحيح » ، وذكر ابن شهر اشوب في كتاب (معالم العلماء) من مصنّفاته كتاب (الغيبة) .

يقول المؤلّف : نُقل عن كتاب (الغيبة) هذه الحكاية التي تقول : تحدّث إلينا رجل صالح من أصحابنا الإماميّة قال :

خرجت إلى الحجّ في إحدى السنين ، وكان الحرّ في تلك السنة على أشدّه . ورياح السموم تهبّ بكثرة ، فانقطعت عن القافلة وفقدت طريقي ، وسقطت على الأرض من شدّة العطش . وأشرفت على الموت ، فإذا بي أسمع صهيل جواد ورأيت شابّاً حسن الوجه طيّب الرائحة على فرس شهباء ، فسقاني ماء أبرد من الثلج وأحلى من العسل ، وأنقذني من الهلاك .

فقلت له : أيّها السيّد ، من أنت ؟ قال : أنا حجّة الله على عباده ، وبقيّة الله في أرضه ، أنا من سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ، أنا ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) .

ثمّ قال لي : أغلق عينيك ، فأغلقتهما ، قال : افتحهما ، ففتحتهما ، فرأيته في مقدّم القافلة ، ثم غاب عن ناظريّ صلوات الله عليه .

يقول المؤلّف : سيأتي عند الحديث عن أحوال الصادق (عليه السلام) خبر يناسب هذه الحكاية إن شاء الله ، واعلم أنّه ينتهي إلى عليّ المرعش النسب الشريف للسيّد الشهيد والعالم الفاضل الجليل القاضي نور الله بن شريف الدين الحسيني المرعشي صاحب (مجالس المؤمنين) و(إحقاق الحقّ) و(الصوارم المهرقة) وغيرها ، وكان معاصراً لشيخنا البهائيّ ، وكان قاضي القضاة في أكبر آباد في الهند ، وكان يلجأ إلى التقيّة بين أهل السنّة ، فإذا قضى أو أصدر حكماً فعلى مذهب الإماميّة ، لكنّه يجعل حكمه مطابقاً لفتوى أحد أئمّة السنّة ، وذلك لكثرة اطّلاعه

ومهارته في فقه الشيعة والسنّة ، وإحاطته بكتبها وتصانيفها ، وقد قتله أهل السنّة بسبب تأليفه لكتاب (إحقاق الحقّ) ، ومرقده الشريف في أكبر آباد مزار مشهور ، وقد ألّف ما يقرب من تسعين مجلّداً ، في أغلب العلوم ، منها : (مصائب النواصب) في الردّ على الميرزا مخدوم الشريفيّ ، وقد كتبه في مدة سبعة عشر يوماً ، وكان والده أيضاً من أهل العلم والحديث .

ومن السادة المرعشيّة أيضاً السيّد المحقّق العلاّمة خليفة السلطان الحسين بن محمّد بن محمود الحسينيّ الآمليّ الإصفهانيّ ، الملقّب بسلطان العلماء ، صاحب المصنّفات والحواشي الدقيقة الموجزة المفيدة ، فوّضت إليه أيّام الشاه عبّاس الوزارة والصدارة في أوّل الأمر ، وظهرت مكانته ومرتبته عند السلطان فاتّخذ منه صهراً له ؛ يقول صاحب تاريخ عالم الآراء في تاريخ وزارته : هذا المصرع من بيت شعريّ : « وزير الشاه أضحى صهر سلطانه . . » توفّي سنة أربع وستين وألف في أشرف من أعمال مازندران ، وحمل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن هناك .

ومن السادة المرعشيّة أيضاً السيّد السند والركن المعتمد العالم الفاضل الجليل ، والفقيه المحقّق الذي ليس له بديل ، المحدّث الماهر والسحاب الماطر والبحر الزاخر الميرزا محمّد حسين الشهر ستانيّ الحائريّ ، صاحب المؤلّفات الفائقة والتصنيفات الرائقة .

كانت ولادته بعد ألف سنة وشهرين من ولادة الحجّة صلوات الله عليه وآله ، من أمّه كريمة قدوة العلماء أحمد بن محمّد علي كرمانشاهي ، ابن الأستاذ الأكبر المحقّق البهبهانيّ رضي الله عنهم ، وكان تحصيله الأساس على يد العلاّمة الثاني سميّه المرحوم الفاضل الأردكانيّ ، ويقول نفسه في كتاب (الموائد) في ترجمة محمّد إبراهيم بن أحمد : هو خال الحقير ، الأخ الشقيق للوالدة ، والأخ من الرضاعة لصاحب (الفصول) ، وعند مولدي في كرما نشاهان كان الوالد في سفر ، فكتب إليه الخال المذكور يقول : « إن الله أعطاك مولداً يتفاخر عليك ويقول : أنا الحسين ، وأبي عليّ ، وأمّي فاطمة ، وجدّي أحمد ، وخالي إبراهيم » ، وأكمل أنا الحقير فأقول : وأخي الحسن وولداي : عليّ وزين العابدين ، وابنتاي : سكينة وفاطمة . انتهى .

عبيد الله بن الحسين الأصغر بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) وعقبه : عبيد الله بن الحسين الأصغر كنيته أبو عليّ ، وأمّه أمّ خالد أو خالدة ابنة الحمزة بن مصعب بن الزبير بن العوّام ، ويقال له الأعرج لقصر في إحدى رجليه ؛ لّما قدم على أبي العبّاس السفّاح أقطعه ضيعة من ضياع المدائن التي تدرّ دخلاً سنويّاً قدره ثمانون ألف دينار ، وتخلّف عبيد الله عن بيعة محمّد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكيّة ، ولذا فقد أقسم محمّد أن يقتله إذا رآه فلمّا أتوه

به أغلق محمّد عينيه كي لا يحنث بيمينه ، ذلك أنّه في حال تلاقت أعينهما فعليه بحكم يمينه ان يقتله .

ورد عبيد الله على أبي مسلم في خراسان فأكرم وفادته وأجرى به رزقاً واسعاً وفيراً ، كما عظّمه أهل خراسان ، توفّي عبيد الله في ضيعة له في ذي إمران أو ذي أمان ، وعقبه من أربعة أبناء هم : عليّ الصالح ، وجعفر الحجّة ، ومحمّد الجوّانيّ ، والحمزة المختلس .

وذكر القاضي نور الله في (المجالس) ما حاصله أنّ أبا الحسن عليّ بن عبيد الله الأعرج كان كبير الشأن عظيم القدر ، تعتمد عليه رئاسة العراق ، وكان مستجاب الدعوة ، أعبد آل أبي طالب في زمانه ، من أخصّ أصحاب الإمامين الكاظم والرضا (عليهما السلام) ، وكان الرضا (عليه السلام) : يسمّيه : الزوج الصالح ، وورد خراسان بصحبته (عليه السلام) في آخر الأمر ، ولمّا أراد محمّد بن إبراهيم طباطبا أخذ البيعة منه بشأن ولاية أبي السرايا رفض .

ويروى في رجال الكشيّ عن سليمان بن جعفر أنّه قال :

قال لي عليّ بن عبيد الله : أشتهي أن أدخل على أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أسلّم عليه ، قلت : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : الإجلال والهيبة له .

قال : فاعتلّ أبو الحسن (عليه السلام) علّة خفيفة وقد عاده الناس ، فلقيت عليّ بن عبيد الله فقلت : قد جاءك ما تريد ، فإن أردت الدخول عليه فاليوم ، فجاء إلى أبي الحسن (عليه السلام) عائداً ، فلقيه بكلّ ما يحبّ من المنزلة والتعظيم ، ففرح بذلك عليّ بن عبيد الله فرحاً شديداً .

ثمّ مرض عليّ بن عبيد الله ، فعاده أبو الحسن (عليه السلام) وأنا معه ، فجلس حتّى خرج من كان في البيت ، فلمّا خرجنا أخبرتني مولاة لنا أنّ أمّ سلمة امرأة عليّ بن عبيد الله كانت من وراء الستر تنظر إليه ، فلمّا خرج خرجَتْ وانكبّت على الموضع الذي كان أبو الحسن فيه جالساً تقبّله وتتمسّح به .

قال سليمان : فخبّرت به أبا الحسن (عليه السلام) فقال :

« يا سليمان إنّ عليّ بن عبيد الله وامرأته وولده من أهل الجنّة ، يا سليمان ، إن ولد عليّ وفاطمة (عليهما السلام) إذ عرّفهم الله هذا الأمر لم يكونوا كالناس » .

كان لعليّ الصالح أولاد وعقب ، وكانت رئاسة العراق في ولده ، ومن أحفاده الشيخ شرف النسّابة أبو الحسن محمّد بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن إبراهيم بن عليّ الصالح الذي كان شيخ السيّدين الرضيّ والمرتضى ؛ وحكي أنّه بلغ تسعاً وتسعين سنة وهو صحيح الأعضاء .

وأمّا جعفر الحجّة بن عبيد الله الأصغر فكان سيّداً شريفاً عفيفاً ، عظيم الشأن ، جليل القدر ، عالي الهمّة ، رفيع المرتبة ، فصيح اللسان ، يقولون إنّه كان في الفصاحة والبراعة أشبه بزيد بن عليّ (عليه السلام) ، ويدعوه الزيديّة بحجّة الله ، وقال جماعة بإمامته .

سجنه أبو البختري وهب بن وهب عامل هارون الرشيد على المدينة ، وبقي في سجنه ثمانية عشر شهراً حتّى توفّي ، كان قائم الليل صائم النهار ، لا يفطر إلاّ في العيدين ، وكانت الرئاسة والإمارة في المدينة متّصلة في ولده حتّى سنة ثمان وثمانين وألف ، بل أبعد من ذلك ؛ كان له عدّة أبناء أحدهم أبو عبد الله الحسين ، وقد سافر إلى بلخ وأنجب هناك أولاداً ، ومن أبنائه أبو القاسم عليّ بودلة بن محمّد الزاهد ، وكان سيّداً جليل القدر عظيم الشأن ، عالماً فاضلاً كاملاً صالحاً عابداً رفيع المنزلة ، وقد ذكر السيّد الضامن في (التحفة) ترجمة له ولأولاده ؛ ومن أبنائه أبو محمّد الحسن ، ومن أولاده نجم الملّة والحقّ والدين السيّد مهنّا قاضي المدينة .

السيّد مهنّا بن سنان والنسب الطاهر لجدّه : هو السيّد مهنّا بن سنان بن عبد الوهّاب ، وكان كلّ من هؤلاء قاضياً للمدينة في عصره ، فابن أبي عمارة مهنّا الأكبر ، ابن أبي هاشم داود ، ابن الأمير شمس الدين أبي أحمد القاسم ، ابن الأمير عليّ بن عبيد الله الذي كانت له الإمارة والرئاسة في المدينة في العقيق ، وابن أبي الحسن الطاهر ، الذي يقال له العالم الفاضل الكامل ، جامع الورع ، الزاهد الصالح العابد ، التقيّ النقيّ ، الميمون ، جليل القدر عظيم الشأن ، رفيع المنزلة ، عالي الهمّة ؛ حتى أنّ أبناء أخيه يُدعون بأبناء أخي الطاهر ، ومنهم الشريف أبو محمّد الحسن بن محمّد يحيى النسّابة الذي يروي عنه الشيخ التَّلْعُكْبَرِيّ ، وتوفّي سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة ، ودفن في منزله في بغداد في سوق العطش ، وهو اسم محلّة ، أدركه الشيخ المفيد رحمه الله في أوائل شبابه ، وأخذ عنه ، وسترد عند ذكر أولاد الكاظم (عليه السلام) في أحوال أحمد بن موسى (عليه السلام) رواية عن الشيخ المفيد عن الشريف المذكور .

وذكر السيّد الضامن بن شدقم أنّه كانت بين أبي الحسن الطاهر وبين أحد أهل خراسان محبّة ومودّة ، وكان الخراسانيّ يقدم إلى الحجّ كلّ سنة ، فإذا انتهى إلى المدينة المشرّفة قام بزيارة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأئمّة الهدى عليهم الصلاة السلام ، ثم يأتي لزيارة السيّد المشرّف ويقدّم له مئتي دينار ، واستمرّ الأمر بهما على ذلك حتّى قال بعض المعاندين للخراسانيّ : إنّك تضيع مالك وتصرفه في غير محلّه ، لأنّ هذا السيّد ينفقه في غير طاعة الله ورسوله ، فقطع ذلك الخراسانيّ صلته تلك لمدّة ثلاث سنين ، الأمر الذي أحزن السيّد الكبير .

وذات ليلة رأى السيّد جدّه في نومه ، فقال له : لا تحزن ، فقد أمرت الخراسانيّ بأن يؤدّي لك ما كان يدفعه سنويّاً ، وأن يعوّض لك ما فاتك ؛ كما أنّ الخراسانيّ رأى في نومه أيضاً رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال له : يا فلان ، قبلت كلام الأعداء في حقّ ولدي الطاهر ، فلا تقطع صلته ، وعوّض عليه ما فاته .

استيقظ الرجل من نومه ، وتوجّه نحو مكّة المشرّفة وهو فرح مستبشر ، ومنها قدم إلى زيارة السيّد في المدينة ، فانكبّ على يديه وقدميه يقبّلها ، وقدّم إليه ستّمئة دينار مع بعض الهدايا .

قال السيّد : هل رأيت جدّي رسول الله في منامك فأمرك بهذا ؟ قال : أجل ، فأخبره السيّد بمنامه هو ، فقام الخراسانيّ إليه يقبّل يديه ورجليه مرّة ثانية ، ويعتذر إليه .

وذلك السيّد هو ابن العالم الفاضل العارف الورع الزاهد أبي الحسن يحيى النسّابة ، أوّل من جمع كتاباً في نسب آل أبي طالب ، وكان رحمه الله عارفاً بأصول العرب وفروعها ، حافظاً لأنسابها ، ووقائع الحرمين وأخبارها .

كانت ولادته في عقيق المدينة في المحرّم من سنة أربع عشرة ومئتين ، ووفاته في مكّة سنة سبع وسبعين ومئتين ، ودفن قرب قبر خديجة الكبرى (رضي الله عنها) ؛ وهو ابن أبي محمّد الحسن بن أبي الحسن جعفر الحجّة ، ابن عبيد الله الحسين الأصغر ابن الإمام زين العابدين (عليه السلام) .

أقوال العلّامة الحلّيّ (ره) فيه : ومجمل القول : فإن السيّد مهنّا المذكور كان علّامة فقيهاً نبيهاً محقّقاً مدقّقاً ، جامعاً للفضائل والكمالات ، في الغاية من جلالة القدر وعظمة الشأن ، وهو صاحب (المسائل المدنيّات) ، وتلك مسائل سأل عنها آية الله العلّامة الحلّيّ رحمه الله ، وأجابه العلّامة عنها ، واصفاً إيّاه بكلّ جليل من الصفات ، وجاء في واحد من أجوبة المسائل قول العلّامة فيه :

« السيّد الكبير ، النقيب الحسيب المرتضى ، مفخر السادة وزين السيادة ، معدن المجد والفخار ، والحِكَم والآثار ، الجامع للقسط الأوفى من فضائل الأخلاق ، والسهم المعلّى من طيب الأعراق ، مزيّن ديوان القضاء بإظهار الحقّ على الحجّة البيضاء عند ترافع الخصماء ، نجم الملّة والحقّ والدين مهنّا بن سنان الحسينيّ القاطن بمدينة جدّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، الساكن مهبط وحي الله ، سيّد القضاة والحكّام بين الخاصّ والعامّ ، شرّف أصغر خدمه وأقلّ خدّامه برسائل في ضمنها مسائل . . » إلى غير ذلك .

يروي السيّد مهنّا المذكور عن العلّامة وفخر المحقّقين ، وأجاز الشيخ الشهيد رحمه الله ؛

وينقل السيّد عليّ السمهوديّ حكاية عن جلالته شبيهة بحكاية جدّه السيّد أبي الحسن الطاهر ، وقد نقلها شيخنا في (خاتمة المستدرك) ، وقال السيّد الضامن ابن شدقم المدني في (التحفة) عند الحديث عن السيّد مهنّا بن سنان : ذكر والدي عليّ بن الحسين في (شجرة الأنساب) اتّصال نسب السادة البدلاء ، وهم في القرب من كاشان من بلاد العجم ، بسنان القاضي ، وهم يعرفون هناك بالوحا حدة . انتهى .

وقال الحمويّ في (المعجم) : يُنسب محمّد بن جعفر بن عبد الله بن الحسن الأصغر المعروف بالعقيقيّ إلى عقيق المدينة ، وقد أعقب ، وكانت الرئاسة في أولاده ، ومنهم : أحمد بن الحسين بن أحمد بن عليّ بن محمّد العقيقي أبي القاسم ، وكان من وجوه الأشراف ، توفّي في دمشق سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة ، ودفن في الباب الصغير . انتهى .

السيّد مجد الدين أبو الفوارس وابنه عميد الدين : ومن أولاد أبي محمّد الحسن بن جعفر الحجّة أيضاً : السيّد مجد الدين أبو الفوارس محمّد بن أبي الحسن فخر الدين عليّ ، العالم الفاضل ، الأديب الشاعر النسّابة ، ابن محمّد بن أحمد بن عليّ الأعرج بن سالم بن بركات بن أبي العزّ محمّد بن أبي منصور الحسن نقيب الحائر ، بن أبي الحسن عليّ بن الحسن بن محمّد المعمّر ، ابن أحمد الزائر ، ابن عليّ بن يحيى النسّابة ، ابن الحسن بن جعفر الحجّة .

ومجمل القول : فإن السيّد مجد الدين أبا الفوارس كان عالماً جليل القدر ، وقد أثنى عليه صاحب (تحفة الأزهار) ثناء بليغاً وقال : اسمه مرقوم في حائر الإمام الحسين (عليه السلام) وقد مساجد الحلّة ، ويقال لأولاده : بنو الفوارس ، وهو أبو السيّد العالم الجليل المحقّق المدقّق عميد الدين عبد المطلّب بن محمّد ، الذي كان جليل القدر رفيع المنزلة ، ومن مشايخ الشيخ الشهيد ، ووالدته ابنة الشيخ سديد الدين والد العلاّمة .

يقول الشيخ الشهيد فيه في إجازة ابن بجدة :

« عن عدّة من أصحابنا منهم المولى السيّد الإمام المرتضى ، والدين أبو عبد الله عبد المطّلب بن الأعرج الحسيني ، طيّب الله ثراه ، وجعل الجنّة مثواه » .

مصنّفاته مشهورة ، وأكثرها تعليقات وشروح على جملة من كتب خاله العلاّمة ، كـ (منية اللبيب) و(شرح تهذيب الأصول) و(كنز الفوائد في حلّ مشكلات القواعد) و(تبصرة الطالبين في شرح نهج المسترشدين) و(شرح مبادي الأصول) إلى غير ذلك .

كانت ولادته في النصف من شعبان سنة إحدى وثمانين وستّمئة ، في الحلّة ، وكانت وفاته ليلة العاشر من شعبان سنة ست وخمسين وسبعمئة ، ونقل عن مجموعة الشيخ الشهيد قوله : إنّه توفّي في بغداد ، وحملت جنازته إلى المشهد المقدّس لأمير المؤمنين (عليه السلام) ،

بعد أن صُلِّيَ عليه بالحلّة في يوم الثلاثاء بقام أمير المؤمنين (عليه السلام) .

يروي عن أبيه وجدّه وخاليه العلاّمة ورضيّ الدين عليّ بن يوسف أخي العلاّمة ، وغيرهم ، وابنه السيّد جمال الدين محمّد بن عبد المطّلب عالم جليل عالي الهمّة ، رفيع القدر والمنزلة ، قتل ظلماً وجوراً في مشهد غرومي .

وجاء في (تحفة الأزهار) أنّه أحرق ظلماً وعدواناً في النجف الأشرف ، وكان أخوا عميد الدين : الفاضل العلاّمة نظام الدين عبد الحميد ، والفاضل العلاّمة ضياء الدين عبد الله وأولاده من الفقهاء والعلماء ، وأشير إليهم في (عمدة الطالب) .

محمّد الجوّاني وولده عليّ : وأمّا محمّد الجوّانيّ بن عبد الله الأعرج فيُنسب إلى الجوّانيّة ، وهي قرية قرب المدينة التي يُنسب إليها العلويّون بنو الجوّانيّ ، ومنهم : أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن محمّد بن الحسن بن محمّد الجوّانيّ ، ابن عبيد الله الأعرج ، الذي ذكره علماء الرجال ووثّقوه ، قالوا : كان ثقة وصحيح الحديث ، خرج مع الإمام الرضا (عليه السلام) إلى خراسان .

لكنّي أنا الأحقر أرى في خروجه إلى خراسان مع الإمام الرضا (عليه السلام) قدراً من التأمّل ، ذلك أنّه بقي بعد الإمام (عليه السلام) ما يزيد عن مئة عام ، بدليل أنّ أبا الفرج الإصفهانيّ الذي توفّي سنة ست وخمسين وثلاثمئة ، سمع منه ،وعنه ينقل كتبه ، والشيخ التَّلُعُكْبَري الذي توفّي سنة خمس وثمانين وثلاثمئة أجيز من قِبل ابنه أبي العبّاس أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن الجوّانيّ ، وعنه يروي ، ومنه سمع دعاء الحريق ؛ لذا كثيراً أن يكون عليّ بن إبراهيم المذكور قد رافق الإمام الرضا (عليه السلام) إلى خراسان سنة مئتين من الهجرة ، وما أراه هو أنّ محمّد الجوّانيّ الذي هو جدّ جدّ عليّ هو الذي رافق الإمام الرضا (عليه السلام) إلى خراسان ، لأنّ اسم الجوّانيّ لم يرفع من الرواية ، والخبر هو :

« عن أبي جعفر محمّد بن عيسى قال : كان الجوّانيّ خرج مع أبي الحسن (عليه السلام) إلى خراسان، وكان من قرابته».

والمراد بالجوّانيّ محمّد بن عبيد الله الأعرج ، أما ما يراد من أنّه عليّ بن إبراهيم فهو اشتباه على الظاهر ، ذلك لأنّ ولادة عليّ المذكور كانت في المدينة ، ونشأ ونما في الكوفة ، وتوفّيّ فيها ، وإن كان يقال له الجوّانيّ ذلك تبعاً لجدّه ، والله هو العالم .

ويحتمل أنّه كان له ولد باسم عليّ وهو الذي رافق الإمام (عليه السلام) ، كما أنّ الفاضل النسّابة السيّد ضامن بن شدقم قال في (تحفة الأزهار) في أحوال أبي الحسن عليّ بن محمّد الجوّانيّ بن عبيد الله الأعرج :

هو سيّد جليل القدر ، وعظيم الشأن ، ورفيع المنزلة ، حسن الشمائل ، جمّ الفضائل ، تقيّ نقيّ مبارك ، رافق الإمام الرضا (عليه السلام) في طريق خراسان ، وروى عنه الحديث ، وكان كثير العبادة ، صائماً نهاره ، قائماً بالعبادة ليله ، يقرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، ألف مرّة في اليوم ، وبعد موته رآه أحد أبنائه في نومه ، فسأله عن حاله فقال : مَقامي في الجنة بسبب تلاوتي لسورة الإخلاص ، له مصنّفات عديدة جليلة في أكثر العلوم . انتهى .

ومن أولاد محمّد الجوّانيّ أيضاً أبو عبد الله محمّد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن محمّد الجوّانيّ ، ابن عبيد الله الأعرج الذي ذكر النجاشيّ أنه سكن طبرستان ، وكان فقيهاً ، سمع الحديث ، ومن مصنّفاته كتاب (ثواب الأعمال) .

وأمّا الحمزة المختلس ابن عبيد الله الأعرج فعقبه قليل ، ومن عقبه الحسين بن الحسين بن محمّد بن الحمزة المختلس المعروف بالحَرون ، والذي خرج بالكوفة سنة إحدى وخمسين ومئتين بعد أيّام يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، الذي مرّ ذكره ؛ وبعث المستعين بالمزاحم بن خاقان على رأس جيش كبير لحربه ، فلما اقترب العبّاسيّون من الكوفة غادرها الحسين من طريق آخر ، وقدم سامرّاء فبايع المعتزّ بالله ، وكان ذلك حين كان المستعين بالله في بغداد ، وكان أهل سامّراء قد بايعوا المعتزّ بالله .

ومضت على الحسين مدّة على هذا المنوال ، فعزم على الخروج ثانية فأُخذ وحُبس ، وبقي في محبسه حتّى سنة ثمان وستّين ومئتين حيث أطلقه المعتمد ، لكنّه خرج ثانية في الكوفة ، وفي سنة تسع وستّين ومئتين أُخذ وحُمل إلى الموفّق الذي أمر به فحبس في واسط ، ولم يلبث بعد مدّة أن توفّي في محبسه .

عليّ الأصغر بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) وولده الحسن الأفطس وأولاده

عليّ بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) هو أصغر أبنائه ، كان ذا شرف وقدر ، وقيل إنّ له آثاراً من الفضائل والمناقب ، وقد سمّاه الإمام زين العابدين (عليه السلام) باسم أخيه عليّ (الأكبر) ابن الحسين (عليه السلام) ، وأعقب من الأبناء الكثير .

يقول صاحب (عمدة الطالب) : عليّ الأصغر يكنّى بأبي الحسن ، ولابنه الحسن الأفطس أعقاب ، قال أبو نصر البخاري : خرج الأفطس مع محمّد بن عبد الله بن الحسن النفس الزكيّة ، وهو يحمل راية بيضاء ، وكان رجلاً مجرَّباً ، لم يخرج مع النفس الزكيّة مَن يماثله

شجاعة وصبراً ، وكان يقال له : رمح آل أبي طالب ، لطول قامته .

وقال أبو الحسن العمريّ : كان الأفطس صاحب راية النفس الزكيّة الصفراء ، فلمّا قتل النفس الزكيّة اختفى الحسن الأفطس ، ولمّا قدم الإمام الصادق (عليه السلام) إلى العراق ورأى أبا جعفر المنصور قال له : يا أمير المؤمنين ، هلاّ أحسنت لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، قال : بلى يا أبا عبد الله ، قال : فاعف عن ابن عمّه الحسن بن عليّ بن عليّ ، يعني الأفطس ، فعفا عنه .

وروي عن سالمة مولاة أبي عبد الله (عليه السلام) قالت : اعتلّ أبو عبد الله فخاف على نفسه ، فدعا موسى ابنه (عليه السلام) فقال : أعط الحسن بن عليّ بن عليّ بن الحسين ـ وهو الأفطس ـ سبعين ديناراً ، وأعط فلاناً كذا وفلاناً كذا .

تقول سالمة : دنوت منه فقلت : أتعطي رجلاً كمن لك يريد أن يقتلك ؟ ! قال : يا سالمة ، تريد أن لا أكون من الذين قال الله عزّ وجلّ :

﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربّهم ، ويخافون سوء الحساب ﴾ ؟

أنجب الحسن الأفطس أولاداً كثراً ، وعقبه من خمسة : عليّ الحوري ، وعمر ، والحسين ، والحسن المكفوف ، وعبيد الله قتيل البرامكة .

أمّا عليّ الحوريّ[1] بن الأفطس بن عليّ الأصغر بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) فأمّه أمّ ولد واسمها عبّادة ، وكان عليّ شاعراً فصيحاً ، وهو الذي تزوّج من ابنة عمر العثمانيّة ، التي كانت قبله تحت المهديّ العبّاسيّ ، وقد استعظم موسى الهادي ذلك وأمره بطلاقها ، لكنّ عليّاً رفض وقال : لم يكن المهديّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى تحرم نساؤه على غيره بعده ، ولم يكن أكثر منّي شرفاً ؛ فغضب موسى الهادي من كلامه وأخر بضربه حتّى أغمي عليه ، وقتل عليّ هذا بأمر من هارون الرشيد .

السيّد رضيّ الدين محمّد الآوي أحد أعقاب الحوريّ : كان من عقب عليّ الحوريّ السيّد الجليل العابد النبيل رضيّ الدين محمّد الآوي النقيب ، ابن فخر الدين محمّد بن رضيّ الدين محمّد بن زيد بن الداعي زيد بن عليّ بن الحسين بن الحسن بن أبي الحسن عليّ بن أبي محمّد الحسن النقيب الرئيس ، ابن عليّ بن محمّد علي الحوريّ بن الحسن بن عليّ الأصغر بن الإمام زين العابدين (عليه السلام) .

---

(١) الحوريّ : نسبة إلى الحَوْرة ، وهي قرية في أطراف الفرات (المصحّح) .

وهـذا السيّد الجليـل صاحب مقـامات عـالية وكـرامات بـاهـرة ، وهـو عـديـل السيّـد رضي الـدين ابن طاوس وصـديقه ، وكثيـراً ما يـدعـوه السيّـد ابن طـاوس في كتبـه بـ « أخي الصالح » كما يتحدّث في رسالة (المواسعة والمضـايقة) إذ يقـول : توجّهت مـع أخي الصالـح محمّد بن محمّد بن محمّد القاضي الآوي ـ ضـاعف الله سعادتـه ، وشرّف خاتمتـه ـ من الحلّة إلى مشهـد مولاي حضرة أمير المؤمنين صلوات الله عليـه ، ثمّ بـيّن أنّـه وقعت لـه في هـذا السفـر مكاشفات جميلة وبشارات جليلة .

يقـول المؤلّف : لهذا السيّـد الكبير قصّـة تتعلّق بدعـاء العبرات الـذي أشار إليـه السيّد ابن طاوس في (مهج الدعوات) والعلاّمة في (منهاج الصلاح) ، والقصّة هي الآتية :

روى فخر المحقّقين عن والده العلاّمة عن جدّه الشيخ سديـد الدين عن السيّـد المذكـور أنّه كان سجيناً عند أمـير من أمراء السلطان جـرماغـون، وطال حبسـه، وكان في غـاية الضيق والقسوة ، فرأى في منامه الخلف الصالح المنتـظر صلوات الله عليه فبكى وقـال : يا مـولاي ، اشفـع في خلاصي من هؤلاء الـظَلَمة ، فقـال (عليه السـلام) : اقـرأ دعـاء العـبرات ، قـال السيّـد : وأيّها دعـاء العبرات ؟ قـال : ذلك الـدعـاء في مصبـاحـك ، قـال السيّـد : ليس في مصباحي دعاء ، قال : انظر إلى المصباح فستجد الدعاء فيه .

استيقظ السيّد من نومه ، فصلّى الصبح ، والتفت نحو المصباح فإذا به يجد بـين الأوراق ورقة كتب فيها هذا الدعاء ، فقرأه أربعين مرّة .

وكان لذلـك الأمير امـرأتان ، وكـانت إحداهمـا عاقلة مـدبّرة ، والأمـير يعتمد عليهـا ، فجاءها في ليلتها فقالت له : هل أخذت أحد أبناء أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟ قال الأمير : ولماذا تسألـين عن هذا الأمـر ؟ قـالت : رأيت في نـومي شخصـاً كـأنّ نـور الشمس يشرق في وجهه ، فأخذ حلقي بين إصبعيه ثمّ قال : أرى أنّ زوجك قد أخذ أحد أبنـائي ، وضيّق عليه في الطعام والشراب ؛ فقلت له ؛ من أنت أيّها السيّـد ؟ قال : أنـا عليّ بن أبي طـالب ، فقولي له : إن لم يطلقه فلا بدّ أن أحيل بيته خراباً .

وانتشرت قصّـة هذا المنـام حتّى بلغت مسامـع السلطان فقال : لا علم لي بهـذا الأمر ، فاستفسر من حاجبه وقال : من هو الذي محبوس عندك ؟ قـال : شيخ علويّ أمـرت بأخـذه ، قال : أطلقوه ، وأعطوه جواداً يركبه ، ودلّوه على الطريق ليعود إلى بيته . انتهى .

وإلى هذا السيّد الجليل ينتهي سند إحدى طرق الاستخـارة بالسبحـة ، وهو يـروي عن صاحب الأمر صلوات الله عليه كما يذكر الشيـخ الشهيد في (الـذكرى) ، والـظاهر أنّ السيّد تلقىّ تلك الاستخارة عن حضرة الحجّة عجّل الله فرجه مشافهةً دون واسطة ، وهـذه في الغيبة

الكبرى منقبة عظيمة لا يحوم حولها فضيلة .

وقد نُقلت كيفيّة تلك الاستخارة في كتاب (الباقيات الصالحات) في حاشية (المفاتيح) ، فيرجع إليها هناك .

ويروي هذا السيّد الجليل عن أخيه في الروح السيّد ابن طاووس ، وعن أبيه عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، الداعي بن زيد الذي هو أبوه الرابع ، عن السيّد المرتضى والشيخ الطوسيّ والسلّار وغيرهم ؛ وتوفّي لأربع مضين من صفر سنة أربع وخمسين وستّمئة .

والآويّ :[١] نسبة إلى آوه ، على وزن ساوة ، من توابع قمّ ، ورويت عنه فضائل كثيرة أورد جملة منها القاضي نور الله في (مجالس المؤمنين) .

واعلم أنّ من أعمام السيّد الرضيّ المذكور : السيّد الجليل الشهيد تاج الدين أبو الفضل محمّد بن مجد الدين الحسين بن عليّ بن زيد بن الداعي ، ويجدر بنا الإشارة باختصار إلى شهادته .

شهادة أبي الفضل تاج الدين محمّد الحسيني : قال صاحب (عمدة الطالب) : كان هذا السيّد الجليل في بداية الأمر واعظاً ، يسدي النصائح والمواعظ لبني عصره ، فدعاه السلطان أولغايتو محمّد إليه واختصّه لنفسه ، وعهد إليه بنقابة نقباء العراق والريّ وخراسان وفارس ، وسائر الممالك التابعة له .

وكان رشيد الدين الطبيب ، الوزير عند السلطان يكنّ العداوة والبغض لتاج الدين ، وسبب ذلك أنّ مشهد ذي الكفل النبيّ (عليه السلام) القائم في قرية بين الحلّة والكوفة ، كان يزوره اليهود ويحملون النذور إليه ، فأمر السيّد تاج الدين بمنع اليهود من القدوم إلى تلك القرية ، ومع صباح تلك الليلة تمّ نصب منبر هناك ، وصارت تقام فيه صلوات الجمعة والجماعة .

امتلأ قلب رشيد الدين بالحقد على تاج الدين لذلك ، إضافة إلى ما كان يحسده عليه من مقام ومنزلة سامية عند السلطان ، فدبّر لقتله مكيدة بنحوٍ لا مجال هنا لذكره .

ثمّ أُتي بهذا السيّد الجليل مع ولديه شمس الدين الحسين وشرف الدين عليّ إلى شاطىء دجلة ، طبقاً لرغبة رشيد الخبيث ، فقتلوهم ، مبتدئين بولديه أولاً ، وكان ذلك في ذي القعدة

---

(١) لقد اعتمد المرحوم المؤلّف اسم : آوي ، غير أنّه ورد في بعض نسخ (عمدة الطالب) وفي كتاب (اللباب في تهذيب الأنساب) وفي كثير من كتب اللغة والأنساب اسم : آبيّ ، نسبة إلى آبة على وزن سادة (المصحّح) .

من سنة إحدى عشرة وسبعمئة ، وبعد قتلهم أفشى الناس من عوام بغداد والحنابلة ما انطوت عليه نفوسهم من خبث فطري وشقوة في الطبع فقطّعوا جسد ذلك السيّد الجليل إرباً إرباً ، وأكلوا لحمه !! وجعلوا من شعره خصلات راحوا يبيعون الواحدة منها بدينار .

ولما علم السلطان بالقصّة غضب غضباً شديداً ، وتألم لمقتله مع ولديه ، وأمر بصلب قاضي الحنابلة ، لكنّ جماعة من الحاشية شفعوا له ، فأمر به فأجلس على حمار بوضع مقلوب وطيف به في أسواق بغداد ، كما أمر أن لا يتولّى القضاة حنبليّ بعده .

عبد الله شبّر وبعض أعقاب عمر بن الحسن الأفطس : من عقب السيّد جليل الشأن السيّد عبد الله المعروف بشبّر ، ابن السيّد الجليل عالي الهمّة رفيع المرتبة السيّد محمّد رضا بن محمّد بن الحسن بن أحمد بن عليّ بن أحمد بن ناصر الدين بن شمس الدين محمّد بن نجم الدين بن الحسن شبّر بن محمّد بن الحمزة بن أحمد بن عليّ بن طلحة بن الحسن بن عليّ بن عمر بن الحسن الأفطس ، ابن عليّ بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) .

السيّد عبد الله رجل فاضل محدّث جليل ، وفقيه خبير متتبّع نبيل ، عالم ربّانيّ ، مجلسيّ عصره ، تتلمذ على جماعة من الفقهاء الأعلام كالشيخ جعفر الكبير وصاحب (الرياض) والميرزا محمّد مهديّ الشهر ستانيّ ، والمحقّق القمّي ، والشيخ الأحسائيّ وغيرهم ؛ صنّف كتباً كثيرة نافعة في التفسير والحديث والفقه والأصول والعبادات وغير ذلك ، كما عرّب جملة من كتب العلّامة المجلسيّ الفارسيّة .

وقد ذكر شيخنا المرحوم ثقة الإسلام النوريّ في (دار السلام) مصنّفاته مع أعداد أبياتها[1] ، ونقل عن الشيخ الأجلّ المحقّق المدقّق الشيخ أسد الله صاحب (مقابس الأنوار) أنه لمّا دخل على السيّد المذكور وتعجّب من كثرة مصنّفاته ، وقلّة مصنّفاته هو ، مع ذلك الفهم والاستقامة والاطّلاع والدقّة التي أعطاه الله تعالى ، وسأل السيّد عن السرّ في ذلك فأجابه : إنّ كثرة تصانيفي بتوجيه من الإمام الهمام موسى (عليه السلام) ، ذلك أنّي رأيته (عليه السلام) في المنام ، فأعطاني قلماً وقال : اكتب ، وقد وُفّقت مذ ذاك إلى التأليف ، فكلّ ما خرج عن قلمي إنّما هو من بركات ذلك القلم الشريف .

توفّي في رجب سنة اثنتين وأربعين ومئتين بعد الألف عن أربعة وخمسين عاماً ، وقبره الشريف في جوار موسى بن جعفر (عليه السلام) مع المرحوم والده في الرواق الشريف ، في حجرة قريبة من باب القبلة على يمين الداخل إلى الحرم المطهّر .

---

(١) المراد بالبيت ما اشتمل على خمسين حرفاً بمصطلح القدماء ، وهو ما يساوي سطراً (المعرّب) .

ومن عقب عمر بن الحسن الأفطس أيضاً : الأمير عماد الدين محمّد ابن نقيب النقباء الأمير الحسين بن جلال الدين المرتضى بن الحسن بن الحسين بن شرف الدين بن مجد الدين محمّد بن تاج الدين الحسن بن شرف الدين الحسين ، ابن الأمير الكبير عماد الشرف بن عبّاد بن محمّد بن الحسين بن محمّد بن الأمير حسين القمّي بن الأمير عليّ بن عمر الأكبر بن الحسن الأفطس بن عليّ الأصغر بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) .

والأمير عماد الدين المذكور هو أوّل من قدم إلى إصفهان ودفن في جبل جَورة إصفهان بجانب قرية خاتون آباد ، وكان له ابنان معروفان هما : الأمير السيّد عليّ المدفون عنده ، والأمير اسماعيل المدفون أيضاً في بقعة الجَورة ، والمشهور بالشاه مراد ، وهو محلّ نذور وصاحب كرامات جليلة ، وأولاده وأحفاده كانوا علماء ومدرّسين ورؤساء ، ومن المناسب أن نشير هنا إلى المعروفين منهم توخّياً لإحياء ذكرهم ، بناء على ما التقطناه من بعض المشجّرات .

أولاد وأعقاب الأمير إسماعيل بن الأمير عماد الدين محمّد المعروف بالخاتون آباديّ :

كان لِلأمير إسماعيل بن الأمير عماد ولدان معروفان هما: الأمير محمد الباقر، والأمير محمد الصالح ، امّا الباقر فكان رجلاً عالماً ورعاً وزاهداً ، وصاحب مقامات عليّة وكرامات جليّة ، أخذ الحديث عن تقيّ المجلسيّ ، وكان حافظاً للقرآن المجيد ، حجّ سبع مرات أكثرها ماشياً ، ولد في خاتون آباد ، وقبره في الجورة معروف ومزُور ؛ وابنه الأمير عبد الحسين فاضل كامل ، عالم ورع ، محدّث فقيه ثقة ، مجمع أخلاق فاضلة ، كثير الجدّ في العبادة والزهد والتقوى ، تتلمذ على المحقّق السبزواريّ وتقيّ المجلسيّ ، كانت ولادته في خاتون آباد في شعبان من سنة سبع وثلاثين وألف ، وتوفّي في إصفهان ، ودفن في تخت فولاذ في مقبرة بابا ركن الدين ، وابنه الأمير معصوم الذي توفّي سنة ست وخمسين ومئة بعد الألف ، ودفن بالقرب من تكيّة المحقّق الخوانساريّ أمام قبر المرحوم خالد المقام محمّد البيد آباديّ ، وهو معروف بالكرامات ، ومحلّ لنذور الخلق ، ويقال إنّ محمّداً المذكور أوصى بدفنه عنده .

وكان للأمير محمّد الباقر ابن آخر هو الأمير محمّد إسماعيل ، وكان عالماً فاضلاً كاملاً زاهداً تاركاً للدنيا ، ماهراً في علم الفقه والحديث والتفسير والكلام والحكمة وغيرها ، وكان مدرّساً في الجامع العبّاسيّ الجديد في إصفهان ، درّس ما يقرب من خمسين عاماً ، وأخذ العلم عن المولى محمّد تقيّ المجلسيّ ، والميرزا رفيع الدين النائينيّ ، والسيد الميرزا الجزائريّ ، عاش خمساً وثمانين سنة ، كانت ولادته يوم الأثنين لستّ عشرة مضين من ربيع الثاني سنة إحدى وثلاثين بعد الألف ، ووفاته سنة ستّ عشرة ومئة بعد الألف .

وجاء في رسالة إجازات السيّد نور الدين بن السيّد نعمة الله الجزائريّ عليهما الرحمة أنّه كُتب في أحوال هذا السيّد الجليل أنّه اختار الاعتزال عن الخلق وهو في سنّ السبعين في مدرسة

تخت فولاذ ، حيث سكن في بيت من بنائه ، وحفر من حجرة من حجراته قبراً لـه كان يتهجّد فيه ليلياً بعد صلاة المغرب والعشاء ، ثمّ يغادر القبر ويبدأ بكتابة الشرح على أصول الكافي وتفسير القرآن ، ويكون في نهاره مستعدّاً لاستقبال جماعة من الطلاّب كان منهم المرحوم والدي السيّد نعمة الله ؛ وأخيراً توفّي هناك ودفن في ذلك القبر ، وبعد موته بنى الشاه السلطان حسين حجرة كبيرة له تعلوها قبة حيث هي الآن في تخت فولاذ .

وكان للأمير محمّد إسماعيل المذكور عدّة أبناء منهم الأمير محمّد الباقر ملاّباشي ، وكان فاضلاً كاملاً متبحّراً في فنون العلم ، صاحب مؤلّفات منها ترجمة (مكارم الأخلاق) أخذ العلم عن أبيه الماجد وعن المحقّق الخوانساريّ ، درّس في مدرسة (چهار باغ) في إصفهان ، واستشهد سنة سبع وعشرين ومئة بعد الألف مسموماً ، وقيل في تاريخه : جاء وسط ثلاثة وعشرين ومئتين عن الشهيد الثالث ظاهر خمسين وثلاثمئة وألف ، دفن في تخت فولاذ بجوار والده في إحدى الحجرات ، وعنده قبر ابنه الجليل السيّد محمّد إسماعيل بن السيّد محمّد الباقر ملاّ باشي الذي كان عالماً عابداً ورعاً تقيّاً نقيّاً محدّثاً زاهداً ، ماهراً في فنون العلم سيّما الفقه والحديث والتفسير ، أخذ العلم عن والده الماجد وعن الفاضل الخوانساريّ ، كان إماماً في الجامع العبّاسيّ ، ودرّس في المدرسة السلطانيّة الجديدة ، ولأنه كان في زمان الأفاغنة فقد بقي مجهول القدر .

وابنه الجليل أستاذ الكلّ الميرزا أبو القاسم المدرّس العالم ، والكامل الفاضل ، التقيّ النقيّ ، جامع أغلب العلوم من فقه وحديث وتفسير وأخلاق وكلام ، أستاذ فضلاء عصره كوالده الماجد السيّد محمّد إسماعيل ، كانت له الإمامة في الجامع العبّاسيّ ، درّس ما يقرب من ثلاثين سنة في المدرسة السلطانيّة ، تتلمذ في علم الحكمة والكلام على العالم الجليل المولى إسماعيل الخواجوئيّ ، وفي الفقه والأصول والحديث على العلاّمة الطباطبائي بحر العلوم ، وأخذ عنه بحر العلوم الحكمة والكلام أربع سنوات ، توفّي في إصفهان سنة اثنتين ومئتين بعد الألف عن سبع وخمسين سنة من العمر ، وحملت جنازته إلى النجف الأشرف ودفن في سرداب قريباً من المضجع الشريف .

وابنه الجليل الأمير محمّد رضا كان عالماً فاضلاً تقيّاً نقيّاً ، ماهراً في الفقه والحديث ، محترزاً عن اللذّات منعزلاً ، عن الخلق ، درّس في المدرسة السلطانيّة مدّة ثلاثين سنة بعد أبيه ، وكان إماماً في الجامع العبّاسيّ ، توفّي في إصفهان سنة ثمان وثلاثين ومئتين بعد الألف ، وحملت جنازته إلى النجف الأشرف .

وابنه الجليل الأمير محمّد صادق كان عالماً فاضلاً ، كاملاً ، ورعاً ، تقيّاً ، نقيّاً ، جامعاً للمعقول والمنقول ، ومدرّساً في أغلب العلوم ، وكان أكثر علماء البلاد من تلامذته ، كان إماماً

لاثنتين وثلاثين سنة في الجامع العبّاسيّ ، وكان أزهد أهل زمانه ، صام أربعين سنة ، وعاش على القليل ، ولم يدخل عمرَه سجون الحكّام والسلاطين سوى لليلة واحدة بسبب محاجّته للميرزا عليّ محمّد الباب ، أخذ علم الفقه عن المحقّق القمّيّ والشيخ محمّد تقيّ صاحب الحاشية على المعالم ، وأخذ علم الحكمة والكلام عن المولى عليّ النوريّ والملاّ محراب والملاّ إسماعيل الخواجوئيّ ، كانت ولادته سنة سبع ومئتين بعد الألف ، ووفاته لأربع عشرة مضين من رجب سنة اثنتين وسبعين ومئتين بعد الألف ، بعد التحوّل بستّ ساعات ، وما يدعو للعجب هو أنّ والده الماجد الأمير محمّد رضا وجدّه الأمجد الميرزا أبا القاسم توفّيا كلاهما بعد تحوّل الشمس بستّ ساعات ، رضوان الله عليهم أجمعين .

ونافلتهم العالم الفاضل الحاجّ الأمير محمّد صادق بن الحاج الأمير محمّد الحسين بن الأمير محمّد صادق المذكور ، الذي مقامه في العلم كمقام آبائه الأمجاد ، اشتغل في إصفهان بالتدريس ونشر العلم حتّى السنة الماضية وهي سنة ثمان وأربعين وثلاثمئة بعد الألف حيث فارق الحياة .

الأمير محمّد صالح وولده وعقبه : وهو ابن آخر للأمير إسماعيل بن الأمير عماد الدين محمّد ، رزق من زوجه سيّدة النساء بنت السيّد الحسين الحسينيّ المنتسب إلى (گلستانة) بولدين هما : السيّد عبد الواسع والسيّد محمّد رفيع .

كان السيّد محمّد رفيع منصرفاً إلى العبادة ، وبعد أن تعبّد ثماني وثمانين سنة توفّي ودفن في مقبرة بابا ركن الدين في إصفهان ، وأبوه السيّد محمّد صالح توفّي في ريعان شبابه ، ودفن في خاتون آباد مع السيّد الحسين أبي زوجته بجنب البقعة المنسوبة لابن محمّد ابن الحنفيّة .

أمّا الأمير عبد الواسع بن الأمير محمّد صالح فقد قال سبطه الأمير محمّد حسين في ترجمته : كان جدّي السيّد عبد الواسع عالماً عاملاً ، ورعاً متعبّداً ، ماهراً في فنون العلم وأنحاء النحو وسائر علوم العربيّة وفنونها ، تعلّم على الفاضل العلاّمة أبي القاسم جرفادقانيّ ، وأخذ الحديث عن جماعة من أفاضل عصره خصوصاً عن جدّي العلاّمة الملاّ محمّد تقيّ المجلسيّ رحمة الله عليه ، كانت ولادته في خاتون آباد ، لكنّه رحل إلى إصفهان واستوطن فيها ؛ عاش تسعاً وتسعين سنة وتوفّي في شهر رمضان سنة تسع ومئة وألف ، ودفن في مقبرة بابا ركن الدين ، وبعد بضع سنين حمل نعشه إلى النجف الأشرف ودفن قرب القبر المطهّر ، وقد أدركتُه ، وقرأت عنده المصحف الشريف ومقداراً من النحو والصرف والمنطق ، وقد ربّاني في حجره ، وحقوقه عليّ كثيرة ، جزاه الله عنّي أحسن الجزاء ، وحشره مع مواليه .

وكان ابنه الجليل الأمير محمّد صالح بن الأمير عبد الواسع عالماً جليل القدر صهراً للعلاّمة المجلسيّ رحمه الله ، وكان شيخاً للإسلام في إصفهان ، له مصنّفات منها : (حدائق

المقرّبين) و(الذريعة) و(شرح الفقيه والاستبصار) يروي عن العلاّمة المجلسيّ رحمه الله .

وكان ابنه الجليل الأمير محمّد حسين الخاتون آباديّ سبط العلاّمة المجلسيّ ، إمام جمعة إصفهان ، كان عالماً عاملاً ، كاملاً ، فاضلاً ، ماهراً في الفقه والحديث والتفسير والخطّ ، أخذ عن أبيه وعن الأمير محمّد إسماعيل ، وعن ابنه الأمير محمّد باقر المدرّس ، وله كتاب في أعمال السنة ، ورسائل في الفقه ، وكان هذا الرجل الكبير على عهد الأفاغنة فلا غرو أن يفرّ منهم ويختفي في الجورة ، توفّي ليلة الاثنين لثلاثٍ وعشرين مضين من شوّال سنة إحدى ومئة بعد الألف .

وللأمير محمّد حسين ولدان معروفان هما : الأمير محمّد مهديّ الذي صار إماماً للجمعة في إصفهان بعد أبيه ، وهو أبو الأمير السيّد مرتضى ، الذي هو أبو الأمير محمّد صالح الذي كان مدرّساً في مدرسة (كاسه گران) وأبو الأمير محمّد مهديّ الذي كان إمام الجمعة في طهران ؛ وكان هذان الأخوان كلاهما عقيمين ، وأخوهما الثالث هو الأمير محسن والد الأمير السيّد مرتضى صدر علماء طهران ، والميرزا أبي القاسم إمام جمعة طهران .

والميرزا أبو القاسم كان عالماً عاملاً ، تقيّاً ، نقيّاً ، ماهراً في الفقه والحديث وغيرهما ، ذا أخلاق حسنة ، جواداً ، سخيّاً ، حتّى ليؤثر الآخرين على نفسه ، يجدّ ويجهد في قضاء حوائج المسلمين ، وكان من تلاميذ الشيخ الأكبر : الشيخ جعفر ، وصاحب (الجواهر) ، توفّي سنة إحدى وسبعين ومئتين بعد الألف ودفن في طهران ، وقبره هناك مزار معروف بالقبّة العالية ، وهو والد المرحوم الأمير زين العابدين إمام الجمعة ، وجدّ إمام الجمعة الحاليّ .

والابن الآخر للأمير محمّد حسين الخاتون آباديّ هو الأمير عبد الباقي الذي أصبح إمام الجمعة في إصفهان بعد أخيه الأمير محمّد مهديّ ، وكان له في العلم والعمل والزهد والتقوى مقام معلوم ، وكان أحد أساتذة العلاّمة الطباطبائي بحر العلوم ، يروي عن أبيه عن جدّه عن العلاّمة المجلسيّ المرحوم ، توفّي سنة إحدى عشرة ومئتين وألف .

وكان ابنه الجليل الحاجّ الأمير محمّد حسين سلطان العلماء وإمام الجمعة في إصفهان ، وقد توفّي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين بعد الألف ، وكان لابنه الجليل الحاجّ الميرزا حسن إمام الجمعة وسلطان العلماء ثلاثة أبناء : الأول : الأمير محمّد مهدي إمام الجمعة في إصفهان ، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين ومئتين بعد الألف ؛ والثاني : الأمير السيّد محمّد إمام الجمعة الذي كانت وفاته سنة إحدى وتسعين ومئتين بعد الألف ؛ والثالث : محمّد حسين إمام الجمعة ، وكان فاضلاً ماهراً في غالب العلوم ، وبخاصّة في الكلام والتفسير ، توفّي سنة سبع وتسعين ومئتين بعد الألف ؛ وخلفه في إمامة جمعة إصفهان الميرزا محمّد عليّ بن الميرزا جعفر بن الأمير السيّد محمّد بن الأمير عبد الباقي بن الأمير محمّد حسين الخاتون آباديّ ، وهذا السيّد

الجليل كان عالماً ، عاملاً ، فقيهاً ، محدّثاً ، وكان تلميذاً للأمير محمّد رضا والحاجّ الملاّ حسين عليّ تويسركاني ، وله تصنيفات منها : رسالة منجّزات المريض ، ورسالة تقليد الميّت وغيرهما ، توفّي سنة ثلاثمئة وألف ، وقبره بجانب قبر المجلسيّين ، والأمير السيّد محمّد بن الحاجّ الميرزا حسن والد الحاجّ الميرزا هاشم إمام الجمعة في إصفهان ، الذي توفّي سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة بعد الألف ؛ رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين .

عبد الله بن الحسن الأفطس وبعض عقبه ؛ هو عبد الله الشهيد ابن الحسن الأفطس بن عليّ الأصغر بن الإمام زين العابدين (عليه السلام) .

قال صاحب (عمدة الطالب) : إنّ عبد الله الشهيد ابن الأفطس شهد واقعة فخّ ، وحمل السيفين وحسن سعيه ، ويقول البعض : إنّ الحسين صاحب فخّ جعله وصيّاً له وقال : إن قتلت فالأمر بعدي لك .

أقول : لقد تقدّم القول منّي عند الحديث عن أحوال بني الحسن في المجلّد الأول ، وفي قصّة فخّ ، بأنه في بداية خروج صاحب فخّ اجتمع العلويّون عند دخول صلاة الصبح ، وصعود المؤذّن للأذان ، فصعد إليه عبد الله الأفطس بالسيف ، وأمر المؤذّن بقول : « حيَّ على خير العمل » ، فقالها خوفاً من السيف ، فلمّا سمع عبد العزيز العمري ـ وكان نائب والي المدينة المعظمة ـ ذلك أحسّ بوقوع الشرّ ، وبلغ به الخوف حدّاً أمر معه بإعداد بغلته والمسارعة بالفرار وهو يضرط .

ومجمل القول : فعبد الله هو من أخذه هارون الرشيد وحبسه عند جعفر بن يحيى ، فضاق به الأمر من شدّة الحبس ، فكتب إلى الرشيد رقعة ضمّنها أقوالاً قبيحة ، لكن الرشيد تجاهل الرقعة ، وأمر التوسعة عليه ، وكان قال يوماً بحضور جعفر : كفاني الله أمره على يد محبّ لي ولك ؛ ولدى سماع جعفر لهذا القول أمر به ليلة نوروز فقُتل ، وفصل رأسه عن جسده ، ثم بعث به مع هدايا نوروز إلى الرشيد ، فلمّا رفعوا عنه الغطاء ووقع نظر الرشيد عليه أنكر على جعفر فعلته ، وثقل الأمر عليه واستعظمه ، فقال له جعفر : لقد أعملت الفكر فلم أعثر على هديّة مرضية أقدّمها إليك في عيد نوروز أفضل من أن أقدّم لك رأس عدوّك وعدوّ آبائك ؛ وأسرّها الرشيد في نفسه حتّى الوقت الذي أراد فيه قتل جعفر ، فقد قال جعفر لمسرور الكبير : بأيّ جرم هدر أمير المؤمنين دمي ؟ فقال : بقتلك ابن عمّه عبد الله بن الحسن بن عليّ (عليه السلام) دون إذن منه .

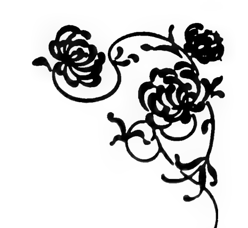
قال العمريّ النسّابة : يقع قبر عبد الله في بغداد ، في سوق الطعام ، وله مشهد ، وأعقابه في المدائن كثيرون ، وعقبه من آبنيه : العبّاس ومحمّد ، وكان محمّد أميراً جليلاً قتله

المعتصم الخليفة بالسمّ ، أمّا العبّاس بن عبد الله الشهيد فعقبه قليل ، وجاء في (تاريخ قمّ) أنّ ابنه عبد الله بن العبّاس كان بالبصرة مع عليّ بن محمّد العلويّ صاحب الزنج ، فلمّا قتل عليّ بن محمّد فرّ عبد الله وأخوه الحسن بن العبّاس إلى قمّ ، واستوطناها ، وأنجب عبد الله في قمّ أبا الفضل العبّاس ، وأبا عبد الله الحسين الملقّب بالأبيض ، وثلاث بنات ، وأنجب العبّاس أبا عليّ أحمد ، وصار أبو عبد الله الأبيض إلى الريّ ، وأعقابه هناك . انتهى .

قال أبو نصر البخاريّ : توفّي الحسين بن عبد الله بن العبّاس الأبيض سنة تسع عشرة وثلاثمئة في الريّ ، وقبره ظاهر قرب مزار حضرة عبد العظيم (عليه السلام) ويمكن زيارته ، وانقرض عقبه ، بينما اتّصل محمّد بن عبد الله .

يقول المؤلّف : من نسل محمّد بن عبد الله أبو محمّد يحيى بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وكان من عباد الله الصالحين ومن الفقهاء والعلماء والمتكلّمين ، كان قد سكن نيسابور وصنّف كتباً في الإمامة والفرائض وغيرهما ، ذكره الشيخ النجاشيّ والعلاّمة وآخرون في كتبهم .





الباب السابع

في تاريخ الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

وفيه ستّة فصول



الفصل الأول

في ولادة الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) واسمه وكنيته

اعلم أنّ ولادة الإمام الباقر (عليه السلام) كانت بالمدينة يوم الاثنين الثالث من صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة ، وقد حضر واقعة كربلاء وكان في الرابعة من عمره ، أمّه فاطمة بنت الحسن (عليه السلام) ، وكنيتها أمّ عبد الله ، فهو ابن الخيرتين ، علويّ ، من علويّين .

روي نقلاً عن (دعوات الراونديّ) عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال :

« وكانت أمّي قاعدة عند جدار ، فتصدّع الجدار ، وسمعنا هدّة شديدة ، فأشارت بيدها وقالت : لا وحقّ المصطفى ما أُذن لك في السقوط ، فبقي (الحائط) معلّقاً حتّى جازته ، فتصدّق عنها أبي بمئة دينار » .

ويروي الراوي أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه ذكر جدّته أمّ أبيه يوماً فقال : « كانت صدّيقة لم يُدرك في آل الحسن مثلها » .

ونقل بأسانيد معتبرة عن الصادق (عليه السلام) أنّه إذا حملت أمّ أحد الإئمّة (عليهم السلام) بحملها منهم أحسّت بفتور وضعف يومها ذاك ، كأنّما يغشي عليها . فترى في نومها رجلاً يبشّرها بابن عليم حليم ، فإذا استفاقت سمعت من طرف البيت إلى يمينها صوتاً وقائلاً لا تراه يقول : لقد حملت بأفضل أهل الأرض ، وسيعود عليك بالخير والسعادة ، فأبشري بابن حليم عليم .

ثمّ إنّها لا تحسّ بثقل في نفسها ولا كسل حتّى ينقضي على حملها تسعة أشهر ، فتسمع أصوات الملائكة تتردّد في بيتها ، فإذا كانت ليلة الولادة شاهدت نوراً في بيتها لا يراه سواها إلّا إن كان أباً لإمام ، ثم تلد إماماً يستقرّ متربّعاً ، فلا يصل رأسه إلى الأرض ، وإذا بلغ الأرض

التفت بوجهه نحو القبلة ، وعطس ثلاثاً ، وحمد الله ؛ ويولد مختوناً مقطوع السرّة ، لا يلوّثه دم أو قذر ، قد نبتت أسنانه الأماميّة كلها ، يسطع نور ذهبيّ من وجهه ويديه كلّ نهاره وليلته .

اسمه محمّد ، وكنيته أبو جعفر ، وألقابه ثلاثة : الباقر والشاكر والهادي ، وأشهرها الباقر ، لقّبه به رسول الله (صلّى الله عليه وآله) برواية سفينة عن جابر بن عبد الله ، يقول جابر : قال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

« يا جابر ، يوشك أن تبقى حتّى تلقى ولداً لي من الحسين يقال له محمّد ، يبقر علم الدين بقراً ، فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام » .

وذكر الشيخ الصدّوق عن عمر بن شمر أنّه قال : سألت جابر بن يزيد الجعفيّ فقلت له : ولِمَ سمّي الباقر باقراً ؟ قال : لأنّه بقر العلم بقراً ، أي شقّه شقّاً ، وأظهره إظهاراً .

ولقد حدّثني جابر بن عبد الله الأنصاريّ أنّه سمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول :

« يا جابر ، إنّك ستبقى حتّى تلقى ولدي محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) المعروف في التوراة بالباقر ، فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام » .

فلقيه جابر بن عبد الله الأنصاريّ في بعض سكك المدينة ، فقال له : يا غلام ، من أنت ؟ قال : أنا محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، قال له جابر : يا بنيّ أقبل ، فأقبل ، ثمّ قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال شمائل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وربّ الكعبة ، ثمّ قال : يا بنيّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقرئك السلام ، فقال : « على رسول الله السلام ما دامت السماوات والأرض ، وعليك يا جابر بما بلّغت السلام » .

فقال له جابر : يا باقر ، أنت الباقر حقّاً ، أنت الذي تبقر العلم بقراً .

قال العلماء : قيل له الباقر لتبقّره في العلم ، وهو تفجّره وتوسّعه ، ذلك أنّه (عليه السلام) باقر علوم الأوّلين والآخرين ، فقلبه بحر واسع ، وعين فوّارة بالعلم والمعرفة .

وجاء في (تذكرة) السبط ابن الجوزيّ أنّه سمّي بالباقر لكثرة سجوده حتّى بقر السجود جبهته ، أي : فتحها وشقّها ، وقيل : لغزارة علمه .

وقال ابن حجر الهيثميّ في (الصواعق) مع نصبه وشدّة عدواته في حقّه (عليه السلام) :

أبو جعفر محمّد الباقر (عليه السلام) ، سمّي بذلك من بقر الأرض ، أي : شقّها

وأثار مخبّآتها ومكامنها ، فلذلك هو أظهر من مخبّآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام واللطائف ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة ، أو فاسد الطويّة والسريرة ، ومن ثَمّ قيل : هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ورافعه ، صفا قلبه ، وذكا علمه وعمله ، وطهرت نفسه ، وشرف خلقه ، عمرت أوقاته بطاعة الله ، وله من الرسوخ في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين ، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة . انتهى .

كان نقش خاتم أبي جعفر (عليه السلام) : « العزّة لله » ، أو « العزّة لله جميعاً » ؛ وبرواية أخرى أنّه كان (عليه السلام) يتختّم بخاتم جدّه الحسين (عليه السلام) ونقشه : « إنّ الله بالغ أمره » ، وروي غير ذلك، ولا منافاة بين تلك المرويّات ذلك أنه يمكن أن يكون تختّم بخواتم متعدّدة على كلّ منها نقش معين .



الفصل الثاني

طرف من مناقب الامام الباقر (عليه السلام) ومكارم اخلاقه

بيان علمه (عليه السلام) بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة

لا يخفى على المتتبّع المنصف أنّ ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام)من أخبار وآثار في علوم الدين وتفسير القرآن وفنون الآداب والأحكام يفوق ما يتّسع له العقل ، وقد اقتبس مَن بقي من الصحابة ووجوه التابعين وأعيانهم ، ورؤساء فقهاء المسلمين من علمه ، وبكثرة علمه وفضله ضُرب المثل فقيل :

يا باقر العلم لأهل التقى وخيرَ مَن لبّى على الأجبُل

يروي الشيخ المفيد مسنداً عن عبد الله بن عطاء المكّيّ قوله :

ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم في مجلس أبي جعفر الباقر (عليه السلام) لقد رأيت الحكم ابن عُيينة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنّه صبيّ بين يديّ معلّمة ، وكان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمّد بن عليّ (عليه السلام) شيئاً يقول : حدّثني وصيّ الأوصياء ووارث علوم الأنبياء محمّد بن عليّ بن الحسين ، صلوات الله عليهم أجمعين .

ويذكر الشيخ الكشيّ عن محمّد بن مسلم قوله :

ما شجر في رأيي[1] شيء قطّ إلاّ سألت عنه أبا جعفر (عليه السلام) حتّى سألته عن ثلاثين ألف مسألة ، وسألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن ستّة عشر ألف حديث .

وروي عن حبابة الوالبيّة أنّها قالت : رأيت رجلاً بمكّة أصيلاً في الملتزم ، أو بين الباب والحجر ، فلمّا انثال الناس عليه يستفتونه عن المعضلات ، ويستفتحون أبواب المشكلات ،

---

(١) أي ما اختلج في خاطري .

فلم يَرِمْ[١] حتّى أفتاهم في ألف مسألة ، ثم نهض يريد رحله ، ومنادٍ ينادي بصوت صهل[٢] :

« ألا إنّ هذا النورُ الأبلج المسرّج[٣] ، والنسيم الأرج[٤] ، والحقّ المَرِجْ[٥] » .

وآخرون يقولون : من هذا ؟ فقيل : محمّد بن عليّ الباقر ، علم العلم ، والناطق عن الفهم ، محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) .

قال ابن شهر اشوب : قالوا : لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من العلوم ما ظهر منه من التفسير والكلام والفتيا والأحكام والحلال والحرام ، وحديث جابر رضي الله عنه في حقّه مشهور معروف ، رواه فقهاء المدينة والعراق كلّهم .

وقال : أخبرني جدّي شهر اشوب والمنتهى بن كيابكي الحسينيّ بطرق كثيرة عن سعيد بن المسيّب ، وسليمان بن الأعمش ، وأبان بن تغلب ، ومحمّد بن مسلّم ، وزرارة بن أعين ، وأبي خالد الكابليّ أن جابر بن عبد الله الأنصاريّ كان يقعد في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ويقول :

يا باقر ، يا باقر العلم ، فكان أهل المدينة يقولون : جابر يهجر فكان يقول : لا والله لا أهجر ، ولكنّي سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : « إنّك ستدرك رجلاً منّي ، اسمه اسمي ، وشمائله شمائلي ، يبقر العلم بقراً » ، فذلك الذي دعاني إلى ما أقول .

وقال أبو السعادات في (فضائل الصحابة) : إنّ جابر الأنصاريّ بلّغ سلام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى محمّد الباقر ، فقال له محمّد بن عليّ : « أثبت وصيّتك فإنّك راحل إلى ربّك ، فبكى جابر وقال له : يا سيّدي ، وما علمك بذلك ؟ فهذا عهد عهده إليّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فقال له :

« والله يا جابر لقد أعطاني الله علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة » .

وأوصى جابر وصيّته ، وأدركته الوفاة .

وروي في حديث عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنه قال :

« إذا مضى الحسين (عليه السلام) قام بالأمر بعده عليّ ابنه ، وهو الحجّة والإمام ،

---

(١) رامَ يريم : برح يبرح .

(٢) الصَّهَل : حدّة الصوت .

(٣) الأبلج : الواضح ، المضيء ، المسرّج من الإسراج ، بمعنى إيقاد السراج .

(٤) الأرِج من الأرَج : وهو توهّج ريح الطيب .

(٥) المَرِج : من قولهم : مرج الدين ، إذا فسد ، أي الذي ضاح بين الناس قدره .

ويخرج الله من صلب عليّ ولداً سمي وأشبه الناس بي ، علمه علمي ، وحكمه حكمي ، وهو الإمام والحجّة بعد أبيه » .

ذكر صاحب (كشف الغمّة) عن مولى للإمام الباقر (عليه السلام) قال :

خرجت مع محمّد بن عليّ حاجّاً ، فلمّا دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتّى علا صوته ، فقلت : بأبي أنت وأمّي ، إن الناس ينظرون إليك ، فلو رفعت (خفضت) بصوتك قليلاً ؟ فقال لي : ويحك ، ولم لا أبكي لعلّ الله تعالى أن ينظر إليّ منه برحمة فأفوز بها عنده غداً ؟

ثمّ طاف بالبيت ، ثمّ جاء حتّى صلّى عند المقام ، فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتلّ من كثرة دموع عينيه .

وكان إذا ضحك قال : اللهمّ لا تمقتني .

وروي أنّه كان يقول في تضرّعه في جوف الليل :

« أمرتني فلم أأتمر ، ونهيتني فلم أنزجر ، فها أنا ذا عبدك بين يديك ولا أعتذر » .

وروي أنّه كان كلّ جمعة يتصدّق بدينار ، وكان يقول : « الصدقة يوم الجمعة تُضاعف » .

وذكر الشيخ الكليني عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : « كان أبي (عليه السلام) إذا أحزنه أمر جمع النساء والصبيان ثمّ دعا ، وأمّنوا » .

وقال (عليه السلام) أيضاً : « كان أبي (عليه السلام) كثير الذكر ، لقد كنت أمشي معه وإنّه ليذكر الله ، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله ، وكنت أرى لسانه لازقاً[١] بحنكه يقول « لا إله إلاّ الله » وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتّى تطلع الشمس ، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا ، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر » .

وروي أنّه كان (عليه السلام) مع ما وصف به من الفضل في العلم والسؤدد والرياسة والإمامة ظاهر الجود في الخاصّة والعامّة ، مشهور الكرم في الكافّة ، معروفاً بالتفضل والإحسان مع كثرة عياله وتوسّط حاله .

وقالت سلمى مولاته : كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتّى يطعمهم الطعام الطيّب ، ويكسوهم الثياب الحسنة ، ويهب لهم الدراهم .

---

(١) لازقاً : لاصقاً .

ويحكى أنّ الكميت الشاعر أتى الإمام الباقر (عليه السلام) ذات يوم فسمعه يترنّم بهذا البيت :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم لم يبق إلاّ شامت أو حاسد

فأجابه الكميت بديهة بقوله :

وبقي على ظهر البسيطة واحد فهو المراد ، وأنت ذاك الواحد

وروي أنه كان (عليه السلام) يجيز بالخمسمئة والستّمئة إلى الألف ، وكان لا يملّ من صلة الإخوان وقاصديه ومؤمّليه وراجيه .

وروي أنّه كان لا يُسمع من داره إلاّ : يا سائل خذ ، وكان (عليه السلام) يقول : « سمّوهم بأحسن أسمائهم » .

وجاء في (جنّات الخلود) في الحديث عن أخلاقه الحميدة أنه (عليه السلام) كان يبكي من خشية الله حتّى يرتفع صوته ، أكثر الخلق تواضعاً ، وكان له من المزارع والأملاك والمواشي والمراعي والموالي الكثير ، فكان على رأس عمله فيها بنفسه ، وكان أيّام اشتداد الحرّ يضمّ مواليه إلى كنفه ، ينفق ما يكسبه في سبيل الله ، فكان أجود الناس وأسخاهم ، وكلّ من أتاه رأى علمه إلى جانب علمه (عليه السلام) كقطرة في بحر ، فكان كجدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) تزخر ينابيع الحكمة من كل جوانبه ، ويصغر أمام جلالته كلّ جليل .

يقول المؤلّف : رأيت من المناسب في هذا المقام أنّ أزيّن كتابي هذا ببعض الأخبار في مناقب الباقر (عليه السلام) ومفاخره .

في مناقبه (عليه السلام) ومكارم أخلاقه

الأولى : في كدّه في تحصيل المعاش : يذكر الشيخ المفيد وآخرون عن الصادق (عليه السلام) أنه قال :

« كان محمّد بن المنكدر يقول : ما كنت أرى أنّ مثل عليّ بن الحسين يدع خلفاً لفضل عليّ بن الحسين حتّى رأيت ابنه محمّد بن عليّ ، فأردت أن أعظه فوعظني !

فقال له أصحابه : بأيّ شيء وعظك ؟ قال : خرجت من بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة فلقيت محمّد بن عليّ ، وكان رجلاً بديناً وهو متّكىء على غلامين له أسودين ، فقلت في نفسي : شيخ من شيوخ قريش ، في هذه الساعة ، على هذه الحال في طلب الدنيا ؟! أشهد الله لأعظنّه !!

فدنوت منه فسلّمت عليه ، فسلّم عليّ ببهر وقد تصبّب عرقاً ، فقلت : أصلحك الله ، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة ، على هذه الحال في طلب الدنيا ؟ لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال ؟!

قال : فخلّى عن الغلامين من يده ، ثمّ تساند وقال :

« لو جاءني والله الموت وأنا في هذا الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله تعالى أكفّ بها نفسي عنك وعن الناس ، وإنّما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله » .

فقلت : يرحمك الله ، أردت أن أعظك فوعظتني » .

يقول المؤلّف : الظاهر أنّ محمّد بن المنكدر كان من متصوّفة العامّة كفارس وابن أدهم وأمثالهما ، وكان قد ترك التكسّب وانصرف إلى العبادة وعاش كلّاً على الناس ؛ وحكى صاحب (المستطرف) أنّ محمّد بن المنكدر جزّأ الليل أثلاثاً عليه وعلى أمّه وعلى أخته ، فماتت أخته فجزّأ الليل عليه وعلى أمّه ، فماتت أمّه فقام الليل كلّه .

أقول : الظاهر أن ابن المنكدر أخذ هذا عن آل داود ، فقد روي أنّ داود (عليه السلام) جزّأ ساعات الليل والنهار على أهله ، فلم يكن ساعة إلّا وأحدهم في الصلاة ، فقال تعالى : ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ .

ومجمل القول : فقد كان جواب الإمام (عليه السلام) تعريضاً بابن المنكدر ، ويؤيّد هذا ما رواه صاحب (كشف الغمّة) عن شقيق البلخيّ أنّه قال : خرجت إلى الحجّ سنة تسع وأربعين ومئة ، فلمّا انتهيت إلى القادسيّة ورأيت الناس وزينتهم وكثرتهم ، وقع نظري على شابّ حسن الصورة أسمر ضعيف البدن ، وقد وضع فوق ملابسه ثوباً من الصوف ، مشتملاً بشملة ومنتعلاً بنعلين ، وقد اعتزل الناس وجلس وحده ، فقلت في نفسي : هذا من الصوفيّة ، ويريد أن يكون في الطريق كلّاً على الناس ، فلأدن منه فأوبّخه . . . (ستأتي تتمّة الخبر في الباب المخصّص للحديث عن الكاظم (عليه السلام) إن شاء الله) .

والغرض من هذا الخبر هو أن يكون معلوماً أنّ متصوّفة ذلك الزمان كانوا كلّاً على الناس ، فلا غرو أن وردت مرويّات كثيرة عن الصادقين (عليهما السلام) يأمران فيها بالكسب وينهيان عن أن يكون المرء كلّاً على الناس ، فذاك الذي ينصرف إلى العبادة ويأتيه القوت من غيره فإن عبادة معطي القوت أكثر إحكاماً من عبادته ، بل إنّ الصادق (عليه السلام) روى عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قوله : « ملعون من ألقى كَلّه على الناس » .

الثانية : يروى عن الصادق (عليه السلام) قوله : « فقد أبي بغلة له ، فقال : لئن ردّها الله تعالى لأحمدنّه بمحامد يرضاها ، فما لبث أن أتي بها بسرجها ولجامها ، فلمّا استوى عليها وضمّ إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء فقال : الحمد لله ، فلم يزد ، ثمّ قال : ما تركت ولا بقّيت شيئاً ، جعلت كلّ أنواع المحامد لله عزّ وجلّ ، فما من حمدٍ إلاّ هو داخل فيما قلت » .

الثالثة : جاء عن الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين) قال : قد جمع محمّد بن عليّ بن الحسين (عليهم السلام) صلاح حال الدنيا بحذافيرها في كلمتين ، فقال (عليه السلام) : « صلاح جميع المعايش والتعاشر ملء مكيال : ثلثان فطنة ، وثلث تغافل » .

وقال له نصرانيّ : أنت بقر ؟! قال : لا ، أنا باقر ؛ قال : أنا ابن الطبّاخة ؟ قال : ذاك حرفتها ، قال : أنت ابن السوداء الزنجيّة البذيّة ؟ قال : « إن كنت صدقت غفر الله لها ، وإن كنت كذبت غفر الله لك » .

قال الراوي : فأسلم النصرانيّ .

إنه الخلق الحسن ، والحلم الذي تقصر عنه طاقة البشر ، فلا عجب أن أسلم النصرانيّ .

حسن خلق المحقّق الطوسيّ (ره) : يقول المؤلّف : ولقد اقتدى به سلام الله عليه في هذا الخلق الشريف سلطان العلماء والمحقّقين ، أفضل الحكماء والمتكلّمين ، ذو الفيض القدّوسيّ الخواجة نصير الدين الطوسيّ قُدّس سرّه ، فقد روي أنّ ورقة أحضرت إليه من شخص فيها البذيء من القول ، وممّا جاء فيها : يا كلب ابن كلب !!

فلمّا قرأها أجاب : أمّا قولك يا كلب فليس بصحيح ، لأنّ الكلب من ذوات الأربع ، وهو نابح طويل الأظفار ، وأمّا أنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ، ناطق ضاحك ، فهذه الفصول والخواصّ غير تلك الفصول والخواصّ ، وهكذا ردّ عليه ، ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة ، وألقى به في غيابة جبّ الذلّ والمهانة .

الرابعة : روي عن زرارة أنّه قال : حضر أبو جعفر (عليه السلام) جنازة رجل من قريش وأنا معه ، وكان فيها عطاء (مفتي مكّة) ، فصرخت صارخة ، فقال عطاء : لتسكتِنّ أو لنرجعنّ ، فلم تسكت ، فرجع عطاء .

قال : فقلت لأبي جعفر (عليه السلام) : إنّ عطاء قد رجع ، قال : ولمَ ؟ قلت : صرخت هذه الصارخة فقال لها : لتسكتِنّ أو لنرجعنّ ، فلم تسكت ، فرجع ؛ فقال : امض بنا ، فلو أنّا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحقّ تركنا له الحقّ ، لم نقض حقّ مسلم (أي : إن

تشييع جنازة هذا الرجل المسلم ، والذي هو حقّ له ، لا يضيع بسبب صراخ صارخة) .

قال : فلمّا صلّى على الجنازة قال وليّها لأبي جعفر : ارجع مأجوراً رحمك الله ، فإنّك لا تقوى على المشي ، فأبى أن يرجع ، فقلت له : قد أذن لك في الرجوع ، ولي حاجة أريد أن أسألك عنها ؛ فقال : « امض ، فليس بإذنه جئنا ، ولا بإذنه نرجع ، إنّما هو فضل وأجر طلبناه ، فبقدر ما يتبع الجنازة الرجل يؤجر على ذلك » .

في فضل تشييع جنازة المؤمن : يقول المؤلّف : يعرف من هذا الحديث الشريف كثرة فضيلة تشييع الجنازة ، وقد رُوي أنّ أوّل تحفة تعطى للمؤمن أن يُغفر له ولمن شيّع جنازته .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) ما مضمونه أنّ من شيّع ميّتاً كتب له من الأجر أربعة قراريط ، قيراط لتشييعه له ، وقيراط لصلاته عليه ، وقيراط لانتظاره حتّى يدفن ، وقيراط لتعزيته فيه .

وفي رواية أخرى : قيراط كجبل أُحد ، وسيأتي في فصل مكارم أخلاق الرضا (عليه السلام) خبر في فضل تشييع محبّي الأئمّة (عليهم السلام) .

قال العلاّمة الطباطبائيّ بحر العلوم في (الدرّة) :

قد أكّد التشييع للجنائز ... والأفضل المشي لغير العاجز
وليجتنبْ سبقها المشيّع ... فإنّها متبوعة لا تَتبع
والفضل في ذلك للتأخير ... ثمّ اصطحاب جنبي السرير
وليَحمل السريرَ من أطرافه ... أربعة تقوم في أكنافه
لا يأب من ذلك أهل الشرف ... فليس أمر الله بالمستنكف
وسُنّ للحامل أن يربّعا ... يستوعب الجهات منه الأربعا
وأفضل التربيع أن يفتتحا ... من اليمين دائراً دور الرحى
وليس للتشييع حدّ يُعتمد ... وفي الحديث سير ميلين ورد
وسُنّ أن لا يرجع المشيّع ... يصبر حتّى الدفن ثمّ يرجع
وتركه القعود حتّى يُلحدا ... إنّ هيّىء القبر ، وإلاّ قعدا
والحمل في النعش مغطّى بكساء ... يندب إمّا مطلقاً أو للنساء
ولْيُنْه عن طرح الثياب الفاخرة ... فإنّه أوّل عدل الآخرة

الخامسة : ذكر الكلينيّ أنّ قوماً أتوا أبا جعفر (عليه السلام) فوافقوا صبيّاً له مريضاً ، فرأوا منه اهتماماً وغمّاً وجعل لا يقرّ ، فقالوا : والله لئن أصابه شيء إنّا لنتخوّف أن نرى منه ما نكره .

قال : فما لبثوا أن سمعوا الصياح عليه ، فإذا هو قد خرج عليهم منبسط الوجه في غير الحال التي كان عليه ، فقالوا له : جعلنا الله فداك ، لقد كنّا نخاف ممّا نرى منك أن لو وقع أن نرى منك ما يغمّنا ، فقال لهم : « إنّا لنحبّ أن نعافى في مَن نحبّ ، فإذا جاء أمر الله سلّمنا في ما يحبّ » .

السادسة : روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال : في كتاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

« إذا استعملتم ما ملكت أيمانكم في شيء فيشقّ عليهم فاعملوا معهم فيه » .

قال : وإنّ أبي كان ليأمرهم فيقول : كما أنتم ، فيأتي فينظر ، فإن كان ثقيلاً قال : « باسم الله » ، ثمّ عمل معهم ، وإن كان خفيفاً تنحّى عنهم .

السابعة : **في عطائه (عليه السلام)** : روى الشيخ المفيد عن الحسن بن كثير أنّه قال : شكوت إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ (عليه السلام) الحاجة وجفاء الإخوان ، فقال : « بئس الأخ أخ يرعاك غنيّاً ويقطعك فقيراً » ، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمئة درهم ، وقال : استنفق هذه ، فإذا نفدت فأعلمني .

وبرواية : استعن بهذه على القوت ، فإذا فرغت فأعلمني .

الثامن : **في حلمه وحسن خلقه (عليه السلام)** : روى الشيخ الطوسيّ عن محمد بن سليمان أنّه قال :

كان رجل من أهل الشام يختلف إلى أبي جعفر (عليه السلام) ، وكان مركزه بالمدينة ، فكان يختلف إلى مجلس أبي جعفر (عليه السلام) يقول له : يا محمّد ، ألا ترى أنّي إنّما أغشى مجلسك حياءً منك ؟ ولا أقول إنّ أحداً في الأرض أبغض إليّ منكم أهل البيت ، وأعلم أنّ طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم !! ولكن أراك رجلاً فصيحاً لك أدب وحسن لفظ ، فإنّما اختلافي إليك لحسن أدبك .

وكان أبو جعفر (عليه السلام) يقول له خيراً ، ويقول : « لن تخفى على الله خافية » .

فلم يلبث الشاميّ إلاّ قليلاً حتّى مرض واشتدّ وجعه ، فلمّا ثقل دعا وليّه وقال له : إذا أنت مددت عليّ الثوب فائت محمّد بن عليّ (عليهما السلام) وسله أن يصلّي عليّ ، وأعلمه أنّي أنا الذي أمرتك بذلك .

قال : فلمّا أن كان في نصف الليل ظنّوا أنّه قد برد ، وسجّوه ؛ فلمّا أن أصبح الناس خرج وليّه إلى المسجد ، فلمّا أن صلّى محمّد بن عليّ (عليه السلام) وتورّك ـ وكان إذا صلّى

عقَب في مجلسه ـ قال له : يا أبا جعفر ، إنّ فلاناً الشاميّ قد هلك ، وهو يسألك أن تصلّي عليه ، فقال أبو جعفر : كلّا ، إنّ بلاد الشام بلاد برد ، والحجاز بلاد حرّ ، ولهبها شديد ، فانطلق فلا تعجل على صاحبك حتى آتيكم .

ثمّ قام (عليه السلام) من مجلسه فأخذ وضوءاً، ثمّ عاد فصلّى ركعتين ، ثمّ مدّ يده تلقاء وجهه ما شاء الله ، ثمّ خرّ ساجداً حتّى طلعت الشمس ، ثمّ نهض (عليه السلام) فانتهى إلى منزل الشاميّ ، فدخل عليه فدعاه فأجابه ، ثمّ أجلسه ، ودعا له بسويق فسقاه ، وقال لأهله : إملأوا جوفه ، وبرّدوا صدره بالطعام البارد ، ثمّ انصرف .

فلم يلبث إلاّ قليلاً حتّى عوفي الشاميّ ، فأتى أبا جعفر (عليه السلام) فقال : أخلني ، فأخلاه فقال : أشهد أنّك حجّة الله على خلقه ، وبابه الذي يؤتى منه ، فمن أتى من غيرك خاب وخسر ، وضلّ ضلالاً بعيداً .

قال له أبو جعفر (عليه السلام) : وما بدا لك ؟ قال : أشهد أنّي عهدت بروحي وعاينت بعيني ، فلم يتفاجأني إلاّ ومنادٍ ينادي ، أسمعه بأذني ينادي : وما أنا بالنائم : ردّوا عليه روحه ، فقد سألنا ذلك محمّد بن عليّ .

فقال له أبو جعفر : أما علمت أنّ الله يحبّ العبد ويبغض عمله ، ويبغض العبد ويحبّ عمله ؟

(أي : يحدث هذا أحياناً ، فقد كنتَ مبغوضاً عند الله تعالى ، أما محبّتك لنا فهي عند الله تعالى مطلوبة) .

قال الراوي : فصار الشاميّ بعد ذلك من أصحاب أبي جعفر (عليه السلام) .



الفصل الثالث

في ذكر طرف من معجزات الامام الباقر (عليه السلام)

أولاً : في ذكر معجزاته (عليه السلام)

رُوي عن أبي بصير قال : دخلت المسجد مع أبي جعفر (عليه السلام) والناس يدخلون ويخرجون ، فقال لي : سل الناس هل يرونني ؟ فكلّ مَن لقيته قلت له : أرأيت أبا جعفر ؟ يقول : لا ، وهو واقف ؛ حتّى دخل أبو هارون المكفوف ، قال : سل هذا ، فقلت : هل رأيت أبا جعفر ؟ فقال : أليس هو بقائم ؟ قلت : وما علمك ؟ قال : وكيف لا أعلم وهو نور ساطع ؟

وقال أبو بصير أيضاً : سمعته يقول لرجل من أهل إفريقية : ما حال راشد ؟ قال : خلّفته حيّاً صالحاً يقرئك السلام ، قال : رحمه الله ، قال : مات ؟ قال : نعم ، قال : متى ؟ قال : بعد خروجك بيومين ، قال : والله ما مرض ولا كان به علّة ! قال : وإنّما يموت من يموت من مرض وعلّة .

قلت : من الرجل (من يكون راشد) ؟ قال : رجل لنا موالٍ ولنا محبّ ، ثمّ قال :

« أترون أن ليس لنا معكم أعين ناظرة ، وأسماع سامعة ؟ بئس ما رأيتم ، والله لا يخفى علينا شيء من أعمالكم ، فاحضرونا جميعاً ، وعوّدوا أنفسكم الخير ، وكونوا من أهله تُعرفوا ، فإنّي بهذا آمر ولدي وشيعتي » .

ثانياً : في استحضاره الأموات بإعجازه (عليه السلام)

روى القطب الراونديّ عن أبي عُيينة قال :

كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فدخل رجل فقال : أنا من أهل الشام أتولاّكم وأبرأ من عدوّكم ، وأبي كان يتوّلى بني أميّة ، وكان له مال كثير ، ولم يكن له ولد غيري ، وكان

مسكنه بالرملة ، وكان له جُنينة يتخلّ فيها بنفسه ، فلمّا مات طلبت المال أظفر به ، ولا أشكّ أنّه دفنه وأخفاه منّي .

قال أبو جعفر (عليه السلام) : أفتحبّ أن تراه وتسأله أين موضع ماله ؟ قال : إيّ والله ، إنّي لفقير محتاج ، فكتب أبو جعفر كتاباً وختمه بخاتمه ، ثمّ قال :

« انطلق بهذا الكتاب إلى البقيع حتّى تتوسّطه ، ثمّ نادِ : يا درجان ، فإنّه يأتيك رجل معتمّ فادفع إليه كتابي وقل : أنا رسول محمّد بن عليّ بن الحسين (عليهم السلام) ، فإنّه يأتيك فاسأله عمّا بدا لك » . فأخذ الرجل الكتاب وانطلق .

قال أبو عيينه : فلمّا كان من الغد أتيت أبا جعفر (عليه السلام) لأنظر ما حال الرجل ، فإذا هو على الباب ينتظر أن يؤذن له ، فأُذن له فأدخلنا جميعاً ، فقال الرجل :

الله يعلم عند من يضع العلم ، قد انطلقت البارحة ، وفعلت ما أمرت ، فأتاني الرجل فقال : لا تبرح من موضعك حتّى آتيك به ، فأتاني برجل أسود فقال : هذا أبوك ، قلت : ما هو أبي ، قال : غيّره اللهب ودخان الجحيم والعذاب الأليم ، قلت : أنت أبي ؟ قال : نعم ، قلت : فما غيّرك عن صورتك وهيئتك ؟ قال : يا بنيّ كنت أتولّى بني أميّة ، وأفضّلهم على أهل بيت النبي بعد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، فعذّبني الله بذلك ، وكنتَ أنت تتولاّهم ، وكنتُ أبغضتك على ذلك وحرمتك مالي فزويته عنك ، وأنا اليوم على ذلك من النادمين ؛ فانطلق يا بنيّ إلى جنّتي فاحفر تحت الزيتونة وخذ المال مئة ألف درهم ، فادفع إلى محمّد بن عليّ خمسين ألفاً والباقي لك .

ثمّ قال : وأنا منطلق حتّى آخذ المال وآتيك بمالك .

قال أبو عيينة : فلمّا كان من قابل سألت أبا جعفر (عليه السلام) : ما فعل الرجل صاحب المال ؟ قال : قد أتاني بخمسين ألف درهم فقضيت منها ديناً كان عليّ ، وابتعت منها أرضاً بناحية خيبر ، ووصلت منها أهل الحاجة من أهل بيتي .

يقول المؤلّف : أورد ابن شهر اشوب هذه الرواية أيضاً باختلاف طفيف ، ووفقاً لروايته : فإن الرجل الشاميّ رأى أباه أسود اللون وقد التفّ حبل أسود حول عنقه ، وتدلّى لسانه من العطش وهو يلهث ، وعليه سربال أسود ؛ وجاء في آخر الرواية أنّ أبا جعفر (عليه السلام) قال : « أما إنه سينفع الميّت الندم على ما فرّط من حبّنا ، وضيّع من حقّنا ، بما أدخل علينا من الرفق والسرور » .

ثالثاً : في دلائله (عليه السلام) عند جابر بن يزيد

جاء في (البحار) نقلاً عن (الكافي) عن النعمان بن بشير أنّه قال :

كنت مزاملاً لجابر بن يزيد الجعفيّ ، فلمّا أن كنّا بالمدينة دخل على أبي جعفر (عليه السلام) فودّعه ، وخرج من عنده وهو مسرور ، حتّى وردنا الأُخَيْرِجة ـ أوّل منزل تعدل من فيد إلى المدينة ـ يوم جمعة ، فصلّينا الزوال ، فلمّا نهض بنا البعير إذ أنا برجل طوال آدم (أي أسمر) معه كتاب ، فناوله فقبّله ووضعه على عينيه ، وإذا هو من محمّد بن عليّ إلى جابر بن يزيد ، وعليه طين أسود رطب ، فقال له : متى عهدك بسيّدي ؟ فقال : الساعة ، فقال له : قبل الصلاة أو بعد الصلاة ؟ فقال : بعد الصلاة .

قال : ففضّ الخاتم وأقبل يقرأه ، ويقبض وجهه ، حتّى أتى على آخره ، ثمّ أمسك الكتاب ، فما رأيته ضاحكاً ولا مسروراً حتّى وافى الكوفة .

فلمّا وافينا الكوفة ليلاً بتّ ليلتي ، فلمّا أصبحت أتيته إعظاماً له ، فوجدته قد خرج عليّ وفي عنقه كعاب[1] قد علّقها ، وقد ركب قصبة ، وهو يقول : أجد منصور ، ابن جمهور أميراً غير مأمور ، ونحو هذا !!

فنظر في وجهه ، ونظرت في وجهه ، فلم يقل لي شيئاً ولم أقل له ، وأقبلت أبكي لما رأيته ، واجتمع عليّ وعليه الصبيان والناس ، وجاء حتى دخل الرحبة ، وأقبل يدور مع الصبيان ، والناس يقولون : جُنّ جابر بن يزيد .

فوالله ما مضت الأيّام حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك إلى واليه : أن انظر رجلاً يقال له : جابر بن يزيد الجعفيّ فاضرب عنقه ، وابعث إليّ برأسه .

التفت (الوالي) إلى جلسائه فقال لهم : مَن جابر بن يزيد الجعفيّ ؟ قالوا : أصلحك الله ، كان رجلاً له علم وفضل وحديث وحجّ فجنّ ، وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم .

قال : فأشرف عليه فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب ، فقال : الحمد لله الذي عافاني من قتله .

قال : ولم تمض الأيّام حتّى دخل منصور بن جمهور الكوفة ، وصنع ما كان يقول جابر .

ليعلمْ أن منصور بن جمهور ولّاه يزيد بن الوليد من خلفاء بني أميّة الكوفة ، بعد عزل

---

(١) الكعاب : جمع كعب : عظم يكون مفصلاً للعظام .

يوسف بن عمر سنة ستّ وعشرين ومئة ، وكان ذلك بعد وفاة الباقر (عليه السلام) باثنتي عشرة سنة . ولعلّ جابراً رحمه الله أخبر بذلك في ما أخبر من وقائع الكوفة الآتية ، بعد أن سمعها من الإمام (عليه السلام) .

يقول المؤلّف : كان جابر بن يزيد من كبار التابعين ، حاملاً لأسرار علوم أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) ، تظهر منه أحياناً بعض المعجزات التي لا قدرة للناس على تحمّل سماعها فينسبون إليه الاختلاط ، غير أنّ المرويات في مدحه كثيرة ، بل قيل في (رجال الكشّي) : إنّ علم الأئمّة (عليهم السلام) ينتهي إلى أربعة : الأول سلمان الفارسيّ رضي الله عنه ، والثاني : جابر ، والثالث : السيّد (المراد السيّد الحميري) ، والرابع : يونس بن عبد الرحمن ، والمراد بجابر : جابر بن يزيد الجعفيّ لا جابر الأنصاريّ وذلك بتصريح من علماء الرجال .

ويقول ابن شهر اشوب والكفعميّ بأنّه باب الإمام الباقر (عليه السلام) ، والمراد ظاهراً : باب علومهم وأسرارهم سلام الله عليهم ، وروى حمدان الحضيني نقلاً عن الصادق (عليه السلام) إنّه قال :

« إنّما سمّي جابراً لأنّه جبر المؤمنين بعلمه ، وهو بحر لا يُنزح ، وهو الباب في دهره ، والحجّة على الخلق من حجّة الله أبي جعفر محمّد بن عليّ (عليهما السلام) » .

وذكر القاضي نور الله في (مجالس المؤمنين) : جاء في كتاب (الخلاصة) عن جابر بن زيد الجعفيّ الكوفيّ أنّ الصادق (عليه السلام) قال : « رحم الله جابراً الجعفيّ ، كان يصدق علينا » ؛ وقال ابن الغضائريّ : جابر ثقة ، أمّا أكثر من رووا عنه فضعاف .

وجاء في كتاب الشيخ أبي عمر الكشّي عن جابر المذكور أنّه قال : قدمت على الإمام الباقر (عليه السلام) بالمدينة أيّام شبابي ، فلمّا انتهيت إلى مجلسه قال : من أنت ؟ قلت : رجل من الكوفة ، قال : ممّن ؟ قلت : جعفيّ ، قال : وما أقدمك ؟ قلت : جئت لطلب العلم ، قال : وممّن تطلبه ؟ قلت : منكم . قال : فإذا سئلت بعد هذا فقل : من المدينة .

فقلت له : قبل أيّ سؤال آخر أسألك عن هذا الذي قلته ، فهل الكذب جائز ؟ فقال (عليه السلام) : ليس كذباً ما أعلّمه كتاباً لك ، فمن كان في مدينة فهو من أهلها حتى يخرج منها ، ثمّ أعطاني كتاباً وقال : إن رويت منه شيئاً ما بقي بنو أميّة فعليك لعنتي ولعنة آبائي ، ثم أعطاني كتاباً آخر وقال : اعرف ما فيه ، ولا تحدّث به أحداً ، فإن فعلت فعليك لعنتي ولعنة آبائي .

وروى أيضاً أنّه لما قتل الوليد الخليفة الأمويّ اغتنم جابر الفرصة فاعتمّ بعمامة من الخزّ

الأحمر ، وقدم المسجد ، فاجتمع الناس إليه فجعل يحدّثهم عن الباقر (عليه السلام) ، ويقول عند كلّ حديث يرويه : حدّثني وصيّ والأصياء ، ووارث علم الأنبياء محمّد بن عليّ (عليه السلام) .

فقال جماعة كانوا حاضرين : جُنّ جابر .

وروي عن جابر أنّه قال : حدّثني أبو جعفر (عليه السلام) سبعين ألف حديث لم أحدّث بها أحداً قطّ ، ولا أحدّث بها أحداً أبداً .

قال جابر : فقلت لأبي جعفر (عليه السلام) : جعلت فداك ، إنّك حمّلتني وقراً عظيماً بما حدّثتني به من سرّكم الذي لا أحدّث به أحداً ، وربّما جاش في صدري حتّى يأخذني منه شبيه الجنون ، قال : يا جابر ، فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجبّان ، فاحفر حفيرة ودلّ رأسك فيها ، ثمّ قل : حدّثني محمّد بن عليّ بكذا وكذا .

أقول : حكى الحسين بن حمدان أنّه لمّا جعل جابر نفسه مجنوناً وصار يركب القصب ويلعب مع الصبيان أقسم شخص ذات ليلة بالطلاق من زوجه أنّه سيسأل أوّل من يلقاه في غده عن أحوال النساء ، فاتّفق له أن كان جابر أوّل من لقيه ، وكان راكباً قصبته ، فسأله ، فقال : النساء ثلاثة أقسام ، ومضى ؛ فأمسك الرجل بالقصبة كي يمنعه فقال له : دع جوادي ، ثمّ انطلق مع الصبيان .

لم يفهم الرجل شيئاً ، فلحق بجابر وقال : هلاّ أوضحت لي ما قلت ؟ قال : واحدة لك فيها النفع ، وواحدة لك فيها الضرر ، وواحدة لا نفع فيها ولا ضرر ، ثمّ مضى ؛ فلحق به الرجل وقال : لم أفهم ما قلت ، فقال له : أمّا التي فيها نفعك فالبكر ، وأمّا التي فيها ضررك فالتي تزوّجت ولها من زوجها السابق أولاد ، وأمّا التي لا نفع فيها ولا ضرر فالثيّب التي لا أولاد لها .

رابعاً : في معجزاته (عليه السلام) في بَدِرَ[1] الذهب

جاء في (البحار) نقلاً عن كتاب (الاختصاص) و(بصائر الدرجات) عن جابر بن يزيد أنّه قال :

دخلت على أبي جعفر (عليه السلام)فشكوت إليه الحاجة ، فقال : يا جابر ، ما عندنا درهم ، فلم ألبث أن دخل عليه الكميت فقال له ؛ جعلت فداك ، إن رأيت أن تأذن لي حتى

(١) البدرة ، جمع بدر وبدور : عشرة آلاف درهم ، أو الكيس الموضوعة فيه كمّيّة عظيمة من المال ، يقولون : فلان يهب البدور .

أنشدك قصيدة ، فقال له : أنشد ، فأنشده قصيدة ، فقال : يا غلام ، أخرج من ذاك البيت بدرة فادفعها إلى الكميت !! فقال له : جعلت فداك ، إن رأيت أن تأذن لي أنشدك قصيدة أخرى ، فقال : أنشد ، فأنشده أخرى ، فقال : يا غلام ، أخرج من ذلك البيت بدرة فادفعها إلى الكميت ، قال : فأخرج بدرة فدفعها إليه ، قال : فقال له : جعلت فداك ، إن رأيت أن تأذن لي أنشدك ثالثة ، قال له : أنشد ، فأنشده فقال : يا غلام ، أخرج من ذلك البيت بدرة فادفعها إليه ، فقال الكميت : جعلت فداك ، والله ما أحبّكم لغرض الدنيا ، وما أردت بذلك إلاّ صلة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وما أوجب الله عليّ من الحقّ .

قال : فدعا له أبو جعفر (عليه السلام) ثمّ قال : يا غلام ، ردّها مكانها .

قال : فوجدت في نفسي ، وقلت : قال ليس عندي درهم ، وأمر للكميت بثلاثين ألف درهم ! قال : فقام الكميت وخرج .

قلت له : جعلت فداك ، قلتَ ليس عندي درهم ، وأمرت للكميت بثلاثين ألف درهم !!

فقال لي : قم يا جابر وادخل البيت ، فقمت ودخلت البيت فلم أجد منه شيئاً ، فخرجت إليه ، فقال لي : يا جابر ، ما سترنا عنكم أكثر ممّا أظهرنا لكم ، فقام وأخذ بيدي وأدخلني البيت ، ثم قال : ضرب برجله الأرض فإذا شبيه بعنق البعير قد خرجت من ذهب ، ثم قال لي :

يا جابر ، انظر إلى هذا ولا تخبر به أحداً إلاّ من تثق به من إخوانك ، إنّ الله أقدرنا على ما نريد ، ولو شئنا أن نسوق الأرض بأزمّتها لسقناها .

خامساً : في أن الجدران لا تحجبه (عليه السلام) عن الرؤية

ذكر القطب الراوندي عن أبي الصبّاح الكنانيّ قال : صرت يوماً إلى باب أبي جعفر (عليه السلام) فقرعت الباب ، فخرجت إليّ وصيفة ناهد ، فضربت بيدي على رأس ثديها ، فقلت لها : قولي لمولاك إنّي بالباب ، فصاح من آخر الدار : ادخل لا أمّ لك ؛ فدخلت وقلت : والله ما أردت ريبة ، ولا قصدت إلاّ زيادة في يقيني .

فقال : صدقت ، لئن ظننتم أن هذه الجدران تحجب أبصارنا كما تحجب أبصاركم إذاً لا فرق بيننا وبينكم ، فإيّاك أن تعاود لمثلها .

يقول المؤلّف : روي أيضاً عن أحد أصحابه (عليه السلام) أنّه قال :

كنت أقرىء امرأة القرآن بالكوفة ، فمازحتها بشيء ، فلمّا دخلت على أبي جعفر

(عليه السلام) عاتبني وقال : من ارتكب الذنب في الخلاء لم يعبأ الله به ، أيّ شيء قلت للمرأة ؟ فغطّيت وجهي حياءً ، وتبت ، فقال أبو جعفر (عليه السلام) : لا تعد .

سادساً : في إخراجه (عليه السلام) الطعام وغيره من الآجرّ

جاء في (مدينة المعاجز) عن محمّد بن جرير الطبريّ أنّه قال : حدّثني أبو محمّد بن سفيان ، عن أبيه عن الأعمش أنّه قال : روى قيس بن ربيع فقال : كنت ضيفاً عند الإمام الباقر (عليه السلام) ولم يكن في بيته سوى قطعة من الآجرّ ، فلما دخلت صلاة العشاء وقف (عليه السلام) فاقتديت به ، ثم إنّه مدّ يده إلى قطعة الآجرّ فأخرج منها صحيفة حجريّة مدت عليها أصناف المآكل من حارّة وباردة وقال : « هذا ما أعدّ الله للأولياء » ، فأكل وأكلت معه ، ثم عادت المائدة إلى قطعة الآجر تلك ، فداخلني من الأمر شيء ، حتّى إذا خرج (عليه السلام) لبعض شأنه قمت إلى قطعة الآجر فقلّبتها بين يديّ فما رأيت فيها سوى قطعة من الآجرّ صغيرة .

ثمّ دخل (عليه السلام) وعرف ما في نفسي فأخرج من تلك الآجرّة أقداحاً وأكوازاً مليئة بالماء فشربت ، ثمّ أعادها إلى موضعها وقال : إنّ مَثَلي معك مثل اليهود مع المسيح (عليه السلام) ، كانوا أحياناً لا يصدّقونه ، ثمّ إنّه أمر قطعة الآجرّ بالكلام ، فتكلّمت .

سابعاً : في إخراجه (عليه السلام) تفّاحاً من الحجارة

وجاء في الكتاب نفسه عن جابر بن يزيد أنّه قال :

خرجت يوماً مع الإمام الباقر (عليه السلام) وقد عزم على الذهاب إلى الحيرة ، فلمّا صرنا إلى كربلاء قال لي :

« هذه روضة من رياض الجنّة لنا ولشيعتنا ، وحفرة من حفر جهنّم لأعدائنا » .

وبعد أن انتهى إلى حيث قصد التفت إليّ فقال : يا جابر ، قلت : لبّيك سيّدي ، قال : أتودّ أن تطعم شيئاً ؟ قلت : أجل يا سيّدي ؛ فأدخل (عليه السلام) يده بين الحجارة واستخرج لي تفّاحة لم أشم رائحة أزكى منها ، ولا تشبه بوجه من الوجوه فاكهة الدنيا ، فعرفت أنها من ثمار الجنّة ، فأكلتها ، فما أحسست بعدها بالحاجة إلى الطعام لأربعة أيام ، ولم أُحْدِث .

ثامناً : في ما شاهده عمر بن حنظلة من دلائله (عليه السلام)

روى الصفّار عن عمر بن حنظلة أنّه قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : إنّي أظنّ أنّ لي عندك منزلة ، قال : أجل ، قلت : فإنّ لي إليك حاجة ، قال : وما هي ؟ قلت :

تعلّمني الاسم الأعظم ! قال : وتطيقه ؟ قلت : نعم ، قال : فادخل البيت .

قال : فدخل البيت فوضع أبو جعفر يده على الأرض فأظلم البيت ، فأرعدت فرائص عمر ، فقال (عليه السلام) : ما تقول ، أعلّمك ؟ قال : فقلت : لا ، فرفع (عليه السلام) يده فرجع البيت كما كان .

يقول المؤلّف : جاء في المرويّات إن الاسم الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وكان عند آصف حرف واحد منها مكّنه من إحضار عرش بلقيس إلى سليمان بطرفة عين ، وكان عند سليمان بن داود حرف منها ، وأعطي عيسى (عليه السلام) حرفين استطاع بواسطتهما إحياء الموتى ، وردّ الأبصار إلى العميان ، وشفاء البُرص ؛ وسلمان (عليه السلام) تعلّم الأسم الأعظم وكان عنده ، ومن هنا يعلم عظمة شأن سلمان وعلوّ مقام قدوة أهل الإيمان ذاك (ره) .

وعمر بن حنظلة راوي الرواية المتقدّمة هو صاحب المقولة المعروفة عند الفقهاء ، فيروى عنه أنّه قال : سألت الإمام الصادق (عليه السلام) عن اثنين من أصحابنا يتنازعان في دَيْن أو ميراث ، فماذا يفعلان ؟ قال : ينظران إلى أحدكم ممّن يروون عنّا ، ويتأمّلون في حلالنا وحرامنا ، ويعرفون أحكامنا ويقبلون حكمه ، فإذا حكم من جعلته لكم حكماً ولم يقبلوا منه فقد استخفّوا بحكم الله وردّوا علينا ، والرادّ علينا رادّ على الله ، وذلك في معرض الشرك بالله[1] .

تاسعاً : في نزول العنب والملابس له (عليه السلام) من السماء

وجاء في (مدينة المعاجز) نقلاً عن (ثاقب المناقب) رواية عن الليث بن سعد أنّه قال : كنت على جبل « أبي قبيس » أدعو ، فرأيت رجلاً يدعو الله عزّ وجلّ وقال في دعائه : اللهمّ إنّي أريد العنب فارزقنيه ، فرأيت[2] غمامة أظلّته ودنت من رأسه ، فرفع يده إليها فأخذ منها سلّة من عنب ، ووضعها بين يديه .

ثمّ رفع يده ثانية فقال : اللهمّ إنّي عريان فاكسني ، فدنت الغمامة منه ثانية ، فرفع يده ثانية فأخذ منها شيئاً ملفوفاً في ثوب ، ثمّ جلس يأكل العنب ، وما ذلك في زمان العنب !

فقربت منه فمددت يدي إلى السلّة وتناولت حبّات ، فنظر إليّ وقال : ما تصنع ؟ فقلت : أنا شريكك بالعنب ، قال : ومن أين ؟ قلت : لأنّك كنت تدعو وأنا أؤمّن على

(١) الحديث أتى مضموناً لا نصّاً .

(٢) فنزلت .

دعائك ، والداعي والمؤمّن شريكان ، فقال : اجلس ، فجلست فأكلت معه ، فلمّا اكتفينا ارتفعت السلّة .

فقام فقال لي : خذ أحد الثوبين ، فقلت : أمّا الثوب فلا أحتاج إليه ، فقال : انحرف عنّي حتّى ألبسه ، فانحرفت عنه فاتّزر بأحدهما وارتدى بالآخر عليه ، وطواه ورفعه بكفّه ، ونزل عن « أبي قبيس » ، فلمّا وصل قريباً من الصفا استقبله إنسان فأعطاه ، فسألت عنه وقلت لبعض من كان : من هذا ؟ قال : هذا ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) .

عاشراً : في ردّه (عليه السلام) البصر إلى أبي بصير ثم إعادته إلى حاله الأولى

روى القطب الراونديّ بسنده عن أبي بصير أنّه قال :

قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : أنا مولاك ومن شيعتك ، ضعيف ضرير ، فاضمن لي الجنّة ، قال : أوَلا أعطيك علامة الأئمّة ؟ قلت ؛ وما عليك أن تجمعها لي (أي تجمع لي ضمان الجنّة وعلامات الأئمّة معاً) ؟ قال : وتحبّ ذلك ؟ قلت : وكيف لا أحبّ ؟

فما زاد أن مسح على بصري ، فأبصرت جميع الأئمّة عنده في السقيفة التي كان جالساً فيها ، قال : يا أبا محمّد ، مدّ بصرك فانظر ماذا ترى بعينيك ، قال : فوالله ما أبصرت إلاّ كلباً أو خنزيراً أو قرداً ، قلت : ما هذا الخلق الممسوخ ؟ قال : هذا الذي ترى هو السواد الأعظم ، ولو كشف للناس ما نظر الشيعة إلى من خالفهم إلاّ في هذه الصورة .

ثمّ قال : يا أبا محمّد ، إن أحببت تركتك على حالك هذا ، وإن أحببت ضمنت لك على الله الجنّة ، ورددتك إلى حالك الأوّل .

قلت : لا حاجة لي في النظر إلى هذا الخلق المنكوس ، ردّني ، ردّني إلى حالتي ، فما للجنّة عوض .

فمسح يده على عيني ، فرجعت كما كنت .

حادي عشر : في استخراجه الماء في البادية من أجل قبّرة

روى الشيخ البرسيّ عن محمّد بن مسلم أنّه قال :

خرجنا برفقة الإمام الباقر (عليه السلام) فبلغنا أرضاً جافّة يابسة كأنّ النار ـ من شدّة الحر ـ تخرج منها ، فجعلت أسراب من العصافير تطير حول بغلته وتلفّ وتدور ، لكنّه جعل يدفعها ويقول : لا إكرام لكُنّ عندي ، ثم مضى حتى بلغ مقصده .

ولّما كان من الغد رجعنا وانتهينا إلى الأرض نفسها ، فعادت الطيور إلى الدوران حول البغلة ، وهي تخفق بأجنحتها فوق رؤوسنا فسمعته (عليه السلام) يقول : إشربن حتى ترويْن ، فنظرت فرأيت ماء كثيراً في هذه الفلاة ، فقلت : يا مولاي ، تمنعها أمس وترويها اليوم ؟! قال : اعلم أنّ قبّرة قد اختلطت بها ، فقدّمت لها الماء ولولا القبّرة لما فعلت .

قلت : وما الفرق بين القبّرة والعصفور ؟

قال : ويحك ، أما العصافير فموالية لفلان وفلان فهي منهم ، وأمّا القبّرة فهي موالية لنا أهل البيت ، وهي تقول في شدوها : « بوركتم أهل البيت ، وبوركت شيعتكم ، ولعن الله أعداءكم » .

ثاني عشر : في إخباره (عليه السلام) بالمغيّبات

روى أبو بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال لرجل من خراسان : كيف أبوك ؟ قال : صالح ، قال : قد مات أبوك بعدما خرجت حيث سرت إلى جرجان .

ثمّ قال (عليه السلام) : كيف أخوك ؟ قال : تركته صالحاً ، قال : قد قتله جار له ، يقال له صالح ، يوم كذا في ساعة كذا ، فبكى الرجل وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون بما أصبت ، فقال أبو جعفر (عليه السلام) : اسكن ، فقد صاروا إلى الجنّة ، والجنّة خير لهم ممّا كانوا فيه .

فقال له الرجل : إنّي خلّفت ابني وجعاً شديد الوجع ، ولم تسألني عنه ، قال : قد برىء ، وقد زوّجه عمّه ابنته ، وأنت تقدم عليه وقد ولد له غلام واسمه عليّ ، وهو لنا شيعة ، وأمّا ابنك فليس لنا شيعة ، بل هو لنا عدوّ .

فقال له الرجل : فهل من حيلة ؟ قال : إنّه عدوّ ، وهو وَقيدٌ .

قال أبو بصير : قلت : من هذا ؟ قال : رجل من أهل خراسان ، وهو لنا شيعة وهو مؤمن .

الفصل الرابع

في ذكر طرف من مواعظ وكلمات الإمام الباقر (عليه السلام)

١ ـ قال (عليه السلام) : « ما شِيبَ شيءٌ بشيء أحسن من حلم بعلم » .

يقول المؤلّف : الحلم كبح النفس عن ثورة الغضب ، فلا يدع الحليم لسورة الغضب أن تحرّكه بسهولة ، ولا يبدر منه ما يجافي الأناة ، ولا تنال من ثباته عاديات الأيام .

ويكفي الحلم شرفاً أنه للعلم توأم ، وهما ـ كالصلاة والزكاة ـ يذكران معاً .

٢ ـ وقال (عليه السلام) أيضاً : « الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين ، والصبر على النائبة ، وتقدير المعيشة » .

حكاية والدة المجلسيّ الأوّل : يذكر شيخنا ثقة الإسلام النوريّ في خاتمة (المستدرك) ـ في أحوال العلّامة المجلسيّ مولانا محمّد بن الباقر بن محمّد تقيّ بن مقصود عليّ الملقّب بالمجلسيّ رحمه الله ـ أنّ والدة الملاّ محمّد تقيّ كانت عارفة مقدّسة صالحة ، ويروى عن تقواها وصلاحها أنّه لمّا عزم زوجها الملاّ مقصود عليّ على السفر أتى بولديه الملاّ محمّد تقيّ والملاّ محمّد الصادق إلى العلّامة المقدّس الورع الملاّ عبد الله الشوشتري لتعليمهما العلوم الشرعية ، وطلب منه المواظبة على تعليمهما ، ثم سافر .

اتفق أنّ الوقت إذ ذاك كان عيداً ، فأعطى الملاّ عبد الله إلى الملاّ محمّد تقيّ ثلاثة (تومانات)[1] وقال : اصرفاها في ضروريّات معاشكما، فقال: ليس بمقدورنا صرفها إلاّ بعد إطلاع الوالدة واستئذانها.

ولمّا عرضا الأمر على والدتهما قالت : إنّ لأبيكما دكّاناً تغلّ أربعة عشر غازاً[2] ، وهذا

---

١) تومان : عملة إيرانية .

٢) الغاز : أصغر وحدة نقدية كانت تُتداول أيّام الدولة القاجاريّة .

المبلغ يكفي لمعاشكما بنحو قسّمته وحدّدته لذلك ، وقد اعتدتما على هذا خلال تلك المدّة ، فإذا قبلنا المبلغ الذي عرضه الملاّ عبد الله أصبحتما في سعة معاش ورخاء حال ، الأمر الذي سينسيكما ما اعتدتما عليه من تقدير وتحديد ، وإذ ذاك لن يكون بمقدوركما الصبر على دخلنا القليل فأضطر لأن أشكو للملاّ عبد الله أو لغيره ما تكابدانه من ضيق الحال ، وهذا لا يليق بنا .

فلمّا علم مولانا بالأمر دعا الله تعالى لهم فاستجيب دعاؤه ، وخرج من هذه السلالة الجليلة من حماة الدين ومروّجي شريعة سيّد المرسلين ، وخاتم النبيينَ محمّد (صلّى الله عليه وآله) هذا البحر الموّاج والسراج والوهّاج .

٣ ـ وقال (عليه السلام) : « صحبة عشرين سنة قرابة » .

٤ ـ وقال (عليه السلام) : « ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة : أن تعفو عمّن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتحلم إذا جُهل عليك » .

٥ ـ وقال (عليه السلام) : « ما من عبد يمتنع من معونة أخيه المسلم والسعي في حاجته ـ قضيت أم لم تقض ـ إلاّ ابتلي بالسعيّ في حاجة في ما يوثم عليه ولا يؤجر ، وما من عبد يبخل بنفقة ينفقها في ما يرضي الله إلاّ ابتلى بأن ينفق أضعافها في ما أسخط الله » .

٦ ـ وقال (عليه السلام) : « من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً فإنّ مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً » .

٧ ـ وقال (عليه السلام) : « كم من رجل لقي رجلاً فقال له : أكبّ الله عدوّك ، وما له من عدوّ إلاّ الله » .

٨ ـ وقال (عليه السلام) : « عالم يُنتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد » .

روايات في فضل العلم والعلماء : يقول المؤلّف : الروايات الواردة في فضل العلم والعلماء أكثر من أن تحصى ، ومن الأخبار الواردة في هذا الصدد :

عالم واحد أفضل من ألف عابد وألف زاهد .

وقيل : فضل العالم على العابد كفضل الشمس على الكواكب .

وقيل : ركعة صلاة يؤدّيها فقيه أفضل من سبعين ألف ركعة يؤدّيها عابد .

وقيل : نوم العالم أفضل من صلاة مع جهل .

وقيل : إذا مات المؤمن وترك ورقة فيها علم كانت هذه الورقة يوم القيامة ستاراً بينه وبين

النار، وأعطاه الله بكل حرف فيها مدينة أوسع من الدنيا بسبع مرات؛ وإذا مات الفقيه بكته الملائكة وبقاع الأرض التي عبد الله فيها، وأبواب السماء التي ارتفعت أعماله منها؛ وتحدث في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء، ذلك أنّ المؤمنين الفقهاء هم قلاع الإسلام، كقلعة تقام حول مدينة.

إلى غير ذلك .

وقد أورد شيخنا ثقة الإسلام النوريّ في (الكلمة الطيّبة) أخباراً كثيرة في فضل العلم والعلماء وفوائد وجودهم ، ومنها قوله :

ومن فوائد وجود العلماء أنّهم أسباب لحبّ الله تعالى لعباده ، وحبّهم لله ، وهاتان المحبّتان هما غاية سير السالكين ، وآخر مراحل الراجعين إلى الله .

وروى السبط الشيخ الطبرسي (ره) في كتاب (مشكاة الأنوار) أنّ رجلاً أتى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال :

يا رسول الله ، إذا حضرَتْ جنازة وحضر مجلس عالم ، أيّما أحبّ إليك أن أشهد ؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

« إنّ كان للجنازة من يتبعها ويدفنها فإنّ حضور مجلس عالم أفضل من حضور ألف جنازة ، ومن عيادة ألف مريض ، ومن قيام ألف ليلة ، ومن صيام ألف يوم ، ومن ألف درهم يُتصدّق بها على المساكين، ومن ألف حجّة سوى الفريضة، ومن ألف غزوة ـ سوى الواجب ـ تغزوها في سبيل الله بمالك وبنفسك، وأين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم؟! أما علمت أنّ الله يطاع بالعلم، ويعبد بالعلم، وخير الدنيا والآخرة مع العلم، وشرّ الدنيا والآخرة مع الجهل؟

ألا أحدّثكم عن أقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله على منابر من نور ؟»

قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال :

« هم الذي يحبّبون عباد الله إلى الله ، ويحبّبون الله إلى عباده » .

قلنا : هذا حبّبوا الله إلى عباده ، فكيف يحبّبون عباد الله إلى الله ؟

قال : « يأمرونهم بما يحبّ الله ، وينهونهم عمّا يكره الله ، فإذا أطاعوهم أحبّهم الله » .

ومن فوائد وجود العلماء مضاعفة ثواب الصلوات معهم ، كما يروي الشيخ

الشهيد (ره) أنّ الصلاة مع العالم في غير المسجد الجامع تعادل مئة ألف ركعة ؛ وفي المسجد الجامع تعادل مئة ألف ركعة ، وكذلك مضاعفة ثواب الصدقات .

ويروي العلاّمة الحليّ رحمه الله في (الرسالة السعديّة) ، وابن أبي الجمهور في (غوالي اللآلي) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : أن الصدقات على العلماء يعدل واحدها سبعة آلاف ، كما أنّ الخير والرحمة ينالان من يجالسهم ، وجاء في (الأمالي) عن الصادق (عليه السلام) أنه ما جلس مؤمن عند عالم ساعة إلاّ ناداه الله : جلست عند حبيبي ، فوعزّتي وجلالي لأجلسنّك في الجنة معه ولا أبالي .

وجاء في (عدّة الداعي) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : أنّ مجالسة عالم ساعةً أحبّ عند الله من عبادة ألف سنة .

وجاء في (الكافي) وغيره عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قوله بأنّ العلماء سادة ومجالستهم عبادة ، وجاء في بعض الأخبار النهي عن مجالسة قاضي العامّة ، وذلك لأنه قد تنزل عليه اللعنة فتصل إلى جليسه ، ومن هنا يُعلم أن مجالسة من هو موضع رحمة سبب للشركة في هذه النعمة .

وروي أيضاً أن مَثَل العالم مثل بائع العطر إذا لقيته ولم تشتر منه أصابك ريح عطره ، ومن الفوائد وصول الفيض إلى الناظرين إليهم ، ذلك أنّ النظر إلى وجه العالم عبادة ؛ وفي (جامع الأخبار) عن الرسول (صلّى الله عليه وآله) : أنّ النظر إلى العالم أحبّ عند الله من اعتكاف سنة في بيت الله الحرام ، وكذلك زيارته ، وفي الكتاب المذكور أيضاً عن الرسول (صلّى الله عليه وآله) : أن زيارته النظر إلى باب بيته ، وجاء في الكتاب المذكور أيضاً : أن الله عزّ وجلّ جعل النظر إلى باب بيت العالم عبادة ، وكذلك العلماء أحبّ عند الله من الطواف سبعين مرّة حول بيته ، وأفضل من سبعين حجّة وعمرة مقبولة ، ويرفع الله زائرهم سبعين درجة ، وينزل عليه الرحمة ، ويُشهد الملائكة أنّه أُوجب له الجنّة ، بل إنّه جعل زيارتهم بدل زيارة الأئمّة (عليهم السلام) مع كلّ ما فيها من الخير والأجر .

وجاء في (الكافي) عن الكاظم (عليه السلام) : أنّ من لم يقدر على زيارة قبورنا فليزر صلحاءنا وإخواننا .

كما أن دفع عذاب الدنيا والبرزخ عن المذنبين يكون بسبب وجود العلماء ، وفقاً لمرويّات يوجب ذكرها الإطالة .

يقول المؤلّف : رأيت من المناسب إيراد أشعار في مدح العلم والعمل ، وهذا مضمونها بإيجاز :

يقرّر الشاعر أنّه إذا كان من طبع السماء الأزل فإنّ أساس الكون هو العلم والعمل ، ثم يدعو إلى التوجّه بالعلم نحو الإله ، لا نحو الملك والمال والجاه ، ذلك أنّ العلم يقود إلى النعيم ، بينما يقود الجهل إلى الجحيم ؛ ثم يأخذ الشاعر بمدح العلم شريطة أن يقرن بالعمل ، فالعلم دون عمل كالغرس بلا ثمر ، أو كالبذور دون لباب ، والعالم دون عمل أشبه بالحيّ في قبر ، فما لم يقرن المرء علمه بعمله يكن عالماً اسماً ، لكنه بالفعل والواقع لا شيء ، فإذا عرف ذلك علم أنّه لا يعلم شيئاً[١] .

٩ ـ وقال (عليه السلام) : « إنّما مَثَل الحاجة إلى من أصاب ما له حديثاً كمثل الدرهم في فم الأفعى : أنت إليه محوج وأنت فيها على خطر » .

١٠ ـ وقال (عليه السلام) : « أربع من كنوز البرّ : كتمان الحاجة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان الوجع ، وكتمان المصيبة » .

يقول المؤلّف : جاء في (مجموعة ورّام) خبر عن الأحنف من المناسب إيراده هنا ، وهو أنّ الأحنف قال :

شكوت إلى عمّي صعصعة وجعاً وألماً أحسّه في قلبي ، فجعل يلومني ويقول : يا بن أخي ، إن أصابتك مصيبة فلا تشتك إلى من هو مثلك ، ذلك لأنّ من تشكو إليه إمّا أن يكون محبّاً لك فتسوؤه ، أو عدوّاً لك فتسرّه ، فلا تشتك ألمك ذاك إلى مخلوق مثلك ، لا قدرة له على دفع مثله عن نفسه ، فكيف عن الغير ؟! ولتكن شكواك إلى من ابتلاك به ، وهو القادر على دفعه عنك ، واسأله الفرج .

يا بن أخي ، إن إحدى عينيّ هاتين قد عميت منذ أربعين سنة ، فلست أرى بها سهلاً ولا جبلاً ، فلم أخبر بهذا زوجتي أو أحداً من أهل بيتي .

أقول : إنّ مضمون الفقرة الأولى يتضمنّه بيتان من الشعر كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يتمثّل بهما ، وهما :

فإن تسأليني كيف أنت فإنّني صبور على ريب الزمان صليب
يعزّ عليّ أنْ يُرى بي كآبةٌ فيشمت عادٍ أو يسأم حبيب

١١ ـ وقال (عليه السلام) : « إيّاك والكسل والضجر فإنّهما مفتاح كلّ شرّ ، فإنّ من كَسِل لم يؤدّ حقّاً ، ومن ضجر لم يصبر على حقّ » .

---

(١) مضمون أشعار بالفارسيّة (المعرّب) .

يقول المؤلّف : تحضرني في هذا المقام حكاية عن الشيخ العارف الزاهد أبي الحجّاج الأقصريّ أرى من المناسب إيرادها ، وهي أنّه سُئل يوماً : من هو شيخك ؟ فأجاب : شيخي أبو جعران[1] ، فظنّ الناس أنّه يمزح ، فقال : إنّي لا أمزح ، قالوا : فكيف يكون شيخك أبو جعران ؟ قال :

كنت ذات ليلة من ليالي الشتاء مستيقظاً فرأيت هذا الحيوان يدنو من المصباح يريد الوصول إليه ، وكان المصباح فوق قائمة كالمنارة ملساء ناعمة ، فلم تستقرّ عليها أرجل الحيوان فسقط ، ثمّ عاود الكرّة واستطاع بجهد كبير أن يبلغ قدراً منها ، لكنّه سقط ثانية ، وأحصيت عليه محاولاته تلك سبعمئة مرّة ، وهو لا يكلّ ولا يملّ ، فأخذني العجب الشديد .

ثم غادرت المنزل لصلاة الصبح ، وعدت بعد الصلاة إلى البيت فإذا بالحيوان مستقرّ إلى جانب فتيلة المصباح ، فأخذت عنه ما أخذت ، وأعني الجدّ والثبات في العمل حتّى بلوغ الهدف في آخر الأمر .

١٢ ـ وقال (عليه السلام) : « التواضع : الرضى بالمجلس دون شرفه ، وأن تسلّم على من لقيت ، وأن تترك المراء وإن كنت محقّاً » .

١٣ ـ وقال (عليه السلام) : « الحياء والإيمان مقرونان في قرن ، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه » .

يقول المؤلّف : الروايات في فضل الحياء كثيرة ، ويكفي في حقّ الحياء أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جعله لباس الإسلام فقال :

« الإسلام عريان فلباسه الحياء » .

فكما أنّ اللباس يستر العورات والقبائح الظاهرة فالحياء كذلك يستر القبائح والمساوىء الباطنة ؛ وجاء في المرويّات أنّه لا إيمان لمن لا حياء له ، وأنّ الله إذا شاء أن يدفع الهلاك عن عبده أعطاه الحياء .

ويروى عن الرسول (عليه السلام) أنّ القيامة لن تقوم حتى يذهب الحياء من الأطفال والنساء ، إلى غير ذلك .

وكانت هذه الصفة الشريفة من سمات رسول الله وأئمّة الهدى صلوات الله عليهم ، وكانت سمة كاملة بارزة ، حتّى ليروى أنّه (صلّى الله عليه وآله) كان إذا تكلّم استحى وعرق ، وأطرف بعينيه حياء من المتكلّمين معه .

---

(١) أبو جعران : حيوان يقال له : الجُعَل ، وهو ضرب من الخنافس .

وكانت هذه الخصلة موضع مديح الفرزدق الشاعر للإمام زين العابدين (عليه السلام) إذ قال :

يُغضي حياءً ويُغضَى من مهابته فلا يكلّم إلاّ حين يبتسم

ويذكر أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) حين زعم له أحد المنافقين أنّ بعض شيعته يشربون الخمر غمر العرق وجهه الكريم خجلاً وحياء .

١٤ ـ وقال (عليه السلام) : هلاّ أنبأتكم بعمل إذا عملتموه أبعدتم السلطان والشيطان عنكم ؟ فقال أبو حمزة : أنبئنا حتّى نفعل ، قال : عليكم بالصدقة في الأصباح ، فقد قيل إنّ أداء الصدقة يسوّد وجه الشيطان ، ويسحق قهر السلطان في ذاك اليوم ، وعليكم أن تنالوا محبّة الخلق ومودّتهم في سبيل الله ورضاه ، أي أن تكون محبّتكم في هذا السبيل ، وأن تقدّموا أزركم ومعونتكم على العمل الصالح ، ذلك أنّ هذا العمل يستأصل ظلم السلطان ووسوسة الشيطان ؛ وعليكم بالإلحاح في طلب العفو والغفران من الله عزّ وجلّ ما استطعتم ، فهذا ممّا يذهب بالذنوب ويمحوها .

١٥ ـ وقال (عليه السلام) لجابر الجعفيّ : يا جابر أيكفي أن يحبس المرء نفسه على التشيّع بأن يدّعي محبّتنا أهل البيت ؟

« والله ما شيعتنا إلاّ من اتّقى الله وأطاعه ، وما كانوا يُعرفون إلاّ بالتواضع والتخشّع ، وأداء الأمانة ، وكثرة ذكر الله ، والصوم والصلاة ، والبرّ بالوالدين ، وتعهّد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والأيتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكفّ الألسن عن الناس إلاّ من خير » .

قال جابر : يا بن رسول الله ، لا أعرف أحداً يتّصف بذلك في هذا الزمان .

قال (عليه السلام) : يا جابر ، لا يذهبنّ الخيال بك هذا المذهب ، أيكفي أن يقول شخص : أنا أحبّ عليّاً (عليه السلام) وأتولاّه ، وأن يقول : أنا أحبُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو أفضل من عليّ ، في حين أنّه لا يعمل بعمله ، ولا يتبع سنّته ، فما غناء هذه المحبّة ؟!

فعليكم بخشية الله والعمل حتى تفوزوا بالأجر والثواب الإلهيّين فإنه ليس بين الله وأحد من خلقه قرابة ، وأحبّ العباد إلى الله أكثرهم اتّقاء لمحارمه وعملاً بطاعته ، فوالله ما تقرّب أحد إلى الله إلاّ بطاعته ، وإنّا لا نملك لكم براءة من النار ، وليس لأحدٍ على الله حجّة ، فمن أطاع الله فهو وليّنا ومحبّنا ، ومن عصى الله فهو عدوّنا ، ولا يبلغ ولايتنا إلاّ بالتقوى والعمل الصالح .

يقول المؤلّف : حكي عن شخص أنّه قال : رأيت أبا ميسرة العابد وقد برزت أضلاعه من كثرة العبادة ، والجهد والجد في الطاعات ، فقلت : يرحمك الله ، إنّ رحمة الله واسعة ، فقال أبو ميسرة غاضباً : وهل رأى منّي ما يدلّ على اليأس ؟! ﴿ إنّ رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ .

قال : فبكيت من كلامه ، ومن الحريّ أن ينظر العقلاء والعارفون إلى أحوال الرسل والأولياء والأبدال ، وإلى سعيهم واجتهادهم في الطاعات ، وإلى صرفهم أعمارهم في العبادات ، فلا يقرّون ليلاً ولا نهاراً ، ولا يضعفون ، أليس عند هؤلاء حسن ظنّ بالله ؟! لا ، فالأمر ليس كذلك ، فوالله لهم أعلم بسعة رحمة الله ، وحسن ظنّهم بجوده أكثر من غيرهم ، لكنّهم يعلمون أن هذا الرجاء وحسن الظنّ من دون جدّ واجتهاد إنّما هو رجاء محض وغرور بحت ، فلا غرو أنّهم أرهقوا أنفسهم بتعب العبادة والطاعة حتّى يتحقّق رجاؤهم وحسن ظنّهم .

ويكفي في هذا المقام أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال عن آخر منبر له أيّام مرضه :

« أيّها الناس ، لا يَدّعِ مدّع ، ولا يتمنّ متمنّ ، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا ينجي إلاّ عمل مع رحمة ، ولو عصيت لهويت » .

١٦ ـ وروي عنه (عليه السلام) أنّه قال : إنّ مَلَكاً في خلقة الديك براثنه في أصل الأرض وجناحاه في الهواء ، وعنقه منحنية تحت العرش ، فإذا مضى من الليل نصفه يقول :

« سبّوح قدّوس ، ربّ الملائكة والروح ، ربّنا الرحمن لا إله غيره » .

ثمّ يقول : « ليقم المتهجّدون » ، فترتفع إذ ذاك أصوات الديكة .

ثمّ إنّ هذا الملك يصمت ما شاء له الله ، ثمّ يقول :

« سبّوح قدّوس ، ربّنا الرحمن لا إله غيره ، ليقم الذاكرون » .

فإذا طلع الصبح قال : « ربّنا الرحمن لا إله غيره ، ليقم الغافلون » .

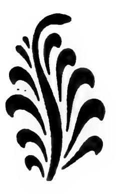
يقول المؤلّف : لعلّ السبب في إقلال مَلَك العرش هذا من قوله مرّة بعد أخرى يعود إلى أنّ الرحمات والبركات والألطاف والعنايات التي تعود على المتهجّدين في وقت الذكر الأول إذ هم يقومون في هذا الوقت من الليل ، لا يعود مثلها على الذاكرين الذين يقومون في وقت الذكر الثاني ، فأسقط من قوله : « ربّ الملائكة والروح » ، فإذا كان الصبح قام الغافلون وليس لهم من الألطاف والعنايات ما للذاكرين ؛ ولو أنّهم لن يبقوا دون حظّ من الرحمة الإلهية الواسعة ،

ولهذا أسقط من قوله : « سبّوح قدّوس » مكتفياً بقوله : « ربّنا الرحمن لا إله غيره » .

ولعلّ من يكون نائماً بين الطلوعين يكون دون حظّ أو نصيب ، محروماً من السعادة والرزق :

« فمن نام بينهما نام عن رزقه » .

هذا ما خطر ببالي ، والله تعالى هو العالم .



الفصل الخامس

في وفاة الإمام الباقر (عليه السلام) وما وقع بينه وبين مخالفيه

في بيان عداوة هشام للإمام الباقر (عليه السلام) وجرأته عليه

يقول المؤلّف : أكتفي في هذا الفصل بما أورده العلاّمة المجلسيّ في (جلاء العيون) .

ذكر السيد ابن طاووس رضي الله عنه بسند معتبر عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

حجّ هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين ، وكنت في تلك السنة مع أبي في الحجّ ، وذات يوم قلت في جمع من الناس :

« الحمد لله الذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً ، وأكرمنا به ، فنحن صفوة الله على خلقه ، وخيرته من عباده ، وخلفاؤه (في الأرض) ، فالسعيد من اتّبعنا ، والشقيّ من عادانا وخالفنا » .

قال : فأخبر مسلمة أخاه (هشاماً) بما سمع ، فلم يعرض لنا حتّى انصرف إلى دمشق ، وانصرفنا إلى المدينة فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي معه ، فأشخصنا ، فلما وردنا دمشق حجبنا ثلاثاً ، ثم أذن لنا في اليوم الرابع فدخلنا ، وإذا هو قد قعد على سرير الملك ، وجنده وخاصّته وقوف على أرجلهم ، سماطان متسلّحان ، وقد نصب البرجاس[1] حذاه ، وأشياخ قومه يرمون ؛ فلمّا دخلنا وأبي أمامي وأنا خلفه نادى (هشام) أبي وقال : يا محمّد ، ارم مع أشياخ قومك الغرض ، فقال له : إنّي قد كبرت عن الرمي ، فهل رأيت أن تعفيني ؟ فقال : وحقّ من أعزّنا بدينه ونبيّه محمّد (صلّى الله عليه وآله) لا أعفيك ،

---

(١) البرجاس : هدف أو غرض للرمي .

ثمّ أومأ إلى شيخ من بني أميّة أن اعطه قوسك .

فتناول أبي عند ذلك قوس الشيخ ، ثمّ تناول منه سهماً فوضعه في كبد القوس ، ثمّ انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه ، ثم رمى فيه الثانية فشقّ فواق[1] سهمه إلى نصله ، ثمّ تابع الرمي قطّ حتّى شقّ تسعة أسهم بعضها في جوف بعض ، وهشام يضطرب في مجلسه ، فلم يتمالك إلاّ أن قال : أجدت يا أبا جعفر وأنت أرمى العرب والعجم ، هلاّ زعمت إنّك كبرت عن الرمي !

ثمّ أدركته ندامة على ما قال ، فهمّ به ، وأطرق إلى الأرض إطراقة يتروّى فيها ، وأنا وأبي واقفان حذاه مواجهين له ، فلمّا طال وقوفنا غضب أبي فهمّ به ، وكان أبي (عليه السلام) إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب في وجهه ، فلمّا نظر هشام إلى ذلك من أبي قال له : إليّ يا محمّد ، فصعد أبي إلى السرير وأنا أتبعه ، فلمّا دنا من هشام قام إليه واعتنقه ، وأقعده عن يمينه ؛ ثمّ اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي .

ثمّ أقبل على أبي بوجهه فقال له : يا محمّد ، لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك ، لله درّك ، من علّمك هذا الرمي وفي كم تعلّمته ؟

فقال أبي : قد علمت أنّ أهل المدينة يتعاطونه ، فتعاطيته أيّام حداثتي ، ثمّ تركته ، فلمّا أردت منّي ذلك عدت فيه ، فقال له ؛ ما رأيت مثل هذا الرمي مذ عقلت ، وما ظننت أن في الأرض أحداً يرمي مثل هذا الرمي ، أيرمي جعفر مثل رميك ، فقال :

إنّا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما الله على نبيّه (صلّى الله عليه وآله) في قوله :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

والأرض لا تخلو ممّن يكمل هذه الأمورالتي يقصر غيرنا عنها .

قال : فلمّا سمع ذلك من أبي انقلبت عينه اليمنى فاحولّت ، واحمرّ وجهه ، وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب ؛ ثمّ أطرق هنيئة ثمّ رفع رأسه فقال لأبي : ألسنا بنو عبد مناف ، نسبنا ونسبكم واحد ؟ فقال أبي : نحن كذلك ، ولكنّ الله جلّ ثناؤه اختصّنا من مكنون سرّه وخالص علمه لما لم يخصّ به أحداً غيرنا .

فقال : أليس الله جلّ ثناؤه بعث محمّداً (صلّى الله عليه وآله) من شجرة عبد مناف إلى

---

(١) الفواق مصدر يوصف به السهم ، ويقال لموضع الوتر من السهم : الفوق .

الناس كافّة ، أبيضها وأسودها وأحمرها ، من أين ورثتم ما ليس لغيركم ، ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) مبعوث إلى الناس كافّة ؟ وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولله ميراث السماوات والأرض ﴾ ، فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمّد نبيّ ، ولا أنتم أنبياء ؟ فقال : من قوله تبارك وتعالى لنبيّه (صلّى الله عليه وآله) : ﴿ لا تحرّك به لسانك لتعجل به ﴾الذي لم يحرّك به لسانه لغيرنا ، أمره الله أن يخصّنا به من دون غيرنا ، فلذلك كان ناجى أخاه عليّاً من دون أصحابه ، فأنزل الله بذلك قرآناً في قوله : ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ ، فلذلك قال عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه :

« علّمني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ألف باب من العلم ، يفتح من كلّ باب ألف باب » .

فكما خصّ الله نبيَّه (صلّى الله عليه وآله) خصّ نبيُّه (صلّى الله عليه وآله) أخاه عليّاً من مكنون سرّه بما لم يخصّ به أحداً من قومه ، حتّى صار إلينا فتوارثناه من دون أهلنا .

فقال هشام : إنّ عليّاً كان يدّعي علم الغيب ، والله لم يطلع على غيبه أحداً ، فمن أين ادّعى ذلك ؟

فقال أبي : إن الله جلّ ذكره أنزل على نبيّه (صلّى الله عليه وآله) كتاباً بيّن فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة في قوله :

﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ .

وفي قوله : ﴿ وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ ،

وفي قوله : ﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شيء ﴾ .

وأوحى الله إلى نبيّه (صلّى الله عليه وآله) أن لا يبقي في غيبه وسرّه ومكنون علمه شيئاً إلّا يناجي به عليّاً ، فأمره أن يؤلّف القرآن من بعده ، ويتولّى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه ، وقال لأصحابه :

حرام على أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي عليّ ، فإنّه منّي وأنا منه ، وله ما لي وعليه ما عليّ ، وهو قاضي ديني ، ومنجز عدتي .

ثمّ قال لأصحابه : عليّ بن أبي طالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيله .

ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلّا عند عليّ ، ولذلك قال رسول الله

(صلّى الله عليه وآله) لأصحابه : أقضاكم عليّ ، أي هو قاضيكم ، وقال عمر بن الخطّاب : لولا عليّ لهلك عمر ، يشهد له عمر ، ويجحده غيره .

فأطرق هشام طويلاً ، ثمّ رفع رأسه فقال ؛ سل حاجتك ، فقال : خلّفت عيالي وأهلي مستوحشين لخروجي ، فقال : قد آنس الله وحشتهم برجوعك إليهم ، سر من يومك ؛ فاعتنقه أبي ودعا له ، وفعلت أنا كفعل أبي ، ثم نهض ونهضت معه وخرجنا .

مناظرته (عليه السلام) مع عالم نصرانيّ : قال : وانتهينا إلى الميدان فإذا أناس قعود كثير ، قال أبي : من هؤلاء ؟ فقال الحجّاب (حجّاب هشام) : هؤلاء القسّيسون والرهبان ، وفي هذا الجبل عالم لهم يقعد إليهم في كل سنة يوماً واحداً ، يستفتونه فيفتيهم ؛ فلفّ أبي عند ذلك رأسه بفاضل ردائه ، وفعلت أنا مثل ما فعل أبي ، (وصعدنا مع النصارى الجبل) وأقبل أبي حتّى قعد نحوهم ، وقعدت وراء أبي .

وأقبل عالم النصارى فوضعت له الوسائد فجلس عليها ، وكان معمّراً قد سقط شعر حاجبيه على عينيه بسبب تقدّمه في العمر ، وقيل إنّه أدرك أصحاب الحواريّين من أصحاب عيسى (عليه السلام) ، وأحاط به أصحابه ، وأبي وأنا بينهم .

ورفع ذلك الخبر إلى هشام ، فأمر بعض غلمانه أن يحضر الموضع فينظر ما يصنع أبي .

وأدار العالم نظره في الحاضرين (وكان يقلّب عينيه بينهم كعيني الأفعى ، فلمّا وقع نظره على أبي) قال له : أمِنّا ، أم من الأمّة المرحومة ؟ فقال أبي : بل من الأمّة المرحومة ، فقال : من أيّهم أنت ، من علمائها أم من جهّالها ؟ فقال له أبي : لست من جهّالها ، فاضطرب اضطراباً شديداً وقال : أسألك أم تسألني ؟ قال أبي : سل أنت .

قال : يا معشر النصارى ، من الغريب أنّ رجلاً من أمّة محمّد يقول لي : سلني ! فيجدر أن أوجّه له بضعة أسئلة ، ثم قال :

يا عبد الله ، أخبرني عن ساعة لا هي من ساعات النهار ، ولا هي من ساعات الليل .

فقال له أبي : هي الساعة التي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . قال فأيّ الساعات هي ؟ قال أبي : هي ساعة من ساعات الجنّة ، يهدأ فيها المبتلى ، ويرقد فيها الساهر ، ويفيق المغمى عليه ، جعلها الله في الدنيا رغبة للراغبين ، وفي الآخرة للعاملين لها دليلاً واضحاً وحجّة بالغة على الجاحدين المتكبّرين التاركين لها .

قال النصرانيّ : أصبت ، أخبرني :من أين ادّعيتم أنّ أهل الجنّة يطعمون ويشربون ، ولا يحدثون ولا يبولون ؟ أعطني مثله في الدنيا .

فقال له أبي : دليل ما ندعيّ الجنين في بطن أمّه ، يطعم ولا يحدث .

قال النصرانيّ : ألم تقل إنّك لست من علمائها ؟

فقال له أبي : إنّما قلت لك : ما أنا من جهّالها .

قال : من أين ادّعيتم أن فاكهة الجنّة أبداً موجودة غير معدومة ، مهما تناول منها أهل الجنة ؟ أعطني مثله في الدنيا ؟

فقال له أبي : مثله في الدنيا السراج ، فلو أضاؤوا منه مئة ألف سراج بقي على حاله فلم ينقص .

قال النصراني: لأسألنك مسألة لن تقدر على جوابها: أخبرني عن رجل تزوّج بامرأةٍ فحملت بابنين جميعاً ، وولدتهما في ساعة واحدة ، وماتا في ساعة واحدة ، وكان أحدهما قد عاش خمسين سنة وعاش الآخر مئة وخمسين سنة .

قال : هما عزير وعزر ، كان حمل أمّهما على ما وصفت ووضعتهما على ما وصفت ، فعاش عزر وعزير معاً ثلاثين ، ثمّ أمات الله عزيراً مئة سنة ، ثم بعثه فعاش مع أخيه عشرين سنة ، ثمّ ماتا في ساعة واحده .

فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً وقال : جئتموني بأعلم منّي ، حتّى هتكني وفضحني ، لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام ، فما أردتم فاسألوا هذا عنه .

وبرواية أخرى قال : لمّا كان الليل قدم العالم النصراني إلى الباقر (عليه السلام) وشاهد منه معجزات أسلم بعدها ، فلمّا بلغ هشاماً ما جرى وانتشر الأمر بالشام ، وظهر علمه (عليه السلام) وكماله لدى أهلها ، بعث إلى أبي بجائزة ، ثمّ سيّرنا بسرعة إلى المدينة .

وبرواية أخرى أنّه أمر بحبسه ، فقيل له إنّ أهل السجن جميعاً أصبحوا من مريديه ، فسيّره بسرعة إلى المدينة ، وسبقنا رسول من هشام ينادي في الناس على طريقنا إلى المدينة أن ابني أبي تراب الساحرين محمّد بن عليّ ، وجعفر بن محمّد ، وردا عليّ ، ولمّا صرفتهما إلى المدينة مالا إلى النصارى ودينهم ، لذا فقد برئت الذمّة ممّن يشاريهما أو يبايعهما أو يسلّم عليهما .

ثم وردنا مدين بعد قدوم رسول هشام إليها ، فأغلق أهلها الباب في وجوهنا ، وشتمونا ، وذكروا عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، ورغم إلحاح غلماننا لم يفتحوا الباب ولم يبيعونا الطعام ، ولما انتهينا إليهم كلّمهم أبي وليّن لهم القول ، وقال لهم :

اتّقوا الله ولا تغلظوا ، فلسنا كما بلغكم ، ولا نحن كما تقولون ، وهبنا كما تقولون فشارونا وبايعونا كما تشارون وتبايعون اليهود والنصارى ، فقالوا : أنتم شرّ من اليهود

والنصارى لأنّ هؤلاء يؤدّون الجزية ، وأنتم لا تؤدّون .

وحاول أبي نصحهم فلم يجد نصحه لهم نفعاً ، وقالوا : لا نفتح ، ولا كرامة لكم حتّى تموتوا على ظهور دوابّكم ؛ فلمّا رأى أبي إصرارهم ثنى رجله عن سرجه ، ثمّ قال لي : مكانك يا جعفر لا تبرح ، ثمّ صعد الجبل المطلّ على مدينة مدين ، واستقبل بوجهه المدينة ، ثم وضع إصبعيه في أذنيه ونادى بأعلى صوته : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ ، إلى قوله : ﴿ بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .

ثمّ قال : نحن والله بقيّة الله في أرضه ، فأمر الله ريحاً سوداء مظلمة فهبّت واحتملت صوت أبي فطرحته في أسماع الرجال والصبيان والنساء ، فما بقي أحد منهم إلّا صعد السطوح وأبي مشرف عليهم ، وصعد فيمن صعد شيخ من أهل مدين كبير السنّ ، فنظر إلى أبي على الجبل ، فنادى بأعلى صوته :

اتّقوا الله يا أهل مدين ، فإنّه وقف الموقف الذي وقف فيه شعيب (عليه السلام) حين دعا على قومه ، فإن أنتم لم تفتحوا له الباب ولم تنزلوه جاءكم من الله العذاب ، فإنّي أخاف عليكم ، ففزعوا وفتحوا الباب ، وأنزلونا ، ثم ارتحلنا في اليوم الثاني .

وكتب بجميع ذلك إلى هشام ، فكتب إلى عامل مدين أن يأخذ الشيخ فيقتله .

وبرواية أخرى : أن هشاماً طلب الشيخ ، وقبل أن يصير إليه أدركته رحمة الله ، وكتب هشام إلى عامل مدينة الرسول أن يحتال في سمّ أبي ، فمضى هشام ولم يتهيّأ له في أبي من ذلك شيء .

وصاياه ووفاته (عليه السلام)

ذكر الكليني بسند صحيح عن زرارة أنّه قال : سمعت الإمام الباقر (عليه السلام) يوماً يقول :

رأيت كأنّي على رأس جبل ، والناس يصعدون إليه من كلّ جانب ، حتّى إذا كثروا عليه تطاول بهم في السماء ، وجعل الناس يتساقطون عنه من كلّ جانب حتّى لم يبق منهم أحد إلّا عصابة يسيرة ، ففُعل ذلك خمس مرّات ؛ وكأنّه بهذا المنام يعبّر عن وفاته ، فما مكث بعد ذلك إلّا نحواً من خمس (ليال) حتّى هلك .

وروى الكليني أيضاً بسند معتبر أن أبا جعفر (عليه السلام) انقلع ضرس من أضراسه يوماً ، فوضعه في كفّه ثمّ قال : الحمد لله ، ثم قال : يا جعفر ، إذا أنت دفنتني فادفنه معي ؛ ثم مكث بعد حين ، ثمّ انقلع أيضاً آخر ، فوضعه على كفّه ثمّ قال : الحمد لله ، يا جعفر إذا متّ فادفنه معي .

وروي في (الكافي) و(بصائر الدرجات) وسائر الكتب المعتبرة عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال :

إنّ أبي مرض مرضاً شديداً حتّى خفنا عليه ، فبكى بعض أهله عند رأسه ، فنظر إليه فقال : إنّي لست بميّت من وجعي هذا ، إنّه أتاني اثنان فأخبراني أنّي لست بميت من وجعي هذا .

قال : فبرىء ومكث ما شاء الله أن يمكث .

ثمّ إنّه يوماً دعا إليه أبا عبد الله (عليه السلام) وطلب منه أن يدخل إليه أناساً من قريش من أهل المدينة ، فلمّا دعاهم قال : يا جعفر ، إذا أنا متّ فغسّلني وكفّنّي في ثلاثة أثواب : أحدها رداء له حبرة كان يصلّي فيه يوم الجمعة ، وثوب آخر ، وقميص ؛ وقال : عمّمني بعمامة ، وليس تعدّ العمامة من الكفن ، إنّما يعدّ ما يلفّ به الجسد ، ثمّ احفروا لي وشقّوا لي شقّاً بدل اللحد ، لأنّي بدين لا يمكن أن يُجعل لي لحد ، وارفع قبري أربع أصابع ، ورشّه بالماء ، وأشهد أهل المدينة .

فلمّا خرجوا قلت : يا أبت ، لو أمرتني بهذا صنعته ، ولِمَ ترد أن أدخل عليك قوماً تشهدهم ؟ فقال : يا بنيّ ، أردت أن لا تنازع .

قلت ؛ يا أبتاه ، والله ما رأيت منذ اشتكيت أحسن هيئة منك اليوم ، وما رأيت عليك أثر الموت ، قال : يا بنيّ ، إنّ اللذين أتياني في وجعي ذلك أتياني فأخبراني أنّي ميّت .

وبرواية أخرى قال : يا بنيّ ، أما سمعت عليّ بن الحسين ناداني من وراء الجدر أن : يا محمّد تعال وعجّل ؟

وجاء في (بصائر الدرجات) عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه أتى أبا جعفر ليلة قبض وهو يناجي ، فأومأ إليه بيده أن تأخّر ، فتأخّر حتّى فرغ من المناجاة ، ثم أتاه فقال : يا بنيّ ، هذه الليلة التي أقبض فيها ، وهي الليلة التي قبض فيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

قال : حدّثني أنّ أباه عليّ بن الحسين أتاه بشراب في الليلة التي قبض فيها وقال : اشرب هذا ، وبشّره بلقاء ربّه .

روى القطب الراونديّ بسند معتبر عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال :

لّما كانت الليلة التي قبض فيها أبو جعفر قال : يا بنيّ ، هذه الليلة التي وعدتها ، وقد كان وضوؤه قريباً فقال : أريقوه ، أريقوه فظننّا أنّه يقول من الحمّى ، فقال : يا بنيّ أرقه ، فأرقناه ، فإذا فيه فأره .

وروى الكليني بسند صحيح عن الصادق (عليه السلام) : أنّ رجلاً كان على أميال من المدينة ، فرأى في منامه فقيل له : انطلق فصلّ على أبي جعفر ، فإنّ الملائكة تغسّله في البقيع ، فجاء الرجل فوجد أبا جعفر قد توفّي .

كما روى بسند حسن أن الإمام الباقر (عليه السلام) أوصى بثمانمئة درهم لمأتمه ، وروى أيضاً بسند موثوق عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال : قال لي أبي : يا جعفر ، أوقف لي من مالي كذا وكذا للنوادب تندبني عشر سنين بمنى ، أيّام منى .

يقول المؤلّف : وقع اختلاف في تاريخ وفاته (عليه السلام) ، وقد وقع اختياري على يوم الاثنين السابع من ذي الحجّة سنة أربع عشرة ومئة ، عن سبع وخمسين سنة في المدينة المشرّفة ، وذلك أيّام خلافة هشام بن عبد الملك ، وقيل إن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان قتله بالسمّ ، وربّما بأمر هشام .

وقبره في البقيع بالاتفّاق ، مع أبيه وعمّ أبيه الإمام الحسن (عليهم السلام) .

وروى الكليني بسند معتبر أنه لمّا مضى الإمام الباقر (عليه السلام) قال الصادق (عليه السلام) : كان يُسرج سراج كلّ ليلة في الحجرة التي توفّي فيها أبي رحمه الله .



الفصل السادس

في بيان أولاد الإمام الباقر (عليه السلام) وأحفاده

اعلم أن أولاد الباقر (عليه السلام) كانوا بناء على ما ذكره الشيخ المفيد والطبرسي وآخرون سبعة بين ذكور وإناث ، وهم : أبو عبد الله جعفر بن محمّد (عليه السلام) ، وعبد الله أمّهما أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر ، وإبراهيم وعبيد الله وأمّهما أمّ حكيم ، وقد توفّيا كلاهما في حياة أبيهما ، وعليّ وزينب وأمّ سلمة ، وأمّهم أمّ ولد ، ويقول بعضهم : إنّ أمّ سلمة كانت لأمّ أخرى .

يقول الشيخ المفيد (ره) : كان عبد الله رضي الله عنه يشار إليه بالفضل والصلاح ، وروي أنّه دخل على بعض بني أميّة فأراد قتله ، فقال له عبد الله رحمة الله عليه : لا تقتلني أكن (إن قتلتني) لله عليك عوناً ، واتركني أكن لك إلى الله عوناً ، يريد بذلك أنّه ممّن يشفع إلى الله ، فيشفّعه ؛ فلم يقبل منه الأمويّ ذلك ، وقال له : لست هناك ! وسقاه السمّ فقتله .

وكان لعبد الله ابن اسمه إسماعيل ، عدّه علماء الرجال من أصحاب الصادق (عليه السلام) ، وجاء في (شرح الكافي) للملاّ خليل أنّه كان لعبد الله بن الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) ابنة تكنّى بأمّ الخير ، وتنسب إليها بئر أمّ الخير في المدينة .

وذكر تاج الدين بن زهرة الحسيني في (غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلويّة) أن عليّ بن محمّد الباقر (عليه السلام) كانت له ابنة تسمّى فاطمة تزوّجها الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ، ويقع قبر عليّ في بغداد في محلّة الجعفريّة ظاهر سور بغداد .

وذكر محبّ الدين بن النجّار في تاريخه أن المشهد الطاهر في الجعفريّة ، وقال : هي قرية من أعمال الخالص قرب بغداد ، ويظهر فيها قبر قديم وعليه شاهدة كتب عليها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ضريح الطاهر عليّ بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) .

وقد انفصلت عنه بقيّة الشاهدة ، وبنيت فوقه قبّة من الآجرّ ، ثمّ عمره عليّ بن نعيم شيخ من المستوفين وكان إليه كتابة ديوان الخالص ، وزيّنة وحلاّه ، وعلّق فيه مصابيح نحاسيّة ، وبنى له صحناً واسعاً ، فغدا بعد هذا واحداً من المزارات والمشاهد .

قال تاج الدين ؛ هذا المشهد مجهول في أيّامنا وخرب ، وقد اتّخذ جماعة من الفقراء منزلاً لهم هناك ، وليس بعيداً أن تمحّي آثاره وتزول .

يقول المؤلّف : المشهور في زماننا أنّ قبر عليّ بن محمّد الباقر (عليه السلام) في ناحية كاشان في مشهد أردهال ، وهو معروف بالشاهزاده سلطان علي ، ويؤيّد كونه في هذا المشهد ما جاء في (بحر الأنساب) وفيه :

عليّ بن محمّد الباقر (عليه السلام) لم يعقب سوى بنت ، ودفن في ناحية كاشان بقرية يقال لها : باركوسب في مشهد . انتهى .

ونقل عن الفاضل الخبير الميرزا عبد الله صاحب (رياض العلماء) أيضاً أنّه قال : قبر عليّ بن محمّد الباقر (عليه السلام) يقع في ناحية كاشان ، وفوقه قبّة رفيعة ، وله كرامات ظاهرة ؛ وفي إصفهان ، قرب مسجد الشاه بقعة ومزار باسم أحمد بن عليّ بن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ، هناك الشاهدة كتب عليها بخطّ كوفيّ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا قبر أحمد بن عليّ بن محمّد الباقر (عليه السلام) ، وتجاوز عن سيّئاته ، وألحقه بالصالحين .

وخارج البقعة شاهدة مستطيلة نقش عليها :

آمين ربّ العالمين ، بتاريخ سنة ثلاث وستّين وخمسمئة .

وبالقرب من سليل الأئمّة هذا يقع قبر المرحوم العالم الفاضل الفقيه النبيه الشيخ محمّد تقيّ ، المعروف بالسيّد النجفيّ ، في بقعة كبيرة ذات قبّة عالية ، أسكنه الله في جنّة عالية .

وقال صاحب (روضات الجنّات) في ترجمة الأمير السيّد محمّد تقيّ الكاشيّ البشت مشهديّ : في بشت مشهد كاشان سليل الأئمّة المنسوب إلى أحد أولاد الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) ، ويقول البعض بانتسابه إلى أحد أبناء موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، واسمه حبيب ، والله هو العالم .

وأمّ سلمة زوجة محمّد الأرقط بن عبد الله الباهر بن الإمام زين العابدين ، وهي أمّ إسماعيل بن محمّد الأرقط الذي خرج مع أبي السرايا ، كذا في بعض المشجّرات .



الباب الثامن

في تاريخ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

وفيه ثمانية فصول



الفصل الأول

في ولادة الامام جعفر الصادق (عليه السلام) واسمه وكنيته والقابه

كانت ولادة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يوم الاثنين السابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين من الهجرة ، وهو اليوم الذي ولد فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وهو يوم شريف عظيم البركة ، ولم يزل الصالحون من آل محمّد (عليهم السلام) يعظّمونه من قديم الأيّام ويرعون حرمته ، وجاء أنّ في صومه فضلاً كبيراً وثواباً جزيلاً ، وتستحبّ فيه الصدقة وزيارة المشاهد المشرّفة ، والتطوّع بالخيرات ، وإدخال المسرّة على أهل الإيمان .

اسمه المبارك جعفر ، وكنيته أبو عبد الله ، وألقابه : الصابر ، والفاضل ، والطاهر ، والصادق ، وهو أشهرها .

يذكر ابن بابويه والقطب الراونديّ أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) سئل : من الإمام بعدك ؟ قال : محمّد ابني يبقر العلم بقراً ، قيل : ومن بعده ؟ قال : من بعد محمّد جعفر ، اسمه عند أهل السماء الصادق ، قيل : كيف صار اسمه الصادق ، وكلّكم الصادقون ؟ فقال : حدّثني أبي عن أبيه أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :

« إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب فسمّوه الصادق ، فإنّ الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدّعي الإمامة اجتراء على الله وكذباً عليه ، فهو عند الله جعفر الكذّاب ، المفتري على الله » .

ثمّ بكى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) فقال : كأنّي بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله ، والمغيّب في حفظ الله ، (يعني صاحب الزمان صلوات الله عليه) .

وفي صفاته (عليه السلام) قيل : كان ربع القامة ، أزهر الوجه ، أبيض البدن ، أشمّ الأنف ، حالك الشعر جعده ، على خدّه خال أسود .

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّ نقش خاتمه كان : « الله وليّي وعصمتي من خلقه » ، وبرواية أخرى : « الله خالق كلّ شيء » ، وبرواية أخرى معتبرة : « أنت ثقتي فاعصمني من الناس » ، وبرواية رابعة : « ما شاء الله ، لا قوّة إلاّ بالله ، أستغفر الله » ؛ وغيرها أيضاً .

في جلال شأن والدته (عليه السلام)

أمّه (عليه السلام) النجيبة الجليلة المكرّمة العُليا فاطمة المعروفة بأمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر ، وعنها قال الصادق (عليه السلام) :

« كانت أمّي ممّن آمنت واتّقت وأحسنت ، والله يحب المحسنين » .

وكما وصف الصادق (عليه السلام) هذه السيّدة الجليلة بكامل الأوصاف الشريفة ، كذلك وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) المتّقين في جوابه عن سؤال همّام بن عبادة ، فقال (عليه السلام) :

« اتّق الله وأحسن ، فإنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون » .

إنّ ما قاله العلماء في شرح القول : كأنّ المراد بالتقوى اجتناب ما نهى الله عنه ، وبالإحسان : الإتيان بكلّ ما أمر به ، وهذه الكلمة جامعة لصفات المتّقين وفضائلهم .

وقال الشيخ الجليل عليّ بن الحسين المسعوديّ في (إثبات الوصيّة) : كانت أمّ فروة من أتقى نساء زمانها ، روت عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) أحاديث منها قوله لها : يا أمّ فروة ، إنّي لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة مئة مرّة ، يعني الاستغفار لهم ، لأنّنا نصبر على ما نعلم ، وهم يصبرون على ما لا يعلمون .

يقول المؤلّف : كانت أمّ فروة جليلة مكرّمة ، حتى أنّه كان يعبّر عن الصادق (عليه السلام) بابن المكرّمة ، وعن عبد الأعلى قال :

رأيت أمّ فروة تطوف بالكعبة ، عليها كساء متنكّرة ، فاستلمت الحجر بيدها اليسرى ، فقال لها رجل : يا أمة الله ، أخطأتِ السنّة ، فقالت : إنّا لأغنياء عن علمك .

أقول الظاهر أن الرجل كان من فقهاء العامّة ، وكيف لا تستغني عن فقه العامّة امرأةٌ زوجها باقر علوم الأوّلين والآخرين ، وأبو زوجها الإمام زين العابدين (عليه السلام) وابنها ينبوع العلم ومعدن الحكمة واليقين جعفر بن محمّد الصادق الأمين صلوات الله عليهم

أجمعين ، وأبوهـا من ثقاة أصحـاب عليّ بن الحسـين (عليهما السـلام) ، وأحد فقهـاء المدينـة السبعة ، تربّت في حجر العلم ، ونشأت في بيت الفقه !؟

وكانت لأمّ فروة أخت تعرف بأمّ حكيم كانت زوجة لإسحاق العريضيّ بن عبـد الله بن جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين ، وهي أمّ القاسم بن إسحاق ، وهو رجل جليل كان أميراً على اليمن ، وهو ابن داود بن القاسم المعروف[1] بأبي هاشم الجعفريّ البغداديّ .

وسيأتي الحديث عنه في أصحاب الهادي (عليه السلام) إن شاء الله .



(١) المعروف : صفة داود .

الفصل الثاني

في طرف من مناقب الامام الصادق (عليه السلام) ومكارمه

أنت يا جعفر فوق الـ مدح والمدح عناء
إنّما الأشراف أرض ولهم أنت سماء
جاز حدّ المدح من قد ولدته الأنبياء

قال الشيخ المفيد (ره) :

وكان الصادق جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين (عليهم السلام) من بين إخوته خليفة أبيه محمّد بن عليّ (عليهما السلام) ووصيّه ، والقائم بالإمامة من بعده ، وبرز على جماعتهم بالفضل ، وكان أنبههم ذكراً ، وأعظمهم قدراً ، وأجلّهم في الخاصّة والعامّة ، ونقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر ذكره في البلاد ، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه ، ولا نقل عنهم أهل الآثار ونَقَلة الأخبار كما نقلوا عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقاة ـ على اختلافهم في الآراء والمقالات ـ فكانوا أربعة الآف رجل ، وكان له (عليه السلام) من الدلائل الواضحة في إمامته ما بهرت القلوب وأخرست المخالف عن الطعن فيها بالشبهات . انتهى .

وقال السيّد الشبلنجيّ الشافعيّ : ومناقبه كثيرة تكاد تفوت عند الحاسب ، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب ، وروى عنه جماعة من أعيان الأئمّة وأعلامهم كيحيى بن سعيد ، وابن جريج ، ومالك بن أنس والثوريّ ، وابن عُيينة ، وأبي أيّوب السجستانيّ وغيرهم .

قال ابن قتيبة في كتاب (أدب الكاتب) : وكتاب (الجفر) كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمّد الباقر ، فيه كلّ ما يحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة ، وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرّي بقوله :

لقد عجبوا لآل بيت لمّا أتاهم علمهم في جلد جفر
ومرآة المنجّم وهي صغرى تريه كلّ عامرة وقفر

والجفر من أولاد المعز : ما بلغ أربعة أشهر وانفصل عن أمّه .

وروي أنّه (عليه السلام) كان يجلس للعامّة والخاصّة ، ويأتيه الناس من الأقطار يسألونه عن الحلال والحرام ، وعن تأويل القرآن وفصل الخطاب ، فلا يخرج أحد منهم إلاّ راضياً بالجواب .

أقول : يظهر أنّ هذا المجلس كان يجلسه (عليه السلام) أيّام الحجّ .

ومجمل القول : فقد نقل عنه (عليه السلام) ما لم ينقل عن أحد ، ومع أنّ الرواة عنه بلغوا أربعة آلاف رجل ، وحفلت بطون الكتب والآثار الدينية بأحاديثه وعلومه ، فإنّ عشر معشار علمه لمّا يعرف ، بل ما هو إلاّ قطرة أُخذت من بحر .

وذكر عن بعض علماء المخالفين أنّهم كانوا من تلامذته ومن خدمه وأتباعه والآخذين عنه ، كأبي حنيفة النعمان بن ثابت أحد الأئمّة الأربعة لأهل السنّة ، ومحمّد بن الحسن ، وأنّ أبا يزيد طيفور السقّاء خدمه وسقاه ، وإبراهيم بن أدهم ومالك بن دينار كانا من غلمانه .

في اعتراف أبي حنيفة ومالك وآخرين بعلمه وفقهه

يقول المؤلّف : من المناسب في هذا المقام أن نتبرّك بذكر بضعة أحاديث :

الأول : روى ابن شهر اشوب عن مسند أبي حنيفة أنّ الحسن بن زياد قال : سمعت أبا حنيفة وقد سئل : من أفقه من رأيت ؟ قال : جعفر بن محمّد ، لمّا أقدمه المنصور بعث إليّ فقال : يا أبا حنيفة ، إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمّد ، فهيّىء له من مسائلك الشداد .

فهيّأت له أربعين مسألة ، ثمّ بعث إليّ أبو جعفر (المنصور) وهو بالحيرة فأتيته ، فدخلت عليه وجعفر بن محمّد جالس عن يمينه ، فلمّا بصرت به دخلني من الهيبة له ما لم يدخلني لأبي جعفر المنصور ، فسلّمت عليه ، فأومأ إليّ فجلست ، ثمّ التفت إليه فقال : يا أبا عبد الله ، هذا أبو حنيفة ، قال : نعم أعرفه ، ثمّ التفت إليّ فقال : يا أبا حنيفة ، ألق على أبي عبد الله من مسائلك .

فجعلت ألقي عليه فيجيبني فيقول : أنتم تقولون كذا ، وأهل المدينة يقولون كذا ، فربّما تابعنا ، وربّما تابعهم ، وربّما خالفنا جميعاً ، حتّى أتيت على الأربعين مسألة ، فما أخلّ منها بشيء .

ثمّ قال أبو حنيفة : أليس أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس ؟

الثاني : روى الشيخ الصدوق عن مالك بن أنس فقيه أهل المدينة وإمام أهل السنّة قال :

كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمّد (عليه السلام) فيقدّم لي مخدّة ، ويعرف لي قدراً ، ويقول : يا مالك ، إنّي لأحبّك ، فكنت أسرّ بذلك وأحمد الله عليه ، وكان (عليه السلام) رجلاً لا يخلو من إحدى ثلاث خصال : إمّا صائماً ، وإمّا قائماً ، وإمّا ذاكراً ، وكان من عظماء العبّاد وأكابر الزهّاد ، والذين يخشون الله عزّ وجلّ .

وكان كثير الحديث ، طيّب المجالسة ، كثير الفوائد ، وكان إذا قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اخضرّ مرّة واصفرّ أخرى حتّى ينكره من كان يعرفه .

ولقد حججت معه سنة ، فلمّا استوت به راحلته عند الإحرام كان كلّما همّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه وكاد أن يخرّ عن راحلته ، فقلت : قل يا بن رسول الله ، ولا بدّ لك من أن تقول ؟ فقال : يا بن أبي عامر ، كيف أجسر أن أقول : لبّيك اللهمّ لبيّك ، وأخشى أن يقول عزّ وجلّ : لا لبّيك ولا سعديك ؟

يقول المؤلّف : تأمّل جيّداً في حال الصادق (عليه السلام) وتعظيمه وتوقيره لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فإذا نقل عنه حديثاً وذكر اسمه الشريف كيف تتغيّر حاله ، مع أنه ابن النبي (صلّى الله عليه وآله) وبضعة منه ، فتذكّر هذا ، واذكر اسمه إذا ذكرته بمنتهى التعظيم والاحترام ، وصلّ عليه عند ذكر اسمه ، وإذا كتبت اسمه في مكان فاكتب الصلوات عليه دون رمز أو إشارة ، ولا تكتف كبعض المحرومين من السعادة برمز (ص) أو (صلعم) ونحوهما ، بل إيّاك أن تذكر اسمه أو تكتبه دون وضوء وطهارة ، وعليك مع كلّ هذا أن تسأله المعذرة على تقصيرك في واجبك نحوه ، وأن تقول بلسان العجز والرخاء .

يا سيّدي لو طيّب المسك فمي ... والوردُ ألفَ مرّة لم يعصم
أو كان أهلاً للتلفّظ مرّة ... ـ رغم الشذا ـ باسم النبيّ الأكرم[١]

روي عن أبي هارون مولى آل جعدة أنّه قال : كنت أجالس الصادق (عليه السلام) في المدينة ، فانقطعت عن مجلسه أيّاماً ، فلمّا أتيته قال : يا أبا هارون ، كم من الأيّام لم أرك فيها ! قلت ؛ ولد لي ولد ، قال : بارك الله لك فيه ، ماذا أسميته ؟ قلت : محمّداً ، فلمّا سمع باسم محمّد أطرق إلى الأرض وهو يقول : محمّد ، محمّد ، محمّد ، حتّى كاد وجهه يلتصق بالأرض ، ثم قال : روحي وأمّي وأبي وأهل الأرض جميعاً لك الفداء يا رسول الله ، ثم قال :

(١) تعريب شعر عن الفارسيّة (المعرّب) .

لا تسبّ هذا الولد ولا تضربه ولا تسيء إليه ، واعلم أنه ما من بيت فيه اسم محمّد إلاّ طهر وقدّس كل يوم .

الثالث : جاء في كتاب (توحيد المفضّل) أنّ المفضّل بن عمرو كان في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فسمع من ابن أبي العوجاء بعض كفريّاته ، فلم يملك غضبه فقال : يا عدوّ الله ، ألحدت في دين الله ، وأنكرت الباري جلّ قدسه ، إلى آخر ما قال له ، فقال ابن أبي العوجاء :

يا هذا ، إن كنت من أهل الكلام كلّمناك ، فإن ثبتت لك الحجّة تبعناك ، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك ، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمّد الصادق فما هكذا يخاطبنا ، ولا بمثل دليلك يجادلنا ، ولقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعت فما أفحش في خطابنا ، ولا تعدّى في جوابنا ؛ وإنّه للحليم الرزين ، العاقل الرصين ، لا يعتريه خرق ، ولا طيش ولانزق ، يسمع كلامنا ، ويصغي إلينا ، ويستغرق حجّتنا ؛ حتّى إذا استفرغنا ما عندنا وظننّا أنّا قد قطعناه أدحض حجّتنا بكلام يسير ، وخطاب قصير يلزمنا به الحجّة ، ويقطع العذر ، ولا نستطيع لجوابه ردّاً ، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه .

الرابع : في إخراجه (عليه السلام) عطاء الشقرانيّ . وعظته له :

جاء في تذكرة السبط ابن الجوزي أنّ من مكارم أخلاقه (عليه السلام) ما ذكره الزمخشريّ في كتاب (ربيع الأبرار) عن الشقرانيّ مولى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :

خرج العطاء أيّام المنصور ، ومالي شفيع ، فوقفت على الباب متحيّراً ، وإذا بجعفر بن محمّد (عليه السلام) قد أقبل ، فذكرت له حاجتي ، فدخل وخرج وإذا بعطائي في كمّه ، فناولني إيّاه وقال :

« إنّ الحسن من كلّ أحد حسن ، وإنّه منك أحسن لمكانك منّا ، وإنّ القبيح من كلّ أحد قبيح ، وإنّه منك أقبح لمكانك منّا » .

وإنّما قال له جعفر (عليه السلام) ذلك لأنّ الشقرانيّ كان يشرب الشراب فمن مكارم أخلاق جعفر (عليه السلام) أنّه رحّب به وقضى حاجته مع علمه بحاله ، ووعظه على وجه التعريض ، وهذا من أخلاق الأنبياء (عليهم السلام) .

الخامس : في ستره (عليه السلام) لباس زينته بلباس مرقوع : روي أنه دخل عليه يوماً بعض أصحابه ، فرأى عليه قميصاً فيه قبٌ[1] قد رقعه ، فجعل ينظر إليه ، فقال أبو عبد الله

---

(١) القبّ : ما يدخل في جيب القميص من الرقاع .

(عليه السلام) : ما لك تنظر ؟ فقال : قبّ يُلقى في قميصك ؟ فقال : اضرب يدك إلى هذا الكتاب فاقرأ ما فيه ، وكان بين يديه كتاب أو قريب منه ، فنظر الرجل فيه فإذا فيه :

« لا إيمان لمن لا حياء له ، ولا مال لمن لا تقدير له ، ولا جديد لمن لا خَلَق له » .

يقول المؤلّف : تقدّم في ذيل مواعظ وكلمات الإمام الباقر (عليه السلام) كلام في الحياء وتقدير المعيشة ، فيرجع إليه هناك .

السادس : في مواساته لأب قلق على رزق بناته : ذكر الشيخ الصدّوق أنّ الصادق (عليه السلام) افتقد يوماً رجلاً من أهل مجلسه فقيل : هو عليل ، فأتاه عائداً فجلس عند رأسه فوجده مائتاً ، فقال له : أحسن ظنّك بالله ، فقال : ظنّي بالله حسن ، لكنّ غمّي من أجل بناتي ، فما أكربني إلّا الغصّة عليهنّ ، فقال (عليه السلام) :

« الذي ترجوَنّ لتضعيف حسناتك ومحو سيّئاتك فارجه لإصلاح بناتك » .

ألم تعلم أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) روى أنّه لمّا جاوز سدرة المنتهى ليلة المعراج وانتهى إلى أغصانها رأى بعض ثمار تلك الأغصان التي تعلّقت أثداؤها يخرج من بعضها اللبن ، ومن بعضها الآخر العسل ، ومن بعضها الدهن ، ومن بعضها الآخر ما يشبه الدقيق الجيّد الأبيض ، ومن بعضها ما يشبه السدر ، وكلّ هذا ينزل إلى الأرض ، فقال في نفسه : أين تهبط تلك الأشياء ؟ ولم يكن جبرئيل معه لأنه (صلّى الله عليه وآله) تجاوزه وتخلّف عنه في المقام ، فناداه الله عزّ وجلّ أن يا محمّد لقد أنبتناها من هذا المكان الذي هو أعلى الأمكنة لتغذية بنات المؤمنين وأبنائهم من أمّتك ، فقل لآباء البنات أن لا يضيقوا بقلّة ذات اليد ، فإنّي كما خلقتهم أرزقهم .

ويورد المؤلّف هنا أشعاراً للشيخ سعدي رأى من المناسب إيرادها ، ومضمونها أنّ أباً فقيراً شعر بالقلق والحيرة لمّا رأى طفلاً له وقد بدأت أسنانه بالظهور ، وتساءل من أين يأتيه بالخبز ؟! فتردّ عليه زوجته بكلّ اليقين ؟

إنّ من وهبه الحياة وأعطاه أسنانه سيعطيه رزقه ، وعليه أن يسلم أمره لله عزّ وجلّ ، ويدع عنه وساوس الشيطان فخالق الخلق قدّر لهم أعمارهم وأرزاقهم ، فهو خالقهم وهو المتكفّل بمعاشهم .

السابع : في عفوه (عليه السلام) وكرمه : روي نقلاً عن (مشكاة الأنوار) أن رجلاً أتى أبا عبد الله (عليه السلام) فقال : إنّ ابن عمّك فلاناً ذكرك فلم يدع شيئاً من سيّء القول إلّا قاله فيك ، فأمر (عليه السلام) جارية أن تأتيه بوضوئه ، فتوضّأ وانصرف إلى الصلاة .

قال الراوي : فقلت في نفسي : سيدعو عليه ، وبعد أن صلّى (عليه السلام) ركعتين قال : « يا ربّ ، هو حقّي قد وهبته ، وأنت أجود منّي وأكرم فهبه لي ، ولا تؤاخذه بي ولا تقايسه » .

ثمّ رقّ فلم يزل يدعو ، فجعلت أتعجّب !

الثامن : في حمله الخبز إلى الفقراء ظلّة بني ساعدة ليلاً : روى الشيخ الصدوق عن معلّى بن خنيس قال : خرج أبو عبد الله (عليه السلام) في ليلة قد رشّت السماء (أي : أمطرت) وهو يريد ظلّة بني ساعدة (وهي مظلّة كبيرة أو خيمة يحتمي الناس بها من الحرّ نهاراً ، ويأوي إليها الفقراء والغرباء ليلاً) ، فاتّبعته فإذا هو قد سقط منه شيء ، فقال : باسم الله ، اللهمّ ردّه علينا .

قال : فأتيته فسلّمت عليه ، فقال : معلّى ؟ قلت : نعم جعلت فداك ، فقال لي : التمس بيدك ، فما وجدت من شيء فادفعه إليّ ؛ قال : فإذا أنا بخبز منتشر ، فجعلت أدفع إليه ما وجدت ، فإذا أنا بجراب من خبز ، فقلت : جعلت فداك ، أحمله عليّ عنك ، فقال : لا ، أنا أولى به منك ، ولكن امض معي .

قال : فأتينا ظلّة بني ساعدة ، فإذا نحن بقوم نيام ، فجعل يدسّ الرغيف والرغيفين تحت ثوب كلّ واحد منهم حتّى أتى على آخرهم ، ثمّ انصرفنا .

فقلت : جعلت فداك ، يعرف هؤلاء الحقّ ؟ فقال :

لو عرفوا لواسيناهم بالدقة . (والدقة هي الملح) .

أقول : في قوله (عليه السلام) : « لو عرفوا لواسيناهم بالدّقّة » ، يعني لو عرفوا الحق فكانوا من شيعتنا لساويناهم بأنفسنا في كل شيء نملكه ، حتّى لأشركناهم بالملح .

التاسع : في عطائه في السرّ : قال ابن شهر اشوب نقلاً عن أبي جعفر الخثعميّ أنّه قال : أعطاني الصادق (عليه السلام) صرّة فقال لي : ادفعها إلى رجل من بني هاشم ، ولا تعلمه أنّي أعطيتك شيئاً .

قال: فأتيته فقال: جزاه الله خيراً (أراد بالدعاء من بعث إليه بالمال)، ما يزال كلّ حين يبعث بها فنعيش به إلى قابل ، ولكني لا يصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله .

العاشر : في عطفه (عليه السلام) ورحمته : روي عن سفيان الثوريّ أنّه دخل يوماً على الصادق (عليه السلام) فرآه متغيّر اللون ، فسأله عن ذلك فقال :

« كنت نهيت أن يصعدوا فوق البيت ، فدخلت فإذا جارية من جواريّ - ممّن تربّي بعض

ولدي ـ قد صعدت سلّماً والصبّي معها ، فلمّا بصرت بي ارتعدت وتحيّرت ، وسقط الصبيّ إلى الأرض فمات ، فما تغيّر لوني لموت الصبيّ ، وإنّما تغيّر لوني لما أدخلت عليها من الرعب » .

وكان (عليه السلام) قال لها : أنت حرّة لوجه الله ، لا بأس عليك مرّتين .

الحادي عشر : في إطالته ركوعه (عليه السلام) : روى ثقة الإسلام في الكافي مسنداً عن أبان بن تغلب قال : دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وهو يصلّي ، فعددت له في الركوع والسجود ستّين تسبيحة .

الثاني عشر : في استعماله الطيب وهو صائم : وجاء في الكتاب نفسه أن أبا عبد الله (عليه السلام) كان إذا صام تطيّب بالطيب ، ويقول : الطيب تحفة الصائم .

الثالث عشر : في عمله (عليه السلام) في بستانه : وجاء في هذا الكتاب أيضاً عن أبي عمرو والشيبانيّ أنّه قال : رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) وبيده مسحاة وعليه إزار غليظ يعمل في حائط (أي : بستان) له ، والعرق يتصابّ عن ظهره ، فقلت : جعلت فداك ، أعطني أكفك ، فقال لي : إنّي أحبّ أن يتأذّى الرجل بحرّ الشمس في طلب المعيشة .

الرابع عشر : في إعطائه (عليه السلام) أجور العمّال حال فراغهم من العمل : وروي أيضاً عن شعيب قال : تكارينا لأبي عبد الله (عليه السلام) قوماً يعملون في بستان له ، وكان أجلهم إلى العصر ، فلمّا فرغوا قال لمعتّب (غلامه) :

أعطهم أجورهم قبل أن يجفّ عرقهم .

الخامس عشر : في شرائه بيتاً في الجنّة لصديقه الجبليّ : روى القطب الراوندي وابن شهر اشوب عن هشام بن الحكم قال :

كان رجل من ملوك أهل الجبل يأتي الصادق (عليه السلام) في حجّه كلّ سنة ، فينزله أبو عبد الله (عليه السلام) في دار من دوره في المدينة ، وطال حجّه ونزوله ، فأعطى أبا عبد الله عشرة آلاف درهم ليشتري له داراً ، وخرج إلى الحجّ فلما انصرف قال : جعلت فداك ، اشتريت لي الدار ؟ قال : نعم ، وأتى بصكٍ فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اشترى جعفر بن محمّد لفلان ابن فلان الجبليّ : اشترى له داراً في الفردوس ، حدّها الأوّل : رسول الله (صلّى الله عليه وآله) والحدّ الثاني : أمير المؤمنين ، والحدّ الثالث : الحسن بن عليّ ، والحدّ الرابع : الحسين بن عليّ » .

فلمّا قرأ الرجل ذلك قال : قد رضيت جعلني الله فداك .

قال : فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : إنّي أخذت ذلك المال ففرّقته في ولد الحسن

والحسين ، وأرجو أن يتقبّل الله ذلك ويثيبك به الجنّة .

قال : فانصرف الرجل إلى منزله ، وكان الصكّ معه ، ثمّ اعتلّ علة الموت ، فلما حضرته الوفاة جمع أهله وحلّفهم أن يجعلوا الصكّ معه ، ففعلوا ذلك ، فلمّا أصبح القوم غدوا إلى قبره ، فوجدوا الصكّ على ظهر القبر مكتوباً عليه :

« وفى لي والله جعفر بن محمّد بما قال » .

السادس عشر : في ضمانه (عليه السلام) الجنّة لجار أبي بصير : روى ابن شهر اشوب عن أبي بصير قال : كان لي جار يتبع السلطان ، فأصاب مالاً فاتّخذ قياناً ، وكان يجمع الجموع ويشرب المسكر ويؤذيني ، فشكوته إلى نفسه غير مرّة فلم ينته ، فلمّا ألححت عليه قال : يا هذا ، أنا رجل مبتلى ، وأنت رجل معافى ، فلو عرّفتني لصاحبك (يعني الصادق (عليه السلام)) رجوت أن يستنقذني الله بك .

فوقع ذلك في قلبي ، فلمّا صرت إلى أبي عبد الله (عليه السلام) ذكرت له حاله ، فقال لي : إذا رجعت إلى الكوفة فإنّه سيأتيك ، فقل له : يقول لك جعفر بن محمّد : دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنّة .

قال : فلمّا رجعت إلى الكوفة أتاني فيمن أتى ، فاحتبسته حتّى خلا منزلي ، فقلت : يا هذا ، إنّي ذكرتك لأبي عبد الله (عليه السلام) فقال : أقرئه السلام وقل به يترك ما هو عليه وأضمن له على الله الجنّة .

فبكى ثم قال : تاللهِ قال لك جعفر (عليه السلام) هذا ؟ فحلفت له إنّه قال لي ما قلت لك ، فقال لي : حسبك ، ومضى .

فلمّا كان بعد أيّام بعث إليّ ودعاني ، فإذا هو خلف باب داره عريان ، فقال : يا أبا بصير ، ما بقي في منزلي شيء إلاّ وخرجت عنه ، وأنا كما ترى .

فمشيت إلى إخواني فجمعت له ما كسوته به ، ثمّ لم يأت عليه إلاّ أيّام يسيرة حتّى بعث إليّ : إنّي عليل فائتني ، فجعلت أختلف إليه وأعالجه ، حتّى نزل له الموت ، فكنت عنده جالساً وهو يجود بنفسه ، ثمّ غشي عليه غشية ، ثم أفاق فقال : يا أبا بصير ، قد وفى صاحبك لنا ، ثمّ مات .

فحججت فأتيت أبا عبد الله (عليه السلام) فاستأذنت عليه ، فلمّا دخلت قال مبتدئاً من داخل البيت ، وإحدى رجليّ في الصحن والأخرى في دهليز داره : يا أبا بصير ، قد وفينا لصاحبك .

السابع عشر :

في حلمه (عليه السلام) : روى الشيخ الكلينيّ عن حفص بن أبي عائشة أنّ الصادق (عليه السلام) بعث غلاماً له في حاجة فأبطأ ، فخرجَ أبو عبد الله (عليه السلام) على أثره لمّا أبطأ ، فوجده نائماً ، فجلس عند رأسه يروّحه حتّى انتبه ، فلمّا انتبه قال له أبو عبد الله (عليه السلام) : والله ما ذلك لك ، تنام الليل والنهار ؟! لك الليل ، ولنا منك النهار .



الفصل الثالث

في طرف من كلمات الإمام الصادق (عليه السلام) ومواعظه

١ ـ قال (عليه السلام) لحمران بن أعين :

« يا حمران ، انظر إلى من هو دونك ، ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة ، فإنّ ذلك أقنع لك بما قسم لك ، وأحرى أن تستوجب الزيادة من ربّك ، واعلم أنّ العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين ؛ واعلم أنّه لا ورع أولى من تجنّب محارم الله ، والكفّ عن أذى المؤمنين واغتيابهم ؛ ولا عيش أهنأ من حسن الخلق ، ولا مال أنفع من القنوع باليسير المجزىء ، ولا جهل أضرّ من العجب » .

٢ ـ وقال (عليه السلام) : « إن قدرت على أن لا تخرج من بيتك فافعل ، فإنّ عليك أن لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتصنّع ولا تداهن » .

وقال (عليه السلام) ما مضمونه :

إنّ كفّ النفس عن المعاصي صعب بين الناس ، لكنّ بقائك في بيتك وعدم خروجك يجعل الأمر أكثر سهولة .

ثمّ قال : « نعم ، صومعة المسلم بيته ، يكفّ فيه بصره ولسانه ونفسه وفرجه » .

في مدح الاعتزال عن الناس : يقول المؤلّف : إنّه (عليه السلام) يحث في أقواله على اعتزال الناس ومجانبتهم ، والأنس بالله تعالى ، والروايات بشأن الاعتزال مختلفة ، فمنها ما ورد في مدحه ومنها في ذمّه ، ولعلّ ذلك يعود إلى اختلاف الأوقات والأشخاص ، ونشير هنا إلى كليهما :

أمّا ما ورد منها في مدح الاعتزال غير ما ذكر فمنها الروايات التي ذكرها الشيخ أحمد بن فهد في كتاب (التحصين) في الاعتزال وخمول الذكر ، ومنها ما رواه ابن مسعود من أنّ

رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال ما معناه :

لا بدّ أن يأتي على الناس زمان لن يسلم فيه دين صاحب الدين إلاّ إذا فرّ من رأس جبل إلى رأس جبل آخر ، ومن شقّ إلى شقّ كالثعلب مع جرائه .

قيل : يا رسول الله ، ومتى يكون هذا الزمان ؟ قال : عندما لا يُنال العيش إلاّ بمعاصي الله ، فإذ ذاك تحلّ العزوبة .

قيل : يا رسول الله ، لقد أمرتنا بالتزويج !

قال : أجل ، ولكن في ذلك الزمان يكون هلاك الرجل على يد أبيه وأمّه ، فإن لم يكن له أب وأمّ فهلاكه على يد امرأته وأولاده ، فإن لم تكن له امرأة وأولاد فهلاكه على يد ذوي قرباه وجيرانه .

وقيل : وكيف يكون هلاكه على يدهم ؟ قال :

إنّهم يلومونه على ضيق العيش ، ويكلّفونه ما لا يطيق حتى يوردوه موارد الهلكة .

وجاء في (الأربعون) للشيخ البهائيّ : روي أنّ الحواريّين قالوا لعيسى (عليه السلام) : يا روح الله ، مَن نجالس ؟ قال : جالسوا من تذكّركم بالله رؤيته ، ويزيد في علمكم كلامه ، ويرغّبكم بالآخرة عمله .

قال الشيخ البهائيّ في شرح هذا الحديث : لا يخفى أنّ المراد بالمجالسة في هذا الحديث ذلك الأمر الذي يشمل الألفة والمخالطة والصحبة ، وفيه إشعار بأنه لا تليق مجالسة من يفتقر إلى هذه الصفات أو الاختلاط به ، فكيف إذا كان يمتلك ما يضادّها ؟ كأكثر أهل زماننا ؛ فهنيئاً لمن وفّقه الله عزّ وجلّ إلى اعتزالهم والبعد عنهم ، والوحشة منهم ، والأنس بالله تعالى ، إنّ الاختلاط مع هؤلاء يميت القلب ويفسد الدين ، وتحصل للنفس بسببه ملكات مهلكة توصل صاحبها إلى الخسران المبين ، وقد جاء في الحديث : فرّ من الناس فرارك من الأسد .

وقال معروف الكرخيّ للصادق (عليه السلام) : يا بن رسول الله ، أوصني ، قال ما معناه : أقلّ معارفك وأصحابك ، قال : زدني ، قال : اعتزل معارفك .

ثم يورد المؤلف أبياتاً تدعو إلى اعتزال الناس والانصراف إلى الله ، والأنس بعبادته عزّ وجلّ ، بعد أن راح الشاعر لسنوات يبحث عمّن يستروح منه نسيم الحقيقة فلم يعثر له على أثر ، بل عاد من تجواله بخيبة أمل دفعته إلى الصبر على الاعتزال والوحدة والأنزواء عن الخلق ، وإلى أن يغلق قلبه على الله عزّ وجلّ ، سارحاً بخواطره في الكون والخلق ، والبعد عن النفس الأمّارة ووسوستها ، والانصراف عن الجلساء إلى الكتب التي هي في هذا الزمن خير

جليس ، وصرف القلب عن النفس وعن الصاحب ، والقناعة بمراقبة القلب حسب الإمكان .

وحكي أنّه قيل لراهب : أيّها الراهب ، فقال : لست براهب ، إنّما الراهب من يخشى الله تعالى ، ويحمده على نعمه ، ويصبر على بلائه ، ولا يزال هارباً إليه يستغفره من معاصيه ، أمّا أنا فلست سوى كلب متوحّش حبست نفسي في هذه الصومعة ، فيكفّ الناس عنّي أذاهم ، ويرتاحون من شرّي .

وروي عن قَثم الزاهد أنّه قال : رأيت راهباً على باب بيت المقدس كالواله ، فقلت له : أوصني ، قال : كن في الدنيا كمن أحاطت به وحوش مفترسة فهو في خوف من أن يغفل عنها فتمزّقه إرباً ، أو يلوي فتعضّه ، فهو من ثَمّ يقضي ليله في خوف وفزع بين أناس غرّهم الأمان ، ويقضي نهاره في غمّ وحزن بين أناس هم في فرحهم وسرورهم عاطلون تافهون .

قال هذا ومضى ، فقلت : زدني ، فقال : إن العطشان يقنع بالقليل من الماء .

ويناسب المقام قول الشيخ سعدي :

لئن عرفت لذيذ ترك اللذّة ... لما دعوت طِلاب نفسك لذّة
دون الورى إن تغلق الأبوابا ... باب السماء يكن لروحك بابا
تغدو بقلب ساكن وأمانِ ... إذ لن يفوتك موكب الأزمان
هذي الوصيّة يا أُخيّ فلا تدع ... وقتاً يضيع وخِر لنفسك ما نفع[١]

قيل لراهب : ما الذي دعاك إلى اعتزال الناس ؟ قال : خفت أن يختطف ديني منّي وأنا غافل .

ولنعم ما قيل :

إنّي عرفت الناس حقّ المعرفة ... حتّى تركت الناس بعد المعرفة
كلّ الذين صحبتهم وألفتهم ... لم ألق خيراً منهمُ فسلوتهم
لم أستظلّ بظلّ أيّ منهمُ ... إذ لا وفاء يزين أيّاً منهمُ
بعدت وعزّت صحبة الطّهور ... وغدت بيوت النحل للدبّور
صار ابن آدم طينَ جهل وسقم ... طهر القلوب من الأنام قد انعدم[٢]

قال الثوريّ لجعفر بن محمّد (عليه السلام) : يا بن رسول الله ، اعتزلت الناس ؟ فقال

---

(١)و(٢) تعريب أبيات عن الفارسيّة (المعرّب) .

(عليه السلام) : يا سفيان ، فسد الزمان ، وتغيّر الإخوان ، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد .

ثمّ قال (عليه السلام) :

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب والناس بين مخاتل ومُوارب
يفشون بينهمُ المودّة والصفا وقلوبهم محشوّة بعقارب

في ذمّ الاعتزال : أمّا ما ورد في ذمّ الاعتزال فكثير ، ونكتفي في هذا المقام بما ذكره العلاّمة المجلسيّ في (عين الحياة) ، وملخّصه أنّ الاعتزال عن عامّة الخلق في هذه الأمّة غير ممدوح ، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضيلة رؤية الإخوان المؤمنين ولقائهم ، وعيادة مرضاهم ، وإعانة المحتاجين منهم ، وتشييع جنائز موتاهم ، وقضاء حوائجهم ؛ ولا يتّفق كلّ هذا مع الأعتزال ، كما أنّ تحصيل المسائل الضروريّة واجب على الجاهل بالإجماع وبالأحاديث المتواترة ، كما يجب على العالِم هداية الخلق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ولا يتّفق كلّ هذا مع الاعتزال .

وكذلك يروي الكلينيّ بسند معتبر أنّ أحدهم قال للصادق (عليه السلام) : إن فلاناً يقول بمذهبنا وقد صحّح اعتقاده ، وهو يجلس في بيته لا يبرحه ، ولا يعاشر إخوانه ؛ فقال (عليه السلام) ما معناه : وكيف يتعلّم هذا الشخص مسائله ؟!

وروى بسند معتبر عنه (عليه السلام) قوله ما معناه :

عليكم بالصلاة في المساجد ، وبمعاشرة الناس بالحسنى ، وأن تؤدّوا لهم الشهادة ، وتشيّعوا جنائزهم ، فإنه لا بدّ لكم من معاشرة الناس ، وما عاش المرء فلن يكون بغنى عن الناس ، فالناس جميعاً بحاجة بعضهم إلى بعض .

وقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس منهم ، ومن سمع رجلاً ينادي : يا للمسلمين ، فلم يجبه ، فليس بمسلم » .

وسئل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : من أحبّ الناس إلى الله ؟ قال : « أنفع الناس للناس » .

وروي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال : « من زار أخاه لله لا لغيره . . وكّل الله به سبعين ألف ملك ينادونه : ألا طبت وطابت لك الجنّة » .

وروي عن الباقر (عليه السلام) بسند معتبر عن خيثمة قال : دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) أودّعه فقال :

« يا خيثمة ، أبلغ من ترى من موالينا السلام ، وأوصهم بتقوى الله العظيم ، وأن يعود

غنيّهم على فقيرهم ، وقويّهم على ضعيفهم ، وأن يشهد حيّهم جنازة ميّتهم ، وأن يتلاقوا في بيوتهم ، فإنّ لقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا ، رحم الله عبداً أحيا أمرنا » .

وقال (عليه السلام) لأصحابه : « اتقوا الله وكونوا إخوة بررة ، متحابين في الله ، متواصلين متراحمين ، تزاوروا وتلاقوا ، وتذاكروا أمرنا وأحيوه » .

وقال (عليه السلام) في حديث آخر : « لأن أمشي في حاجة أخ لي مسلم أحبّ إليّ من أن أعتق ألف نسمة ، وأحمل في سبيل الله على ألف فرس مسرجة ملجمة » .

الجمع بين النوعين من الأحاديث : اعلم أنّه وردت في كلّ من الأمورالمتقدّمة أحاديث متواترة ، والظاهر أن الاعتزال يوجب الحرمان من هذه الفضائل ، وبعض الأخبار التي وردت بصدد الاعتزال يراد بها اعتزال شرار الخلق ، إذا لم تكن معاشرتهم لتؤدّي إلى هدايتهم ، أو تسبب ضرراً دينياً لمن يعاشرهم ، وإلاّ فمعاشرة الصالحين وهداية الضالّين من عادات الأنبياء ومن أفضل العبادات ، بل إن ذلك الاعتزال الممدوح بين الناس ميسّر أيضاً ، وتلك المعاشرة المذمومة تأتي أيضاً في العزلة ، ذلك أنّ من مفاسد معاشرة الخلق الميل إلى الدنيا ، والتخلّق بأخلاقهم ، وتضييع العمر بمعاشرة أهل الباطل وصحبتهم .

وكثيراً ما يعتزل شخص الناس فيوسوس له الشيطان في عزلته تلك ، ويوجّه كلّ حواسّه نحو الحصول على الجاه والاهتمام بالدنيا ، ولو كان بعيداً عنهم ، غير أنّه معهم بقلبه ، وأخلاقهم تسيطر على نفسه .

كما أنّه كثيراً ما يحضر شخص مجالس أهل الدنيا ، فينزعج كثيراً من أطوارهم ، وتكون عشرته لهم باعثاً على المزيد من تبصّره ، فينقلب الأمر لديه نفوراً من الدنيا ، ولأن غرضه هو الله في هدايتهم ، أو غير ذلك من الأغراض السليمة ، فيفوز بأعظم الثواب .

وقد جاء بسند صحيح عن الصادق (عليه السلام) ما معناه : طوبى لعبد خامل الذكر مجهول ، يعرف أهل زمانه فيصحبهم ببدنه ، ويفارقهم بقلبه في أعمالهم ، فهم يعرفونه في الظاهر ، وهو يعرفهم في الباطن .

فالمطلوب من الاعتزال إذاً هو اعتزال القلب عن أطوار الخلق السّيئة ، فلا يعتمد في أموره عليهم ، ويواصل اعتماده على الله عزّ وجل ، فينتفع من فوائدهم ، ويحذر مفاسدهم ، وإلاّ فليس في اعتزال الناس علاج للأمور ، بل هو يرسّخ أكثر الصفات الذميمة في النفس كالعجب والرياء ، وغير ذلك .

٣ ـ وقال (عليه السلام) : « إذا أضيف البلاء إلى البلاء كان من البلاء عافية » .

أقـول : إنّ قولـه (عليه السـلام) شبيه بكـلام جدّه أمير المؤمنين (عليـه السـلام) إذ يقول :

« عند تناهي الشدّة تكون الفرجة ، وعند تضايق حلَق البلاء يكون الرخاء » .

قال تعالى : ﴿ فإنّ مع العسر يسراً * إنّ مع العسر يسراً ﴾ .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « إنّ للنكبات غـايات لا بـدّ أن تنتهي إليها ، فـإذا أحكم على أحدكم فليطأطىء لها ، وليصبر حتّى تجوز ، فإنّ إعمال الحيلة فيها عند إقبالها زائـد في مكروهها » :

فـاصـبر أيـا قـلبي تـأسّ بمـن صـبر فـالـليـل يعـقبـه صبـاحٌ والسحـر[1]

٤ ـ وقال (عليه السلام) ما معناه : إذا أقبلت الدنيا على قوم ألبستهم محاسن غيرهم ، وإذا أدبرت عنهم خلعت عنهم محاسنهم .

يقـول المؤلّف : كـلامـه هـذا (عليـه السـلام) شبيـه بكـلام جـدّه أمير المؤمنـين (عليه السلام) إذ يقول :

« إذا أقبلت الـدنيا عـلى أحد أعـارتـه محـاسن غـيره ، وإذا أدبـرت عنـه سلبتـه محـاسن نفسه » .

يقـال : إنّه لّما كانت الأيّام مقبلة على البرامكة أقسم الـرشيد يـوماً أنّ جعفـر بن يحيى البرمكيّ أفصح من قسّ بن ساعدة ، وأشجع من عامر بن الطفيل ، وأكتب من عبد الحميد ، وأسيس من عمر بن الخطاب ، وأجمل من مصعب بن الزبير ـ مع أنّه لم يكن جميلاً ـ وأنصح من الحجّاج لعبد الملك ، وأسخى من عبد الله بن جعفر ، وأعفى من يوسف بن يعقوب .

فلمّا أدبرت الدنيـا عنهم أنكر كـلّ هذا ، حتّى الأوصـاف التي كان جعفـر يتّصف بها ولا أحد ينكرها كالكياسة والسماحة .

وحاصل القول ؛ فالنـاس أبناء الـدنيا وطـلّاب متاعهـا ، فإذا فـازوا منها بشيء أحبّـوها وزخرفوا لها أشكال المحاسن والكمال وغضّوا عن عيوبها أبصارهم ، بل هم لا يبصرون عيوبهـا أصلاً ، ذلك أنّ « عين الرضى عن كلّ عيب كليلة » ! فحال عَبَدة الدنيا كما قال الشاعر :

أحـبـاب مَـن دنـيـاه في إقـبـال أعـداء مَـن دنـيـاه في إدبـال[2]

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

(١) (٢) تعريب بيتين عن الفارسيّة (المعرّب) .

« الناس أبناء الدنيا ، ولا يلام الرجل على حبّ أمّه » .

٥ ـ وقال الصادق (عليه السلام) لشخص التمس منه أن يوصيه :

« أعدّ جهازك ، وقدّم زادك ، وكن وصيّ نفسك ، ولا تقل لغيرك يبعث إليك بما يصلحك » .

أرسل لقبرك زاك عيشك بداءةً أزف الرحيل فليس بعدك مُرسِل[١]

روى الشيخ أبو الفتوح الرازيّ رحمه الله أنّه بعد أن فرغ أمير المؤمنين (عليه السلام) من دفن الصدّيقة الطاهرة صلوات الله عليها توجّه إلى المقبرة فقال ما معناه : السلام عليكم يا أهل القبور ، أمّا الأموال فقد قسّمت ، وأمّا المنازل فقد سكنت ، وأمّا الأزواج فقد نكحت ، وهذا خبر ما عندنا ، فما خبر ما عندكم .

فنادى مناد يقول : أمّا ما طعمناه فقد انتفعنا به ، وأمّا ما قدّمناه فقد وجدناه ، وأمّا ما خلّفناه فقد خسرناه .

٦ ـ وقال (عليه السلام) في وصيّته لعبد الله بن جندب :

« يا بن جندب ، أقلّ النوم بالليل والكلام بالنهار ، فما في الجسد شيء أقلّ شكراً من العين واللسان ، فإنّ أمّ سليمان قالت لسليمان : يا بنيّ ، إيّاك والنوم فإنّه يفقرك يوم يحتاج الناس إلى أعمالهم » .

وقال له : « واقنع بما قسمه الله لك ، ولا تنظر إلاّ ما عندك ، ولا تتمنّ ما لست تناله ، فإنّ من قنع شبع ، ومن لم يقنع لم يشبع ، وخذ حظّك من آخرتك ، ولا تكن بطراً في الغنى ، ولا جزعاً في الفقر ، ولا تكن فظّاً غليظاً يكره الناس قربك ، ولا تكن واهناً يحقّرك من عرفك ، ولا تشارّ[٢] مَن فوقك ، ولا تسخر بمن هو دونك ، ولا تنازع الأمر أهله ، ولا تطع السفهاء ، ولا تكن مهيناً تحت كلّ أحد ، ولا تتّكلنّ على كفاية أحد ، وقف عند كلّ أمر حتّى تعرف مدخله من مخرجه قبل أن تقع فيه فتندم » .

أقول : نظم الشيخ النظامي مضمون الفقرة الأخيرة في بيتين :

اعرف إذا ما رمت بدءاً بالعمل سبل التخلّص من مفاسد ذا العمل
ما لم تكن أحكمت خطوك ثابتاً فيه فدعه إذ نتيجته الزلل[٣]

(١) تعريب بيت بالفارسيّة لسعديّ (المعرّب) .
(٢) لا تشارّ : أي لا تخاصم .
(٣) تعريب بيتين عن الفارسيّة ، (المعرّب) .

وروي أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال لمن طلب منه وصيّة :

« أوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبّر عاقبته ، فإنّ يك رشداً فامضه ، وإن يك غيّاً فانته عنه » .

وروي أيضاً أنّ يهوديّاً سأل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) مسألة ، فمكث النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ساعة ، ثمّ أجابه عنها .

فسأله : وماذا امكثك في أمر تعرفه ؟ قال : توقيراً للحكمة وتعظيماً لها .

٧ ـ وقال (عليه السلام) : « مع التثبّت تكون السلامة ، ومع العجلة تكون الندامة ، ومن ابتدأ بعمل في غير وقته كان بلوغه في غير حينه » ، وقد قيل :

لا تعجلنّ إذا هممت بهمّة سبل التأنّي للعواقب أسلم
ليس التأنّي موجباً لمضرّة بل بالتعجّل في الحقيقة تندم[1]

٨ ـ وقال (عليه السلام) ما معناه : نحبّ من كان عاقلاً ، مدركاً ، فقيهاً ، حليماً ، مدارياً ، صبوراً ، صدوقاً ، وفيّاً ؛ إنّ الله عزّ وجلّ خصّ الأنبياء (عليهم السلام) بمكارم الأخلاق ، فمن كانت عنده فليحمد الله عليها ، ومن لم تكن عنده فليضرع إلى الله ويسأله إيّاها .

قيل : وما هي ؟ قال : الورع ، والقناعة ، والصبر ، والشكر ، والحلم ، والحياء ، والسخاء ، والشجاعة ، والغيرة ، والصدق ، وحسن العمل ، وأداء الأمانة ، واليقين ، والخلق الحسن ، والمروءة .

يقول المؤلّف : روي أنه (عليه السلام) سئل : ما هي المروءة ؟ فقال « أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك من حيث أمرك » .

وذُكر أن الورع من بين الأخلاق الشريفة مقدّم عليها جميعاً ، ولعلّه يمكن القول إنّه أعلاها درجة ، ذلك لأنّ الورع ـ الذي هو ترك المحرّمات والشبهات ، بل بعض المباحات ـ ذو مرتبة رفيعة ودرجة عالية ليس من السهولة بلوغها ، ولهذا فكثيراً ما كان الصادق (عليه السلام) يوصي شيعته بالورع .

وروي أن عَمْروَ بن سعيد الثقفيّ قال : قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) : لا أكاد ألقاك إلاّ في السنين ، فأوصني بشيء آخذ به قال (عليه السلام) :

---

(١) تعريب بيتين الفارسيّة (المعرّب) .

« أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد ، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع معه » .

وروي أنّه قال لأبي الصباح ما معناه : ما أقلّ من يتولّانا بينكم ، إنّه ليس من أصحابي إلّا من كان شديد الورع ، يعبد الله ويرجو ثوابه ، فهولاء هم أصحابي .

وسئل (عليه السلام) : من الورع من الناس ؟ قال : « الذي يتورّع عن محارم الله » .

وروي عنه (عليه السلام) أنّه قال : « أورع الناس من وقف عند الشبهة » .

وعنه أيضاً أنّه قال : « عليكم بالورع فإنّه الدين الذي نلازمه وندين الله به ، ونريده ممّن يوالينا » .

وفي رواية أخرى أنّه قال ما معناه :

ليس من شيعة جعفر إلّا رجل يصون بالعفّة عن الحرام بطنه وفرجه ، ويجتهد في عبادته ، ويكون عمله لله فهو يرجو ثوابه ويخشى عقابه ، فإذا رأيتم هؤلاء فهم شيعتي .

كما روي عنه أنّه قال ما معناه : أجدر الناس بالورع آل محمّد (عليهم السلام) ، لأنّ الرعيّة تقتدي بهم .

وعن شدّة ورع صفوان بن يحيى من أصحاب الإمامين موسى الكاظم والرضا (عليهما السلام) روي أن أحد جيرانه في مكّة أعطاه دينارين يحملهما إلى منزله في الكوفة ، فقال : كنت قد اكتريت بعيراً لركوبي ، ولم يكن الديناران جزءاً من متاعي وقت الكراية .

ثم طلب منه إمهاله ، وأتى الجمّال فاستأذنه في حملهما .

وروي ما يقرب من هذا عن مولانا الأردبيليّ ، وسيرد ذكره إن شاء الله ضمن الحديث عن أحوال صفوان بن يحيى في أصحاب الرضا (عليه السلام) .

وروى الدميريّ في (حياة الحيوان) أن عبد الله بن مبارك استعار قلماً بالشام ، فاتّفق له السفر ، فلمّا بلغ أنطاكية تذكر أن القلم المستعار معه ، فعاد ماشياً إلى الشام فردّ القلم إلى صاحبه ، ثمّ رجع .

وذكر الشيخ البهائيّ رحمه الله في (الكشكول) أنّه اختلطت شياه منهوبة بشياه الكوفة ، فامتنع رجل من أهل الورع ـ وكان من عبّاد الكوفة ـ عن أكل لحم الشياه سبع سنين ، ذلك أنّه سأل عن المدّة التي تعيشها الشاة فقيل له : سبع سنين .

ونقل شيخنا في (الكلمة الطيّبة) عن السيّد ابن طاووس أنّه قال بالإحتياط عن أكل أي طعام أعدّ لغير الله استناداً إلى الآية التي تنهى عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه .

يروي الشيخ الصدوق (ره) أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) سئل عمّا يبعث على ثبات الإيمان ، فقال : الورع ، قيل : فما يبعث على زوال الإيمان ؟ قال : الطمع .

٩ ـ وقال (عليه السلام) : إنّ الرجل يخرج من الذلّ الصغير فيُدخله ذلك في الذلّ الكبير » .

يقول المؤلّف : هذا القول منه (عليه السلام) كان لمرازم في الليلة التي أذن فيها المنصور بالخروج من الحيرة إلى المدينة ، فخرج (عليه السلام) مع غلامه مصادف ، ومرازم وهو أحد أصحابه حتى انتهوا إلى الحرس ، فعرض له أحدهم فقال له ؛ لا أدعك تجوز ، فألح عليه (عليه السلام) فأبى ، فقال له مصادف : جعلت فداك ، إنّما هذا الكلب قد آذاك ، أتأذن لنا أنا ومرازم أن نضرب عنقه ثمّ نطرحه في النهر ؟

فقال (عليه السلام) : كفّ يا مصادف ، ثمّ جعل يكلّم الرجل حتّى ذهب من الليل أكثره ، فأذن له ، فمضى .

فقال (عليه السلام) : يا مرازم ، هذا خير أم الذي قلتماه ؟ قال : هذا ، جعلت فداك ، فقال له قوله المتقدّم .

ومن هنا قيل : « لا يقوم عزّ الغضب بذلّ الأعتذار » .

١٠ ـ وقال (عليه السلام) : « ليس لإبليس جند أشدّ من النساء والغضب » .

يقول المؤلّف : جاء في حديث يحيى النبي (عليه السلام) وإبليس أن يحيى (عليه السلام) سأله : ما الذي يسرّك ويقرّ عينك ؟ قال إبليس : النساء ، فهنّ فخاخي ، فإذا أحدقت بي لعنات الصالحين انصرفت إليهنّ ، فأسرّ بهنّ .

وفي رواية أهل السنّة جاء أنّ إبليس قال ليحيى (عليه السلام) : لا شيء يحكم أمري ويقرّ عيني كالنساء ، فهنّ فخاخي ، وهنّ سهم لا أخطئه ، بأبي هنّ ، لو لم يكنّ هنّ ما أطقت إضلال أدنى آدميّ ، فهنّ سيّداتي ، وعلى عنقي سكناهنّ .

الفصل الرابع

في طرف من معجزات الامام الصادق (عليه السلام) واخباره بالمغيبات

أوّلاً : في اطّلاعه (عليه السلام) على الغيب

ذكر الشيخ الطوسيّ عن داود بن كثير الرقّيّ قال : كنت جالساً عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ قال لي مبتدئاً من قبل نفسه :

« يا داود ، لقد عرضت عليّ أعمالكم يوم الخميس فرأيت في ما عرض عليّ من عملك صلتك لابن عمّك فلان ، فسرّني ذلك ، إنّي علمت أنّ صلتك له أسرع لفناء عمره ، وقطع أجله » .

قال داود : وكان لي ابن عمّ معانداً خبيثاً بلغني عنه وعن عياله سوء حال ، فصككت له نفقة قبل خروجي إلى مكّة ، فلمّا صرت بالمدينة خبّرني أبو عبد الله (عليه السلام) بذلك .

ثانياً : في إراءته (عليه السلام) أبا بصير علامة الإمام

جاء في (كشف الغمّة) عن (دلائل الحميري) عن أبي بصير أنّه قال :

كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) ذات يوم جالساً إذ قال : يا أبا محمّد ، هل تعرف إمامك ؟ قلت : إيّ والله الذي لا إله إلاّ هو ، وأنت هو ، ووضعت يدي على ركبته (أو فخذه) فقال (عليه السلام) :

صدقت ، قد عرفت ، فاستمسك به ، قلت : أريد أن تعطيني علامة الإمام ، قال : يا أبا محمّد ليس بعد المعرفة علامة ، قلت : أزداد إيماناً ويقيناً ، قال : يا أبا محمّد ، ترجع إلى الكوفة وقد ولد لك عيسى ، ومن بعد عيسى محمّد ، ومن بعدهما ابنتان ، واعلم أنّ ابنيك مكتوبان عندنا في الصحيفة الجامعة مع أسماء شيعتنا وأسماء آبائهم وأمّهاتهم ، وأجدادهم وأنسابهم ، وما يلدون إلى يوم القيامة .

وأخرجها فإذا هي صفراء مدرجة .

ثالثاً : في إخباره (عليه السلام) بموت امرأة بعد ثلاثة أيّام

روى ابن شهر اشوب والقطب الراونديّ عن الحسين بن أبي العلاء أنّه قال :

كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ جاءه رجل ، أو مولى له ، يشكو زوجته وسوء خلقها ، قال : فائتني بها ، فقال لها : ما لزوجك ، قالت : فعل الله به وفعل ، فقال لها : إن ثبتّ على هذا لم تعيشي إلاّ ثلاثة أيّام ، قالت : ما أبالي أن لا أراه أبداً ؛ فقال له : خذ بيد زوجتك ، فليس بينك وبينها إلاّ ثلاثة أيّام .

فلمّا كان اليوم الثالث دخل عليه الرجل ، فقال (عليه السلام) : ما فعلت زوجتك ؟ قال : قد والله دفنتها الساعة .

قال : قلت : ما كان حالها ؟ قال : كانت متعدّية فبترَ الله عمرها وأراحه منها .

رابعاً : في إنقاذه (عليه السلام) أخاً لداود الرقّيّ من الموت عطشاً

نقل ابن شهر اشوب عن داود الرقّيّ أنّه قال : خرج أخوان لي يريدان المزار ، فعطش أحدهما عطشاً شديداً حتى سقط عن الحمار ، وأسقط في يد الآخر ، فصلّى ودعا الله محمّد وأمير المؤمنين والأئمّة (عليهم السلام) ، كان يدعو واحداً بعد واحد حتّى بلغ إلى آخرهم جعفر بن محمّد (عليهما السلام) . فلم يزل يدعوه ويلوذ به ، فإذا هو برجل قد قام عليه وهو يقول : يا هذا ما قصّتك ؟ فذكر له حاله ، فناوله قطعة عود وقال : ضع هذا بين شفتيه ، ففعل ذلك فإذا هو قد فتح عينيه واستوى جالساً ، ولا عطش له ، فمضى حتّى زار القبر .

فلمّا انصرفا إلى الكوفة أتى صاحب الدعاء المدينة ، فدخل على الصادق (عليه السلام) فقال له : اجلس ، ما حال أخيك ؟ أين العود ؟

فقال : يا سيّدي ، إنّي لمّا أُصبت بأخي أغتممت غمّاً شديداً ، فلمّا ردّ الله عليه روحه نسيت العود من الفرح ، فقال الصادق (عليه السلام) : أمّا إنه ساعة صرت إلى غمّ أخيك أتاني أخي الخضر (عليه السلام) ، فبعثت إليك على يديه قطعة عود من شجرة طوبى ؛ ثمّ التفت إلى خادم له فقال : عليّ بالسفط ، فأتى به ففتحه وأخرج منه قطعة العود بعينها ، ثمّ أراه إيّاها حتّى عرفها ، ثمّ ردّها إلى السفط .

خامساً : في تذلّل أسد له (عليه السلام)

وذكر ابن شهر اشوب أيضاً نقلاً عن أبي حازم عبد الغفّار بن الحسن أنّه قال : قدم

إبراهيم بن أدهم الكوفة وأنا معه ، وذلك على عهد المنصور ، وقدمها جعفر بن محمّد العلويّ ، فخرج جعفر (عليه السلام) يريد الرجوع إلى المدينة ، فشيّعه العلماء وأهل الفضل من أهل الكوفة ، وكان فيمن شيّعه سفيان الثوريّ وإبراهيم بن أدهم ، فتقدّم المشيّعون له فإذا هم بأسد على الطريق ، فقال لهم إبراهيم بن أدهم : قفوا حتّى يأتي جعفر فننظر ما يصنع .

فجاء جعفر (عليه السلام) فذكروا له الأسد ، فأقبل حتّى دنا من الأسد فأخذ بأذنه فنحّاه عن الطريق ، ثمّ أقبل عليهم فقال :

« أما إنّ الناس لو أطاعوا الله حقّ طاعته لحملوا عليه أثقالهم » .

أقول : يظهر أن في قوله هذا (عليه السلام) تعريضاً بإبراهيم بن أدهم وسفيان الثوريّ وأمثالهما .

سادساً : في عدم حرق النار لهارون المكّيّ بسببه (عليه السلام)

وروى ابن شهر اشوب أيضاً عن مأمون الرقّيّ أنّه قال :

كنت عند سيّدي الصادق (عليه السلام) إذ دخل سهل بن الحسن الخراسانيّ ، فسلّم عليه ثمّ جلس ، فقال له : يا بن رسول الله ، لكم الرأفة والرحمة ، وأنتم أهل بيت الإمامة ، ما الذي يمنعك أن يكون لك حقّ تقعد عنه ؟

فقال له : اجلس يا خراسانيّ رعى الله حقّك ، ثمّ قال : يا خراسانيّ ، قم فاجلس في التنّور ! فقال الخراسانيّ : يا سيّدي يا بن رسول الله ، لا تعذّبني بالنار ، أقلني أقالك الله ، قال : قد أقلتك .

فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكّيّ ونعله في سبّابته ، فقال : السلام عليك يا بن رسول الله ، فقال له الصادق (عليه السلام) : ألق النعل من يدك واجلس في التنّور ! فألقى النعل من سبّابته ثمّ جلس في التنّور .

وأقبل الإمام (عليه السلام) يحدّث الخراسانيّ حديث خراسان حتّى كأنّه شاهد لها ، ثمّ قال : قم يا خراسانيّ وانظر ماذا في التنّور .

قال : فقمت إليه فرأيته متربّعاً ، فخرج إلينا وسلّم علينا ، فقال له الإمام (عليه السلام) : كم تجد بخراسان مثل هذا ؟ فقال : والله ولا واحداً ، فقال (عليه السلام) :

لا والله ولا واحد ، أما إنّا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا ، نحن أعلم بالوقت .

سابعاً : في إخباره (عليه السلام) عن الملاحم

في (البحار) عن (مجالس المفيد) مسنداً عن سُدير الصيرفيّ قال :

كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) وعنده جماعة من أهل الكوفة ، فأقبل عليهم وقال لهم : « حجّوا قبل أن لا تحجّوا ، قبل أن يمنع البرجانيّة » .

(قال العلاّمة المجلسيّ في بيان هذه الكلمة : قوله (عليه السلام) : قبل أن يمنع البرّ جانبه ، أي : يكون البرّ مخوفاً لا يمكن قطعه .

وكأنّه يرى (البرجانيّة) بياء بنقطتين خطأ ، ويرى أنّ الصحيح أن تكون بالباء بنقطة واحدة ، وأنّها كلمتان : البرّ ، وجانبه .

غير أنّ بعض أهل التحقيق قال : إن برجانيّة معرّب بريطانيّة ، فيكون المعنى : قبل أن تمنع دولة بريطانيا الناس) .

ثمّ قال (عليه السلام) :

« حجّوا قبل هدم مسجد بالعراق بين نخل وأنهار ، حجّوا قبل أن تقع سدرة بالزوراء على عروق النخلة التي اجتنت منها مريم (عليها السلام) رطباً جنيّاً ، فعند ذلك تمنعون الحجّ ، وتنقص الثمار ، وتجدب البلاد ، وتُبتلون بغلاء الأسعار ، وجور السلطان ، ويظهر فيكم الظلم والعدوان مع البلاء والوباء والجوع ، وتظلّكم الفتن من جميع الآفاق ؛ فويل لكم يا أهل الكوفة إذا جاءتكم الرايات من خراسان ، وويل لأهل الريّ من الترك ، وويل لأهل العراق من أهل الريّ ، وويل لهم ثمّ ويل لهم من الثط » .

قال سُدير : فقلت : يا مولاي مَن الثطّ ؟

قال : قوم آذانهم كآذان الفأر صغراً ، لباسهم الحديد كلامهم ككلام الشياطين ، صغار الحدق ، مُرد جُرد ، استعيذو بالله من شرّهم ، أولئك يفتح الله على أيديهم الدين ، ويكونون سبباً لأمرنا » . (أي يكونون من مقدّمات الظهور) .

ثامناً : في ظهور الماء له (عليه السلام) في البادية

جاء في (البحار) من نوادر عليّ بن أسباط عن ابن الطبّال عن محمّد بن معروف الهلاليّ ، وكان قد أتت عليه مئة وثمان وعشرون سنة ، قال :

مضيت إلى الحيرة ، إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد (عليه السلام) وقت السفّاح ، فوجدته قد تداكّ الناس عليه ثلاث أيّام متواليات ، فما كان لي من حيلة ، ولا قدرت عليه من كثرة الناس وتكاثفهم عليه ، فلمّا كان في اليوم الرابع رآني ، وقد خفّ الناس عنه ، فأدناني ،

ومضى إلى قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) فتبعته ، فلمّا صار في بعض الطريق غمره البول ، فاعتزل عن الجادّة ناحية ونبش الرمل بيده ، فخرج له الماء ، فتطهّر للصلاة ، ثمّ قام فصلّى ركعتين ، ثم دعا ربّه ، وكان في دعائه :

« اللهمّ لا تجعلني ممّن تقدّم فمرق ، ولا ممّن تخلّف فمحق واجعلني من النمط الأوسط » .

ثمّ مشى ومشيت معه ، فقال : « يا غلام ، البحر لا جار له ، والملك لا صديق له ، والعافية لا ثمن لها ، كم من ناعم لا يعلم » .

ثمّ قال : « تمسّكوا بالخمس : قدّموا الاستخارة ، وتبرّكوا بالسهولة ، وتزيّنوا بالحلم ، واجتنبوا الكذب ، وأوفوا المكيال والميزان » .

ثمّ قال : « الهرب الهرب ، إذا خلعت العرب أعنّتها ، ومنع البرجانيّة ، وانقطع الحجّ » .

(وقد تقدّم في حديث سابق أنّ كلمة «البرجانيّة» تعني أن دولة بريطانيا تمنع الناس وينقطع طريق الحجّ) .

ثمّ قال : « حجّوا قبل أن لا تحجّوا » ، وأومأ إلى القبلة بإبهامه وقال : « يُقتل في هذا الوجه سبعون ألفاً أو يزيدون . . الخ » .

يقول المؤلّف ؛ الأمور الخمسة التي أوصى الصادق (عليه السلام) بالتمسّك بها هي من آداب التجارة والكسب ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يدعو أهل الكوفة كلّ يوم إلى الالتزام بها وبغيرها ، كما يروي الشيخ الكليني في (الكافي) عن جابر عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال : كان أمير المؤمنين (عليه السلام) في الكوفة عندكم يخرج كلّ يوم ، في اليوم الأوّل له في دار الإمارة ، فيطوف أسواق الكوفة واحداً فواحداً ، والدرّة على كتفه فينادي : يا معشر التجّار ، اتقّوا عذاب الله ، فما أن يسمع الناس صوته حتّى يلقوا ما بأيديهم ، ويتوجّهون إليه بقلوبهم ليسمعوا ما يقول ، فيقول (عليه السلام) :

« يا معشر التجّار ، قدّموا الاستخارة ، وتبركوا بالسهولة ، واقتربوا من المبتاعين ، وتزيّنوا بالحلم ، وتناهوا عن اليمين ، وجانبوا الكذب ، وتجافوا عن الظلم ، وأنصفوا المظلومين ، ولا تقربوا الربا ، وأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين » .

ثم يطوف في جميع أسواق الكوفة ، ويعود بعدها للجلوس إلى الناس .

تاسعاً : في إخراجه (عليه السلام) الذهب الكثير من الأرض

روى الشيخ الكليني (ره) عن جماعة من أصحاب الصادق (عليه السلام) قالوا :

كنّا عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال : لنا خزائن الأرض ومفاتيحها ، ولو شئت أن أقول بإحدى رجليّ : أخرجي ما فيك من الذهب لأخرجت ، قال : فقال بإحدى رجليه فخطّها في الأرض خطّاً فانفجرت الأرض ، ثمّ قال بيده فأخرج سبيكة ذهب قدر شبر .

ثم قال (عليه السلام) : انظروا في الأرض ، فإذا سبائك في الأرض كثيرة بعضها على بعض يتلألأ ؛ فقال له بعضنا : جعلت فداك ، أعطيتم كلّ هذا وشيعتكم محتاجون ؟ فقال : إن الله سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ، ويدخلهم جنّات النعيم ، ويدخل عدوّنا الجحيم .

عاشراً : في اطّلاعه (عليه السلام) على أمور خفيّة

كما روى الكليني عن صفوان بن يحيى عن جعفر بن محمّد بن الأشعث قال لي :

تدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأمر ومعرفتنا به (يريد التشيّع وولاية أهل البيت) وما كان عندنا فيه ذكر ، ولا معرفة بشيء ممّا عند الناس ؟ قلت : ما ذاك ؟ قال : إنّ أبا جعفر الدوانيقيّ قال لأبي محمّد بن الأشعث : يا محمّد ، ابغ لي رجلاً له عقل يؤدّي عنّي ، فقال له أبي : قد أصبته لك ، هذا فلان ابن مهاجر ، خالي ، قال : ائتني به .

قال : فأتاه بخاله ، فقال له أبو جعفر : يا بن مهاجر ، خذ هذا المال ـ فأعطاه ألوف الدنانير أو ما شاء الله من ذلك ـ وائت المدينة ، والق عبد الله بن الحسن وعدّة من أهل بيتهم فيهم جعفر بن محمّد ، فقل لهم : إنّي رجل غريب من أهل خراسان ، وبها شيعة من شيعتكم وجّهوا إليكم بهذا المال ، فادفع إلى كلّ واحد منهم على هذا الشرط : كذا وكذا (يعني أن يعتزل ولا نظهر إرادة الخروج حتّى يعلم من يريد الخروج) ، فإذا قبضوا المال فقل : إنّي رسول وأحبّ أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم منّي .

قال : فأخذ المال وأتى المدينة ، ثم رجع إلى أبي جعفر وكان محمّد بن الأشعث عنده ، فقال أبو جعفر : ما وراءك ؟ قال : أتيت القوم وفعلت ما أمرتني به ، وهذه خطوطهم بقبضهم المال ، خلا جعفر بن محمّد فإنّي أتيته وهو يصلّي في مسجد الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، فجلست خلفه ، وقلت : ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه ، فعجّل وانصرف ، ثمّ التفت إليّ فقال : يا هذا اتّق الله ولا تغرّنّ أهل بيت محمّد ، وقل لصاحبك : اتّق الله ولا تغرّنّ أهل بيت محمّد فإنّهم قريبو العهد بدولة بني مروان ، وكلّهم محتاج ؛ فقلت له : أصلحك الله ؟ فقال : ادن منّي ، فأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك ، حتّى كأنّه كان ثالثنا .

فقال أبو جعفر : يا بن مهاجر ، اعلمت أنّه ليس من أهل بيت النبوّة إلّا وفيهم محدَّث ، وإنّ جعفر بن محمّد محدَّث اليوم .

فكانت هذه دلالة أنّا قلنا بهذه المقالة . (يريد قولهم بالتشيّع) .

حادي عشر : في إحيائه (عليه السلام) بقرة ميّتة بإذن الله

في (الخرائج) أنّه روي عن المفضّل بن عمر أنّه قال :

كنت أمشي مع أبي عبد الله بن محمّد (عليهما السلام) بمكّة ، أو بمنى ، إذ مررنا بامرأة بين يديها بقرة ميّتة ، وهي مع صبيّين لها يبكون ، فقال (عليه السلام) : ما شأنك ؟ قالت : كنت وصبياي نعيش من هذه البقرة ، وقد ماتت ، لقد تحيّرت في أمري .

قال أفتحبّين أن يحييها الله لك ؟ قالت : أوتسخر منّي مع مصيبتي ؟ قال : كلّا ما أردت ذلك ، ثمّ دعا بدعاء ، ثمّ ركلها برجله وصاح بها ، فقامت البقرة مسرعة سويّة .

فقالت : (المرأة) عيسى بن مريم وربّ الكعبة ! فدخل الصادق (عليه السلام) بين الناس ، فلم تعرفه المرأة .

ثاني عشر : في علمه (عليه السلام) بمنطق الحيوانات

وفي (الخرائج) أيضاً روي عن صفوان بن يحيى ، عن جابر أنّه قال :

كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) (ثمّ خرجنا) فإذا برجل قد أضجع جدياً ليذبحه ، فصاح الجديّ ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) (للرجل) : كم ثمن هذا الجدي ؟ فقال : أربعة دراهم ، فحلّها من كمّه ودفعها إليه ، وقال : خلّ سبيله .

قال : فسرنا فإذا الصقر قد انقضّ على درّاجة ، فصاحت الدرّاجة ، فأومأ أبو عبد الله إلى الصقر بكمّه ، فرجع عن الدرّاجة ، فقلت : لقد رأينا عجيباً من أمرك ، قال : نعم ، إنّ الجدي لمّا أضجعه الرجل وبصر بي قال : أستجير بالله وبكم أهل البيت ممّا يراد بي ، وكذلك قالت الدرّاجة ؛ ولو أنّ شيعتنا استقامت لأسمعتكم منطق الطير .

ثالث عشر : في إخباره (عليه السلام) بواقعة صاحب ليلة بلخ

وفي (الخرائج) أيضاً أنّ هارون بن رئاب قال :

كان لي أخ جاروديّ (المذهب) ، فدخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال لي : ما فعل أخوك الجاروديّ ؟ قلت : هو صالح مرضيّ عند القاضي والجيران في الحالات (كلّها) ، غير أنّه لا يقرّ بولايتكم ، فقال : ما يمنعه من ذلك ؟ قلت : يزعم أنّه يتورّع ، قال : فأين ورعه ليلة نهر بلخ ؟

فقدمت على أخي فقلت له : ثكلتك أمّك ، دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وسألني عنك ، (فما قصّة ليلة بلخ) ؟

فقال : أخبرك أبو عبد الله بهذا ؟ قلت : نعم ، قال : أشهد أنّه حجّة ربّ العالمين ، قلت : أخبرني عن قصّتك . قال :

أقبلت من وراء نهر بلخ ، فصحبني رجل معه وصيفة فارهة ، فقال : إمّا أن تقتبس لنا ناراً فأحفظ عليك ، وإمّا أن أقتبس ناراً فتحفظ عليّ ، قلت : اذهب واقتبس ، وأحفظ عليك .

فلمّا ذهب قمت إلى الوصيفة ، وكان منّي إليها ما كان ، والله ما أفشت ولا أفشيت لأحد ولم يعلم إلاّ الله .

قال : فخرجت من السنة الثانية وهو معي ، فأدخلته على أبي عبد الله (عليه السلام) فما خرج من عنده حتّى قال بإمامته .

رابع عشر : في ما رآه داود الرقّيّ من دلائله (عليه السلام)

وفي الكتاب نفسه أيضاً أنّ داود الرقّي قال :
كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال لي : ما لي أرى لونك متغيّراً ؟ قلت : غيّره دَين فاضح ، وقد هممت بركوب البحر إلى السند لإتيان أخي فلان ، قال : إن شئت (فافعل) ، قلت : يروّعني عنه أهوال البحر وزلازله ، قال : إنّ الذي يحفظ في البرّ هو حافظ لك في البحر ، يا داود ، لولا اسمي وروحي لما اطّردت الأنهار ، ولا أينعت الثمار ، ولا اخضرّت الأشجار .

قال داود : فركبت البحر ، حتّى إذا كنت بحيث ما شاء الله من ساحل البحر ، بعد مسيرة مئة وعشرين يوماً ، خرجت (من المركب) قبل الزوال يوم الجمعة فإذا السماء متغيّمة ، وإذا نور ساطع من قرن السماء إلى جدد الأرض ، وإذا صوت خفيّ : يا داود ، هذا أوان قضاء دينك ، فارفع رأسك قد سلمت .

قال : فرفعت رأسي ، ونوديت : عليك بما وراء الأكمة الحمراء ، فأتيتها فإذا صفائح من ذهب أحمر ، ممسوح أحد جانبيه ومن الجانب الآخر مكتوب : ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** ﴾ ، فقبضتها ، ولها قيمة لا تحصى ، فقلت : لا أحدث فيها حتّى آتي المدينة ، فقدمتها ، فدخلت عليه (عليه السلام) ، فقال لي :

يا داود ، إنّما عطاؤنا لك النور الذي سطع لك ، لا ما ذهبت إليه من الذهب والفضّة ، ولكن هو لك هنيئاً مريئاً عطاء من ربّ كريم ، فاحمد الله .

قال داود : فسألت معتّباً خادمه فقال : كان في ذلك الوقت يحدّث أصحابه ، منهم : خيثمة وحمران وعبد الأعلى مقبلاً عليهم بوجهه ، يحدّثهم بمثل ما ذكرت (أي ما ذكرته ممّا جرى معك) ، فلمّا حضرت الصلاة قام فصلّى بهم ، فسألت هؤلاء جميعاً فحكوا لي الحكاية .

خامس عشر : في إحيائه (عليه السلام) محمّد بن الحنفيّة بإذن الله تعالى من أجل السيّد الحميريّ

في (مدينة المعاجز) عن (ثاقب المناقب) أنّ أبا هاشم إسماعيل بن محمّد الحميريّ قال :

دخلت على الصادق جعفر بن محمّد (عليهما السلام) وقلت : يا بن رسول الله ، بلغني إنّك تقول فيّ : إنّه ليس على شيء ، وأنا قد أفنيت عمري في محبّتكم ، وهجوت الناس فيكم في كيت وكيت ! فقال : ألست القائل في محمّد بن الحنفيّة :

يا بن الوصي وأنت حيّ تُرزق   حتّى متى وإلى متى وكم المدى
وبنا إليك من الصبابة أولق   تأوي برضوى لا تزال ولا ترى

وألست القائل : إنّ محمّد بن الحنفيّة قائم بشعب رضوى ، أسد على يمينه ونمر (وأسد) عن يساره ، يؤتى برزقه غدوة وعشيّة ؟ ويحك ! إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعليّاً والحسن والحسين (عليهم السلام) كانوا خيراً منه ، وقد ذاقوا الموت !! فهل لك على ذلك من دليل ؟

قال : نعم ، إنّ أبي أخبرني أنّه كان قد صلّى عليه وحضر دفنه . وأنا أريك آية ، فأخذ بيده فمضى به إلى قبر وضرب بيده عليه ، ودعا الله تعالى ، فانشقّ القبر عن رجل أبيض الرأس واللحية ، فنفض التراب عن رأسه ووجهه وهو يقول :

يا أبا هاشم ، تعرفني ؟ قال : قلت : لا ، قال : أنا محمّد بن الحنفيّة ، إن الإمام بعد الحسين بن عليّ : عليّ بن الحسين ، ثمّ محمّد بن عليّ ثمّ هذا .

ثم أدخل رأسه في القبر، وانضمّ عليه القبر .

فأنشأ إسماعيل بن محمّد يقول :

تجعفرتُ باسم الله والله أكبر   وأيقنت أنّ الله يعفو ويغفر
ودِنت بدين غير ما كنت دائناً   به ونهاني سيّد الناس جعفر
فقلت فهبني قد تهوّدت برهة   وإلّا فديني دين من يتنصّر
فإنّي إلى الرحمن من ذاك تائب   وإنّي قد أسلمت والله أكبر

سادس عشر : في إخباره (عليه السلام) أبا بصير بجنابته

روى الشيخ المفيد في (الإرشاد) عن أبي بصير أنّه قال :

دخلت المدينة وكانت معي جويرية لي ، فأصبت منها ، ثمّ خرجت إلى الحمّام ، فلقيت أصحابنا الشيعة وهم متوجّهون إلى الصادق (عليه السلام) ، فخفت أن يسبقوني ويفوتني الدخول عليه ، فمشيت حتّى دخلت الدار معهم ، فلمّا مثلت بين يدي أبي عبد الله (عليه السلام) نظر إليّ ثمّ قال : يا أبا بصير ، أما علمت أنّ بيوت الأنبياء وأولاد الأنبياء لا يدخلها الجنب ؟ فاستحييت وقلت : يا بن رسول الله ، إنّي لقيت أصحابنا وخفت أن يفوتني الدخول معهم ، ولن أعود لمثلها أبداً .

قال : قلت هذا وخرجت .

سابع عشر : في إخباره (عليه السلام) عمّا في ضمير شخص

روى الشيخ الكليني (ره) أنّ رجلاً أتى أبا عبد الله (عليه السلام) فقال : يا بن رسول الله ، رأيت في نومي كأنّي خرجت من الكوفة في موضع أعرفه ، فرأيت كأنّ شبحاً من خشب أو رجلاً منحوتاً من خشب على فرس من خشب ، يلوّح بسيفه ، وأنا أنظر إليه فزعاً مرعوباً .

فقال (عليه السلام) : أنت رجل تريد اغتيال رجل في معيشته ، (أي تريد أن تسلبه أسباب حياته) ، فاتّق الله الذي خلقك ثمّ يميتك ، فقال الرجل : أشهد أنّك قد أوتيت العلم واستنبطته من معدنه . أخبرك يا بن رسول الله عمّا فسّرت لي ، إنّ رجلاً من جيراني جاءني وعرض عليّ ضيعته ، فهممت أن أملكها بوكس[1] كثير لمّا عرفت أنه ليس لها طالب غيري ! .

فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : وصاحبك يتوالانا ويبرأ من عدوّنا ؟ فقال : نعم يا بن رسول الله ، لو كان ناصبياً حلّ لي اغتياله ، فقال (عليه السلام) :

« أدّ الأمانة لمن ائتمنك وأراد منك النصيحة ، ولو إلى قاتل الحسين (عليه السلام) »

ثامن عشر : في حفظ الله تعالى له (عليه السلام) من القتل

روى السيّد ابن طاووس عن الربيع حاجب المنصور أنّه قال :

دعاني المنصور يوماً فقال : أما ترى ما هو هذا يبلغني عن جعفر بن محمّد ؟ والله لأستأصلنّ شأفته .

---

(١) الوكس : النقص والخسارة .

ثمّ دعا بقائـد من قوّاده فقـال : انطلق إلى المـدينة في ألف رجـل واهجم على جعفـر بن محمّد على غرّة ، وخذ رأسه ورأس ابنه موسى بن جعفر في مسـيرك ، فخرج القـائد من سـاعته حتّى قدم المدينة ، فلمّا بلغها أمر جعفرُ بن محمّد فأتى بنـاقتين فـأوثقهما عـلى باب البيت ، ودعـا بأولاد موسى وإسماعيل ومحمّد وعبد الله فجمعهم ، وقعد في المحراب ، وجعل يدعو .

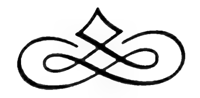
قال موسى بن جعفر (عليه السـلام) : كنت واقفاً فـرأيت القائـد وقد أقبـل مع رجـاله وأمرهم بجزّ رأسي الناقتين ، ففعلوا ، ثم انطلقوا بهما إلى المنصور ، فلمّا دخلوا عليـه اطّلع على المخلاة التي كان فيها الرأسان فإذا هما رأسا ناقتين ، فقال : أيّ شيء هذا ، قال القائد :

أيّها الأمير ، ما أن دخلت البيت الذي فيه جعفر بن محمّد حتّى دار رأسي ولم أنظر مـا بين يديّ ، فرأيت شخصين قائمين خيّل إليّ أنّهما جعفر بن محمّد وموسى ابنه ، فأخذت رأسيهما .

فقال المنصور : اكتم عليّ ، ولا تحدّث بهذا أحداً .

قال : فما حدّثت به أحداً حتى مات .

يقـول المؤلّف : ستَرد في الفصـل التـالي إن شـاء الله جملة من دلائـل ومعجـزات الإمـام الصادق (عليه السلام) شبيهة بهذه .



الفصل الخامس

بعض ما لقي الإمام الصادق (عليه السلام) من جور المنصور

يقول المؤلّف : نكتفي في هذا الفصل بما أورده العلاّمة المجلسيّ رحمة الله عليه في (جلاء العيون) .

جاء في المرويّات المعتبرة أن أبا العباس السفّاح أوّل خلفاء بني العبّاس ، استدعى الإمام الصادق (عليه السلام) من المدينة إلى العراق ، وبعدما شاهده من معجزاته وعلومه ومكارم أخلاقه لم يقدر على إنزال الأذى به ، فأذن له بالعودة إلى المدينة .

ولما خلفه أخوه المنصور الدوانيقيّ ، واطّلع على كثرة شيعته (عليه السلام) وأنصاره استدعاه ثانية إلى العراق ، وعزم مرّات عديدة ، خمساً أو أكثر على قتله ، وفي كلّ مرّة كان يرى منه معجزة خارقة فيعود عن عزمه .

فقد روى ابن بابويه وابن شهر اشوب وآخرون أنّ أبا جعفر الدوانيقيّ أرسل يوماً إلى جعفر بن محمّد (عليهما السلام) ليقتله ، وطرح له سيفاً ونطعاً ، وقال للربيع حاجبه : إذا أنا كلّمته ، ثمّ ضربت بإحدى يديّ على الأخرى فاضرب عنقه .

قال الربيع : فلمّا دخل جعفر بن محمّد (عليهما السلام) إلى المنصور ونظر إليه من بعيد تململ وقال : مرحباً وأهلا بك يا أبا عبد الله ، ما أرسلنا إليك إلاّ رجاء أن نقضي دينك ، ونقضي ذمامك .

ثمّ ساءله مساءلة لطيفة عن أهل بيته ، وقال لي : يا ربيع ، لا تمضينّ ثلاثة حتّى يرجع جعفر إلى أهله .

فلمّا خرج قال له الربيع : يا أبا عبد الله ، رأيت السيف ؟ إنّما كان وضع لك ، والنطع ، فأيّ شيء رأيتك تحرّك به شفتيك ؟

قال (عليه السلام) : إنّه دعاء قرأته ، ثمّ علّمه إيّاه .

وبرواية أخرى : أن الربيع قال للمنصور : ما الذي أبدل غضبك عليه رضىً ؟ فقال المنصور : ما أن دخل عليّ حتّى رأيت تنّيناً عظيماً يقرض بأنيابه وهو يقول بألسنة الآدميّين : إن أنت لمست ابن رسول الله لأفصلنّ لحمك من عظمك ، فأفزعني ذلك ، وفعلت به ما رأيت .

وروى السيّد ابن طاووس رضي الله عنه أنّه لمّا حجّ المنصور في سنة من السنين نزل الربذة ، وكان بها جعفر الصادق (عليه السلام) ، فغضب عليه يوماً فدعا إبراهيم بن جَبَلة وقال : يا بن جبلة ، قم إليه فضع ثيابه في عنقه ، ثمّ ائتني به سحباً .

قال إبراهيم : فخرجت حتى أتيت منزله فلم أصبه ، فطلبته في مسجد أبي ذرّ فوجدته ، فاستحييت أن أفعل ما أمرت به ، فأخذت بكمّه فقلت له : أجب أمير المؤمنين ، فقال : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » ، دعني حتّى أصلّي ركعتين ، ثمّ بكى بكاءً شديداً ، وأنا خلفه ، ثمّ قال : « اللهمّ أنت ثقتي . . » الدعاء ، ثمّ قال : اصنع ما أمرت به ، فقلت : والله لا أفعل ولو ظننت أنّي أقتل ، فأخذت بيده فذهبت به ، لا والله ما أشكّ إلاّ أنّه يقتله ، فلمّا انتهيت به إلى باب الستر قال : « يا إله جبريل . . » الدعاء .

قال : فلمّا أدخلته عليه أقبل يلومه وقال : أما والله لأقتلنّك ، فقال (عليه السلام) : خذ عنّي ، فوالله لقلّ ما أصحبك ، (يعني ما أسرع ما نفترق) ، فقال له أبو جعفر : انصرف ، ثمّ التفتّ إلى عيسى بن عليّ فقال له : الحقه فسله : أبي ؟ أم به ؟ (أي : بموتي أم موته) ، فخرج يشتدّ حتّى لحقه ، فقال :

يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين يقول لك : أبك ؟ أم به ؟ فقال : لا ، بل بي ، فعاد فأخبر المنصور بذلك ، فسرّ به .

في استدعاء المنصور للإمام (عليه السلام) بعد منتصف الليل

وروى السيّد أيضاً أنّ المنصور قعد يوماً في قصره في القبّة الحمراء ، وكان له يوم يقعد فيه ، يسمّى ذلك اليوم يوم الذبح ، وكان أشخص جعفر بن محمّد (عليه السلام) من المدينة فلم يزل في الحمراء نهاره كلّه ، حتّى جاء الليل ومضى أكثره .

قال : ثمّ دعا الربيع فقال له : يا ربيع إنّك تعرف موضعك منّي ، وإنّي يكون لي الخبر فلا تظهر عليه أمّهات الأولاد ، وتكون أنت المعالج له ؛ فقال الربيع : يا أمير المؤمنين ، ذلك من فضل الله عليّ وفضل أمير المؤمنين ، وما فوقي في النصح غاية .

قال : هو كذلك ، سر الساعة إلى جعفر بن محمّد فائتني به على الحال الذي تجده عليه ، لا تغيّر شيئاً ممّا هو عليه .

قال الربيع : قلت : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » ، هذا والله هو العطب ، إن أتيت به ـ على ما أراه من غضبه ـ قتله ، وذهبت الآخرة ، وإن لم آت به وادّهنت في امره ، قتلني ، وقتل نسلي وأخذ أموالي ، فخُيّرت بين الدنيا والآخرة ، فمالت نفسي إلى الدنيا .

قال محمّد بن الربيع : فدعاني أبي ، وكنت أفظّ ولده وأغلظهم قلباً ، فقال لي : امض إلى جعفر بن محمّد بن عليّ ، فتسلّق على حائطه ، ولا تستفتح عليه باباً فيغيّر بعض ما هو عليه ، ولكن انزل عليه نزولاً ، فأت به على الحال التي هو فيها .

قال ابن الربيع : فأتيته وقد ذهب الليل إلاّ أقلّه ، فأمرت بنصب السلالم وتسلّقت عليه الحائط ، فنزلت على داره ، فوجدته قائماً يصلّي ، وعليه قميص ومنديل قد ائتزر به ، فلمّا سلّم من صلاته قلت له : أجب أمير المؤمنين ، فقال : دعني أدعو وألبس ثيابي ، فقلت له : ليس إلى تركك وذلك سبيل ، قال : وأدخل المغتسل وأتطهّر ، قلت : وليس إلى ذلك سبيل فلا تشغل نفسك ، فإنّي لا أدعك تغيّر شيئاً .

قال : فأخرجته حاسراً في قميصه ومنديله ، وكان قد جاوز السبعين ، فلمّا مضى بعض الطريق ضعف الشيخ ، فرحمته فأركبته بغلاً ، ثمّ صرنا إلى باب المنصور فسمعته وهو يقول لأبي : ويلك يا ربيع ، قد أبطأ الرجل ، وجعل يستحثّه استحثاثاً شديداً ، فلمّا أن وقعت عين ربيع على جعفر بن محمّد وهو بتلك الحال بكى .

وكان الربيع يتشيّع ، فقال له جعفر (عليه السلام) : أنا أعلم ميلك إلينا ، فدعني أصلّي ركعتين وأدعو ، قال : شأنك وما تشاء ، فصلّى ركعتين خفّفهما ، ثم دعا بعدهما بدعاء لم أفهمه ، إلاّ أنّه دعاء طويل ، والمنصور في ذلك كلّه يستحثّ الربيع ؛ فلمّا فرغ من دعائه على طوله أخذ الربيع بذراعيه فأدخله على المنصور ، فلمّا صار في صحن الإيوان وقف ، ثم حرّك شفيته بشيء لم أدر ما هو ، ثمّ أدخلته ، فنظر إليه فقال : وأنت يا جعفر ما تدع حسدك وبغيك ، وإفسادك على أهل هذا البيت من بني العبّاس ، وما يزيدك الله بذلك إلاّ شدّة حسد ونكد ، وما تبلغ به ما تقدّره .

فقال له (عليه السلام) : والله يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئاً من هذا ، ولقد كنت في ولاية بني أميّة ، وأنت تعلم أنّهم أعدى الخلق لنا ولكم ، وأنّهم لا حقّ لهم في هذا الأمر ، فوالله ما بغيت عليهم ولا بلغهم عنّي سوء مع جفاهم الذي كان بي ، وكيف يا أمير المؤمنين أصنع الآن هذا ؟ وأنت ابن عمّي وأمسّ الخلق بي رحماً ، وأكثرهم عطاء وبرّاً ، فكيف أفعل هذا ؟

فأطرق المنصور ساعة ، وكان على لبد ، وعن يساره مرفقة جرمانيّة ، وتحت لبده سيف

ذو فقار كان لا يفارقه إذا قعد في القبّة ، فقال : أبطلت وأثمت ، ثمّ رفع ثني الوسادة فأخرج منه إضبارة كتب ، فرمى بها إليه وقال : هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتي ، وأن يبايعوك دوني ، فقال (عليه السلام) : والله يا أمير المؤمنين ما فعلت ، ولا أستحلّ ذلك ، ولقد بلغت من السنّ ما قد أضعفني عن ذلك لو أردته ، فصيّرني في بعض جيوشك[1] حتّى يأتيني الموت ، فهو منّي قريب .

فقال : لا ، ولا كرامة ، ثم أطرق ، وضرب يده إلى السيف فسلّ منه مقدار شبر ، وأخذ بمقبضه .

قال الربيع : فقلت : إنّا لله ، ذهب والله الرجل .

ثمّ ردّ السيف وقال : يا جعفر ، أما تستحي مع هذه الشيبة ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل ، وتشقّ عصا المسلمين ؟ تريد أن تريق الدماء ؟ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما فعلت ، ولا هذه كتبي ولا خطّي ولا خاتمي .

فانتضى من السيف ذراعاً ، فقلت : إنّا لله ، مضى الرجل ، وجعلت في نفسي إن أمرني فيه بأمر أن أعصيه ، لأنّي ظننت أنّه يأمرني أن آخذ السيف فأضرب به جعفراً ، فقلت : إن أمرني ضربت المنصور ، وإن أتى ذلك عليّ وعلى ولدي ، وتبت إلى الله عزّ وجلّ ممّا كنت نويت فيه أوّلاً .

فأقبل يعاتبه وجعفر يعتذر ، ثمّ انتضى السيف إلاّ شيئاً يسيراً منه ، فقلت : إنّا لله ، مضى والله الرجل ، ثمّ أغمد السيف ، وأطرق ساعة ، ثمّ رفع رأسه وقال : أظنّك صادقاً ، يا ربيع هات العيبة ، وكانت مملوءة غالية ، فلمّا أتيت بها طيّب بها لحيّته (عليه السلام) وقال لي : احمله على فارهٍ من دوابّي التي أركبها ، وأعطه عشرة آلاف درهم ، وشيّعه إلى منزله مكرّماً ، وخيّره إذا أتيت به إلى المنزل بين المقام عندنا فنكرمه ، والانصراف إلى مدينة جدّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

فخرجنا من عنده وأنا مسرور فرح بسلامة جعفر (عليه السلام) ، ومتعجّب ممّا أراد المنصور ، وما صار إليه من أمره ، فلمّا صرنا في الصحن قلت له : يا بن رسول الله ، إنّي لأعجب ممّا عمد إليه هذا في بابك ، وما أصارك الله إليه من كفايته ودفاعه ، ولا عجب من أمر الله عزّ وجل وقد سمعتك تدعو في عقيب الركعتين بدعاء لم أدر ما هو ، إلاّ أنّه طويل ،

---

(١) لا يخفى أن العبارة في الخبر هي : « فيصيّرني في بعض حبوسك » والعلاّمة المجلسيّ أوردها « جيوشك » بالياء والشين ، لكن الظاهر أنّها « حبوسك » بحاء مهملة وباء موحّدة وسين مهملة ، أي اجعلني في أحد سجونك حتى أموت .

ورأيتك قد حرّكت شفتيك هنا ، يعني الصحن ، بشيء لم أدر ما هو .

فقال لي : أمّا الأوّل فدعاء الكرب والشدائد ، لم أدع به على أحد قبل يومئذ ، جعلته عوضاً من دعاء كثير أدعو به إذا قضيت صلاتي ، وأمّا الذي حرّكت به شفتيّ فهو دعاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم الأحزاب .

ثمّ قال : لولا الخوف من المنصور لدفعت إليك هذا المال ، ولكن قد كنت طلبت منّي أرضي بالمدينة ، وأعطيتني بها عشرة آلاف دينار ، فلم أبعك ، وقد وهبتها لك .

قلت : يا بن رسول الله ، إنّما رغبتي في الدعاء الأوّل والثاني ، فإذا فعلت فهذا هو البرّ ، ولا حاجة لي الآن في الأرض .

فقال : إنّا أهل بيت لا نرجع في معروفنا ، نحن ننسخك الدعاء ونسلّم إليك الأرض ، صر معي إلى المنزل .

فصرت معه وكتب لي بعهدة الأرض ، وأملى عليّ دعاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وأملى عليّ الدعاء الذي دعا هو به بعد الركعتين .

قال : قلت : يا بن رسول الله ، لقد كثر استحثاث المنصور واستعجاله إيّاي وأنت تدعو بهذا الدعاء الطويل متمهّلاً كأنّك لم تخشه ! فقال لي : خيفة الله دون خيفته ، وكان الله عزّ وجل في صدري أعظم منه .

قال الربيع : لما رجعت إلى المنصور ووجدت منه خلوة قلت له : يا أمير المؤمنين ، رأيت منك عجباً، قال: وما هو؟ قلت: رأيت غضبك على جعفر غضباً لم أرك غضبته على أحد قطّ ، حتّى أنّك أخرجت من سيفك شبراً ثمّ أغمدته ، ثمّ أخرجته كلّه إلاّ شيئاً يسيراً ، ثم انجلى ذلك كلّه فعاد رضىً ، ثم طيّبته بالغالية التي لا تطيّب بها ولدك ، وأجزته وحملته ، وأمرتني بتشييعه مكرّماً !

فقال : ويحك يا ربيع ، ليس هو ما ينبغي أن تحدّث به ، وستره أولى ، ولا أحبّ أن يبلغ ولد فاطمة فيفتخرون ويتهيبون بذلك علينا ، حسبنا ما نحن فيه ، ولكن لا أكتمك شيئاً، أنظر من في الدار فنحّهم ، قال : فنحّيت كلّ من في الدار ، ورجعت إليه ، فقال : ليس إلاّ أنا وأنت ، والله لئن سمعت ما ألقيته إليك من أحد لأقتلنّك وولدك وأهلك أجمعين ، ولآخذنّ مالك .

ثمّ قال : يا ربيع ، قد كنت مصرّاً على قتل جعفر ، وأن لا أقبل له عذراً ، وكان أمره ـ وإن كان ممّن لا يخرج بسيف ـ أغلظ عندي وأهمّ عليّ من عبد الله بن الحسن ، فقد كنت

أعلم هذا منه ومن آبائه على عهد بني أميّة ، فلمّا هممت به في المرّة الأولى تمثّل لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فإذا هو حائل بيني وبينه ، باسط كفّيه ، حاسر عن ذراعيه ، قد عبس وقطّب في وجهي ، ثمّ هممت به في المرّة الثانية ، وانتضيت من السيف أكثر ممّا انتضيت منه في المرّة الأولى ، فإذا أنا برسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد قرب منّي ودنا شديداً ، ووهم لي أن لو فعلت لفعل ، فأمسكت ، ثمّ تجاسرت وقلت : هذا بعض أفعال الرئيّ (الجنّ) ، ثمّ انتضيت السيف في الثالثة ، فتمثّل لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو باسط ذراعيه قد تشمّر واحمرّ وعبس وقطّب حتّى كاد أن يضع يده عليّ ، فخفت والله لو فعلت لفعل ، وكان منّي ما رأيت ، وهؤلاء من بني فاطمة صلوات الله عليهم لا يجهل حقّهم إلاّ جاهل لا حظّ له في الشريعة .

قال محمّد بن الربيع : فما حدّثني به أبي حتّى مات المنصور ، وما حدثت أنا به حتّى مات المهديّ وموسى وهارون ، وقتل محمّد الأمين .

في سعاية رجل من أهل المدينة بالصادق (عليه السلام) عند المنصور ، وحلفه وهلاكه

وروى السيّد أيضاً بسند معتبر عن صفوان الجمّال أنّ رجلاً من أهل المدينة رفع إلى أبي جعفر المنصور ـ بعد مقتل محمّد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ـ أنّ جعفر بن محمّد بعث مولاه المعلّى بن خنيس بجباية الأموال من شيعته ، وأنّه كان يمدّ بها محمّد بن عبد الله ، فكاد المنصور أن يأكل كفّه على جعفر غيظاً وكتب إلى عمّه داود ـ وداود إذ ذاك أمير المدينة ـ أن يسيّر إليه جعفر بن محمّد ، ولا يرخص له في التلوّم والمقام ، فبعث إليه داود بكتاب المنصور وقال : اعمل في المسير إلى أمير المؤمنين في غدٍ ولا تتأخّر .

قال صفوان : فأنفذ إليّ جعفر (عليه السلام) فصرت إليه ، فقال لي : تعهّد راحلتنا فإنّا غادون في غد إن شاء الله إلى العراق ، ونهض من وقته وأنا معه إلى مسجد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، فركع فيه ركعات ، ثم رفع يديه ودعا ، فلمّا أصبح سار متوجّهاً الى العراق حتّى قدم مدينة أبي جعفر ، وأقبل حتّى استأذن ، فأذن له ، وقرّبه وأدناه ، ثمّ قل له : بلغني أنّ المعلّى بن خنيس مولاك يجمع لك المال والسلاح .

فقال (عليه السلام) : معاذ الله من ذلك ، قال له : تحلف على براءتك من ذلك ؟ قال : نعم ، أحلف بالله أنّه ما كان من ذلك شيء ، قال أبو جعفر : لا ، بل تحلف بالطلاق والعتاق ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : أما ترضى يميني بالله الذي لا إله إلاّ هو ؟ قال أبو جعفر : فلا تتفقّه عليّ ، فقال (عليه السلام) : فأين يذهب بالفقه منّي ؟ قال له : دع عنك هذا ، فإنّي أجمع الساعة بينك وبين الرجل الذي رفع عنك حتّى يواجهك .

فأتوا بالرجل وسألوه بحضرة جعفر فقال : نعم ، هذا صحيح ، وهذا جعفر بن محمّد ، والذي قلت فيه ما قلت ؛ فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : تحلف أيّها الرجل أنّ هذا الذي رفعته صحيح ؟ قال : نعم ، ثمّ ابتدأ الرجل باليمين فقال : « والله الذي لا إله إلاّ هو ، الطالب الغالب ، الحيّ القيّوم » ، فقال له جعفر (عليه السلام) : لا تعجل في يمينك فإنّي أنا أستحلف .

قال المنصور : وما أنكرت من هذه اليمين ؟ قال : إنّ الله حيّ كريم يستحي من عبده إذا أثنى عليه أن يعاجله بالعقوبة ، لمدحه له ؛ ولكن قل يا أيّها الرجل :

« أبرأ إلى الله من حوله وقوّته ، وألجأ إلى حولي وقوتي إنّي لصادق برّ في ما أقول » .

فحلف الرجل بهذه اليمين ، فلم يستتمّ الكلام حتّى خرّ ميّتاً ، فراع أبا جعفر ذلك ، وارتعدت فرائصه فقال : والله لا قبلت عليك قول أحد بعدها أبداً .

وروى أيضاً عن محمّد بن عبيد الله الإسكندريّ أنّه قال :

كنت من جملة ندماء أمير المؤمنين المنصور أبي جعفر وخواصّه ، وكنت صاحب سرّه من بين الجميع ، فدخلت عليه يوماً فوجدته مغتمّاً وهو يتنفّس نفساً بارداً ، فقلت : ما هذه الفكرة يا أمير المؤمنين ؟ فقال لي : يا محمّد ، لقد هلك من أولاد فاطمة مقدار مئة وقد بقي سيّدهم وإمامهم . فقلت له : من ذلك ؟ قال : جعفر بن محمّد الصادق ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إنّه رجل أنحلته العبادة ، واشتغل بالله عن طلب الملك والخلافة .

فقال : يا محمد ، وقد علمت أنّك تقول به وبإمامته ، ولكنّ الملك عقيم ، وقد آليت على نفسي أن لا أمسي عشيّتي هذه أو أفرغ منه .

قال محمّد : والله لقد ضاقت عليّ الأرض برحبها ، ثمّ دعا سيّافاً وقال له : إذا أنا أحضرت أبا عبد الله الصادق وشغلته بالحديث ، ووضعت قَلَنْسُوَتي عن رأسي فهي العلامة بيني وبينك ، فاضرب عنقه .

ثمّ أحضر أبا عبد الله (عليه السلام) في تلك الساعة ، ولحقته في الدار وهو يحرّك شفتيه ، فلم أدر ما الذي قرأ ، فرأيت القصر يموج كأنّه سفينة في لجج البحار ، ورأيت أبا جعفر المنصور وهو يمشي بين يديه حافي القدمين ، مكشوف الرأس ، وقد اصطكّت أسنانه وارتعدت فرائصه ، يحمرّ ساعة ويصفرّ أخرى ، وأخذ بعضد أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) وأجلسه على سرير ملكه ، وجثا بين يديه كما يجثو العبد بين يدي مولاه ، ثم قال له :

يا بن رسول الله ، ما الذي جاء بك في هذه الساعة ؟ قال : جئتك طاعة لله عزّ وجلّ ، ولرسول الله (صلّى الله عليه وآله) وطاعة لك ، قال : ما دعوتك ، والغلط من الرسول ، ثمّ قال : سل حاجتك ، فقال : أسألك أن لا تدعوني لغير شغل ، قال : لك ذلك .

ثمّ انصرف أبو عبد الله (عليه السلام) سريعاً ، وحمدت الله عزّ وجلّ كثيراً ، ودعا المنصور بلوازم النوم فنام ، ولم ينتبه إلاّ في نصف الليل ، فلمّا انتبه كنت عند رأسه جالساً ، فسرّه ذلك وقال لي : لا تخرج حتّى أقضي ما فاتني من صلاتي فأحدّثك بحديث ، فلمّا قضى صلاته أقبل عليّ وقال لي :

لمّا أحضرت أبا عبد الله الصادق وهممت به ما هممت من السوء رأيت تنّيناً قد حوى بذنبه جميع داري وقصري ، وقد وضع شفته العليا في أعلاها ، والسفلى في أسفلها وهو يكلّمني بلسان طلق ذَلِق عربيّ مبين : يا منصور ، إن أنت أحدثت في أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) حدثاً فأنا أبتلعك ومن في دارك جميعاً ، فطاش عقلي وارتعدت فرائصي ، واصطكّت أسناني .

قال الراوي : قلت له : ليس هذا بعجيب يا أمير المؤمنين ، وعنده من الأسماء وسائر الدعوات ما لو قرأها على الليل لأنار ، ولو قرأها على النهار لأظلم ، ولو قرأها على الأمواج في البحور لسكنت .

قال : فقلت له بعد أيّام : أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أخرج إلى زيارة أبي عبد الله الصادق ؟ فأجاب ولم يأب ؛ فدخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) والتمست منه تعليمي الدعاء الذي يقرأه عند دخوله على المنصور ، فأجابني إلى ما طلبت .



الفصل السادس

في وفاة الإمام الصادق (عليه السلام)

كانت وفاة الإمام الصادق (عليه السلام) في شوّال من سنة ثمان وأربعين ومئة ، لأكله عنباً مسموماً أطعمه إيّاه المنصور وله خمس وستّون سنة ، ولم يأت في الكتب المعتبرة تحديد لليوم من شوّال الذي توفّي فيه ، نعم ، قال صاحب (جنّات الخلود) وهو متتبّع ماهر : إنّه اليوم الخامس والعشرون منه ، وقيل : يوم الاثنين في منتصف رجب .

نقل عن (مشكاة الأنوار) أنّه دخل بعض أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام) في مرضه الذي توفّي فيه إليه ، وقد ذبل فلم يبق إلاّ رأسه فبكى ، فقال : لأيّ شيء تبكي ؟ فقال : كيف لا أبكي وأنا أراك على هذه الحال قال : « لا تفعل ، فإنّ المؤمن يعرض [عليه] كل خير ، إن تقطع أعضاؤه كان خيراً له ، وإن ملك ما بين المشرق والمغرب كان خيراً له » .

وروى الشيخ الطوسيّ عن سالمة مولاة أبي عبد الله (عليه السلام) قالت :

كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمّد (عليه السلام) حين حضرته الوفاة ، وأغمي عليه ، فلمّا أفاق قال : أعطي الحسن بن عليّ (الأصغر) بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) وهو الأفطس ، سبعين ديناراً ، وأعطي فلاناً كذا ، وفلاناً كذا ، فقلت : أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك ؟! قال : « تريدين أن لا أكون من الذين قال الله عزّ وجلّ :

﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربّهم ، ويخافون سوء الحساب ﴾ ؟

نعم يا سالمة ، إنّ الله تعالى خلق الجنّة فطيّبها وطيّب ريحها ، وإنّ ريحها يوجد من مسيرة ألف عام ، ولا يجد ريحها عاقّ ولا قاطع رحم . »

وروى الشيخ الكليني (ره) عن الكاظم (عليه السلام) أنه قال :

« أنا كفّنت أبي في ثوبين شطويّين[١] كان يحرم فيهما ، وفي قميص من قمصه ، وفي عمامة كانت لعليّ بن الحسين (عليه السلام) ، وفي برد اشتريته بأربعين ديناراً » .

كما روى أيضاً : أنّه لمّا قبض أبو عبد الله (عليه السلام) أمر الكاظم (عليه السلام) بالسراج في البيت الذي كان يسكنه أبو عبد الله (عليه السلام) وقبض فيه .

وروى الشيخ الصدوق عن أبي بصير أنّه قال :

دخلت على أمّ حميدة (أمّ ولد زوجة الصادق (عليه السلام)) أعزّيها بأبي عبد الله (عليه السلام) ، فبكت وبكيت لبكائها ، ثمّ قالت : يا أبا محمّد ، لو رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) عند الموت لرأيت عجباً ، فتح عينيه ثمّ قال : اجمعوا لي كلّ من بيني وبينه قرابة ، قالت : فلم نترك أحداً إلّا جمعناه ، فنظر إليهم ثمّ قال : « إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة » .

وروي عن عيسى بن دأب قال: لمّا حمل أبو عبد الله جعفر بن محمّد (عليه السلام) على سريره وأخرج إلى البقيع ليدفن أنشد أبو هريرة العجليّ، (وقد عُدّ من شعراء أهل البيت (عليهم السلام)) هذه الأبيات:

أقول وقد راحوا به يحملونه ... على كاهل من حامليه وعاتق
أتدرون ماذا تحملون إلى الثرى ... ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق
غداة حثا الحاثون فوق ضريحه ... تراباً ، وأولى كان فوق المفارق

قال المسعودي : ودفن (عليه السلام) في البقيع مع أبيه وجدّه ، وله خمس وستّون سنة ، وقيل إنّه سُمّ ، وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله مبيد الأمم ، ومحيي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سيّدة نساء العالمين ، وقبر الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، وعليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، ومحمّد بن عليّ ، وجعفر بن محمّد رضي الله عنهم . انتهى .

وأنا أقول : صلوات الله عليهم أجمعين .

في وصيّته (عليه السلام)

وروي أنه وفد من خراسان وافد يكنّى بأبي جعفر ، واجتمع إليه جماعة من أهل خراسان

---

(١) شطا : اسم قرية بناحية مصر تنسب إليها الثياب الشطويّة .

فسألوه أن يحمل لهم أموالاً ومتاعاً ومسائلهم في الفتاوى والمشاورة ، فورد الكوفة ونـزل ، وزار قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فرأى بالقرب من القبر شيخاً حوله جماعة ، فلمّا فرغ من زيارته قصدهم فوجدهم شيعة فقهاء يسمعون من الشيخ ، فسألهم عنه فقالوا : هو أبو حمزة الثماليّ ، قال : فجلست إليهم .

يقول المؤلّف : كان قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) منذ وفاته حتّى زمان الصادق (عليه السلام) مخفّياً غير معروف سوى لأولاده وأهل بيته ، ولزين العابدين والإمام الباقر (عليهم السلام) ، وكانوا يأتون لزيارته دون أن يصحبهم ذو روح إلاّ رواحلهم ، وفي زمان الصادق (عليه السلام) تعرّف الشيعة عليه ، وجعلوا يتوافدون لزيارته ، وكان أحياناً يصطحب بعض أخصّائه من أصحابه فيدلّهم على القبر ، وفي عهد هارون الرشيد ظهر القبر للعيان وأصبح مزاراً للقاصي والداني ؛ أمّا أبو حمزة الثمالي فقد زار القبر بصحبة الإمام زين العابدين (عليه السلام) كما سيأتي في الفصل الثامن إن شاء الله .

ومجمل القول فإنّ الرجل الخراسانيّ مضى يقول :

فبينا نحن جلوس إذ أقبل أعرابيّ ، فقال : جئت من المدينة وقد مات جعفر بن محمّد (عليه السلام) ، فشهق أبو حمزة ، ثمّ ضرب بيده الأرض ، ثمّ سأل الأعرابيّ : هل سمعت له بوصيّة ؟ قال : أوصى إلى ابنه عبد الله ، وإلى ابنه موسى (عليه السلام) وإلى المنصور ، فقال : الحمد لله الذي لم يضلّنا ، دلّ على الصغير ، وبيّن على الكبير ، وستر الأمر العظيم ، ووثب إلى قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) فصلّى وصلّينا ، ثمّ أقبلت عليه وقلت له : فسّر لي ما قلته ، قال ما حاصله :

لا يخفى أنّ وصاته للمنصور كانت من باب التقيّة ، ليدفع عن وصيّه القتل ، فلو سأل المنصور عن الوصيّ ليقتله لقيل : الوصيّ أنت ، وقرن ذكر ابنه الصغير موسى باسم ابنه الأكبر عبد الله كي يعلم الناس أنه إنّ كان الأكبر ذا علّة في بدنه ودينه فلا يصحّ أن يكون إماماً ، فالأصغر على هذا هو الإمام ، وكان عبد الله ناقص الدين جاهلاً ، بأحكام الشريعة ، كما كان أفطح القدم ، ولو لم يكن ذا علّة لاكتفي به ، ومن هنا عرفت أنّ الإمام هو موسى (عليه السلام) ، وكان ذكرهم مراعاة للمصلحة .

ويروي الشيخ الكليني والشيخ الطوسيّ وابن شهر اشوب عن أبي أيّوب الخوزيّ أنه قال :

بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل ، فدخلت عليه وهو جالس على كرسيّ وبين يديه شمعة وكتاب ، فلمّا سلّمت عليه رمى الكتاب إليّ وهو يبكي وقال : هذا كتاب محمّد بن

سليمان يخبرنا أنّ جعفر بن محمّد قد مات ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون (ثلاثاً) وأين مثل جعفر ؟

ثمّ قال لي : اكتب ، فكتبت صدر الكتاب ، ثمّ قال : اكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدّمه واضرب عنقه .

قال : فرجع الجواب إليه : إنّه قد أوصى إلى خمسة أحدهم أبو جعفر المنصور ، ومحمّد بن سليمان ، وعبد الله وموسى ابني جعفر ، وحميدة !

فقال المنصور : ليس إلى قتل هؤلاء سبيل .

قال العلاّمة المجلسيّ (ره) : كان (عليه السلام) يعلم بعلم الإمامة أنّه سيكون لدى المنصور مثل هذه الإرادة فأشرك هذه الجماعة في الوصيّة في الظاهر ، فكتب اسم المنصور أوّلاً ، وخصّ في الباطن الإمام موسى (عليه السلام) ، ومن هذه الوصيّة أيضاً يدرك أهل العلم أنّ الوصاية والإمامة مختصتان به (عليه السلام) ، كما يتّضح من رواية أبي حمزة المتقدّمة .



الفصل السابع

اولاد الامام الصادق (عليه السلام) واحفاده

موجز أحوال إسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام)

يذكر الشيخ المفيد (ره) أنّه كان لأبي عبد الله (عليه السلام) عشرة أولاد : إسماعيل وعبد الله وأمّ فروة ، أمّهم فاطمة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) وموسى (عليه السلام) وإسحاق ومحمّد لأم ولد ، والعبّاس وعليّ وأسماء وفاطمة لأمّهات أولاد شتّى ، وكان إسماعيل أكبر إخوته ، وكان أبو عبد الله (عليه السلام) شديد المحبّة له والبرّ به والإشفاق عليه ، وكان قوم من الشيعة يظنّون أنّه القائم بعد أبيه والخليفة له من بعده ، إذ كان أكبر إخوته سنّاً ، ولميل أبيه إليه وإكرامه له ، فمات في حياة أبيه (عليه السلام) بقرية العريض ، وحُمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة ، حتّى دفن في البقيع .

وروي أنّ أبا عبد الله (عليه السلام) جزع عليه جزعاً شديداً ، وحزن عليه حزناً عظيماً ، وتقدّم سريره بغير حذاء ولا رداء ، وأمر بوضع سريره على الأرض مراراً كثيرة ، وكان يشكف عن وجهه وينظر إليه ، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانّين خلافته له من بعده ، وإزالة الشبهة عنهم في حياته . (أي في حياته بعد أبيه وخلافته له) .

يقول المؤلّف : وردت أحاديث كثيرة بهذا الصدد ، ويروي الشيخ الصدوق أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) قال لسعيد بن عبيد الله الأعرج :

« لمّا مات إسماعيل أمرت به وهو مسجّى بأن يكشف عن وجهه فقبّلت جبهته وذقنه ونحره ، ثم أمرت به فغطّي ، ثمّ قلت : اكشفوا عنه ، فقبّلت أيضاً جبهته وذقنه ونحره ، ثم أمرتهم فغطّوه ، ثمّ أمرت به فغسّل ، ثمّ دخلت عليه وقد كُفّن فقلت : اكشفوا عن وجهه ، فقبّلت جبهته وذقنه ونحره ، وعوّذته ثمّ قلت ؛ أدرجوه » .

قال الراوي : فقلت : بأيّ شيء عوّذته ، قال : بالقرآن .

وروي أنّه كتب في حاشية كفنه : « إسماعيل يشهد أن لا إله إلاّ الله .

وروي أيضاً أنّه (عليه السلام) استدعى بعض شيعته وأعطاه دراهم وأمره أن يحجّ بها عن ابنه إسماعيل ، وقال له : « إنّك إذ حججت عنه لك تسعة أسهم من الثواب ، ولإسماعيل سهم واحد » .

قال السيّد ضامن بن شدقم في (تحفة الأزهار) : توفّي إسماعيل سنة اثنتين وأربعين ومئة ، وفي سنة ستّ وأربعين وخمسمئة قدم إلى المدينة الحسين بن أبي الهيجاء وزير العبيدليّ فبنى قبّة فوق مشهده ، وذكر ابن شيبة أنّ هذا المحل كان بيتاً لزيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين (عليه السلام) .

ومجمل القول : فقد ذكر الشيخ المفيد أنّه لّما مات إسماعيل انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظنّ ذلك ويعتقده ، وأقام على ذلك الاعتقاد والقول بحياته شرذمّة لم تكن من خاصّة أبيه ولا من الرواة عنه ، فلمّا مات الصادق (عليه السلام) انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر (عليه السلام) بعد أبيه ؛ وافترق الباقون فرقتين : فريق منهم رجعوا على حياة إسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمّد بن إسماعيل ، لظنّهم أنّ الإمامة كانت في أبيه ، وأنّ الابن أحقّ بمقام الإمامة من الأخ ، وفريق ثبتوا على حياة إسماعيل ، وهم اليوم شذّاذ يزعمون أنّ الإمامة بعد إسماعيل في ولده وولد ولده إلى آخر الزمان .

إشارة إلى الملوك الفاطميين وإخبار أمير المؤمنين (عليه السلام) عنهم

يقول المؤلّف : كان الملوك الفاطميّون الذين حكموا في المغرب من سلالة إسماعيل ، وأوّلهم عبيد الله بن محمّد بن عبد الله بن أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن الإمام الصادق (عليه السلام) ، وهو الملقّب بالمهديّ بالله ، وهو أول رجل من آل إسماعيل الذين حكموا في المغرب ومصر ، أثناء العهد العبّاسيّ ، ودام حكمهم أربعاً وسبعين ومئتين من السنين ، وكانت بداية حكمهم أيام المعتمد والمعتضد وتوافق بداية الغيبة الصغرى ، وكان عددهم أربعة عشر ، ويقال لهم : (الإسماعيليّة والعبيديّة) .

قال القاضي نور الله : إنّ القرامطة طائفة أخرى غير الإسماعيليّة ، وقد عمل العبّاسيون وأنصارهم على إدخال القرامطة بينهم لشدة عداواتهم وبغضهم .

أقول : أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) في أخباره الغيبيّة إلى عبيد الله المذكور ، إذ قال :

« ثمّ يظهر صاحب قيروان الغضّ البضّ ، ذو النسب المحض المنتجب من سلالة ذي البداء المسجّى بالرداء » .

وقيروان مدينة في المغرب.حيث بنى عبيد الله المهديّ في حدودها قلعة سمّاها المهديّة ، والمراد بـ (ذي البداء المسجّى بالرداء » إسماعيل بن جعفر (عليه السلام) .

قال ابن أبي الحديد : « وكان عبيد الله المهديّ أبيض مترفاً ، مشرباً بحمرة ، رخص البدن ، تارّ[1] الأطراف ، وذو البداء إسماعيل بن جعفر بن محمّد (عليه السلام) ، وهو المسجّى بالرداء ، لأنّ أباه أبا عبد الله جعفراً (عليه السلام) سجّاه بردائه لمّا مات وأدخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته ، وتزول عنهم الشبهة في أمره » . انتهى .

وأمّا عبد الله بن جعفر فكان أكبر إخوته بعد إسماعيل ، ولم تكن منزلته عند أبيه منزلة غيره من ولده في الإكرام ، وكان متّهماً بالخلاف على أبيه في الاعتقاد ، فيقال إنّه كان يخالط الحشويّة ، ويميل إلى مذاهب المرجئة ، وادّعى بعد أبيه الإمامة ، واحتجّ بأنّه أكبر إخوته الباقين ، فتابعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام) ، ثمّ رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى (عليه السلام) لّما تبيّنوا ضعف دعواه ، وقوّة أمر أبي الحسن ، ودلالة حقيقته ، وبراهين إمامته ، وأقام نفر يسير منهم على أمرهم ودانوا بإمامة عبد الله وهم الطائفة الملقّبة بالفطحيّة ، وإنّما لزمهم هذا اللقب لقولهم بإمامة عبد الله ، وكان أفطح الرجلين .

ويقال : إنّهم لقّبوا بذلك لأنّ داعيهم إلى إمامة عبد الله كان يقال له : عبد الله بن فيطح .

وذكر القطب الراونديّ عن المفضّل بن عمر أنّه قال :

لّما قضى الصادق (عليه السلام) كانت وصيّته في الإمام إلى موسى الكاظم (عليه السلام) فادّعى أخوه عبد الله الإمامة ، وكان أكبر ولد جعفر (عليه السلام) في وقته ذلك ، وهو المعروف بالأفطح ؛ فأمر موسى (عليه السلام) بجمع حطب كثير في وسط داره ، فأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه ، فلمّا صار عنده ومع موسى (عليه السلام) جماعة من وجوه الإماميّة . فلمّا جلس إليه أخوه عبد الله أمر موسى (عليه السلام) أن تشعل النار في الحطب ، فاحترق كلّه ولا يعلم الناس السبب فيه ، حتى صار الحطب كلّه جمراً ، ثمّ قال موسى (عليه السلام) وجلس بثيابه في وسط النار ، وأقبل يحدّث الناس ساعة ، ثمّ قام فنفض ثوبه ، ورجع إلى المجلس .

---

(١) التارّ : السمين المسترخي .

ثمّ قال لأخيه عبد الله : إن كنت تزعم أنّك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس .

قالوا : فرأينا عبد الله قد تغيّر لونه ، فقام يجرّ رداءه حتّى خرج من دار موسى (عليه السلام) .

ولبث عبد الله بعد أبيه سبعين يوماً ثمّ توفّي .

وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال لموسى (عليه السلام) :

« يا بني ، إنّ أخاك سيجلس مجلسي ، ويدّعي الإمامة بعدي ، فلا تنازعه بكلمة ، فإنّه أوّل أهلي لحوقاً بي » .

يقول المؤلّف : ذكر السيّد ضامن بن شدقم في (تحفة الأزهار) أنّ عبد الله بن جعفر (عليه السلام) توفّي في بلدة بسطام ، وقبره معروف هناك مقابل قبر عليّ بن عيسى بن آدم البسطاميّ .

أقول : نُقل إليّ أن القبر الذي يقابل قبر أبي يزيد البسطاميّ إنّما هو قبر محمّد بن عبد الله المذكور لا قبر أبيه ، والله هو العالم .

وكان إسحاق بن جعفر من أهل الفضل والصلاح والورع والاجتهاد ، وروى عنه الناس الحديث والآثار ، وكان ابن كاسب إذا حدّث عنه يقول : حدّثني الثقة الرضيّ إسحاق بن جعفر (عليه السلام) ، وكان إسحاق يقول بإمامة أخيه موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، وروى عن أبيه النصّ بالإمامة على أخيه موسى (عليه السلام) .

وقال صاحب (عمدة الطالب) : كان (إسحاق) أشبه الناس برسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأمّه أمّ أخيه الإمام موسى (عليه السلام) ، وكان محدّثاً جليلاً ، وادّعت فيه طائفة من الشيعة الإمامة ، وكان عقبه من محمّد والحسين والحسن .

نسب سلالة بني زهرة وجلال شأن أبي المكارم

يقول المؤلّف : إلى إسحاق بن جعفر ينتهي نسب بني زهرة وكانوا أسرة جليلة في حلب ، ومن جملتهم أبوالمكارم الحمزة بن عليّ بن زهرة الحلبيّ ، العالم الفاضل الجليل ، صاحب تصنيفات كثيرة في الكلام والإمامة والنحو ، ومنها (غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع) ؛ وكان مع أبيه وجدّه وأخيه عبد الله بن عليّ ، وابن أخيه محمّد بن عبد الله من أكابر فقهاء الإماميّة ، وبنو زهرة الذين كتب آية الله العلّامة الحلّي إجازته الكبيرة المعروفة لهم هم : السيّد الجليل الحسيب ، صاحب النفس القدسيّة ، والرئاسة الأنسيّة ، أفضل أهل عصره ، علاء الدين أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن محمّد بن عليّ الحسن بن أبي المحاسن

زهرة ، وابنه المعظّم شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن علي ، وأخوه السيّد المعظّم الممجّد بدر الدين أبو بدر الله أبوعبد الله محمّد بن إبراهيم ، وابناه : أبو طالب أحمد بن محمّد ، وعزّ الدين الحسن بن محمّد ، وقد نوّه العلاّمة بجلال شأنهم وأجازهم جميعاً ، وقد ورد نصّ تلك الإجازة في المجلّد الأخير من (البحار) .

وقال السيّد الشريف تاج الدين بن محمّد بن الحمزة بن زهرة في كتاب (غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلويّة المحفوظة من الغبار) في الحديث عن بيت الإسحاقيّين :

حمداً لله الذي جعلنا من بيت زهرة نقباء حلب ، جدّهم زهرة بن أبي المواهب عليّ نقيب حلب ، ابن محمّد نقيب حلب ، ابن أبي سالم محمّد المرتضى ، مدنيّ انتقل من المدينة إلى حلب ، ابن أحمد المدنيّ الذي أقام بحرّان ، ابن الأمير شمس الدين محمد المدنيّ ، ابن الأمير الموقّر الحسين بن إسحاق المؤتمن ، ابن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) .

وقال : إنّ بيت زهرة في حلب وفي ديارها أشهر من كلّ مشهور ، ومنهم الشريف أبو المكارم الحمزة بن عليّ بن زهرة ، سيّد جليل كبير القدر عظيم الشأن ، كامل فاضل مدرّس مصنّف مجتهد ، عين أعيان سادة حلب ونقبائها ، صاحب تصنيفات حسنة وأقوال مشهورة ، وله كتب ، قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه ، قبره في حلب يقع أسفل جبل جوشن عند مشهد سقط الحسين (عليه السلام) ، وقبره معروف ، وقد كتب عليه اسمه ونسبه حتّى الإمام الصادق (عليه السلام) وكذلك تاريخ موته . انتهى .

يقول المؤلّف : كان موته سنة خمس وثمانين وخمسمئة ، وكانت ولادته في شهر رمضان سنة إحدى عشرة وخمسمئة ، وقد تقدّمت قصّة مشهد السقط في جبل جوشن في المجلّد الأوّل خلال الحديث عن مسير أهل بيت الإمام الحسين (عليه السلام) من الكوفة إلى الشام .

السيّدة نفيسة المدفونة في مصر

اعلم أنّ زوجة إسحاق بن جعفر هي السيّدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ، المعروفة بجلالة شأنها ، توفّيت في مصر سنة ثمان ومئتين ودفنت فيها ، ويعتقد بها المصريون تمام الاعتقاد ، ومعروف أنّ الدعاء عند قبرها مستجاب ، وقد أخذ الشافعي الحديث عنها .

ونقل السيّد مؤمّن الشبلنجيّ في (نور الأبصار) والشيخ محمّد الصفّان في (إسعاف الراغبين) أنّ السيّدة نفيسة ولدت بمكّة سنة خمس وأربعين ومئة ، ونشأت في المدينة على العبادة والزهد ، تصوم نهارها وتقوم ليلها ، كانت ذات مال تحسن إلى العجزة والمرضى وعموم الناس ، حجّت ثلاثين مرّة ماشية في أغلبها .

وقد نقل عن زينب بنت يحيى أخي نفيسة أنّها قالت :

لبثت في خدمة عمّتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها تنام ليلاً أو تفطر نهاراً ، فكانت لا تزال قائمة ليلها صائمة نهارها ، فقلت لها : إنّك لا ترفقين بنفسك ! قالت : وكيف أرفق بنفسي وأمامي عقبات لا يجتازها إلاّ الفائزون ؟

رزقت السيّدة نفيسة من زوجها إسحاق بولدين : القاسم وأمّ كلثوم ، ولم يعقبا ؛ قامت مرّة مع زوجها بزيارة إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، ثمّ رجعت إلى مصر ونزلت في بيتها ، يعتقد أهل مصر بهذه السيّدة اعتقاداً قوياً ، وكانوا يلتمسون منها التوقّف عندهم أثناء مرورها ، ويقصدونها للزيارة ، وكانوا يرون منها الكرامات ، وقد بقيت في مصر حتّى وفاتها .

وذُكر أنّها حضرت لنفسها قبراً بيديها ، وكانت تنزل فيه باستمرار وتصلّي وتتلو القرآن حتّى أتمّت في هذا القبر ستّة آلاف ختم للقرآن ، توفّيت في شهر رمضان سنة ثمان ومئتين ، وكانت عند احتضارها صائمة فطلب إليها أن تفطر فقالت : واعجباً ! أسأل ربّي ثلاثين سنة أن يخرجني من هذه الدنيا وأنا صائمة ، وأفطر الآن إذ أنا صائمة !؟

ثم شرعت بتلاوة سورة الأنعام ، فلما بلغت في تلاوتها الآية المباركة : **﴿ لهم دار السلام عند ربّهم ﴾** أسلمت الروح ، فلمّا توفّيت تقاطر الناس من القرى والبلدان ، فأضاؤوا الشموع في تلك الليلة ، وكان البكاء يسمع من كلّ بيت في مصر ، وعظمت الغصّة والحزن على أهل مصر ، وصلّوا عليها بجموع لم ير مثلها ، فامتلأت بهم الفلوات والقيعان ، ثمّ دفنت في القبر الذي حفرته بيديها في بيتها بدرب السباع في المراغة .

وروي أنّه بعد وفاتها أراد زوجها إسحاق المؤتمن نقلها إلى المدينة لدفنها في البقيع ، غير أنّ المصريّين التمسوا إبقاءها في مصر تبركاً بها وتيمّناً وبذلوا في سبيل ذلك مالاً كثيراً ، فلم يرض إسحاق بذلك حتى رأى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في نومه فأمره إلاّ يعارض أهل مصر بشأن نفيسة ، ونزلت الرحمة عليهم ببركتها ، ورويت عنها كرامات ، بل إنّ كتاباً صنّف في مآثرها باسم (المآثر النفيسة) .

ومحمّد بن جعفر (عليه السلام) كان يقال له الديباج أو ـ الديباجة ـ لحسنه وبهائه ، وجماله وكماله ، كان سخيّاً شجاعاً يرى رأي الزيديّة بالخروج بالسيف ، خرج على المأمون سنة تسع وتسعين ومئة بالمدينة ، فبايعه أهلها بإمرة المؤمنين ، كان رجلاً مقداماً عابداً ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وكان لا يخرج يوماً في ثوب فيرجع وهو عليه ، وكان يذبح شاة كلّ يوم لضيوفه .

ثمّ أتى مكّة مع جماعة من العلويّين من جملتهم : الحسين بن الحسن الأفطس ،

ومحمّد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى ، ومحمّد بن الحسن المعروف بالسليق ، وعليّ بن الحسين بن عيسى بن زيد ، وعليّ بن الحسين بن زيد ، وعليّ بن جعفر بن محمّد ووقع القتال بينهم وبين هارون بن المسيّب من قوّاد المعتصم ، واستحرّ القتال وقتلت من جيش هارون مقتله عظيمة ، ثمّ توقّف القتالُ ، وبعث هارون بن المسيّب برسالة إلى محمّد بن جعفر مع الإمام الرضا (عليه السلام) يعرض عليه الصلح والمسالمة ، لكنّ محمّداً أبى وتهيّأ للقتال ، فأتاه ابن المسيّب بجيش كبير حاصر الديباج ومن معه في ثبير (جبل بمكّة) حيث كانوا في بيت له هناك ، وامتدّ الحصار ثلاثة أيّام حتّى نفذ زادهم ومـاؤهم ، وجعل أصحابه يتفرّقون ، فما كان من محمّد إلاّ أن أتى هارون بن المسيّب في خيمته ، وعليه رداء ونعلان ، وطلب منه الأمان لأصحابه ، فأعطاه الأمان .

وبرواية أخرى ورد اسم عيسى الجلوديّ بدلاً من هارون .

ومجمل القول : فقد وضع الطالبيّون بالأغلال ، وحملوا في محامل دون وطاء ، وساروا بهم يريدون خراسان ، فلمّا انتهوا إليها وبها المأمون أكرم وفادته ، ووصله وأحسن جائزته ، وأقام مع المأمون بخراسان حتّى وفاته ، وخرج المأمون يشهد جنازته ، وحمل سريره حتّى وضع به ، فتقدّم فصلّى عليه ، ثمّ حمله حتّى بلغ به القبر ، ثمّ دخل قبره ولم يزل فيه حتّى بني عليه ، ثمّ خرج فقام على قبره حتّى دفن ؛ فقال بعضهم للمأمون :

يا أمير المؤمنين ، إنّك قد تعبت ، فلو ركبت فقال المأمون : إنّ هذه رحم قطعت من مئتي سنة ، ثم إنّه قضى عن محمّد ديونه البالغة نحواً من ثلاثين ألف دينارٍ .

وروي نقلاً عن تاريخ قمّ أنّ محمّد الديباج توفّي في جرجان أثناء مسير المأمون إلى العراق سنة ثلاث ومئتين ، فصلى المأمون عليه ودفنه في جرجان ، فشكره على ذلك عبيد الله بن الحسن بن عبد الله بن العبّاس بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) ، مع آخرين من العلويّين ؛ وبلغني أنّ الصاحب الجليل كافي الكفاة أبا القاسم إسماعيل بن عبّاد أقام بناء فوق تربته سنة أربع وسبعين وثلاثمئة . انتهى .

وروى الشيخ الصدّوق عن السيّد عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ ، عن جدّه عليّ بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) أنّه قال :

« حدّثني عبد الله بن محمّد بن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه أن محمّد بن عليّ الباقر جمع ولده وفيهم عمّهم زيد بن عليّ (عليه السلام) ثمّ أخرج إليهم كتاباً بخطّ عليّ (عليه السلام) ، وإملاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مكتوباً فيه :

هذا كتاب من الله العزير الحكيم حديث اللوح ، إلى الموضع الذي يقول فيه : وأولئك هم المهتدون » ، ثمّ قال في آخره :

قال عبد العظيم : العجب كل العجب لمحمّد بن جعفر وخروجه ، وقد سمع أباه (عليه السلام) ، يقول هذا ويحكيه !

واعلم أنّ من أعقاب محمّد بن جعفر السيّد الشريف إسماعيل بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن أحمد بن عزيز بن الحسين بن محمّد الأطروش بن عليّ بن الحسين بن علي بن محمّد الديباج بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، أبو طالب المروزيّ العلويّ النسّابة أول شخص من أجداده انتقل من مرو إلى قم أحمد بن محمّد بن عزيز ، وله من مصنّفات (حظيرة القدس) نحو ستّين مجلّداً ، وغيره من مصنفات أخرى في جميعها الأنساب ، وقد لقيه ياقوت الحمويّ في مرو سنة أربع عشرة وستمّئة ، ونقل عن (معجم الأدباء) أنّه وردت فيه ترجمته بالتفصيل

وكان العبّاس بن جعفر رحمه الله فاضلاً .

عليّ بن جعفر وأبو الحسن ، وأحمد بن القاسم أحد أحفاده والمدفون بقمّ

كان عليّ بن جعفر (عليه السلام) سيّداً جليل القدر ، عظيم الشأن ، شديد الورع ، عالماً كبيراً ، راوية للحديث ، كثير الفضل ؛ أدرك الجواد (عليه السلام) ، بل بقول صاحب (عمدة الطالب) : أدرك الهادي (عليه السلام) وتوفّي في أيّامه ، لزم موسى أخاه (عليه السلام) وأخذ عنه معالم الدين ، ومن بركاته (مسائل عليّ بن جعفر) الذي بين أيدينا ، ونقلها العلاّمة المجلسيّ عليه الرحمة ، في المجلّد الرابع من (البحار) .

وإجمالاً فجلالة شأن هذا الرجل الكبير أعظم من أن يتّسع لها المقام ، وقد أثنى عليه علماء الرجال ثناءً بليغاً .

وذكر الشيخ الكشّي أنّه لمّا عزم الطبيب على فصد الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) واقترب بالمبضع منه تقدّم عليّ بن جعفر وقال للطبيب : ابدأ بفصدي كي لا تؤلمه حدّة المبضع ، ولمّا نهض الجواد (عليه السلام) ليخرج قدّم له عليّ بن جعفر نعليه فوضعهما أمام قدميه ، في حين أنّه كان شيخاً محترماً ، وكان الجواد (عليه السلام) ما يزال حدثاً .

ويروي الشيخ الكليني عن محمّد بن الحسن بن عمّار أنّه قال :

كنت عند عليّ بن جعفر بن محمّد (عليهما السلام) جالساً ، وكنت أقمت عنده عشر سنين أكتب عنه ما سمع من أخيه (يعني أبا الحسن) إذ دخل عليه أبو جعفر محمّد بن عليّ

الرضا (عليه السلام) المسجد ، مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فوثب عليّ بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبّل يده وعظّمه .

فقال له أبو جعفر (عليه السلام) : يا عمّ ، اجلس رحمك الله ، فقال: يا سيّدي ، كيف أجلس وأنت قائم ؟ فلمّا رجع عليّ بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبّخونه ويقولون : أنت عمّ أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل ؟! فقال :

اسكتوا ، إذا كان الله عزّ وجلّ ـ وقبض على لحيته ـ لم يؤهّل هذه الشيبة وأهّل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه ، أنكر فضله ؟ نعوذ بالله ممّا تقولون ، بل أنا له عبد .

يقول المؤلّف : يعلم من هذين الحديثين الحدّ الذي بلغه هذا الرجل الكبير في معرفة إمام زمانه ، وكفاه ذلك فضلاً وشرفاً .

في موقع قبره اختلاف ، فهل هو في قمّ ، أم هو في العُرَيْض ، على بعد فرسخ من المدينة ، حيث كان يقول ملكه ومحلّ سكناه ، وسكنى سلالته ؟ وقد أوردنا في (هدية الزائرين) ما يتعلّق بهذا المقام ، فيرجع إليه هناك .

قال صاحب (روضة الشهداء) : أمّا عليّ العريضيّ وكنيته أبو جعفر الحسن فكان عالماً كبيراً ، مات أبوه وهو طفل ، أخذ العلم عن أخيه الإمام موسى (عليه السلام) ، وينسب إلى العريض ، وهي قرية تقع على بعد أربعة أميال من المدينة ، أولاده فيها كثرة ويعرفون بالعريضيّين ، وعقبه من أربعة من بنيه وهم : محمّد ، وأحمد الشعرانيّ ، والحسن ، وجعفر ، أمّا جعفر فأصغر عقبه من عليّ ابنه ، وأحوال هذا العقب مجهولة ، ويحتمل أن القبر الذي في قمّ قبر عليّ هذا .

وأمّا قوله بأن عقب عليّ من أربعة من أبنائه فقد روي خلافه ، ذلك أنّ العالم الفاضل الجليل السيّد مجد الدين العريضيّ أستاذ الشيخ أبي القاسم المحقّق الحلّيّ ينتهي نسبه إلى عيسى بن عليّ بن جعفر الصادق (عليه السلام) بهذا التسلسل : السيّد مجد الدين عليّ بن الحسن بن إبراهيم بن عليّ بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسن بن عيسى بن عليّ العريضيّ صاحب (المسائل) عن أخيه الكاظم (عليه السلام) ابن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، والحسن بن عليّ بن جعفر أبو عبد الله بن الحسن العلويّ ، وهو من مشايخ الشيخ الجليل عبد الله بن جعفر الحميريّ ، وعليه اعتمد في طريقته بالمسائل عليّ بن جعفر رواية عن جدّه عليّ بن جعفر .

واعلم أنّه جاء في بعض كتب الأنساب أنّ فاطمة الكبرى بنت محمّد بن عبد الله الباهر بن الإمام زين العابدين (عليه السلام) هي زوجة عليّ العريضيّ ؛ واعلم أيضاً أنّه

مدفون في قمّ أحد أحفاد عليّ بن جعفر رضي الله عنه ، المعروف بالشرف والجلالة ، واسمه أحمد بن القاسم بن أحمد بن عليّ بن جعفر الصادق (عليه السلام) ، وقبره مزار لعامّة الناس ، ويقع في المقبرة قرب بوّابة القلعة في بقعة قديمة يعود بناؤها إلى سبعمئة سنة من الآن ، والظاهر أنّ أخته[1] فاطمة مدفونه هناك ، وأحمد بن القاسم المذكور كان رجلاً جليل القدر .

وجاء في (تاريخ قمّ) أنّ أحمد بن القاسم كان عاجزاً عنّيناً ، وأن حبوباً ظهرت في عينيه ممّا تسبّب في فسادهما ، ولمّا توفّي دفن في مقبرة مالون القديمة ، وكانت تعلو تربته مظلّة ويزورها الناس ، فلمّا قدم أصحاب الخاقان مفلحي إلى قمّ انتزعوا المظلّة عن قبره ، وتوقّف الناس عن زيارته مدّة حتّى شاهد بعض صلحاء قمّ في نومه سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة أنّ ساكن هذه التربة كثير الفضل وفي زيارته أجر وثواب عظيمان ، فقاموا بتجديد بنائه بالخشب ، وعاد الناس إلى زيارته من جديد .

وقال جماعة من الثقاة : كان كثير من أصحاب العاهات القديمة أو ممّن يشكون من علّة في أعضائهم يقفون على قبره ، ويلتمسون الشفاء ، فينالونه ببركة روحه[2] .



---

(١) ورد نقلا عن (تاريخ قم) أن فاطمة بنت القاسم بن أحمد بن عليّ بن جعفر أمّ محمّد العزيزي الذي انتقل من قمّ إلى بغداد ، وقتل في النهروان ، فأتوا بجثمانه إلى قمّ ودفن قرب مسجد الرضائيّة ، وفاطمة مدفونة في مقبرة مالون وتزار من هناك ؛ ومحمّد عزيز هو ابن عبد الله بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن الإمام الصادق (عليه السلام) ، ويظهر أنّه سليل الأئمة المعروف بالسيد سرنجش نفسه .

(٢) واعلم أيضاً أنّ من أحفاد عليّ بن جعفر العريضيّ السيّد الفاضل والعالم الكامل السيّد محمّد إصفهانيّ المعروف بالإماميّ ، وهو تلميذ العلاّمة المجلسيّ ، وصاحب كتاب (التراجيح) في الفقه ، و(ترجمة الشفاء) و(إشارات الشيخ الرئيس) وكتاب (هشت بهشت) وهو ترجمة لثمانية كتب من كتب الأصحاب كـ(الخصال) ، و(كمال الدين) و(عيون أخبار الرضا) و(الأمالي) وغيرها ، ويقال له : الإماميّ لانتسابه إلى سليل الأئمّة أبي الحسن عليّ زين العابدين بن نظام الدين أحمد بن شمس الدين عيسى الملقّب بالروميّ ، ابن جمال الدين محمّد بن عليّ العريضيّ ، ابن الإمام الصادق (عليه السلام) ، والمدفون في محلّة جُملان إصفهان .

الفصل الثامن

كوكبة من اكابر اصحاب الامام الصادق (عليه السلام)

الأوّل : أبان بن تَغْلِب

من آل بكر بن وائل ، ومن أهل الكوفة ، ثقة جليل القدر ، وجاء في (مجالس المؤمنين) أنّ أباناً كان قارئاً عالماً بوجوه القراءة ودلائلها ، كما كانت له قراءة انفرد بها مشهورة عند القرّاء ، وكان إمام أهل زمانه في علم التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو ، وجاء في كتاب ابن داود أنه حفظ عن الإمام الصادق (عليه السلام) ثلاثين ألف حديث ، وله تصانيف كثيرة كـ(تفسير غريب القرآن) وكتاب (الفضائل) وكتاب (أحوال صفّين) وغيرها .

وجاء في كتاب (الخلاصة) أنّ أباناً بين أصحابنا ثقة جليل القدر عظيم المنزلة ، أدرك السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام ، حظي باهتمامهم ، وقد قال له الإمام الباقر (عليه السلام) ما معناه : اجلس في المسجد وأفت الناس ، فإنّي أحبّ أن أرى بين شيعتي مثلك ، وبرواية أخرى : ناظر أهل المدينة فإنّي أحبّ أن يكون مثلك من رجالي والرواة عنّي .

توفّي أبان في حياة الإمام الصادق (عليه السلام) ، ولّما بلغه خبر موته ترحّم عليه وحلف أن موته قد آلمه ، وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين ومئة ، وكان الصادق (عليه السلام) قد أخبره بوفاته .

وروى الشيخ النجاشيّ أنّ أباناً كان إذا قدم المدينة توافد الخلائق للسماع منه ومساءلته ، فلا يبقى مكان خالياً سوى العمود المحاذي له .

وروي عن عبد الرحمن بن الحجّاج أنّه قال : شهدت مجلس أبان بن تغلب يوماً ، فإذا برجل يدخل فيسأله : يا أبا سعيد ، أخبرني عمّن لزم أمير المؤمنين (عليه السلام) من

أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فقال أبان : كأنّك تريد معرفة فضل عليّ (عليه السلام) على أولئك الذين يتّبعونه من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ؟ قال الرجل : هو ما قصدته ، قال : والله ما عرفنا فضل الصحابة إلّا باتّباع أمير المؤمنين (عليه السلام) .

الثاني : إسحاق بن عمّار الصيرفيّ الكوفيّ

من أصحاب الصادق والكاظم (عليهما السلام) ، قال عنه علماء الرجال : شيخ أصحابنا ، ثقة ، وهو مع إخوته يونس ويوسف وقيس وإسماعيل بيت من بيوت الشيعة كبير ، وابنا أخيه عليّ بن إسماعيل وبشير بن إسماعيل من وجوه أهل الحديث ، وروي أنّ الصادق (عليه السلام) كان إذا رأى إسحاق وإسماعيل ابني عمّار قال : « وقد يجمعهما لأقوام » يريد أن الله يجمعهما في الدنيا والآخرة .

وروي عن عمّار بن حيّان أنّه قال : نقلت إلى الصادق (عليه السلام) برّ ابني إسماعيل بي وإحسانه إليّ فقال : إنّي أحبّه ، والآن زادت محبّتي له .

ومجمل القول فالعلماء يعرّفون إسحاق بن عمّار بالفطحيّ بسبب تصريح الشيخ في (الفهرست) وهم لذلك يعتبرونه موثوقاً حتّى انتهى الدور إلى الشيخ البهائيّ ، وقد توقفوا عند اثنين بهذا الاسم فقالوا : إسحاق بن عمّار الإماميّ ، وإسحاق بن عمّار الأفطحيّ ، لذا فينبغي الرجوع في السند إلى التمييز بينهما ليعلم أيّهما المراد فيه ، واستمرّ العلماء على هذا المنوال حتّى أيّام العلّامة الطباطبائي بحر العلوم (ره) الذي أتى بقراءة تفيد بأن إسحاق بن عمّار شخص واحد ، وأنّه أيضاً إماميّ ثقة ، وقد اختار ذلك أيضاً : شيخنا العلّامة المحدّث النوريّ نوّر الله مرقده ، وذلك في خاتمة (مستدرك الوسائل) ، والله هو العالم .

الثالث : بُرَيْد بن معاوية العجليّ

وكنيته أبو القاسم ، من وجوه فقهاء الأصحاب ، ثقة جليل القدر ، ومن حواريّي الباقر والصادق (عليهما السلام) ، كان ذا مكانة ومحلٍّ عظيم عند الأئمّة (عليهم السلام) ، ومن أصحاب الإجماع ، قال الصادق (عليه السلام) : « أوتاد الأرض وأعلام الدين أربعة : محمّد بن مسلم وبُريد بن معاوية ، وليث بن البَختريّ المراديّ ، وزُرارة بن أعين » .

وقال (عليه السلام) : فيهم في حديث آخر : « هؤلاء القوّامون بالقسط ، هؤلاء القوّامون بالصدق ، وهؤلاء السابقون السابقون ، أولئك المقرّبون » .

كما قال (عليه السلام) : « بشّر المخبتين بالجنّة » ، وذكر الأسماء الأربعة ، ثمّ قال :

« أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه ، لولا هؤلاء لانقطعت آثار النبوّة واندرست » .

كانت وفاة بُريد سنة خمسين ومئة رحمه الله ، وابنه القاسم بن بُريد ثقة أيضاً ، ومن رواة أصحاب الصادق (عليه السلام) .

الرابع : أبو حمزة الثُّماليّ

واسمه ثابت بن دينار ، ثقة جليل القدر ، من مشايخ الكوفة وزهّادها ؛ يروى عن الفضل بن شاذان أنّه قال :

سمعت من الثقة قال : سمعت الرضا (عليه السلام) قال ما معناه : أبو حمزة الثماليّ في زمانه كما كان سلمان الفارسيّ في زمانه ، فقد أدرك أربعة منّا : عليّ بن الحسين ، ومحمّد بن عليّ ، وجعفر بن محمّد ، وقدراً من زمان موسى بن جعفر (عليهم السلام) .

وروي أنّ الصادق (عليه السلام) دعا أبا حمزة يوماً فلمّا أتاه قال : « إنّي لأستريح إذا رأيتك » .

وروي أنّ بنتاً لأبي حمزة سقطت على الأرض فكسرت يدها ، فربط موضع الكسر وقال : هي بحاجة إلى جبيرة ، وأخذته رقّة عليها فبكى ودعا ، ولما أراد المجبّر تجبيرها لم ير للكسر أثراً ، فنظر إلى يدها الأخرى فلم يجد عيباً فقال : ليس بهذه البنت شيء !

توفّي سنة خمسين ومئة ، وفي أيّام مرضه قدم أبو بصير إلى الإمام الصادق (عليه السلام) فسأله عن أحوال أبي حمزة فقال : إنّه يشكو ، فقال (عليه السلام) : إذا أتيته فبلّغه سلامي وقل له : في شهر كذا ويوم كذا ستموت ، فقال أبو بصير : جعلت فداك ، والله إنّا لنأنس به ، وهو من شيعتكم ، فقال (عليه السلام) : « ما عندنا خير لكم » ، فقال : هل شيعتكم معكم ؟ قال : إذا خافوا الله ، وراقبوا نبيّهم ، ولاحظوا ذنوبهم فهم معنا في درجاتنا . . الخ .

وروى السيّد عبد الكريم بن طاووس في (فرحة الغريّ) أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) قدم الكوفة ودخل مسجدها ، وكان أبو حمزة الثماليّ في المسجد ، وهو من مشايخ الكوفة وزّهادها ، ثمّ إنّ الإمام (عليه السلام) صلّى ركعتين .

قال أبو حمزة : لم أسمع أجمل من لهجته ، فدنوت منه كي أسمع ما يقول ، فسمعته يقول :

« إلهي إن كان قد عصيتك فإنّي قد أطعتك في أحبّ الأشياء إليك » ، (وهذا دعاء معروف) ثمّ قام منصرفاً .

قـال أبو حمـزة ، فاقتفيتـه حتى انتهى إلى مناخ الكـوفة ، حيث ينيـخ الناس رواحلهم ، فرأيت هناك غلاماً أسود معه بعـير وناقـة ، فقلت له : من هـو هذا الـرجل ؟ قـال : أو يخفى عليك شمائله ؟ إنّه عليّ بن الحسين (ع) .

قال أبو حمزة : فارتميت على قدميه أقبّلهما فلم يـدعني أفعل ورفـع رأسي بيده وقـال : لا تفعل يا أبا حمزة ، لا ينبغي السجود سوى لله عـزّ وجل ، قلت : يـا بن رسول الله ، مـا الذي أقدمك ؟ قال : ما رأيته ، يريد الصلاة في مسجد الكوفة ، ولو عرف الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبو الأطفال ، ثمّ قال : أتودّ زيارة قـبر جدّي عـليّ بن أبي طالب (ع) ؟ قلت : أجـل . فتحرّك وأنا في ظلّ ناقتـه يحدّثني حتى انتهينا إلى الغريّـين ، فإذا ببقعـة بيضاء يلتمـع نورهـا ، فترجّل عن ناقته ووضـع خدّيـه على الأرض وقـال : يا أبـا حمزة ، هـذا قبر جـدّي عليّ بن أبي طالب (ع) ، ثم قرأ زيارة أوّلها : « السـلام على اسم الله الـرضيّ ، ونور وجهـه المضيّ » . ثمّ ودع القبر المطهّر ومضى نحو المدينة ، وانصرفت عائداً إلى الكوفة .

يقول المؤلّف : مضى في ذكر وفاة الصادق (عليه السلام) أنّ أبا حمزة تشرّف بـزيارة قـبر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وأنـه جلس بالقـرب من التربـة المقدّسـة ، واجتمع إليـه فقهاء الشيعة يأخذون عنه .

الخامس : حَريز بن عبد الله السجستانيّ

من مشـاهير أصحـاب الصادق (عليـه السلام) ، ولـه كتب في العبـادات منهـا كتـاب (الصلاة) وهو مرجع الأصحـاب وموضـع اعتماد وشهـرة ، وفي رواية حمّـاد المعروفـة أنّه قـال للصادق (عليه السلام) : « أنا أحفظ كتاب حريز في الصلاة » .

وإجمالاً فهو من أهل الكوفة ، وكان يسافر إلى سجستان للتجارة فاشتهر بـالسجستانيّ ، وقد خرج بالسيف لقتال الخوارج في سجستان في عهـد الصادق (عليـه السلام) ، وروي أنّـه (عليه السلام) أبعده عنه وحجبه ، وهو من نقل عنه يونس بن عبد الرحمن الكثير من أحكـام الفقه .

السادس : حُمران بن أعين الشيبانيّ

أخو زرارة المعتبر أحد حواريّي الإمام الباقر والإمام الصادق (عليهما السلام) ، وقال له الباقر (عليه السلام) : أنت من شيعتنـا في الدنيـا والآخرة ، وقـال الصادق (عليـه السلام) بعد موته : « مات والله مؤمناً » ، ولّما قال للصادق (عليه السلام) : ما أقلّنا نحن الشيعة « لو اجتمعنا عى شاة ما أفنيناها » ! قال له (عليه السـلام) : أتحب أن أخبرك بـأعجب من هذا ؟

قال : أجل . قال (عليه السلام) : مضى المهاجرون والأنصار إلاّ ثلاثة ، وأشار بيده ، ومراده بالثلاثة : سلمان وأبا ذرّ والمقداد ، كذلك كما في الرواية الباقريّة :

« ارتدّ الناس إلاّ سلمان وأبو ذرّ والمقداد » .

قال الراوي : فقلت : عمّار ؟! قال (عليه السلام) : « كان حاص حيصة[1] ثمّ رجع » ، ثمّ قال (عليه السلام) : إن أردت الذي لم يشكّ ولم يداخله شيء فالمقداد » .

وقد ورد أنّ زرارة قدم إلى الحجاز أيّام كان فتى لم يظهر الشعر في وجهه ، ورأى في منى خيمة الباقر (عليه السلام) فدخل إليها .

قال زرارة : لمّا دخلت رأيت جماعة جلوساً حول الخيمة وقد تركوا صدر المجلس خالياً ، وليس فيه أحد ، ورأيت رجلاً في ناحية يحتجم ، فقلت : لعلّه الإمام الباقر (عليه السلام) ، فدنوت منه فسلّمت عليه فردّ السلام ، فجلست أمامه والحجّام خلف رأسه ، قال : من بني أعين ؟ قلت : أجل ، أنا زرارة بن أعين ، قال : عرفتك بالشبه ، ثم قال : هل جاء حمران إلى الحجّ ؟ قلت : لا ، وهو يبلغك السلام ، قال : هو من المؤمنين حقّاً ، فلن يرتدّ أبداً ، إذا لقيته فبلّغه سلامي وقل له : لماذا حدّثت الحكم بن عُتيبة عنّي بحديث : « إنّ الأوصياء محدَّثون » ؟ لا تحدّث الحكم وأمثاله بمثل هذا الحديث .

قال زرارة : فحمدت الله وأثنيت عليه . . الخ .

وبرواية أخرى أنّ الصادق (عليه السلام) سأل بُكير بن أعين عن أحوال حمران ، فقال بكير : لم يحجّ العام مع شدّة شوقه لرؤيتكم ، لكنّه يبلّغكم سلامه ، فقال (عليه السلام) : عليك وعليه السلام ، ألا إنّ حمران مؤمن من أهل الجنّة ، لن يرتاب أبداً ، لا والله ، لا والله ، فلا تخبره .

وروي أنّ اسمه في كتاب أصحاب اليمين .

وروي أن أصحاب الصادق (عليه السلام) كانوا يناظرون عنده وحمران ساكت ، فقال له (عليه السلام) : لماذا أنت ساكت لا تتكلّم ؟ قال ؛ لقد أقسمت أن لا أتكلّم في مجلس أنت فيه ، قال : قد أذنت لك بالكلام ، فتكلّم .

وقال يونس بن يعقوب : إنّ حمران يجيد علم الكلام ، وقد أحال الإمام الصادق (عليه السلام) الرجل الشاميّ الذي جاء ليناظره إليه ، فقال الشاميّ : إنّما أريدك أنت لا

(١) حاص حيصة : بالمهملتين وبالمعجمتين : جاد وعدل .

حمران ، فقال (عليه السلام) : « إن غلبت حمران فقد غلبتني » ، فأقبل الشاميّ يسأل حمران وحمران يجيبه حتّى ضجر وملّ ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : كيف رأيت حمران يا شاميّ ؟ قال : رأيته حاذقاً ، ما سألته عن شيء إلاّ أجابني فيه .

وإجمالاً فالمرويّات في مدحه كثيرة .

روى الحسن بن عليّ بن يقطين عن مشايخه أنّ حمران وزرارة وعبد الملك وبكير وعبد الرحمن بني أعين جميعاً كانوا ذوي استقامة ، وأنّ أربعة منهم قضوا في زمان الصادق (عليه السلام) وكانوا في أصحابه (عليه السلام) ، وبقي زرارة حتّى أدرك الكاظم (عليه السلام) ولقي ما لقيه .

وقيل : إنّ حمران يحسب من التابعين لأنّه يروي عن أبي الطفيل عامر بن واصلة ، وهو آخر من توفّي من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ويقول المؤلّف : إنّ حمران روى أيضاً عن عبيد الله بن عمر الذي يعتبره أهل السنّة من الأصحاب .

قال الشيخ الطبرسيّ في (مجمع البيان) في سورة المزّمّل بعد قوله تعالى : ﴿ **إنّ لدينا أنكالاً وجحيماً * وطعاماً ذا غصّة . .** ﴾ :

« ورويّ عن حمران بن أعين عن عبيد الله بن عمر أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) سمع قارئاً يقرأ هذه فصُعق » .

وروي أنّ حمران كان إذا جلس مع أصحابه يروي عن آل محمّد (عليهم السلام) ، فإذا تحدّثوا بشيء عن غير آل محمّد ردّ عليهم بالحديث عن أهل البيت حتّى يفعلها ثلاثاً ، فإذا استمرّوا على حالهم قام عنهم .

يقول المؤلّف : وذكر ما يقرب من هذا عن السيّد الحميريّ عن بعض أهل الفضل أنّه قال : كنّا جلوساً عند أبي عمر وعلاء نتذاكر عندما قدم السيّدالحميريّ وجلس ، بينما انشغلنا ساعة بالحديث عن الزرع والنخل ، فقام السيّد الحميريّ فقلنا له : لماذا وقفت ؟ قال :

إنّي لأكره أن أطيل بمجلسٍ ... لا ذكر فيه لآل بيت محمّد
لا ذكر فيه لأحمدٍ ووصيّه ... وبنيه ذلك مجلس قصف ردي
إنّ الذي ينساهم في مجلس ... حتّى يفارقه لغير مسدّد

السابع : زرارة بن أعين الشيبانيّ

إنّ جلالة شأنّه وعظمة قدره أكثر من أن تذكر ، فقد اجتمعت لديه خصال الخير كافّة من علم وفضل وتفقّه وتديّن ووثاقة ، ومن حواريّي الصادقين (عليهما السلام) ، وهو من نقل

عنه يونس بن عمّار حديثاً إلى الصادق (عليه السلام) في باب الإرث ، كان نقله عن الباقر (عليه السلام) ، فقال الصادق (عليه السلام) : ما رواه زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) لا يجوز لنا ردّه .

وروي أنّه (عليه السلام) قال للفيض بن مختار : إذا طلبت حديثاً لنا فخذه عن هذا الجالس ، وأشار إلى زرارة ، وروي عنه (عليه السلام) قوله :

« لولا زرارة لقلت إنّ أحاديث أبي ستذهب » .

وتقدّم في الحديث عن بُريد أنّ زرارة أحد « أوتاد الأرض وأعلام الدين » .

كما روي أن الصادق (عليه السلام) قال له : أي زرارة ، اسمك في أسماء أهل الجنة دون ألف ، فقال : أجل جعلت فداك ، فاسمي عبد ربّه ، ولقّبت بزرارة ؛ ونقل عنه قوله : في كلّ حرف أسمعه من الإمام الصادق (عليه السلام) أزداد إيماناً .

وذكر نقلاً عن ابن أبي عمير من أكابر أفاضل الشيعة أنّه لمّا قال لجميل بن درّاج ـ وكان من أعاظم فقهاء ومحدّثي هذه الطائفة ـ : ما أحسن محضرك ، وما أجمل ما يزين مجلسك من منفعة ! قال : نعم ، لكنّا والله لم نكن أمام زرارة إلاّ بمنزلة أطفال مدرسة عند معلّمهم !

وقال أبو غالب الزراريّ في رسالة كتبها إلى ابن ابنه محمّد بن عبد الله : روي أنّ زرارة كان رجلاً وسيماً جُساماً أبيض اللون ، وكان إذا توجّه إلى صلاة الجمعة وضع قلنسوة على رأسه ، وعلى جبينه آثار السجود ، وفي يده عصا ، فيقف الناس احتراماً له ، ويصطفّون لينظروا إلى حسنه وجمال قوامه ، كان يمتاز بقوّة الجدل والمخاصمة ، فلم يكن بمقدور أحد أن يتغلّب عليه في مناظرة ، إلاّ أن كثرة عبادته حملته على الابتعاد عن الكلام ، وكان متكلّمو الشيعة في عداد تلاميذه ، وعاش سبعين سنة ؛ وكان آل أعين ذوي فضائل جمّة ، وما قيل في حقّهم أكثر ممّا أكتبه لك . . الخ انتهى .

يقول المؤلّف : كانت وفاة زرارة بعد وفاة الصادق (عليه السلام) بشهرين أو أقلّ ، وكان إذا ذاك في مرضه الذي قضى فيه .

واعلم أنّ بيت أعين من البيوت الشريفة ، كان أكثرهم أهل فقه وحديث وكلام ، ونقلت عنهم أصول وتصانيف ومرويّات كثيرة ، وكان لزرارة أولاد منهم : الرومي وعبد الله وكانا كلاهما من ثقات الرواة ، ثمّ : الحسن والحسين ، وقد دعا الصادق (عليه السلام) لهما بقوله :

« أحاطهما الله وكلأهما ، ورعاهما وحفظهما بصلاح أبيهما كما حفظ الغلامين » .

وإخوة زرارة حمران وبكير وعبد الرحمن وعبد الملك كانوا جميعاً من الأجلّاء ، أمّا حمران فقد مضى الحديث عنه ، وبكير هو من ذكره الصادق (عليه السلام) وقال : « رحم الله بكيراً ، وقد فعل » ، وقد روي أنّه (عليه السلام) قال بعد موته :

« والله لقد انزله الله بين رسوله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما » .

وكان أولاده وأحفاده أهل حديث ، وله في ظاهر دامغان بقعة ومزار معروف .

وعبد الرحمن بن أعين هو من شهد المشايخ باستقامته ، وعبد الملك بن أعين ترحّم عليه الصادق (عليه السلام) وزار قبره بالمدينة مع أصحابه ، وكان عارفاً بالنجوم ، وابنه ضريس بن عبد الملك من ثقات الرواة .

الثامن: صفوان بن مهران الجمّال الأسديّ الكوفيّ

يكنّى بأبي محمّد ، كثير الوثاقة جليل القدر ، شهد أمام الصادق (عليه السلام) بإيمانه واعتقاده في حقّ الأئمّة عليهم السلام ، فقال له (عليه السلام) : « رحمك الله » .

كان صفوان يكري جماله لهارون الرشيد للسفر إلى الحجّ ، أتى الإمام الكاظم يوماً فقال له (عليه السلام) :

يا صفوان ، كلّ شيء منك حسن وجميل ما خلا شيئاً واحداً ، فقال : جعلت فداك ، أيّ شيء هو ؟ قال : إكراؤك جمالك لهارون الرشيد ، قال : والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ، ولا لصيد ولا لهو ، ولكنّي أكريته لطريق مكّة ، ولا أتولاها بنفسي ، وإنّما أبعث معها غلماني ؛ فقال : يا صفوان ، ألست تحبّ بقاءهم إلى أن يخرج كراك منهم ؟ قال : نعم يا بن رسول الله ، قال : فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم فقد ورد النار .

انصرف صفوان وباع جماله بكاملها ، ولما عرف الرشيد بالأمر فهم ما أراده صفوان بعمله ، فقال له : أما والله يا صفوان ، لولا حسن الصحبة لقتلتك .

روى صفوان عن الصادق (عليه السلام) زيارة (أربعين) الإمام الحسين, كما نقل عنه (عليه السلام) زيارة وارث ، والدعاء المعروف بدعاء علقمة ، الذي يقرأ بعد زيارة عاشوراء .

قام صفوان مراراً بنقل الصادق (عليه السلام) من المدينة إلى الكوفة ، وقد فاز معه (عليه السلام) بزيارة تربة أمير المؤمنين (عليه السلام) وتعرّف على قبره .

ويروى عن (كامل الزيارة) أنّ صفوان ما زال يزور التربة المطهّرة مدة عشرين سنة

يصلّي عندها ، وهو جدّ الثقة الجليل والفقيه النبيل شيخ الطائفة الإماميّة أبي عبد الله الصفوانيّ ، الذي باهل قاضي الموصل في الإمامة في محضر سيف الدولة الحمدانيّ ، ولما قام القاضي ليصرف من المجلس حمّ واسودّت يده التي رفعها في المباهلة وورمت ، وما لبث أن قضى في اليوم التالي .

التاسع: عبد الله بن أبي يعفور

ثقة جليل القدر يعتبر في عداد أصحاب الأئمّة وحواريّي الصادقين عليهما السلام ، كان محبوباً جداً ومرضيّاً عنه عند الصادق (عليه السلام) ، وذلك لامتثاله لأوامره ، وقبوله لأقواله بثبات ودون تردّد ، ويروى أنّه قال للصادق (عليه السلام) يوماً : أما والله لو أنّك قطعت رمّانة نصفين وقلت : هذا النصف حلال ، وهذا النصف حرام لشهدتُ بأنّ ما قلت عنه ؛ حلال ، فهو حلال ، وأن ما قلت عنه : حرام ، فهو حرام ! فقال له (عليه السلام) : رحمك الله ، مرّتين .

وروي أنّه قال (عليه السلام) : لم أجد أحداً يقبل وصيّتي ويطيع أمير غير عبد الله بن أبي يعفور .

وهو الذي عرض اعتقاده على الصادق (عليه السلام) . وهو الذي سلّم الصادق (عليه السلام) عليه وأوصاه بصدق الحديث وأداء الأمانة .

وإجمالاً فقد توفّي عام الطاعون في أيّام الصادق (عليه السلام) ، وبعد وفاته كتب الصادق (عليه السلام) إلى المفضّل بن عمر كتاباً كلّه ثناء وترّض على ابن أبي يعفور بكلمات تدلّ على جلالة شأنه بدرجة تحيّر العقل ، وممّا جاء فيه :

« وقُبض صلوات الله على روحه محمود الأثر ، مشكور السعي ، مغفوراً له ، مرحوماً برضى الله ورسوله وإمامه عنه ، فبولادتي من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ما كان في عصرنا أحد أطوع لله ورسوله ولإمامه منه ، فما زال كذلك حتّى قبضه الله إليه برحمته ، وصيّره إلى جنّته . . » الخ .

العاشر والحادي عشر: عمران بن عبد الله بن سعد الأشعريّ القمّيّ، وأخوه عيسى بن عبد الله

وكلاهما من أجلّاء أهل قمّ ، وممّن يحبون الصادق (عليه السلام) ويحبّهم أشدّ محبّة ، وكان كلّما قدم (عليه السلام) المدينة يتفقّدهما ويسأل عن أحوالهما وأحول أهلهما وأقاربهما .

وعن حمّاد الناب قال : كنّا عند أبي عبد الله (عليه السلام) بمنى ، ونحن جماعة ، إذ

دخل عليه عمران بن عبد الله القميّ ، فسأله وبرّه وبشّه ، فلمّا أن قام قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : من هذا الذي بررته هذا البرّ ؟ فقال :

« هذا من أهل البيت النجباء (يعني أهل قمّ) ما أراد بهم جبّار من الجبابرة إلاّ قصمه الله » .

وروي أنّه (عليه السلام) قبّله يوماً بين عينيه وقال له : « أنت منّا أهل البيت » .

وعمران هذا كلّفه أبو عبد الله (عليه السلام) بأن يصنع له مضارب في منى فصنعها ونصبها ، منها للنساء وأخرى للرجال ، وأخرى للراحة ، فلمّا أقبل أبو عبد الله (عليه السلام) ومعه نساؤه رأى المضارب فقال : قمّ هذا ؟ قيل له : هذه مضارب ضربها لك عمران بن عبد الله القميّ ، فنزل بها ثمّ استدعاه إليه وسأله ، فقال عمران : جعلت فداك ، هذه المضارب التي أمرتني أن أعملها لك ، فقال : بكم ارتفعت ؟ قال : جعلت فداك ، إنّ الكرابيس من صنعتي ، وعملتها لك ، فأنا أحبّ ـ جعلت فداك ـ أن تقبلها منّي هديّة ، وقد رددت المال الذي أعطيتنيه ، فقبض أبو عبد الله (عليه السلام) على يده ثمّ قال :

« أسأل الله تعالى أن تصلّي على محمّد وآل محمّد ، وأن يظلّك يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه » .

والمرزبان بن عمران من الرواة أصحاب أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ، وصاحب كتب ، ودخل عليه يوماً فقال : أسألك عن أهمّ شيء عندي : هل أنا من شيعتكم ؟ قال : أجل ، قال : واسمي مكتوب عندكم ؟ قال : نعم .

الثاني عشر : الفُضَيل بن يسار

كنيته : أبو القاسم ، ثقة جليل القدر ، ومن الرواة الفقهاء أصحاب الصادقين عليهما السلام ، ومن أصحاب الإجماع ، أي : ممّن أجمع أصحابنا على تصديقه والإقرار بفقاهته .

روي أنّ الصادق (عليه السلام) كان إذا رآه قال : « وبشّر المخبتين ، من أحبّ أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا » .

وكان (عليه السلام) يقول : الفضيل من أصحاب أبي ، وأحبّ أن يحبّ الرجل أصحاب أبيه .

توفّي في حياة الصادق (عليه السلام) ، وذكر له (عليه السلام) من قام بتغسيله أنّه حين كان يغسّله كانت يد الفضيل تسبق إلى عورته ، فقال (عليه السلام) : رحم الله الفضيل ، إنّه منّا أهل البيت .

وروي عن الفضيل قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ما يمنعني من لقائك إلاّ أنّي ما أدري ما يوافقك من ذلك ، فقال (عليه السلام) : ذلك خير لك .

وكـا ابنـاه القـاسم والعـلاء ، وحفيـده محمّـد بن القـاسم جميعـاً من الأجّـلاء وثقـات الأصحاب ، رضوان الله عليهم أجمعين .

الثالث عشر : الفيض بن المختار الكوفي

ثقة ، ومن رواة البـاقر والصادق والكاظم (عليهم السلام) .

وفي سؤاله الإمام الصادق (عليه السـلام) عن القائم بـالأمر بعـده ، وفي بليغ إلحاحه وإصراره يقول الفيض :

فقال لي (عليه السلام) : مكانك ، ثمّ قام إلى ستر في البيت فرفعه فدخـل ، ثمّ مكث قليلاً ، ثم صاح : يا فيض ادخل ، فدخلت فإذا هو في المسجد وقد صلّى فيـه ، وانحرف عن القبلة فجلست بين يديه ، فدخل إليه أبـو الحسن الكاظم (عليـه السلام) وهـو يومئـذ خماسيّ وفي يده درّة[1] ، فأقعـده على فخـذه فقال لـه : بأبي أنت وأمّي ، مـا هذه المخفقـة[2] بيدك ؟ قال : مررت بعليّ أخي وهي في يده يضرب بهيمة فانتزعتهامن يده .

فقـال أبو عبـد الله : « يا فيض ، إنّ رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه) أُفضيت إليـه صحف إبـراهيم ومـوسى عليهـما السـلام فـائتمن رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه) عليّـاً (عليه السلام) »، (ثمّ عدّد عليه السلام والأئمّة واحداً فواحداً إلى أنّ قال :)

« وائتمني أبي عليها فكانت عندي ، ولقد أئتمنت عليهـا ابني هذا عـلى حداثتـه ، وهي عنده » .

قال الفيض : فعرفت ما أراد ، فقلت له ؛ جعلت فداك ، زدني .

قال : « يا فيض ، إنّ أبي كان إذا سافـر وأنا معـه فنعس هو عـلى راحلته أدنيت راحلتي من راحلته فوسّدته ذراعي الميل والميلين ، حتّى يقضي وطره من النـوم ، وكذلـك يصنع بي ابني هذا » .

قال : قلت : جعلت فداك ، زدني .

قال : « إنّي لأجد بابني هذا ما كان يجد يعقوب بيوسف »

---

(١) و(٢) الدرّة السوط ، والخفقة : الدرّة .

قلت : يا سيّدي ، زدني .

قال : « هو صاحبك الذي سألت عنه ، فأقرّ له بحقّه » .

فقمت حتّى قبّلت رأسه ، ودعوت الله له ، ثم قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : جعلت فداك ، أخبر به أحداً ؟ قال : « نعم ، أهلك وولدك ورفقاءك » . وكان معي أهلي وولدي ، ويونس بن ظبيان من رفقائي ، فلمّا أخبرتهم حمدوا الله على ذلك كثيراً ، فقال يونس : لا والله حتّى أسمع ذلك منه ، وكانت فيه عجلة ، فخرج فاتّبعته ، فلمّا انتهيت إلى الباب سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : « الأمر كما قال لك فيض » ، قال : سمعت وأطعت .

الرابع عشر : ليث بن البَختريّ

المشهور بأبي بصير المراديّ ، قال القاضي نور الله في ترجمته في (المجالس) : جاء في كتاب (الخلاصة) أنّ كنيته ؛ أبو بصير أبو محمّد ، وكان من رواة الإمامين الهمامين محمّد بن عليّ الباقر وجعفر بن محمّد الصادق (عليهما السلام) ، وقال الباقر (عليه السلام) في حقّه : « وبشّر المخبتين بالجنّة ، ومنهم ليث » .

وجاء في (الخلاصة) من مختارات الكشّي جميل بن درّاج أنّه قال : سمعت الإمام جعفر (عليه السلام) قال :

« بشّر المخبتين بالجنّة : بُريد بن معاوية العجليّ ، وأبو بصير ليث بن البختريّ المراديّ ، ومحمّد بن مسلم ، وزرارة ، أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه ، لولا هؤلاء لانقطعت آثار النبوّة واندرست » .

وجاء في كتاب الكشّي أيضاً أنّ أبا بصير أحد من أجمع الإماميّة على تصديقه ، وأقرّوا بفقاهته .

وروى عن أبي بصير قال : قدمت إلى الإمام جعفر (عليه السلام) فسألني : هل شهدت موت علياء بن درّاع الأسديّ ؟ قلت : نعم ، وقد أخبرني أنّك ضمنت له الجنّة ، وطلب منّي تذكيرك بهذا ، قال : نعم ، فبكيت وقلت : جعلت فداك ، ما الذي بدر من تقصيري كي لا أفوز بتلك العناية ، سوى أنّي صرت شيخاً ضرير البصر منقطعاً إليكم ؟ فقال (عليه السلام) : لقد ضمنت لك الجنّة ، قلت : أحبّ أيضاً أن تضمن لي على آبائك العظام الجنّة ، وسمّيتهم واحداً فواحداً ، قال : قد فعلت ، ثم قلت : أريد أن يضمنها لي على الله جلّ وعلا ، فحوّل رأسه المبارك لحظة قال بعدها : قد فعلت هذا أيضاً .

يقول المؤلّف : يروي الشيخ الكشّي عن شعيب العَقَرْقوفيّ أنّه قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ربّما احتجنا إلى السؤال عن بعض المسائل ، فمن نسأل ؟ قال : عليكم بالأسديّ يعني أبا بصير .

قال شيخنا في (خاتمة المستدرك) : المراد بأبي بصير : أبو محمّد يحيى بن القاسم الأسديّ بقرينة قائد ، يعني (عصاكش) ، أو عليّ بن أبي حمزة ، الذي صرّح العلماء بكونه راوي كتابه ، وأبو بصير هذا ثقة ، كما في (رجال الشيخ) و(الخلاصة) ، والعقرقوفيّ ابن أخت أبي بصير المذكور .

الخامس عشر : محمّد بن عليّ بن النعمان الكوفيّ

يكنّي بأبي جعفر ، ويعرف بمؤمن الطاق ، وبالأحول أيضاً ، ويدعوه خصومه بشيطان الطاق ، كان عنده دكان في موضع يعرف بطاف المحامل ، وقد ظهرت في أيّامه نقود مزيّفة لا يمكن معرفتها ، ذلك أنّ التزييف في باطنها وليس في ظاهرها ، فإذا أمسك هو بها كشف زيفها فعرفوها ، ولهذا كانوا يدعونه بشيطان الطاق ، وكان متكلّماً صنّف كتباً منها كتاب (افعل لا تفعل) ، واحتجاجه على زيد بن عليّ (عليه السلام)) ، ومحاجّته للخوارج ، ومكالماته مع أبي حنيفة ، كلّها معروفة مشهورة .

فمن ذلك ما روي أنّ أبا حنيفة قال يوماً لمؤمن الطاق : إنّكم تقولون بالرجعة ؟ قال : نعم ، قال : فأعطني الآن خمسمئة دينار أردّ هالك إذا رجعنا ، قال : فأعطني كفيلاً بأنّك ترجع إنساناً ولا ترجع قرداً ! .

وروي أنّه لّما مضى الصادق (عليه السلام) قال أبو حنيفة لمؤمن الطاق : مات إمامك ؟ قال : نعم ، أمّا إمامك فمن المنظرين إلى يوم القيامة المعلوم .

وجاء في (مجالس المؤمنين) أن أبا حنيفة كان يوماً في مجلس ، فظهر أبو جعفر متوجّهاً إليهم فقال أبو حنيفة لأصحابه : قد جاءكم الشيطان ، فسمعها أبو جعفر ، فلمّا دنا منهم تلا قوله تعالى : ﴿ إنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّاً ﴾ .

ويروى أيضاً أنّ الضحّاك ـ وكان من الخوارج ـ خرج في الكوفة ، فحكم وتسمّى بإمرة المؤمنين ، ودعاء الناس إلى نفسه ، فأتاه مؤمن الطاق ، فلمّا رآه أصحاب الضحّاك وبثوا في وجهه ، فأتوا به إلى صاحبهم ، فقال له مؤمن الطاق :

أنا رجل على بصيرة من ديني ، وسمعتك تصف العدل ، فأحببت الدخول معك ، فقال الضحّاك لأصحابه : إن دخل هذا معكم نفعكم .

ثم أقبل مؤمن الطاق على الضحّاك فقال لأصحابه : لِمَ تبرّأتم من عليّ بن أبي طالب ، واستحللتم قتله وقتاله ؟ قال : لأنّه حكّم في دين الله ، قال : وكلّ من حكّم في دين الله استحللتم قتله وقتاله والبراءة منه ؟ قال : نعم .

قال مؤمن الطاق : فأخبرني عن الدين الذي جئت أناظرك عليه لأدخل معك فيه ، إن غلبت حجّتي حجّتك ، أو حجّتك حجّتي ، من يوقف المخطىء على خطئه ، ويحكم للمصيب بصوابه ؟

فأشار الضحّاك إلى رجل من أصحابه فقال : هذا الحكم بيننا فهو عالم بالدين ، قال : وقد حكّمت هذا في الدين الذي جئت أناظرك فيه ؟ قال : نعم .

فأقبل مؤمن الطاق على أصحابه فقال : إنّ هذا صاحبكم قد حكّم في دين الله ! فشأنكم به !

فلمّا سمع أصحاب الضحّاك مقالة أبي جعفر مالوا على صاحبهم بأسيافهم حتّى هلك .

السادس عشر : محمّد بن مسلم بن رياح أبو جعفر الطحّان الثقفيّ الكوفيّ

من كبار أصحاب الباقرين (عليهما السلام) ومن حوارييهما ، وكان من المخبتين ومن أورع وأفقه الناس ، ومن وجوه الأصحاب في الكوفة ، وهو ممّن اجتمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنه ، وعلى تصديقه والانقياد له بالفقه .

وروي أنّه أقام بالمدينة أربع سنوات استفاد فيها من محضر الإمام الباقر (عليه السلام) في أحكام الدين ومعارف اليقين ، وفيها بعد أخذ الحقائق من الصادق (عليه السلام) ، وروى عنه ، وقد قال : أخذت عن الباقر (عليه السلام) ثلاثين ألف حديث ، وعن الصادق (عليه السلام) ستّة عشر ألف حديث .

وروي أنّ الثقة الجليل عبد الله بن أبي يعفور أتى الصادق (عليه السلام) فقال : لا يتيسّر لي لقياك دوماً ، وكثيراً ما يأتيني أصحابنا يسألون عن مسائل ، وليس عندنا لكل سؤال جواب ، فماذا نصنع ؟

قال : وما يمنعك عن محمّد بن مسلم ؟ فقد أخذ عن أبي ، وكان عنده وجيهاً .

وروي عن محمّد بن مسلم أنّه قال : إنّي نائم ذات ليلة على سطح إذ طرق الباب طارق فقلت : من هذا ؟ قالت : جاريتك يرحمك الله ، فأشرفت فإذا امرأة فقالت : لي بنت عروس

ضربها الطلق ، فما زالت تطلق حتّى ماتت ، والولد يتحرّك في بطنها ، ويذهب ويجيء ، فما أصنع ؟

فقلت : يا أمة الله ، سئل محمّد بن عليّ بن الحسين الباقر (عليهم السلام) عن مثل ذلك فقال : يشقّ بطن الأمّ ويستخرج الولد ، يا أمة الله ، افعلي مثل ذلك ، أنا يا أمة الله رجل في ستر ، من وجّهك إليّ ؟

قالت لي : رحمك الله ، جئت إلى أبي حنيفة صاحب الرأي فقال لي : ما عندي فيها شيء ، ولكن عليك بمحمّد بن مسلم الثقفيّ فإنّه يخبرك ، فما أفتاك به من شيء فعودي إليّ فأعلمينيه ، فقلت لها : امضي بسلامة .

قال محمّد : فلمّا كان الغد خرجت إلى المسجد وأبو حنيفة يسأل عنها أصحابه ، فتنحنحت فقال : اللهمّ غفراً ، دعنا نعش !

وروي عن زرارة رضي الله عنه أنّه قال : شهد أبو كرُيبة الأزديّ ومحمّد بن مسلم الثقفي عند شريك بشهادة وهو قاض ، ونظر في وجهيهما مليّاً ثمّ قال : جعفريّان فاطميّان ، فبكيا ! فقال لهما : ما يبكيكما ؟ فقالا :

نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بأمثالنا أن نكون من إخوانهم ، لما يرون من سخف ورعنا ، ونسبتنا إلى رجل لا يرضى بأمثالنا أن نكون من شيعته ، فإنّ تفضّل وقبلنا فله المنّ علينا والفضل قديماً فينا .

فتبسّم شريك ثمّ قال : إذا كانت الرجال فلتكن أمثالكم .

وورد أنّ محمّد بن مسلم كان رجلاً شريفاً موسراً ، فقال له الباقر (عليه السلام) : تواضع يا محمّد ، فلمّا انصرف إلى الكوفة أخذ قوسرة (ضرب من الوعاء) من تمر مع الميزان ، وجلس على باب المسجد الجامع ، وجعل ينادي عليه ، فأتاه قومه فقالوا له : فضحتنا ! فقال : إنّ مولاي أمرني بأمر فلن أخالفه ، فقالوا : أمّا إذا أبيت إلاّ أن تشتغل ببيع وشراء فاقعد في الطحّانين ، فهيّأ رحى وجملاً وجعل يطحن ، وسمّي لذلك بالطحّان ؛ توفّي سنة خمسين ومئة .

السابع عشر : معاذ بن كثير الكسائيّ الكوفيّ

من شيوخ أصحاب الصادق (عليه السلام) ومن ثقاتهم ، وهو ممّن روى النصّ على إمامة موسى بن جعفر عن أبيه صلوات الله عليهما .

وعن (التهذيب) : أنّه كان يبيع الثياب ثم ترك الكسب ، ولما سأله الصادق

(عليه السلام) عن أحواله وأعلمه ، قال : ترك الكسب من عمل الشيطان ، ومن ترك الكسب والتجارة ذهب ثلثا عقله .

ويروى أنّه لّما كان معاذ واقفاً بعرفات استكثر الحجيج ، ولما أتى الصادق (عليه السلام) قال له : ما أكثر الحجيج في الموقف ! فنظر (عليه السلام) إلى الناس وقال : « يأتي به الموج من كل مكان » . لا والله ، لا حجّ سوى لكم ، لا والله لن يقبله الله إلاّ منكم .

الثامن عشر المُعلّى بن خُنَيس

البزّاز الكوفيّ ، مولى أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) ، ويظهر من الروايات أنّه من أولياء الله ، ومن أهل الجنّة ، كان الصادق (عليه السلام) يحبّه ، وقد جعله قيّماً في ماله وعلى عياله (عليه السلام) .

وقال الشيخ الطوسيّ في كتاب (الغيبة) : إنّه من المحمودين ومن قوّام أبي عبد الله (عليه السلام) وإنّما قتله داود بن عليّ بسببه ، وكان محموداً عنده ، ومضى على منهاجه .

وروي عن أبي بصير أنه قال : لّما قتل داود بن عليّ المعلّى بن خنيس وصلبه عظم ذلك على أبي عبد الله (عليه السلام) واشتدّ عليه ، وقال له :

يا داود ، علامَ قتلت مولاي ، وقيّمي في مالي وعلى عيالي ؟ والله إنّه لأوجه عند الله منك » وقال في آخر الخبر : « أما والله لقد دخل الجنّة » .

يقول المؤلّف : يظهر من الأخبار أنّ الصادق (عليه السلام) كان في مكّة عندما قتل المعلّى ، فلمّا قدم من مكّة إلى داود بن عليّ قال له : « يا داود ، قتلت رجلاً من أهل الجنّة » ، قال : ما أنا قتلته ، قال : فمن قتله ؟ قال : قتله السيرافيّ ، وكان السيرافيّ صاحب شرطته ، فاقتصّ منه (عليه السلام) فقتله .

وبرواية عن معتّب أنّ الصادق (عليه السلام) لم يزل ليلته ساجداً وقائماً ، فسمعته في آخر الليل وهو ساجد يدعو على داود بن عليّ ، فوالله ما رفع رأسه من سجوده حتّى سمعنا الصائحة ، فقالوا : مات داود بن عليّ ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : « إنّي دعوت الله عليه بدعوة بعث الله إليه ملكاً فضرب رأسه بمرزبة انشقّت مثانته » .

وقال الشيخ الكلينيّ الشيخ الطوسيّ بسند حسن كالصحيح نقلاً عن الوليد بن صبيح : إنّ رجلاً جاء إلى أبي عبد الله (عليه السلام) يدّعي على المعلّى بن خنيس ديناً له فقال : ذهب المعلّى بحقّي ، فقال : « ذهب بحقّك الذي قتله » ، ثمّ قال للوليد : « قم إلى الرجل فاقضه من حقّه ، فإنّي أريد أن أبرّد عليه جلده (أي : أدفع عنه حرّ النار) ، وإن كان بارداً » .

وروى الكلينيّ أيضاً عن الوليد بن صبيح أنّه قال : دخلت على الصادق (عليه السلام) ذات يوم فرمى إليّ بثياب وقال : يا وليد ، ردّها إلى حالها (أي : اطوها كما كانت لأنها كانت غير مخيطة) .

قال : الوليد : فوقفت أمامه ، فقال (عليه السلام) : رحم الله المعلّى بن خنيس ، فظننت أنّه (عليه السلام) يشبّه وقوفي أمامه بوقوف المعلّى أمامه ، ثمّ قال : أفّ للدنيا فهي دار بلاء يسلّط الله فيها عدوّه على وليّه !!

كما روى الكلينيّ عن عقبة بن خالد أنّه قال :

دخلت أنا والمعلّى وعثمان بن عمران على الصادق (عليه السلام) ، فلمّا رآنا قال : مرحباً ، مرحباً بكم ، هذه وجوه تحبّنا ونحبّها ، « جعلكم الله معنا في الدنيا والآخرة » .

وروى الشيخ الكشّي أنّ المعلّى بن خنيس إذا كان يوم العيد خرج إلى الصحراء شعثاً مغبّراً في زيّ ملهوف ، فإذا صعد الخطيب المنبر مدّ يده نحو السماء ثمّ قال :

« اللهمّ هذا مقام خلفائك وأصفيائك ، ومواضع أمنائك الذين خصصتهم ، ابتزّوها . . » الخ .

التاسع عشر: هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ، أبو المنذر

عالم اشتهر بفضله وعلمه ، كان عارفاً بالأيّام والأنساب ، وهو من علماء مذهبنا .

قال : كبرت سنّي حتّى نسيت علمي ، فأتيت أبا عبد الله (عليه السلام) فسقاني العلم بكأس ما أن شربتها حتّى عاودني ما علمته .

وقد اهتمّ به الصادق (عليه السلام) وقرّبه وبشّه ، وقد صنّف كتباً كثيرة في الأنساب والفتوحات والمثالب والمقاتل وغيرها . وهو الكلبيّ النسّابة المعروف ، وكان أبوه محمّد بن السائب الكلبيّ الكوفيّ من أصحاب الباقر (عليه السلام) ، عالماً صاحب تفسير ، ونقل عن السمعانيّ قوله في ترجمته : « إنّه صاحب التفسير ، كان من أهل الكوفة وقائلاً بالرجعة ، وابنه هشام ذو نسب عالٍ ، وفي التشيّع غالٍ » .

العشرون : يونس بن ظبيان الكوفيّ

من الرواة أصحاب الصادق (عليه السلام) ، ولو عدّه الفضل بن شاذان من الكذّابين ، وقال فيه النجاشيّ : ضعيف جداً لا يُلتفت إلى رواياته ، وقال ابن الغضائري ؛ غالٍ كذّاب وضّاع للحديث ، غير أنّ شيخنا عطّر الله مرقده قال في (خاتمة المستدرك) ويدلّ

على حسن حاله واستقامته وعلوّ مقامه وعدم غلوّه أخبار كثيرة ، ثمّ ذكر هذه الأخبار ، ومن جملتها قول الصادق (عليه السلام) فيه في (جامع البزنطيّ) :

« رحمه الله وبنى له بيتاً في الجنّة ، كان والله مأموناً على الحديث » .

وكذلك تعليم الصادق (عليه السلام) إيّاه زيارة سيّد الشهداء (عليه السلام) على النحو الذي أورده الشيخ في (التهذيب) وابن قولويه في (الكامل) ، وتعليمه إيّاه أيضاً الدعاء المعروف الذي يقرأه بالنجف ، ومطلعه : « اللهمّ لا بدّ من أمرك . . » ، وهو مذكور بكامله في كتب الزيارات ، وتعليمه إيّاه أيضاً التعويذة التي تنفع في رفع ألم العين[1] ، إلى غير ذلك .

كما أنّ شيخنا ردّ الأخبار الواردة في ذمّه بتفصيل لا يتّسع له المقام ، فعلى من يطلبه الرجوع إليه ، كما مضى عند الحديث عن الفيض بن المختار كلام يتعلّق به .

تذييل : يقول المؤلّف : رأيت من المناسب أن أورد الرواية الآتية ، مذيّلاً بها الحديث عن أحوال أصحاب الصادق (عليه السلام) ومختتماً بها هذا الباب :

كان للصادق (عليه السلام) غلام يرافقه كلّما ركب إلى المسجد ، فإذا نزل (عليه السلام) عن بغلته ودخل المسجد كان الغلام يهتّم بالبغلة حتّى خروج الإمام (عليه السلام) من المسجد .

وذات يوم ، والغلام عند باب المسجد كعادته ظهر جماعة من أهل خراسان ، واتّجه أحدهم إلى الغلام فقال له : اتحبّ أن تستأذن سيّدك الإمام الصادق (عليه السلام) في أن يحلّني محلّك في خدمته ، على أن أهبك كلّ ما أملك ، وإنّ ما أملكه لكثير ؟

قال الغلام : نعم ، سأسأل سيّديّ أولاً .

ثمّ أتى الإمام (عليه السلام) فقال : جعلت فداك ، إنّ خدمتي لك هي ما تعلم ، فإذا اختار الله لي شيئاً ، هل أنت مانعي منه ؟

قال (عليه السلام) : لا ، لن أمنعك شيئاً من عندي أو من عند غيري .

فقص الغلام عليه قصّة الخراسانيّ ، فقال له : إن كنت راغباً عنّا ، ويرغب الآخر في ذلك فقد قبلناه وأطلقناك .

فلمّا أقبل الغلام لينصرف قال له (عليه السلام) : لقد خدمتنا طويلاً ، ولذا فسأسدي

(١) هذه التعويذة تجدها في (الباقيات الصالحات) أما ذينك الدعاء والزيارة فقد ذكرناهما في (المفاتيح) .

إليك نصيحة ، ولك بعدها أن تختار ما تريد :

اعلم أنّـه إذا كانت القيـامة تعلّق رسـول الله (صلّى الله عليـه وآله) بنـور الله تعـالى ، وتعلّق أمـير المؤمنين (عليـه السـلام) بـرسـول الله ، وتعلّق الأئمّـة (عليهم السـلام) بـأمـير المؤمنين ، وتعلّق شيعتنا بنا ، فدخلوا مدخلنا ، ووردوا موردنا .

فلمّا سمـع الغلام ذلـك قال : لن أذهب عنكم ، وسـأبقى معكم ، وإنّي أختار الآخـرة على الدنيا ، ثمّ خرج إلى الرجل .

قال الخراسانيّ : أيّها الغلام ، أراك رحت عن الصادق (عليه السلام) بوجه غـير الذي غدوت إليه به ، فما الخبر ؟

فروى له الغلام كلام الصادق (عليه السلام) ، ثم رافقه إليه ، فتقبّل (عليه السلام) ولاء الرجل ، وأمر بإعطاء الغلام ألف دينار .

أقول أنا الفقير عبّاس القمّي له (عليه السلام) :

يا سيّدي ، ما أن عرفتك حتّى رأيتني أقف ببابك ، فلحمي وجلدي من نعمك ، فأرجو رجاء الواثق وآمل أمل الصـادق أن تحفظني في آخـر عمري هـذا ، وأن لا تبعدني عن بـابك ، وإنّي بلسان الذل والافتقار الدائم إليك أقول :

عـن حـماكـم كـيـف أنـصـرفُ   وهـواكـم لي بـه شرف
سـيّـدي لا عـشـت يـوم أرى   في سـوى أبـوابـكـم أقـف





الباب التاسع

في تاريخ الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

وفيه سبعة فصول



الفصل الأول

في ولادة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) واسمه وألقابه وكناه

ولد (عليه السلام) بالأبواء ، منزل بين مكّة والمدينة ، يوم الأحد لسبع خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومئة من الهجرة .

اسمه : موسى ، وكناه المشهورة : أبو الحسن ، وأبو إبراهيم ، وألقابه : الكاظم والصابر والصالح والأمين ، ولقبه الذي اشتهر به هو الكاظم ويعني : الساكت والكاظم الغيظ عمّا لقيه من الظالمين تجاوزه عنهم ، حتى لقد كانوا يأتونه خفية أيّام حبسه المتواصل فلا يسمعون منه كلمة غضب .

قال ابن الأثير ـ وهو من متعصّبي أهل السنّة ـ : إنّه لقّب بالكاظم لأنه كان يجازي المسيء بإحسانه إليه ، وكانت تلك عادة له ، كان أصحابه يدعونه حيناً بالعبد الصالح تقيّة ، وحيناً يدعونه بالفقيه والعالم وغير ذلك ، ويعرف عند الناس بباب الحوائج ، والتوسّل به ـ لشفاء الأمراض ورفع ما ظهر منها وما بطن ، ودفع آلام الجوارح وخاصة في العينين ـ مجرّب .

وكان نقش خاتمة : « حسبيَ الله » ، وبرواية أخرى : « الملك لله وحده » .

أمّه (عليه السلام) حميدة المصفّاة ، وكانت من أشراف الأعاجم ، وقال الصادق (عليه السلام) فيها : « حميدة مصفّاة من الأدناس كسبيكة الذهب ، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أُدّيت إليّ كرامة من الله وللحجّة من بعدي » .

وروى الشيخ الكلينيّ والقطب الراونديّ وآخرون عن ابن عكاشة أنّه دخل على أبي جعفر (عليه السلام) فكان أبو عبد الله (عليه السلام) قائماً عنده ، فقدّم إليه عنباً وأكرمه ، وأثناء الحديث قال لأبي جعفر (عليه السلام) : لأيّ شيء لا تزوّج أبا عبد الله

(عليه السلام) فقد أدرك التزويج ؟ وكان بين يديه صرّة مختومة ، فقال : سيجيء نخّاس من أهل بربر ، ينزل دار ميمون ، فنشتري بهذه الصرّة منه جارية .

قال الراوي : فدخلنا على أبي جعفر (عليه السلام) يوماً فقال : ألا أخبركم عن النخّاس الذي ذكرته لكم ؟ قد قدم ، فاذهبوا واشتروا بهذه الصرّة جارية .

فأتينا النخّاس فقال : قد بعت ما كان عندي إلّا جاريتين مريضتين ، إحداهما أمثل من الأخرى ، قلنا : فأخرجهما حتّى ننظر إليهما ، فأخرجهما فقلنا : بكم تبيع هذه الجارية المتماثلة ؟ قال ؛ بسبعين ديناراً ، قلنا ؛ أحسِن ، قال : لا أنقص من سبعين ديناراً ، فقلنا ؛ نشتريها منك بهذه الصرّة ما بلغت ، وكان عنده رجل أبيض الرأس واللحية فقال : فكّوا الخاتم وزنوا ، فقال النخّاس : لا تفكّوا ، فإنّها إن نقصت حبّة من السبعين لم أبايعكم ، قال الشيخ : زنوا ، ففككنا ووزنّا الدنانير فإذ هي سبعون ديناراً لا تزيد ولا تنقص ، فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر (عليه السلام) وجعفر (عليه السلام) قائم عنده ، فأخبرنا أبا جعفر (عليه السلام) بما كان ، فحمد الله ، ثم قال لها : ما اسمك ؟ قالت : حميدة ، فقال : حميدة في الدنيا ومحمودة في الآخرة .

يقول المؤلّف : يظهر من بعض المرويّات أنّ هذه السيّدة كانت على قدر من الفقاهة والعلم بالأحكام والمسائل ، حتى أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) كان يأمر النساء بأخذ الأحكام منها .

ويروي الشيخ الكليني والصفّار وآخرون عن أبي بصير أنّه قال :

كنت مع أبي عبد الله (عليه السلام) في السنة التي ولد فيها ابنه موسى (عليه السلام) ، فلمّا نزلنا الأبواء وضع لنا أبو عبد الله (عليه السلام) الغداء وأكثره وأطابه ، فبينا نحن نتغدّى إذ أتاه رسول حميدة : أن الطلق قد ضربني ، وقد أمرتني أن لا أسبقك بابنك هذا . (لأنه ليس كغيره من الأبناء) .

فقام أبو عبد الله فرحاً مسروراً ، فلم يلبث أن عاد إلينا حاسراً عن ذراعيه ضاحكاً سنّه ، فقلنا : أضحك الله سنّك ، وأقرّ عينك ، ما صنعت حميدة ؟ فقال : وهب الله لي غلاماً ، وهو خير من برأ الله ، ولقد خبّرتني عنه بأمر كنت أعلم به منها ، قلت : جعلت فداك ، وما خبّرتك عنه حميدة ؟ قال : ذكرت أنّه لمّا وقع من بطنها وقع واضعاً يديه على الأرض ، رافعاً رأسه إلى السماء ، فأخبرتها أنّ تلك أمارة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأمارة الإمام من بعده .

وروى الشيخ البرقيّ عن منهال القصّاب أنّه قال :

خرجت من مكّة وأنا أريد المدينة ، فمررت بالأبواء وقد ولد لأبي عبد الله (عليه السلام) ، فسبقته إلى المدينة ، ودخل بعدي بيوم فأطعم الناس ثلاثاً ، فكنت آكل في من يأكل ، فما آكل شيئاً إلى الغد ، حتّى أعود فآكل ، فمكثت بذلك ثلاثاً أطعم حتى أرتفق[1] ، ثم لا أطعم شيئاً إلى الغد .

وروي أنّه قيل لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) : ما بلغ بك من حبّك ابنك موسى (عليه السلام) ؟ فقال : وددت أن ليس لي ولد غيره حتّى لا يشاركه في حبّي له أحد .

وروى الشيخ المفيد عن يعقوب السراج أنّه قال : دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى (عليه السلام) وهو في المهد ، فجعل يسارّه طويلاً ، فجلست حتى فرغ ، فقمت إليه ، فقال : ادن إلى مولاك فسلّم عليه ، فدنوت منه فسلّمت عليه ، فردّ عليّ بلسان فصيح ثمّ قال لي : اذهب فغيّر اسم ابنتك التي سمّيتها أمس ، فإنّه اسم يبغضه الله .

وكانت ولدت لي بنت فسمّيتها بالحميراء ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : انته إلى أمره ترشد ، فغيّرت اسمها .



(١) ارتفق : اتّكأ على مرفق يده أو على مخدّة ، كناية عن امتلائه .

الفصل الثاني

في طرف من مكارم أخلاق الإمام الكاظم (عليه السلام)

قال كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعيّ في حقّه (عليه السلام) :

هو إمام كبير القدر ، عظيم الشأن ، كثير التهجّد ، جادّ في الاجتهاد ، مشهور بالعبادة ، مواظب على الطاعات ، مشهود بالكرامات ، يبيت الليل ساجداً وقائماً ، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً ، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً ، كان يجازي المسيء بإحسانه إليه ، ويقابل الجاني عليه بعفوه عنه ، ولكثرة عباداته كان يسمّى بالعبد الصالح ، ويعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله ، لنجح المتوسّلين إلى الله تعالى به ، كراماته تحار منها العقول ، وتقضي بأنّ له عند الله تعالى قدم صدق لا تزلّ ولا تزول . انتهى .

وإجمالاً فقد كان أبو الحسن موسى (عليه السلام) أعبد أهل زمانه وأفقههم ، وأسخاهم كفّاً ، واكرمهم نفساً ، وروي أنّه كان يصلّي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ، ثمّ يعقّب حتى تطلع الشمس ، ويخرّ ساجداً لله فلا يرفع رأسه من السجود والتحميد حتّى يقرب زوال الشمس ، وكان يدعو كثيراً فيقول : « اللهمّ إنّي أسألك الراحة عند الموت ، والعفو عند الحساب » ، ويكرّر ذلك ؛ وكان من دعائه أيضاً : « عظم الذنب من عبدك ، فليحسن العفو من عندك » .

وكان يبكي من خشية الله حتّى تخضلّ لحيته بالدموع ، وكان أوصل الناس لأهله ورحمه ، وكان يتفقّد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين والوَرَق[1] ، والأدقّة والتمور فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أيّ جهة هو ، وكان كريماً أعتق ألف مملوك .

وقال أبو الفرج : كان موسى بن جعفر (عليهما السلام) إذا بلغه عن الرجل ما يكره

---

(١) أي : الدراهم والفضّة .

بعث إليه بصرّة دنانير ، وكانت صراره ما بين الثلاثمئة إلى المئتين ، ويضرب بها المثل .

وقد روى الناس عنه وأكثروا ، وكان أفقه أهل زمانه ، وأحفظهم لكتاب الله ، وأحسنهم صوتاً بالقرآن ، وكان إذا قرأه يحزن ويبكي السامعون بتلاوته ، وكان الناس بالمدينة يسمّونه زين المجتهدين ، وسمّي الكاظم لما كظمه من الغيظ وصبر عليه من فعل الظالمين ، حتّى مضى قتيلاً في حبسهم ووثاقهم ، وكان يقول : إنّي أستغفر الله في كلّ يوم خمسة آلاف مرّة .

شهادة الخطيب البغداديّ بشدّة عبادته (عليه السلام)

وروي عن الخطيب البغداديّ ، وهو من أعاظم أهل السنّة وثقات المؤرّخين وقدمائهم أنّه قال : كان موسى (عليه السلام) يدعى العبد الصالح من شدّة عبادته واجتهاده .

وقال : روي أنّه دخل مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فسجد سجدة في أوّل الليل فسمع وهو يقول :

« عظم الذنب من عبدك ، فليحسن العفو من عندك » ، فجعل يردّدها حتّى أصبح .

وفي خبر عن المأمون يصف فيه موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، ويذكر وروده على أبيه الرشيد بالمدينة يقول : إذ دخل شيخ مسخّد[1] قد أنهكته العبادة ، كأنّه شنّ بالٍ ، قد كلم السجود وجهه وأنفه .

وقيل في الصلاة عليه ووصفه (عليه السلام) : حليف السجدة الطويلة والدموع الغزيرة .

يقول المؤلّف : من المناسب إيراد نبذ من مناقبه ومفاخره (عليه السلام) :

أوّلاً : في سجداته وعباداته (عليه السلام) ليله ونهاره

روى الشيخ الصدّوق عن عبد الله القزوينيّ أنه قال :

دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح ، فقال لي : أشرف على هذا البيت وانظر ما ترى ، فقلت : ثوباً مطروحاً ، فقال : انظر حسناً ، فتأمّلت فقلت ؛ رجلاً ساجداً ، فقال لي : تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هذا مولاك ، قلت : ومن مولاي ؟ فقال : تتجاهل عليّ ؟ قلت : ما أتجاهل ولكنّي لا أعرف لي مولى ، فقال : هذا أبو الحسن موسى بن جعفر ، إنّي أتفقّده الليل والنهار ، فلم أجده في وقت من الأوقات إلاّ على الحال التي أخبرك بها ، إنّه

---

(١) المسخّد : المصفّر الثقيل المتورّم .

يصلّي الفجر ، فيعقّب إلى أن تطلع الشمس ، ثمّ يسجد سجدة ، فلا يزال ساجداً حتّى تزول الشمس ، وقد وكّل من يترصّد له الزوال ، فإذا أخبره وثب يصلّي من غير تجديد وضوء ، فأعلم أنّه لم ينم في سجوده ولا أغفى ، فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر ، فإذا صلّى العصر سجد سجدة ، فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس ، فإذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلّى المغرب من غير أن يحدث حدثاً ، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلّي العتمة[1] فإذا صلّى العتمة أفطر على شواء يؤتى به ، ثمّ يجدّد الوضوء ، ثمّ يسجد ، ثم يرفع رأسه فينام نومة خفيفة ، ثمّ يقوم فيجدد الوضوء ثمّ يقوم فلا يزال يصلّي في جوف الليل حتى يطلع الفجر ، فإذا هو قد وثب لصلاة الفجر ، فهذا دأبه منذ حُوّل إليّ .

فقلت : اتّق الله ولا تحدّثنّ في أمره حدثاً يكون منه زوال النعمة ، فقد تعلم أنّه لم يفعل أحد بأحد منهم سوءً إلاّ كانت نعمته زائلة ، فقال : قد أرسلوا إليّ في غير مرّة يأمرونني بقتله فلم أجبهم إلى ذلك ، وأعلمتهم أنّي لا أفعل ذلك ، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني .

ثانياً : دعاؤه (عليه السلام) للخلاص من الحبس

وروي عن ماجيلويه ، عن عليّ بن إبراهيم ، وعن أبيه أنّه قال :

سمعت رجلاً من أصحابنا يقول : لمّا حبس الرشيد موسى بن جعفر (عليهما السلام) جنّ عليه الليل ، فخاف ناحية هارون أن يقتله ، فجدّد موسى (عليه السلام) طهارته ، واستقبل بوجهه القبلة ، وصلّى لله عزّ وجلّ أربع ركعات ، ثمّ دعا بهذه الدعوات فقال :

« يا سيّدي نجني من حبس هارون وخلّصني من يده ، يا مخلّص الشجر من بين رمل وطين وماء ، ويا مخلّص اللبن من بين فرث ودم ، ويا مخلّص الولد من بين مشيمة ورحم ، ويا مخلّص النار من بين الحديد والحجر ، ويا مخلّص الروح من بين الأحشاء والأمعاء خلّصني من يدي هارون » .

قال : فلمّا دعا موسى بهذه الدعوات أتى هارون رجل أسود في منامه وبيده سيف قد سلّه ، فوقف على رأس هارون وهو يقول : يا هارون ، أطلق عن موسى بن جعفر وإلاّ ضربت علاوتك بسيفي هذا ، فخاف هارون من هيبته ؛ ثم دعا الحاجب فقال له هارون : اذهب إلى السجن فأطلق عن موسى بن جعفر .

قال : فخرج الحاجب فقرع باب السجن ، فأجابه صاحب السجن : من ذا ؟ قال :

---

(١) العتمة : كناية عن صلاة العشاء .

إنّ الخليفة يدعو موسى بن جعفر ، فأخرجه من سجنك وأطلق عنه ، فصاح السجّان : يا موسى ، إنّ الخليفة يدعوك .

فقام موسى (عليه السلام) مذعوراً فزعاً وهو يقول : لا يدعوني في جوف هذا الليل إلاّ لشرّ يريد بي ، فقام باكياً حزيناً مغموماً آيساً من حياته ، فجاء إلى هارون وهو ترتعد فرائصه ، فقال : سلام على هارون ، فردّ عليه السلام ، ثمّ قال له : ناشدتك بالله ، هل دعوت في جوف هذه الليلة بدعوات ؟ فقال : نعم ، قال : وما هنّ ؟ قال : جدّدت طهوراً ، وصلّيت لله عزّ وجلّ أربع ركعات ، ورفعت طرفي إلى السماء وقلت : يا سيّدي ، خلّصني من يد هارون وشرّه ، فقال هارون ؛ قد استجاب الله دعوتك .

ثمّ دعا بخلع فخلع عليه ثلاثاً ، وحمله على فرسه ، وأكرمه وصيّره نديماً لنفسه ، ثمّ قال : هات الكلمات ، فعلّمه ، فأطلق عنه وسلّمه إلى الحاجب ليسلّمه إلى الدار .

فصار موسى بن جعفر (عليهما السلام) كريماً شريفاً عند هارون ، وكان يدخل عليه في كلّ خميس ، إلى أن حبسه الثانية ، فلم يطلق عنه حتّى سلّمه إلى السنديّ بن شاهك ، وقتله بالسمّ .

ثالثاً : في تعبّد جارية لهارون ببركته (عليه السلام)

روي أنّ هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر (عليهما السلام) جارية حصيفة لها جمال ووضاءة لتخدمه في السجن ، ويبدوا أنّه كان يرمي إلى أن يميل إليها (عليه السلام) فيحطّ من قدره أمام الناس ، أو أن يتخّذ منها ذريعة للقضاء عليه .

ثمّ إنّ هارون أنفذ خادماً إلى السجن ليأتيه بأخبارها ، فرآها ساجدة لربّها لا ترفع رأسها ، تقول : قدّوس قدّوس ، سبحانك سبحانك سبحانك ، فأخبر الرشيد بحالها فقال : عليّ بها ، فأتى بها وهي ترتعد شاخصة نحو السماء بصرها ، فقال ما شأنك ؟ قالت : رأيت العبد الصالح هكذا . . فما زالت كذلك حتّى ماتت .

وقد أورد ابن شهر اشوب هذه الرواية بالتفصيل ، كما ذكرها العلاّمة المجلسيّ رحمة الله عليه في (جلاء العيون) .

رابعاً : في حسن خلقه (عليه السلام) مع عمريّ كان يؤذيه

روى الشيخ المفيد وآخرون أنّ رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى (عليه السلام) ويسبّه إذا رآه ، ويشتم عليّاً (عليه السلام) ، فقال له بعض حاشيته يوماً : دعنا نقتل هذا الفاجر ، فنهاهم عن ذلك أشدّ النهي وزجرهم ، وسأل عن

العمريّ فذكر أنّه يزرع بناحية من نواحي المدينة ، فركب إليه فوجده في مزرعة له ، فدخل المزرعة بحماره ، فصاح به العمريّ : لا تطأ زرعنا ، فاستمرّ في طريقه حتّى انتهى إليه ، ونزل وجلس عنده ، وباسطه وضاحكه ، وقال له : كم غرمت من زرعك هذا ؟ قال : مئة دينار قال : فكم ترجو أن تصيب منه ؟ قال : لست أعلم الغيب ، قال (عليه السلام) : إنّما قلت لك كم ترجو أن يجيئك فيه ؟ قال : أرجو أن يجيئني مئتا دينار ، فأخرج له أبو الحسن (عليه السلام) صرّة فيها ثلاثمئة دينار وقال : هذا زرعك على حاله ، والله يرزقك فيه ما ترجو .

قال : فقام العمريّ فقبّل رأسه وسأله أن يصفح عمّا فرط منه ، فتبسّم إليه أبو الحسن وانصرف .

فذهب الإمام إلى المسجد فوجد العمريّ جالساً ، فلمّا نظر إليه قال : الله أعلم حيث يجعل رسالته ؛ فوثب أصحابه إليه فقالوا له : ما قضيّتك ؟ قد كنت غير هذا ! فقال لهم : قد سمعتم ما قلت ؛ وجعل يدعو لأبي الحسن (عليه السلام) ، فخاصموه وخاصمهم .

وقال أبو الحسن لحاشيته الذين سألوه في قتل العمريّ : أيّما كان خيراً ، ما أردتم ، أم ما أردت ؟ إنّي أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم ، وكفيت به شرّه .

خامساً : في جلوسه (عليه السلام) للتهنئة يوم نوروز بأمر من المنصور

وروى ابن شهر اشوب أنّ المنصور تقدّم إلى موسى بن جعفر (عليهما السلام) بالجلوس للتهنئة في يوم النوروز ، وقبض ما يحمل إليه ، فقال (عليه السلام) : إنّي قد فتّشت الأخبار عن جدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلم أجد لهذا العيد خبراً ، وإنّه سنّة للفرس ومحاها الإسلام ومعاذ الله أن نحيي ما محاه الإسلام .

فقال المنصور : إنّما نفعل هذا سياسة للجند ، فسألتك بالله العظيم إلاّ جلست ، فجلس .

ودخلت عليه الملوك والأمراء والأجناد يهنّئونه ، ويحملون إليه الهدايا والتحف ، وعلى رأسه خادم المنصور يحصي ما يُحمل ، فدخل في آخر الناس شيخ كبير السنّ ، فقال له : يا بن رسول الله ، إنّني رجل صعلوك لا مال لي أتحفك ، ولكن أتحفك بثلاثة أبيات قالها جدّي في جدّك الحسين بن علي (عليهما السلام) ، ثمّ أنشد :

عجبت لمصقول علاك فرنده ... يوم الهياج وقد علاك غبار
ولأسهم نفذتك دون حرائر ... يدعون جدّك والدموع غزار
ألاّ تقضقضت السهام وعاقها ... عن جسمك الإجلال والإكبار

قال (عليه السلام) : قبلت هديّتك ، اجلس بارك الله فيك ، ورفع رأسه إلى الخادم وقال : امض إلى أمير المؤمنين وعرّفه بهذا المال وما يصنع به ، فمضى الخادم وعاد وهو يقول : يقول أمير المؤمنين : كلّه هبة منّي له ، يفعل به ما أراد ؛ فقال موسى (عليه السلام) للشيخ : أقبض جميع هذا المال فهو هبة مني إليك .

سادساً : في كتابته (عليه السلام) إلى والٍ يوصيه برجل مؤمن

ذكر العلّامة المجلسيّ في (البحار) في أحوال موسى بن جعفر (عليهما السلام) نقلاً عن كتاب (قضاء حقوق المؤمنين) بإسناده عن رجل من أهل الريّ قال :

ولّي علينا بعض كتّاب يحيى بن خالد وكان عليّ بقايا يطالبني بها ، وخفت من إلزامي إيّاها خروجاً عن نعمتي ، وقيل لي : إنّه ينتحل هذا المذهب ، فخفت أن أمضي إليه فلا يكون كذلك ، فأقع في ما لا أحبّ فاجتمع رأيي على أنّي هربت إلى الله تعالى وحججت ، ولقيت مولاي الصابر ، يعني موسى بن جعفر (عليهما السلام) فشكوت حالي إليه ، فأصحبني مكتوباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلم أنّ لله تحت عرشه ظلا لا يسكنه إلّا من أسدى إلى أخيه معروفاً ، أو نفّس عنه كربة ، أو أدخل على قلبه سروراً وهذا أخوك والسلام » .

قال : فعدت من الحجّ إلى بلادي ، ومضيت إلى الرجل ليلاً ، واستأذنت عليه وقلت ؛ رسول الصابر (عليه السلام) ، فخرج إليّ حافياً ماشياً ، ففتح لي بابه ، وقبّلني وضمّني إليه ، وجعل يقبّل بين عينيّ ، ويكرر ذلك ، وكلّما سألني عن رؤيته (عليه السلام) ، وكلّما أخبرته عن سلامته وصلاح أحواله استبشر وشكر الله ، ثمّ أدخلني داره ، وصدّرني في مجلسه وجلس بين يديّ ، فأخرجت إليه كتابه (عليه السلام) فقبّله قائماً وقرأه ، ثمّ استدعى بماله وثيابه فقاسمني ديناراً ديناراً ، ودرهماً درهماً ، وثوباً ثوباً ، وأعطاني قيمة ما لم يمكن قسمته ، وفي كلّ شيء من ذلك يقول : أخي ، هل سررتك ؟ فأقول : إيّ والله ، وزدت على السرور ؛ ثمّ استدعى سجلّ العمل فأسقط ما كان باسمي ، وأعطاني براءة ممّا يتوجّب عليّ منه ، وودّعته وانصرفت عنه .

وقلت : لا أقدر على مكافأة هذا الرجل إلّا بأن أحجّ في قابل وأدعو له ، وألقى الصابر (عليه السلام) وأعرّفه فعله .

ففعلت ، ولقيت مولاي الصابر (عليه السلام) وجعلت أحدّثه ووجهه تهلّل فرحاً ، فقلت : يا مولاي ، هل سرّك ذلك ؟ فقال :

إي والله ، لقد سرّني وسرّ أمير المؤمنين ، والله لقد سرّ جدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ولقد سرّ الله تعالى .

يقول المؤلّف : روى هذا الحديث الشيخ أحمد بن فهد في كتاب (عدّة الداعي) باختلاف يسير عن يقطين جدّ الحسن بن عليّ بن يقطين ، وقال : كان في الأهواز ، وذكر الصادق (عليه السلام) مكان الصابر ، وقد أشار العلاّمة المجلسيّ إلى رواية ابن فهد في كتاب (عشرة بحار) ، وقال : إنّ الرواية المرويّة عن موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، أظهر .

سابعاً : تسبّبه (عليه السلام) بتوبة بشر الحافي

ذكر العلاّمة الحليّ في (منهاج الكرامة) أنّ توبة بشر الحافي كانت على يد الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، وذلك أنّه (عليه السلام) مرّ يوماً بباب دار بشر ببغداد فسمع أصداء آلات وأصوات رقص وغناء تخرج من البيت واتّفق إذ ذاك أنّ جارية خرجت من الدار وفي يدها مكنسة طرحتها على الباب فسألها (عليه السلام) : صاحب هذه الدار حرّ أم عبد ؟ قالت : هو حرّ ، قال : حقّاً ما قلت : فلو كان عبداً لخشي من سيّده !

فلمّا رجعت سألها بشر ـ وكان على مائدة الشراب ـ عن علة تأخّرها فقصت عليه ما جرى ، فما كان من بشر إلاّ أن انطلق حافياً حتى أدرك الإمام (عليه السلام)فاعتذر وبكى وأظهر ندمه وتوبته على يديه (عليه السلام) .

يقول المؤلّف : كانت لبشر ثلاث بنات يسلكن مسلكه ويقلن بالصوفيّة كما يقول ، وكان يقال له الحافي لحفائه الدائم ، وسبب حفاه كما يظهر هو إسراعه حافياً خلف الإمام وفوزه بالسعادة العظمى .

ويقال إنّه سئل عن السر في حفاه فقال : ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطاً ﴾ ، فليس من الأدب في شيء المشي بالحذاء على بساط السلاطين ، توفّي سنة ستّ وعشرين ومئتين .

ثامناً : في اهتمامه (عليه السلام) بمساعدة شيخ مسنّ

روي عن زكريّا الأعور أنّه قال : رأيت أبا الحسن موسى (عليه السلام) وهو يصلّي ، وبجانبه رجل مسنّ يريد القيام من مكانه ، وله عصا أراد تناولها ، فانحنى (عليه السلام) رغم أنّه واقف للصلاة وناوله العصا بيده ، ثمّ عاد إلى صلاته .

يقول المؤلف : يعرف من هذه الرواية مبلغ الاهتمام بأمر المسنّ وتقديم العون له ، وتوقيره وإجلاله ، وقد روي أنّ من وقّر مسنّاً لشيبته آمنه الله من الخوف الأكبر .

وروي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قوله : « من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم » .

وروي أيضاً أن البركة في شيوخكم ، وأن الشيخ الكبير في أهله بمثابة النبيّ في أمّته .

وقال الصادق (عليه السلام) : « عظموا كباركم وصلوا أرحامكم » .

تاسعاً : في وروده (عليه السلام) على الرشيد وتوقيره له

يروي الشيخ الصدوق في (العيون) عن سفيان بن نزار أنّه قال :

كنت يوماً على رأس المأمون فقال : أتدرون من علّمني التشيّع ؟ فقال القوم جميعاً : لا والله ما نعلم ، قال : علّمنيه الرشيد ! قيل له : وكيف ذلك ، والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت ؟ قال :

كان يقتلهم على الملك ، لأنّ الملك عقيم[1] ، ولقد حججت معه سنة ، فلمّا صار إلى المدينة تقدّم إلى حجّابه وقال : لا يدخلنّ عليّ رجل من أهل المدينة ومكّة من أبناء المهاجرين والأنصار وبني هاشم وسائر بطون قريش إلاّ نسب نفسه ، فكان الرجل إذا دخل عليه قال : أنا فلان ابن فلان حتّى ينتهي إلى جدّه من هاشميّ أو قرشيّ أو مهاجري أو أنصاريّ ، فيصله بخمسة آلاف دينار وما دونها إلى مئتي دينار ، على قدر شرفه وهجرة آبائه .

فأنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع فقال : يا أمير المؤمنين ، على الباب رجل زعم أنّه موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ، فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه ، والأمين والمؤتمن وسائر القوّاد : فقال : احفظوا على أنفسكم (أي : لا تقوموا بما لا يليق) ، ثمّ قال لآذنه : ائذن له ، ولا ينزل إلاّ على بساطي .

فأنا كذلك إذ دخل شيخ مسخّد[2] قد أنهكته العبادة ، كأنّه شنّ بالٍ ، قد كلم السجود وجهه وأنفه ، فلمّا رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه ، فصاح الرشيد : لا والله ، إلاّ على بساطي ، فمنعه الحجّاب من الترجّل ، ونظرنا إليه بأجمعنا بالإجلال والإعظام ، فما زال يسير على حماره حتّى سار إلى البساط والحجّاب والقوّاد محدقون به ، فنزل مقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط ، وقبّل وجهه وعينيه ، وأخذ بيده حتّى صيّره في صدر المجلس ، وأجلسه معه فيه ، وجعل يحدّثه ويقبل بوجهه عليه ، ويسأله عن أحواله .

---

(١) يقال : « الملك عقيم » أي لا ينفع فيه نسب لأنّه يُقتل في طلبه الأبّ والأخ والعمّ والولد .

(٢) المسخّد : المصفّر الثقيل المتورّم ، وقد مضى تفسيره .

فقال : أيّها الأمير ، إنّ الله عزّ وجلّ قد فرض على ولاة عهده أن ينعشوا فقراء الأمّة ، ويقضوا عن الغارمين ، ويؤدّوا عن المثقل ، ويكسوا العاري ، ويحسنوا إلى العاني ؛ وأنت أولى من يفعل ذلك .

فقال : أفعل يا أبا الحسن ، ثمّ قام (عليه السلام) فقام الرشيد لقيامه وقبّل عينيه ووجهه ، ثمّ أقبل عليّ وعلى الأمين والمؤتمن فقال : يا عبد الله ، ويا محمّد ويا إبراهيم تقدّموا بين يدي عمّكم وسيّدكم خذوا بركابه ، وسوّوا عليه ثيابه ، وشيّعوه إلى منزله .

فأقبل أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) سرّاً بيني وبينه فبشّرني بالخلافة ، وقال لي : إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي ، ثمّ انصرفنا .

وكنت أجرأ ولد أبي عليه ، فلمّا خلا المجلس قلت : يا أمير المؤمنين ، من هذا الرّجل الذي قد عظّمته وأجللته ، وقمت من مجلسك إليه استقبلته ، وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه ، ثمّ أمرتنا بأخذ الركاب له ؟!

قال : هذا إمام الناس ، وحجّة الله على خلقه ، وخليفته على عباده .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أوليست هذه الصفات كلّها لك وفيك ؟!

فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حقّ ، والله يا بنيّ إنّه لأحقّ بمقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) منّي ومن الخلق جميعاً ، ووالله لو نازعتني الأمر لأخذت الذي فيه عيناك ، فإنّ الملك عقيم .

فلمّا أراد الرحيل من المدينة إلى مكّة أمر بصرّة سوداء فيها مئتا دينار ، ثمّ أقبل على الفضل بن الربيع فقال له : اذهب بهذه إلى موسى بن جعفر وقل له : يقول لك أمير المؤمنين : نحن في ضيقة ، وسيأتيك برّنا بعد هذا الوقت .

فقمت في صدره فقلت ؛ يا أمير المؤمنين ، تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش ، وبني هاشم ، ومن لا يعرف حسبه ولا نسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها ، وتعطي موسى بن جعفر ـ وقد أعظمته وأجللته ـ مئتي دينار ، أخسّ عطيّة أعطيتها أحداً من الناس ؟!

فقال : اسكت لا أمّ لك ، فإنّي لو أعطيت هذه ما ضمنته له ، ما كنت آمنه أن يضرب وجهه غداً بمئة ألف سيف من شيعته ومواليه ، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعْيُنِهِمْ !!

عاشراً : حديث الهنديّ وإسلام راهب وراهبة على يديه (عليه السلام)

روى الشيخ الكلينيّ عن يعقوب بن جعفر أنّه قال :

كنت عند أبي إبراهيم (عليه السلام) وأتاه رجل من أهل نجران اليمن من الرهبان ، ومعه راهبة ، فاستأذن لهما الفضل بن سوّار ، فقال له : إذا كان غداً فأت به عند بئر « أمّ خير » .

قال : فوافينا من الغد فوجدنا القوم قد وافوا ، فأمر بخصفة بواري[1] ، ثمّ جلس وجلسوا ، وبدأت الراهبة بالمسائل ، فسألت عن مسائل كثيرة ، وكلّ ذلك يجيبها ، وسألها أبو إبراهيم (عليه السلام) عن أشياء لم يكن عندها فيه شيء ، ثمّ أسلمت .

ثمّ أقبل الراهب يسأله فكان يجيبه في كلّ ما يسأله ، فقال الراهب : قد كنت قويّاً على ديني ، وما خلّفت أحداً من النصارى في الأرض يبلغ مبلغي ، في العلم ، ولقد سمعت برجل في الهند إذا شاء حجّ إلى بيت المقدس في يوم وليلة ، ثمّ يرجع إلى منزله بأرض الهند ، فسألت عنه بأيّ أرض هو ؟ فقيل لي : إنّه بسندان ، فسألت الذي أخبرني فقال : هو علم الأسم الذي ظفر به آصف صاحب سليمان لّما أتى بعرش سبأ ، وهو الذي ذكره الله لكم في كتابكم ولنا معشر الأديان في كتبنا .

فقال له أبو إبراهيم (عليه السلام) : فكم لله من اسم لا يُردّ ؟ فقال الراهب : الأسماء كثيرة ، فأمّا المحتوم منها الذي لا يردّ سائله فسبعة ، فقال له أبو الحسن (عليه السلام) : فأخبرني عمّا تحفظ منها ، فقال الراهب : لا والله الذي أنزل التوراة على موسى ، وجعل عيسى عبرة للعالمين وفتنة لشكر أولي الألباب ، وجعل محمّد بركة ورحمة ، وجعل عليّاً (عليه السلام) عبرة وبصيرة ، وجعل الأوصياء من نسله ونسل محمّد (صلّى الله عليه وآله) ما أدري ، ولو دريت ما احتجت فيه إلى كلامك ، ولا جئتك ولا سألتك .

فقال له أبو إبراهيم (عليه السلام) : عد إلى حديث الهنديّ .

فقال له الراهب : سمعت بهذه الأسماء ولا أدري ما بطائنها ولا شرائحها ، ولا أدري ما هي ، ولا كلا كيف هي ، ولا بدعائها ؛ فانطلقت حتّى قدمت سندان الهند ، فسألت عن الرجل فقتل لي : إنّه بنى ديراً في جبل ، فصار لا يخرج ولا يرى إلاّ في كلّ سنة مرّتين ، وزعمت الهند أنّ الله تعالى فجرّ له عيناً في ديره ، وزعمت الهند أنّه يُزرع له من غير زرع يلقيه ، ويُحرث له من غير حرث يعمله ؛ فانتهيت إلى بابه ، فأقمت ثلاثاً لا أدقّ الباب ، ولا أعالج الباب ، فلمّا كان اليوم الرابع فتح الله الباب .

وجاءت بقرة عليها حطب تجرّ ضرعها ، يكاد يخرج ما في ضرعها من اللبن ، فدفعت

---

(١) حصير مصنوع من القصب .

الباب فانفتح ، فتبعتها ودخلت ، فوجدت الرجل قائماً ينظر إلى السماء فيبكي ، وينظر إلى الأرض فيبكي ، وينظر إلى الجبال فيبكي ؛ فقلت : سبحان الله ، ما أقلّ ضربك[١] في دهرنا هذا ، فقال لي : والله ما أنا إلاّ حسنة من حسنات رجل خلّفته وراء ظهرك !

فقلت له : أُخبرت أنّ عندك اسماً من أسماء الله تعالى تبلغ به في كلّ يوم وليلة بيت المقدس ، وترجع إلى بيتك ، فقال لي : فهل تعرف البيت المقدّس ؟ فقلت : لا أعرف إلاّ بيت المقدس الذي بالشام ، فقال ليس بيت المقدس ، ولكنّه البيت المقدّس وهو بيت آل محمّد ، فقلت له : أمّا ما سمعت به إلى يومي هذا فهو بيت المقدس .

فقال لي : تلك محاريب الأنبياء ، وإنّما كان يقال لها : حظيرة المحاريب ، حتّى جاءت الفترة التي كانت بين محمّد وعيسى صلّى الله عليهما ، وقرب البلاء من أهل الشرك ، وحلّت النقمات في دور الشياطين ، وجَلَت النغمات (أي : ارتفعت الأصوات التي كانت ساكنة في دور الشياطين وهي البدع الباطلة ، في مدارس ومجالس أهل الضلالة) ، فحوّلوا وبدّلوا ، ونقلوا تلك الأسماء ، وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إن هي إلاّ أسماءٌ سمّيتموها أنتم وآباؤكم ، ما أنزل الله بها من سلطان** ﴾ ، فالبطن لآل محمّد ، والظهر مَثَل .

فقلت له : إنّي قد ضربت إليك من بلد بعيد ، تعرّضت إليك بحاراً وغموماً وهموماً وخوفاً ، وأصبحت وأمسيت مؤيساً ألاّ أكون ظفرت بحاجتي .

فقال لي : ما أرى أمّك حملت بك إلاّ وقد حضرها ملك كريم ، ولا أعلم أنّ أباك حين أراد الوقوع بأمّك إلاّ وقد اغتسل وجاءها على طهر ؛ ولا أزعم إلاّ أنّه كان دَرَسَ السفر الرابع (من التوراة) من سحره ذلك ، فختم له بخير ، ارجع من حيث جئت ، فانطلق حتّى تنزل مدينة محمّد (صلّى الله عليه وآله) التي يقال لها « طيبة » ، وقد كان اسمها في الجاهليّة « يثرب » ، ثمّ اعمد إلى موضع منها يقال له « البقيع » ، ثمّ سل عن دار يقال لها دار مروان فانزلها ، وأقم ثلاثاً ، ثم سل الشيخ الأسود الذي يكون على بابها يعمل البواريّ[٢] ، وهي في بلادهم اسمها الخصف ، فتلطّف بالشيخ وقل له : بعثني إليك نزيلك الذي كان ينزل في الزاوية في البيت الذي فيه الخشبيات الأربع ، ثمّ سله عن فلان الفلانيّ ، وسله أين ناديه ، وسله أيّ ساعة يمرّ فيها ، فَلْيُرِكَهُ أو يصفه لك فتعرفه بالصفة ، وسأصفه لك .

قلت : فإذا لقيته فأصنع ماذا ؟ فقال : سله عمّا كان وعمّا هو كائن ، وسله عن معالم دين من مضى ومن بقي .

---

(١) الضرب : المِثل .

(٢) البواري : مضى تفسيرها .

فقال له أبو إبراهيم (عليه السلام) : قد نصحك صاحبك الذي لقيت ، فقال الراهب : ما اسمه جعلت فداك ؟ قال : هو متمّم بن فيروز ، وهو من أبناء الفرس ، وهو ممّن آمن بالله وحده لا شريك له ، وعبده بالإخلاص والإيقان ، وفرّ من خوفه لمّا خالفهم فوهب له ربّه حكماً ، وهداه لسبيل الرشاد ، وجعله من المتّقين ، وعرّف بينه وبين عباده المخلصين ، وما من سنة إلّا وهو يزور فيها مكة حاجّاً ، ويعتمر في رأس كلّ شهر مرّة ، ويجيء من موضعه من الهند إلى مكّة فضلاً من الله وعوناً ، وكذلك نجزي الشاكرين .

ثم سأله الراهب عن مسائل كثيرة ، كلّ ذلك يجيبه فيها ، وسأل الراهبَ عن أشياء لم يكن عند الراهب فيها شيء ، فأخبره بها .

ثمّ إنّ الراهب قال : أخبرني عن ثمانية أحرف نزلت فتبيّن في الأرض منها أربعة ، وبقي في الهواء منها أربعة ، على من نزلت تلك الأربعة التي في الهواء ، ومن يفسّرها ؟

قال : ذلك قائمنا ، فينزله الله عليه فيفسّره ، وينزّل عليه ما لم ينزّل على الصدّيقين والرسل والمهتدين .

ثمّ قال الراهب : فأخبرني عن الاثنين من تلك الأحرف الأربعة التي في الأرض ، ما هي ؟

قال : أخبرك بالأربعة كلّها ، أمّا أولاهنّ : فـ « لا إله إلّا الله وحده لا شريك له باقياً » ، والثانية : « محمّد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مخلصاً » ، والثالثة : « نحن أهل البيت ، والرابعة : « شيعتنا منّا ، ونحن من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ورسول الله من الله بسبب » .

فقال له الراهب : « أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، وأنّ ما جاء به من عند الله حقّ ، وأنّكم صفوة الله من خلقه ، وأنّ شيعتكم المطهّرون المستذلّون ولهم عاقبة الله ، والحمد لله ربّ العالمين » .

فدعا أبو إبراهيم (عليه السلام) بجبّة خزّ وقميص قوهيّ وطيلسان وخفّ وقلنسوة فأعطاها إيّاه ، وصلّى الظهر ، وقال له : اختتن ، فقال : قد اختتنت في سابعي .

يقول المؤلّف : قال الفاضل النبيل الملاّ خليل في (شرح الكافي) في شرح كلام الراهب إذ قال : « فأمّا المحتوم منها الذي لا يردّ سائله فسبعة » ، وقال :

المراد بالأسماء السبعة ، والأئمة السبعة وهم : عليّ ، والحسن ، والحسين ، وعليّ ، ومحمّد ، وجعفر ، وموسى (عليهم السلام) ، إنّما في هذا الزمان فهي اثنا عشر ، وقد جاء في

كتاب (التوحيد) في الحديث الرابع الباب الثالث والعشرين :

« نحن والله الأسماء الحسنى التي لا تصل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا » .

أقول : كان يحسن القول : إنّ المراد بالأسماء السبعة المعصومون (عليهم السلام جميعهم) ، ذلك أن أسماءهم المباركة هي سبعة لا تعدوها ، وهي : محمّد وعلي وفاطمة ، والحسن والحسين ، وجعفر وموسى (عليهم السلام) ، وعلى هذا جرى تأويل السبع المثاني ، في قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ .

وأمّا معنى الآية الشريفة : ﴿ إن هي إلّا أسماءٌ سمّيتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ ، وبطنها وظهرها والآية في سورة النجم ، وجاء قبلها : ﴿ أفرأيتم اللات والعزّى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى * إن هي إلّا أسماء . . ﴾ الآية .

وحاصل المعنى : أنّه كان للمشركين أصنام ثلاثة أعطوها أسماء ، فأوّلها : اللات ، والثاني : العزّى ، والثالث : مناة ، وإطلاق هذه الأسماء عليها كان باعتبار أنّ اللات يستحقّ الإقامة عنده للعبادة ، والعزّى أنّه معزّز مكرم ، ومناة يستحقّ أن تراق دماء القرابين عنده ، فيقول تعالى : ليست هذه الأصنام التي اتّخذتم منها آلهة لكم سوى أسماء دون مسمّيات وضعتموها لها أنتم وآباؤكم ، ولم يبعث الله على صدقها برهاناً .

وتتمّة الآية : ﴿ . . إنّ يتّبعون إلّا الظنّ وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربّهم الهدى ﴾ .

وقد أصبح معلوماً أنّ ظاهر الآية جاء في الأصنام الظاهرة ، أمّا باطنها ففي خلفاء الجور ، إذا وضعوا لهم أسماء دون مسمّيات ، وألقاباً دون حقّ ، كلقب أمير المؤمنين ، والذي كان لقباً سماويّاً لأمير الولاية فحوّلوه عن وجهه الصحيح وهكذا .

* * *

الفصل الثالث

في طرف من دلائل الامام الكاظم (عليه السلام) ومعجزاته

الأولى : إخباره (عليه السلام) بما في ضمير هشام بن سالم

روى الشيخ الكشّي عن هشام بن سالم أنّه قال :

كنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله (عليه السلام) أنا وأبو جعفر مؤمن الطاق ، والناس مجتمعون على أن عبد الله صاحب الأمر بعد أبيه ، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق والناس مجتمعون عنده وذلك أنّهم رووا عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّ الأمر في الكبير ما لم يكن به عاهة .

فدخلنا نسأله عمّا كنّا نسأل عنه أباه ، فسألناه عن الزكاة في كم تجب ؟ قال : في مئتين خمسة ، قلنا : ففي مئة ؟ قال : درهمان ونصف ؛ قلنا له : والله ما تقول المرجئة هذا ، فرفع يديه إلى السماء وقال : لا والله ما أدري ما تقول المرجئة .

قال : فخرجنا من عنده ضلّالاً لا ندري إلى أين نتوجّه أنا وأبو جعفر الأحول ، فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكيين حائرين لا ندري إلى من نقصد ، وإلى من نتوّجه ، نقول : إلى المرجئة ، إلى القدريّة ، إلى الزيديّة ، إلى المعتزلة ، إلى الخوارج ؟!

قال : فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومىء إليّ بيده ، فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر (المنصور) ، وذلك أنّه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون من اتّفق من شيعة جعفر (عليه السلام) فيضربون عنقه ، فخفت أن يكون منهم .

فقلت لأبي جعفر : تنحّ فإنّي خائف على نفسي وعليك ، وإنّما يريدني ليس يريدك ، فتنحّ عنّي لا تهلك وتعين على نفسك ، فتنحّى غير بعيد ، وتبعت الشيخ ، وذلك أنّي ظننت أنّي لا أقدر على التخلّص منه ، فما زلت أتبعه حتّى ورد بي على باب أبي الحسن موسى

(عليه السلام) ، ثم خلاّني ومضى ، فإذا خادم (بالباب ، فقال لي : ادخل رحمك الله .

فدخلت فإذا أبو الحسن (عليه السلام) ، فقال لي ابتداءً : لا إلى المرجئة ، ولا إلى القدريّة ، ولا إلى الزيديّة ، ولا إلى المعتزلة ، ولا إلى الخوارج ، إليّ إليّ إليّ .

قال : فقلت له : جعلت فداك ، مضى أبوك ؟ قال : نعم ، قلت : جعلت فداك ، ومن لنا بعده ؟ فقال : إن شاء الله أن يهديك هداك ، قلت : جعلت فداك ، إنّ عبد الله يزعم أنّه من بعد أبيه ، قال : يريد عبد الله أن لا يُعبد الله !

قال : قلت له : جعلت فداك ، فمن لنا بعده ؟ فقال أيضاً : إنّ شاء الله أن يهديك هداك ، قلت : جعلت فداك ، أنت هو ؟ قال لي : ما أقول ذلك .

قلت في نفسي : لم أصب طريق المسألة ، فقلت : جعلت فداك ، عليك إمام ؟ قال : لا ، فدخلني شيء لا يعلمه إلاّ الله إعظاماً له وهيبة أكثر ممّا كان يحلّ بي من أبيه إذا دخلت عليه .

قلت : جعلت فداك ، أسألك عمّا كان يسأل أبوك ؟ فقال : سل تُخبر ، ولا تذع ، فإن أذعت فهو الذبح !

فسألته فإذا هو بحر ، قلت : جعلت فداك ، شيعتك وشيعة أبيك ضلاّل ، فألقي إليهم وأدعوهم إليك ، فقد أخذت عليّ بالكتمان ؟ قال : من آنست منهم رشداً فألق إليهم ، وخذ عليهم بالكتمان ، فإن أذاعوا فهو الذبح ، وأشار بيده إلى حلقه .

قال : فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر ، فقال لي : ما وراءك ؟ قلت : الهدى ، فحدّثته بالقصّة ، ثم لقيت المفضّل بن عمر ، وأبا بصير فدخلوا عليه وسلّموا وسمعوا كلامه ، وسألوه ثمّ قطعوا عليه ، فبقي عبد الله لا يدخل عليه إلاّ قليل من الناس ، فلمّا رأى ذلك أخبروه أنّ هشام بن سالم صدّ عنه الناس ، فأقعد لي بالمدينة غير واحد ليضربوني .

الثانية : خبر شطيطة النيسابوريّة وجملة من الدلائل فيه

روى ابن شهر اشوب عن أبي عليّ بن راشد وغيره في خبر طويل أنّه قال :

اجتمعت عصابة الشيعة بنيسابور واختاروا محمّد بن عليّ النيسابوريّ فدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار ، وخمسين ألف درهم ، وألفيّ شقّة من الثياب ، وأتت شطيطة (وهي امرأة مؤمنة فقيرة) بدرهم صحيح وشقّة خام من غزل يديها تساوي أربعة دارهم ، فقالت : « إنّ الله لا يستحيّ من الحقّ » .

قال : فثنّيت درهمها ، وجاؤوا جزء فيه مسائل ملء سبعين ورقة ، في كل ورقة مسألة ،

وباقي الورق بياض ليكتب الجواب تحتها ، وقد حُزمت كلّ ورقتين بثلاث حزم ، وختم عليها بثلاثة خواتيم ، على كلّ حزام خاتم ؛ وقالوا : ادفعها إلى الإمام ليلاً وخذها منه في الغد . فإن وجدت الجزء صحيح الخواتيم فاكسر منها خمسة وانظر هل أجاب عن المسائل ، فإنّ لم تنكسر الخواتيم (أي إن بقيت سليمة وأجاب عن المسائل دون أن يفتحها) فهو الإمام المستحقّ للمال فادفعه إليه ، وإلاّ فردّ إلينا أموالنا .

فدخل الرجل على الأفطح عبد الله بن جعفر وجرّبه ، وخرج عنه قائلاً : ربّ اهدني إلى سواء الصراط .

قال : فبينما أنا واقف إذا أنا بغلام يقول : أجب من تريد ، فأتى بي دار موسى بن جعفر (عليه السلام) ، فلمّا رآني قال لي :

لم تقنط يا أبا جعفر ؟ ولم تفزع إلى اليهود والنصارى ، إليّ فأنا حجّة الله ووليّه ، ألم يعرّفك أبو حمزة على باب مسجد جدّي ، وقد أجبتك عمّا في الجزء من المسائل بجميع ما تحتاج إليه منذ أمس ، فجئني به وبدرهم شطيطة الذي وزنه درهم ودانقان ، الذي في الكيس فيه أربعمئة درهم للوازوريّ ، والشقّة التي في رزمة الأخوين البلخيين .

قال الراوي : فطار عقليّ من مقاله ، وأتيت بما أمرني ، ووضعت ذلك قبله ، فأخذ درهم شطيطة وإزارها ، ثم استقبلني وقال :

« إنّ الله لا يستحيي من الحقّ » ، يا أبا جعفر ، أبلغ شطيطة سلامي ، وأعطها هذه الصرّة ، وكانت أربعين درهماً ، ثم قال (عليه السلام) : وأهديت لها شقّة من أكفاني من قطن قريتنا «صيدا» قرية فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وغزل أختي حليمة ابنة أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق (عليهما السلام) ، وقل لها ، ستعيشين تسعة عشر يوما من وصول أبي جعفر ووصول الشقّة والدراهم ، فأنفقي على نفسك منها ستّة عشر درهماً ، واجعلي أربعة وعشرين درهماً صدقة عنك وما يلزم عنك ، وأنا أتولّى الصلاة عليك ، فإذا رأيتني يا أبا جعفر فاكتم عليّ ، فإنّه أبقى لنفسك .

ثمّ قال : واردد الأموال إلى أصحابها ، أفلك هذه الخواتيم عن الجزء وانظر هل أجبناك عن المسائل أم لا ، من قبل أن تأتينا بالجزء ؟

قال الراوي : فوجدت الخواتيم صحيحة ، ففتحت منها واحداً من وسطها فوجدت فيه مكتوباً :

ما يقول العالم (عليه السلام) في رجل قال : نذرت لله لأعتقنّ كلّ مملوك كان في رقّي قديماً ، وكان له جماعة من العبيد ؟

الجواب بخطّه : ليعتقنّ من كان في ملكه من قبل ستة أشهر ، والدليل على صحّة ذلك قوله تعالى : ﴿ **والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم** ﴾ ، والحديث (من العبيد) من ليس له ستّة أشهر .

(والمراد : أن الله تعالى شبّه القمر بعد سيره في المنازل وتحوّله هلالاً بعذق النخل القديم في الدقّة والتقوّس ، فالقديم ما مضى عليه ستّة أشهر ، والحديث هو المملوك الذي لم يمض عليه في رقّه ستّة أشهر .

قال الراوي : وفككت الختم الثاني فوجدت فيه :

ما يقول العالم (عليه السلام) في رجل قال : والله لأتصدّقنّ بمالٍ كثير ، فما يتصدّق ؟

الجواب تحته بخطّه : إن كان الذي حلف من أرباب الشياه فليتصدّق بأربع وثمانين شاة ، وإن كان من أصحاب النعم (الجمال) فليتصدّق بأربعة وثمانين بعيراً ، وإن كان من أرباب الدراهم فليتصدّق بأربعة وثمانين درهماً ، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ **ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة** ﴾ ، فعددت مواطن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قبل نزول تلك الآية فكانت أربعة وثمانين موطناً ، (وقد وصفها الله تعالى بالكثيرة) .

قال : فكسرت الختم الثالث فوجدت تحته مكتوباً :

ما يقول العالم (عليه السلام) في رجل نبش قبر ميّت ، وقطع رأس الميّت ، وأخذ الكفن ؟

الجواب بخطّه : يقطع السارق لأخذ الكفن من وراء الحرز ، ويلزم مئة دينار لقطع رأس الميت ، لأنّا جعلناه بمنزلة الجنين في بطن أمّه قبل أن ينفخ فيه الروح ، فجعلنا في النطفة عشرين ديناراً . . إلى آخر المسألة .

ثم وافى الرجل خراسان فوجد الذين ردّ عليهم أموالهم ارتدّوا إلى الفطحيّة ، وشطيطة على الحقّ ، فبلّغها سلامه ، وأعطاها صرّته وشقّته ، فعاشت كما قال (عليه السلام) ، فلمّا توفّيت شطيطة جاء الإمام على بعير له ، فلمّا فرغ من تجهيزها ركب بعيره وانثنى نحو البَريّة ، وقال : عرّف أصحابك وأقرئهم منّي السلام ، وقل لهم :

« إنّي ومن يجري مجراي من الأئمّة لا بدّ لنا من حضور جنائزكم في أيّ بلد كنتم فاتّقوا الله في أنفسكم » .

يقول المؤلّف : في الجواب عن سؤال قطع رأس الميّت لم يتمّ نقل جواب الإمام (عليه السلام) بكامله ، ومن ذكر رواية في هذا الباب وردت عن الصادق (عليه السلام)

يعلم جواب الكاظم (عليه السلام) بكامله ، فقد ذكر ابن شهر اشوب أنّ الربيع الحاجب أتى إلى المنصور وهو في حال الطواف ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن مولاك فلاناً مات الليلة الماضية فقطعوا رأسه بعد موته ، فاشتعل المنصور غضباً وقال لابن شبرمة وابن أبي ليلى وجماعة آخرين من القضاة والفقهاء : ماذا تقولون في هذا الأمر ؟ فقالوا جميعاً : ليس عندنا في هذه المسألة شيء ؟ فقال المنصور : هل أقتل من فعل هذا ، أم لا ؟ وبينما هم في ذلك قيل للمنصور : إنّ جعفر بن محمّد (عليهما السلام) دخل في السعي ، فقال المنصور للربيع : اذهب إليه وسله عن هذه المسألة ، فلمّا سأله الربيع أجابه (عليه السلام) : على ذلك الرجل أن يدفع مئة دينار ، فلمّا أخبر المنصور بذلك قال الفقهاء : سله لماذا عليه أن يدفع مئة دينار ؟ فقال (عليه السلام) : ما معناه : دية النطفة عشرون ديناراً ، ولما صارت علقة عشرون ديناراً ، وفي المضغة عشرون ديناراً ، وفي نمّو العظم عشرون ديناراً وفي ظهور اللحم عشرون ديناراً فلكلّ طور عشرون ديناراً حتّى تكتمل الخلقة قبل نفخ الروح فتصبح مئة دينار ، وبعدها ينفخ الله فيه الروح فيصبح خلقاً آخر ؛ والميت بمنزلة الجنين في بطن أمّه قبل أن تنفخ فيه الروح .

ولما نقل الربيع جواب الإمام (عليه السلام) تعجّب الجميع ، ثم قالوا : سله إن كانت دية هذا الميّت تعود إلى ورثته أم لا ؟ فقال (عليه السلام) في الجواب : لا ، فهي لما نزل ببدنه بعد موته ، فيجب أن تنفق في الحجّ عنه أو في الصدقة أو في وجه من وجوه الخير .

الثالثة : حديث أبي خالد الزباليّ وما شهده من دلائله (عليه السلام)

روى الشيخ الكليني عن أبي خالد الزباليّ أنّه قال :

قدم أبو الحسن موسى (عليه السلام) زبالة في إنفاذه الأوّل من المدينة إلى العراق عند المهديّ العبّاسيّ ، فنظر إليّ (عليه السلام) وأنا مغموم ، فقال : ما لي أراك مغموماً ؟ قلت : هوذا تصير إلى هذا الطاغية ولا آمنك منه ، قال : ليس عليّ منه بأس ، إذا كان يوم كذا فانتظرني في أول الميل .

قال أبو خالد : فما كانت لي همّة إلاّ إحصاء الأيّام ، حتّى إذا كان ذلك اليوم وافيت أوّل الميل فلم أر أحداً حتّى كادت الشمس تجب (أي تغيب) ، فشككت ، ونظرت بعد إلى سواد قد أقبل ومنادٍ ينادي ، فأتيته فإذا هو أبو الحسن (عليه السلام) على بغلة له ، فقال لي : إيهاً أبا خالد ، قلت : لبّيك يا بن رسول الله ، الحمد لله الذي خلّصك من أيديهم ، فقال : أما إنّ لي عودة إليهم لا أتخلّص من أيديهم .

الرابعة : إخباره (عليه السلام) بالغيب

وروى الكلينيّ أيضاً عن سيف بن عميرة ، وعن إسحاق بن عمّار أنّه قال :

سمعت العبد الصالح (عليه السلام) (يعني الإمام موسى) ينعى إلى رجلٍ نفسه ، فقلت في نفسي : وإنّه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته !! فالتفت إليّ شبه المغضب فقال : يا إسحاق ، قد كان رشيد الهجريّ يعلم علم المنايا والبلايا ، والإمام أولى بعلم ذلك .

ثمّ قال : يا إسحاق ، اصنع ما أنت صانع فإنّ عمرك قد فني ، وقد بقي منه دون سنتين ، وكذلك أخوك فلا يمكث بعدك إلاّ شهراً واحداً حتّى يموت ؛ وكذلك عامّة أهل بيتك ، ويتشتّت كلّهم ويتفرّق جمعهم ، ويشمت بهم أعداؤهم ، أفكان هذا في نفسك ؟

قال إسحاق : أستغفر الله ممّا في صدري !

يقول الراوي : فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلاّ يسيراً حتّى مات ، فما أتى عليهم إلاّ قليل حتّى قام بنو عمّار بأموال الناس ، فأفلسوا !!

(يعني أنّ حياتهم قامت على أموال الناس عن سبيل القرض والمضاربة وأمثال ذلك بعد أن كانت لديهم أموال كثيرة) .

الخامسة : في مجيئه (عليه السلام) بطيّ الأرض من المدينة إلى بطن الرمّة

روى الشيخ الكشيّ عن إسماعيل بن سلام وفلان ابن حميد قالا :

بعث إلينا عليّ بن يقطين فقال : اشتريا راحلتين ، وتجنّبا الطريق ـ ودفع إلينا أموالاً وكتباً ـ حتّى توصلا ما معكما من المال والكتب إلى أبي الحسن موسى (عليه السلام) ، ولا يعلم بكما أحد .

فأتينا الكوفة ، واشترينا راحلتين ، وتزوّدنا زاداً ، وخرجنا نتجنّب الطريق ، حتّى إذا صرنا ببطن الرمّة[1] شددنا راحلتينا ، ووضعنا لهما العلف ، وقعدنا نأكل .

فبينا نحن كذلك إذ راكب قد أقبل ومعه شاكريّ[2] ، فلمّا قرب منّا فإذا هو أبو الحسن موسى (عليه السلام) ، فقمنا إليه وسلّمنا عليه ، ودفعنا إليه الكتب وما كان معنا ، فأخرج من كمّه كتباً فناولنا إيّاها فقال : هذه جوابات كتبكم !

فقلنا : إنّ زادنا قد فني ، فلو أذنت لنا فدخلنا المدينة فزرنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وتزوّدنا زاداً ؛ فقال : هاتا ما معكما من الزاد ، فأخرجنا الزاد إليه فقلّبه بيده

(١) بطن الرمّة : واد بعالية نجد ، ويقال إنّه منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة ، بها يجتمع أهل البصرة والكوفة .

(٢) شاكريّ : خادم .

فقال : هذا يبلغكما الكوفة ، وأمّا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقد رأيتما ، إنّي صلّيت معهم الفجر ، وإنّي أريد أن أصلّي معهم الظهر ؛ انصرفا في حفظ الله .

يقول المؤلّف : قوله (عليه السلام) : « وأمّا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقد رأيتما » يحتمل أن يكون معناه : لقد قربتما من المدينة ، والقرب في حكم الزيارة ؛ ويحتمل أن يكون المراد أنّ رؤيتي بمنزلة رؤية الرسول ، (أي : إذ رأيتماني فكأنّكما رأيتما الرسول) ، وهذا إنّما يستقيم إذا كانت المسافة بينهم وبين المدينة بعيدة ؛ والعلّامة المجلسيّ يقول : المعنى الأوّل أظهر .

وأنا أزعم أن المعنى الثاني أظهر ويؤيد هذا المعنى رواية نقلها ابن شهر اشوب فقال : جاء أبو حنيفة إلى الصادق (عليه السلام) ليسمع منه ، وخرج أبو عبد الله (عليه السلام) يتوكّأ على عصا ، فقال له أبو حنيفة : يا بن رسول الله ، ما بلغت من السنّة ما تحتاج معه إلى العصا ، قال : هو كذلك ، ولكنّها عصا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أردت التبرّك بها ، فوثب أبو حنيفة إليه وقال له : أقبّلها يا بن رسول الله ؟ فحسر أبو عبد الله (عليه السلام) عن ذراعه وقال له : والله لقد علمت أنّ هذا بشر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وأنّ هذا من شعره ، فما قبّلته ، وقبّلت عصا !

السادسة : في اطّلاعه (عليه السلام) على المغيّبات

روى الحميريّ عن موسى بن بكير أنّه قال :

دفع إليّ أبو الحسن موسى (عليه السلام) رقعة فيها حوائج وقال لي : اعمل بما فيها ، فوضعتها تحت المصلّى وتوانيت عنها ، فمررت فإذا الرقعة في يده ، فسألني عن الرقعة فقلت : في البيت ! فقال : يا موسى ، إذا أمرتك بالشيء فاعمله ، وإلاّ غضبت عليك ؛ فعلمت أنّ الذي دفعها إليه بعض صبيان الجنّ .

السابعة : في دفعه (عليه السلام) شكر الرشيد عن عليّ بن يقطين

جاء في (حديقة الشيعة) في ذكر معجزات الإمام موسى (عليه السلام) أنّ من جملتها معجزتين جرتا مع عليّ بن يقطين وزير هارون الرشيد ، وكان من الشيعة المخلصين .

الأولى : أنّ الرشيد حمل في بعض الأيّام إلى عليّ بن يقطين ثياباً أكرمه بها ، وكان في جملتها درّاعة خزّ سوداء من لباس الملوك ، فأنفذ عليّ بن يقطين جلّ تلك الثياب إلى أبي الحسن موسى (عليه السلام) ، وأنفذ في جملتها تلك الدرّاعة ، وأضاف إليها مالاً كان أعدّه له من خمس ماله ، فلمّا وصل ذلك إلى أبي الحسن (عليه السلام) قبل المال والثياب وردّ الدرّاعة على يد الرسول إلى عليّ بن يقطين ، وكتب إليه أن احتفظ بها ولا تخرجها عن يدك ، فسيكون لك

بها شأن تحتاج معه إليها ، فارتاب عليّ بن يقطين بردّهـا عليه ، ولم يـدر سبب ذلك ، فـاحتفظ بها .

فلمّا كان بعد أيّام تغيّر عليّ بن يقطين على غلام كان يختصّ به ، فضربـه بالعصـا وصرفه عنه ، وكان الغلام يعرف ميل عليّ بن يقطين إلى أبي الحسن (عليه السـلام) ، ويقف على ما يحمله إليه ، فسعى به إلى الرشيد فقال : إنّه يقول بإمامة مـوسى بن جعفر ، ويحمـل إليه خمس ماله في كلّ سنة ، وقد حمل إليه الدرّاعة التي أكرمه بها أمير المؤمنين .

فاستشاط الرشيد لذلك وغضب وقال : إن كان الأمر كما يقول أزهقت نفسه ، وأنفذ في الوقت بإحضار عليّ بن يقطين ، فلمّا مثل بين يديه قال لـه : ما فعلت بـالدرّاعـة التي كسوتـك بهـا ؟ قال : هي عنـدي في سفط مختوم فيـه طيب ، وقـد احتفـظت بهـا ، فقـال : أحضرهـا الساعة ، قال : نعم يا أمير المؤمنين .

واستدعى بعض خدمـه وقال لـه : امض إلى البيت الفلانيّ من الـدار ، وجئني بالسفط الفلانيّ ، فلم يلبث الغلام أن جاءه بالسفط مختوماً ، فوضعه بين يدي الـرشيد ، فكسر ختمـه وفتحه ، فكان كما قال عليّ ، وكانت الدرّاعة فيه بحالها مدفونة في الطيب .

فسكن غضب الـرشيد ثمّ قـال له : ارددهـا إلى مكانها وانصرف راشـداً ، فلن أصـدّق عليك بعدها ساعياً ، وأمر أن يتبع بجائزة سنيّة ، وتقدّم بضرب الساعي ألف سوط ، فضرب نحواً من خمسمئة ، فمات في ذلك .

وظهر لعليّ الغرض من ردّ الدرّاعة ، ولم يلبث بعد حين حتى بعث إلى أبي الحسن بها مع هدايا أخرى .

الثانية : أنّ عليّ بن يقطين كتب إلى أبي الحسن موسى (عليه السلام) : إنّ أصحابنا قد اختلفوا في مسح الرجلين ، فإن رأيت أن تكتب إليّ بخطّك ما يكون عملي عليـه فعلت إن شاء الله .

فكتب إليـه أبو الحسن (عليـه السلام) : فهمت مـا ذكرت من الاختـلاف في الوضـوء والذي آمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثاً ، وتستنشق ثلاثاً ، وتغسل وجهك ثـلاثاً ، وتخلّل شعر لحيتك ، وتمسح رأسك كلّه ، وتمسح ظاهر أذنيك وباطنهما ، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً ، ولا تخالف ذلك إلى غيره .

فلمّا وصل الكتاب إلى ابن يقطين ممّا رسم فيه ، ممّا أجمع العصابة على خلافه ، ثمّ قال : مولاي أعلم بما قال ، وأنا ممتثل أمره ، وكان يعمل في وضوئه على ذلك .

وسعي إلى الرشيد بعليّ بن يقطين ، وقيل إنّه رافضيّ ، فقال الرشيد لبعض خاصّته : قد كثر عندي القول في عليّ بن يقطين ، واتّهامه بخلافنا وميله إلى الرفض ، ولست أرى في خدمته لي تقصيراً ، وأحبّ أن أستبرىء أمره من حيث لا يشعر .

فقيل له : إنّ الرافضة يا أمير المؤمنين تخالف الجماعة في الوضوء فتخفّفه ، ولا ترى غسل الرجلين ، فامتحنه يا أمير المؤمنين من حيث لا يعلم ، بالوقوف على وضوئه .

فقال : أجل ، إنّ هذا الوجه يظهر به أمره ، ثمّ تركه مدّة وناطه بشيء من الشغل في الدار ، حتّى دخل وقت الصلاة ، وكان عليّ بن يقطين يخلو في حجرة في الدار لوضوئه وصلاته ، فلمّا دخل وقت الصلاة وقف الرشيد من رواء حائط الحجرة بحيث يرى عليّ بن يقطين ولا يراه هو ، فدعا بالماء للوضوء فتوضّأ كما أمر ، ثم قام إلى صلاته ، وبعد انصرافه من الصلاة أشرف عليه الرشيد وناداه : كذب يا عليّ بن يقطين من زعم أنّك من الرافضة ، ولن أقبل فيك قولاً بعد الآن .

وورد عليه بعد يومين كتاب أبي الحسن (عليه السلام) :

« من الآن يا عليّ بن يقطين فتوضّأ كما أمر الله ، واغسل وجهك مرّة فريضة ، وأخرى إسباغاً ، واغسل يديك من المرفقين كذلك ، وامسح مقدّم رأسك وظاهر قدميك بفضل نداوة وضوئك ، فقد زال ما كان يُخاف عليك والسلام » .

الثامنة : في إخباره (عليه السلام) بالغيب أيضاً

وجاء أيضاً في (الحديقة) عن (الفصول المهمّة) و(كشف الغمّة) :

لمّا حبس هارون الرشيد أبا الحسن موسى (عليه السلام) دخل عليه أبو يوسف ومحمّد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة ، فقال أحدهما للآخر : نحن على أحد الأمرين : إمّا أن نساويه أو نشكله .

فجلسا بين يديه ، فجاء رجل كان موكّلاً من قبل السنديّ بن شاهك فقال : إنّ نوبتي قد انقضت وأنا على الانصراف ، فإن كان لك حاجة أمرتني حتى آتيك بها في الوقت الذي تخلفني النوبة ، فقال : ما لي حاجة .

فلمّا خرج قال أبو الحسن (عليه السلام) لأبي يوسف : ما أعجب هذا ، يسألني أن أكلّفه حاجة من حوائجي ليرجع وهو ميّت في هذه الليلة !

فقاما ، فقال أحدهما للآخر : إنّا جئنا لنسأله عن الفرض والسنّة وهو الآن جاء بشيء آخر كأنّه من علم الغيب .

ثمّ بعثا برجل مع الرجل فقالا : اذهب حتّى تلزمه وتنظر ما يكون من أمره في هذه الليلة ، وتأتينا بخبره من الغد ، فمضى الرجل فنام في مسجد عند باب داره ، فلمّا أصبح سمع الواعية ، ورأى الناس يدخلون داره ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قد مات فلان في هذه الليلة فجأة من غير علّة .

فانصرف إلى أبي يوسف ومحمّد وأخبرهما الخبر ، فأتيا أبا الحسن (عليه السلام) فقالا : قد علمنا أنّك أدركت العلم في الحلال والحرام ، فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكّل بك أنّه يموت في هذه الليلة .

قال : من الباب الذي أخبر بعلمه رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) عليَّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، فبقيا لا يحيران جواباً .

وقاما من عنده خجلين، ولم يصبرا على الكتمان، فرويا بنفسيهما ما شهداه، وراح حجّة عليهما إلى يوم القيامة .

التاسعة : في أمره (عليه السلام) صورة أسد بافتراس مشعوذ

روى ابن شهر اشوب عن عليّ بن يقطين أنّه قال :

استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) ويقطعه ويخجله في المجلس ، فانتُدب له رجل معزم[١] ، فلمّا أحضرت المائدة عمل ناموساً[٢] على الخبز ، فكان كلّما رام خادم أبي الحسن تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه ، واستفزّ هارون الفرح والضحك لذلك ، فلم يلبث أبو الحسن (عليه السلام) أن رفع رأسه إلى أسد مصوّر على بعض الستور ، فقال له : يا أسد الله ، خذْ عدوّ الله .

قال : فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع ، فافترست ذلك المعزم ، فخرّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشيّاً عليهم ، وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه ، فلمّا أفاقوا من ذلك بعد حين قال هارون لأبي الحسن (عليه السلام) : أسألك بحقّي عليك لمّا سألت الصورة أن تردّ الرجل ، فقال (عليه السلام) .

إن كانت عصا موسى ردّت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيّهم فإنّ هذه الصورة تردّ ما ابتلعته من هذا الرجل .

يقول المؤلّف : روى بعض الأفاضل ـ ولعلّه السيّد الأجلّ السيّد الحسين المفتي ـ هذا الحديث عن الشيخ البهائيّ فقال :

---

(١) المعزم : صاحب العزائم والرقى ، والمراد : مشعوذ .

(٢) الناموس : الحيلة .

حدّثني ليلة الجمعة لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف مقابل ضريحي الإمامين المعصومين موسى بن جعفر وأبي جعفر الجواد (عليهما السلام) عن أبيه الشيخ الحسين عن مشايخه ، ثمّ أورد أسماءهم حتّى : الشيخ الصدوق عن ابن الوليد عن الصفّار وسعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسن بن عليّ بن يقطين ، عن أخيه الحسن ، عن أبيه عليّ بن يقطين ، ورجال هذا السند جميعهم ثقات ومن شيوخ الطائفة .

وقد ذكر الحديث طبقاً لما تقدّم دون اختلاف إلاّ في أنّ من حاول تناول الخبز كان الإمام نفسه وليس الخادم ، وأنّ صورة الأسد كانت في صحن من صحون الدار وليس على ستارة ، ولا اختلاف في ما تبقّى .

وبعد هذه الرواية قال : أنشدني الشيخ البهائيّ أدام الله أيّامه ثلاثة أبيات في مدح الأمامين موسى ومحمّد الجواد (عليهما السلام) ، وهي أفضل ما قيل في مدحهما :

ألا يا قاصد الزوراء عرّج ... على الغربيّ من تلك المغاني
ونعليك اخْلَعَنْ واسجد خضوعاً ... إذا لاحت لديك القبّتان
فتحتهما لعمرك نار موسى ... ونور محمّد متقارنان

العاشرة: في تكلّمه (عليه السلام) مع أسد

وروى ابن شهر اشوب أيضاً عن عليّ بن أبي حمزة البطائنيّ أنّه قال :

كنت مع موسى بن جعفر (عليهما السلام) في طريق فاعترضنا اسد ، ووضع يده على كفل البغلة التي كان يعتليها (عليه السلام) وجعل يتذلّل لأبي الحسن ويهمهم ، فوقف له ابو الحسن كالمصغي ، ثمّ حرّك شفتيه بما لم أفهمه ، ثمّ أومأ إلى الأسد بيده أن امض ، فهمهم الأسد همهمة طويلة وأبو الحسن يقول : آمين آمين ، ومضى الأسد حتّى غاب عن أعيننا .

فقلت لأبي الحسن (عليه السلام) :جعلت فداك ، ما شأن هذا الأسد ؟ فقل خفته والله عليك وعجبت من شأنه معك .

قال : إنّه خرج يشكو عسر الولادة على لبؤته ، وسألني أن أدعو الله ليفرّج عنها ، ففعلت ذلك ، وألقى في روعي أنّها ولدت له ذكراً ، فخبّرته بذلك ، فقال لي : امض في حفظ الله ، فلا سلّط الله عليك وعلى ذرّيّتك وعلى أحد من شيعتك شيئاً من السباع ، فقلت : آمين .

وقد نظم بعض الشعراء هذه المعجزة بقوله :

واذكر الليث حين ألقى يديه ... فسعى نحوه وزار وزجر

ثـمّ لمّـا رأى الإمـام أتـاه وتجـافى عـنـه وهـاب وأكـبر
وهـو طـاوٍ ثـلاثـاً فـذا هـو الحـ ـقّ ومـا لم أقـله أوفى وأكـثر

الحادية عشر : شقيق البلخيّ وما شهده من دلائله (عليه السلام)

روى الشيخ الإربليّ عن شقيق البلخيّ أنّه قال :

خرجت حاجّاً في سنة تسع وأربعين ومئة فنزلت « القادسيّة » ، فبينا أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم نظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف ، فوق ثيابه ثوب من صوف ، مشتمل بشملة في رجليه نعلان ، وقد جلس منفرداً ، فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفيّة يريد أن يكون كَلّاً على الناس في طريقهم ، والله لأمضينّ إليه ولأوبّخنّه .

فدنوت منه ، فلمّا رآني مقبلاً قال : يا شقيق : ﴿ **اجتنبوا كثيراً من الظنّ ، إنّ بعض الظنّ إثم** ﴾ ، ثمّ تركني ومضى .

فقلت في نفسي : إنّ هذا الأمر عظيم ، قد تكلّم بما في نفسي ونطق باسمي ، وما هذا إلّا عبد صالح ، لألحقنّه ولأسألنّه أن يحلّلني ، فأسرعت في أثره فلم ألحقه ، وغاب عن عيني .

فلمّا نزلنا « واقصة » إذا به يصلّي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري ، فقلت : هذا صاحبي ، أمضي إليه وأستحلّه ، فصبرت حتّى جلس وأقبلت نحوه ، فلمّا رآني مقبلاً قال : يا شقيق : ﴿ **وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى** ﴾ ، ثمّ تركني ومضى .

فقلت : إنّ هذا الفتى لمن الأبدال ، لقد تكلّم على سرّي مرّتين ، فلمّا نزلنا « زبالة » إذا بالفتى قائم على بئر وبيده ركوة يريد أن يستقي ماءً ، فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه ، فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول :

أنـت ربّي إذا ظـمـئـت إلى المـا وقـوتي إذا أردت طـعـام

« اللهمّ سيّدي مالي غيرها ، فلا تعد منيها » .

قال شقيق : فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها ، فمدّ يده وأخذ الركوة وملؤها ماء فتوضّأ ، وصلّى أربعة ركعات ، ثمّ مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ، ويحرّكه ويشرب ، فأقبلت إليه وسلّمت عليه ، فردّ عليّ (عليه السلام) فقلت : أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك ، فقال : « يا شقيق ، لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة ، فأحسن ظنّك بربّك » ، ثمّ ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكّر ، فوالله ما شربت قطّ ألذّ منه ولا أطيب ريحاً ، فشبعت ورويت ، وأقمت أيّاماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً .

ثمّ لم أره حتّى دخلنا « مكّة » فرأيته ليلة إلى جنب قبّة السراب في نصف الليل قائماً يصلّي بخشوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك حيّت ذهب الليل ، فلمّا رأى الفجر جلس في مصلّاه يسبّح ، ثمّ قام فصلّى الغداة ، وطاف بالبيت سبعاً ، وخرج .

فتبعته وإذا له حاشية وموالٍ ، وهو على خلاف ما رأيته في الطريق ، ودار به الناس من حوله يسلّمون عليه ، فقلت لبعض من رأيته يقرب منه : من هذا الفتى ؟ فقال : هذا موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ، فقلت : قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلاّ لمثل هذا السيّد .

يقول المؤلّف : شقيق البلخيّ أحد مشايخ الطريق ، صحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريقة ، وهو أستاذ حاتم الأصمّ ، قتل في غزوة « كولان » من بلاد الترك سنة أربع وتسعين ومئة .

وجاء في (كشكول) البهائيّ وغيره أنّ شقيق البلخيّ كان في أوّل أمره صاحب ثروة واقتدار كبيرين ، سافر للتجارة كثيراً ، وفي إحدى السنين سافر إلى مدينة من بلاد الترك يعبد أهلها الأصنام ، فقال شقيق لأحد كبار عبدة الأصنام أولئك : إنّ عبادتكم للأصنام هذه باطلة ، فهي ليست آلهة ، ولهذا المخلوق خالق ليس كمثله شيء هو السميع العليم ، وهو رازق كلّ شيء ، فقال له : إنّ قولك يناقض عملك ، فقال شقيق : وما ذاك ؟ قال : أنت تقول إنّ لك خالقاً رازقاً يعطي المخلوق رزقه ، ومع اعتقادك هذا فأنت قد كابدت مشقّات السفر حتّى وصلت إلى هنا في طلب الرزق !

تنبّه شقيق بهذا الكلام من أمره ، فعاد إلى بلده وتصدّق بكلّ ما يملك ، واختار صحبة العلماء والزّهّاد ما بقي حيّاً .

واعلم أنّ هذه الحكاية التي نقلها شقيق عن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، نقلها جملة من علماء الشيعة والسنّة ، وأوردوا ضمن ما نقلوه أشعاراً منها هذه الأبيات :

سل شقيق البلخيّ عنه بما شا ... هد منه وما الذي كان أبصر
قال لمّا حججت عاينت شخصاً ... ناحل الجسم شاحب اللون أسمر
سائراً وحده وليس له زا ... دٌ فما زلت دائباً أتفكّر
وتوهّمت أنّه يسأل النا ... س ولم أدر أنه الحجّ الأكبر
ثمّ عاينته ونحن نزولٌ ... دون فَيْدِ على الكثيّب الأحمر
يضع الرمل في الإناء ويشربـ ... ـه فناديته وعقلي محيّر
اسقني شربةً فلمّا سقاني ... منه عاينته سويقاً وسكّر

فسألت الحجيج من يك هذا   قيل هذا الإمام موسى بن جعفر

الثانية عشر : في إخباره (عليه السلام) بالغيب كذلك

روى الشيخ الكشّيّ عن شعيب العقرقوفيّ أنّه قال :

قال لي أبو الحسن (عليه السلام) مبتدئاً من غير أن أسأله عن شيء : يا شعيب ، غدا يلقاك رجل من أهل المغرب ويسألك عنّي ، فقل : هو والله الإمام الذي قال لنا أبو عبد الله (عليه السلام) ، فإذا سألك عن الحلال والحرام فأجبه عنّي ، فقلت : جعلت فداك ، فما عامته ؟ قال : رجل طويل جسيم يقال له يعقوب ، فإذا أتاك فلا عليك أن تجيبه عن جميع ما سألك ، فإنّه واحد قومه فإنّ أحبّ أن تدخله إليّ فأدخله .

قال شعيب : فوالله إنّي لفي طوافي إذ أقبل إليّ رجل طويل من أجسم ما يكون من الرجال ، فقال لي : أريد أن أسألك عن صاحبك ، فقلت : عن أيّ صاحب ؟ قال : عن فلان ابن فلان ، قلت : ما اسمك ؟ قال ؛ يعقوب ، قلت ؛ ومن أين أنت ؟ قال : رجل من أهل المغرب ، قلت : فمن أين عرفتني ؟ أتاني آتٍ في منامي قال : الق شعيباً فسله عن جميع ما تحتاج إليه ، فسألت عنك فدللت عليك .

فقلت : اجلس في هذا الموضع حتّى أفرغ من طوافي ، وآتيك إن شاء الله تعالى ، فطفت ثمّ أتيته فكلّمت رجلاً عاقلاً ، ثمّ طلب إليّ أن أدخله على أبي الحسن (عليه السلام) ، فأخذت بيده فاستأذن على أبي الحسن (عليه السلام) ، فأذن لي .

فلمّا رآه أبو الحسن (عليه السلام) قال له : يا يعقوب ، قدمت أمس ، ووقع بينك وبين أخيك شرّ في موضع كذا وكذا ، حتّى شتم بعضكم بعضاً ، وليس هذا ديني ولا دين آبائي ، ولا نأمر بهذا أحداً من الناس ، فاتّق الله وحده لا شريك له ، فإنّكما ستفترقان بموت ، أما إنّ أخاك سيموت في سفره قبل أن يصل إلى أهله ، وستندم أنت على ما كان منك ، وذلك أنّكما تقاطعتما فبتر الله أعماركما .

فقال له الرجل : فأنا (جعلت فداك) متى أجلي ؟ فقال : أما إنّ أجلك قد حضر ، حتّى وصلت عمّتك بما وصلتها به في منزل كذا ، فزيد في أجلك عشرون .

قال شعيب : فأخبرني الرجل وقد لقيته حاجّاً (بعد سنة) أنّ أخاه لم يصل إلى أهله حتّى دفنه في الطريق .

وروى القطب الراونديّ هذا الحديث عن عليّ بن أبي حمزة على النحو المذكور .

الثالثة عشرة : خبر عليّ بن المسيّب الهمدانيّ وما شاهده من دلائله (عليه السلام)

قال المحقّق البهبهانيّ رحمه الله في تعليقه على (الرجال الكبير) في أحوال عليّ بن المسيّب الهمدانيّ .

جاء في بعض الكتب المعتمدة أنّه أُخذ مع الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) وحُبس معه في محبسه ببغداد ، فلمّا طال حبسه واشتدّ شوقه للقاء عياله أمره (عليه السلام) بالاغتسال ، فلمّا اغتسل أمره بإغلاق عينيه ، ثمّ أمره بفتحهما ، فإذا به يرى نفسه عند قبر الإمام الحسين (عليه السلام) ، فصلّيا وزارا ، ثم قال له : أغلق عينيك ، ثم قال : افتحهما ، ففعل فإذا بهما عند قبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالمدينة .

قال له : هذا قبر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فاذهب إلى عيالك وجدّد عهدك بهم ، ثم ارجع إليّ ، فمضى ثم عاد ، فأمره ثانية بإغلاق عينيه ثم فتْحِهما ، فإذا به معه (عليه السلام) فوق جبل قاف ، وأربعون رجلاً من أولياء الله مؤتمّون بالإمام موسى (عليه السلام) ، ثمّ أمره بإغلاق عينيه وفتحهما ، ففعل وإذا بهما في محبسهما ثانية .

يقول المؤلّف : سيأتي ذكر عليّ بن المسيّب المذكور ضمن الحديث عن أحوال زكريّا بن آدم من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) إن شاء الله .



الفصل الرابع

في طرف من حكم الامام موسى (عليه السلام) ومواعظه

أوّلاً : قال (عليه السلام) عند قبرٍ حَضَره :

« إنّ شيئاً هذا آخره لحقيقٌ أن يُزهد في أوّله ، وإنّ شيئاً هذا أوّله لحقيق أن يخاف آخره » .

يقول المؤلّف : إنّ للقبر وحشة وفزعاً عظيمين ، وجاء في كتاب (من لا يحضره الفقيه) : إذا دنا المشيّعون بالميّت في قبره فلا يعجلوا في إدخاله فيه ، لأنّ للقبر فزعاً عظيماً ، فيتعوّذ حامله بالله تعالى من هول المطّلع ، وليضع رأس الميّت قريباً من القبر وليتمهّل قليلاً كي يستعدّ الميت للدخول ، ثمّ ليقرّبه أكثر ، وليصبر قليلاً وإذ ذاك يدخله إلى قبره .

قال المجلسيّ الأوّل (ره) في شرحه : إذا فارقت الروح البدن ، وماتت الروح الحيوانيّة ، فإنّ النفس الناطقة حيّة ، ولا يزول تعلّقها بالبدن بالكلّيّة ، وإنّ في الخوف من ضغطة القبر ، وسؤال منكر ونكير ورومان فتّان القبور ، وعذاب البرزخ ما فيه عبرة للآخرين ، ليتفكّروا في أنّ واقعة كهذه في انتظارهم !

وفي حديث نقلاً عن يونس أنّه قال : سمعت حديثاً عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) مضمونه أنّ كل بيت يخطر لي فإنّه على سعته يضيق عليّ ، ولهذا قيل : إذا اقتربوا بالميّت من قبره فليتمهّلوا ساعة ريثما يستعدّ لسؤال منكر ونكير . انتهى .

وروي عن البراء بن عازب أحد الصحابة المعروفين أنّه قال : بينا نحن مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إذ أبصر جماعة ، فقال : علام اجتمع هؤلاء ؟ فقيل : على قبر يحفرونه .

قال : فبدر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ـ وبين يديه أصحابه ـ مسرعاً حتّى أتى

القبر ، فجثا عليه ، فاستقبلتُه من بين يديه لأنظر ما يصنع ، فبكى حتّى بلّ التراب من دموعه ، ثمّ أقبل علينا فقال : « إخواني ، لمثل هذا فأعدّوا » .

ونقل الشيخ البهائيّ أنّ بعض الحكماء رئي عند موته أسفاً متحسراً ، فقيل له : ما هذا الذي نراه منك ؟! قال : وما تظنّون بشخص يخرج من سفر طويل دون زاد ، ويسكن قبراً موحشاً دون أنيس ، ويقبل على حاكم عادل دون حجّة ؟!

وروى القطب الراونديّ أن عيسى (عليه السلام) نادى أمّه مريم (عليها السلام) بعد موتها فقال : أمّاه ، أتودّين العودة إلى الدنيا ؟ قالت : نعم ، لأصلّي لله في ليلة شديدة البرد ، وأصوم في يوم شديد الحر ، أيّ بنيّ ، إنّ هذا الطريق لمخيف !!

وروي أنّ الزهراء (عليها السلام) قالت توصي أمير المؤمنين (عليه السلام) : إذا أنا متّ فاغسلني وجهّزني وصلّ عليّ ، وأدخلني قبري وألحدني ، وانثر التراب على وجهي ، ثم اجلس عند رأسي فيما تستقبل من وجهي ، واتل القرآن وادع لي كثيراً ، فتلك ساعة يحتاج الميّت فيها إلى الأنس بالأحياء .

وروى السيّد ابن طاووس عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال ما مضمونه :

لا تمرّ على الميّت ساعة أشدّ من ليلته الأولى في القبر ، فارحموا موتاكم بالصدقة ، فإن لم تجدوا فليصلّ أحدكم ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب مرّة ، و« قل هو الله أحد » مرّتين ، ويقرأ في الثانية الفاتحة مرّة و« ألهاكم التكاثر » عشر مرّات ، ثمّ يسلّم ويقول :

« اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد ، وابعث ثوابها إلى قبر ذلك الميّت فلان ابن فلان » .

فيبعث الله تبارك وتعالى في تلك الساعة ألف ملك إلى قبر ذلك الميت مع كلّ ملك ثوب وحلّة ، ويوسّع له قبره إلى يوم ينفخ في الصور ، ويعطي المصلي حسنات بعدد ما تطلع عليه الشمس ، ويرفع له أربعين درجة .

وجاء في كتاب (من لا يحضره الفقيه) أنّه لمّا توفّي ذرّ بن أبي ذرّ رضي الله عنه تعالى عنه وقف أبو ذرّ على القبر فمسح القبر بيده ثمّ قال : رحمك الله يا ذرّ ، والله إن كنت بي لبرّاً ، ولقد قبضت وإنّي عنك لراض ، والله ما بي فقدك ، وما عليّ من غضاضة ، وما لي إلى أحد سوى الله من حاجة ، ولولا هول المطّلع لسرّني أن أكون مكانك ، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك ، والله ما بكيت لك ولكن بكيت عليك ، فليت شعري ما قلتَ ، وما قيل لك ؟

اللهمّ إنّي قد وهبت له ما افترضت عليه من حقّي ، فهب له ما افترضت عليه من حقّك ، فأنت أحقّ بالجود منّي والكرم .

ثانياً : وقال (عليه السلام) لعليّ بن يقطين :

« كفّارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان » .

ثالثاً : وقال (عليه السلام) :

« كلّما أحدث الناس من الذنوب ما لكم يكونوا يعلمون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدّون » .

يقول المؤلّف : لقد ظهر جليّاً في زماننا صدق هذا الكلام ، ذلك أن الذنوب والمعاصي تنشط بين الناس ، وتظهر بينهم البدع ، وقد تنكّب الناس عن جادة الحقّ وطاعة الله تعالى ، وتوهّموا الكمال في اقتراف المعاصي والمناهي ، وانتفى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بينهم ، وابتلاهم الله تعالى لذلك بأنواع من البلاء لم تكن لتخطر لهم على بال أو تجري لهم في خاطر ، وأصبحوا مصداقاً للآية الشريفة .

﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾

رابعاً : وقال (عليه السلام) : « المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان » .

أقول : ستأتي هذه الكلمة الشريفة ضمن كلام الهادي (عليه السلام) ويأتي المراد بها ، إن شاء الله .

خامساً : وقال (عليه السلام) : « يعرف شدّة الجور من حُكم به عليه » .

يقول المؤلّف : روي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال :

السلطان ظلّ الله في الأرض يأوي إليه المظلوم ، فإذا عدل السلطان فله الأجر ، وعلى الرعيّة الشكر ، وإذا ظلم السلطان فله الوزر ، وعلى الرعيّة الصبر حتّى يأتيها الفرج .

سادساً : وقال (عليه السلام) :

« والله ينزل المعونة على قدر المؤونة ، وينزل الصبر على قدر المصيبة » .

« من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة ، ومن بذّر وأسرف زالت عنه النعمة » .

« أداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق ، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق » .

« إذا أراد الله بالنملة شرّاً أنبت لها جناحين ، فطارت فأكلها الطير » .

يقول المؤلّف : لعلّ الفقرة الأخيرة تشير إلى أنّ ابن آدم يكون كسير الجناح ضعيفا في

السلامة ، فإذا ما امتلك المال والأعوان أصبح مقتدراً ، فيسحقه ويقضي عليه من هو أقدر منه ، وهذا ما أراده أبو العتاهية بقوله :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عتبه

يقال إن هارون الرشيد كان لا يفتأ يتمثّل بهذا البيت أيّام نكبة البرامكة .

سابعاً : وقال (عليه السلام) :

« إيّاك أن تمنع في طاعة الله ، فتنفق مثليه في معصية الله » .

ثامناً : وقال (عليه السلام) :

« من استوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان آخر يوميه شرّهما فهو ملعون ، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه فهو في نقصان ، فالموت خير له من الحياة » .

تاسعاً : عن (الدرّة الباهرة) قال الكاظم (عليه السلام) :

« المعروف غلّ لا يفكّه إلّا مكافأة أو شكر ، لو ظهرت الآجال افتضحت الآمال ، من وَلَده الفقر أبطره الغنى ، من لم يجد للإساءة مضضاً ما لم يكن للإحسان عنده موقع ، ما تسابّ اثنان إلّا انحطّ الأعلى إلى مرتبة الأسفل » .

هذا القول منه (عليه السلام) يشتمل على خمس حِكَم خليقة بأن تكتب بماء الذهب .

عاشراً : وقال (عليه السلام) لبعض ولده :

« يا بنيّ إيّاك أن يراك الله في معصيةٍ نهاك عنها ، وإيّاك أن يفقدك الله عند طاعةٍ أمرك بها ، وعليك بالجدّ ، ولا تخرجنّ نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته ، فإنّ الله لا يعبد حقّ عبادته ، وإيّاك والمزاح فإنّه يذهب بنور إيمانك ويستخفّ مروّتك» .

أقول : هذا المعنى هو المراد بالدعاء الذي علّمه (عليه السلام) للفضل بن يونس ، فقال (عليه السلام) : « اللهمّ لا تجعلني من المعارين[1] ، ولا تخرجني من التقصير » .

يقول المؤلّف : يظهر أن نهيه (عليه السلام) عن المزاح يراد به الإفراط في المزاح والجرأة ممّا يقلّلُ الوقار ، ويمنع المهابة ، ويبعث على المذلّة ، ويميت القلب ، ويسبّب الغفلة عن

(١) هذا الخبر ورد في (الكافي) والمؤلّف المرحوم لم يورده بكامله ، ومعنى هذا الدعاء يستفاد من بقيّة الرواية ويتّضح ، فالمعارون : جمع معار ، والمعار مأخوذ من العارية ، والمراد هنا الدين والإيمان اللذان هما عارية (المصحّح) .

الآخرة ، وكثيراً ما يبعث على العداوة أو يكون سبباً لخجل المؤمن وجرحه ، ولهذا قيل : لكلّ شيء بذرة ، وبذرة العداوة المزاح ، ومن مفاسده أنّه يدعو للضحك دون سبب ، وكثرة الضحك تُظلم القلب ، وتذهب بالمهابة ، وتذهب بماء الوجه .

ولكن لا يخفى أن المزاح إذا لم يكن فيه إفراط وداعياً إلى المفاسد المذكورة فليس بمذموم ، لا بل هو ممدوح ، وقد صدر المزاح تكراراً عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) حتّى اعتبر المنافقون مزاحه (عليه السلام) عيباً ، وكذلك فالضحك المذموم هو القهقهة المرتفعة ، وليس التبسّم المحمود ، والذي هو من أوصاف الرسول (صلّى الله عليه وآله) المشهورة .

حادي عشر : وقال (عليه السلام) :

« المؤمن مثل كفّتي ميزان ، كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه » .

ثاني عشر : روي أنّه (عليه السلام) جمع أولاده يوماً فقال لهم :

« يا بنيّ ، إنّي موصيكم بوصيّة ، فمن حفظها لم يضِع معها ، إن أتاكم آتٍ فأسمعكم في الأذن اليمنى مكروهاً ، ثمّ تحوّل إلى الأذن اليسرى فاعتذر وقال : لم أقل شيئاً ، فاقبلوا عذره » .

يقول المؤلّف : سيأتي في فصل مواعظ الجواد (عليه السلام) ما يناسب هذا المطلب إن شاء الله .

وقد أورد السيّد الرضيّ في شعره في الحكم ما يقرب من هذا فقال :

كن في الأنام بلا عينٍ ولا أذن   أولا ، فعش أبد الأيّام مصدورا
والناس أسْد تحامي عن فرائسها   إمّا عقرت وإمّا كنتَ معقورا

واعلم أنّ السيّد طاووس روى أنّه كان جماعة من خاصّة أبي الحسن موسى (عليه السلام) من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في كمامهم ألواح آبنوس لطاف وأميال ، فإذا نطق أبو الحسن (عليه السلام) بكلمة وأفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك .

أقول : وله (عليه السلام) وصيّة لهشام طويلة جمعت فيها حكم جليلة ، وفوائد عظيمة ، فعلى من طلبها الرجوع إليها في كتب (تحف العقول) و(أصول الكافي) وغيرهما .

الفصل الخامس

في استشهاد الامام موسى الكاظم (ع) وبعض ما نزل به من مظالم

الأشهر في تاريخ وفاة الإمام الكاظم (عليه السلام) هو الخامس والعشرون من رجب سنة ثلاث وثمانين ومئة ، وقبض (عليه السلام) ببغداد في حبس السنديّ بن شاهك ، ويقول البعض : كانت وفاته في الخامس من الشهر المذكور ، وعمره خمس وخمسون سنة .

كان في العشرين عندما انتقلت إليه الإمامة ، وكانت إمامته خمساً وثلاثين سنة ، قسم منها في عهد المنصور ، والظاهر أنّه لم يتعرّض له ، ثم عشر سنين وبعض السنة في عهد المهدي ، وقد استدعاه إليه وحبسه ، لكنه لم يجرؤ على إيذائه لما رآى من معجزاته ، فلم يلبث أن أعاده إلى المدينة ، وبعد ذلك سنة وبعض السنة في عهد الهادي ، الذي لم يجرؤ على إيذائه كذلك .

قال صاحب (عمدة الطالب) : أخذه الهادي وحبسه ، فرأى أمير المؤمنين (عليه السلام) في نومه فقال له : **﴿ فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم ﴾** ، فلما انتبه من نومه عرف مراده (عليه السلام) فأمر بإطلاق الإمام موسى (عليه السلام) من محبسه ؛ لكنّه أراد بعد ذلك حبسه غير أن أجله لم يمهله فمات ، ولما آل الأمر إلى الرشيد حمله من المدينة إلى بغداد فحبسه مدّة ، ثم قتله بالسمّ في السنة الرابعة عشرة من حكمه .

أمّا السبب في حمل الرشيد له إلى بغداد فقد روى الشيخ الطوسيّ وابن بابويه وآخرون أن هارون الرشيد أراد أن يعقد الأمر لبنيه من بعده ، وكان له من البنين أربعة عشر ابناً فاختار منهم ثلاثة : محمّداً الأمين ابن زبيدة ، وجعله وليّ عهده ، وعبد الله المأمون ، وجعل الأمر له بعد الأمين ، والقاسم المؤتمن ، وجعل الأمر له له بعد المأمون ، وأراد أن يُحكم الأمر في ذلك .

وكان الرشيد قد وضع ابنه محمّد ابن زبيدة في حجر جعفر بن محمّد بن الأشعث كمربّ

له ، فساء ذلك يحيى بن خالد البرمكيّ ، وكان كبير وزراء هارون ، فحدّثته نفسه أنّه إذا مات الرشيد وأفضى الأمر إلى محمّد الأمين انقضت دولتي ودولة ولدي ، وتحوّل الأمر إلى جعفر بن محمّد بن الأشعث وولده ، فأضمر الكيد لجعفر ، وجعل يحتال في إسقاطه .

وبدأ في السعي به عند الرشيد حتى نسبه إلى التشيّع والقول بإمامة موسى بن جعفر (عليه السلام) ، وقال للرشيد : إنّ جعفراً من موالي موسى بن جعفر ومن القائلين بخلافته ، وإنّه لا يصل إليه مال إلاّ أخرج خمسه فوجّه به إلى موسى بن جعفر ، إلى غير ذلك من الأخبار المثيرة ، فأوغر بها صدر الرشيد على الإمام (عليه السلام) ، فسأل يحيى وآخرين أن يدلّوه على رجل من آل أبي طالب له رغبة في الدنيا فيأتيه بأخبار الإمام (عليه السلام) ، فدلّوه على عليّ بن إسماعيل بن جعفر (عليه السلام) وكان عمّه (عليه السلام) يقرّبه ويحسن إليه حتى اطّلع على أحوال عمّه كافّة .

كتب الرشيد إلى عليّ بن إسماعيل يدعوه إليه ، فبلغ الأمر الإمام (عليه السلام) فدعا ابن أخيه فسأله : مالك والخروج ؟ قال : لأنّ عليَّ دَيناً ، فقال له : دَيْنك عليّ ، قال : وتدبير عيالي ، قال : أنا أكفيهم ، لكنّه أبى إلاّ الخروج .

وقبل خروجه سأل عمّه أن يوصيه ، فقال له : لا تشرك في دمي ، ولا توتم ولدي ، وأعادها عليه ثلاثاً ، ثمّ وصله بثلاثمئة دينار ذهبيّ وأربعة آلاف درهم ؛ فلمّا قام من بين يديه قال أبو الحسن موسى (عليه السلام) لمن حضره : والله ليسعينّ في دمي ، ويوتمنّ أولادي ، فقالوا له : جعلنا الله فداك ، فأنت تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله ؟ فقال لهم : نعم ، حدّثني أبي عن آبائه عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : أنّ الرحم إذا قُطعت فوُصلت قطعها الله . (أي قطع الله رحمته عمّن قطع رحمه بعد وصلها) .

ومجمل القول : فإنّ عليّ بن إسماعيل صار إلى يحيى بن خالد في بغداد ، (فتعرّف منه خبر موسى بن جعفر (عليه السلام) ، ثم واطأه على أن يزيد من عنده أقوالاً تغضب الرشيد ، ثم صحبه إلى الرشيد .

فلمّا دخل عليه سلّم عليه بالخلافة وقال : ما ظننت أنّ في الأرض خليفتين حتّى رأيت موسى بن جعفر يسلَّم عليه بالخلافة ، إنّ الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب ، وإنّ له بيوت أموال ، وإنّه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فسمّاها اليسيرة .

فأمر له الرشيد بمئتي ألف درهم ، فلمّا عاد إلى بيته اشتكى ألماً في حلقه ، ثمّ هلك ولم ينفعه الذهب في شيء .

وبرواية أخرى أنه دخل في بعض الأيّام إلى الخلاء فأصيب بزحار شديد خرجت منه

أحشاؤه ، فجاءه المال وهو ينزع فقال : ما أصنع به وأنا في الموت ؟! ورُدّ المال إلى خزائن الرشيد.

ومجمل القول ففي هذه السنة ، سنة تسع وسبعين ومئة من الهجرة شرع هارون في إحكام العقد لبنيه ، وعزم على الحجّ للقبض على الإمام موسى (عليه السلام) ، وكتب إلى جميع الآفاق يأمر الفقهاء والعلماء والقرّاء والأمراء أن يحضروا مكّة أيّام الموسم ، ليأخذ منهم البيعة لبنيه ، ويشهر الأمر شهرة يقف عليها الخاصّ والعامّ ، وشرع بعلمه من المدينة.

قال يعقوب بن داود : لمّا قدم هارون الرشيد إلى المدينة دخلت على يحيى بن خالد فحدّثني أنّه سمع الرشيد يقول عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كالمخاطب له : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ، إنّي أعتذر إليك من أمر عزمت عليه ، إنّي أريد أن آخذ موسى بن جعفر فأحبسه ، لأنّي قد خشيت أن يلقي بين أمّتك حرباً تسفك فيها دماؤهم.

وقال لي يحيى : أنا أحسب أنّه سيأخذه غداً ، فلمّا كان من الغد أرسل إليه الفضل بن الربيع وهو قائم يصلّي في مقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأمر بالقبض عليه وحمله إلى خارج المسجد وهو يبكي ويقول : إليك أشكو يا رسول الله ما يلقاه أهل بيتك من أمّتك ، وأقبل الناس من كلّ جانب يبكون ويضجّون ، فلمّا حُمل (عليه السلام) إلى الرشيد شتمه وجفاه ، وأمر بوضعه في الأغلال ، ثم أمر بتجهيز راحلتين ، ودفع به في الخفاء إلى حسّان السرويّ وأمره أن يصير به إلى البصرة ، فيسلمه إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، ابن عمّ هارون ، وهو أميرها ، ووجّه راحلة أخرى علانية نهاراً إلى الكوفة ومعها جماعة ، ليعمّي على الناس أمر موسى بن جعفر (عليهما السلام).

ودخل به حسّان البصرة في السابع من ذي الحجة ، قبل التروية بيوم ، فدفعه إلى عيسى بن جعفر نهاراً علانية ، حتّى عُرف ذلك وشاع أمره ، فحبسه عيسى في إحدى حجرات بيته وأقفل عليه ، وشغله العيد ، فكان لا يُفتح عنه الباب إلاّ في حالتين : حين يخرج إلى الطهور ، وحين يُدخل إليه الطعام.

قال محمّد بن سليمان النوفليّ : حدّثني أحد كتّاب عيسى بن جعفر ، وكان نصرانيّاً ، وكان خاصّاً بي فقال : لقد سمع هذا الرجل الصالح - ويعني الإمام (عليه السلام) - في أيّامه هذه في هذه الدار التي هو فيها من ضروب الفواحش والمناكير ما أعلم ولا أشكّ أنّه لم يخطر بباله.

وقد لبث (عليه السلام) في حبس عيسى سنة حضّه الرشيد فيها مراراً على قتله ، غير أنّه لم يجرؤ أن يقدم على هذا الأمر الشنيع ، كما منعه من ذلك جماعة من خواصّه ، ثم كتب إلى

الرشيد يقول : لقد طال حبس موسى بن جعفر عندي ، وقد اجتهدت بأن أجد عليه حجّة فما أقدر على ذلك ، حتّى إنّي لأتسمّع عليه إذا دعا لعلّه يدعو عليّ أو عليك ، فما أسمعه يدعو إلاّ لنفسه يسأل الرحمة والمغفرة ، فخذه منّي وسلّمه إلى من شئت وإلاّ خلّيت سبيله .

قال أحد عيون عيسى وقد كلّف بمراقبة الإمام (عليه السلام) : كنت كثيراً ما أسمعه يناجي ربّه فيقول : يا ربّ ، ما زلت أسألك أن ترزقني زاوية أعتزل بها وأخلو فيها للتعبّد لك في سكون وراحة بال ، وأشكرك لأنّك استجبت لي وأعطيتني ما أردت .

هذا ولمّا وصل كتاب عيسى إلى الرشيد وجّه من تسلّمه منه ، وحُمل سرّاً إلى بغداد فحبس عند الفضل بن الربيع ، وكان يقضي مدّة حبسه متعبّداً ساجداً جلّ وقته .

وروى الشيخ الصدوق عن الثوبانيّ أنّه قال :

كان لأبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) ـ بضع عشرة سنة ـ كلّ يوم سجدة بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال ؛ وكان هارون ربّما صعد مكاناً يشرف منه على الحبس الذي حبس فيه أبا الحسن (عليه السلام) فكان يراه ساجداً ، فقال للربيع يوماً : وما ذاك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ما ذاك بثوب وإنّما هو موسى بن جعفر ، له كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال .

فقال الرشيد : أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم ! قال الربيع : فما لك قد ضيّقت عليه في الحبس ؟ قال : هيهات ، لا بدّ من ذلك !!

جاء في (الدرّ النظيم) عن الفضل بن الربيع ، عن أبيه ، قال :

بعثني هارون إلى أبي الحسن (عليه السلام) برسالة وهو في حبس السنديّ بن شاهك ، فدخلت عليه وهو يصلّي فهبته أن أجلس ، فوقفت متّكئاً على سيفي ، فكان (عليه السلام) إذا صلّى ركعتين وسلّم واصل بركعتين أخريين ، فلمّا طال وقوفي وخفت أن يسأل عنّي هارون وحانت منه تسليمة شرعت في الكلام فأمسك ، وقد كان قال لي هارون : لا تقل : بعثني أمير المؤمنين إليك ، ولكن قل : بعثني أخوك ، وهو يقرئك السلام وهو يقول لك :

إنّه بلغني عنك أشياء أقلقتني ، فأقدمتك إليّ ، وفحصت عن ذلك فوجدتك نقيّ الجيب ، بريئاً من العيب ، مكذوباً عليك في ما رُميت به ، ففكّرت بين إصرافك إلى منزلك ومقامك ببابي ، فوجدت مقامك ببابي أبرأ لصدري ، وأكذب لقول المسرعين فيك ، ولكلّ إنسان غذاء قد اغتذاه وألفت عليه طبيعته ، ولعلّك اغتذيت بالمدينة أغذية لا تجد من يصنعها لك ها هنا ، وقد أمرت الفضل أن يقيم لك من ذلك ما شئت ، فمره بما أحببت ، وانبسط ما تريده .

قال : فجعل (عليه السلام) الجواب في كلمتين من غير أن يلتفت إليّ فقال :

« لا حاضرٌ لي مالي فينفعني ، ولم أُخلّف سَؤولاً ، الله أكبر ». ودخل في الصلاة .

قال : فرجعت إلى هارون فأخبرته ، فقال لي : فما ترى في أمره ؟ فقلت : يا سيّدي ، لو خططت في الأرض خطّة فدخل فيها ، ثم قال : لا أخرج منها ، ما خرج منها ، قال : هو كما قلت ، ولكنّ مقامه عندي أحبّ إليّ .

وروى غيره قال : قال هارون : إيّاك أن تخبر بهذا أحداً ، قال : فما أخبرت به أحداً حتّى مات هارون .

وروي الشيخ الطوسيّ عن محمّد بن غياث أنّه قال : قال هارون ليحيى بن خالد : انطلق إليه (عليه السلام) وأطلق عنه الحديد ، وأبلغه عنّي السلام وقل له :

يقول لك ابن عمّك : إنّه قد سبق منّي فيك يمين أنّي لا أخلّيك حتى تقر لي بالإساءة ، وتسألني العفو عمّا سلف منك ؛ وليس في إقرارك عار ، ولا في مسألتك إيّاي منقصة ؛ وهذا يحيى بن خالد هو ثقتي ووزيري وصاحب أمري ، فسله بقدر ما أخرُج من يميني ، وانصرف راشداً .

قال محمّد بن غياث : فأخبرني موسى بن يحيى بن خالد أنّ أبا إبراهيم (عليه السلام) قال ليحيى : يا أبا عليّ ، أنا ميّت ، وإنّما بقي من أجلي أسبوع .

وروي أنّ الإمام (عليه السلام) بقي محبوساً عند الفضل بن الربيع مدّة ، قال الفضل : قد أرسلوا إليّ في غير مرّة يأمرونني بقتله ، فلم أجبهم إلى ذلك ، وأعلمتهم أنّي لا أفعل ذلك ، فكان أن حُوّل (عليه السلام) إلى الفضل بن يحيى يبعث إليه في كلّ ليلة بمائدة ، ومنع أن يُدخل إليه من عند غيره . حتّى مضى على تلك الحال ثلاثة أيّام ولياليها ، فلمّا كانت الليلة الرابعة قدّمت إليه المائدة ، فرفع (عليه السلام) يده إلى السماء فقال :

« يا ربّ ، إنّك تعلم أنّي لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي » .

قال : فأكل فمرض ، فلمّا كان من غد بُعث إليه بالطبيب ليسأله عن العلّة ، فقال له الطبيب : ما حالك ؟ فتغافل عنه ، فلمّا أكثر عليه أخرج إليه راحته فأراها الطبيب ، ثمّ قال : هذه علّتي ، وكانت خضرة وسط راحته تدلّ على أنه سمّ ، فاجتمع في ذلك الموضع .

قال : فانصرف الطبيب إليهم وقال : والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم ، ثمّ توفّي عليه السلام .

وبرواية أخرى أنّهم سلّموه إلى الفضل بن يحيى وأرادوا منه أن يقتله فأبى ، بل جعله

عنده في رفاهية وسعة ، فبلغ ذلك الرشيد وهو حينئذ بالرَّقّة ، فانفذ مسروراً الخادم إلى بغداد ، وأمره أن يدل من فوره على موسى بن جعفر (عليهما السلام) فيعرف خبره ، فإن كان الأمر على ما بلغه أوصل كتاباً منه إلى العبّاس بن محمّد وأمره بامتثاله ، وأوصل منه كتاباً آخر إلى السنديّ بن هاشك يأمره بطاعة العبّاس.

فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد ، ثمّ دخل على موسى بن جعفر (عليهما السلام) فوجده على ما بلغ الرشيد ، فمضى من فوره إلى العبّاس بن محمّد والسندي فأوصل الكتاب إليهما ، فدعوا بالفضل بن يحيى فجُرِّد ، ثمّ ضُرب مئة سوط ، ثمّ كتب مسرور بالخبر إلى الرشيد فأمر بتسليم موسى (عليه السلام) إلى السنديّ بن شاهك.

ثمّ جلس الرشيد مجلساً حافلاً وقال : أيّها الناس ، إن الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي ، ورأيت أن ألعنه فالعنوه ، فلعنه الناس من كلّ ناحية ؛ وبلغ يحيى بن خالد ذلك فركب إلى الرشيد ، ودخل عليه من غير الباب الذي يدخل عليه الناس منه حتى جاءه من خلفه وهو لا يشعر ، ثمّ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الفضل حدث ، وأنا سأكفيك ما تريد !!

فانطلق وجه الرشيد وسرّ ، وأقبل على الناس فقال : إنّ الفضل كان عصاني في شيء فلعنته ، وقد تاب وأناب إلى طاعتي فتولّوه ، فقالوا له : نحن أولياء من واليت ، وأعداء من عاديت ، وقد تولّيناه.

ثمّ خرج يحيى بن خالد حتّى أتى بغداد ، فماج الناس وأرجفوا بكلّ شيء ، فأظهر أنّه ورد لتعمير قلعة والنظر في أمر العمّال ، وتشاغل ببعض ذلك ، ثمّ دعا السنديّ فأمره فيه بأمره ، ثم دفع إليه رطباً مسمومة ، وأمره بتقديمها لموسى (عليه السلام) والإلحاح عليه في تناولها ، وأن لا يدعه حتّى يفعل ، فقدّمها إليه (عليه السلام).

وبرواية السنديّ بن شاهك أنّه بعث إليه بالرطب ، ثمّ أتاه ليرى ما فعل ، فوجد أنّه تناول عشراً منها ، فطلب منه أن يستوفيها فقال (عليه السلام) : حسبك ، قد بلغت ما يُحتاج إليه في ما أمرت به !!

ثمّ إنّ السنديّ أحضر القضاة والعدول قبل وفاته بأيّام ، وأخرجه إليهم وقال : إنّ الناس يقولون : إنّ أبا الحسن موسى في ضنك وضرّ ، وها هو ذا لا علّة به ولا مرض ولا ضرّ !!

فالتفت (عليه السلام) فقال لهم : اشهدوا عليّ أنّي مقتول بالسمّ منذ ثلاثة أيّام ، واشهدوا أنّي صحيح الظاهر لكنّي مسموم ، وسأحمرّ في آخر هذا اليوم حمرة شديدة منكرة ، وأصفرّ غداً صفرة شديدة ، وأبيضّ بعد غد وأمضي إلى رحمة الله ورضوانه ؛ فمضى

(عليه السلام) كما قال في آخر اليوم الثالث ، وفاضت روحه الطاهرة إلى الملأ الأعلى ، والتحق بالأنبياء والصدّقين والشهداء بمقتضى قوله تعالى :

﴿ وأمّا الذين أبيضّت وجوههم ففي رحمة الله ﴾ ، صلوات الله عليه .

وروى الشيخ الصدوق وغيره عن محمّد بن بشّار أنّه قال : حدّثني شيخ من أهل قطيعة الربيع من العامّة ، ممّن كان يُقبل قوله ، قال :

جُمعنا أيّام السنديّ بن شاهك ثمانين رجلاً من الوجوه ممّن ينسب إلى الخير ، فأدخلنا على موسى بن جعفر (عليه السلام) فقال لنا السنديّ :

يا هؤلاء ، انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث ؟ فإنّ الناس يزعمون أنّه قد فُعل مكروه به ، ويكثرون في ذلك ، وهذا منزله وفرشه موسّع عليه غير مضيّق ، ولم يرد به أمير المؤمنين سوءً ، وإنّما ينتظره أن يقدم فيناظره أمير المؤمنين ، وها هو صحيح موسّع عليه في جميع أمره ، فاسألوه !!

قال الشيخ : ونحن ليس لنا همّ إلاّ النظر إلى الرجل وإلى فضله وسمته ، فقال (عليه السلام) :

أمّا ما ذكر في التوسعة وما أشبه ذلك فهو على ما ذكر ، غير أنّي أخبركم أيّها النفر أنّي قد سقيت السمّ في تسع تمرات ، وأنّي أحتضر غداً ، وبعد غد أموت .

قال : فنظرت إلى السنديّ بن شاهك يرتعد ويضطرب مثل السعفة .

ووفقاً لبعض المرويّات فإنّه (عليه السلام) سأل السنديّ بن شاهك أنّ يحضره مولىً له يتولّى غسله وتكفينه ، ففعل .

قال السنديّ : فكنت سألته في الإذن لي أن أكفّنه ، فأبى وقال : إنّا أهل بيت مهور نسائنا وحجّ صرورتنا[1] وأكفان موتانا من طاهر أموالنا ، وعندي كفن .

فلمّا توفّي (عليه السلام) جمع ابن شاهك فقهاء بغداد وأعيانها للنظر إلى أنّه ليس به أثر جراحة ، وليوهم الناس أنّه (عليه السلام) إنّما توفّي حتف أنفه ، وأنه ليس لهارون في موته يد !!

ثمّ أُخرج فوضع على الجسر ببغداد ، فكشفوا عن وجهه الشريف ونودي عليه : هذا

---

(١) المراد بالصرورة هنا : من لم يحجّ قبل سفره هذا.

موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنّه لا يموت ، فانظروا إليه ، فنظر الناس إليه (عليه السلام) .

وروى الشيخ الصدوق عن عمر بن واقد أنّه قال : أرسل إليّ السنديّ بن شاهك في بعض الليل وأنا في بغداد يستحضرني ، فخشيت أن يكون ذلك لسوء يريده بي ، فأوصيت عيالي بما احتجت إليه وقلت : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » ، ثمّ ركبت إليه ؛ فلمّا رآني مقبلاً قال : يا أبا حفص ، لعلّنا أرعبناك وأفزعناك ؟ قلت : نعم ، قال : فليس هنا إلاّ خير ، قلت : فرسول تبعثه إلى منزلي يخبرهم خبري ، فقال : نعم .

ثمّ قال : يا أبا حفص ، أتدري لم أرسلت إليك ؟ فقلت : لا ، فقال : أتعرف موسى بن جعفر ؟ فقلت : إي والله إنّي لأعرفه ، بيني وبينه صداقة منذ دهر ، فقال : من ها هنا ببغداد يعرفه ممّن يُقبل قوله ؟

فسمّيت له أقواماً ، ووقع في نفسي أنّه (عليه السلام) قد مات .

قال : فبعث فجاء بهم كما جاء بي ، فقال : هل تعرفون قوماً يعرفون موسى بن جعفر ؟ فسمّوا له قوماً فجاء بهم ، فأصبحنا ، ونحن في الدار نيّفاً وخمسين رجلاً ممّن يعرف موسى بن جعفر (عليه السلام) وقد صحبه .

قال : ثمّ قام فدخل وصلّينا ، فخرج كاتبه ومعه طومار فكتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وحلانا ، ثمّ دخل إلى السنديّ ، فخرج السنديّ فضرب يده إليّ فقال لي : قم يا أبا حفص ، فنهضت ونهض أصحابنا ، ودخلنا ، فقال لي : يا أبا حفص اكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر ، فكشفته فرأيته ميّتاً ، فبكيت واسترجعت ؛ ثم قال للقوم :

انظروا إليه ، فدنا واحد بعد واحد فنظروا إليه ، ثمّ قال : تشهدون كلّكم أنّ هذا موسى بن جعفر بن محمّد ؟ فقلنا ؛ نعم ، نشهد أنّه موسى بن جعفر بن محمّد (عليهم السلام) .

ثمّ قال : يا غلام ، اطرح على عورته منديلاً واكشفه ، ففعل : فقال : أترون به أثراً تنكرونه ؟ فقلنا : لا ، ما نرى به شيئاً ، ولا نراه إلاّ ميّتاً .

قال : فلا تبرحوا حتّى تغسّلوه وتكفّنوه وتدفنوه ؛ فلم نبرح حتّى غُسّل وكفّن وحمل ، فصلّى عليه السنديّ بن شاهك ، ودفناه ورجعنا .

قال صاحب (عمدة الطالب) : بعد أن سلّم الرشيد موسى بن جعفر (عليهما السلام) إلى السنديّ بن شاهك مضى إلى الشام ، فأمر يحيى بن خالد السنديّ بقتله ، فقيل : إنّه

سُمّ ، وقيل : بل لُفّ في بساط وغمز حتّى مات ، ثمّ أخرجه للناس ، وعمل محضراً بأنّه مات حتف أنفه ، وتركه ثلاثة أيّام على الطريق ، يأتي من يأتي فينظر إليه ، ثمّ يكتب في المحضر ، ثم دفن بمقابر قريش . انتهى .

وروي أنّه لما حمل النعش الشريف ليدفن (عليه السلام) في مقابر قريش نودي عليه : هذا إمام الرافضة فاعرفوه ، ثمّ أُتي به إلى السوق فوضع هناك ثمّ نودي عليه : هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه ، ألا فانظروا إليه ؛ فحفّ به الناس وجعلوا ينظرون إليه ، لا أثر به من جراحة ولا خنق ، وكان في رجله أثر الحنّاء ؛ ثم أمروا العلماء والفقهاء أن يكتبوا شهادتهم في ذلك ، فكتبوا جميعاً إلاّ أحمد بن حنبل ، فكلّما زجروه لم يكتب شيئاً .

وروي أنّ السوق الذي وضع فيه النعش الشريف سمّي « سوق الرياحين » ، وبنى على الموضع بناء ، وجعل عليه باباً لئلاّ يطأه الناس بأقدامهم ، بل يتبركون به وبزيارته .

وقد حكي عن مولى أولياء الله صاحب (تاريخ مازندران) أنّه قال : إنّي مررت به مرّات عديدة ، وقبّلت الموضع الشريف منه .

قال الشيخ المفيد : وأُخرج فوضع على الجسر ببغداد ، ونودي : هذا موسى بن جعفر قد مات ، فانظروا إليه ، فجعل الناس يتفرّسون في وجهه وهو ميّت .

وقال ابن شهر اشوب : إنّ السنديّ بن شاهك أخرج النعش الشريف فوضع على جسر بغداد ونودي عليه : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنّه لا يموت ، فانظروا إليه ؛ ولهذا قيل : إنّ الواقفة يعتقدون بأنّه الإمام القائم ، وزعموا أنّ حبسه هو غيبته ؛ ولما كان السنديّ مع الناس على الجسر نفر به فرسه فرمى به في الماء ، فغرق السنديّ ، وشتّت الله تعالى جماعة يحيى بن خالد .

وبراوية الشيخ الصدوق أنّه لمّا أتي بالنعش إلى مجلس الشرطة قام أربعة نفر فنادوا : ألا من أراد أن يرى موسى بن جعفر فليخرج ، وخرج سليمان بن أبي جعفر عمّ هارون من قصره إلى الشطّ ، فسمع الصياح والضوضاء فقال لولده وغلمانه : ما هذا ؟ قالوا : السنديّ بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر على نعش ، فأمر غلمانه فنزلوا إليهم وضربوهم وأخذوه من أيديهم ، وأقام المنادين ينادون : ألا من أراد النظر إلى الطيّب ابن الطيّب فليخرج ، وحضر الخلق ، فحتفى ، ومشى في جنازته حاسراً مشقوق الجيب إلى مقابر قريش ، فغسّل وحنّط بحنوط فاخر ، وكفّن بكفن فيه حبرة استعملت له بألفين وخمسمئة دينار ، كتب عليها القرآن كلّه ، فدفن بكل إعزاز في مقابر قريش .

فلمّا بلغ الرشيد ذلك كتب إلى سليمان بن أبي جعفر : وصلتك رحم يا عمّ ، وأحسن

الله جزاءك ، والله ما فعل السنَديّ بن شاهك ـ لعنه الله ـ ما فعل عن أمرنا .

وروى الشيخ الكليني (ره) عن أحد خدم الإمام موسى (عليه السلام) أنّه قال : لمّا أُخرج أبو إبراهيم (عليه السلام) من المدينة إلى العراق أمر أبا الحسن الرضا (عليه السلام) أن ينام على بابه في كلّ ليلة أبداً ما كان حيّاً إلى أن يأتيه خبره .

قال : فكنّا في كلّ ليلة نفرش لأبي الحسن (عليه السلام) في الدهليز ، ثمّ يأتي بعد العشاء فينام ، فإذا أصبح انصرف إلى منزله ؛ فمكث على هذه الحال أربع سنين ، فلمّا كان ليلة من الليالي أبطأ عنّا ، وفُرش له فلم يأت كما كان يأتي ، فاستوحش العيال وذعروا ، ودخلنا أمر عظيم في إبطائه .

فلمّا كان من الغد أتى الدار ودخل إلى العيال ، وقصد إلى أمّ أحمد (سيّدة الدار) فقال لها : هاتي الذي أودعك أبي ، فصرخت ولطمت وجهها ، وشقّت جيبها وقالت : مات والله سيّدي ؛ فكفّها وقال لها: لا تتكلّمي بشيء، ولا تظهريه حتى يجيء الخبر إلى الوالي.

فأخرجت إليه ما كان عندها من ودائع أودعها الإمام موسى (عليه السلام) عندها ، وقالت : إنّه قال لي فيما بيني وبينها ـ وكانت أثيرة عنده ـ : احتفظي بهذه الوديعة عندك لا تطلعي عليها أحداً حتّى أموت ـ فإذا مضيت فمن أتاك من ولدي فطلبها منك فادفعيها إليه ، واعلمي أنّي قد متّ ، وقد جاءني والله علامة سيّدي .

فقبض (عليه السلام) ذلك منها ، وأمرهم بالإمساك جميعاً إلى أن ورد الخبر ، وانصرف فلم يعد إلى المبيت كما كان يفعل ، فما لبثنا حتّى جاء نعيه (عليه السلام) ، فعددنا الأيّام وتفقّدنا الوقت ، فإذا هو قد مات في الوقت الذي فعل أبو الحسن (عليه السلام) ما فعل من تخلّفه عن المبيت ، وقبضه لما قبض .

يقول المؤلّف : إنّ السيّد ابن طاووس (ره) نقل في (مصباح الزائر) من خلال إحدى زياراته (عليه السلام) هذه الصلوات التي تحتوي على زبدة من فضائله ومناقبه وعباداته ومصائبه (عليه السلام) يجدر بي إيرادها ها هنا :

« اللهم صلّ على محمّد وأهل بيته الطاهرين ، وصلّ على موسى بن جعفر وصيّ الأبرار ، وإمام الأخيار ، وعيبة الأنوار ، ووارث السكينة والوقار ، والحِكَم والآثار ، الذي كان يحيي الليل بالسهر إلى السحر بمواصلة الاستغفار ؛ حليف السجدة الطويلة ، والدموع الغزيرة ، والمناجاة الكثيرة ، والضراعات المتّصلة ، ومَقرّ النُهى والعدل ، والخير والفضل ، والندى والبذل ، ومألف البلوى والصبر ، والمضطهد بالظلم ، والمقبور بالجَور ، والمعذَّب في قعر السجون وظُلَم المطامير ، ذي الساق المرضوض بحَلَق القيود ، والجنازة المنادى عليها بذلّ

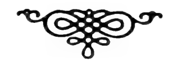
الاستخفاف ، والوارد على جدّه المصطفى وأبيه المرتضى وأمّه سيّدة نساء العالمين بإرث مغصوب ، وولاء مسلوب ، وأمر مغلوب ، ودم مطلوب ، وسمّ مشروب .

اللهمّ وكما صبر على غليظ المحن وتجرّع غُصَص الكُرَب ، واستسلم لرضاك ، وأخلص الطاعة لك ، ومحض الخشوع ، واستشعر الخضوع ، وعادى البدعة وأهلها ، ولم يلحقه في شيء من أوامرك ونواهيك لومة لائم ، صلِّ عليه صلاة نامية منيفة زاكية ، توجب له بها شفاعة أمم من خلقك ، وقرون من براياك ، وبلّغه عنّا تحيّة وسلاماً ، وآتنا من لدنك من موالاته فضلاً وإحساناً ، ومغفرة ورضواناً ؛ إنّك ذو الفضل العميم ، والتجاوز العظيم ، برحمتك يا أرحم الراحمين » .

وورد في أحاديث كثيرة أن زيارته (عليه السلام) كزيارة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وبرواية أنّ مَثَل من زار قبره كمن زار قبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقبر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وفي رواية أخرى : كمن زار الإمام الحسين (عليه السلام) ، وبحديث آخر : إنّ لزائره الجنّة ، سلام الله عليه .

وعن الخطيب في (تاريخ بغداد) ، عن عليّ بن الخلاّل قال :

« ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر (عليهما السلام) وتوسّلت به إلاّ سهّل الله لي ما أحبّ » .



الفصل السادس

اولاد وعقب الامام موسى (عليه السلام) وذكر ابراهيم بن موسى

اعلم أنّ هناك اختلافاً في تحديد عدد أبناء الإمام موسى (عليه السلام) ، فقد ذكر ابن شهر اشوب أنّ أولاده (عليه السلام) ثلاثون فقط ، وقال صاحب (عمدة الطالب) : ولد (عليه السلام) ستّين ولداً ، سبعاً وثلاثين بنتاً ، وثلاثة وعشرين ابناً ، وقال الشيخ المفيد (ره) : كان لأبي الحسن (عليه السلام) سبعة وثلاثون ولداً ذكراً وأنثى ، ثمانية عشر ذكراً ، وتسع عشرة أنثى ، وأسماؤهم :

الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام) ، وإبراهيم ، والعبّاس ، والقاسم ، وإسماعيل ، وجعفر ، وهارون ، والحسن ، وأحمد ، ومحمّد ، والحمزة ، وعبد الله ، وإسحاق ، وعبيد الله ، وزيد ، والحسين ، والفضل ، وسليمان .

وفاطمة الكبرى ، وفاطمة الصغرى ، ورقيّة ، وحكيمة ، وأمّ أبيها ، ورقيّة الصغرى ، وكلثوم[1] ، وأمّ جعفر ، ولبانة ، وزينب[2] ، وخديجة ، وعليّة ، وآمنة ، وحسنة ، وبُريهة ،

---

(١) كلثم .

(٢) رأيت في نسخة من (أنساب المجديّ) (ويحتمل(*) أنّه ملحق) مكتوباً : إنّني سمعت من الأمير محمّد الهادي ابن الأمير لوحيّ المؤرّخ أنّ زينب المدفونة في قرية « أرْزَنان » من قرى إصفهان ، إنّما هي الابنة المباشرة للإمام موسى بن جعفر (ع) .

(*) ـ ليس محتملاً بل هو ملحق يقيناً، ذلك أنّ (أنساب المجديّ) تأليف الشيخ أبي الحسن عليّ بن أبي الغنائم كما يقول المرحوم المؤلّف في المجلّد الأوّل، في الحديث عن أولاد عمر الأطرف ابن أمير المؤمنين (ع)، والشيخ أبو الحسن المذكور توفّي في أواسط القرن الخامس الهجريّ، وولد الأمير محمّد الهادي ابن الأمير لوحي من القرن الحادي عشر، إذاً، فمن المسلّم أنّ العبارة المذكورة من كاتب (أنساب المجديّ) وملحقة بأصل الكتاب . (المصحّح).

وعائشة[١] ، وأمّ سلمة ، وميمونة ، وأمّ كلثوم .

وجاء في (عمّدة الطالب) عن الشيخ أبي نصر البخاريّ أنّ الشيخ تاج الدين قال : أعقب موسى الكاظم (عليه السلام) من ثلاثة عشر رجلاً ، أربعة منهم مكثرون وهم : عليّ الرضا (عليه السلام) ، وإبراهيم المرتضى ، ومحمّد العابد ، وجعفر ، وأربعة متوسّطون وهم : زيد النار ، وعبد الله ، وعبيد الله ، والحمزة ، وخمسة مقلّون وهم : العبّاس ، وهارون ، وإسحاق ، وإسماعيل ، والحسن .

وقال الشيخ المفيد (ره) : إنّ لكلّ من أولاد الإمام موسى (عليه السلام) فضلاً ومنقبة مشهورة .

إبراهيم بن موسى بن جعفر (عليهما السلام) وأولاده

قال الشيخ المفيد (ره) : وكان إبراهيم بن موسى (عليه السلام) سخيّاً كريماً ، وتقلّد الإمرة على اليمن في أيّام المأمون من قِبل محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ، الذي بايعه أبو السرايا ، إلى أن كان من أمر أبي السرايا ما كان ، فأخذ له الأمان من المأمون .

يقول المؤلّف : إنّ تاج الدين بن زهرة الحسينيّ قال في كتاب (غاية الاختصار) في ذكر أجداد السيّدين المرتضى والرضيّ في أحوال إبراهيم بن موسى الكاظم (عليه السلام) :

كان الأمير إبراهيم المرتضى سيّداً جليلاً ، وأميراً نبيلاً ، وعالماً فاضلاً ، روى الحديث عن آبائه (عليهم السلام) ، ذهب إلى اليمن واستولى عليها في أيّام أبي السرايا ، وقيل إنّه كان يدعو لإمامة أخيه الرضا (عليه السلام) ، فبلغ هذا المأمون فشفع له عنده فقبل المأمون شفاعته له ، وأعطاه الأمان ، ولم يتعرّض به ، توفّي في بغداد ودفن في مقابر قريش مع أبيه (عليه السلام) في قبر منفصل معروف .

وقال في أحوال ابنه أبي سُجة : إنّه كان فاضلاً من أهل الصلاح والعبادة والورع ؛ كان يروي الحديث ، وقال : رأيت له كتاباً في سلسلة الذهب يروي عنه المؤالف والمخالف ، قال : أخبرني أبي إبراهيم قال : حدّثني أبي موسى الكاظم (عليه السلام) قال : حدّثني الإمام الصادق جعفر بن محمّد (عليهما السلام) قال : حدّثني أبي الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) قال : حدّثني أبي زين العابدين (عليه السلام) قال : حدّثني أبي الإمام الحسين شهيد كربلاء (عليه السلام) قال : حدّثني أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قال : حدّثني

---

(١) عبّاسة .

رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : حدّثني جبرئيل (عليه السلام) عن الله تعالى أنّه قال :

« كلمة لا إله إلّا الله حصني ، فمن قالها دخل حصني ، ومن دخل حصني أمن عذابي » .

توفّي أبو سُجة في بغداد ، وقبره في مقابر قريش بجوار أبيه وجدّه ، وقد سألت عن قبره فدلّوني عليه ، وموضعه في سرداب حجرة صغيرة من أملاك ومنازل الجوهريّ الهنديّ . انتهى .

أقول : ذكر صاحب (عمدة الطالب) أن الإمام موسى (عليه السلام) كان له ولدان باسم إبراهيم : إبراهيم الأكبر ، وفي أعقابه خلاف ؛ وقال أبو نصر البخاريّ : خرج في اليمن في أيام أبي السرايا ولم يعقب ؛ والثاني : إبراهيم الأصغر الملقّب بالمرتضى ، أمّه أمّ ولد من أهل النوبة وزنجبار واسمها نجيّة ، أعقب ولدين : موسى أبا سُجة ، وجعفراً ؛ غير أنّ أبا عبد الله بن طباطبا ذكر أنّه أعقب ثلاثة بنين : موسى وجعفراً وإسماعيل ، وعقب إسماعيل من ابنه محمّد ، ولمحمّد بن إسماعيل أعقاب وأولاد في « دينور » وغيرها أحدهم أبو القاسم الحمزة بن عليّ بن الحسين بن أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ، وقد رأيته وكان رجلاً حسناً ، وتوفّي بقزوين ، وكان له إخوة وأعمام .

كان هذا قول ابن طباطبا ، أمّا الشيخ تاج الدين فقد ذكر أن إبراهيم لم يعقب إلّا من موسى وجعفر .

أمّا موسى أبو سجة فكان له عقب كثير ، وقد بقي العقب في ثمانية من بنيه : أربعة منهم مقلّون وهم : عبيد الله ، وعيسى ، وعليّ ، وجعفر ؛ وأربعة مكثرون وهم : محمّد الأعرج ، وأحمد الأكبر ، وإبراهيم العسكريّ ، والحسين القطعي ؛ وقال : إنّ محمّد الأعرج أعقب من موسى الأصغر فقط ، والمعروف بالأبرش ، وعقب موسى في ثلاثة : أبي طالب محسن ، وأبي احمد الحسين ، وأبي عبد الله أحمد ، أمّا أبو طالب محسن فأعقب أبناء منهم أحمد المولود بالبصرة ، وأمّا أبو أحمد الحسين بن موسى الأبرش فهو النقيب الطاهر ذو المناقب ، والد السيّدين ، مدحه صاحب (عمدة الطالب) كثيراً ، ومجمل قوله فيه ؛ كان أبو أحمد نقيب نقباء الطالبيّن ببغداد ، وكان ـ علاوة على النقابة ـ قاضي القضاة من قِبل بهاء الدولة ، وكان أميراً للحجّ مراراً ، مواسياً لأهل بيته .

وذُكر أنّ أبا القاسم[1] عليّ بن محمّد كان معاشه لا يفي بمصاريف عياله ، فسافر

---

(١) أبو القاسم هذا هو أبو الشريف أبي الوفاء محمّد بن عليّ بن محمّد الملقطة البصري ، المعروف بابن الصوفيّ ، وابن عمّ جدّ صاحب (المجدي) .

للتجارة ، ولقي أبا أحمد المذكور ، فسأله عن سبب خروجه فقال : خرجت في متجر ، فقال له : يكفيك من المتجر لقائي ؛ وقد كُفّ أبو أحمد في أواخر عمره ، وفي سنة أربعمئة توفّي ببغداد عن عمر ينوف على التسعين ، ودفن في بيته ، ثم نقل رفاته إلى كربلاء فيها بعد ، ودفن في مشهد الإمام الحسين (عليه السلام) بالقرب من القبر الشريف ، وقبره ظاهر ومعروف ، رثاه الشعراء بمراثي كثيرة ، وممّن رثاه ولداه الرضيّ والمرتضى ، ومهيار الكاتب ، وأبو العلاء المعرّيّ .

يقول المؤلّف : ذكرتُ ترجمة ولديه السيّدين في كتاب (الفوائد الرضويّة) في أحوال علماء المذهب الجعفريّ ، ولا يتّسع المقام هنا لذكرهما ، ولكن ، لكي لا يبقى هذا الكتاب خلواً من اسميهما فإنّي أكتفي بإيراد عدّة أسطر في ترجمتهما عن كتاب (مجالس المؤمنين) ، وقد أشرنا عند ذكر أولاد عليّ بن الحسين (عليهما السلام) باختصار إلى جلالة شأن أمّهما الجليلة ، فيرجع إليه هناك .

السيّدان المرتضى والرضيّ رضوان الله عليهما

أمّا السيّد المرتضى : فهو السيّد الأجلّ النحرير الثمانينيّ ذو المجدين أبو القاسم الشريف المرتضى علم الهدى عليّ بن الحسين الموسويّ ، شريف العراق ، والمجتهد على الإطلاق ، ومرجع فضلاء الآفاق ، مرشدٌ أظهر من العلامات على شرح صدره في معارج الهداية ومدارج الولاية ما جعله يفوز ـ عن جدّه ملاذ الولاية ـ بلقب الشريف علم الهدى ، صاحب دولة نهل فيها المجاورون في المدارس والصوامع قسمة الرزق من موائد إحسانه ، وأخذ مسافرو مراحل المسائل زاد التحقيق وهدايا التدقيق من عناقيد محصول فضله ، واستفتى طلّاب سبل الإيمان والسالكون من مسالك الإيقان في مدرسة الشرع ومحكمة العقل في ساطع رأيه ، وصقلوا مرايا مشكلاتهم بصيقل هدايته ؛ رفع لمدّة مديدة لواء رئاسة الدين والدنيا بإمارة الحجّ التي هي أعظم أمور الإسلام ، وصنو مرتبة الخليفة والإمام ؛ وفي حِجر الحجر اليمانيّ حيث مقام الركن الإيمانيّ أقام مناسك الإسلام ، وفي عرفات العرفان وضع قدم صدق ، وأقبل على صفّة الصفا ومروة المروءة .

قال آية الله العلّامة الحلّي في كتاب (الخلاصة) : إنّ للأمير مصنّفات كثيرة ذكرناها في كتابنا الكبير ، ويستفيد من كتبه علماء الإماميّة منذ زمانه حتّى حيث مضى تسعون وستّمئة سنة من الهجرة ، وهو ركنهم ومعلّمهم ، قدّس الله روحه ، وجزاه عن أجداده خير الجزاء .

وعلّة تلقيبه بعلم الهدى هي أنّ الشيخ الأجلّ الشهيد بيّن في رسالة (الأربعون حديثاً) وغيرها أنّ محمّد بن الحسين بن عبد الرحيم وكان وزيراً للقادر العبّاسيّ وقع مريضاً سنة عشرين

وأربعمئة ، وطال مرضه حتّى رأى أمير المؤمنين (عليه السلام) في النوم يقول له : قل لعلم الهدى أن يدعو لك كي تشفى ، يقول محمّد المذكور : فسألته : من يكون علم الهدى ؟ فقال : عليّ بن الحسين الموسويّ .

بعث محمّد برقعة إلى الأمير ضمّنها التماس الدعاء له ، وأدرج فيها اللقب الذي ذكر في الرؤيا ، ولمّا تسلّم الأمير الرقعة رأى من وجه التواضع أن هذا اللقب لا يليق به ، وكتب في الجواب إلى الوزير : الله الله في أمري ، فإنّ قبولي لهذا اللقب شناعة عليّ ، فأجابه الوزير : والله لم أكتب لكم إلّا ما أمرني به أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وبعد أن عوفي الوزير ببركة دعاء الأمير المرتضى عرض الواقعة على القادر العبّاسيّ ، وذكر له إباء الأمير المرتضى قبول اللقب المذكور .

قال القادر للمرتضى : أيّها الأمير المرتضى ، اقبل ما لقّبك به جدّك ، وأمر الكتّاب بإضافة اللقب إلى ألقابه ، واشتهر مذ ذاك بذلك اللقب ؛ وسبب وصفه بالثمانينيّ هو أنّه ترك وراءه بعد وفاته ثمانين ألف كتاب من مقروءاته ومصنّفاته ومحفوظاته ، وصنّف كتاباً سمّي بـ(الثمانين) ، وعمّر واحداً وثمانين عاماً .

وجاء في (عمدة الطالب) : رأيت في بعض التواريخ أنّ مكتبة السيّد مرتضى تشتمل على ثمانين ألف مجلّد ، ولم أسمع بمثل هذا اللهمّ ما حكي عن الصاحب بن عبّاد الذي طلبه فخر الدولة ابن بويه لتقليده الوزارة ، فقال له مجيباً : إنّي امرؤ طويل الذيل ، ويحتاج حمل كتبي إلى سبعمئة بعير ! قال الشيخ اليافعيّ : كانت مكتبته تعدّ أربعة عشر ألفاً ومئة ألف كتاب ، أمّا القاضي عبد الرحمن الشيباني الفاضل فقد تجاوزت مكتبته الجميع فكانت تضم أربعين ألفاً ومئة ألف مجلّد ، وذُكر أن المستنصر أودع في المكتبة المستنصريّة ثمانين ألف مجلّد ، والظاهر أنّه لم يتبقّ منها شيء ، والله هو الباقي .

ومجمل القول ، فقد انتقلت إلى السيّد المرتضى بعد وفاة أخيه السيّد الرضيّ نقابة الشرفاء ، وإمارة الحاج ، وقضاء القضاة ، وبقي على هذه الحال ثلاثين سنة حتّى توفّي سنة ستّ وثلاثين وأربعمئة ؛ وكانت له ابنة فاضلة جليلة تروي عن عمّها السيّد الرضيّ ، ويروي عنها الشيخ عبد الرحيم البغداديّ المعروف بابن أخوّة ، الذي هو أحد مشايخ إجازة القطب الراونديّ .

وأمّا السيّد الرضيّ : فهو الشريف الأجلّ محمّد بن الحسين الموسويّ ، كنيته أبو الحسن ، ولقبه الرضيّ ، وذو الحسبين ، أخو الأمير المرتضى علم الهدى ، كان نقيب العلويّين وأشراف بغداد ، بل قطب فلك الإرشاد ومركز دائرة الرشاد ، بلغ صيته العظيم وجلالته

أسماع الملك ، وبلغت شهرة فضله وبلاغته شرفة الفلك ، أشعاره المحبوبة عملت من حاشية الفصاحة زينة في الفرع الشامخ للسحر ، ووضعت قدم السمّو من حضيض البلاغة الممتدّ على الشّعب الشاهق لمعجزة التربية ، وسمت مكانة فضله ومعانيه وأفضاله عن أن يستطيع التعبير عن كنه رفعتها لسان الثناء وبيان المدحة ، وإذ بلغ الظاهر منها غاية الجمال رفعت الماشطة يد العجز ، وإذ بلغت العظمة حدّ الكمال أغلق سوق الوصف أبوابه.

قال ابن كثير الشاميّ : ولي الأمير رضيّ الدين ـ بعد أبيه ـ النقابة العلويّة ببغداد ، وكان فاضلاً متديّناً ، ماهراً في فنون العلم ، سخيّاً جواداً ورعاً ، وكان شاعراً لا نظير له ، حتّى قيل : كان أشعر قريش ، توفّي في الخامس من المحرّم سنة ستّ وأربعمئة ، شهد تشييعه فخر الملك وزير السلطان بهاء الدولة الديلميّ والقضاة والأعيان ، وصلّى عليه الوزير المذكور ، ومن بعده فُوّض إلى أخيه الأكبر الأمير المرتضى منصب النقابة إلى جانب المناصب العليّة الشرعيّة الأخرى كإمارة الحجّ وغيرها.

وقد رثاه الأمير المرتضى وأبو العلاء المعرّي والكثير من أفاضل الشعراء ، وممّا قاله المعرّيّ فيه :

تكبيرتان حيال قبرك للفتى محسوبتان بعمرةٍ وطواف

انتهى.

مصنّفات هذا الرجل الكبير في غاية الجودة والامتياز ومنها (حقائق التنزيل) و(مجازات القرآن) و(المجازات النبويّة) و(خصائص الأئمّة) وكتاب (نهج البلاغة) الذي يُعبّر عنه في الإجازات بأخي القرآن ، كما يعبّر عن الصحيفة السجّاديّة بأخت القرآن ، إلى شروح كثيرة عليه ، وغير ذلك.

قال الثعالبيّ في وصف السيّد الرضيّ ، حفظ القرآن بعد بلوغه الثلاثين من عمره بقليل ، كان عارفاً بالفقه والفرائض معرفة قويّة ، وكان في اللغة إماماً ودليلاً ، وقال أبو الحسن العمري : رأيت تفسيره للقرآن فوجدته أحسن من التفاسير كافّة ، فقد كان بدرجة تفسير أبي جعفر الطوسي أو أفضل ، وكان ذا مهابة وجلالة وورع ، وعفّة وتقشّف ، يرعى أهله وعشيرته ، وكان أوّل طالبيّ يلزم نفسه بالسواد ، كان عالي الهمّة شريف النفس لا يقبل صلة من أحد أو جائزة ، حتّى أنّه ردّ صلات أبيه وجوائزه ولم يقبلها ، وفي هذا الكفاية في الدلالة على شرف نفسه وعلوّ همّته ، وقد جهد الملوك البويهيّون في دفعه إلى قبول عطاياهم ، فلم يفعل ، راضياً أن يبقى كريماً عزيز الجانب ، عزيز الأتباع والأصحاب.

واعلم أن النقيب تعني لغةً : الكفيل والأمين والضامن وعريف القوم ، والمراد بالنقيب

المذكورة في ترجمة السيّدين ووالدهما : الكافل لأمور الشرفاء والطالبيّين ، الحافظ لأنسابهم من أن يخرج أحدهم من تلك السلالة أو أن يدخل فيها خارجيّ .

واعلم أيضاً أنّ للسيّد الرضيّ ابناً جليلاً عظيم الشأن اسمه عدنان ، وقال القاضي نور الله في وصفه : السيّد الشريف المرضي أبو أحمد ابن الشريف الرضيّ الموسوي شريف بطحاء الفضل والكرم ، ونقيب مشهد العلم ، بلغ لواء علوّ شأنه وسمّو مكانه سماء الرفعة وسماك علوّ النسب الأحمديّ ، ورفع ألوية الحشمة والاحترام وأعلام النزاهة والطهارة : ﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ :

فخرت به الأمجاد من ذي هاشم وسمت به الأفذاذ من ذي حيدر
أجداده عزّ لطيبة والقرى أسلافه فخر الشبا والمنبر

بعد وفاة عمّه الأمير المرتضى رضي الله عنه ولي النقابة العلويّة ، وكان ملوك بني بويه يعظّمونه كثيراً ، ولابن الحجّاج الشاعر البغداديّ قصائد كثيرة في مدحه .

السيّد هبة الله الموسويّ

وأمّا أبو عبد الله أحمد بن موسى الأبرش أخو أبي أحمد النقيب والد السيّدين فمن عقبه السيّد الجليل أبو المظفّر هبة الله بن أبي محمّد بن الحسن بن أبي البركات سعد الله بن الحسين بن أبي محمّد الحسن بن أبي عبد الله أحمد بن موسى الأبرش بن محمّد بن أبي سُبُحَة موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ، كان عالماً فاضلاً عابداً محدّثاً كاملاً ، وهو صاحب كتاب (مجموع الرائق من أزهار الحدائق) ، عاصر العلّامة الحلّيّ (ره) ويقول صاحب (عمدة الطالب) : أبو المظفّر هبة الله جدّ السادة الموسويّين ببغداد ، وكانوا بيتاً جليلاً ، لكنّهم أفسدوا أنسابهم بتزوّجهم نساء ممّن لا يتناسب معهم .

وقد عُدّ من أحفاد أحمد الأكبر بن موسى أبي سُبُحَة بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) السيّد أحمد الرفاعي من مشايخ الطريقة الشافعيّة ، ومن أصحاب الكرامات المعدودة ، تُوفّيَ في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمئة في « أمّ عَبيدة » (على وزن سفينة) قرية قرب واسط ، ودفن في قبّة جدّه لأمّه الشيخ يحيى الكبير البخاريّ الأنصاريّ .

ومن أحفاد إبراهيم عسكر بن موسى أبي سُبُحَة : أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن بن عليّ بن المحسن بن إبراهيم عسكر الذي ولّاه شرف الدولة وابن عضد الدولة نقابة الطالبيّين ، ودعي بنقيب النقباء ، وله أبناء وأعقاب منهم أحمد بن إسحاق الذي كان أعقابه في قمّ وآبة ، ويحتمل أن القبر والواقع في قمّ ـ في السوق مقابل الباب الشماليّ لمسجد الإمام والمعروف بقبر

أحمد بن إسحاق ـ هو قبر أحمد بن إسحاق الموسويّ هذا ، لا قبر أحمد بن إسحاق الأشعريّ الذي قبره في حلوان ويعرف بـ« پل ذهاب » ، وسيأتي ذكره ضمن أصحاب الإمام العسكريّ (عليه السلام) إن شاء الله .

من أحفاد الحسين القطعيّ السيّد صدر الدين العامليّ ، ومن المناسب الإشارة هنا إلى ترجمته باختصار .

السيّد صدر الدين العامليّ الإصفهانيّ وأولاده وأحفاده

وهو السيّد الشريف محمّد بن السيد الصالح بن محمد بن إبراهيم شرف الدين بن زين العابدين بن نور الدين بن عليّ بن نور الدين بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن أبي الحسن تاج الدين العبّاس بن محمّد بن عبد الله بن أحمد بن الحمزة الصغير بن سعد الله بن الحمزة الكبير بن محمّد أبي السعادات بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن أبي الحسن عليّ بن عبد الله بن أبي الحسن محمّد المحدّث بن أبي الطيّب طاهر بن الحسين القطعيّ بن موسى أبي سُجَّة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ؛ سيّد الفقهاء الكاملين ، وسند العلماء الراسخين ، أفضل المتأخّرين ، وأكمل المتبحرّين ، نادرة الخلف وبقيّة السلف ، ذو البيت العالي العماد والحسب الرفيع الآباء والأجداد .

والدته ابنة الشيخ عليّ بن الشيخ محيي الدين بن الشيخ عليّ سبط الشهيد الثاني ، ووالده السيّد السند والركن المعتمد السيّد صالح سبط شيخنا الأجلّ الشيخ الحرّ العامليّ ، ذلك أنّ والده الماجد السيّد محمّد تتلمذ على الشيخ الحرّ العامليّ وتزوج كريمته ، فرزقه الله تعالى من تلك السيّدة الجليلة السيّد صالح من أعلام علماء عصره ، وكان مرجع الرئاسة الإماميّة في البلاد الشاميّة ؛ كانت ولادته سنة اثنتين وعشرين ومئة وألف ، وهجرته من جبل عامل إلى العراق هرباً من ظلم أحمد الجزّار وعدوانه سنة سبع وتسعين ومئة وألف ، وسكن النجف الأشرف ، وتوفّي سنة سبع عشرة ومئتين وألف .

ومن رحم كريمة الشيخ الحرّ العامليّ خرج كذلك أخو السيّد صالح السيّد محمّد شرف الدين أبو السادة الأشراف آل شرف الدين من بلاد جبل عامل ، ومنهم السيّد الجليل العالم الفاضل المحدّث الكامل السيّد عبد الحسين بن الشريف يوسف بن الجواد بن إسماعيل بن محمّد شرف الدين ، صاحب المصنّفات الفائقة والمؤلّفات النافعة الجليلة ، ومن جملتها (الفصول المهمّة في تأليف الأمّة) ، و(الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء) عليها السلام الذي طبع في صيدا ، وغير ذلك ، وقد قمت بزيارة هذا السيّد الشريف في بيروت ، ادام الباري بركات وجوده الشريف ، وأعانه لنصرة الدين الحنيف .

وأخو السيّد صدر الدين هو السيّد الجليل والعالم النبيل السيّد محمّد علي والد العلاّمة السيّد هادي الذي هو السيّد السند المحدّث الجليل والعالم الفاضل الكامل النبيل ، البحر الزاخر والسحاب الماطر ، البارع الخيّر الماهر ، كنز الفضائل ونهرها الجاري شيخنا الأجلّ السيّد أبو محمّد الحسن بن الهادي ، الذي أوردتُ ترجمته في كتاب (الفوائد الرضويّة) .

وإجمال القول : فقد نشأ السيّد صدر الدين في حجر والده ، وفي سنة سبع وتسعين ومئة وألف جاء مع والده إلى العراق وسكن النجف ، وفي سنة خمس وعشرين ومئتين وألف ، وكان في الثانية عشرة من عمره ، تشرّف بزيارة كربلاء والتحق بدروس الأستاذ الأكبر البهبهانيّ ، والعلاّمة الطباطبائيّ بحر العلوم .

ويقال : إنّ السيّد بحر العلوم كان منهمكاً بنظم (الدرّة) ، فكان كلّما نظم شيئاً عرض عليه ما يظهر مهارته بالشعر والأدب ، وفي سنة عشر ومئتين وألف طلب إجازة من صاحب الرياض) فاجازة السيّد وصرّح باجتهاده في الأحكام .

زوّجه الشيخ الأكبر صاحب (كاشف الغطاء) من ابنته فوهبه الله منها السيّد محمّد عليّ المعروف بالسيّد المجتهد الذي كان نادرة العصر وأوحد الدهر ، وبعد سكناه في النجف مدّة عزم على زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) ، فسافر إلى خراسان ، وكانت عودته عن طريق يزد وإصفهان ، فلمّا بلغ إصفهان اتّخذها له مقاماً وأضحى مرجعاً للتدريس والقضاء فيها ، وتتلمذ عليه جماعة من العلماء من جملتهم شيخ الطائفة العلاّمة الأنصاريّ ، والسيّد صاحب (الروضات) وأخوه السيّد محمّد شفيع صاحب (الروضة) ، كان هذا السيّد الجليل كثير البكاء والمناجاة .

يروى أنّه دخل ذات ليلة من ليالي شهر رمضان حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وبعد الزيارة جلس خلف الرأس المقدّس وأقبل يقرأ دعاء أبي حمزة ، فلما بلغ عبارة : « إلهي لا تؤدّبني بعقوبتك » أخذه البكاء ، وجعل يردّد هذه العبارة حتّى غشي عليه ، فأخرج من الحرم المطهّر .

وكان دائب السعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكانت بعض المعاصي في نظره عظيمة ، ويقال إنّه اتّفق له أن حضر مجلساً للعزاء لسيّد الشهداء (عليه السلام) أرواحنا فداه ، وكان بين الحضور جماعة من الأعيان والأشراف ، وإذا بأحد الأمراء يرد المجلس وكان حليقاً ، فلمّا وقع نظره عليه قال : حَلْق اللحية من شعار المجوس ، صار من عمل أهل الخلاف ، وهذا الرجل الحليق يحضر مجلساً انعقد للعزاء بسيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأخشى إذا ما صعد القارىء المنبر بوجود هذا الرجل أن يخرّ السقف ، فما لبث الرجل أن غادر المجلس .

وكان هذا الرجل الكبير زاهداً قانعاً ، وكان كثير العيال ، وعاش في إصفهان كما كان يعيش بالنجف ، وقد ضعف في آخر أيّامه وأصيب باسترخاء في أعضائه شبيه بالفالج ، ورأى في نومه أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول له : أنت ضيفي في النجف ، فأحسّ بدنوّ أجله ، فانتقل من إصفهان إلى النجف الأشرف ، وتوفّي هناك سنة أربع وستّين ومئتين وألف ، ودفن في الحجرة الواقعة في الركن الغربيّ من الصحن المطهّر المتّصل بالباب السلطانيّ ، وقد دفن في تلك الحجرة جماعة من أكابر العلماء والفقهاء ذوي المقامات العالية ، أمثال المرحوم خالد المقام العالم الربّانيّ والحيّ على الدوام الحاجّ الملاّ فتح عليّ سلطان آبادي ، والمرحوم المغفور له الحاجّ ميرزا المسيح الطهراني القمّي الذي توفّي في السنة التي توفّي السيّد فيها ، والشيخ الأجلّ الأكمل العالم الزاهد ، جامع الفنون العقليّة والنقليّة ، حاوي الفضائل العلميّة والعمليّة ، صاحب النفس القدسيّة والسمات الملكوتيّة والمقامات العليّة العالم الربّانيّ وأبو ذرّ الثاني الشيخ محمّد حسين الإصفهانيّ ، والد شيخنا الأجلّ طود الفضل والأدب ، وارث العلم عن أبٍ فأب ، الشيخ محمّد رضا الإصفهانيّ دام ظلّه .

وللسيّد صدر الدين مصنّفات كثيرة ذكرت في (روضات الجنّات) و(الفوائد الرضويّة) ، وقد ترجم له صاحب (الروضات) ، قال : كان يشفق عليّ للغاية ، وساعدني في تصنيف (الروضات) وهو يروي عن والده الماجد عن جدّه السيّد محمّد عن الشيخ الحرّ العامليّ ، وأنا أروي عن شيخي ثقة الإسلام النوريّ عن العلاّمة الأنصاريّ عن ذلك الرجل الكبير ، فروايتي عن صاحب (الوسائل) عن طريقه بوسائط خمس .

أولاد السيّد وأحفاده علماء وفقهاء وأفاضل ، وإذ لا يتّسع المقام لذكرهم نكتفي بذكر ابنه الجليل المرحوم حجّة الإسلام الصدر ، كما نقتصر في الحديث عنه على ما أورده سيّدنا الأجلّ أبو محمّد السيّد الحسن في تكملة (أمل الآمل) ، قال :

السيّد إسماعيل ابن السيّد صدر الدين ابن عمّ والد مؤلّف هذا الكتاب ، حجّة الإسلام المعروف بالسيّد إسماعيل أحد مراجع الإماميّة في الأحكام الدينيّة ، عالم فاضل فقيه أصوليّ محقّق فكور ، ولد سنة (١٢٨٥) خمس وثمانين ومئتين وألف ، وكان أبوه قد توفّي سنة (١٢٦٤) أربع وستّين ومئتين وألف ، فنشأ في حجر أخيه الأكبر السيّد مجتهد ، ونظراً لطيب طينته وحسن استعداده وعلو فهمه فلم يمض سوى القليل حتى التحق بدروس حجّة الإسلام الشيخ محمّد بن الباقر بن الشيخ محمّد تقيّ ، وبذل الشيخ همّة في تربيته حتى بدا تفوّقه على أبناء عصره ، فهاجر إلى النجف الأشرف سنة (١٢٨١) إحدى وثمانين ومئتين وألف[1] ،

---

(١) جاء في تحديد السنين أنّ المترجم له ولد بعد وفاة والده بإحدى وعشرين سنة ، وأنّه هاجر إلى النجف =

وتتلمذ على حجّة الإسلام الميرزا الشيرازيّ ، والشيخ الرازيّ ، والشيخ المهديّ آل كاشف الغطاء وبعد وفاة الشيخ الرازي شغل كلّ وقته في حضور درس الميرزا حتى فاق أقرانه بالعلم ، ولمّا هاجر المرحوم الميرزا إلى سامرّاء هاجر بدوره بعده ، ولبث حتّى سنة اثنتي عشرة وثلاثمئة وألف إذ توفيّ الميرزا فتحوّل أمر التقليد إليه وصار مرجعاً عامّا مقدّما على الأعلام ، وفي سنة أربع عشرة وثلاثمئة وألف هاجر إلى كربلاء واتّخذ منها موطناً له حتّى اليوم .

ومن أولاده الذكور السيّد مهديّ ، وهو عالم فاضل جليل أديب كامل ، والسيّد الفاضل والمهذّب الكامل السيّد صدر الدين نزيل المشهد الرضويّ ، وغيرهما ، زاد الله في توفيقهم . انتهى .

العبّاس والقاسم ابنا موسى (عليه السلام) .

أمّا العبّاس بن موسى بن جعفر (عليهما السلام) فبعد رؤيته لوصيّة أبيه موسى (عليه السلام) الواردة في (عيون أخبار الرضا) قدح فيها ، وإنّ قلّة معرفته بإمام زمانه الإمام الرضا (عليه السلام) تُعرف بذلك ، ولو اتسّع المقام لنقلتُ تلك الوصيّة ، غير أنّه لا مجال لذلك في هذا المختصر ، والله هو العالم .

وقال سيّد العلماء والفقهاء السيّد مهديّ القزوينيّ في مزار (فلك النجاة) : إن هناك قبرين مشهورين في مشهد الإمام موسى (عليه السلام) من أبنائه ، لكنّهما غير معروفين ، ويقول البعض : إن أحدهما هو قبر العبّاس بن موسى (عليه السلام) ، الذي قُدح في حقّه . انتهى .

وأعقاب العبّاس من ابنه القاسم بن العبّاس فقط ، وذكر صاحب (عمدة الطالب) أن القاسم بن العبّاس قبره في « شوش » في سواد الكوفة مشهور ، وهو مذكور بالفضل .

وأمّا القاسم بن موسى بن جعفر (عليهما السلام) فكان سيّداً جليل القدر ويكفي في جلالة شأنه ذلك الخبر الذي أورده ثقة الإسلام الكلينيّ في (الكافي) في باب الإشارة والنصّ على الإمام الرضا (عليه السلام) ، فقد نقل عن يزيد بن سليط عن الكاظم (عليه السلام) في طريق مكّة ، قال يزيد : طلبت من الإمام موسى (عليه السلام) أن يعينّ لي الإمام من بعده ، فقال (عليه السلام) :

= الأشرف سنة ١٢٨١ ، أي كانت هجرته قبل مولده بأربع سنين ؟! ويحتمل أنّ هناك خطأ في تحديد سنة ولادته ، ولعلّها ١٢٦٥ وليست ١٢٨٥ ، وبذلك تستقيم الأمور مع اعتبار سنتي وفاة أبيه وهجرته صحيحتين . (المعرب) .

« أخبرك يا أبا عمارة أني خرجت فأوصيت إلى ابني علي ، ولو كان الأمر لي لجعلته في القاسم ابني ، لحبي ورأفتي عليه ، ولكنّ ذلك إلى الله تعالى . . » الخ .

كما روى الكليني أن أحد أبناء الإمام الكاظم (عليه السلام) أشرف على الموت ، فقال (عليه السلام) لابنه القاسم ؛ قم يا بنيّ فاقرأ عند رأس أخيك سورة « الصافات » ، فأخذ القاسم في قراءتها ، فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ أهم أشدّ خلقاً أم من خلقنا . . ﴾ ، لفظ الفتى نفسه الأخير .

ويدلّ هذان الخبران على مزيد اهتمام الإمام (عليه السلام) بالقاسم ، ويقع قبره على ثمانية فراسخ من الحلّة ، ومرقده الشريف مزار للخلق عامّة ، ويزوره العلماء والأخيار ، ويحثّ السيّد ابن طاووس على استحباب زيارته ، وقال صاحب (عمدة الطالب) إنّه لا عقب للقاسم .

وأمّا إسماعيل بن موسى الكاظم (عليه السلام) فكان سيّداً جليل القدر ومع أنّ علماء الرجال لم يشيروا إلى جلالته ، لكنّه يكفي في الدلالة على سموّ مكانته ما ذكره الشيخ الكشّي عند الكلام عن الثقة الجليل صفوان بن يحيى ، من أنّه لما توفّي صفوان بالمدينة سنة عشر ومئتين بعث له الإمام محمّد التقيّ (عليه السلام) بكفن وحنوط ، وأمر إسماعيل بن موسى (عليه السلام) بالصلاة عليه .

وقال الأستاذ الأكبر البهبهانيّ في تعليقه : إنّ في كثرة تصانيف إسماعيل ما يدلّ على مدحه وغزارة علمه ، ولعلّه يريد كتاب (الجعفريّات) الذي يشتمل على جملة من الكتب الفقهيّة ، وجميع أحاديثه إلاّ القليل منها أتت بسند واحد ، فهو يروي عن آبائه الكرام عن جدّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ؛ وقد أشار إلى ذلك الشيخ المرحوم المحدّث النوريّ طاب ثراه في خاتمة (المستدرك) ، وهذا الكتاب من الكتب المعوّل عليها ، وقد أدرج بكامله في كتاب (مستدرك الوسائل) .

سكن إسماعيل مصر وسكنها من بعده أولاده وأحفاده ، وابنه أبو الحسن موسى من العلماء المؤلّفين ، ويروي محمّد بن الأشعث الكوفيّ في مصر كتاب (الجعفريّات) عنه عن أبيه ؛ وابن موسى : عليّ بن موسى بن إسماعيل هو الذي حمله عبد الله بن عزيز عامل الطاهر في أيّام المهتديّ إلى سامّراء مع محمّد بن الحسين بن محمّد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) ، وحبسهما هناك حتى توفّيا في محبسهما .

وكان لإسماعيل بن موسى (عليه السلام) ابن آخر اسمه محمّد ، وقد عمّر طويلاً ، حتّى أن الشيخ الطوسيّ وصفه في (الغيبة) فقال : وكان أسنّ شيخ من وُلد رسول الله

(صلّى الله عليه وآله) ، وقال أيضاً : لقي إمام الزمان (عليه السلام) فيما بين المسجدين .

أحمد بن موسى (عليه السلام) المعروف بـ« شاه چراغ » وأخوه محمّد

قال الشيخ المفيد : كان أحمد بن موسى سيّداً كريماً جليلاً ورعاً ، وكان أبو الحسن موسى (عليه السلام) يحبّه ويقدّمه على بعض أولاده ، ووهب له بعض ضياعه مع مياهها وهي المعروفة بـ (يُسيْرَة) وقد وري أنّه أعتق ألف مملوك من ماله الخاصّ ، قال :

أخبرني الشريف أبو محمّد الحسن بن يحيى قال : حدّثني جدّي قال : سمعت إسماعيل بن موسى (عليه السلام) يقول : خرج أبي بولده إلى بعض أمواله بالمدينة (وسمّى ذلك المال إلاّ أنّ أبا الحسين يحيى نسي الاسم) قال : فكنّا في ذلك المكان ، فكان مع أحمد بن موسى (عليه السلام) عشرون من خدم أبي وحشمه ، إن قام أحمد قاموا معه ، وإنّ جلس جلسوا معه ، وأبي بعد ذلك يرعاه ببصره لا يغفل عنه ، فما انقلبنا حتّى انشجّ أحمد بن موسى بيننا ؛ (يريد أنه طوى أرض البيداء راجعاً من بيننا) .

أقول : كان أحمد هذا يعرف بـ« شاه چراغ » ، وهو مدفون داخل مدينة « شيراز » ، ويظهر سمّو مكانته من القبّة والصحن والضريح والخدم وغير ذلك ، وقد رجعتُ من بيت الله الحرام عن طريق شيراز سنة تسع عشرة وثلاثمئة وألف ، وقمت بزيارة مرقده الطاهر في تلك البلدة أستمدّ منه البركة ، وبالقرب من قبره يقول مزار آخر يعرف بـ« الأمير السيّد محمّد » أخيه ، وقال صاحب (روضات الجنّات) : جاء في بعض كتب الرجال أن أحمد مدفون بشيراز ، ويسمّى بسيّد السادات ، وقد اشتهر في ذلك الزمان بـ « شاه چراغ » ، وقد ذكرت بالتواتر لمرقده الطاهر كرامات باهرة ، ثم أورد كلاماً لأشخاص يصرّحون بأنّه مدفون بشيراز .

محمّد العابد وأولاده : أمّا محمّد بن موسى (عليه السلام) فهو الأخ الشقيق لأحمد ، وكان رجلاً جليل القدر ، من أهل الفضل والصلاح ، وكان صاحب وضوء وصلاة ، كان ليله كلّه يتوضّأ ويصلّي ، ثم يهدأ ساعة فيرقد ، فيقوم ويُسمع سكب الماء والوضوء ، ثمّ يصلّي ، ولا يزال كذلك حتّى يصبح .

هذا ما قالته هاشميّة مولاة رقيّة بنت موسى (عليه السلام) ، وقالت : وما رأيته إلاّ ذكرت قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون** ﴾ .

وذكر صاحب (روضات الجنّات) في باب الأحمدَيْن عن (أنوار السيّد الجزائريّ) قال : كان أحمد بن موسى (عليه السلام) كريماً ، وكان الإمام موسى (عليه السلام) يحبّه ؛ وكان محمّد بن موسى صالحاً ورعاً ، وكلاهما مدفونان بشيراز يتبرّك الشيعة بقبريهما ويزورونهما كثيراً ، وقد قمتُ مراراً بزيارتهما .

يقول المؤلّف : كان محمّد بن موسى (عليه السلام) يلقّب بالعابد لكثرة عبادته ، وعقبه من ابنه السيّد إبراهيم الملقّب بإبراهيم المجاب، وسبب تسميته بالمجاب كما يقول تاج الدين بن زهرة هو أنّه دخل حرم سيّد الشهداء (عليه السلام) وقال: السلام عليك يا أبا عبد الله، فسُمع صوت يجيبه : وعليك السلام يا ولدي ؛ يقع قبره الشريف في « الحائر » المقدّس ، وأعقابه من أبنائه الثلاثة : محمّد الحائريّ ، وأحمد في قصر ابن هبيرة ، وعليّ في « سيرجان » .

ومن أعقاب محمّد الحائريّ السيّد السند النسّابة العلاّمة إمام الأدباء شمس الدين شيخ الشرف أبو عليّ فخار بن معدّ بن فخار بن أحمد بن محمّد بن أبي الغنائم محمّد بن الحسين بن محمّد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمّد العابد ابن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ، كان من أكابر المشايخ العظام ، وأعاظم الفقهاء الكرام ، صاحب الكتاب (الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) .

قال ابن أبي الحديد المعاصر له ، وهو من علماء أهل السنّة ، في الجزء الرابع عشر من شرح نهج البلاغة : إنّ بعض الطالبيّين في هذا العصر ـ ويعني السيّد فخار ـ صنّف كتاباً في إسلام أبي طالب ، وبعث به إليّ يطلب منّي أن أكتب بخطّي شيئاً في صحّته ووثاقته شعراً أو نثراً ، وإذا إنّي متوقّف في إسلام أبي طالب فلم أر من الجائز أن أحكم قطعاً بإسلامه ، كما إنّي لم أجرؤ على السكوت عن مدحه وتعظيمه ، ذلك لأنّي أعلم أنّه لو لم يوجد أبو طالب لما قامت للإسلام قائمة ، وأعلم أنّ له حقّاً واجباً على كلّ مسلم يأتي إلى الدنيا حتّى يوم القيامة ، فكتبت في ظهر الكتاب :

ولولا أبو طالب وابنه لما مَثُلَ الدينُ شخصاً فقاما
فذاك بمكّة آوى وحامى وذاك بيثربِ جسّ الحِماما

ومجمل القول : فيروي عن السيد فخار والد العلاّمة ، والسيّد أحمد بن طاووس ، والمحقّق الحلّي ، ويروي هو عن الشيخ الجليل الفقيه شاذان بن جبرئيل القمّيّ عن عماد الدين الطبريّ ، عن المفيد الثاني ، عن شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسيّ رضوان الله عليهم أجمعين .

وأبوه السيّد الشريف أبو جعفر مَعَدّ كان نقيباً طاهراً ذا جاه عريض وبسط عظيم وتمكّن تامّ ، وهو مَن أوثق الرباط على شطّ فلّوجه ، وقد مدحه أبو جعفر نقيب البصرة شعراً ، ولمّا توفّي في « النظاميّة » صلّي عليه ودفن في الحائر ، ورثاه ابنه فخار بقوله :

أبا جعفر إمّا ثويتَ فقد ثوى بمثواك علم الدين والحزمُ والفهم
سيبكيك جلّ المشكل الصعب حَلُّه بشجوٍ ويبكيك البلاغة والعلم

وابنه النسّابة زينة منصب النقابة جلال الدين عبد الحميد بن فخار والد العالم الجليل

علم الدين المرتضى عليّ بن عبد الحميد أستاذ ابن مُعَيَّة أستاذ الشيخ الشهيد .

ومن أعقاب محمّد الحائريّ السيّد شمس الدين محمّد بن جمال الدين أحمد أستاذ الشهيد قدّس سرّه كما هو مذكور في إجازة السيّد محمّد بن الحسن بن أبي الرضا العلويّ تلميذ الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلّي ، وهذا نصّ الإجازة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، استخرت الله تعالى وأجزت للسيّد الكبير المعظّم الفاضل الفقيه ، الحامل لكتاب الله ، شرف العترة الطاهرة ، مفخر الأسرة النبويّة شمس الدين محمّد ابن السيّد الكريم المعظّم الحسيب النسيب جمال الدين أحمد بن أبي المعالي جعفر بن عليّ أبي القَاسِم بن عليّ أبي الحسن بن عليّ أبي القاسم بن محمّد أبي الحَمْزة بن عليّ أبي القاسم بن عليّ أبي الحسن الحائري بن محمّد أبي جعفر الحائريّ بن إبراهيم المجاب الصهر العمريّ ، ابن محمّدٍ الصالح ابن الإمام موسى الكاظم صلوات الله عليه .

الحمزة بن موسى (عليه السلام) وبعض عقبه

لقد كان الحمزة بن موسى الكاظم (عليه السلام) سيّداً جليل الشأن ، وهناك قبر مع بقعة عالية بالقرب من قبر الأمير عبد العظيم (عليه السلام) ينسب إليه وهو مزار للناس عامّة في الريّ .

وجاء برواية النجاشيّ أن الأمير عبد العظيم لمّا كان متخفيّاً بالريّ صائماً نهاره قائماً ليله ، كان يخرج خفية ويزور قبراً يقابل قبره ، بينهما الطريق ، ويقول : هذا قبر رجل من أبناء الإمام موسى (عليه السلام) .

وذكر العلاّمة المجلسيّ رحمه الله في (تحفة الزائر) أنّ قبر سليل الأئمة الحمزة بن موسى (عليه السلام) يقع بالقرب من قبر عبد العظيم ، وظاهراً فهو القبر الذي كان عبد العظيم يزوره ، وذلك المرقد المنوّر أيضاً تجب زيارته . انتهى .

ونُقل عن صاحب (المجدي) أنّ الحمزة بن موسى (عليه السلام) كان يكنّى أبا القاسم ، وقبره في اصطخر شيراز معروف ومزار للقريب والبعيد ، وعن (تاريخ عالم الآراء) أنّ نسب السلالة الصفويّة الجليلة ينتهي إلى الحمزة بن موسى (عليه السلام) ، وأن مدفن سليل الأئمّة هذا يقع في قرية من قرى شيراز ، وقد بنى الصفويّون له بقعة عالية ، وجعلوا له أوقافاً كثيرة ، وفي ترشيز جماعة يعتقدون أنّه قبر سليل الأئمة الحمزة .

أقول : في قمّ مزار معروف بمزار الأمير الحمزة ، وهو معروف بجلالة القدر ، وأهل تلك البلدة يعتقدون به تماماً ويسعون إليه في احترام وإكبار ، وله صحن وقبّة ومشهد ؛ ويعلم من كلام صاحب (تاريخ قم) أنّه هو الحمزة بن موسى (عليه السلام) ، كما في تاريخ السادة

الرضائيّة الذين كانوا في قمّ ودفنوا فيها ، قال : إنّ يحيى الصوفيّ أقام بقمّ ، واتّخذ في ميدان زكريّا بن آدم عليه الرحمة قرب مشهد الحمزة بن موسى بن جعفر (عليهما السلام) موطناً ومقاماً وسكناً . . الخ ، واعلم أن الحمزة بن موسى (عليه السلام) كنّي بأبي القاسم ، وأعقابه من ولديه القاسم والحمزة كثيرون في بلاد العجم .

وأمّا عليّ بن الحمزة : فقد ذكر صاحب (عمدة الطالب) أنّه مات ولم يعقب ، وأنّه مدفون في شيراز خارج باب اصطخر ، وله مشهد يزار ، والحمزة بن الحمزة أمّه أمّ ولد ، وكان في خراسان عظيماً مقدّماً والقاسم بن الحمزة أعقب من محمّد وعليّ وأحمد ، ومن عقب محمّد السلاطين الصفويّون ، ومن الجدير أن نشير هنا إلى أسمائهم الشريفة وتاريخ حكمهم ووفاتهم أداء لبعض حقوقهم .

السلاطين الصفويّون والموسويّون

حكم الصفويّون ما يقرب من مئتين وثلاثين سنة ، وكانوا يروجّون للمذهب الجعفريّ ، وأوّلهم : الشاه إسماعيل الأوّل ، وهو ابن السلطان حيدر بن السلطان الشيخ جنيد المقتول ابن السلطان الشيخ إبراهيم بن الخواجة عليّ المشهور بصاحب النقاب الأسود الذي توفّي في بيت المقدس سنة ثلاث وثلاثين وثمانمئة ، ومزاره معروف بمزار شيخ العجم ، وهو ابن الشيخ صدر الدين موسى ابن قطب الأقطاب برهان الأصفياء الكاملين الشيخ صفيّ الدين أبي الفتح إسحاق الأردبيليّ الذي دعي الصفويّون باسم الصفويّة لانتسابهم إليه ، توفّي في « أردبيل » سنة خمس وثلاثين وسبعمئة ودفن هناك ، ودُفن بالقرب منه جماعة من أولاده وأحفاده ، كالشيخ صدر الدين ، والشيخ زين الدين ، وابنه الشيخ جنيد ، والسلطان حيدر ، والشاه إسماعيل والشاه محمّد خدابنده (أي : عبد الله) ، والشاه العبّاس الأوّل ، وإسماعيل الميرزا وغيرهم ؛ وهو ابن السيّد أمين الدين جبرئيل بن السيّد محمّد صالح ابن السيّد قطب الدين بن صلاح الدين رشيد بن السيّد محمد الحافظ السيّد عوض شاه الخواصّ بن السيّد فيروز شاه زرّين كلاه بن السيّد نور الدين محمّد بن السيّد شرف شاه بن السيّد تاج الدين الحسين بن السيّد صدر الدين محمّد بن السيّد مجد الدين إبراهيم بن جعفر بن محمّد بن إسماعيل بن ناصر الدين محمّد بن الشاه فخر الدين أحمد بن السيّد محمّد الأعرابيّ ابن أبي محمّد القاسم بن الحمزة بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) .

خرج الشاه إسماعيل في مبدأ أمره مع جماعة من مريديه ومريدي آبائه العرفاء الراشدين من بلاد جيلان ، وفي سنة ستّ وتسعمئة ، وكان يناهز الرابعة عشرة قاتل حتّى فتح بلاد « آذربيجان » واستولى عليها وحكمها ، وأمر بإظهار مذهب الإماميّة ، ولمّا بلغ التاسعة والثلاثين من عمره توفّي ، وخلف في الحكم ابنه الشاه طهماسب ، وكان ذلك يوم الاثنين

التاسع عشر من رجب سنة ثلاثين وتسعمئة للهجرة الموافق لكلمة الظلّ ، وقد قيل :

الشاه نجم الجيش إسماعيل كالشمس إذا تنقّب النقابا
قد غادر الدنيا ولكنْ ظلّه أضحى لتاريخ الشموس حسابا[١]

يقوم قبره في أردبيل في جوار مزار آبائه وأجداده ، وقد حكم خليفته الشاه طهماسب أربعاً وخمسين سنة ، وكانت قزوين مقرّاً لحكمه ، وعاصر المحقّق الكركيّ والشيخ الحسين بن عبد الصمد وابنه الشيخ البهائيّ رحمهم الله تعالى .

واسم المحقّق الكركيّ الشيخ عليّ بن عبد العالي ولقّب بنور الدين ومروّج المذهب والدين والمحقّق الثاني ، بلّغه الله في الجنان إلى أقصى الأعالي ومنتهى الأماني ، قدم إلى بلاد العجم في أيّام الشاه طهماسب ، فأكرمه الشاه وقدّمه وقال له : أنت أولى بالملك والحكم لأنّك نائب الإمام (عليه السلام) وإنّما نحن من عمّالك ، وقد تسنّم لدى السلطان مرتبة سامية ، وقد نُقل عن الشاه أنّه كتب بخطّه في حقّ هذا الرجل الكبير :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لمّا كان مؤدّى حقيقة قول الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال :

« انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا ، فارضوا به حكماً ، فإنّي قد جعلته حاكماً ، فإذا حكم بحكم فمن لم يقبله منه فإنّما بحكم الله استخفّ ، وعلينا ردّ ، وهو رادّ على الله ، وهو حدّ الشرك » .

فمن الواضح البيّن أن مخالفة حكم المجتهدين حفظة شرع سيّد المرسلين إنّما هي مع الشرك في درجة واحدة ، فمن خالف حكم خاتم المجتهدين ـ ووارث علوم سيّد المرسلين ونائب الأئمة المعصومين عليهم السلام ، لا يزال كاسمه العلي عليّاً عالياً ـ فلم يتّبعه فهو ـ دون شائبة ـ ملعون ومردود ، وعن أعتاب ملائك العرش مطرود ؛ كتبه طهماسب بن الشاه إسماعيل الصفويّ الموسويّ .

وروي أنّه قدم على الشاه طهماسب سفير لملك الروم ، واتّفق يوماً أنّ المحقّق المذكور كان في مجلس السلطان ، فتعرّف السفير عليه وأراد أن يفتح باب الجدل بينه وبين الشيخ ، فقال :

أيّها الشيخ ، إنّ تاريخ مذهبكم ، وعلى طريقتكم (في حساب الجمّل) هو سنة ستّ

(١) تعريب بيتين عن الفارسيّة (المعرّب) .

وتسعمئة ، وهي بداية حكم الشاه إسماعيل ، وهي تطابق كلمة : « مـذهب ناحقّ »[١] ، وفي هذا إشارة إلى بطلان مذهبكم !

فـأجابـه المحقّق بديهـة فقال : نحن وأنتم عـرب ، وعلينا التحـدّث بالعـربيّـة ، فلماذا تقول : « مذهب ناحقّ »؟ قل : « مذهبنا حقّ » !

فبهت الذي كفر ، وبقي كأنّما أُلقم الحجر .

ومجمـل القول : فـإنّ الشاه طهـماسب توفّي في الخـامس عشر من شهر صفـر سنة أربـع وثمانين وتسعمئـة في قزوين ، ومن طـريف الاتفاق أنّ عبـارة « الخامس عشر من شهـر صفر » أضحت مادّة لتاريخه ، هذا ولا يتّسع المجال لذكر آثاره الحسنة وسيرته المستحسنـة ؛ وخلفه في الحكم ابنه الشاه إسماعيل الثاني ، وكان على مذهب أهل السنّة ، فأساء معـاملة العلماء والسادة وأهل الإيمان ، فـلا غرو أن حكمـه لم يطل ، فحكم مـا يقرب سنـة ونصف ، وفي ليلة الثالث عشر من شهر رمضان سنـة خمس وثمانـين وتسعمئة ، وكـان في مجلس طربـه ، أصيب بالخنـاق وهلك ، فخلفه أخوه السلطان محمّد المكفوف المعروف بالشاه خدابنده الثاني ، وحكم عشرين سنـين ، ثمّ تنازل عن الحكم إلى ابنـه الشاه عبّـاس الأوّل وذلك سنـة ستّ وتسعين وتسعمئـة المطابقة لكلمة « ظلّ الله » ، وحكم الشاه عبّاس أربعين سنة فما فوقها ، واتّصف حكمه بكمال الأبّهة والجلالـة ، وفي سنة تسـع وألف خرج مـاشياً من إصفهـان إلى المشهد المقـدّس ، وقطع المسافة التي تقرب من مئتي فرسخ في ثمانية وعشرين يومـاً سيراً عـلى قدميـه ، وفي هذا الصـدد نظم صاحب (تاريخ عالم الآراء) قصيدة من أبياتها :

مـلك المـلوك الـشـاه عـبّـاس الـذي	هـو جـوهـرٌ خـاقـانُ مجـدٍ لا يجـدَ
لـلمشـهـد الـرضـويّ سـار بهـمّـة	يمشي ويحـدوه اشـتـيـاق لا يحـدَ

حتى آخر القصيدة ، وختمها بقوله :

لمـسـيره أرِّخْ بـألـفٍ فـوقـهـا	تـسـعٌ تـشـرَّفَ بـعـده بـالمـشـهـد[٢]

يقول المؤلّف : ترك الشاه عبّاس للذكرى خيرات وآثاراً كثيرة ، وعلى من يطلبها الرجوع إلى كتاب (عالم الآراء) وغيره .

وذكر الميرداماد (ره) في كتابه (أربعة أيّام) أنّ السلطان الشاه عبّاس كان في المدّة المديـدة التي قضـاها يـواظب على الطهر والعبـادة والغسل والصيـام ، ويزور معي الـزيارة المأثـوره ،

---

(١) تعبير فارسيّ معناه : مذهب اللاحَق ، أو مذهب الباطل .

(٢) أبيات معرّبة عن الفارسيّة (المعرّب) .

ويتصدّق كثيراً ، إلى أن قال : وكان في الليل يفطر مع جماعة مخصوصة من أهل العلم ، ويجلس بعد الإفطار حتّى حوالى منتصف الليل في أحاديث علمية وتبادل للمباحث . انتهى .

وقد توفّي سنة ثمان وثلاثين وألف ليلة الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى في « مازندران » بإصابته بمرض الإسهال .

تسلم الحكم بعده حفيده الشاه صفيّ الأوّل ابن ابنه الصفيّ ميرزا الشهيد ، وحكم أربع عشرة سنة ، وتوفّي في الثاني عشر من صفر سنة ثلاث وخمسين وألف ، ودفن في البلدة الطيّبة « قم » ويقع قبره إلى القبلة من روضة المعصومة عليها السلام ، وأصبح الآن داخل الروضة حيث يدخل النساء من الصحن الخاص بالسيّدات إلى ذلك المكان لزيارة المعصومة (عليها السلام)، وقد زُيّن سقفه وجدرانه (بالكاشيّ)[1] الممتاز من بناء الشاه عبّاس الثاني (في كتابة هذه البقعة السورة المباركة : « يسبحّ لله » بخطّ الميرزا محمّد رضا إمامي ، وهي في غاية الحسن) .

وتسلّم الحكم بعده ابنه الشاه عبّاس الثاني وكان في التاسعة من عمره ، واستقرّ في الحكم ستّاً وعشرين سنة، وفي سنة ثمان وسبعين وألف وافته المنيّة في « دامغان » وهو في طريق عودته من « مازندران » إلى إصفهان ، فحمل جثمانه إلى قمّ حيث دفن في جوار المعصومة (عليها السلام) في بقعة كبيرة إلى جانب أبيه ، وخلفه الشاه صفيّ الدين الثاني في السادس من شعبان سنة ثمان وسبعين وألف .

ودعاه المحقّق الخوانساري في خطبته في المسجد الجامع الملكيّ بالشاه سليمان ، وكان عادلاً ، قام بتعمير القبّة المطهرّة للمشهد الرضويّ سنة ستّ وثمانين وألف ، وأنفق كثيراً على تذهيبها ؛ توفّي سنة خمس ومئة وألف ، ودفن في بقعة بالقرب من بقعة الشاه عبّاس ، وانتقل الحكم إلى ابنه الشاه السلطان حسين ، وكان آخر ملوك الأسرة الصفويّة ، فقد حدثت في عهده فتنة الأفاغنة الذين حاصروا إصفهان حتّى اضطرّوا أهلها إلى فتح أبوابها ، فتدفّقوا إليها وسفكوا دماء جملة أعيان الصفويّين وعظمائهم وحبسوا الشاه السلطان حسين مع إخوته وأبنائه .

جرت هذه الواقعة سنة سبع وثلاثين ومئة وألف ، ولا زال الشاه حسين في الحبس حتى هلك السلطان محمود الأفغاني وخلفه السلطان أشرف ، وبأمر منه تمّ تخريب ما يقرب من خمسمئة حمّام ومدرسة ومسجد ، ولمّا أحسّ بالضعف في دولته تحرّك من إصفهان بعد أن أمر بالشاه السلطان حسين فقُتل في محبسه وترك دون غسل أو كفن ، وأسر أهله وعياله ، وأغار

---

(١) الكاشي : نوع من البلاط المزيّن بالورود والألوان ، ويصنع من الآجر المطبوخ.

على أموالهم ؛ وكان هذا في الثاني والعشرين من المحرّم سنة أربعين ومئة وألف ، فحمل الناس بعد زمن نعش السلطان حسين إلى قمّ حيث دفنوه في جوار عمّته فاطمة (عليها السلام) بالقرب من أبيه .

واعلم أنّ من عقب محمّد بن القاسم بن الحمزة بن الإمام موسى (عليه السلام) السيّد الأجلّ خاتم الفقهاء والمجتهدين ، ووارث علوم أجداده الطاهرين ، مقتدى الأنام ومرجع الخاصّ والعامّ مولانا الحاجّ السيّد محمّد الباقر بن محمّد النقيّ الموسويّ الشفتي الإصفهانيّ المعروف بحجّة الإسلام تلميذ بحر العلوم والمحقّق القمّي ، والسيّد محسن ، والسيّد عليّ رضوان الله عليهم أجمعين .

وجلالة شأنه أكثر من أن تذكر في العبادة والمناجاة والنوافل والأوراد ، وإيصال المنافع والفوائد إلى الطلّاب والفقراء والسادة ، وقد نُقلت عنه حكايات كثيرة ، وقد أشرتُ أنا في كتاب (الفوائد الرضويّة) في أحوال العلماء الإماميّة إلى بعض منها ، كما إلى مصنفاته ممّا لا متسّع لذكره في هذا المقام .

كانت وفاته سنة ستّين ومئتين وألف ، وقبره في إصفهان مشهور ومزار للقريب والبعيد ، وابنه السيّد السند والركن المعتمد الحاجّ السيّد أسد الله الذي ورث عنه جميع الكمالات والفضل والفخار ، وكان ثاني ذلك البحر الزخّار ، ومن أجلاء تلامذة صاحب (الجواهر) ، ويقول الناس إنّه فاق أباه في أغلب مكارم الأخلاق ومحامد الأوصاف ، ولنعم ما قيل :

إنّ السريَّ إذا سرى فبنفسه   وابن السريّ إذا سرى أسراهما

كانت وفاته سنة تسعين ومئتين وألف ، وقبره الشريف بالنجف الأشرف قرب باب قبلة الصحن المطهّر .

وأمّا عبد الله وعبيد الله ابنا الإمام موسى (عليه السلام) فقد أعقبا كلاهما ، كما ينقل عن بعض كتب الأنساب أن جماعة من أولاد عبد الله كانوا في الريّ ومنهم مجد الدولة والدين ذو الطرفين أبو الفتح محمّد بن الحسين بن محمّد بن عليّ بن القاسم بن عبد الله بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ، وأخته السيّدة سكينة بنت الحسين بن محمّد ، أمّ السيّد الأجلّ المرتضى ذي الفخرين أبي الحسن المطهّر بن أبي القاسم عليّ بن أبي الفضل محمّد ، الذي قال الشيخ منتجب الدين في وصفه : من كبار سادة العراق وصدور الأشراف ، انتهى إليه منصب النقابة والرئاسة في زمانه ، كان علماً معلماً في فنونٍ من العلم ، له خطب ورسائل ، قرأ على الشيخ أبي جعفر الطوسيّ روى لنا عنه في السفر إلى الحجّ السيّد النجيب أبو محمّد الحسن

الموسويّ[١] . انتهى .

ونقل عن بعض كتب الأنساب أنه قال في حقّه : كان السيّد المطهّر وحيد العصر في الفضل والعظمة وكرامة النفس ، كان كثير المحاسن حسن الأخلاق ، لا تزال سُفرته ممدودة ومبذولة ، كان متكلّماً ذا نظر ، ومترسّلاً وشاعراً ، وكانت معه نقابة الطالبيّين بالريّ ، وأبوه أبو الحسن عليّ الزكيّ نقيب الريّ ، ابن السلطان محمّد شريف المدفون بقمّ ، الجليل العظيم القدر ، وقد سبقت الإشارة إليه في الحديث عن أولاد عبد الله الباهر بن الإمام زين العابدين (عليه السلام) .

سليلا الأئمّة يحيى ونعمة الله الجزائريّ

وإجمالاً فقد كان للسيّد المطهّر ولدان : محمّد وعليّ ، وكان لمحمّد بن المطهّر ولد هو فخر الدين عليّ نقيب قمّ ، أمّا عليّ بن المطّهر عزّ الدولة والدين ، وشرف الإسلام والمسلمين فكان له ابن اسمه محمّد ، من أهل العلم والفضل والشرف والجلالة والرئاسة ، وهو أبو عزّ الدين يحيى الذي أثنى عليه الشيخ منتجب الدين ثناء بالغاً ، وقد أشرنا إليه ضمن الحديث عن أولاد الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، وقد استشهد في « خوارزم شاه » ، وقبره في طهران ، ويقال إنّه كان لوالده شرف الدين بضع إناث ، ولم يكن له ذكور ، فلمّا حملت زوجته بيحيى رأى شرف الدين رسول الله في نومه فقال له : يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هذا الجنين في بطن عيالي ، ماذا اسمّيه ؟ قال : يحيى ، فلمّا ولد سمّوه يحيى ، ولمّا استشهد فهو اسرّ تسمية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) له بيحيى .

واعلم أيضاً أنّ من أعقاب عبد الله بن الإمام موسى (عليه السلام) الحبر النبيل والمحدّث الجليل السيّد سند السلالة الأطهار ، والد الأماجد الأعاظم الأخيار ، والمنتشرين نسلاً بعد نسل في الأقطار السيّد نعمة الله الجزائريّ ، ابن السيّد عبد الله بن محمّد بن الحسين بن أحمد بن محمود بن غياث الدين بن مجد الدين بن نور الدين بن سعد الدين بن عيسى بن موسى بن عبد الله بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ، وهو تلميذ العلاّمة المجلسيّ ، والسيّد هاشم الإحسائيّ ، والمحقّق السبزواريّ ، والمحقّق الخوانساريّ ، والمحدّث الكاشانيّ وغيرهم ، صنّف كتباً كثيرة .

وقد قام بنفسه بشرح أحواله في بعض مصنّفاته ، كما قام جماعة بشرح أحواله كابنه

---

(١) هذا السيّد الجليل نجيب الدين أبومحمّد الحسن بن محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن القاسم بن موسى بن عبد الله بن الإمام موسى (عليه السلام) الذي يروي عنه الشيخ منتجب الدين ، وقال في حقّه . . الخ ابن المطهّر قرأ على السيّد الأجلّ ذي الفخرين السيّد المطهّر رفع الله تعالى درجاته .

السيّد عبد الله ، والفاضل السيّد عبد اللطيف الشوشتري في (تحفة العالم) وغيرهما ، كانت وفاته في قرية « جايدر » ليلة الجمعة في الثالث والعشرين من شوّال سنة اثنتي عشرة ومئة وألف ، وابنه الجليل السيّد نور الدين من أهل العلم ، صاحب رسائل متعدّدة ، يروي عن أبيه وعن الشيخ الحرّ العامليّ ، ابنه السيّد الأجلّ العالم المتبحّر النقّاد السيّد عبد الله بن نور الدين بن نعمة الله الموسويّ كان من أجلّاء هذه الطائفة ، اجتمعت فيه جودة الفهم ، وحسن السليقة ، وكثرة الاطّلاع ، واستقامة الطريقة كما يظهر من الرجوع إلى مؤلّفاته الشريفة التي منها : (شرح النخبة) ، و(شرح مفاتيح الاحكام) و(الذخيرة) وغيرها ، وقد كتب إجازة شرح فيها أحواله وأحوال أبيه وجدّه جملة من مشايخه ، يروي عن أبيه وعن الأمير محمد حسين خاتون الآباديّ ، والسيّد صدر الدين الرضويّ القمّي ، والسيّد نصر الله الحائريّ الشهيد ، ويروي السيّد نصر الله عنه ، وهذا يعني رواية كلّ من الشيخين عن الآخر في علم الدراية الموسوم بالمذبّح ، ونظير ذلك رواية العلّامة المجلسيّ عن السيّد علي خان شارح الصحيفة ، ورواية السيّد عنه ، ورواية العلّامة المجلسيّ عن الشيخ الحرّ العامليّ ، ورواية الشيخ الحرّ عن المجلسيّ رضوان الله عليهم أجمعين .

كان السيّد الأجلّ الشهيد السعيد الأديب الأريب السيّد نصر الله الموسويّ المذكور آية في الفهم والذكاء ، وحسن التقرير وفصاحة التعبير ، وكان مدرّساً في الروضة الحسينيّة المنوّرة ، صنّف كتباً ورسائل منها : « الروضات الزاهرات في المعجزات بعد الوفاة) و(سلاسل الذهب) وغيرهما ، واستشهد في القسطنطينيّة بواسطة ملك الروم ، ويروي العلّامة بحر العلوم (ره) عن صاحب الكرامات السيّد حسين القزوينيّ ، عن السيّد نصر الله المذكور ، ويروي هو عن موالي أبي الحسن جدّ صاحب (الجواهر) عن العلّامة المجلسيّ (ره) .

ومن أعقاب عبيد الله بن موسى (عليه السلام) الشريف الصالح أبو القاسم جعفر بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن عبيد الله بن موسى الكاظم (عليه السلام) ، علويّ موسويّ مصريّ ، يروي عنه الشيخ التلعُكبَريّ ، وسمع عنه الحديث في سنة أربعين وثلاثمئة ، وأخذ الإجازة عنه .

وإسحاق بن موسى الكاظم (عليه السلام) الملقّب بالأمين ، توفّي بالمدينة سنة أربعين ومئتين ، وابنته رقيّة عمّرت طويلاً حتّى توفّيت سنة ستّ عشرة وثلاثمئة ، ودفنت في بغداد ؛ وأعقابه من بنيه العبّاس ومحمّد والحسين وعليّ ، ومن أحفاده الشيخ الزاهد[1] الورع أبو طالب محمّد الملهوس[2] ، ابن عليّ بن إسحاق بن العبّاس بن إسحاق بن موسى الكاظم

---

(١) في (المجدي) : أنّه كان يعمل الحديد زهداً .

(٢) الملهوس بن الملهوس .

(عليه السلام) ، كان ذا قدر وجلالة وجاه وحشمة في بغداد ؛ ومن أحفاد الحسين بن إسحاق أبو جعفر محمّد الصورانيّ المقتول بشيراز ، وقبره فيها في باب اصطخر يزار ، وقال أبو الفرج في (مقاتل الطالبيّين) : في أيّام المهتدي قتل سعيد الحاجب بالبصرة جعفر بن إسحاق بن موسى الكاظم (عليه السلام) .

يقول المؤلّف : جاء في (أنساب المجدي) أنّ أمّ إسحاق بن الكاظم (عليه السلام) كانت أم ولد ، غير أنّه يعلم من رواية في (طبّ الأئمّة) أنّ أمّ إسحاق كانت أمّ أحمد أيضاً ، وتقول الرواية إنّ اسحاق بن الكاظم (عليه السلام) روى عن أمّه أمّ أحمد قالت : قال سيّدي تعني موسى بن جعفر (عليهما السلام) ما معناه : من نظر إلى دمه في بوق الحجامة الأول أمِن من الواهنة حتّى الحجامة التالية ، فسألت سيّدي عن الواهنة فقال : الوجع .

زيد[1] بن موسى الكاظم (عليه السلام)

ويعرف بزيد النار ، وذلك أنّه في أيّام أبي السرايا وخروج الطالبيّين قدم زيد إلى البصرة فأحرق دور بني العبّاس فيها كما جاء في (تتمّة المنتهى) ، ولما قتل أبو السرايا وتزلزلت أركان الطالبيّين أخذ زيد النار فبُعث به إلى المأمون بمرو ، فعفا عنه المأمون إكراماً للرضا (عليه السلام) ، وبقي زيد حيّاً حتّى آخر أيّام المتوكّل ، بل إنّه أدرك أيضاً زمان المنتصر ونادمه ، وتوفّي بسرّ من رأى ، وبقول صاحب (العمدة) : إنّ المأمون سقاه السمّ فمات .

وكانت أفعال زيد تأتي ثقيلة عن أخيه الرضا (عليه السلام) ، وكان (عليه السلام) يلومه ويعنف به كثيراً ، وبرواية أنّه (عليه السلام) حلف أن لا يكلّمه أبداً ما عاش ، ومن أقواله له : « يا زيد ، أغرّك قول ناقلي الكوفة : إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيّتها على النار ؟ فلا والله إلاّ للحسن والحسين وولد بطنها خاصّة ، أما أن يكون موسى بن جعفر (عليهما السلام) يطيع الله ، ويصوم نهاره ويقوم ليله ، وتعصيه أنت ، ثم تجيئان يوم القيامة سواءً ، لأنت أعزّ على الله عزّ وجلّ منه » ؟ لا ، فالأمر ليس كما تعتقد ، فوالله لقد بلغنا ما بلغنا بالتقوى وطاعة الله عزّ وجلّ ، وتظنّ أنك بالغ تلك الدرجة بمعصية الله ؟ ألا ساء ما تظن !!

قال زيد : أنا أخوك وابن أبيك ، فقال له : أنت أخي ما أطعت الله ، ثم تلا الآية : ﴿ **قال يا نوح إنّه ليس من أهلك ، إنّه عمل غير صالح** ﴾ ، ثمّ قال (عليه السلام) : « لمّا عصى الله عزّ وجلّ نفاه عن أبيه » .

---

(١) جاء في (أنساب المجدي) أن أمّ زيد كانت أمّ ولد ، وكان له أبناء كثيرون منهم : أمّ موسى بنت زيد النار ، وكانت في غاية الورع والزهد .

وبرواية أخرى أنّه قال : « من كان منّا ولم يطع الله عزّ وجلّ فليس منّا » .

وقال (عليه السلام) للراوي الحسن الوشّاء : « وأنت إذا أطعت الله عزّ وجلّ فأنت منّا » .

المعصومة المدفونة بقمّ وثواب زيارتها سلام الله عليها

أمّا بنات الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) فأفضلهنّ ـ حسب ما بلغنا ـ السيّدة الجليلة المعظّمة فاطمة بنت الإمام موسى (عليه السلام) المعروفة بالسيّدة معصومة (عليها السلام) ، ومزارها في قمّ وعليه قبّة عالية ، وضريح وصحون متعدّدة والكثير من الخدم والموقوفات ، وهي نور أعين أهل قمّ . وملاذ عامّة الخلق ومعاذهم ، وفي كل عامّ يشدّ الرحال إليها من بلاد بعيدة كثير من الخلق ، ويتحملون جهد السفر التماساً لنوال بركات زيارة تلك السيّدة المعظّمة سلام الله عليها . .

وسبب قدومها إلى قمّ كما ينقل العلاّمة المجلسيّ (ره) عن (تاريخ قمّ) عن مشايخ أهل قمّ أنّه لما أخرج المأمون الرضا (عليه السلام) من المدينة إلى مرو في سنة مئتين من الهجرة خرجت فاطمة أخته تقصده ، فلمّا وصلت إلى « ساوة » مرضت ، فسألت كم بينها وبين قمّ ؟ قالوا : عشرة فراسخ ، فقالت : احملوني إليها ، فحملوها إلى قمّ وأنزلوها في بيت موسى بن الخزرج بن سعد .

قال : وفي أصحّ الروايات أنّه لّما وصل خبرها إلى قمّ استقبلها أشراف قمّ ، وتقدّمهم موسى بن الخزرج ، فلمّا وصل إليها أخذ بزمام ناقتها وأقدمها إلى منزله ، وكانت في داره سبعة عشر يوماً ، ثمّ توفّيت رضون الله عليها ، فأمر موسى بتغسيلها وتكفينها ، وصلّى عليها في أرض كانت له في بابلان ، وهي الآن روضتها .

قال صاحب (تاريخ قمّ) : حدّثني الحسين بن عليّ بن بابويه عن محمّد بن الحسن بن الوليد أنّه لّما توفّيت فاطمة (عليها السلام) وغسّلت وكفّنت حملوها إلى مقبرة بابلان ووضعوها على سرداب حُفر لها ، فاختلف آل سعد في مَن ينزلها إلى السرداب ، ثم اتّفقوا على خادم لهم صالح كبير السنّ يقال له : قادر ، فلمّا بعثوا إليه رأوا راكبين مقبلين من جانب الرملة (أي : الأرض الحصباء) وعليهما لثام ، فلمّا قربا من الجنازة نزلا وصلّيا عليها ، ثمّ نزلا السرداب وأنزلا الجنازة ودفناها فيه ، ثمّ خرجا ولم يكلّما أحداً ، وركبا وذهبا ولم يدر أحد من هما .

وجاء في الرواية الأولى أنّ موسى بن الخزرج بنى على مرقدها سقفاً من البواري (القصب) إلى أن قدمت زينب بنت محمّد بن عليّ الجواد (عليهما السلام) وبنت عليها قبّة ؛ ومحرابها الذي كانت تصلّي فيه موجود إلى الآن في محلة المير المعروفة بـ« السّتيّة » ، ويزوره الناس .

واعلم أنّ بقعة فاطمة (عليها السلام) دفنت فيها مجموعة من الفاطميّات والرضائيّات كزينب وأمّ محمّد وميمونة بنات الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) .

وفي نسخة من (أنساب المجدي) رأيت أنّ ميمونة بنت الإمام موسى (عليه السلام) ، مع المعصومة فاطمة ، وبريهة بنت موسى المبرقع ، وأمّ إسحاق جارية محمّد بن موسى ، وأمّ حبيب جارية محمّد بن أحمد بن موسى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وهذه الجارية والدة أمّ كلثوم بنت محمّد .

وفي فضل زيارة فاطمة بنت موسى (عليه السلام) وردت روايات كثيرة ، ومنها ما جاء في (تاريخ قمّ) من أنّ قوماً من أهل الريّ قدموا إلى الإمام الصادق (عليه السلام) وقالوا : نحن من أهل الريّ ، فقال : مرحباً بإخوتنا أهل قمّ ! فقالوا : نحن من أهل الريّ ، فردّ عليهم بالإجابة نفسها ، فأقبلوا يعيدون ويعيد حتّى قال (عليه السلام) :

« إنّ لله حرماً وهو مكّة ، ولرسوله حرماً وهو المدينة ، ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ، ولنا ـ أهل البيت ـ حرماً وهو قمّ ؛ وستدفن فيه امرأة من ولدي تسمّى فاطمة ، من زارها وجبت له الجنّة » . قال (عليه السلام) ذلك قبل ولادة الإمام موسى (عليه السلام) .

وروي أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) قال لسعد الأشعريّ القميّ : إنّ عندكم قبراً منّا، قال سعد: جعلت فداك، قبر فاطمة بنت الإمام موسى (عليه السلام) تريد؟ قال: نعم ، من زارها وعرف حقّها فله الجنّة . إلى مرويّات كثيرة بهذا المضمون .

وذكر القاضي نور الله في (مجالس المؤمنين) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال ما مضمونه :

اعلموا أنّ لله حرماً وهو مكّة ، ولرسوله حرماً وهو المدينة ، ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ، واعلموا أنّ حرمي وحرم ولدي من بعدي في قمّ ، واعلموا أنّ قمّ هي الكوفة الصغرى ، وإنّ للجنّة ثمانية أبواب ، ثلاثة منها في قمّ ، وستموت في قمّ امرأة من ولدي تسمّى فاطمة بنت موسى ، يدخل جميع شيعتي الجنّة بشفاعتها .

هذا ، وجاء في (الكافي) عن يونس بن يعقوب أنّه قال : لمّا رجع أبو الحسن موسى (عليه السلام) من بغداد ومضى إلى المدينة ماتت له ابنة في « فَيْد » فدفنها ، وأمر بعض مواليه أن يجصّص قبرها ، ويكتب على لوح اسمها ويجعله في القبر .

وجاء في (تاريخ قمّ) ما حاصله : كما روي أنّ الرضائيّة لا يزوّجون بناتهم ، ذلك لعدم وجود أزواج أكفاء لهنّ ، وكان لموسى بن جعفر (عليهما السلام) إحدى وعشرين بنتاً لم

تتزوّج أيّهنّ ، وصار هذا الأمر لهنّ عادة ، وقد جعل محمّد بن عليّ الرضا (عليهما السلام) بالمدينة عشر ديات وقفاً على بناته وأخواته اللواتي لم يتزوّجن ، وللرضائيّة الساكنين بقمّ نصيب من زيادات تلك الديات تجلب لهم من المدينة .

الفصل السابع

كوكبة من كبار أصحاب الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

الأوّل : حمّاد بن عيسى الكوفيّ البصريّ

من أصحاب الإجماع ، أدرك أربعة من الأئمّة عليهم السلام ، ومات في أيّام الجواد (عليه السلام) سنة تسع ومئتين ، وكان يتحرّز ويحتاط في الحديث ، ويقول : سمعت من الصادق (عليه السلام) سبعين حديثاً ، فلم أزل أدخل الشكّ في نفسي حتّى اقتصرت على هذه العشرين .

وحمّاد هذا هو من دعا الكاظم (عليه السلام) له الله تعالى أن يرزقه داراً وزوجة وولداً وخادماً والحجّ في كلّ سنة ، فقال (عليه السلام) :

« اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، وارزقه داراً وزوجة وولداً ، والحجّ خمسين سنة » .

فكان كما دعا له (عليه السلام) ، فحجّ خمسين حجّة ، ثمّ خرج بعد الخمسين حاجّاً ، فلمّا صار في موضع الإحرام دخل يغتسل في الوادي فحمله السيل وأغرقه ، فهو « غريق الجحفة » وقبره بسيّالة ، رحمة الله تعالى عليه .

الثاني : أبو عبد الله عبد الرحمن بن الحجّاج البجليّ الكوفيّ ، بيّاع السابريّ

كان مرميّاً ، ثقة جليل القدر ، أستاذ صفوان بن يحيى ومن أصحاب الصادق والكاظم (عليهما السلام) ، رجع إلى الحقّ ولقي الإمام الرضا (عليه السلام) ، كان وكيلاً للإمام الصادق (عليه السلام) ، وتوفّي في أيّام الرضا (عليه السلام) على الولاية .

روي أنّ أبا الحسن (عليه السلام) شهد له بالجنّة ، وأنّ الصادق (عليه السلام) قال له ما معناه : تكلّم مع أهل المدينة فإنّي أحبّ أن أرى في الشيعة مثلك ، وروي عنه

(عليه السلام) أنّه قال ما معناه : من مات بالمدينة بعثه الله تعالى في الآمنين يوم القيامة ؛ ومنهم : يحيى بن حبيب ، وأبو عبيدة الحذّاء ، وعبد الرحمن بن الحجّاج .

أمّا الخبر المرويّ عن أبي الحسن (عليه السلام) من أنّه ذكر عبد الرحمن بن الحجّاج فقال : « إنّه لثقيل على الفؤاد » ، فلعلّ مراده بالثقل ها هنا ثقله على المخالفين ، أو أنّ مراده أن له في النفس موقعاً ، أو أنّ ثقله بسبب اسمه ، ذلك أنّ عبد الرحمن هو اسم ابن ملجم ، والحجّاج اسم الحجاج بن يوسف الثقفيّ ، ومن المسلّم أنّ أسماء مبغضي أمير المؤمنين (عليه السلام) ثقيلة ومكروهة عند أهل البيت ، بل عند شيعتهم ومحبّيهم .

وقال سبط ابن الجوزيّ في (التذكرة) في الحديث عن أبناء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : لم يسمّ أحدٌ من بني هاشم ابناً له باسم معاوية إلاّ عبد الله بن جعفر ، ولما مرّ هذا الاسم على أولاده جفاه بنو هاشم فلم يكلّموه حتّى توفّي .

هذا ولا يخفى أنّه كما قيل : إنّ اسم عبد الرحمن ثقيل عند شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو عند أعدائه موجب لسرورهم ، فقد روي عن مسروق أنّه قال : كنت جالساً عند الحميراء تحدّثني فإذا بها تنادي غلاماً لها أسود باسم عبد الرحمن ، فلمّا حضر الغلام التفتت إليّ وقالت : أتعرف لماذا سمّيت هذا الغلام عبد الرحمن ؟ قلت : لا ، قالت : لمحبّتي لعبد الرحمن بن ملجم !!

الثالث : عبد الله بن جُنْدَب البجليّ الكوفيّ

ثقة جليل القدر ، عابد ، من أصحاب الكاظم والرضا (عليهما السلام) ومن وكلائهما ، وذكر الشيخ الكشّيّ أنّ أبا الحسن (عليه السلام) حلف أنّه عنه راضٍ ، وكذلك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، والله تعالى أيضاً ، وقال : إنّ عبد الله بن جُندب من المخبتين الذين قال الله تعالى عنهم : ﴿ وبشّر المخبتين الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم ﴾ .

وروي عن إبراهيم بن هاشم أنّه قال : رأيت عبد الله بن جندب بالموقف (موقف عرفات) فلم أر موقفاً كان أحسن من موقفه ، ما زال مادّاً يديه إلى السماء ودموعه تسيل على خدّه حتّى تبلغ الأرض ، فلمّا انصرف الناس قلت له : يا أبا محمّد ، ما رأيت موقفاً قطّ من أحسن موقفك ، قال : والله ما دعوت إلاّ لإخواني ، وذلك أنّ أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) أخبرني أنّه : من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش : ولك مئة ألف ضعف مثله ، فكرهت أن أدع مئة ألف مضمونة لواحد لا أدري يستجاب أم لا .

وسيأتي ذكر عهده مع صفوان بن يحيى عند الحديث عن هذا الأخير في جملة أصحاب الرضا (عليه السلام) إن شاء الله ؛ وهو من كتب له موسى بن جعفر (عليهما السلام) دعاء

سجدة الشكر المعروف : « اللهمّ إنّي أشهدك . . الخ » المذكور في (مصباح) الشيخ الطوسيّ وغيره .

وروي أنّه لمّا كتب عبد الله بن جُندب إلى أبي الحسن (عليه السلام) يقول : جعلت فداك ، لقد بلغني الكبر والضعف والعجز عن كثير ممّا كنت أقوى عليه ، وأحبّ ـ جعلت فداك ـ أن تعلّمني كلاماً يقرّبني من الله ، ويزيدني فهماً وعلماً ، فأجابه (عليه السلام) : أكثر من قراءة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم » .

ووردت في (تحف العقول) وصيّة طويلة للإمام الصادق (عليه السلام) أوصى بها عبد الله بن جُندب تشتمل وصايا نافعة جليلة ، نقلنا طرفاً منها في : مواعظ الصادق (عليه السلام) .

وإجمالاً فإنّ جلالة شأن عبد الله بن جندب أكثر من أن يحيط بها الوصف ، وروي أنّه بعد وفاته أخذ عليّ بن مهزيار ـ رحمه الله ـ مكانه .

الرابع : أبو محمّد عليّ بن المُغيرة البجليّ الكوفيّ الثقة

من فقهاء الأصحاب ، لا عديل له في جلالته ودينه وورعه ، روى عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) ، يقول الشيخ الكشّي : كان واقفياً ، غير أنّه أناب إلى الحق ، وروى عنه قوله : كنت واقفيّاً ، وخرجت إلى الحجّ على ذلك ، فلمّا بلغت مكّة خلج في صدري شيء ، فلذت بالملتزم ودعوت فقلت : يا ربّ ، إنّك تعلم ما في نفسي ، فأرشدني إلى خير دينك ، فوقع في قلبي أن آتي الإمام الرضا (عليه السلام) ، فصرت إلى المدينة ووقفت على بابه ، وقلت لغلام له : قل لمولاك : رجل من أهل العراق في بابك ، فإذا بي أسمعه ينادي : ادخل يا عبد الله بن المغيرة ، فدخلت ، فلمّا رآني قال : قد استجاب الله دعاءك وهداك إلى دينه ، فقلت : أشهد أنّك حجّة الله عليّ ، وأمين الله على الخلق .

وعبد الله بن المغيرة من أصحاب الإجماع ، وقيل إنّه صنّف ثلاثين كتاباً منها : كتاب (الوضوء) وكتاب (الصلاة) ، ونُقل عن كتاب (الاختصاص) : روي أنّه لمّا صنّف كتابه وعد أصحابه أن يقرأه عليهم في زاوية من زوايا مسجد الكوفة ، وكان له أخ يخالف مذهبه فلمّا اجتمع أصحابه لسماع الكتاب قدم أخوه فجلس معهم ، فلمّا رأى أخاه قال لهم : انصرفوا اليوم ، فقال له أخوه : وأين ينصرفون ، وأنا إنّما قدمت لما قدموا له ؟ قال عبد الله : وما عسى أن يكون ما قدموا له ؟ قال : يا أخي ، أريت فيما يرى النائم أنّ الملائكة تنزل من السماء ، فقلت : لماذا ينزل هؤلاء ؟ فسمعت قائلاً يقول : إنّما نزلوا ليسمعوا ذلك الكتاب الذي أخرجه عبد الله بن المغيرة ، فخرجت أنا لهذا ، وإنّي تائب إلى الله ، فسرّ عبد الله بن المغيرة بذلك .

الخامس : عبد الله بن يحيى الكاهليّ الكوفيّ أخو إسحاق

كلاهما يعدّان من رواة الصادق والكاظم (عليهما السلام) ، وكان عبد الله وجيهاً عند الكاظم (عليه السلام) وقد أوصى به عليّ بن يقطين فقال : اضمن لي كفالة الكاهليّ وعياله أضمن لك الجنّة ، فقبل عليّ فكان يبعث إليهم كلّ شهر بالطعام والمال وسائر نفقاتهم ، وكان يقدّم من العطاء للكاهليّ حتّى اكتفى أهله وعياله واستغنوا إلى أن مات الكاهليّ .

حجّ الكاهليّ قبل وفاته ، وورد على الإمام موسى (عليه السلام) فقال له : قدّم خيراً في سنتك هذه ، فبكى الكاهليّ ، فقال له (عليه السلام) : لماذ تبكي ؟ قال : إنّك تنعى إليّ نفسي ، فقال (عليه السلام) : أبشّرك أنّك من شيعتنا ، وأنّك إلى خير .

يقول الراوي : لم يعش عبد الله بعد هذا إلاّ قليلاً ، ثمّ توفّي .

السادس : عليّ بن يقطين الكوفيّ أصلاً البغداديّ مسكناً

ثقة جليل القدر من أجلاّء الأصحاب ، وكان محلاّ لالتفات موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، وكان أبوه يقطين من وجوه الدعاة العبّاسيّين ، وكان في أيّام مروان الحمار في محنة عظيمة ، ذلك أن مروان كان في طلبه ففرّ من وطنه واختفى ، وولد ابنه عليّ في الكوفة سنة أربع وعشرين ومئة ، كما فرّت زوجة يقطين مع ابنيه عليّ وعبيد إلى المدينة خوفاً من مروان ، وما زالوا متخفّين حتّى قتل مروان وظهرت دولة بني العبّاس إلى الوجود ، وإذ ذاك أظهر يقطين نفسه ، وعادت زوجه مع ولديها إلى موطنهم بالكوفة ، والتحق يقطين بخدمة السفّاح والمنصور بعده ، وكان شيعيّ المذهب يقول بالإمامة ، وأبناؤه كذلك ، وكان يحمل الأموال إلى الإمام الصادق (عليه السلام) بين حين وآخر ، وقد سُعي بيقطين عند المنصور والمهديّ ، لكنّ الله تعالى حفظه من شرّهما ، وعاش يقطين بعد عليّ تسع سنين توفّي على أثرها سنة خمس وثمانين ومئة ، وأمّا عليّ ابنه فقد كان ذا حظوة ومنزلة رفيعتين عند موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، قد ضمن له (عليه السلام) الجنّة ، وجاء في مرويّات عدّة أنّه (عليه السلام) قال : « ضمنت لعليّ بن يقطين أن لا تمسّه النار أبداً » .

وروي عن داود الرقّيّ أنّه قال : كنت يوم النحر مع الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) فقال مبتدئاً ما معناه : لم يجر في خاطري عندما كنت في الموقف إلاّ عليّ بن يقطين ، وما زال معي لم يفارقني حتّى أفضت .

وروي أيضاً أنّه أحصي في الموقف في سنة واحدة مئة وخمسون نفراً يلبّون عن عليّ بن يقطين ، وكانوا ممّن صرف لهم عليّ بن يقطين المال وأخرجهم إلى مكّة .

وروي أيضاً أنّه قدم أيام طفولته مع أخيه عبيد إلى الإمام الصادق (عليه السلام) ،

وكان لعليّ ضفيرتان على رأسه ، فقال (عليه السلام) : قرّبوا مني صاحب الضفيرتين ، فدنا عليّ منه فاحتضنه عليه السلام ودعا له بالخير ، والروايات في فضل عليّ بن يقطين كثيرة .

ولمّا شكا عليّ للإمام موسى (عليه السلام) ما ابتلي به من مجالسة الرشيد والحديث معه والعمل في وزارته قال له (عليه السلام) :

« يا عليّ ، إنّ لله تعالى أولياء مع أولياء الظَّلَمة ليدفع بهم عن أوليائه ، وأنت منهم يا عليّ » .

وفي (البحار) عن كتاب (حقوق المؤمنين) لأبي طاهر قال : استأذن عليّ بن يقطين مولاي الكاظم (عليه السلام) في ترك عمل السلطان فلم يأذن له وقال (عليه السلام) :

« لا تفعل فإنّ لنا بك أنساً ، ولإخوانك بنا عزّاً ، وعسى أن يجبر الله بك كسراً ، ويكسر بك ثائرة المخالفين عن أوليائه ، يا عليّ ، كفّارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم ، اضمن لي واحدة وأضمن لك ثلاثاً : اضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلاّ قضيت حاجته وأكرمته ، وأضمن لك أن لا يظلّك سقف سجن أبداً ، ولا ينالك حدّ سيف أبداً ، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً ، يا عليّ ، من سرّ مؤمناً فبالله بدأ ، وبالنبيّ (صلّى الله عليه وآله) ثنّى ، وبنا ثلّث » .

وعن إبراهيم بن أبي محمود قال : قال عليّ بن يقطين : قلت لأبي الحسن (عليه السلام) : ما تقول في أعمال هؤلاء ؟ قال (عليه السلام) : إن كنت لا بدّ فاعلاً فاتق أموال الشيعة .

قال : فأخبرني عليّ أنّه كان يجبيها من الشيعة علانية ويردّها عليهم في السرّ .

وروى العلاّمة المجلسيّ في (البحار) أن إبراهيم الجمّال استأذن على عليّ بن يقطين الوزير فحجبه (ذلك أنّ المظاهر لا تسمح لعليّ الوزير أن يستقبل إبراهيم (راعي الجمال) ، فحجّ عليّ بن يقطين في تلك السنة ، فاستأذن بالمدينة على الإمام الكاظم (عليه السلام) فلم يأذن له ، فرآه ثاني يومه فقال عليّ بن يقطين : يا سيّدي ما ذنبي ؟ فقال (عليه السلام) :

« حجبتك لأنّك حجبت أخاك إبراهيم الجمّال ، وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك إبراهيم الجمّال » .

قال عليّ : سيّدي ومولاي ، من لي بإبراهيم الجمّال في هذا الوقت ، وأنا بالمدينة وهو بالكوفة ؟ فقال : « إذا كان الليل فامض إلى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من أصحابك وغلمانك ، واركب نجيباً هناك مسرجاً .

فوافى عليّ البقيع وركب النجيب ، ولم يلبث أن أناخه على باب إبراهيم الجمّال بالكوفة ، فقرع الباب وقال : أنا عليّ بن يقطين ، فقال إبراهيم الجمّال من داخل الدار : وما يعمل عليّ بن يقطين الوزير ببابي ؟! فقال :

يا هذا ، إنّ أمري عظيم ، وآلى عليه أن يأذن له ، فلمّا دخل قال : يا إبراهيم إنّ المولى (عليه السلام) أبى أن يقبلني أو تغفر لي ، فقال : يغفر الله لك ، فآلى عليّ بن يقطين على إبراهيم الجمّال أن يطأ خدّه !! فامتنع إبراهيم من ذلك ، فآلى عليه ثانياً ففعل ، فلم يزل إبراهيم يطأ خدّه وعليّ بن يقطين يقول : اللهمّ اشهد .

ثمّ انصرف وركب النجيب ، وأناخه من ليلته بباب موسى بن جعفر (عليهما السلام) بالمدينة ، فأذن له ، ودخل عليه فقبله .

وروي عن عبد الله بن يحيى الكاهليّ أنّه قال : كنت عند الإمام موسى (عليه السلام) إذ أقبل عليّ بن يقطين ، فالتفت (عليه السلام) إلى أصحابه وقال : من سرّه أن ينظر إلى رجل من أصحاب النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فلينظر إلى هذا القادم ، فقال واحد من الجماعة : فعليّ بن يقطين على هذا من أهل الجنّة ؟ فقال (عليه السلام) : أمّا فأشهد أنّه من أهل الجنّة .

وقد تقدّم عند الحديث عن عبد الله بن يحيى الكاهليّ أن عليّ بن يقطين كان يخرج إلى عبد الله ما يكفيه وعياله بأمر الكاظم (عليه السلام) .

توفّي عليّ بن يقطين في أيّام الإمام الكاظم (عليه السلام) سنة ثمانين ومئة ، وكان (عليه السلام) في الحبس ، وقيل : كانت وفاته سنة اثنتين وثمانين ومئة ، وروي عن يعقوب بن يقطين أنّه قال : سمعت أبا الحسن الخراسانيّ (عليه السلام) قال : مضى عليّ بن يقطين وصاحبه (يعني الكاظم (عليه السلام)) عنه راضٍ .

السابع : المفضّل بن عمر الكوفيّ الجعفيّ

ذكر النجاشيّ والعلاّمة أنّه كان فاسد المذهب مضطرب الرواية ، وأورد الشيخ الكشّيّ أحاديث في مدحه وقدحه ، وفي (إرشاد) المفيد عبارة تدلّ على توثيقه ، ومن كتاب (غيبة) الشيخ يعلم أنّه من قُوّام الأئمّة ومرضيّ عندهم ، وأنه مضى على منهاجهم ، وما يدلّ على جلالة قدره ووثاقته ، أنّه كان من وكلاء الصادق والكاظم (عليهما السلام) ، ويعدّه الكفعمي من بّوابي الأئمّة .

وجاء في (الكافي) أنه وقع شجار بين أبي حنيفة سائق الحاجّ وصهره في ميراث ، فمر

بهما المفضّل فأخذهما إلى منزله وأصلح بينهما بأربعمئة درهم من ماله وقال : هذا المال ليس لي ، إنّما أودعه الصادق (عليه السلام) عندي وأمرني إذا وقع نزاع بين رجلين من الشيعة أن أصلح بينهما ، وما أصلحت به بينكما إنّما هو من ماله (عليه السلام) .

ويروى عن محمّد بن سنان أنّه قال : قال لي موسى بن جعفر (عليهما السلام) : يا محمّد ، المفضّل أنسي واستراحتي ، وأنت أنسهما واستراحتهما (يعني الرضا والجواد (عليهما السلام)) .

وروي عن موسى بن بكر أنّه لما بلغ موسى (عليه السلام) موت المفضّل قال : رحمه الله والداً بعد والد ، وقد استراح .

وجاء في (البحار) نقلاً عن كتاب (الاختصاص) رواية عن عبد الله بن الفضل الهاشميّ أنّه قال :

كنت عند الصادق جعفر بن محمّد (عليهما السلام) إذ دخل المفضّل بن عمر ، فلمّا بصر به ضحك إليه ، ثمّ قال :

إليّ يا مفضّل ، فوربّي إنّي لأحبّك وأحبّ من يحبّك ، يا مفضّل ، ولو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان .

فقال له المفضّل : يا بن رسول الله ، لقد حسبت أن أكون قد أُنزلت فوق منزلتي ، فقال (عليه السلام) :

بل أنزلت المنزلة التي أنزلك الله بها ، فقال : يا بن رسول الله ، فما منزلة جابر بن يزيد منكم ؟ قال : منزلة سلمان من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، قال : فما منزلة داود بن كثير الرقّيّ منكم ؟ قال : منزلة المقداد من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

قال الراوي ؛ ثمّ أقبل عليّ فقال : يا عبد الله بن الفضل ، إن الله تعالى خلقنا من نور عظمته ، وصنعنا برحمته ، وخلق أرواحكم منّا ، فنحن نحنّ إليكم وأنتم تحنّون إلينا ، والله لو جهد أهل المشرق والمغرب أن يزيدوا في شعيتنا رجلاً وينقصوا منهم رجلاً ما قدروا على ذلك ، وإنّهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم وأنسابهم ، يا عبد الله بن الفضل ، ولو شئت لأريتك اسمك في صحيفتنا .

قال : ثمّ دعا بصحيفة فنشرها ، فوجدتها بيضاء ليس فيها أثر الكتابة ، فقلت : يا بن رسول الله ، ما أرى فيها أثر الكتابة !! قال : فمسح يده عليها فوجدتها مكتوبة ، ووجدت في أسفلها اسمي ، فسجدت لله شكراً .

يقول المؤلّف : لقد نقلت الحديث بكامله نظراً لنفاسته .

وأمّا الروايات في قدح المفضّل من مثل ما روي أنّ الصادق (عليه السلام) قال لإسماعيل بن جابر : اذهب إلى المفضّل وقل له : يا كافر يا مشرك ، ماذا تريد من ولدي ، أتريد قتله ؟! أو ما روي من أنّ المفضّل في سفره لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) لما صار مع رفقاء سفره على بعد أربعة فراسخ من الكوفة دخلت صلاة الصبح فنزلوا للصلاة ، لكنّ المفضّل لم ينزل ، فقيل له : لماذا لا تنزل ؟ قال : لقد صلّيت قبل خروجي من منزلي !! وأمثالهم ، فتلك الروايات لا تقبل التعارض مع ما ورد من الأخبار في مدحه ، وقد بسط شيخنا في (خاتمة المستدرك) أقوالاً في أحواله ردّ فيها على روايات القدح ، ومن رجع إلى (توحيد المفضّل) الذي يضمّ ما قاله الصادق (عليه السلام) للمفضّل بيّن له أنّ للمفضّل عند الصادق (عليه السلام) منزلة عظيمة ، وأنّه قابل لتحمّل علومهم عليهم السلام .

وتوحيد المفضّل رسالة رفيعة أوصى السيّد ابن طاووس (ره) كلّ من أراد سفراً باصطحابها معه ، وفي (كشف المحجّة) أوصى ولده بالنظر فيها ، وقد ترجمها العلاّمة المجلسيّ (ره) إلى الفارسيّة لانتفاع العوامّ بها ، وقد ضمّ (تحف العقول) بعد أبواب مواعظ الأئمّة (عليهم السلام) باباً في مواعظ المفضّل بن عمر ، وردت فيه مواعظ شافية عنه ، أكثرها عن الصادق (عليه السلام) .

الثامن : أبو محمّد هشام بن الحكم مولى كندة

من أعاظم أئمّة الكلام وأزكياء الأعلام ، هذّب مطالب الكلام ، وروّج للإمامة بأفكار صادقة وأنظار صائبة ، ولد بالكوفة ونشأ بواسط ، وامتهن التجارة ببغداد ، كما انتقل إليها في أواخر حياته ، روى عن الصادق والكاظم (عليهما السلام) ، وهو ثقة ، ورويت في حقّه عن هذين الإمامين مدائح عظيمة ، كان رجلاً حاضر البديهة ، حذق في علم الكلام ، وكان ممّن فتق الكلام في الإمامة ، وهذّب المذهب بالنظر ، توفّي بالكوفة سنة تسع وسبعين ومئة في أيّام الرشيد وترحّم عليه الإمام الرضا (عليه السلام) .

وعن أبي جعفر الهاشميّ أنّه قال : قلت للإمام الجواد (عليه السلام) : ما تقول ـ جعلت فداك ـ في هشام بن الحكم ؟ فقال : « رحمه الله ، ما كان أذبّه عن هذه الناحية » .

وقال الشيخ الطوسيّ (ره) : هشام بن الحكم من خواصّ سيّدنا ومولانا الإمام موسى (عليه السلام) ، وله مناظرات كثيرة في أصول الدين وغيرها مع المخالفين .

وقال العلاّمة : وردت روايات في مدحه ، كما وردت أحاديث أيضاً بخلاف ذلك ، وقد

أوردناها في كتابنا الكبير ، وأجبنا عنها ، وهذا الرجل عندي عظيم الشأن رفيع المنزلة . انتهى .

صنّف هشام كتباً في التوحيد وفي الإمامة وفي الردّ على الزنادقة ومذاهب الطبيعة والمعتزلة ، ومن كتبه كتاب (الشيخ والغلام) وكتاب (ثمانية أبواب) وكتاب (الردّ على أرسطو طاليس) .

روى الشيخ الكشّي (ره) عن عمير بن يزيد أنّه قال :

كان ابن أخي هشام يذهب في الدين مذهب الجهميّة ، خبيثاً فيهم ، فسألني أن أدخله على أبي عبد الله (عليه السلام) ليناظره ، فأعلمته أنّي لا أفعل ما لم أستأذنه ؛ فدخلت على أبي عبد الله فاستأذنته في إدخال هشام عليه ، فأذن لي فيه ، فقمت من عنده وخطوت خطوات ، فذكرت رداءته وخبثه ، فانصرفت إلى أبي عبد الله فحدّثته عن رداءته وخبثه فقال لي : يا عمير ، تتخوّف عليّ ؟ فخجلت من قولي وعلمت أنّي قد عثرت ، فخرجت مستحيياً إلى هشام وأعلمته أنّه قد أذن له .

فبادر هشام فدخل ودخلت معه ، فلمّا تمكّن في مجلسه سأله أبو عبد الله (عليه السلام) عن مسألة فحار فيها هشام وسأله أن يؤجّله فيها ، ففعل ، فذهب هشام فاضطرب في طلب الجواب أيّاماً فلم يقف عليه ، فرجع إلى أبي عبد الله (عليه السلام) فأخبره (عليه السلام) بها ، وسأله عن مسائل أخرى فيها فساد أصله وعقد مذهبه فخرج هشام من عنده متحيّراً مغتمّاً ، فبقي أيّاماً لا يفيق من حيرته .

قال عمير : فسألني هشاماً أن أستأذن له ثالثاً ، فاستأذنت له فقال (عليه السلام) : لينتظرني في موضع سمّاه بالحيرة ، فخرجت إلى هشام فأخبرته ، فسرّ واستبشر ، وسبقه إلى الموضع الذي سمّاه .

قال هشام : أقبل أبو عبد الله (عليه السلام) على بغلة له ، فلمّا بصرت به هالني منظره وأرعبني حتّى بقيت لا أجد شيئاً أتفوّه به ، ولا انطلق لساني لما أردت من مناطقته ، ووقف عليّ مليّاً ينتظر ما أكلّمه ، وكان وقوفه عليّ لا يزيدني إلاّ تهيّباً وتحيراً ، فلمّا رأى ذلك منّي ضرب بغلته وانصرف ، وتيقّنت أنّ ما أصابني من هيبته لم يكن إلاّ من قبل الله عزّ وجل ، من عظم موقعه ومكانه في الربّ الجليل .

قال عمير : فانصرف هشام إلى أبي عبد الله (عليه السلام) وترك مذهبه ، ودان بدين الحقّ ، وفاق أصحاب أبي عبد الله كلّهم والحمد لله .

وقال الشيخ المفيد : هشام بن الحكم من أكبر أصحاب الإمام الصادق

(عليه السلام) ، كان فقيهاً ، روى أحاديث كثيرة ، وأدرك صحبة الصادق (عليه السلام) ومن بعده الإمام موسى (عليه السلام) ، يكنّى بأبي محمّد وأبي الحكم ، وكان مولى لبني شيبان ، أقام بالكوفة ، وبلغ من سمّو المقام عند الصادق (عليه السلام) حدّاً جعله ـ حين قدم إليه في مجلسه بمنى ـ يقدّم مجلسه على من حضر من شيوخ الشيعة كحمران بن أعين ، وقيس ، ويونس بن يعقوب ، وأبي جعفر مؤمن الطاق وغيرهم . رغم حداثة سنّه ، فلم يكن في المجلس إلاّ من هو أكبر منه سنّاً ، ولمّا رأى (عليه السلام) تقديمه له قد كبُر عليهم قال : « هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده » .

ثمّ سأل هشام الإمام (عليه السلام) عن أسماء الله عزّ وجلّ ومشتقّاتها فأجابه ، وقال له : هل فهمت يا هشام فهماً تدفع به أعداءنا الملحدين بنا ؟ قال : نعم ، قال : نفعك الله عزّ وجلّ به وثبّتك .

وقد نُقل عن هشام قوله : أما والله ما من أحد قهرني أو غلبني في مباحث التوحيد حتّى اليوم في مقامي هذا .

وإن مناظرات هشام بن الحكم مشهورة ، ومناظراته مع الرجل الشاميّ بحضور الصادق (عليه السلام) ، ومحاجّته لعمرو بن عبيد المعتزليّ ، ومناظراته مع بريهة ومع المتكلّمين في مجلس يحيى بن خالد البرمكيّ ، فكل منّها مشروح في موضعه .

أمّا مناظرته في مجلس يحيى بن خالد فالدافع إليها أنّ هارون الرشيد كان قد عزم على قتله ، فلا غرو أنه فرّ إلى الكوفة خوفاً منه ، وقدم على بشير النبّال ، واعتلّ علّة شديدة فامتنع من الاستعانة بالأطبّاء ، ولما طلب بشير منه أن يستقدم له أحدهم أبى وقال : لا ، فإنّي ميّت .

وبرواية أنّه أدخل عليه جماعة من الأطبّاء ، فكان إذا دخل الطبيب عليه سأله : هل وقفت على علّتي ؟ فمن بين قائل يقول : لا ، ومن قائل يقول : نعم ، فيسأله وصف علّته ، فإذا وصفها له كذّبه وقال : علّتي غير هذه ، فيُسأل عن علّته فيقول : علّتي فزع القلب ممّا أصابني من الخوف ، وقد كان قُدّم ليضرب عنقه ، ومات بهذه العلّة .

وإجمالاً ، فلمّا أشرف على الموت قال لبشير : إذا فرغت من جهازي فاحملني في جوف الليل وضعني بالكناسة ، واكتب رقعة وقل :

« هذا هشام بن الحكم الذي طلبه أمير المؤمنين مات حتف أنفه » .

وعلّة طلبه هذا هي أنّ الرشيد كان قد بعث إلى إخوان هشام وأصحابه فأخذهم به ، فلما أصبح أهل الكوفة رأوه ، فحضر القاضي وصاحب المعونة والمعدّلون بالكوفة ، وكتبوا إلى الرشيد يشهدون بموته فقال : الحمد لله الذي كفانا أمره ، ثم خلّى عمّن كان أخذ به .

وروي عن يونس أن هشام بن الحكم كان يقول :

« اللهمّ ما عملت وأعمل من خير مفترض وغير مفترض فجميعه عن رسول الله وأهل بيته الصادقين صلوات الله عليه وعليهم حسب منازلهم عندك ، فتقبّل ذلك كلّه عنّي وعنهم ، وأعطني من جزيل جزائك حسب ما أنت أهله » .

التاسع : يونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين

عبد صالح جليل القدر عظيم المنزلة ، وجه الأصحاب ، ومن أصحاب الإجماع ، روي أنّه ولد في أيّام هشام بن عبد الملك ، والتقى بالباقر (عليه السلام) بين الصفا والمروة لكنّه لم يرو عنه ، وقال أيضاً : رأيت الصادق (عليه السلام) في روضة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يصلّي بين القبر والمنبر ، ولم يكن ممكناً أن أسأله ، لكنه روى عن الكاظم والرضا (عليهما السلام) ، وقد أشار الرضا (عليه السلام) إليه بالعلم والفتوى ، وقد عرض عليه الواقفة مالاً كثيراً ليميل إليهم فأبى ، وثبت على الحقّ .

روى الشيخ المفيد (ره) بسند صحيح عن أبي هاشم الجعفريّ أنّه قال : عرضت على الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) كتاب يونس (يوم وليلة) فقال : تصنيف مَن ؟ قلت : تصنيف يونس مولى آل يقطين ؟ فقال : أعطاه الله بكلّ حرف نوراً يوم القيامة .

وبرواية أخرى : أنّه (عليه السلام) تصفّحه من أوّله إلى آخره ، وقال : هذا ديني ودين جميع آبائي وكلّه حقّ .

وإجمالاً : فقد انتقل إلى رحمته تعالى سنة ثمان ومئتين ، وفي خبر أن الإمام الرضا (عليه السلام) ضمن له الجنّة ثلاث مرّات .

وروي عن الفضل بن شاذان أنّه قال : حدّثني عبد العزيز بن المهتدي ، وكان أفضل فقيه رأيته ، ووكيلاً للرضا (عليه السلام) ومن خواصّه ، قال سألت الإمام الرضا (عليه السلام) فقلت : إنّي قلّما ألقاك (يعني أن طريقه إليه بعيدة فلا يصل إليه) فعمّن آخذ أحكام دينك ؟ فقال (عليه السلام) : خذ عن يونس بن عبد الرحمن .

ويروى عنه (عليه السلام) أنه قال : إنّ يونس في زمانه مثل سلمان الفارسيّ في زمانه ، وقد صنّف يونس كتباً في الفقه والتفسير والمثالب وغيرها ، تعادل كتب الحسين بن سعيد وتزيد عنها .

ويروى أنّه لمّا توفّي موسى بن جعفر (عليهما السلام) كان لدى قوّامه ووكلائه أموال كثيرة ، ونظراً لطمعهم في تلك الأموال فقد أنكروا وفاته وصاروا واقفيّة ، فقد كان عند زياد

القنديّ سبعون ألف دينار ، وعند عليّ بن أبي حمزة ثلاثون ألفاً ، وكان يونس بن عبد الرحمن إذ ذاك يدعو للإمام الرضا (عليه السلام) وينكر على الواقفيّة ، يقول يونس :

فبعثا ـ يعني زياداً وعليّاً ـ إليّ وقالا : ما يدعوك إلى هذا ؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك ، وضمنا لي عشرة آلاف دينار ، وقالا لي : كُفّ ، فأبيت وقلت لهما : إنّا روينا عن الصادقين (عليهم السلام) أنّهم قالوا :

« إذا ظهرت البدع في أمّتي فلينظر العالم علمه ، فمن لم يفعل سُلب نور الإيمان » .

وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كلّ حال ، فناصباني وأضمرا لي العداوة .

يقول المؤلّف : هذه الرواية التي رواها يونس وردت بنحو آخر ، وهو أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : إذا ظهرت البدعة في أمّتي فعلى العالم أنّ يظهر علمه ، وإلاّ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

واعلم أنّ الروايات في باب البدعة كثيرة ، فقد ورد أنّ من ابتسم في وجه صاحب بدعة فقد أعان في خراب دينه ؛ وروي أيضاً أنّ « من أتى ذا بدعة فعظّمه فإنّما يسعى في هدم الإسلام » .

وروى الراونديّ عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال : من عمل بالبدعة فقد استفرغه الشيطان لعبادته وألقى عليه الخشوع والبكاء ، وغيرهما .

نعود إلى يونس (ره) ، فقد روي أنّه كان له أربعون أخاً يذهب كلّ يوم لرؤيتهم والسلام عليهم ، وعندها يأتي إلى منزله ويطعم طعامه ، ويتهيّأ للصلاة ، ثم يجلس للتصنيف وتأليف الكتب .

يقول المؤلّف : الظاهر أنّ هؤلاء الأربعين إنّما كانوا إخوته في الدين ، فهو في ذلك إنّما يريد زيارة الأربعين .

وروي عن يونس أنّه قال : « صمت عشرين سنة ، وسئلت عشرين سنة ، ثمّ أجبت » .

يعني أنّه سكت عن الكلام فلم يجب سائليه إلاّ بعد عشرين سنة ؛ هذا في حال بناء فعل السؤال على المجهول ، أمّا إن بني على المعلوم فيعني أنّه سأل عشرين سنة حتّى تعلّم ، ثمّ أجاب سائليه عن مسائلهم .

والمدائح في يونس كثيرة ، ويعلم من المرويّات أنّ أصحابه كانوا يُسمعونه سيّىء القول ، وينسبون إليه بعض الأقوال الفاسدة ؛ وفي الخبر أنّه كان إذا قيل له : إنّ كثيراً من

هؤلاء الأصحاب يقولون فيك ما يسوء ويذكرونك بما لا يحسن أجاب : إنّي أشهدكم على أنّ من كان له في أمير المؤمنين (عليه السلام) نصيب (أي : من كان من شيعته) فقد أحللته ممّا قال .

وحكي أنّ يونس بن عبد الرحمن حجّ أربعاً وخمسين حجّة ، واعتمر أربعاً وخمسين عمرة ، وألّف ألف جلدٍ ردّاً على المخالفين ، ويقال :

« انتهى علم الأئمّة عليهم السلام إلى أربعة نفر : أوّلهم سلمان الفارسيّ ، والثاني جابر ، والثالث السيّد ، والرابع يونس بن عبد الرحمن » .

وعن الفضل بن شاذان قال : « ما نشأ في الإسلام رجل من سائر الناس كان أفقه من سلمان الفارسيّ رضي الله تعالى عنه ، ولا نشأ بعده رجل أفقه من يوسس بن عبد الرحمن » .

وعن الشهيد الثاني ، أورد الكشّيّ في ذمّه نحو عشرة أحاديث ، وحاصل الجواب عنها يرجع إلى ضعف بعض سندها ، وجهل بعض رجالها ، والله أعلم بحاله .

العاشر: يونس بن يعقوب البجليّ الدهنيّ ابن أخت معاوية بن عمّار

اختلفت أقوال العلماء في حقّه ، فقد قال الشيخ الطوسيّ (ره) : هو ثقة ، وقد عدّل في بضعة مواضع وعدّه الشيخ المفيد من فقهاء الأصحاب .

وقال النجاشيّ : كان من خاصّة الصادق والكاظم (عليهما السلام) ، وكان وكيلاً للإمام موسى (عليه السلام) ، وتوفّي بالمدينة في أيّام الإمام الرضا (عليه السلام) ، فتولّى (عليه السلام) أمره ؛ وكان يونس ذا منزلة عندهم ، وكان موثّقاً ، قال بإمامة عبد الله الأفطح ثمّ رجع إلى الحقّ .

وقال أبو جعفر بن بابويه : هو أفطحيّ ، وروى الشيخ الكشّيّ أيضاً عن بعضهم أنّه كان أفطحيّاً ، والظاهر أنّه رجع إلى الحقّ كما يقول الشيخ النجاشيّ .

وإجمالاً ، فقد وردت روايات في مدحه ، وتوفّي في أيّام الرضا (عليه السلام) ، فأمر بتحنيطه وتكفينه وجميع ما يحتاجه ، وأمر مواليه وموالي أبيه وجدّه بتشييعه ، وقال لهم : هذا الميّت مولى الصادق (عليه السلام) ، وكان يسكن في العراق ، فاجعلوا له قبراً بالبقيع ماذا قال أهل المدينة : هذا رجل عراقيّ ولن ندعه يدفن بالبقيع فقولوا : هذا مولى الصادق (عليه السلام) وكان يسكن في العراق ، فإن منعتمونا أن ندفنه بالبقيع منعناكم نحن أيضاً أن تدفنوا مواليكم بالبقيع ، فدفنوه هناك .

وبرواية عن محمّد بن الوليد أنّه قال : وقفت على قبر يونس ذات يوم فإذا بصاحب المقبرة

(أي : متعهّد أمور القبور) يدنو منّي ويقول : من يكون هذا الشخص الذي أمرني الإمام الرضا (عليه السلام) برشّ قبره بالماء أربعين شهراً (أو أربعين يوماً ، والتردّد من الراوي) في كلّ يوم مرّة ؟

وقال صاحب المقبرة أيضاً : عندي نعش النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، فإذا مات رجل من بني هاشم أخرج النعش في ليلته صوتاً ، فأفهم أنّ أحدهم قد مات ، وأسأل نفسي من يكون ، فإذا كان الصبح عرفت .

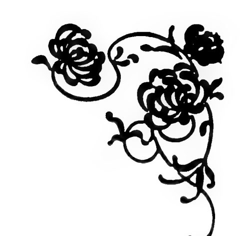
وفي الليلة التي مات فيها هذا الرجل سمعت صوت النعش فقلت : ها إنّ أحدهم قد مات ، وهو ليس بالسيّىء ، ولما طلع النهار جاؤوا فأخذوا النعش وقالوا : مولى لأبي عبد الله الصادق كان يسكن العراق قد توفّي .

ويروي محمّد بن الوليد عن صفوان بن يحيى أنّه قال : قلت للإمام الرضا (عليه السلام) : جعلت فداك ، لقد سرّني ما قلته في حقّ يونس ، فقال : أليس من لطف الله وإحسانه أن ينقل من العراق إلى جوار النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ؟

ورويّ في حديث : انظروا إلى ما ختم الله به ليونس ، قبضه الله مجاوراً لرسوله (صلّى الله عليه وآله) .

تمّ الحديث عن أحوال الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليهما ، ويأتي بعده إن شاء الله بيان لأحوال ثامن الأئمّة المعصومين عليّ بن موسى الرضا عليه وعليهم السلام .





الباب العاشر

في تاريخ الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام)

وفيه سبعة فصول



الفصل الأول

في ولادة الإمام الرضا (عليه السلام) وألقابه وكنيته

ولادة الإمام الرضا (عليه السلام)

إعلم أنه وقع اختلاف في تاريخ ولادته (عليه السلام) ، والقول الأشهر أنّه ولد في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ثمان وأربعين ومئة بالمدينة ، وقيل إنّه ولد في الحادي عشر من ذي الحجّة سنة ثلاث وخمسين ومئة ، وذلك بعد وفاة الصادق (عليه السلام) بخمس سنين ، ووفقاً للرواية الأولى ـ وهي الأشهر ـ فقد كانت ولادته بعد وفاة جدّه الصادق (عليه السلام) بأيّام قليلة ، وكان الصادق (عليه السلام) يتمنّى إدراكه ، ففي الخبر عن موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال :

« سمعت أبي جعفر بن محمّد (عليهما السلام) غير مرّة يقول لي : إنّ عالم آل محمّد (عليهم السلام) لفي صلبك ، وليتني أدركته ، فإنّه سميّ أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)» .

وروى الشيخ الصدوق عن يزيد بن سليط قال : لقينا أبا عبد الله (عليه السلام) في طريق مكّة ونحن جماعة ، فقلت له : بأبي أنت وأمّي ، أنتم الأئمّة المطهّرون ، والموت لا يعرى منه أحد ، فأحدث إليّ شيئاً ألقيه إلى من يخلفني ، فقال لي :

« نعم ، هؤلاء ولدي وهذا سيّدهم » ، وأشار إلى ابنه موسى (عليه السلام) ، « وفيه علم الحكم والفهم والسخاء ، والمعرفة بما يحتاج الناس إليه في ما اختلفوا فيه من أمر دينهم ، وفيه حسن الخلق وحسن الجوار[1] ، وهو باب من أبواب الله عزّ وجلّ ، وفيه أخرى هي خير من ذلك كلّه » .

---

(١) في بعض النسخ : « وحسن الجواب » .

فقلت له : وما هي بأبي أنت وأمّي ؟ قال :

« يخرج الله منه غوث هذه الأمّة وغياثها ، وعلمها ونورها وفهمها وحكمها ، خير مولود وخير ناشىء، يحقن الله به الدماء ، ويصلح به ذات البين ، ويلمّ به الشعث ، ويشعب به الصّدع ، ويكسو به العاري ، ويشبع به الجائع ، ويؤمّن به الخائف ، وينزل به القطر ، ويأتمر له العباد ، خير كهل وخير ناشىء ، يبشّر به عشيرته قبل أوان حلمه ، قوله حكم وصمته علم ، يبين للناس ما يختلفون فيه . . » الخ .

وقال العلاّمة المجلسيّ (ره) في (جلاء العيون) في أحوال الإمام الرضا (عليه السلام) : اسمه الشريف عليّ ، وكنيته أبو الحسن ، وأشهر ألقابه الرضا ، ويقال أيضاً : الصابر ، والفاضل ، والرضيّ ، والوفيّ ، وقرّة أعين المؤمنين ، وغيظ الملحدين .

ويروي ابن بابويه بسند حسن عن البزنطيّ قال : قلت لأبي جعفر الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) : إنّ قوماً من مخالفيكم يزعمون أنّ أباك إنّما سمّاه المأمون الرضا لمّا رضيه لولاية عهده ، فقال :

« كذبوا والله وفجروا ، بل الله تبارك وتعالى سمّاه الرضا لأنه كان رضىً لله عزّ وجلّ في سمائه ، ورضىً لرسوله والأئمّة بعده (عليهم السلام) في أرضه » .

قال : فقلت له : ألم يكن كلّ واحد من آبائك الماضين (عليهم السلام) رضىً لله عزّ وجلّ ولرسوله والأئمّة بعده ؟ فقال : بلى ، فقلت : فلم سمّي أبوك (عليه السلام) من بينهم الرضا ؟ قال :

« لأنّه رضي به المخالفون من أعدائه ، كما رضي به الموافقون من أوليائه ، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه (عليهم السلام) ، فلذلك سمّي من بينهم الرضا » .

وروى أيضاً بسند معتبر عن سليمان بن حفص أنّ الإمام موسى (عليه السلام) كان دوماً يدعو ابنه الرضا ، ويقول : ادعو الرضا ، وقلت لابني الرضا ؛ وإذا خاطبه دعاه أبا الحسن ، أبوه الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، وأمّه أمّ ولد يسمّونها : تُكتَم ، ونجمة ، وأروى ، وسكَن ، وسَمانة ، وأمّ البنين ، ويقول بعضهم أيضاً : خيزران صقر ، وشقراء .

في بيان أحوال الطاهرة أمّ الرضا (عليه السلام)

روى ابن بابويه بسند معتبر عن عليّ بن ميثم أنّ حميدة المصفّاة أمّ الإمام موسى (عليه السلام) وكانت من أشراف العجم وعظمائهم ، ابتاعت جارية أسمتها تُكتم ، وكانت

من أفضل النساء عقلاً وديناً وحياء ، وكانت تحترم سيّدتها وتجلّها ، فلم تجلس عندها منذ اشترتها إجلالاً لها وتعظيماً .

قالت حميدة لابنها يوماً : يا بنيّ ، إنّ تكتم جارية لم أر من يفضلها فهماً وحسن خلق ، وأعلم أن نسلها سيكون طاهراً مطهّراً ، وإنّي أهبها لك وأطلب إليك أن ترعى حرمتها ، فلمّا أنجبت الرضا (عليه السلام) سمّاها الطاهرة ، وكان الرضا (عليه السلام) يرتضع الحليب بكثرة ، فقالت أمّه : ايتوني بمرضعة تكون عوناً لي في إرضاعه ، فقيل لها : وهل قلّ الحليب عندك ؟ قالت : لا والله ، فالحليب عندي غير قليل ، غير أنّي اعتدت على الإتيان بالنوافل والأوراد فقلّل الإرضاع منها ، ولذلك أردت من يساعدني في الإرضاع حتّى لا أترك أورادي .

وروى بسند معتبر آخر أنّ حميدة رأت في المنام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول لها : « يا حميدة ، هبي نجمة لابنك موسى فإنّه سيولد له منها خير أهل الأرض » فوهبتها له ، وكانت بكراً .

وروى أيضاً بسند معتبر عن هشام أنّه قال : سألني الإمام موسى (عليه السلام) يوماً ، أتدري عن نخّاس قدم من المغرب ؟ قلت : لا ، قال : لقد جاء فهيّا بنا ، ثمّ ركب راحلته وركبت ، فلمّا بلغنا المكان المعهود إذا برجل من تجّار المغرب ومعه جوارٍ وغلمان كثر ، فطلب إليه (عليه السلام) أن يعرض علينا جواريه ، فأخرج لنا تسعاً فلم يختر أيّاً منهنّ ، فقال (عليه السلام) للنخّاس : أحضر غيرهنّ ، فقال : لا جواري غيرهنّ لديّ ، قال : بل لديك فأرنا ، قال : ليس عندي والله سوى جارية مريضة ، فقال : ما عليك أن تعرضها ؟ فأبى ، فانصرف عنه .

ثمّ إنّه (عليه السلام) أرسلني من الغد إليه وقال : سله كم غايته فيها ؟ فصرت إليه فطلب إليه قيمة مرتفعة وقال : ما أنقصها ، فقلت له : قد أخذتها والثمن لك ، قال : وهي لك ، ولكن مَن الرجل ؟ فقلت : رجل من بني هاشم ، فقال : من أيّ بني هاشم ؟ قلت : ما عندي أكثر من هذا ، فقال : أخبرك عن هذه الوصيفة :

إنّي اشتريتها من أقصى المغرب ، فلقيتني امرأة من أهل الكتاب فقالت : ما هذه الوصيفة معك ؟ فقلت : اشتريتها لنفسي فقالت : ما ينبغي أن تكون عند مثلك ، إنّ هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض ، ولا تلبث عنده إلاّ قليلاً حتّى تلد منه غلاماً يدين له أهل المشرق والمغرب .

قال : فأتيته بها ، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتّى ولدت عليّاً الرضا (عليه السلام) .

وجاء في (الدرّ النظيم) و(إثبات الوصيّة) أنّ الإمام موسى (عليه السلام) قال

لأصحابه لمّا ابتاع هذه الجارية : والله ما اشتريت هذه الجارية إلاّ بأمر الله ووحيه، فسئل عن ذلك ، فقال :

« بينا أنا نائم إذ أتاني جدّي وأبي (عليهما السلام) ومعهما شقّة حرير فنشراها فإذا قميص وفيه صورة هذه الجارية ، فقالا : يا موسى ، ليكوننّ لك من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك ، ثمّ أمراني إذا ولدته أن أسميّه عليّاً ، وقالا : إنّ الله عزّ وجلّ سيظهر به العدل والرأفة والرحمة ، طوبى لمن صدّقه ، وويلٌ لمن عاداه وجحده » .

وروى الشيخ الصدوق بسند معتبر عن نجمة أمّ الرضا (عليه السلام) قالت :

لمّا حملت بابني عليّ لم أشعر بثقل الحمل ، وكنت أسمع في منامي تسبيحاً وتهليلاً وتمجيداً من بطني ، فيفزعني ذلك ويهولني ، فإذا انتبهت لم أسمع شيئاً ، فلمّا وضعته وقع واضعاً يده على الأرض ، رافعاً رأسه إلى السماء ، يحرّك شفتيه كأنّه يتكلّم ، فدخل إليّ أبوه موسى بن جعفر (عليهما السلام) فقال لي : هنيئاً لك يا نجمة كرامة ربّك ، فناولته إيّاه في خرقة بيضاء ، فأذّن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، ودعا بماء فرات فحنّكه ، ثمّ ردّه إليّ وقال : خذيه فإنّه بقيّة الله في أرضه » .

وروى ابن بابويه بسند معتبر عن محمّد بن زياد أنّه قال : سمعت الإمام موسى (عليه السلام) يقول يوم ولد الرضا (عليه السلام) بأن ابنه هذا ولد مختوناً طاهراً مطهّراً ، وهكذا ولد الأئمّة جميعهم ، لكنه لامس موضع الختانة بسكّين جرياً على السنّة .

كان نقش خاتمه (عليه السلام) : « ما شاء الله ، ولا قوّة إلاّ بالله » ، وبراوية أخرى : « حسبيَ الله » .

أقول : لا تعارض بين هاتين الروايتين ، ذلك أنّه كان له (عليه السلام) خاتمان : واحد له ، والآخر أتاه من أبيه ، كما روى الشيخ الكلينيّ عن موسى بن عبد الرحمن أنّه قال : سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن نقش خاتمه ونقش خاتم أبيه فقال : نقش خاتمي : « ما شاء الله ، ولا قوّة إلاّ بالله » ، ونقش خاتم أبي : « حسبي الله » ، وها هو ذا أتختّم به .

الفصل الثاني

في طرف من مناقب الامام الرضا (عليه السلام) ومكارم أخلاقه

مكارم أخلاق الرضا (عليه السلام) ووفور علمه

ليست فضائل الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ومناقبه مما يندرج في حيّز البيان ، أو ينالها الإحصاء ، وإلاّ فهل يمكن إحصاء نجوم السماء ؟

ولقد أجاد أبو النواس في قوله وهو عند الرشيد كما في (المناقب) ، أو عند المأمون كما في سائر الكتب :

قيل لي : أنت أوحد الناس طرّاً	في علوم الورى وشعر البَدِيهِ
لك من جوهر الكلام نظام	يثمر الدرّ في يدي مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى	والخصال التي تجمّعن فيه
قلت: لا أستطيع مدح إمام	كان جبريل خادماً لِأبيه

ونحن نورد بضعة أخبار في فضائله تبركاً وتيمناً ، هي في الحقيقة بمثابة قطرة إلى جانب بحار فضائله .

أولاً : في وفور علمه (عليه السلام) : ذكر الشيخ الطبرسيّ عن أبي الصلت الهرويّ أنّه قال : ما رأيت أعلم من عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام) ، ولا رآه عالم إلاّ شهد له بمثل شهادتي ، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلّمين فغلبهم عن آخرهم ، حتّى ما بقي أحد منهم إلاّ أقرّ له بالفضل ، وأقرّ على نفسه بالقصور .

ولقد سمعت عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام) يقول :

« كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون ، فإذا أعيت الواحد منهم مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم ، وبعثوا إليّ بالمسائل فأجيب عنها» .

وقال أبو الصلت : ولقد حدّثني محمّد بن إسحاق بن موسى بن جعفر عن أبيه أنّ موسى بن جعفر (عليهما السلام) كان يقول لبنيه :

« هذا أخوكم عليّ بن موسى عالم آل محمّد (عليهم السلام) ، فاسألوه عن أديانكم واحفظوا ما يقول لكم ، فإنّي سمعت أبي جعفر بن محمّد (عليهما السلام) غير مرّة يقول لي : إنّ عالم آل محمّد لفي صلبك ، وليتني أدركته ، فإنّه سميّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) » .

ثانياً : روى الشيخ الصدوق عن إبراهيم بن العبّاس قال : ما رأيت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) جفا أحداً بكلامه قطّ ، وما رأيته قطع على أحد حديثه حتّى يفرغ منه ، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها ، وما مدّ رجليه أمام جليس له قطّ ، ولا اتّكأ بين يدي جليس له قطّ ، ولا شتم أحداً من مواليه ومماليكه قطّ ، وما رأيته تفل قطّ ، ولا تقهقه في ضحكه ، بل ضحِكه التبسّم ، وكان إذا خلا ونصبت مائدته أجلس معه عليها مماليكه حتّى البوّاب والسائس .

وكان (عليه السلام) قليل النوم بالليل كثير السهر ، يحيي أكثر لياليه من أوّلها إلى الصبح ، وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيّام في الشهر (أول وآخر خميس منه ، والأربعاء في وسطه) ويقول : ذلك صوم الدهر ؛ وكان كثير المعروف والصدقة في السرّ ، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة ؛ فمن زعم أنّه رأى مثله في فضله فلا تصدّقوه .

وروي عن محمّد بن أبي عبّاد أنّه كان جلوس الرضا (عليه السلام) في الصيف على حصير ، وفي الشتاء على فسح (أي قماشة عتيقة) ، ولبسه الغليظ من الثياب ، حتّى إذا برز للناس تزيّن لهم .

ثالثاً : روى الشيخ الأجلّ أحمد بن محمّد البرقيّ ، عن أبيه ، عن معمّر بن خلّاد قال : كان أبو الحسن الرضا (عليه السلام) إذا أراد أن يأكل أتي بصحفة ، فتوضع قرب مائدته ، فيعمد إلى أطيب الطعام ممّا يوتى به فيأخذ من كلّ شيء شيئاً ، ثمّ يأمر بها للمساكين ، ثم يتلو هذه الآية : ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ ، ثمّ يقول (عليه السلام) : علم الله عزّ وجلّ أن ليس كلّ إنسان يقدر على عتق رقبة ، فجعل لهم السبيل إلى الجنّة ، (أي : بإطعام الطعام)[1] .

رابعاً : عن الشيخ الصدوق في (العيون) ، عن الحاكم أبي عليّ البيهقيّ ، عن محمّد بن يحيى الصوليّ قال : حدّثتني جدّتي لِأبي وإسمها غدر ، قالت : اشتُريت مع عدّة جوارٍ

(١) فسّر تعالى اقتحام العقبة بفكّ رقبة ، أو إطعام في يوم ذي مسغبة (أي مجاعة) ؛ فأشار (ع) إلى عدم إمكان الأوّل لِأكثر الناس ، وإلى قدرتهم على الثاني وهو إطعام الطعام .

من الكوفة ، وكنت من مولّداتها ، فحملنا إلى المأمون ، فكنّا في داره في جنّة من الأكل والشرب والطيب وكثرة الدنانير ، فوهبني المأمون للرضا (عليه السلام) ، فلمّا صرت في داره فقدت جميع ما كنت فيه من النعيم ، وكانت علينا قيّمة تنبّهنا من الليل وتأخذنا بالصلاة ، وكان ذلك من أشدّ ما علينا ، فكنت أتمنّى الخروج من داره إلى أن وهبني لجدّك عبد الله بن العبّاس ، فلما صرت إلى منزله كأنّي قد أدخلت الجنّة .

قال الصوليّ : وما رأيت امرأة أتمّ من جدتي هذه عقلاً ولا أسخى كفّاً ، وتوفّيت في سنة سبعين ومئتين ولها نحو مئة سنة ، فكانت تُسأل عن أمر الرضا (عليه السلام) كثيراً فتقول : ما أذكر منه شيئاً ، إلاّ أنّي كنت أراه يتبخّر بالعود الهنديّ ويستعمل بعده ماء ورد ومسكاً ، وكان (عليه السلام) إذا صلّى الغداة يصلّيها في أول وقت ، ثمّ يسجد فلا يرفع رأسه إلى أن ترتفع الشمس ، ثمّ يقوم فيجلس للناس ، أو يركب ، ولم يكن أحد يقدر أن يرفع صوته في داره كائناً من كان ، إنّما كان يتكلّم الناس قليلاً .

وكان جدّي عبد الله يتبرّك بجدّتي هذه ، ولمّا وهبها له الرضا (عليه السلام) جعلها مدبرة ، أي قرّر أن تكون حرّة بعد موته ، ولما دخل عليه خاله العبّاس بن الأحنف الشاعر رآها فأعجبته ، فسأل جدّي أن يهبها له فقال : إنّها مدبّرة ، فأنشد العبّاس :

يا غدرُ زُيِّنَ باسمكِ الغدر وأساء ولم يُحسِن بك الدهر

خامساً : وروى بالسند السابق عن أبي ذكوان ، عن إبراهيم بن العبّاس أنّه قال : ما رأيت الرضا (عليه السلام) سئل عن شيء إلاّ علمه ، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره ، وإنّ المأمون كان يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيجيب عنه ، وإنّ جوابه كلّه كان انتزاعات من القرآن المجيد ، وكان يختمه في كلّ ثلاث ويقول : « لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاث لختمت ، ولكنّي ما مررت بآية قطّ إلاّ فكّرت فيها ، وفي أيّ شيء أنزلت ، وفي أيّ وقت ، فلذلك صرت أختم في كلّ ثلاثة أيّام » .

سادساً : وروى أيضاً في الكتاب المذكور عن إبراهيم الحسنيّ أنّ المأمون بعث إلى الرضا (عليه السلام) بجارية ، فلمّا أحضرت إليه رأت عليه أثر الشيب والشيخوخة فازورّت عنه ، فلمّا رأى هذا منها ردّها إلى المأمون وكتب إليه بهذه الأبيات :

نعى نفسي إلى نفسي المشيب وعند الشيب يتّعظ اللبيب
فقد ولّى الشباب إلى مداه فلست أرى مواضعه يؤوب
سأبكيه وأندبه طويلاً وأدعوه إليّ عسى يجيب
وهيهات الذي قد فات منه تمنّيني به النفس الكذوب
وراع الغانياتِ بياض رأسي ومَن مُدّ البقاء له يشيب

أرى البيض الحسان يحدن عنّي ... وفي هجرانهنّ لنا نصيب
فإن يكن الشباب مضى حبيباً ... فإن الشيب أيضاً لي حبيب
سأصحبه بتقوى الله حتّى ... يفرّق بيننا الأجل القريب

وقد أنشد النظامي بهذا المعنى أبياتاً لا يخلو إيرادها من مناسبة :

قال الفتى للشيخ : قل لي ما العمل ... إن فرّ محبوبي لشيب قد نزل ؟
فأجابه الشيخ الحكيم بقوله : ... بل أنت تهرب إذ تشيب ! فلاتسل
فالشيب إذ يعلو جبينك إنّما ... كالزئبق الفرّار تهجر كلّ خِلّ[1]

سابعاً : روى الشيخ الكلينيّ عن إليسع بن حمزة القمّي أنّه قال :

كنت في مجلس أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أحدّثه وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام ، إذ دخل عليه رجل طوال آدم فقال له : السلام عليك يا بن رسول الله ، رجل من محبّيك ومحبّي آبائك وأجدادك (عليهم السلام) ، مصدري من الحجّ ، وقد افتقدت نفقتي ، وما معي ما أبلغ به مرحلة ، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي ولله عليّ نعمة ، فإذا بلغت بلدي تصدّقت بالذي توليني عنك ، فلست موضع صدقة .

فقال له (عليه السلام) : اجلس رحمك الله ، وأقبل على الناس يحدّثهم حتّى تفرّقوا ، وبقي هو وسليمان الجعفريّ وخيثمة وأنا ، فقال : أتأذنون لي في الدخول ؟ فقال له سليمان : قدّم الله أمرك ، فقام فدخل الحجرة فبقي ساعة ، ثمّ خرج وردّ الباب ، وأخرج يده من أعلى الباب وقال : أين الخراسانيّ ؟ فقال : ها أنذا ، فقال : خذ هذه المئتي دينار واستعن بها في مؤونتك ونفقتك ، وتبرّك بها ولا تتصدّق بها عنّي واخرج فلا أراك ولا تراني ، ثم خرج ، فقال سليمان : جعلت فداك ، لقد أجزلت ورحمت ، فلماذا سترت وجهك عنه ؟ فقال : مخافة أن أرى ذلّ السؤال في وجهه لقضائي حاجته ، أما سمعت حديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

« المستتر بالحسنة تعدل سبعين حجّة ، والمذيع بالسيئة مخذول ، والمستتر بها مغفور له » ؟
أما سمعت قول الأوّل :

متى آته يوماً لأطلب حاجة ... رجعت إلى أهلي ووجهي بمائه ؟

يقول المؤلّف : أورد ابن شهر اشوب هذه الرواية في (المناقب) ثمّ أضاف : إنّه (عليه السلام) فرّق في يوم عرفة كلّ ماله ، فقال له الفضل بن سهل : إنّ هذا المغرم ، فقال

---

(١) أبيات معرّبة عن الفارسية (المعرّب).

(عليه السلام) : « بل هو المغنم ، لا تعدّنّ مغرماً ما ابتعت به أجراً وكرماً » . انتهى .

هذا وإنّ التوسّل بالإمام الرضا (عليه السلام) مفيد في السفر براً وبحراً ، وفي الوصول إلى الوطن ، وفي الخلاص من الهمّ والغمّ والغربة ، وقد تقدّم عن الصادق (عليه السلام) قوله عنه (عليه السلام) بأنّه « غوث هذه الأمّة » ، وقد جاء في زيارته (عليه السلام) :

« السلام على غوث اللهفان ، ومن صارت به أرض خراسان خراسان » .

ثامناً : روى ابن شهر اشوب عن موسى بن سيّار أنّه قال :

كنت مع الرضا (عليه السلام) وقد أشرف على حيطان طوس ، وسمعت واعيةً فاتّبعتها فإذا نحن بجنازة ، فلمّا بصرت بها رأيت سيّدي وقد ثنى رجله عن فرسه ، ثمّ أقبل نحو الجنازة فرفعها ، ثمّ أقبل يلوذ بها كما تلوذ السخلة بأمّها ، ثمّ أقبل عليّ وقال :

« يا موسى بن سيّار ، من شيّع جنازة وليّ من أوليائنا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه لا ذنب عليه » .

قال : حتّى إذا وُضع الرجل على شفير قبره رأيت سيّدي قد أقبل ، فأفرج الناس عن الجنازة حتّى بدا الميّت ، فوضع يده على صدره ثمّ قال : « يا فلان بن فلان ، أبشر بالجنّة ، فلا خوف عليك بعد هذه الساعة » ، فقلت : جعلت فداك ، هل تعرف الرجل ؟ فوالله إنّها بقعة لم تطأها قبل يومك هذا ! فقال لي : « يا موسى بن سيّار ، أما علمت أنّا معاشر الأئمّة تعرض علينا أعمال شيعتنا صباحاً ومساء ، فما كان من التقصير في أعمالهم سألنا الله تعالى الصفح لصاحبه ، وما كان من العلوّ سألنا الله الشكر لصاحبه » . (أي أن يجزيه عليه) .

تاسعاً : روى الشيخ الكلينيّ عن سليمان الجعفريّ أنّه قال :

كنت مع الرضا (عليه السلام) في بعض الحاجة ، فأردت أن أنصرف إلى منزلي فقال لي : انصرف معي فبت عندي الليلة ، فانطلقت معه ، فدخل إلى داره مع المغيب ، فنظر إلى غلمانه يعملون بالطين أواريّ[1] الدوابّ أو غير ذلك ، وإذا معهم أسود ليس منهم ، فقال : ما هذا الرجل معكم ؟ قالوا : يعاوننا ونعطيه شيئاً ، قال : قاطعتموه على أجرته ؟ فقالوا : لا ، هو يرضى منّا بما نعطيه ، فأقبل عليهم يضربهم بالسوط ، وغضب لذلك غضباً شديداً ، فقلت : جعلت فداك ، لِمَ تدخل على نفسك ؟ فقال :

« إنّي قد نهيتهم عن مثل هذا غير مرّة أن يعمل معهم أحد حتّى يقاطعوه أجرته ، واعلم أنّه ما من أحد يعمل لك شيئاً بغير مقاطعة ، ثمّ زدته لذلك الشيء ثلاثة أضعاف على أجرته إلاّ

---

(١) الأواري : معالف الدوابّ أو محابسها .

ظنّ أنّك نقصته أجرته ، وإذا قاطعته ثمّ أعطيته أجرته حمدك على الوفاء ، فإن زدته حبّةً عرف ذلك لك ، ورأى أنّك قد زدته » .

عاشراً : روي عن ياسر الخادم أنّه قال : كان الرضا (عليه السلام) إذا خلا جمع حشمه كلّهم عنده ، الصغير والكبير ، فيحدّثهم ويأنس بهم ويؤنسهم ، وكان (عليه السلام) إذا جلس على المائدة لم يدع صغيراً ولا كبيراً حتّى السائس والحجّام إلّا أقعده معه على مائدته .

قال ياسر : قال لنا أبو الحسن : إن قمت على رؤوسكم وأنتم تأكلون فلا تقوموا حتّى تفرغوا ؛ ولربّما دعا بعضنا ، فيقال : هم يأكلون فيقول : دعوهم حتّى يفرغوا .

حادي عشر : روى الشيخ الكلينيّ عن رجل من أهل « بلخ » أنّه قال : كنت مع الرضا (عليه السلام) في سفره إلى خراسان ، فدعا يوماً بمائدة له ، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم ، فقلت : جعلت فداك ، لو عزلت لهؤلاء مائدة ؟ فقال : « مه ، إنّ الربّ تبارك وتعالى واحد ، والأمّ واحدة ، والأب واحد ، والجزاء بالأعمال » .

يقول المؤلّف : هذه حاله (عليه السلام) مع الفقراء والرعايا ، ولكن لمّا دخل عليه الفضل بن سهل ذو الرياستين وقف بين يديه ساعة ، ثمّ رفع الرضا (عليه السلام) رأسه إليه فقال له : ما حاجتك ؟ قال الفضل : ياسيّدي هذا كتاب[1] كتبه أمير المؤمنين وأنت أولى أن تعطينا مثل ما أعطى أمير المؤمنين ، إذ أنت وليّ عهد المسلمين ، فقال له الرضا (عليه السلام) : اقرأه ، وكان كتاباً في أكبر جلد ، فلم يزل قائماً حتّى قرأه ، فلمّا فرغ قال له أبو الحسن (عليه السلام) : « يا فضل ، لك علينا هذا ما اتّقيت الله عزّ وجلّ » ؛ فنقض عليه أمره في كلمة واحدة ، فخرج من عنده .

سيرته الحميدة (عليه السلام) وعادته في العبادة وحديث رجاء بن أبي الضحّاك

ثاني عشر : وروى الشيخ الصدوق عن رجاء بن أبي الضحّاك أنّه قال :

بعثني المأمون في إشخاص عليّ بن موسى الرضا من المدينة إلى مرو ، وأمرني أن آخذ به على طريق البصرة والأهواز وفارس ، ولا آخذ به على طريق قمّ ، وأمرني أن أحفظه بنفسي بالليل والنهار حتّى أقدم به عليه ، فكنت معه من المدينة إلى مرو ؛ فوالله ما رأيت رجلاً كان أتقى منه ، ولا أكثر ذكراً لله في جميع أوقاته منه ، ولا أشدّ خوفاً لله عزّ وجلّ .

---

(١) كان هو كتاب الحبوة ، فيه ما أعطاه المأمون للفضل ، وحباه كلّ ما أحبّ من الأموال والضياع والسلطان ، وبسط له من الدنيا أمله .

كـان إذا أصبح صـلّى الغداة ، فـإذا سلّم جلس في مصـلاّه يسبّح الله ويحمـده ويكـبّره ويهلّله ، ويصلّي على النبيّ وآله حتّى تطلع الشمس ، ثمّ يسجـد سجدة يبقى فيهـا حتّى يتعالى النهار ، ثمّ أقبل على الناس يحـدّثهم ويعظهم إلى قـرب الزوال ، ثمّ جـدّد وضوءه ، وعـاد إلى مصلاّه ، فإذا زالت الشمس قام وصلّى ستّ ركعات : يقرأ في الركعة الأولى (الحمـد) (وقل يا أيّها الكافرون) وفي الثانية (الحمـد) و(قل هـو الله أحد) ، ويقـرأ في الأربع في كـلّ ركعة (الحمد) و(قل هوالله أحد) ، ويسلّم في كـلّ ركعتين ، ويقنت فيهـما في الثانيـة قبل الـركوع وبعد القراءة ، ثمّ يؤذّن ، ثمّ يصلّي ركعتين ، ثمّ يقيم ويصلّي الظهر .

فإذا سلّم سبحّ الله وحمده وكبّر وهلّلَ ما شاء الله ، ثمّ سجد سجدة الشكر يقول فيها مئة مرّة : « شكراً لله » .

فـإذا رفع رأسـه قام فصـلّى ستّ ركعات : يقـرأ في كلّ ركعـة « الحمد » و« قـل هو الله أحد » ، ويسلّم في كلّ ركعتين ، ويقنت في ثانية كلّ ركعتـين قبل الـركوع وبعـد القراءة ، ثم يؤذن ، ثمّ يصلّي ركعتين ، ويقنت في الثانية ، فإذا سلّم أقام وصلّى العصر .

فإذا سلّم جلس في مصلاّه يسبّح الله ويحمده ويكبّر ويهلّل ما شاء الله ، ثمّ سجد سجـدة يقول فيها مئة مرّة : « حمداً لله » .

فإذا غابت الشمس توضّأ وصلّى المغرب ثلاثاً بأذان وإقامة ، وقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة ، فإذا سلّم جلس في مصلاّه يسبّح الله ويحمده يكبّر ويهلّل ما شاء الله ، ثم يسجد سجدة الشكر ، ثمّ رفع رأسه ولم يتكلّم حتّى يقوم ويصلّي أربـع ركعات بتسليمتـين ، يقنت في كلّ ركعتين في الثانية بعد الركوع وقبل القراءة ، وكان يقرأ في الأولى من هذه الأربع « الحمد » و« قل يا أيّها الكافرون » وفي الثانية « الحمد » « وقلّ هو الله أحد » ، ثمّ يجلس بعد التسليم في التعقيب ما شاء الله ، ثمّ يفطر .

ثمّ يلبث حتّى يمضي من الليـل قريب من الثلث ، ثمّ يقـوم فيصلّي العشـاء الآخرة أربـع ركعات ، ويقنت في الثانية قبل الـركوع وبعـد القراءة ، فـإذا سلّم جلس في مصلاّه يـذكر الله عزّ وجلّ ويسبّحه ويحمده ويكبّر ويهلّل ما شاء الله ، ويسجد بعد التعقيب سجدة الشكـر ، ثمّ يأوي إلى فراشه .

فإذا كان الثلث الأخـير من الليل قـام من فراشـه بالتسبيـح والتحميد والتكبـير والتهليل والاستغفار ، فاستاك ثمّ توضّأ ، ثم قام إلى صلاة الليل ، فصلّى ثماني ركعات : ويسلّم في كلّ ركعتين ، يقرأ في الأوليين منها في كلّ ركعة « الحمد » مرّة ، و« قل هو الله أحد » ثلاثـين مرّة ، ويصـلّي صلاة جعفـر بن أبي طالب (عليـه السلام) أربـع ركعات : يسلّم في كـلّ ركعتـين ،

ويقنت في كلّ ركعتين في الثانية قبل الركوع وبعد التسبيح ، ويحتسب بها من صلاة الليل ، ثمّ يصلّي الركعتين الباقيتين : يقرأ في الأولى « الحمد » وسورة « الملك » ، وفي الثانية « الحمد » و« هل أتى على الإنسان » .

ثم يقوم فيصلّي ركعتي الشفع : يقرأ في كل ركعة منهما « الحمد » مرّة ، و« قل هو الله أحد » ثلاث مرّات ، ويقنت في الثانية ، ثمّ يقوم فيصلّي الوتر ركعة : يقرأ فيها « الحمد » و« قل هو الله أحد » ثلاث مرّات ، و« قلّ أعوذ بربّ الفلق » مرّة واحدة ، و« قل أعوذ بربّ الناس » مرّة واحدة ، ويقنت فيها قبل الركوع وبعد القراءة ، ويقول في قنوته :

« اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، اللهمّ اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولّنا فيمن تولّيت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا شرّ ما قضيت ، فإنّك تقضي ولا يقضى عليك ، إنّه لايذلّ من واليت ، ولا يعزّ من عاديت ، تباركت ربّنا وتعاليت » .

ثمّ يقول : « أستغفر الله وأسأله التوبة » سبعين مرّة ، فإذا سلّم جلس في التعقيب ما شاء الله .

وإذا قرب الفجر قام فصلّى ركعتي الفجر : يقرأ في الأولى « الحمد » و« قل يا أيّها الكافرون » ، وفي الثانية « الحمد » و« قل هو الله أحد » ، فإذا طلع الفجر أذّن وأقام ، وصلّى الغداة ركعتين ، فإذا سلّم جلس في التعقيب حتّى تطلع الشمس ، ثم سجد سجدتي الشكر حتى يتعالى النهار .

وكانت قراءته في جميع المفروضات : في الأولى « الحمد » و« إنّا أنزلناه » ، وفي الثانية « الحمد » و« قل هو الله أحد » ، إلاّ في صلاة الغداة والظهر والعصر يوم الجمعة فإنّه كان يقرأ فيها « الحمد » وسورة « الجمعة » و« المنافقين » ، وكان يقرأ في صلاة العشاء والآخرة ليلة الجمعة في الأولى « الحمد» وسورة « الجمعة » ، وفي الثانية « الحمد » و« سبّح اسم ربّك الأعلى » وكان يقرأ في صلاة الغداة يوم الاثنين والخميس : في الأولى « الحمد » و« هل أتى على الإنسان » وفي الثانية « الحمد » و« هل أتاك حديث الغاشية » .

وكان يجهر بالقراءة في المغرب والعشاء وصلاة الليل والشفع والوتر والغداة ، ويخفي القراءة في الظهر والعصر ، وكان يسبّح في الأخريين يقول:

« سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر » ثلاث مرّات .

وكان قنوته في جميع صلواته :

« ربّ اغفر وارحم وتجاوز عمّا تعلم ، إنّك أنت الأعزّ والأجلّ الأكرم » .

وكان إذا أقام في بلدة عشرة أيّام بقي صائماً لا يفطر ، فـإذا جنّ الليل بـدأ بالصـلاة قبل الإفطار ، وكان في الطريق يصلّي فرائضه ركعتين ركعتين ، إلاّ المغرب فإنّـه كان يصلّيهـا ثلاثـاً ولا يدع نافلتها ، ولا يدع صلاة الليل والشفع والوتر وركعتي الفجر في سفر ولا حضر .

وكان لا يصلّي من نوافل النهار في السفر شيئاً ، وكان يقول بعد كل صلاة يقصّرها .

« سبحـان الله والحمد لله ولا إلـه إلاّ الله والله أكبر » ثـلاثين مـرّة ، ويقول : هـذا لتـمام الصلاة ، وما رأيته صلّى صـلاة الضحى في سفر ولا حضر ، وكـان لا يصوم في السفـر شيئاً ، وكـان (عليه السـلام) يبدأ في دعـائه بـالصلاة عـلى محمّد وآلـه ، ويكثر من ذلـك في الصـلاة وغيرها .

وكان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن ، فإذا مرّ بـآية فيهـا ذكر جنّـة أو نار بكى ، وسأل الله الجنّة وتعوّذ به من النار ، وكان (عليه السلام) يجهـر بـ(بسم الله الرحمن الـرحيم) في جميع صلواته بالليل والنهار ، وكان إذا قرأ : « قل هو الله أحد » قـال سرّاً : « الله أحـد » ، فإذا فرغ منها قال : « كذلك الله ربّنا » ثلاثاً ، وكان إذا قرأ سورة « الجحد » قال في نفسـه سرّاً « يـا أيّها الكـافرون » ، فـإذا فرغ منهـا قال : « ربّيَ الله ، وديني الإسـلام »، وكان إذا قـرأ : « والتين والزيتون » قال عند الفراغ منها : « بلى وأنا على ذلك من الشاهـدين » ، وكان إذا قـرأ « لا أقسم بيوم القيامة » قال عند الفراغ منها : « سبحانـك اللهمّ بلى » ، وكـان يقرأ في سـورة الجمعة : « قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، للذين اتّقوا ، والله خير الرازقين » .

وكان إذا فرغ من « الفاتحة » قال : « الحمد لله ربّ العالمين » ، وإذا قـرأ : « سبّح اسم ربّك الأعلى » ، قـال سرّاً : « سبحـان ربّي الأعلى » وإذا قـرأ : « يا أيّهـا الذين آمنـوا » قال : « لبيك » سرّاً .

وكان لا ينزل بلداً إلاّ قصده الناس يستفتونه في معـالم دينهم ، فيجيبهم ويحدّثهم الكثـير عن أبيـه ، عن آبائـه ، عن عليّ ، عن رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه) ، فلمّا وردت عـلى المأمون سألني عن حاله في طريقـه فأخبرته بمـا شاهـدته منـه في ليله ونهاره ، وظعنه وإقـامته ، فقال : بلى يا بن أبي الضحّاك ، هذا خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم ، فـلا تخبر أحـداً بما شهدت منه لئـلاّ يظهـر فضله إلاّ على لسـاني ، وبالله أستعـين على مـا أنوي من الـرفع منـه ، والإشارة به . انتهى .

وقد نقل العلاّمة المجلسيّ (ره) في (البحار) أنّ الإمام الرضا (عليـه السـلام) كـان إذا غضب منه المأمون قرأ هذا الدعاء فيسكن غضبه :

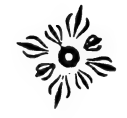
« بالله استفتح ، وبالله استنجح ، وبمحمّد (صلّى الله عليه وآله) أتوجه ، اللهمّ سهّـل

لي حزونة أمري كلّه ، ويسّر لي صعوبته ، إنّك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أمّ الكتاب » .

ونقل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه كان إذا أهمّه أمر وضاقت به عيشته ، أو لقي قرناً شجاعاً ، فقرأ هذا الدعاء فلا يلبث أن يزيل الله عنه الهمّ والغمّ ، وقال يوماً : . . . ونصرني على أعدائي ، واعلم أن تسبيحه (عليه السلام) كان في اليوم العاشر والحادي عشر من الشهر ، وهو :

« سبحان خالق النور ، سبحان خالق الظلمة ، سبحان خالق المياه ، سبحان خالق السماوات ، سبحان خالق الأرضين ، سبحان خالق الرياح والنبات ، سبحان خالق الحياة والموت ، سبحان خالق الثرى والفلوات ، سبحان الله وبحمده » .

أقول : سيأتي بعد هذا الفصل إن شاء الله ، ذكر للكثير من مناقب الإمام الرضا ومكارمه وأخلاقه عليه آلاف التحيّات والتسليم ، ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .



الفصل الثالث

في دلائل امامة الامام الرضا (عليه السلام) ومعجزاته

ونكتفي بذكر بضع منها ، والعشر الأوائل منها ممّا جاء في (عيون أخبار الرضا) .

الأولى : روي عن محمّد بن داود أنّه قال : كنت أنا وأخي عند الرضا (عليه السلام) فأتاه من أخبره أنه قد رُبط ذقن محمّد بن جعفر (أي أنّه يموت) ، فمضى أبو الحسن (عليه السلام) ومضينا معه ، وإذا لحياه قد ربطا ، وإذا إسحاق بن جعفر وولده وجماعة آل أبي طالب يبكون ، فجلس أبو الحسن (عليه السلام) عند رأسه ، ونظر في وجهه فتبسّم ، فنقم من كان في المجلس عليه ، فقال بعضهم : إنّما تبسّم شامتاً بعمّه !

قال الراوي : وخرج (عليه السلام) ليصلّي في المسجد ، فقلنا له : جعلنا فداك ، قد سمعنا فيك من هؤلاء ما نكره حين تبسّمت ، فقال أبو الحسن (عليه السلام) : « إنّما تعجّبت من بكاء إسحاق ، وهو والله يموت قبله ، ويبكيه محمّد » .

قال : فبرىء محمّد ومات إسحاق .

كما روى يحيى بن محمّد بن جعفر (عليه السلام) أنه قال : مرض أبي مرضاً شديداً فأتاه أبو الحسن الرضا (عليه السلام) يعوده ، وعمّي إسحاق جالس يبكي ، قد جزع عليه جزعاً شديداً .

قال يحيى : فالتفت إليّ أبو الحسن (عليه السلام) فقال : ما يبكي عمّك ؟ قلت : يخاف عليه ما ترى ، فقال (عليه السلام) : لا تغمّنّ فإنّ إسحاق سيموت قبله .

قال يحيى : فبرىء أبي محمّد ومات إسحاق .

الثانية : روى عليّ بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ ، عن أبيه ، عن الحسين بن موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال :

كنّا حول أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ونحن شبّان من بني هاشم إذ مرّ علينا جعفر بن عمر العلويّ وهو رثّ الهيئة ، فنظر بعضنا إلى بعض ، وضحكنا من هيئة جعفر بن عمر ، فقال الرضا (عليه السلام) : لترونه عن قليل كثير المال كثير التبع ، فما مضى إلاّ شهر أو نحوه حتّى ولي المدينة ، وحسنت حاله ، فكان يمرّ بنا ومعه الخصيان والحشم .

وجعفر هذا هو جعفر بن عمر بن الحسن بن عمر بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن أبي طالب (عليهم السلام) .

الثالثة : روي عن أبي حبيب البناجيّ أنّه قال : رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في المنام وقد وافى « البِناج »[1] ونزل بها في المسجد الذي ينزله الحاجّ في كلّ سنة ، وكأنّي مضيت إليه وسلّمت عليه، ووقفت بين يديه ، ووجدت عنده طبقاً من خوص[2] نخل المدينة فيه تمر صيحانيّ ، فكأنّه قبض قبضة من ذلك التمر فناولني ، فعددته فكان ثماني عشرة تمرة ، فتأوّلت أنّي أعيش بعدد كلّ تمرة سنة .

فلمّا كان بعد عشرين يوماً كنت في أرض تعمّر بين يديّ للزراعة ، حتّى جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا (عليه السلام) من المدينة ، ونزوله ذلك المسجد ، ورأيت الناس يسعون إليه ، فمضيت نحوه ، فإذا هو جالس في الموضع الذي كنت رأيت فيه النبي (صلّى الله عليه وآله) ، وتحته حصير مثل ما كان تحته ، وبين يديه طبق خوص فيه تمر صيحانيّ ، فسلّمت عليه فردّ السلام عليّ ، واستدناني فناولني قبضة من ذلك التمر ، فعددته فإذا عدده مثل ذلك العدد الذي ناولني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فقلت له : زدني منه يا بن رسول الله ، فقال : لو زادك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لزدناك .

الرابعة : حدّث أحمد بن عليّ بن الحسين الثعالبيّ عن أبي عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالصفوانيّ ، قال :

قد خرجت قافلة من خراسان إلى كرمان ، فقطع اللصوص عليها الطريق وأخذوا منهم رجلاً اتّهموه بكثرة المال ، فبقي في أيديهم مدّة يعذّبونه ليفتدي منهم نفسه ، وأقاموه في الثّلاج ، ملأوا فاه من ذلك الثلج ، فرحمته امرأة من نسائهم فأطلقته وهرب ، فانفسد فمه ولسانه حتّى لم يقدر على الكلام ، ثمّ انصرف إلى خراسان ، وسمع بخبر عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) وأنّه بنيسابور ، ورأى في ما يرى النائم كأنّ قائلاً يقول له إنّ ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد ورد خراسان ، فسله عن علّتك فربّما يعلّمك دواء تنتفع به .

---

(١) البِناج ككتاب : قرية في البادية .

(٢) الخوص : ورق النخل .

قال : فرأيت كأنّي قصدته (عليه السلام) وشكوت إليه ما كنت دُفعت إليه وأخبرته بعلّتي ، فقال لي : خذ من الكمّون والصعتر والملح ودقّه ، وخذ منه في فمك مرّتين أو ثلاثاً ، فإنّك تعافى .

فانتبه الرجل من منامه ، ولم يفكر في ما كان رأى في منامه ولا اعتدّ به ، حتّى ورد باب نيسابور فقيل له : إنّ عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) قد ارتحل عن نيسابور وهو بـ(رباط سعد) ، فوقع في نفس الرجل أن يقصده ويصف له أمره ، ليصف له ما ينتفع به من الدواء ، فقصده إلى « رباط سعد » فدخل إليه فقال له : يا بن رسول الله ، كان من أمري كيت وكيت ، وقد انفسد عليّ فمي ولساني حتّى لا أقدر على الكلام إلاّ بجهد ، فعلّمني دواء أنتفع به .

فقال الرضا (عليه السلام) : ألم أعلّمك ؟ اذهب فاستعمل ما وصفته لك في منامك .

فقال له الرجل : يا بن رسول الله ، إن رأيت أن تعيده عليّ فقال (عليه السلام) : خُذ من الكمون والصعتر والملح فدقّه ، وخذ منه في فمك مرّتين أو ثلاثاً فإنّك تعافى .

قال الرجل : فاستعملت ما وصف لي فعوفيت .

قال الثعالبيّ : سمعت الصفوانيّ يقول : رأيت هذا الرجل وسمعت منه هذه الحكاية .

الخامسة : روي عن الريّان بن الصلت أنه قال : لمّا أردت الخروج إلى العراق عزمت على توديع الرضا (عليه السلام) فقلت في نفسي : إذا ودّعته سألته قيمصاً من ثياب جسده لأكفّن به ، ودراهم من ماله أصوغ بها لبناتي خواتيم ، فلمّا ودّعته شغلني البكاء والأسى على فراقه عن مسألته ذلك ، فلمّا خرجت من بين يديه صاح بي : يا ريّان ، ارجع ، فرجعت فقال لي :

أما تحبّ أن أدفع إليك قميصاً من ثياب جسدي تكفّن فيه إذا فني أجلك ؟ أو ما تحبّ أن أدفع إليك دراهم تصوغ بها لبناتك خواتيم ؟

فقلت : يا سيّدي ، قد كان في نفسي أن أسألك ذلك ، فمنعني الغمّ بفراقك ، فرفع الوسادة وأخرج قميصاً فدفعه إليّ ، ورفع جانب المصلّى فأخرج دراهم فدفعها إليّ ، فعددتها فكانت ثلاثين درهماً .

السادسة : روي عن هرثمة بن أعين أنّه قال :

دخلت على سيّدي ومولاي ـ يعني الرضا (عليه السلام) ـ في دار المأمون ، وكان قد ظهر في دار المأمون أنّ الرضا (عليه السلام) قد توفّي ، ولم يصحّ هذا القول ، فدخلت أريد

الإذن عليه ، وكان في بعض ثقاة خدم المأمون غلام يقال له : صبيح الديلميّ ، وكان يتوالى سيّدي حقّ ولايته ، وإذا صبيح قد خرج ، فلمّا رآني قال لي : يا هرثمة ، ألست تعلم أنّي ثقة المأمون على سرّه وعلانيته ؟ قلت : بلى ، قال : اعلم يا هرثمة أنّ المأمون دعاني وثلاثين غلاماً من ثقاته على سرّه وعلانيته في الثلث الأوّل من الليل ، فدخلت عليه وقد صار ليله نهاراً من كثرة الشموع ، وبين يديه سيوف مسلولة مشحوذة مسمومة ، فدعا بنا غلاماً غلاماً ، وأخذ علينا العهد والميثاق بلسانه ، وليس بحضرتنا أحد من خلق الله غيرنا ، فقال لنا : هذا العهد لازم لكم أنّكم تفعلون ما آمركم به ولا تخالفون فيه شيئاً ، فحلفنا له فقال :

يأخذ كلّ واحد منكم سيفاً بيده ، وامضوا حتّى تدخلوا على عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) في حجرته ، فإنّ وجدتموه قائماً أو قاعداً أو نائماً فلا تكلّموه ، وضعوا أسيافكم عليه ، واخلطوا لحمه ودمه وشعره وعظمه ومخّه ، ثمّ أقلبوا عليه بساطه وامسحوا به أسيافكم وصيروا إليّ ، وقد جعلت لكلّ واحد منكم على هذا الفعل وكتمانه عشر بدر دارهم ، وعشر ضياع منتخبة والحظوة عندي ما حييت وبقيت .

قال : فأخذنا الأسياف بأيدينا ودخلنا عليه في حجرته فوجدناه مضطجعاً يقلّب طرف يديه ، ويتكلّم بكلام لا نعرفه ، فبادر الغلمان إليه بالسيوف ، ووضعت سيفي وأنا قائم أنظر إليه ، وكأنه قد كان علم مسيرنا إليه ، فلبس على بدنه ما لا تعمل فيه السيوف ، فطووا عليه بساطه وخرجوا حتّى دخلوا على المأمون ، فقال : ما صنعتم ؟ قالوا : فعلنا ما أمرتنا به يا أمير المؤمنين ، قال : لا تعيدوا شيئاً ممّا كان .

فلمّا كان عند تبلّج الفجر خرج المأمون ، فجلس مجلسه مكشوف الرأس محلّل الأزرار ، وأظهر وفاته ، وقعد للتعزية .

ثمّ قام حافياً حاسراً فمشى لينظر إليه ، وأنا بين يديه ، فلمّا دخل عليه حجرته سمع همهمته فأرعد ، ثم قال : من عنده ؟ قلت : لا علم لنا يا أمير المؤمنين ، فقال : اسرعوا وانظروا .

قال صبيح : فأسرعنا إلى البيت فإذا سيّدي (عليه السلام) جالس في محرابه يصلّي ويسبّح ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هوذا نرى شخصاً في محرابه يصلّي ويسبّح ، فانتفض المأمون وارتعد ، ثم قال : غدرتموني لعنكم الله ، ثم التفت إليّ من بين الجماعة فقال لي : يا صبيح ، أنت تعرفه ، فانظر من المصلّي ؟

قال صبيح : فدخلت ، وتولّى المأمون راجعاً ، ثمّ صرت إليه عند عتبة الباب ، قال (عليه السلام) لي : يا صبيح ؟ قلت : لبّيك يا مولاي ، وقد سقطت لوجهي ، فقال : قم

يرحمك الله ، ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

قال : فرجعت إلى المأمون فوجدت وجهه كقطع الليل المظلم ، فقال لي : يا صبيح ، ما وراءك ؟ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، هو والله جالس في حجرته ، وقد ناداني وقال لي كيت وكيت .

قال صبيح : فشدّ المأمون أزراره ، وأمر بردّ أثوابه وقال : قولوا : إنّه كان غشي عليه ، وإنّه قد أفاق .

قال هرثمة : فأكثرت لله عزّ وجلّ شكراً وحمداً ، ثمّ دخلت على سيّدي الرضا (عليه السلام) ، فلمّا رآني قال : يا هرثمة ، لا تحدّث أحداً بما حدّثك به صبيح إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان بمحبّتنا وولايتنا ، فقلت : نعم يا سيّدي ، ثمّ قال (عليه السلام) : يا هرثمة ، والله لا يضرّنا كيدهم شيئاً حتّى يبلغ الكتاب أجله .

السابعة : روي عن محمّد بن حفص أنّه قال :

حدّثني مولى العبد الصالح أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال : كنت وجماعة مع الرضا (عليه السلام) في مفازة ، فأصابنا عطش شديد ودوابّنا حتّى خفنا على أنفسنا ، فقال لنا الرضا (عليه السلام) : ائتوا موضعاً ، وصفه لنا ، فإنّكم تصيبون الماء فيه .

قال : فأتينا الموضع فأصبنا الماء ، وسقينا دوابّنا حتّى رويت ، وروينا ومن معنا من القافلة ، ثمّ رحلنا ، فأمرنا (عليه السلام) بطلب العين ، فطلبناها فما أصبنا إلاّ بعر الإبل ، ولم نجد للعين أثراً .

يقول الراوي : ذكرت ذلك لرجل من ولد قنبر كان يزعم أنّ له مئة وعشرين سنة فأخبرني القنبريّ بمثل هذا الحديث سواءً ، قال : كنت أنا أيضاً معه في خدمته ، وأخبرني القنبريّ أنّه كان في ذلك مصعداً إلى خراسان .

يقول المؤلّف : إنّ هذه الآية الباهرة منه (عليه السلام) أشبه بما ظهر على يدي جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) من حديث الراهب بأرض كربلاء والصخرة ، وقد روى خبر هذه المعجزة العامّة والخاصّة ، ونظمها الشعراء .

وذلك أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لما توجّه إلى صفّين مرّ بكربلاء ، فقال لأصحابه : أتدرون أين ههنا ؟ والله مصارع الحسين وأصحابه ، ثم إنّه سار بأصحابه قليلاً فلحقهم عطش شديد ، ونفد ما كان عندهم من الماء ، فأخذوا يميناً وشمالاً يلتمسون الماء فلم يجدوا له

أثراً ، فعدل بهم أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الجادّة ، وسار قليلاً ، فلاح لهم دير في وسط البرّية ، فسار بهم نحوه ، حتّى إذا صار في فنائه أمر من نـادى ساكنـه بالاطّـلاع إليهم ، فنادوه فاطّلع ، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : هل قرب قائمك هذا من ماء يتغوّث بـه هؤلاء القوم ؟ فقال : هيهات ! بيني وبين الماء أكثر من فـرسخين ، ومـا بالقـرب منّي شيء من الماء ، ولولا أنّني أوتى بماء يكفيني كلّ شهر على التقتير لتلفت عطشاً .

فقال أمير المؤمنين (عليه السـلام) : أسمعتم ما قـال الراهب ؟ قـالوا : نعم أفتـأمرنـا بالمسير إلى حيث أومأ إليه لعلّنا ندرك المـاء وبنا قـوّة ؟ فقال أمـير المؤمنين (عليـه السلام) : لا حاجة لكم إلى ذلك ، ولوى عنق بغلته نحو القبلة ، وأشار إلى مكان يقـرب من الديـر فقال : اكشفوا الأرض في هذا المكان ، فعدل منهم جماعة إلى الموضع فكشفوه بالمساحي ، فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ههنا صخـرة لا تعمل فيهـا المساحي ، فقـال لهم : إنّ هذه الصخرة على الماء ، فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء ، فاجتهـدوا في قلعها ، فـاجتمع القـوم وراموا تحـريكها فلم يجـدوا إلى ذلك سبيـلاً ، واستصعبت عليهم ، فلمّا رآهم (عليه السلام) قد اجتمعوا وبذلوا الجهـد في قلع الصخرة واستصعبت عليهم لـوى رجله عن سرجـه حتّى صار إلى الأرض ، ثمّ حسر عن ذراعيـه ، ووضع أصـابعه تحت جـانب الصخـرة فحرّكها ، ثمّ قلعها بيده ودحاها أذرعاً كثيرة فلمّا زالت من مكانها ظهر لهم بياض الماء ، فبادروا إليه فشربوا منه ، فكان أعذب ماء شربوا منه في سفـرهم وأبرده وأصفـاه ، فقال لهم : تـزوّدوا وارتـووا ، ففعلوا ذلك ، ثمّ جـاء إلى الصخرة فتنـاولها بيـده ووضعها حيث كـانت ، وأمر أن يعفى أثرها بالتراب والراهب ينظر من فوق ديره .

فلمّا استوفى علم ما جرى نادى : أيّها الناس ، أنزلوني ، أنزلوني ، فاحتالوا في إنزالـه ، فوقف بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له : يا هذا ، أنت نبيّ مرسل ؟ قال : لا ، قـال : فملك مقرّب ؟ قـال : لا ، قال : فمن أنت ؟ قـال : أنـا وصيّ رسـول الله محمّـد بن عبد الله خاتم النبيّين (صلّى الله عليـه وآله) ، قـال : ابسط يدك أُسلمْ لله تبـارك وتعالى عـلى يديك ، فبسط أمير المؤمنين (عليه السلام) يده وقال : اشهد الشهادتين ، فقال : « أشهد أن لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريـك له ، وأشهـد أنّ محمّداً عبـده ورسـولـه ، وأشهـد أنّـك وصيّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وأحقّ الناس بالأمر من بعده .

ثمّ قال : إنّ هذا الدير بني على طلب قالع هذه الصخرة ، ومخرج المـاء من تحتها ، وقـد مضى علماء قبلي فلم يدركوا ذلك ، وقد رزقنيه الله عزّ وجل ، إنّا نجد في كتاب من كتبنا ونـأثر عن علمائنا أنّ في هذا الصقع عيناً عليها صخرة لا يعرف مكانها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ .

ثمّ إنّ الراهب دخل في سلك أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان في جملة من

استشهد معه ، فتولّى (عليه السلام) الصلاة عليه ودفنه ، وأكثر من الاستغفار له .

وقد نظر السيّد الحميريّ هذه الحكاية في قصيدته البائية المذهبة ، ومما قاله :

ولقد سرى فيما يسير بليلةٍ ... بعد العِشاء بكربلا في موكب
حتّى أتى متبتّلاً في قائم ... ألقى قواعده بقاعٍ مجدب
دنا ، فصاح به فأشرف مائلاً ... كالنسر فوق شظيّة من مرقب
هل قرب قائمك الذي بُوِّئته ... ماء يصاب ؟ فقال : ما من مشرب
إلّا بغاية فرسخين ومَن لنا ... بالماء بين نقاً وقيٍّ سبسب[1]
وثنى الأعنّة نحو وعث[2] فاجتلى ... ملساء تلمع كاللجين المذهب
قال اقلبوها إنّكم إن تقلبوا ... تروَوا ولا تروون إن لم تُقلب
فَاْعْصَوْصَبوا[3] في قلعها فتمنّعت ... منهم تمنُّع صعبةٍ لم تُركب
حتّى إذا أعيتهمُ أهوى لها ... كفّاً متى ترد المَغالب تَغلب
فكأنّها كرة بكفّ حَزَوَّرٍ[4] ... عبل[5] الذراع دحا بها في ملعب
فسقاها من تحتها متسلسلاً[6] ... عذباً يزيد على الألذّ الأعذب
حتّى إذا شربوا جميعاً ردّها ... ومضى فخلتَ مكانها لم يقرب

الثامنة : روي عن الهيثم بن أبي المسروق الهندي عن محمّد بن الفضيل أنّه قال : نزلت ببطن مرّ فأصابني العرق المدينيّ[7] في جنبي وفي رجلي ، فدخلت على الرضا (عليه السلام) بالمدينة فقال : ما لي أراك متوجعاً ؟ فقلت : إنّي لمّا أتيت بطن مرّ أصابني العرق المدينيّ في جنبي وفي رجلي ، فأشار (عليه السلام) إلى الذي جنبي تحت الإبط ، فتكلّم بكلام وتفل عليه ، ثمّ قال (عليه السلام) : ليس عليك بأس من هذا ؛ ونظر إلى الذي في رجلي فقال : قال أبو جعفر (عليه السلام) :

« من بلي من شيعتنا ببلاء فصبر كتب الله عزّ وجلّ له مثل أجر ألف شهيد » .

---

(١) النقا : قطعة من الرمل محدودبة ، القيّ : الصحراء الواسعة ، السبسب : القفر .
(٢) الوعث : الرمل الليّن .
(٣) اعصوصبوا : إجتمعوا.
(٤) حزوّر : الرجل القويّ .
(٥) عبل الذراع : ضخمها ممتلئها .
(٦) المتسلسل : الماء السلسل البارد .
(٧) العرق المدينيّ : علّة تصيب القدم غالباً فيخرج فيها ما يشبه الخيط .

فقلت في نفسي : لا أبرأ والله من رجلي أبداً .

قال الهيثم : فما زال يعرج منها حتّى مات .

التاسعة : روي عن عبد الله بن محمّد الهاشميّ أنّه قال :

دخلت على المأمون يوماً فأجلسني وأخرج من كان عنده ، ثمّ دعا بالطعام فطعمنا ، ثم تطيّبنا ، ثمّ أمر بستارة فضُربت، ثمّ أقبل على بعض من كان في الستارة (يريد جارية مغنيّة) فقال : بالله لَمّا رثيتِ لنا من بطوس (يريد الرضا (عليه السلام) المدفون بطوس) ، فأخذت تقول :

سقياً لطوسٍ ومن أضحى بها قطِنا   من عترة المصطفى أبقى لنا حَزَنا

قال الهاشميّ : ثم بكى ، فقال لي : يا عبد الله ، أيلومني أهل بيتي وأهل بيتك أن نصبت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عَلَماً ؟ فوالله لأحدّثنّك بحديث تتعجّب منه :

جئته يوماً فقلت له : جعلت فداك ، إنّ آبائك موسى وجعفراً ومحمّداً وعليّ بن الحسين (عليهم السلام) كان عندهم علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وأنت وصيّ القوم ووارثهم ، وعندك علمهم ، وقد بدت لي إليك حاجة ؛ قال : هاتها ، فقلت :

هذه الزاهرية حظيّتي ، ولا أقدّم عليها أحداً من جواريّ ، وقد حملت غير مرّة وأسقطت ، وهي الآن حامل ، فدلّني على ما تتعالج به فتسلم ، فقال :

لا تخف من إسقاطها ، فإنّها تسلم وتلد غلاماً أشبه الناس بأمّه ، وتكن له خنصر زائدة في يده اليمنى ليست بالمدلاّة ، وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ليست بالمدلاّة .

فقلت في نفسي : أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير ، فولدت الزاهريّة غلاماً أشبه الناس بأمّه في يده اليمنى خنصر زائدة ليست بالمدلاّة وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ليست بالمدلاّة ، على ما كان وصفه لي الرضا (عليه السلام) ، فمن يلومني على نصبي إيّاه عَلَماً ؟

قال الشيخ الصدوق : والحديث فيه زيادة حذفناها ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

ثمّ قال بعد ذلك : إنّما علم الرضا (عليه السلام) ذلك ممّا وصل إليه عن آبائه عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ذلك أنّ جبرئيل (عليه السلام) قد كان نزل عليه بأخبار الخلفاء وأولادهم من بني أميّة وولد العبّاس ، وبالحوادث التي تكون في أيّامهم ، وما يجري على أيديهم ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله . انتهى .

يقول المؤلّف : إن ممّا حُذف من هذا الحديث البيت الثاني من المرثية وهو[١] :

أعني أبا الحسن المأمول إنّ له   حقّاً على كلّ من أضحى بها شجنا

العاشرة : روي عن محمّد بن الفضيل أنّه قال : لمّا كان في السنة التي بطش هارون بآل برمك بدأ بجعفر بن يحيى ، وحبس يحيى بن خالد ، ونزل بالبرامكة ما نزل ، كان أبو الحسن (عليه السلام) واقفاً بعرفة يدعو ، ثمّ طأطأ رأسه ، فسئل عن ذلك فقال : إنّي كنت أدعو الله تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبي (عليه السلام) فاستجاب الله لي اليوم فيهم .

فلمّا انصرف لم يلبث إلّا يسيراً حتّى بطش بجعفر ويحيى ، وتغيّرت أحوالهم .

وقال مسافر : كنت مع أبي الحسن الرضا (عليه السلام) بمنى ، فمرّ يحيى بن خالد مع قوم من آل برمك ، فقال (عليه السلام) :

مساكين هؤلاء ، لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة ، ثمّ قال : هاه ، وأعجب من هذا هارون وأنا كهاتين ، وضمّ بإصبعيه .

قال مسافر : فوالله ما عرفت معنى حديثه حتّى دفنّاه معه .

الحادي عشرة : روى الشيخ المفيد (ره) في (الإرشاد) بسنده عن الغفاريّ قال : كان لرجل من آل أبي رافع مولى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عليّ حقّ ، فتقاضاني وألحّ عليّ ، فلمّا رأيت ذلك صلّيت الصبح في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، عليّ حقّ ، فتقاضاني وألحّ عليّ ، فلمّا رأيت ذلك صلّيت الصبح في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ثمّ توجّهت نحو الرضا (عليه السلام) وهو يومئذ بالعريض ، فلمّا قربت من بابه فإذا هو قد طلع على حمار ، وعليه قميص ورداء ، فلمّا نظرت إليه استحييت منه ، فلمّا لحقني وقف فنظر إليّ ، فسلّمت عليه ، وكان شهر رمضان ، فقلت له : جعلت فداك ، لمولاك فلان عليّ حقّ وقد والله شهرني ـ وأنا أظنّ في نفسي أنّه يأمره بالكفّ عنّي ، والله ما قلت له كم له عليّ ، ولا سمّيت له شيئاً ، فأمرني بالجلوس إلى رجوعه .

فلم أزل حتّى صلّيت المغرب وأنا صائم ، فضاق صدري وأردت أن أنصرف ، فإذا هو قد طلع عليّ وحوله الناس ، وقد قعد له السؤّال وهو يتصدّق عليهم ، فدخل بيته ، ثمّ خرج فدعاني ، فقمت إليه ، فدخلت معه ، فجلس وجلست معه ، فجعلت أحدّثه عن ابن المسيّب وكان أمير المدينة ، وكان كثيراً ما أحدّثه عنه ، فلمّا فرغت قال : ما أظنّك أفطرت بعد ،

---

(١) هذا الشعر وبقيّة الحديث ثمّ نقله من كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسيّ (المصحّح) .

قلت : لا ، فدعا لي بطعام فوضع بين يديّ ، وأمر الغلام أن يأكل معي ، فأصبت والغلام من الطعام ، فلمّا فرغنا قال (عليه السلام) :

ارفع الوسادة وخذ ما تحتها ، فرفعتها فإذا دنانير ، فأخذتها ووضعتها في كمّي ، وأمر أربعة من عبيده ، أن يكونوا معي حتّى يبلغوا بي منزلي ، فقلت : جعلت فداك إن طائف بن المسيّب يدور ، وأكره أن يلقاني ومعي عبيدك ، قال : أصبت ، أصاب الله بك الرشاد ، وأمرهم أن ينصرفوا إذا رددتهم .

فلمّا دنوت من منزلي وأنست رددتهم ، وصرت إلى منزلي ، ودعوت بالسراج ، ونظرت إلى الدنانير فإذا هي ثمانية ورأبعون ديناراً ، وكان حقّ الرجل عليّ ثمانية وعشرين ديناراً ، وكان فيها دينار يلوح ، فأعجبني حسنه ، فأخذته وقرّبته من السراج فإذا عليه نقش واضح :

« حقّ الرجل عليك ثمانية وعشرون ديناراً ، وما بقي فهو لك » .

ولا والله ما كنت عرفت ماله عليّ على التحديد .

الثانية عشرة : روى القطب الراونديّ عن الريّان بن الصلت أنّه قال : دخلت على الرضا (عليه السلام) بخراسان وقلت في نفسي : أسأله عن هذه الدنانير المضروبة باسمه ، فلمّا دخلت عليه قال لغلامه : إنّ أبا محمّد يشتهي من هذه الدنانير التي عليها اسمي ، فهلمّ بثلاثين منها ، فجاء بها الغلام فأخذتها ، ثمّ قلت في نفسي : ليته كساني من بعض ما عليه ، فالتفت إلى غلامه وقال : قل لهم لا تغسلوا ثيابي وتأتون بها كما هي ، فأتوا بقميص وسروال ونعل فدفعوها إليّ .

الثالثة عشرة : روى ابن شهر اشوب عن الحسن بن عليّ الوشّاء أنه قال : دعاني سيّدي الرضا (عليه السلام) بمرو فقال : يا حسن ، مات عليّ بن أبي حمزة البطائنيّ في هذا اليوم ، وأدخل في قبره الساعة ، ودخل عليه ملكا القبر فسألاه : من ربّك ؟ فقال : الله تعالى : ثمّ قالا : من نبيّك ؟ فقال : محمّد (صلّى الله عليه وآله) ، فقالا : من وليّك ؟ فقال : عليّ بن أبي طالب ، قالا : ثمّ من ؟ قال : الحسن (عليه السلام) ، ثمّ الأئمّة واحداً فواحداً حتى وصل إلى موسى بن جعفر (عليه السلام) .

قالا : ثمّ من ؟ فلجلج ، فزجراه وقالا : ثمّ من ؟ فسكت ، فقالا : أفموسى بن جعفر أمرك بهذا ؟! ثمّ ضرباه بمقمعة من نار فألهبا عليه قبره إلى يوم القيامة .

قال الراوي : فخرجت من عند سيّدي فأرّخت ذلك اليوم ، فما مضت الأيّام حتّى وردت كتب الكوفيّين بموت البطائنيّ في ذلك اليوم ، وأنّه أدخل قبره في تلك الساعة .

الرابعة عشرة : روى القطب الراونديّ عن إبراهيم بن موسى القزّاز وكان يؤمّ مسجد الرضا (عليه السلام) بخراسان ، أنّه قال :

ألححت على الرضا (عليه السلام) في شيء طلبته منه ، فخرج يستقبل بعض الطالبيّين ، وجاء وقت الصلاة فمال إلى قصر هناك ، فنزل تحت صخرة بقرب القصر وأنا معه وليس معنا ثالث ، فقال : أذّن ، فقلت : تنتظر يلحق بنا أصحابنا فقال :

« غفر الله لك ، لا تؤخّرنّ صلاة عن أوّل وقتها إلى آخر وقتها من غير علّة عليك ، إبدأ بأوّل الوقت » ، فأذّنت وصلّينا .

ثمّ قلت : يا بن رسول الله ، قد طالت المدّة في العدة التي وعدتنيها ، وأنا محتاج ، وأنت كثير الشغل ولا أظفر بمسألتك كلّ وقت .

قال الراوي : فحكّ بسوطه الأرض حكّاً شديداً ، ثمّ ضرب بيده إلى موضع الحكّ فأخرج سبيكة ذهب فقال : خذها بارك الله لك فيها ، وانتفع بها واكتم ما رأيت .

قال : فبورك لي فيها حتّى اشتريت بخراسان ما كانت قيمته سبعين ألف دينار ، فصرت أغنى الناس من أمثالي هناك .

الخامسة عشرة : وروى أيضاً عن أحمد بن عمرو أنّه قال : خرجت إلى الرضا (عليه السلام) وامرأتي حبلى ، فقلت له : إنّي قد خلّفت أهلي وهي حامل ، فادع الله أن يجعله ذكراً ، فقال لي : وهو ذكر فسمّه عمر ، فقلت : نويت أن أسميه عليّاً وأمرت الأهل به ، قال (عليه السلام) : سمّه عمر ، فوردت الكوفة وقد ولد لي ابن وسمّي عليّاً ، فسمّيته عمر ، فقال لي جيراني : لا نصدّق بعدها بشيء ممّا كان يحكى عنك (أي كان جيرانه من أهل السنّة وبعد تسميته لابنه بعمر فلن يصدّقوه ما يقال عنه من أنّه من الشيعة) ، فعلمت أنّه كان أنظر إليّ من نفسي .

السادسة عشرة : حكي عن (بصائر الدرجات) عن أحمد بن عمر الحلّال أنّه قال : سمعت الأخرس بمكّة يذكر الرضا (عليه السلام) فنال منه .

قال : فدخلت مكّة فاشتريت سكّيناً ، فرأيته فقلت : والله لأقتلنّه إذا خرج من المسجد ، فأقمت على ذلك ، فما شعرت إلاّ برقعة أبي الحسن (عليه السلام) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، بحقّي عليك لمّا كففت عن الأخرس ، فإنّ الله ثقتي وهو حسبي » .

السابعة عشرة : روى الشيخ المفيد بسند معتبر أنّه في السنة التي حجّ فيها هارون الرشيد

خرج الإمام الرضا (عليه السلام) من المدينة يريد الحجّ ، فانتهى إلى جبل عن يسار الطريق يقال له « فارغ » ، فنظر إليه أبو الحسن (عليه السلام) ثمّ قال : « باني فارغ وهادمه يقطع إرباً إرباً » .

فلم ندر ما معنى ذلك، فلمّا بلغ هارون ذلك الموضع نزله ، وصعد جعفر بن يحيى البرمكيّ الجبل ، وأمر أن يبنى له فيه مجلس ، فلمّا رجع من مكّة صعد إليه وأمر بهدمه ، فلمّا انصرف إلى العراق قُطّع جعفر بن يحيى إرباً إرباً .

الثامنة عشرة : **روى ابن شهر اشوب عن مسافر أنّه قال** :

كنت عند الرضا (عليه السلام) بمنى فمرّ يحيى بن خالد ، فغطّى أنفه من الغبار ، فقال (عليه السلام) : مساكين لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة ، ثمّ قال : وأعجب من هذا : هارون وأنا كهاتين ، وضمّ بين أصبعيه .

التاسعة عشرة : وروى ابن شهر اشوب أيضاً عن سليمان الجعفريّ أنّه قال : كنت مع أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في حائط له إذ جاء عصفور فوقع بين يديه وأخذ يصيح ويكثر الصياح ويضطرب ، فقال لي : يا فلان ، أتدري ما يقول هذا العصفور ؟ قلت : لا ، قال : إنّه يقول إنّ حيّة تريد أكل فراخه في البيت ، فقم فخذ تلك النبعة (أي : العصا) وادخل البيت اقتل الحيّة .

قال : فأخذت النبعة ودخلت البيت وإذا حيّة تجول في البيت فقتلتها .

العشرون : وروى كذلك عن الحسين بن بشّار أنّه قال :

قال الرضا (عليه السلام) : إنّ عبد الله يقتل محمّداً ، فقلت له : عبد الله بن هارون يقتل محمّد بن هارون ؟! فقال لي : نعم ، عبد الله الذي بخراسان يقتل محمّد بن زبيدة الذي ببغداد ، فقتله .

وكان (عليه السلام) يتمثّل :

وإنّ الضغن بعد الضغن يغشو عليك ويخرج الداء الدفينا

ولعلّ في تمثّله (عليه السلام) بهذا البيت إشارة لقتل عبد الله المأمون له (عليه السلام) أيضاً .

يقول المؤلّف : وردت رواية تشتمل على آية باهرة لهذا الرجل العظيم عند الحديث عن أصحاب الإمام موسى (عليه السلام) في أحوال عبد الله بن المغيرة ، وسيرد في الفصل الخامس إن شاء الله ذكر لبضع معجزات باهرة عنه سلام الله عليه .

طرف من حكم الامام الرضا (عليه السلام) وبعض شعره

أولاً : قال (عليه السلام) : « صديق كلّ امرىء عقله ، وعدوّه جهله » .

ثانياً : وقال (عليه السلام) : « إنّ الله يبغض القيل والقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » .

يقول المؤلّف : يظهر أن المراد بـ« القيل والقال » المراء والجدال المذموم الذي جاءت الروايات بالنهي عنه ، بل يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال ما معناه : إنّ أولّ ما نهاني ربّي عنه كثرة السؤال ، وشرب الخمر ، وملاحاة الرجال ، والملاحاة هي المجادلة والمراء .

وعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قوله : « أربع يمتن القلب : الذنب على الذنب ، وكثرة مناقشة النساء ، يعني محادثتهنّ ، ومماراة الأحمق ، تقول ويقول ولا يرجع إلى خير ، ومجالسة الموتى ، فقيل : يا رسول الله ، وما الموتى ؟ قال : كلّ غنيّ مترف » .

وروى الشيخ الصدوق (ره) أيضاً أنّه قيل للامام الصادق (عليه السلام) : هذا الخلق الذي نراه هل يُحسبون جميعاً من الناس ؟ فقال (عليه السلام) ما معناه :

أسقطوا من عداد الناس من ترك الاستياك ، وذاك الذي يتربّع في مكان ضيّق ، ومن دخل في ما لا يهمّه ، ومن يماري ويجادل في ما لا علم له به ، ومن يبدي الضعف والمرض دون عِلّةٍ به ، ومن يدع شعره مشوّشاً دون مصيبة ، ومن يخالف أصحابه في حقّ في حال تدعو لاتّفاقهم عليه ، ومن يفتخر بآبائه وهو خال من مناقبهم فهو بمنزلة خشب النبال ، يعني قشره الذي ينزع عنه ويرمى به بعيداً حتّى بلوغ لبّه وجوهره ، فكما أن قشر هذا الخشب يرمى به مع مجاورته لأصله ولبّه فكذلك يرمى بمن هو خال من فضائل آبائه ، ولا يُلتفت إليه .

ولقد أحسن من قال : « العاقل يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية » .

كـنِ ابـن مـن شئـت واكـتـسـب أدبـاً يـغـنـيـك محـمـوده عـن الـنـسـب
إنّ الـفـتى مـن يـقـول : هـا أنـا ذا لـيس الـفـتى مـن يـقـول : كـان أبي

ثالثاً : وقال (عليه السلام) : « إنّا أهل بيت نرى ما وعدنا علينا دَيْناً ، كما صنع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ».

رابعاً : وقال (عليه السلام) : « يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء ، تسعة منها في اعتزال الناس ، وواحد منها في الصمت » .

يقول المؤلّف : ذكرنا في فصل « طرف من كلمات الصادق (عليه السلام) » ما يناسب الاعتزال ، فيرجع إليه هناك .

خامساً : روي أنّه سئل الرضا (عليه السلام) : كيف أصبحت ؟ فقال ما معناه :

أصبحت بأجل منقوص ، وعمل محفوظ ، والموت في أعناقنا ، والنار خلف رأسنا ، ولا ندري ما يحلّ بنا .

سادساً : وقال (عليه السلام) : « إنّ العابد من بني إسرائيل لم يكن عابداً حتّى يصمت عشر سنين ، فإذا صمت عشر سنين كان عابداً » .

يقول المؤلّف : الروايات في مدح الصمت كثيرة لا يتّسع المقام لذكرها .

سابعاً : وقال (عليه السلام) : « من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل » .

وروي عن أحمد عمر بن أبي شعبة الحلبي والحسين بن يزيد المعروف بالنوفلي قالا : دخلنا على الرضا (عليه السلام) فقلنا له : كنّا في سعة في الرزق والعيش فتغيّر بنا الحال بعض التغيير ، فادع الله لنا يعده علينا ، فقال ما معناه : وماذ تريدان ، أن تكونا ملكيْن ؟ أيرضيكما أن تكونا مثل طاهر وهرثمة[1] فتكونا خلاف هذا الأمر ؟!

قلنا : لا والله لا يرضينا أنّ لنا الدنيا وما فيها من ذهب وفضّة وأن نكون خلاف ما نحن عليه ، فقال (عليه السلام) : قال تعالى : ﴿ **اعملوا آل داود شكراً ، وقليل من عبادي الشكور** ﴾ .

(١) كان هذان الرجلان من كبار رجال المأمون .

ثم قال (عليه السلام) : « أحسن الظنّ بالله ، فإنّ مَن حسَّن ظنّه بالله كان الله عند ظنّه ؛ ومن رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل ، ومن رضي باليسير من الحلال خفّت مؤونته ونعم أهله ، وبصّره الله داء الدنيا ودواءها ، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام » .

ثامناً : روى الشيخ الصدوق بسند معتبر عن الريّان بن الصلت أنّه قال : أنشدني الرضا (عليه السلام) هذه الأبيات لعبد المطّلب :

يعيب الناس كلهم زماناً ... وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان بنا هجانا
وإنّ الذئب يترك لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

ويقرب من هذا قول من قال :

بخرابنا عمرت بيوت الوثن ... ومن التفرّق زاد أهل الفتن
لاعيب في إيماننا فعيوبنا ... هي في التعثّر في سلوك المؤمن[1]

وقد زيد في بعض المواضع على الأبيات الثلاثة المتقدّمة هذا البيت :

لبسنا للخداع مسوك طيب ... فويل للغريب إذا أتانا

تاسعاً : روي أنّ المأمون كتب للرضا (عليه السلام) قائلاً : عظني ، فكتب له (عليه السلام) في الجواب .

إنّك في دنيا لها مدّة ... يُقبَل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطاً بها ... يسلب منها أمل الآمل
تعجّل الذنب بما تشتهي ... وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتي أهله بغتة ... وما ذاك فعل الحازم العاقل

وقد نقل الشيخ الصدوق (ره) عن إبراهيم بن العبّاس أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) كان كثيراً ما يمثّل بهذا البيت :

إذا كنت في خير فلا تغترر به ... ولكن قل اللهم سلّم وتمّم

عاشراً : روى محمّد بن يحيى بن أبي عبّاد عن عمّه أنّه قال : سمعت الرضا

---

(١) تعريب بيتين عن الفارسيّة (المعرّب) .

(عليه السلام) يوماً ينشد شعراً ، وقليلاً ما كان ينشد شعراً :

كلّنا نأمل مدّاً في الأجل والمنايا هنّ آفات الأمل
لا تغرّنْك أباطيل المنى والزم القصد ودع عنك العلل
إنّما الدنيا كظلّ زائل حلّ فيها راكبٌ ثمّ رحل

فقلت : لمن هذا أعزّ الله الأمير ؟ فقال : لعراقيّ لكم ، قلت : أنشدنيه أبو العتاهية لنفسه ، فقال : هات اسمه ودع عنك هذا ، إنّ الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾ ، ولعلّ الرجل يكره هذا .

يقول المؤلّف : أبو العتاهية أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم الشاعر ، كان وحيد زمانه وفريد أوانه في طاقة الطبع ورشاقة النظم ، وخاصّة في الزهديّات وذمّ الدنيا ، وكان في طبقة بشّار وأبي نواس ، وكانت ولادته حوالي سنة ثلاثين ومئة بعين التمر بالقرب من المدينة المنوّرة ، وسكن بغداد ؛ وقيل عنه : إن قول الشعر عنده كان من السهولة بمكان حتّى أنّه كان يقول : لو شئت لكان كلامي كلّه شعراً، ومن أشعاره :

ألا إنّنا كلّنا بائد وأيّ بني آدم خالد؟
وبدؤهمُ كان من ربّهم وكلّ إلى ربّه عائد
فيا عجباً كيف يعصى الإلـ ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

وله أيضاً :

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملّكه المال الذي هو مالكه
ألا إنّما مالي الذي أنا منفق وليس ليَ المال الذي أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذي يحقّ وإلاّ استهلكَتْه مهالكه

توفي سنة إحدى عشرة ومئتين ببغداد، وأوصى بأن يكتب على قبره:

إنّ عيشاً يكون آخره المو ت لعيش معجّل التنغيص

وعتاهية على وزن كراهية ، وتعني قلّة العقل والتهوّر ، والرجل المتهوّر فاقد العقل ، ولعلّه بملاحظته (عليه السلام) لهذا المعنى طلب من الرجل أن يأتي بالإسم ويدع عنه اللقب فلعلّه يكرهه .

هذا وقد أورد أحد الأدباء من أهل السنّة في كتاب له قصيدة للإمام الرضا

(عليه السلام) حافلة بالحكم والعظات ، وقد قمت بنقلها عن كتاب (نفثة المصدور) تبركاً بها وتيمّناً ، قال (عليه السلام) :

ارغب لمولاك وكن راشداً ... واعلم بأنّ العزّ في خدمته
واتل كتاب الله تهدَ به ... واتبع الشرع على سنّته
لا تحترص فالحرص يزري الفتى ... ويُذهب الرونق من بهجته
لسانك احفظه وصُن نطقه ... واحذر على نفسك من عثرته
فالصمت زين ووقار وقد ... يؤتى على الإنسان من لفظته
من جعل الخمر شفاء له ... فلا شفاه الله من علّته
لا تصحب النذل فتردى به ... لا خير في النذل ولا صحبته
لا تطلب الإحسان من غادر ... يروغ كالثعلب في روغته
وإن تزوّجت فكن حاذقاً ... واسأل عن الغصن وعن منبته
يا حافر حفرة أقصر فكم ... من حافر يُصرع في حفرته
يا ظالماً قد غرّه ظلمه ... أيّ عزيز دام في عزّته
الموت محتوم لكلّ الورى ... لا بدّ أن تجرع عن غصّته

فائدة : ذكر المحقّق الكاشانيّ (ره) في (الوافي من الكافي) و(التهذيب) أنّ الرضا (عليه السلام) ذكر عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال ما معناه : إذا سمعتم أحداً ينشد شعراً في المساجد فقولوا له : فضّ الله فوك ، فقد بني المسجد لقراءة القرآن .

قال المحدّث الفيض : أراد بالشعر ما اشتمل منه على الخيال والتمويه والتعزّل والتعشّق ، وليس الكلام الموزون ، ذلك أنّ بعضه يشتمل على الحكمة والغطة ومناجاة الله سبحانه ، وروي أنّ الصادق (عليه السلام) سئل عن قراءة الشعر في الطواف فقال : ما كان غير حسنٍ فيه فلا تحسن قراءته . انتهى .

أقول : الأشعار التي تشتمل على الحكمة والعظة هي كما ذُكر ، أمّا أشعار المناجاة فيروى الكثير منها عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) وذكر طاوس اليماني أنّه رأى في قلب الليل شخصاً متعلّقاً بأستار الكعبة وهو يقول :

ألا أيّها المأمول في كلّ حاجتي ... شكوت إليك الضرّ فاسمع شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي ... فهب لي ذنوبي كلّها واقض حاجتي
فزادي قليل ما أراه مبلّغاً ... أللزّاد أبكي أم لبعد مسافتي
أتيت بأعمالٍ قباحٍ رديّة ... فما في الورى خلق جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي منك ؟ أين مخافتي ؟

الفصل الخامس

في ورود الامام الرضا (عليه السلام) من المدينة الى مرو

لا يخفى ـ كما يظهر من المرويّات ـ أنّ المأمون بعد أن استقرّ له شأن الخلافة ، وصارت أوامر نافذة في أنحاء العالم الإسلامي ، فوّض أمور العراق إلى الحسن بن سهل ، واتخذ مقامه في بلدة مرو .

ولما بدأ غبار الفتن والاضطراب يرتفع في أطراف ممالك الحجاز واليمن نتيجة لطمع بعض السادة بالخلافة ، ورفعهم رايات العصيان والتمرّد ، وبعد أن بلغت أخبار ذلك المأمون بمرو ، واستشار الفضل بن سهل ذا الرياستين ـ وكان وزيره ومشيره ـ وتداول معه أفكاراً شتّى استقرّ رأي المأمون بعدها على استقدام الإمام الرضا (عليه السلام) من المدينة وإسناد ولاية العهد إليه علّه بذلك يستميل سائر السادة إلى طاعته ، ويضع حدّاً لتطلّعهم إلى الخلافة .

ثمّ بادر بإرسال الرجاء بن أبي الضحّاك على رأس وفد من خاصّته إلى الإمام الرضا (عليه السلام) بالمدينة يدعوه للقدوم إلى خراسان ، فلمّا انتهى وفد المأمون إليه امتنع عن الاستجابة إليهم وبالغ في الامتناع ، لكنه أمام إصرارهم جاوز حدّ الإعتدال نزل عند رغبتهم مجبراً ، على هذا السفر المحنة .

تحرّك الرضا (عليه السلام) من المدينة إلى البصرة ، فبغداد ، فقمّ ، ومنها إلى نيسابور

روى الشيخ الصدوق عن محوّل السجستانيّ أنّه قال :

لّما ورد البريد بإشخاص الرضا (عليه السلام) إلى خراسان كنت أنا بالمدينة ، فدخل المسجد ليودّع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مراراً ، كلّ ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب ، فتقدّمت إليه وسلّمت عليه ، فردّ السلام ، وهنّأته فقال :

ذرني فإنّي أخرج من جوار جدّي (صلّى الله عليه وآله) فأموت في غربة ، وأدفن في جنب هارون .

قال : فخرجت متّبعاً لطريقة حتّى مات سلام الله عليه بطوس ، ودفن إلى جنب هارون .

ويذكر الشيخ يوسف بن حاتم الشامي تلميذ المحقّق العلّي في (الدرّ النظيم) : روى جماعة من أصحاب الرضا (عليه السلام) أنّه قال :

لمّا أردت الخروج من المدينة إلى خراسان جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتّى أسمع بكاءهم[1] ، ثمّ فرّقت فيهم اثني عشر ألف دينار ، ثمّ قلت لهم : إنّي لا أرجع إلى عيالي أبداً ، ثمّ أخذت أبا جعفر (الجواد) فأدخلته المسجد ، ووضعت يده على حافّة القبر ، وألصقته به ، واستحفظته برسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وأمرت جميع وكلائي وحشمي بالسمع له والطاعة ، وترك مخالفته ، وعرّفتهم أنّه القيّم مقامي .

وروى العلاّمة المجلسيّ في (كشف الغمّة) وغيره عن أميّة بن عليّ أنّه قال : كنت مع أبي الحسن (عليه السلام) بمكّة في السنة التي حجّ فيها ، ثمّ صار إلى خراسان ، ومعه أبو جعفر (عليه السلام) ، وأبو الحسن (عليه السلام) يودّع البيت ، فلمّا قضى طوافه عدل إلى المقام فصلّى عنده ، فصار أبو جعفر (عليه السلام) على عنق موفّق يطوف به ، فصار إلى الحجر فجلس فيه فأطال ، فقال له موفّق : قم جعلت فداك ، فقال (عليه السلام) : ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلاّ أن يشاء الله ، واستبان في وجهه الغمّ ، فأتى موفّق أبا الحسن (عليه السلام) فقال : جعلت فداك ، قد جلس أبو جعفر (عليه السلام) في الحجر وهو يأبى أن يقوم ، فقال أبو الحسن (عليه السلام) فأتى أبا جعفر (عليه السلام) فقال له : قم يا حبيبي ، فقال : ما أريد أن أبرح من مكاني هذا ، قال : بلى يا حبيبي ، قال : كيف أقوم وقد ودّعت البيت وداعاً لا ترجع إليه ؟! فقال : قم يا حبيبي ، فقام معه .

وكان توجّه الإمام (عليه السلام) نحو خراسان في سنة مئتين من الهجرة ، وهو يوافق السنة السابعة من عمر الإمام الجواد (عليه السلام) على المشهور ، وخلال سفره (عليه السلام) كانت تظهر عنه المعجزات والكرامات الكثيرة في كلّ منزل ينزله ، ولا يزال الكثير من آثاره موجوداً حتّى اليوم . انتهى .

قال السيّد عبد الكريم بن طاوس المتوفّى سنة ثلاث وتسعين وستّمئة في (فرحة الغرّي) : إنّ الرضا (عليه السلام) لمّا طلبه المأمون من خراسان توجّه (عليه السلام) من المدينة إلى البصرة ، ولم يصل الكوفة ، ومنها توجّه على طريق الكوفة إلى بغداد ، ثمّ إلى قمّ ، ودخلها وتلقّاه أهلها وتخاصموا في من يكون ضيفه منهم ، فذكر (عليه السلام) أنّ الناقة

---

(١) وقد أشير إلى ذلك في زيارته : « السلام على من أمر أولاده وعياله بالنياحة عليه قبل وصول القتل إليه » .

مأمورة ، فما زالت حتّى بركت على باب ، وصاحب ذلك الباب رأى في منامه أن الرضا (عليه السلام) يكون ضيفه في غد ، فما مضى إلاّ يسير حتّى صار ذلك الموضع مقاماً شامخاً ، وهو اليوم مدرسة مطروقة .

تقاطر أهل نيسابور لأخذ الحديث عن الرضا (عليه السلام) وحديث سلسلة الذهب

روى صاحب (كشف الغمّة) وآخرون أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) لمّا دخل إلى نيسابور في السفرة التي خُصّ فيها بفضيلة الشهادة كان في مهد على بغلة شهباء عليها مركب من الفضّة خالصة ، فعرض له في السوق الإمامان الحافظان للأحاديث النبويّة : أبو زرعة ، ومحمّد بن أسلم الطوسيّ رحمهما الله ، فقالا :

أيّها السيّد ابن السادة ، أيّها الإمام وابن الأئمّة ، أيّها السلالة الطاهرة الرضيّة ، أيّها الخلاصة الزاكية النبويّة ، بحقّ آبائك الطاهرين وأسلافك الأكرمين إلاّ أريتنا وجهك المبارك الميمون ، ورويت لنا حديثاً عن جدّك ، نذكرك به .

فاستوقف البغلة ، ورفع المظلّة ، وأقرّ عيون المسلمين بطلعته المباركة الميمونة ، فكانت ذؤابتاه كذؤابتي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، والناس على طبقاتهم قيام كلّهم ، وكانوا بين صارخ وباكٍ وممزّق ثوبه ، ومتمرّغ في التراب ، ومقبّل حزام بغلته ، ومطوّل عنقه إلى مظلّة المهد ؛ إلى أنّ انتصف النهار ، جرت الدموع كالأنهار ، وسكنت الأصوات ، وصاحت الأئمّة والقضاة :

معاشر الناس ، اسمعوا وعوا ، ولا تؤذوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في عترته ، وأنصتوا .

يقول المؤلّف : إذ وصل بي الحديث إلى هنا فقد ذكرت واقعة سيّد الشهداء (عليه السلام) يوم عاشوراء ، حين وقف أمام جيش الكوفة يعظهم وينصح لهم ، غير أنّ أولئك المحرومين من السعادة روّاد وادي الضلالة رفعوا أصواتهم فلم يصغوا إليه ، فلمّا أمرهم بالسكوت أبوا ، فقال (عليه السلام) :

« ويلكم ، ما عليكم أن تنصتوا إليّ وتسمعوا قولي ، وأنا أدعوكم إلى سبيل الرشاد » ؟!

فلم يكن هناك واحد يعبد الله فيصيح بهم : إنّه ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ! فلم تؤذونه ؟ لماذا لا تنصتون إلى عظته وتدعونه يتمّ كلامه ؟!

إنّها واحدة من مصائب ذلك السيّد المظلوم ، وقد أشار إليها الكميت الشاعر في قصيدة أنشدها للإمام الباقر (عليه السلام) والإمام يبكي ، قال رحمه الله :

وقتيل بالطفّ غودر فيهم[1] بين غوغاء أمّة وطغام

روي أن الكميت لمّا أنشد الإمام الباقر (عليه السلام) قصيدته الميميّة هذه ، وبلغ هذا البيت ، بكى الباقر (عليه السلام) وقال : يا كميت ، لو كان عندنا مال لوصلناك ، ولكن نقول لك ما قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لحسّان بن ثابت :

«لا زلت مؤيّداً بروح القدس ما ذببت عنّا أهل البيت » .

ونعود إلى حديثنا . .

حديث سلسلة الذهب : وأنصت أهل نيسابور ، فأملى صلوات الله عليه هذا الحديث ، وعُدّ من المحابر أربع وعشرون ألفاً سوى الدويّ[2] ، والمستملي[3] ، أبو زرعة ومحمّد بن أسلم الطوسيّ ، قال (عليه السلام) :

حدّثني أبي موسى بن جعفر الكاظم ، قال : حدّثني أبي محمّد بن عليّ الباقر ، قال : حدّثني أبي عليّ بن الحسين زين العابدين ، قال : حدّثني أبي الحسين بن عليّ (شهيد أرض كربلاء) ، قال : حدّثني أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (شهيد أرض الكوفة) ، قال : حدّثني أخي وابن عمّي محمّد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، قال: حدّثني جبرئيل (عليه السلام) ، قال : سمعت ربّ العزّة سبحانه وتعالى ويقول :

« كلمة لا إله إلاّ الله حصني ، فمن قالها دخل حصني ، ومن دخل حصني أمِن من عذابي[4]» .

صدق الله سبحانه ، وصدق جبرئيل (عليه السلام) ، وصدق رسول الله والأئمّة (عليهم السلام) .

وروى الشيخ الصدوق عن أبي واسع محمّد بن أحمد النيسابوريّ أنّه قال : سمعت جدّتي خديجة بنت حمدان بن پسندة ، قالت :

لمّا دخل الرضا (عليه السلام) نيسابور نزل في محلّة « فوْزا » ناحية تعرف بـ(لاش

---

(١) منهم .

(٢) الدويّ : جمع دواة ، ويراد بالمحابر : الأقلام .

(٣) المستملي : الذي يتلقّى الإملاء ، ثكم ينقله إلى الناس .

(٤) قال الأستاذ أبو القاسم القشيريّ : إنّ هذا الحديث بهذا السند بلغ بعض أمراء السامانيّة فكتبه بالذهب ، وأوصى أن يدفن معه ، فلمّا مات رئي في المنام : فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر الله لي بتلفّظي بـ« لا إله إلاّ الله » وتصديقي محمّداً رسول الله مخلصاً ، وأنّي كتبت هذا الحديث بالذهب تعظيماً واحتراماً .

آباد) في دار جدّتي پسندة ، وإنّما سمّي پسندة لأن الإمام الرضا (عليه السلام) ارتضاه من بين الناس ، و« پسندة » : كلمة فارسيّة معناها : مرضيّ ، فلمّا نزل (عليه السلام) دارنا زرع لوزة في جانب من جوانب الدار ، فنبتت وصارت شجرة وأثمرت في سنة ، فعلم الناس بذلك فكانوا يستشفون بلوز تلك الشجرة ، فمن أصابته علّة تبرّك بالتناول من ذلك اللوز مستشفياً به فعوفي ، وكانت الحامل إذا عسرت عليها ولادتها تناولت من ذلك اللوز فتخفّ عليها الولادة ، وتضع من ساعتها .

وكان إذا أخذ دابّة من الدوابّ القولنج أُخذ في قضبان تلك الشجرة فأُمِرَ على بطنها ، فتتعافى ويذهب عنها ريح القولنج ببركة الرضا (عليه السلام) .

ومضت الأيّام على تلك الشجرة فيبست ، وجاء جدّي حمدان فقطع أغصانها ، فعمي ، وجاء ابنٌ لحمدان يقال له : أبو عمرو فقطع تلك الشجرة من وجه الأرض ، فذهب ماله كلّه بباب فارس ، وكان مبلغه سبعين ألف درهم إلى ثمانين ألف درهم ، ولم يبق له شيء .

وكان لأبي عمرو هذا ابنان كاتبان ، وكانا يكتبان لأبي الحسن محمّد بن إبراهيم سمجور ، يقال لأحدهما أبو القاسم ، وللآخر أبو صادق ؛ فأرادا عمارة تلك الدار وأنفقا عليها عشرين ألف درهم ، وقلعا الباقي من أصل تلك الشجرة وهما لا يعلمان ما يتولّد عليهما من ذلك ، فولّي أحدهما ضياعاً لأمير خراسان ، فرُدّ إلى نيسابور في محمل وقد اسودّت رجله اليمنى ، فشرحت[1] رجله ، فمات من تلك العلّة بعد شهر .

وأمّا الآخر وهو الأكبر فإنّه كان في ديوان السلطان بنيسابور يكتب كتاباً ، وعلى رأسه قوم من الكتّاب وقوف ، فقال واحد منهم : دفع الله عين السوء عن كاتب هذا الخطّ ، فارتعشت يده من ساعته ، وسقط القلم من يده ، وخرجت بيده بثرة ، ورجع إلى منزله ؛ فدخل إليه أبو العبّاس الكاتب مع جماعة فقالوا له : هذا الذي أصابك من الحرارة ، فيجب أن تفتصد ، فافتصد ذلك اليوم ، فعادوا إليه من الغد وقالوا له : يجب أن تفتصد اليوم أيضاً ، ففعل فاسودّت يده ، فشرحت ، ومات من ذلك ؛ وكان موتهما جميعاً في أقلّ من سنة .

وروى الشيخ الصدوق أيضاً أنّ الرضا (عليه السلام) لمّا دخل نيسابور نزل في محلّة يقال لها : «فوْزا » فيها حمّام ، وهو الحمّام المعروف اليوم بحمّام الرضا ، وكانت هناك عين قد قلّ ماؤها ، فأقام عليها من أخرج ماءها حتّى توفّر وكثر ، واتّخذ خارج الدرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي إلى هذه العين ، فدخله الرضا (عليه السلام) واغتسل فيه ، ثمّ خرج منه فصلّى على ظهره ، والناس يتنابون ذلك الحوض ويغتسلون فيه ، ويشربون منه التماساً للبركة ، ويصلّون

---

(١) شرحت : كشفت وقطعت .

على ظهره ، ويدعون الله عزّ وجلّ في حوائجهم ، فتقضى لهم ، وهي « عين كهلان » ، يقصدها الناس إلى يومنا هذا .

يقول المؤلّف : أورد ابن شهر اشوب أيضاً هذه الرواية في (المناقب) وذكر وجه تسمية تلك العين بـ« عين كهلان » ، وقال : إنّ ظبياً قصد الإمام (عليه السلام) هناك واحتمى به ، وقد أشار إلى هذا الشاعر ابن حمّاد بقوله :

الذي لاذ به الظبية والقوم جلوسُ   مَن أبوه المرتضى يزكو ويعلو ويروسُ

خروج الرضا (عليه السلام) من نيسابور وورده إلى سناباد ودخوله بيت حُميد بن قحطبة

روى الشيخ الصدوق وابن شهر اشوب عن أبي الصلت أنّه لمّا خرج عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام) إلى المأمون فبلغ قرية « الحمراء » قيل له : يا بن رسول الله ، قد زالت الشمس ، أفلا نصلّي ؟ فنزل (عليه السلام) فقال : ائتوني بماء ، فقيل : ما معنا ماء ، فبحث (عليه السلام) بيده الأرض فنبع ماءٌ فتوضّأ به ومن معه ، وأثره باق إلى اليوم .

فلمّا دخل « سناباد » استند إلى الجبل الذي تنحت منه القدور فقال : اللهم انفع به وبارك فيما يجعل فيه وفيما ينحت منه ، ثمّ أمر (عليه السلام) فنُحتت له قدور من الجبل وقال : لا يطبخ ما آكله إلّا فيها ، وكان (عليه السلام) خفيف الأكل قليل الطعم ، فاهتدى الناس إليه من ذلك اليوم فظهرت بركة دعائه فيه .

ثمّ دخل دار حُميد بن قحطبة الطائيّ ، ودخل القبّة التي فيها قبر هارون الرشيد ، ثمّ خطّ بيده إلى جانبه ، ثمّ قال :

هذه تربتي وفيها أدفن ، وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبّتي ؛ والله ما يزورني منهم زائر ، ولا يسلّم عليّ منهم مسلّم إلّا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت .

ثمّ استقبل القبلة فصلّى ركعات ودعا بدعوات ، فلمّا فرغ سجد سجدة طال مكثه فيها ، فأحصيت له فيها خمسمئة تسبيحة ، ثمّ انصرف .

وروى السيّد ابن طاووس عن ياسر الخادم أنّه قال :

لمّا نزل أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) قصر حُميد بن قحطبة نزع ثيابه وناولها حميداً ، فاحتملها وناولها جارية له لتغسلها ، فما لبثت أن جاءت ومعها رقعة ، فناولتها حميداً وقالت : وجدتها في جيب أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام) ، فقال

حميد : جعلت فداك ، إنّ الجارية وجدت رقعة في جيب قميصك ، فما هي ؟ قال : يا حميد ، هذه عوذة لا نفارقها ، قال حميد : لو شرّفتني بها ، قال (عليه السلام) : هذه عوذة من أمسكها في جيبه كان مدفوعاً عنه ، وكانت له حرزاً من الشيطان الرجيم ، ومن السلطان ، ثمّ أملى على حميد العوذة وهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، باسم الله ، إنّي أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّاً أو غير تقيّ ، أخذت بالله السميع البصير على سمعك وبصرك ، لا سلطان لك عليّ ، ولا على سمعي ، ولا على بصري ، ولا على شعري ، ولا على بشري ، ولا على لحمي ، ولا على دمي ، ولا على مخّي ، ولا على عصبي ، ولا على عظامي ، ولا على أهلي ، ولا على مالي ، ولا على ما رزقني ربّي .

سترت بيني وبينك بستر النبوّة الذي استتر أنبياء الله به من سطوات الجبابرة والفراعنة ، جبرائيل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، وإسرافيل من ورائي ، ومحمّد (صلّى الله عليه وآله) أمامي ، والله مطّلع على ما يمنعك ويمنع الشيطان منّي .

اللهمّ لا يغلب جهله أناتك أن يستفزّني ويستخفّني ، اللهمّ إليك التجأت ، اللهم إليك التجأت اللهمّ إليك التجأت » .

ولهذه العوذة قصّة عجيبة رواها أبو الصلت الهرويّ فقال : كان مولاي عليّ بن موسى الرضا جالساً في داره ذات يوم إذ دخل عليه رسول المأمون يقول : الأمير يطلبك ، فقام الإمام (عليه السلام) وقال ما معناه : لا يطلبني المأمون في مثل هذا الوقت إلّا لأمر صعب ، ووالله لن ينالني بسوء بفضل هذه الكلمات التي جاءتني عن جدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

قال أبو الصلت : وخرجت مع الإمام (عليه السلام) إلى المأمون ، فلمّا نظر (عليه السلام) إلى المأمون قرأ هذه التعويذة عن آخرها ، فلمّا وقف أمامه نظر إليه المأمون وقال : يا أبا الحسن ، أمرت بإعطائك مئة ألف درهم ، واكتب ما تحتاجه .

فلمّا أدار الإمام ظهره منصرفاً نظر إليه المأمون وقال : شئنا وشاء الله ، وما شاءه الله أفضل .

ورود الرضا (عليه السلام) إلى مرو والبيعة له بولاية العهد

لمّا انتهى الإمام الرضا (عليه السلام) إلى مرو تلقّاه المأمون بالتبجيل والتكريم التامّين ، وجمع خاصّته وكبار أصحابه وقال : أيّها الناس ، إنّي نظرت في بني العبّاس وبني عليّ (عليه السلام) فلم أر أفضل لأمر الخلافة وأحقّ بها من عليّ بن موسى ، ثم التفت إلى الإمام

الرضا (عليه السلام) وقال : إنّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك ، فقال له الرضا (عليه السلام) :

إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله ، وتجعله لغيرك ، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك !

فقال له المأمون : لا بدّ لك من قبول هذا الأمر ، فقال : لست أفعل ذلك طائعاً أبداً ، فما زال يجهد به مدّة شهرين والرضا (عليه السلام) يمتنع لمعرفته بما يرمي إليه المأمون بذلك .

ولما يئس المأمون من قبوله قال له : إن لم تقبل الخلافة ولم تحبّ مبايعتي لك فكن وليّ عهدي لتكون لك الخلافة بعدي فقال له (عليه السلام) : لقد حدّثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّي أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسمّ مظلوماً ، تبكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض ، وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد .

فبكى المأمون ، ثمّ قال له : ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ ؟ فقال (عليه السلام) : أما إنّي لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت ، فقال المأمون : إنّما تريد دفع هذا الأمر عنك ليقول الناس إنّك زاهد في الدنيا .

فقال الرضا (عليه السلام) : والله ما كذبت منذ خلقني ربّي عزّ وجلّ وما زهدت في الدنيا للدنيا ، وإنّي لأعلم ما تريد ، فقال المأمون : وما أريد ؟ قال : تريد أن يقول الناس : إنّ عليّ بن موسى لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه ! ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة ؟

فغضب المأمون ثمّ قال : إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه ، وقد أمنت سطوتي ، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلاّ أجبرتك على ذلك ، فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك .

فقال الرضا (عليه السلام) : قد نهاني الله عزّ وجلّ أن ألقي بيدي إلى التهلكة ، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك ، وأنا أقبل ذلك على أنّي لا أولّي أحداً ولا أعزل أحداً ، ولا أنقض رسماً ولا سنّة ، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً ، فرضي منه بذلك .

ثمّ رفع الرضا (عليه السلام) يديه إلى السماء وقال : اللهمّ إنّك تعلم أنّي مكره مضطرّ ، فلا تؤاخذني كما لم تؤاخذ عبديك ونبيّيك يوسف ودانيال إذ قبل كلّ واحد منهما الولاية من طاغية زمانه ، اللهمّ لا عهد إلاّ عهدك ، ولا ولاية إلاّ من قبلك ، فوفّقني لإقامة دينك ، وإحياء سنّة نبيّك ، فإنّك أنت المولى والنصير ، ونعم المولى أنت ونعم النصير .

وقبل (عليه السلام) ولاية العهد من المأمون وهو باك حزين .

وفي الغد ، في اليوم السادس من شهر رمضان المبارك ، كما يظهر من تاريخ شرعيّة الشيخ المفيد ، جلس المأمون مجلساً عظيماً ، ووضع للرضا (عليه السلام) وسادتين وأجلسه عليهما ، وقد اجتمع القوّاد والحجّاب والقضاة ، ثم أمر المأمون ابنه العبّاس أن يبايع له أوّل الناس ، ثمّ تبعه سائر القوم ، ووضعت بدر الذهب ، وقام الخطباء والشعراء ينشدون القصائد فجعلوا يذكرون فضل الرضا (عليه السلام) ، وينالون صلاتهم ، وأمر بالدعاء باسمه (عليه السلام) على رؤوس المنابر ، وضربت الدنانير والدراهم فطبع عليها اسم الرضا (عليه السلام) ولقبه .

وفي تلك السنة دعي باسمه (عليه السلام) على منبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالمدينة ، وقيل في الدعاء له : « وليّ عهد المسلمين عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) » .

ستّة آباءٍ هُمُ ما هُمُ[1] أفضل من يشرب صوب الغمام

كما أمر المأمون الناس بترك السواد شعار بني العبّاس ، ولبس الخضرة ، وزوّج إحدى بناته وهي أمّ حبيب من الرضا (عليه السلام) ، وخطب ابنته الأخرى أمّ الفضل للإمام محمّد التقيّ (عليه السلام) ، وزوّج إسحاق بن موسى من ابنة عمّه إسحاق بن جعفر ، وأمره فحجّ بالناس في تلك السنة .

خروج الرضا (عليه السلام) إلى صلاة العيد ورجوعه قبل أدائها

وقد روي أنّه لمّا حضر العيد بعث المأمون إلى الرضا (عليه السلام) يسأله أن يركب إلى المصلّى ويصلّي بالناس صلاة العيد ويخطب بهم ، فبعث إليه الرضا (عليه السلام) وقال : قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الأمر ؛ فأجابه المأمون : إنّما أريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامّة هذا الأمر فتطمئنّ قلوبهم ، ويقرّوا بما فضّلك الله تعالى به .

فلم يزل يرادّه الكلام في ذلك وهو يأبى ويمتنع ، فلمّا ألحّ عليه قال : إن أعفيتني من ذلك فهو أحبّ إليّ ، وإن لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكما خرج أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

قال المأمون : اخرج كيف شئت ، وأمر المأمون القوّاد والناس أن يبكّروا إلى باب أبي الحسن (عليه السلام) .

---

(١) همُ مَن همُ .

قال الراوي : فقعد الناس لأبي الحسن (عليه السلام) في الطرقات والسطوح ، واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه ، واجتمع القوّاد والجند على بابه ، فوقفوا على دوابّهم حتّى طلعت الشمس ، فاغتسل أبو الحسن (عليه السلام) ولبس ثيابه وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن ألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه ، ومسّ شيئاً من الطيب ، وأخذ بيده عكّازاً ، وقال لمواليه : افعلوا مثل ما فعلت .

فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق ، عليه ثياب مشمّرة ، فمشى قليلاً ، ورفع رأسه إلى السماء وكبّر ، وكبّر مواليه معه ، ثمّ مشى حتّى وقف على الباب ، فلمّا رآه القوّاد والجند على تلك الصورة سقطوا كلّهم عن الدوابّ إلى الأرض ، وكان أحسنهم حالاً من كان معه سكينّ قطع بها شرابة حاجليّته[1] ونزعها وتحفّى .

قال الراوي : وكبّر الرضا (عليه السلام) على الباب ، وكبّر الناس معه ، فخيّل إلينا إنّ السماء والحيطان تجاوبه ، وتزعزعت « مرو » بالبكاء والضجيج لمّا رأوا أبا الحسن (عليه السلام) وسمعوا تكبيره .

ولمّا بلغ ذلك المأمون خاف إن بلغ الإمام (عليه السلام) المصلّى على هذا السبيل أن يفتتن به الناس ، فبعث إليه : قد كلّفناك شططا وأتعبناك ، ولسنا نحبّ أن تلحقك مشقّة ، فارجع ، وليصلّ بالناس من كان يصلّي بهم على رسمه !!

فدعا أبو الحسن (عليه السلام) بخفّه فلبسه ، وركب ورجع ، واختلف أمر الناس في ذلك اليوم ، ولم ينتظم أمر صلاتهم .

ظهور عداء المأمون للرضا (عليه السلام) وبيان مكره ونفاقه

يقول المؤلّف : مع أنّ ظاهر سلوك المأمون في توقيره وتعظيمه للإمام الرضا (عليه السلام) يوحي باحترامه له فهو في الباطن يكنّ له العداء بأسلوب ماكر شيطانيّ ، وبطريقة يشوبها النفاق ،وبحكم : « هم العدوّ فاحذرهم » ، فهو العدوّ الحقيقي ، بل هو أشدّ الخصوم عداوة له ، فهو إذ يسلك في الظاهر معه سلوك المحبّة والصداقة وحلاوة اللسان ، يلدغه في الباطن كما تلدغ الأفعى ، ولا يزال يجرّعه السمّ جرعة بعد جرعة ، فلا غرو أنّه (عليه السلام) حين فوّضت إليه ولاية العهد كانت بداية لمصائبه ولما نزل به من أذى .

ففي اليوم الذي بويع فيه بولاية العهد قال بعض مواليه ممّن كان يختصّ به ، نظر إليّ الرضا (عليه السلام) وقد داخلني من السرور ما لا مزيد عليه ، وذلك لما تمّ من ظهور فضله

---

(١) الحاجليّة : الحذاء المشدود بالشرابة وهي الرباط .

(عليه السلام) ، فأشار إليّ فدنوت منه ، فقال لي في أذني سرّاً : لا تشغل قلبك بشيء مما ترى من هذا الأمر ، ولا تستبشر به ، فإنّه لا يتمّ !

وجاء في حديث عليّ بن محمّد بن الجهم أنه لمّا جمع المأمون علماء الأمصار وفقهاء الأقطار لمناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) الذي تغلّب عليهم في مناظرته لهم ، وأقرّوا جميعاً بفضله (عليه السلام) ، ثمّ قام منصرفاً إلى منزله تبعته فدخلت عليه ، وقلت له : يا بن رسول الله ، الحمد لله الذي وهب لك من جميل رأي أمير المؤمنين ما حمله على ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك ، فقال (عليه السلام) :

يا بن الجهم ، لا يغرّنّك ما ألفيته عليه من إكرامي والاستماع منّي ، فإنّه سيقتلني بالسمّ وهو ظالم لي ، أعرف ذلك بعهد معهود إليّ من آبائي ، فاكتم ما دمتُ حيّاً .

وإجمالاً ، فقد كان (عليه السلام) في ألم مستمرّ من سوء معاملة المأمون له دون أن يستطيع إخبار أحد بمعاناته ، حتّى تمنّى من الله لنفسه الموت خلاصاً من حياة تكتنفها المكاره والآلام ، فقد روي عن ياسر الخادم أنّه قال :

كان الرضا (عليه السلام) إذا رجع يوم الجمعة من الجامع وقد أصابه العرق والغبار رفع يديه وقال : اللهمّ إن كان فرجي مما أنا فيه بالموت فعجّله لي الساعة .

ولم يزل مغموماً مكروباً إلى أن قبض صلوات الله عليه .

ولو تأمّل المرء في طريقة سلوك المأمون معه (عليه السلام) وفي معاملته له لتأكّد من صحّة هذا الأمر ، فهل يتصوّر عاقل أن رجلاً كالمأمون الذي يأمر في سبيل الحصول على الملك والرئاسة بقتل أخيه محمّد الأمين بكل قسوة ، ويأمر أن يأتوه برأسه في صحن داره ، وأن تنصب رأسه على عمود ، ويأمر جنوده وعسكره بأن يقف كلّ منهم ويلعنه ويأخذ جائزته ، هل يمكن لشخص متهالك على الحكم والملك كهذا أن يستقدم الإمام الرضا (عليه السلام) من المدينة إلى مرو ، ويصرّ لمدّة شهرين على قوله له : أريد خلع نفسي من الخلافة والبيعة لك ؟! هل يمكن لأحد أن يلحظ في هذا غير المكر والخديعة والنفاق ؟! في حين كان الحكم قرةّ عين المأمون ، وقد قيل فيه : الملك عقيم ؟! وهذا ما كان أخوه الأمين يعرفه حقّ المعرفة ، فها هو يقول لأحمد بن سلام لّما قبضوا عليه : أو يقتلني المأمون ؟ قال أحمد : لا ، لن يفعل ، فما بينكما من صلة رحم لا بدّ أن تعطف قلبه عليك ، فقال الأمين : هيهات ! الملك عقيم لا رحم له !!

ومع هذا فالمأمون أبداً لم يكن يرضى أن تظهر للرضا (عليه السلام) منقبة أو فضيلة ، وهذا يتّضح ممّا حملته الروايات عن خروجه (عليه السلام) إلى صلاة العيد ، وعن غيرها ،

وقد جاء في ذيل حديث رجاء بن أبي الضحّاك من أنّه لمّا أخبر المأمون بما شهده من فضائل الإمام الرضا (عليه السلام) وحسن عبادته قال له المأمون : لا تخبر أحداً بما شهدت منه ، ثمّ أردف بكلّ مكر وخبث : لئلا يظهر فضله إلّا على لساني !!

ولمّا رأى أخيراً أن كلّ يوم كان يحمل المزيد من أنوار علمه وكماله (عليه السلام) ، ومن آثار رفعته وجلاله ، ممّا كان يظهر على الناس بجلاء ، وممّا يكنّونه له من محبّة في قلوبهم ، اشتعلت نائرة الحسد في صدره ، وانبرى يدبّر له ويكيد ، حتّى قتله بالسمّ .

وقد روى الصدوق عن أحمد بن عليّ أنّه قال : سألت أبا الصلت الهرويّ ، فقلت : كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا (عليه السلام) مع إكرامه ومحبّته له ، وما جعل له من ولاية العهد بعده ؟ فقال : إنّ المأمون إنّما كان يكرمه ويحبه لمعرفته بفضله ، وجعل له ولاية العهد من بعده ليري الناس أنّه راغب في الدنيا فيسقط محلّه من نفوسهم ؛ فلمّا لم يظهر منه في ذلك للناس إلّا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم جلب عليه المتكلّمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه واحد منهم ، فيسقط محلّه عند العلماء ، وبسببهم يشتهر نقصه عند العامّة ، لكنّ هذا التدبير أتى بعكس ما قصد إليه ، فتغلّب عليهم جميعاً وأقروا بفضله وجلاله (عليه السلام) .

يقول المؤلّف : رأيت من المناسب الإشارة إلى أحد مجالس مناظراته ، تزييناً لكتابي بما فيه .

مناظرة الرضا (عليه السلام) مع علماء الملل والأديان بتفاصيلها

روى الشيخ الصدوق عن الحسن بن محمّد النوفليّ الهاشميّ أنّه قال :

لمّا قدم عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام) على المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق (رئيس الأساقفة) ورأس الجالوت (كبير اليهود) ورؤساء الصابئين (وهم من يزعمون أنّهم على دين نوح عليه السلام) والهربذ الأكبر (كبير عَبَدة النار) وأصحاب زرادشت ، ونسطاس الروميّ والمتكلّمين ليسمع كلامه وكلامهم ، فجمعهم الفضل بن سهل ، ثمّ أعلم المأمون باجتماعهم فقال : أدخلهم عليّ ، ففعل ، فرحّب بهم المأمون ثمّ قال لهم :

إنّي إنّما جمعتكم لخير ، وأحببت أن تناظروا ابن عمّي هذا المدنيّ القادم عليّ ، فإذا كان بكرة فاغدوا عليّ ، ولا يتخلّف منكم أحد ، فقالوا : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين ، نحن مبكّرون إن شاء الله تعالى .

قال الراوي الحسن بن محمّد النوفليّ : فبينا نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضا

(عليه السلام) إذ دخل علينا ياسر الخادم ، وكان يتولّى أمر أبي الحسن (عليه السلام) ، فقال له : يا سيّدي ، إنّ أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول : فداك أخوك ، إنّه اجتمع إليّ أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلّمون من جميع الملل ، فرأيك في البكور إلينا أحببت كلامهم ، وإن كرهت ذلك فلا تتجشّم ، وإن أحببت أنْ نصير إليك خفّ ذلك علينا ؛ فقال أبو الحسن : أبلغه السلام وقل له : قد علمت ما أردت ، وأنا صائر إليك بكرة إن شاء الله تعالى .

قال الراوي : فلمّا مضى ياسر التفت إلينا ثمّ قال لي : يا نوفليّ ، أنت عراقيّ ، ورقّة العراقي غير غليظة ، فما عندك في جمع ابن عمّك علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات ؟ فقلت : جعلت فداك ، يريد الامتحان ويحبّ أن يعرف ما عندك ، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان ، وبئس والله ما بنى ، فقال لي : ما بناؤه في هذا الباب ؟ قلت : إنّ أصحاب الكلام والبدعة خلاف العلماء ، وذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر ، وأصحاب المقالات والمتكلّمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهته ، إن احتججت عليهم بأنّ الله تعالى واحد قالوا : صحّح وحدانيّته ! وإن قلت : إنّ محمّداً رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قالوا : أثبت رسالته ! ثمّ يباهتون الرجل وهو يبطل عليهم بحجّته ، ويغالطونه حتّى يترك قوله ! فاحذرهم جعلت فداك .

قال : فتبسّم (عليه السلام) ثمّ قال : يا نوفليّ ، أفتخاف أن يقطعوا عليّ حجّتي ؟ قلت : لا والله ما خفت عليك قطّ ، وإنّي لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله تعالى ، فقال لي : يا نوفليّ ، أتحبّ أن تعلم متى يندم المأمون ؟ قلت : نعم ، قال : إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم ، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وعلى أهل الزبور بزبورهم ، وعلى الصابئين بعبرانيّتهم ، وعلى أهل الهرابذة بفارسيّتهم ، وعلى أهل الروم بروميّتهم ، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم ، فإذا قطعت كلّ صنف ودحضت حجّته ، وترك مقالته ورجع إلى قولي علم المأمون أنّ الموضع الذي هو بسبيله ليس بمستحقّ له ، فعند ذلك تكون الندامة منه ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم .

فلمّا أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له : جعلت فداك ، ابن عمّك ينتظرك ، وقد اجتمع القوم ، فما رأيك في إتيانه ؟ فقال له الرضا (عليه السلام) : تقدّمني وإنّي صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله .

ثمّ توضّأ (عليه السلام) وضوءه للصلاة ، وشرب شربة سويق سقانا منه ، ثمّ خرج وخرجنا معه حتّى دخلنا على المأمون ، فإذا المجلس غاصّ بأهله ، ومحمّد بن جعفر في جماعة الطالبيّين والهاشميّين ، والقوّاد حضور .

فلمّا دخل الرضا (عليه السلام) قام المأمون ، وقام محمّد بن جعفر وجميع بني هاشم ، فما زالوا وقوفاً والرضا (عليه السلام) جالس مع المأمون حتّى أمرهم بالجلوس فجلسوا ، فلم يزل المأمون مقبلاً عليه يحدّثه ساعة ، ثمّ التفت إلى الجاثليق فقال :

يا جاثليق ، هذا ابن عمّي عليّ بن موسى بن جعفر ، وهو من ولد نبيّنا وابن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ، فأحبّ أن تكلّمه وتحاجّه وتنصفه ، فقال الجاثليق : يا أمير المؤمنين ، كيف أحاجّ رجلاً يحتجّ عليّ بكتاب أنا منكره ، ونبيّ لا أومن به ؟

فقال الرضا (عليه السلام) : يا نصرانيّ ، فإن احتججت عليك بإنجيلك ، أتقرّ به ؟ قال الجاثليق : وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل ؟ نعم والله ، أقرّ به على رغم أنفي ، فقال له الرضا (عليه السلام) : سل عمّا بدا لك ، واسمع الجواب .

فقال الجاثليق : ما تقول في نبوّة عيسى وكتابه ، هل تنكر منهما شيئاً ؟ قال الرضا (عليه السلام) : أنا مقرّ بنبوّة عيسى وكتابه ، وما بشّر به أمّته ، وأقرّت به الحواريّون ، وكافر بنبوّة كلّ عيسى لم يقرّ بنبوّة محمّد (صلّى الله عليه وآله) وبكتابه ، ولم يبشّر به أمّته .

قال الجاثليق : أليس إنّما تُقطع الأحكام بشاهدي عدل ؟ قال (عليه السلام) : بلى ، قال : فأقم شاهدين من غير أهل ملّتك على نبوّة محمّد ممّن لا تنكره النصرانيّة ، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملّتنا .

قال الرضا (عليه السلام) : الآن جئت بالنصفة يا نصرانيّ ، ألا تقبل منّي العدل المقدّم عند المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) ؟ قال الجاثليق : ومن هذا العدل ؟ سمّه لي ، قال : ما تقول في يوحنّا الديلميّ ؟ قال : بخ بخ ، ذكرت أحبّ الناس إلى المسيح ، قال : فأقسمت عليك ، هل نطق الإنجيل أن يوحنّا قال : « إنما المسيح أخبرني بدين محمّد العربيّ ، وبشّرني به أنّه يكون من بعده ، فبشّرت به الحواريّين فآمنوا به » ؟ قال الجاثليق : قد ذكر ذلك يوحنّا عن المسيح ، وبشّر بنبوّة رجل وبأهل بيته ووصيّه ، ولم يشخّص متى يكون ذلك ، ولم يسمّ لنا القوم فنعرفهم .

قال الرضا (عليه السلام) : فإن جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمّد وأهل بيته وأمّته ، أتؤمن به ؟ قال : سديداً ، قال الرضا (عليه السلام) لنسطاس الروميّ : كيف حفظك للسِّفر الثالث من الإنجيل ؟ قال : ما أحفظني له ! ثمّ التفت إلى رأس الجالوت فقال : ألست تقرأ الإنجيل ؟ قال : بلى لعمري ، قال : فخذ عليّ السفر ، فإن كان فيه ذكر محمّد وأهل بيته وأمّته فاشهدوا لي ، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي .

ثمّ قرأ (عليه السلام) السفر الثالث ، حتّى إذا بلغ ذكر النبيّ (صلّى الله عليه وآله)

وقف ، ثم قال : يا نصرانيّ ، إنّي أسألك بحقّ المسيح وأمّه ، أتعلم أنّي عالم بالإنجيل ؟ قال : نعم . ثم تلا عليه ذكر محمّد وأهل بيته وأمّته ، ثمّ قال :

ما تقول يا نصرانيّ ؟ هذا قول عيسى ابن مريم (عليه السلام) ، فإن كذّبت بما ينطق به الإنجيل فقد كذّبت موسى وعيسى (عليهما السلام) ، ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل ، لأنّك تكون قد كفرت بربّك ونبيّك وكتابك ، قال الجاثليق : لا أنكر ما قد بان لي في الإنجيل ، وإنّي لمقرّ به ، قال الرضا (عليه السلام) : اشهدوا على إقراره .

ثمّ قال : يا جاثليق ، سل عمّا بدا لك ، قال الجاثليق : أخبرني عن حواريّي عيسى ابن مريم (عليه السلام) ، كم كان عدّتهم ؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا ؟

قال الرضا (عليه السلام) : على الخبير سقطت ، أمّا الحواريّون فكانوا اثني عشر رجلاً ، وكان أفضلهم وأعلمهم ألوقا ، وأمّا علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال : يوحنّا الأكبر بـ« آج » ، ويوحنّا بـ« قرقيسيا » ، ويوحنّا الديلميّ بـ« الزجّار » ؛ وعنده كان ذكر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وذكر أهل بيته وأمّته ، وهو الذي بشّر أمّة عيسى وبني إسرائيل به .

ثمّ قال له : يا نصرانيّ ، والله إنّا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) ، ولا ننقم على عيساكم شيئاً إلاّ ضعفه وقلّة صيامه وصلاته ، قال الجاثليق : أفسدت والله علمك ، وضعّفت أمرك ، وما كنت ظننت إلاّ أنّك أعلم أهل الإسلام ، قال الرضا (عليه السلام) : وكيف ذاك ؟ قال الجاثليق : من قولك : إنّ عيسى كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة ، وما أفطر عيسى يوماً قطّ ، ولا نام بليل قطّ ، وما زال صائم الدهر وقائم الليل ، قال الرضا (عليه السلام) : فلمن كان يصوم ويصلّي ؟! فخرس الجاثليق وانقطع .

قال الرضا (عليه السلام) : يا نصرانيّ ، أسألك عن مسألة ؟ قال : سل ، فإن كان عندي علمها أجبتك ، قال الرضا (عليه السلام) : وأنكرت أنّ عيسى (عليه السلام) كان يحيي الموتى بإذن الله عزّ وجلّ ؟ قال الجاثليق : أنكرت ذلك من أجل أنّ من أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فهو ربّ مستحقّ لأن يعبد ؛ قال الرضا (عليه السلام) : فإنّ إليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى (عليه السلام) ، مشى على الماء ، وأحيى الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، فلم تتّخذه أمّته ربّاً ، ولم يعبده أحد من دون الله عزّ وجلّ ؛ ولقد صنع حزقيل النبيّ (عليه السلام) مثل ما صنع عيسى ابن مريم فأحيى خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستّين سنة .

ثمّ التفت إلى رأس الجالوت فقال له : يا رأس الجالوت ، أتجد هؤلاء في شباب بني

إسرائيل في التوراة اختارهم بخت نصر من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس ، ثمّ انصرف بهم إلى « بابل » فأرسله الله عزّ وجلّ إليهم فأحياهم ؟ هذا في التوراة لا يدفعه إلّا كافر منكم ، قال رأس الجالوت : قد سمعنا به وعرفناه ، قال : صدقت .

ثمّ قال : يا يهوديّ ، خذ عليّ هذا السفر من التوراة ، فتلا (عليه السلام) علينا من التوراة آيات ، فأقبل اليهوديّ يترجّج (يضطرب ويهتزّ) لقراءته ويتعجّب ؛ ثمّ أقبل (عليه السلام) نحو النصرانيّ فقال : يا نصرانيّ ، أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم كان قبلهم ؟ قال : بل كانوا قبله ، فقال الرضا (عليه السلام) : لقد اجتمعت قريش على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فسألوه أن يحيي لهم موتاهم فوجّه معهم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فقال له : اذهب إلى الجبّانه فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك : يا فلان ويا فلان ويا فلان ، يقول لكم محمّد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : قوموا بإذن الله عزّ وجلّ ، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم ، ثمّ أخبروهم أنّ محمّداً قد بعث نبيّاً ، وقالوا : وددنا أنّا أدركناه فنؤمن به ، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين ، وكلّمه البهائم والطير والجنّ والشياطين ، ولم نتخّذه ربّاً من دون الله عزّ وجلّ ، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم ، فمتى اتّخذتم عيسى ربّاً جاز لكم أن تتخذوا إليسع وحزقيل ربّاً ، لأنّهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم (عليه السلام) من إحياء الموتى وغيره .

وإنّ قوماً من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت ، فأماتهم الله في ساعة واحدة ، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة ، فلم يزالوا فيها حتّى نخرت عظامهم وصاروا رميماً ، فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل ، فتعجّب منهم ومن كثرة العظام البالية ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : أتحب أن أحييهم لك فتنذرهم ؟ قال : أجل يا ربّ ، فأوحى إليه أن نادهم ، فقال النبيّ : أيتّها العظام البالية ، قومي بإذن الله عزّ جلّ ، فقاموا أحياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم .

ثمّ إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام) حين أخذ أربعة من الطير فقطّعهنّ قطعاً ، ثمّ وضع على كلّ جبل منهنّ جزءاً ، ثمّ ناداهنّ فأقبلن سعياً إليه .

ثمّ موسى بن عمران (عليه السلام) وأصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل فقالوا له : إنّك قد رأيت الله سبحانه ، فأرناه كما رأيته ! فقال لهم : إنّي لم رأه ، فقالوا : لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم ، وبقي موسى وحيداً ، فقال : يا ربّ ، اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي ؟ فكيف يصدّقني قومي بما أخبرهم به ؟ فلو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي ، أتهلكنا بما

فعل السفهاء منّا ؟ فأحياهم الله من بعد موتهم .

وكلّ شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه ، لأنّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت به ، فإن كان من أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص والمجانين يتّخذ ربّاً من دون الله ، فاتّخذ هؤلاء كلّهم أرباباً ، ما تقول يا يهوديّ ؟! فقال الجاثليق : القول قولك ، ولا إله إلاّ الله .

ثمّ التفت (عليه السلام) إلى رأس الجالوت فقال : يا يهوديّ أقبل عليّ ، أسألك بالآيات العشر التي أنزلت على موسى بن عمران (عليه السلام) ، هل تجد في التوراة مكتوباً بنبأ محمّد (صلّى الله عليه وآله) وأمّته : « إذا جاءت الأمّة الأخيرة أتباع راكب البعير يسبّحون الربّ جدّاً جدّاً ، تسبيحاً جديداً في الكنائس الجدد (أي تسبيحاً غير التسبيح الذي كانت الأمّة السابقة تسبّحه) ، فليفزع بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم لتطمئن قلوبهم ، فإنّ بأيديهم سيوفاً ينتقمون بها من الأمم الكافرة في أقطار الأرض » أهكذا هو في التوراة مكتوب ؟ قال رأس الجالوت : نعم ، إنّا لنجده كذلك .

ثمّ قال للجاثليق : يا نصرانيّ ، كيف علمك بكتاب شعيا (عليه السلام) ؟ قال : أعرفه حرفاً حرفاً ، قال لهما (أي للجاثليق ورأس الجالوت) : أتعرفان هذا من كلامه : « يا قوم ، إنّي رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور ، ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر » ؟

فقالا : قد قال ذلك شعيا (عليه السلام) .

قال الرضا (عليه السلام) : يا نصرانيّ ، هل تعرف في الإنجيل قول عيسى (عليه السلام) : « إنّي ذاهب إلى ربّي ، والبار قليطا[1] جاء ، هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت له ، وهو الذي يفسّر لكم كلّ شيء ، وهو الذي يبدأ فضائح الأمم ، وهو الذي يكسر عمود الكفر » ؟ فقال الجاثليق : ما ذكرت شيئاً من الإنجيل إلاّ ونحن مقرّون به ، فقال : أتجد هذا في الإنجيل ثابتاً يا جاثليق ؟ قال : نعم .

قال الرضا (عليه السلام) : يا جاثليق ، ألا تخبرني عن الإنجيل الأوّل حين افتقدتموه ، عند من وجدتموه ؟ ومن وضع لكم هذا الإنجيل ؟

فقال له : ما افتقدنا الإنجيل إلاّ يوماً واحداً ، حتّى وجدناه غضّاً طريّاً ، فأخرجه إلينا يوحنّا ومتّى !

---

(١) البار قليطا : لفظ عبرانيّ بمعنى : الفارق بين الحقّ والباطل ، والمراد به سيّدنا الخاتم .

فقال له الرضا (عليه السلام) : ما أقلّ معرفتك بسنن الإنجيل وعلمائه ! فإن كان هـذا كما تزعم فلم اختلفتم في الإنجيل ؟! وإنّما وقـع الاختلاف في هـذا الإنجيل الـذي في أياديكم اليوم ، فلو كان على العهد الأوّل لم تختلفوا فيه ، ولكنّي مفيدك علم ذلك :

إعلم أنّه لما افتقد الإنجيل الأوّل اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم : قتل عيسى ابن مـريم (عليهما السـلام) وافتقدنـا الإنجيل ! وأنتم العلماء فـما عندكم ؟ فقـال لهم ألـوقـا ومرقابوس : إنّ الإنجيل في صـدورنا ، ونحن نخـرجه إليكم سفـراً سفراً في كـلّ أحد ، فـلا تحـزنوا عليـه ، ولا تخلو الكنائس ، فـإنّا سنتلوه عليكم في كـلّ أحد سفـراً سفراً حتّى نجمعـه كلّه ؛ فقعد ألوقا ومرقابوس ويوحنّا ومتّى فوضعوا لكم هـذا الإنجيل بعـد ما افتقـدتم الإنجيل الأوّل ، وإنّما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ تلاميذ الأوّلين ، أعلمت ذلك .

فقال الجاثليق : أمّا هذا فلم أعلمه ، وقد علمتـه الآن ، وقد بـان لي من فضل علمـك بالإنجيل ، وسمعت أشياء ممّا علمته شهد قلبي أنّها حقّ ، فاستزدت كثيراً من الفهم ؛ فقال له الرضا (عليه السلام) : فكيف شهادة هؤلاء عندك ؟ قال : جائزة ، هؤلاء علماء الإنجيل ، وكلّ ما شهدوا به فهو حقّ ، قال الرضا للمأمون ومن حضره من أهل بيته ومن غيره : اشهدوا عليه ، قالوا : شهدنا .

ثمّ قال (عليه السلام) للجاثليق : بحقّ الابن وأمّه هل تعلم أنّ متّى قال: «إنّ المسيح هو ابن داود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب بن يهـوذا بن حضـرون » ؟ وقال مـرقـابـوس في نسبـة عيسى ابن مريم (عليـه السـلام) : « إنّـه كلمـة الله أحلّهـا في جسـد الآدمي فصـارت إنساناً » ؟ وقـال ألوقـا : « إنّ عيسى ابن مريم (عليهـما السلام) وأمّـه كانـا إنسانـين من لحم ودم ، فدخل فيها الروح القدس » ؟ ثمّ إنّك تقول من شهادة عيسى عـلى نفسه : « حقّـاً أقول لكم يـا معشر الحواريّـين : إنّه لا يصعـد إلى السماء إلاّ من نـزل منها ، إلاّ راكـب البعـير خاتم الأنبياء فإنّه يصعد إلى السماء وينزل » ، فما تقول في هذا القول ؟

قال الجاثليق : هذا قول عيسى لا ننكـره ، قال الـرضا (عليـه السلام) : فـما تقول في شهادة ألوقا ومرقابوس ومتّى عـلى عيسى وما نسبـوه إليه ؟ قـال الجاثليق : كـذبوا عـلى عيسى ! فقال الرضا (عليه السلام) : يا قـوم ، أليس قد زكّـاهم وشهد أنّهم علماء الإنجيـل ، وقولهم حقّ ؟! فقـال الجاثليـق : يـا عـالم المسلمـين ، أريـد أن تعفيني من أمـر هؤلاء ! قـال الـرضـا (عليـه السلام) : فـإنّا قـد فعلنا ، سـل يا نصرانيّ عـمّا بدا لـك ، قال الجـاثليق : ليسألـك غيري ، فلا وحقّ المسيح ما ظننت أنّ في علماء المسلمين مثلك .

فالتفت الرضا (عليه السلام) إلى رأس الجالوت فقال له : تسألني أو أسألك ؟ فقـال :

بل أسألك ، ولست أقبل منك حجّة إلاّ من التوراة أو من الإنجيل أو من زبور داود ، أوْ بما في صحف إبراهيم وموسى ، قال الرضا (عليه السلام) ، لا تقبل منّي حجّة إلاّ بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران ، والإنجيل على لسان عيسى ابن مريم ، والزبور على لسان داود ؛ فقال رأس الجالوت : من أين تثبت نبوّة محمّد (صلّى الله عليه وآله) ؟

قال الرضا (عليه السلام) : شهد بنبوّته موسى بن عمران ، وعيسى بن مريم ، وداود خليفة الله عزّ وجلّ في الأرض ، فقال له : ثبّت قول موسى بن عمران ، فقال له الرضا (عليه السلام) :

هل تعلم يا يهوديّ أنّ موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم : « إنّه سيأتيكم نبيّ من إخوانكم فبه فصدّقوا ، ومنه فاسمعوا » ؟ وهل تعلم أن لبني إسرائيل إخوة غير ولد إسماعيل ، إن كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل والسبب الذي بينهما من قبل إبراهيم (عليه السلام) ؟ فقال رأس الجالوت : هذا قول موسى لا ندفعه ، فقال له الرضا (عليه السلام) : هل جاءكم من إخوة بني إسرائيل نبيّ غير محمّد (صلّى الله عليه وآله) ؟ قال: لا ، قال الرضا (عليه السلام): أوَليس قد صحّ هذا عندكم؟ قال: نعم، ولكنّي أحبّ أن تصحّحه إليّ من التوراة ، فقال له الرضا (عليه السلام) :

هل تنكر أن التوراة تقول لكم : « جاء النور من قبل طور سيناء ، وأضاء لنا من جبل ساعير ، واستعلن علينا من جبل فاران » ؟

قال رأس الجالوت : أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها ، قال الرضا (عليه السلام) : أنا أخبرك به ، أمّا قوله : « جاء النور من قبل طور سيناء » .

فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى (عليه السلام) على جبل طور سيناء ؛ وأمّا قوله : « وأضاء لنا من جبل ساعير » : فهو الجبل الذي أوحى الله عزّ وجلّ إلى عيسى ابن مريم (عليهما السلام) وهو عليه ، وأمّا قوله : « واستعلن علينا من جبل فاران » : فذلك جبل من جبال مكّة بينه وبينها يوم .

وقال شعياء النبيّ (عليه السلام) فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة: «رأيت راكبين أضاء لها الأرض ، أحدهما على حمار ، والآخر على جمل » ؛ فمن راكب الحمار ، ومن راكب الجمل؟ قال رأس الجالوت : لا أعرفهما فخبّرني بهما ، قال : أمّا راكب الحمار فعيسى (عليه السلام) ، وأمّا راكب الجمل فمحمّد (صلّى الله عليه وآله) ، أتنكر هذا من التوراة ؟ قال : لا ما أنكره .

ثمّ قال الرضا (عليه السلام) : هل تعرف حيقوق النبيّ (عليه السلام) ؟ قال :

نعم ، إنّي به لعارف ، قال : فإنّه قال ، وكتابكم ينطق به : « جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران ، وامتلأت السماء من تسبيح أحمد وأمّته ، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البرّ ، يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس » يعني بالكتاب : الفرقان. أتعرف هذا وتؤمن به ؟ قال رأس الجالوت : قد قال ذلك حيقوق النبيّ (عليه السلام) ، ولا ننكر قوله.

قال الرضا (عليه السلام) : قد قال داود في زبوره ، وأنت تقرأه : « اللهمّ ابعث مقيم السنّة بعد الفترة » ، فهل تعرف نبيّاً أقام السنّة بعد الفترة غير محمّد (صلّى الله عليه وآله) ؟ قال رأس الجالوت : هذا قول داود ، نعرفه ولا ننكره ، ولكن عنى بذلك عيسى وأيّامه هي الفترة ، قال له الرضا (عليه السلام) : جهلت ، إنّ عيسى (عليه السلام) لم يخالف السنّة ، وكان موافقاً لسنّة التوراة حتّى رفعه الله إليه.

وفي الإنجيل مكتوب : « إنّ ابن البرّة ذاهب ، والبار قليطا جاء من بعده ، وهو الذي يحفظ الآصار ، ويفسّر لكم كلّ شيء ، ويشهد لي كما شهدت له ، أن جئتكم بالأمثال ، وهو يأتيكم بالتأويل » ، أتؤمن بهذا في الإنجيل ؟ قال : نعم.

فقال له الرضا (عليه السلام) : يا رأس الجالوت ، أسألك عن نبيّك موسى بن عمران (عليه السلام) ؟ فقال : سل ، قال : ما الحجّة على أنّ موسى ثبتت نبوّته ؟ قال اليهوديّ : إنّه جاء بما لم يجيء به أحد من الأنبياء قبله ، قال له : مثل ماذا ؟ قال : فلق البحر ، وقلبه العصا حيّة تسعى ، وضربه الحجر فانفجرت منه العيون ، وإخراجه يده بيضاء للناظرين ، وعلاماته لا يقدر الخلق على مثلها.

قال له الرضا (عليه السلام) : صدقت في أنّه كانت حجّته على نبوّته أنّه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله ، أفليس كلّ من ادّعى أنّه نبيّ ، ثمّ جاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه ؟! قال : لا ، لأنّ موسى (عليه السلام) لم يكن له نظير ، لمكانه من ربّه وقربه منه ، ولا يجب علينا الإقرار بنبوّة من ادّعاها حتّى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء به ، فقال الرضا (عليه السلام) : فكيف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى (عليه السلام) ، ولم يفلقوا البحر ، ولم يفجّروا من الحجر اثنتي عشرة عيناً ، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ، ولم يقلبوا العصا حيّة تسعى ؟

قال اليهوديّ : خبّرتك أنّه متى جاؤوا على نبوّتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ، ولو جاؤوا بما يجيء به موسى ، أو كان على غير ما جاء به موسى ، وجب تصديقهم.

قال له الرضا (عليه السلام) : يا رأس الجالوت ، فما يمنعك من الإقرار بعيسى بن مريم وقد كان يحيي الموتى ، ويبرىء الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثمّ ينفخ

فيه فيكون طيراً بإذن الله تعالى ؟ قال رأس الجالوت : يقال إنّه فعل ذلك ولم نشهده ، قال الرضا (عليه السلام) : أرأيت ما جاء به موسى من الآيات ، شاهدته ؟ أليس إنّما جاءت الأخبار من ثقاة أصحاب موسى أنّه فعل ذلك ؟ قال : بلى ، قال : فكذلك أيضاً أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى ابن مريم (عليه السلام) ، فكيف صدّقتم بموسى ، ولم تصدّقوا بعيسى ؟ ! فلم يحر جواباً .

قال الرضا (عليه السلام) : وكذلك أمر محمّد (صلّى الله عليه وآله) وما جاء به ، وأمر كلّ نبيّ بعثه الله ، ومن آياته أنّه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً ، لم يتعلّم كتاباً ، ولم يختلف إلى معلّم ، ثمّ جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء (عليهم السلام) وأخبارهم حرفاً حرفاً ، وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة ، ثمّ كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم ، وجاء بآيات كثيرة لا تحصى .

قال رأس الجالوت : لم يصحّ عندنا خبر عيسى ، ولا خبر محمّد ، ولا يجوز لنا أن نقرّ لهما بما لا يصحّ ، قال الرضا (عليه السلام) : فالشاهد الذي شهد لعيسى ولمحمّد (صلّى الله عليه وآله) شاهد زور ؟! فلم يحر جواباً .

ثمّ دعا (عليه السلام) بالهربذ الأكبر فقال له : أخبرني عن زرادشت الذي تزعم أنّه نبيّ ، ما حجّتك على نبوّته ؟ قال : إنّه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله ، ولم نشهده ، ولكنّ الأخبار من أسلافنا وردت علينا بأنّه أحلّ لنا ما لم يحلّه غيره ، فاتّبعناه .

قال : أفليس إنّما أتتكم الأخبار فاتّبعتموه ؟ قال : بلى ، قال : فكذلك سائر الأمم السالفة أتتهم الأخبار بما أتى به النبيّون ، وأتى به موسى وعيسى ومحمّد (صلّى الله عليه وآله) ، فما عذركم في ترك الإقرار لهم ، إذ كنتم أقررتم بزرادشت من قبل الأخبار المتواترة بأنّه جاء بما لم يجيء به غيره ؟ فانقطع الهربذ مكانه .

فقال الرضا (عليه السلام) : يا قوم ، إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام ، وأراد أن يسأل ، فليسأل غير محتشم .

فقام إليه عمران الصابي ، وكان واحداً من المتكلّمين ، فقال : يا عالم الناس ، لولا أنّك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل ، فلقد دخلتُ الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ، ولقيت المتكلّمين ، فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدانيّته ، أفتأذن لي أن أسألك ؟

قال الرضا (عليه السلام) : إن كان في الجماعة عمران الصابي فأنت هو ، قال : أنا هو ، قال : سل يا عمران ، وعليك بالنصفة ، وإيّاك والخطل والجور ؛ فقال : والله يا سيّدي

ما أريد إلاّ أن تثبت لي شيئاً أتعلّق به فلا أجوزه ، قال : سل عمّا بدا لك ، فازدحم الناس ، وانضمّ بعضهم إلى بعض ، فقال عمران الصابي :

أخبرني عن الكائن الأوّل ، وعمّا خلق ، فقال له : سألت فافهم .

يقول المؤلّف : أجابه (عليه السلام) جواباً مفصّلاً ، ثم سأل سؤالاً آخر فأجابه عنه ، وهكذا في كلام طويل لا يتّفق نقله مع وضع الكتاب ، واتّصل الكلام بينهما حتّى حضرت الصلاة ، فالتفت (عليه السلام) إلى المأمون فقال : الصلاة حضرت ، فقال عمران : يا سيّدي ، لا تقطع عليّ مسألتي فقد رقّ قلبي ، يريد أنّ ما أراد معرفته قد قارب الحصول عليه ، فقرب بذلك من الإسلام ، فقال له (عليه السلام) : نصلّي ونعود ، فنهض المأمون ، فصلّى الرضا (عليه السلام) داخلاً ، وصلّى الناس خارجاً خلف محمّد بن جعفر ، ثمّ خرج (عليه السلام) وخرج المأمون ، فعاد الرضا (عليه السلام) إلى مجلسه ، ودعا بعمران فقال : سل يا عمران ، فسأله عمران وأجابه الرضا (عليه السلام) ، وتبادلا الأسئلة والأجوبة حتّى قال له (عليه السلام) :

أفهمت يا عمران ؟ قال : نعم يا سيّدي قد فهمت ، وأشهد أنّ الله تعالى على ما وصفته ووحّدته ، وأنّ محمّداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحقّ ؛ ثمّ خرّ ساجداً نحو القبلة ، وأسلم .

قال الراوي الحسن بن محمّد النوفليّ : فلمّا نظر المتكلّمون إلى كلام عمران الصابي ـ وكان جدلاً لم يقطعه عن حجّته أحد منهم قطّ ـ لم يدن من الرضا (عليه السلام) أحد منهم ، ولم يسألوه عن شيء ، وأمسينا ، فنهض المأمون والرضا (عليه السلام) فدخلا ، وانصرف الناس .

وكنت مع جماعة من أصحابنا إذ بعث إليّ محمّد بن جعفر ، فأتيته فقال لي : يا نوفليّ ، أما رأيت ما جاء به صديقك ؟ لا والله ما ظننت أن عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) خاض في شيء من هذا قطّ ، وما عرفناه به أنّه كان يجتمع بالمدينة ، أو يجتمع إليه أصحاب الكلام ، قلت : قد كان الحاجّ يأتونه فيسألونه عن أشياء من حلالهم وحرامهم فيجيبهم ، وربّما كلّم من يأتيه بحاجة .

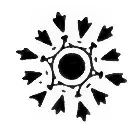
فقال محمّد بن جعفر : يا أبا محمّد ، إنّي أخاف عليه أن يحسده عليه هذا الرجل (يعني المأمون) فيسمّه أو يفعل به بليّة ، فأشر عليه بالإمساك عن هذه الأشياء ، قلت : إذاً لا يقبل منّي ، وما أراد الرجل إلاّ امتحانه ليعلم هل عنده شيء من علوم آبائه (عليهم السلام) ؛ فقال لي : قل له : إنّ عمّك قد كره هذا الباب ، وأحبّ أن تمسك عن هذه الأشياء لخصال شتّى .

قـال الراوي : فلمّا انقلبت إلى منـزل الرضـا (عليه السـلام) أخبرتـه بما كـان من عمّه محمّـد بن جعفر ، فتبسّـم (عليـه السلام) ثمّ قـال : حفظ الله عمّي ، مـا أعـرفني بـه لم كـره ذلـك ، ثمّ قال : يـا غلام ، صر إلى عمـران الصابي فـائتني به ، فقلت ؛ جعلت فـداك ، أنا أعرف موضعه ، وهو عند بعض إخواننا من الشيعة ، قال : فلا بأس ، قرّبوا إليه دابّة .

فصرت إلى عمران فأتيته به ، فرحّب به ، ودعـا بكسوة فخلعهـا عليه ، وحمله ، ودعـا بعشرة آلاف درهم فوصله بها .

قلت : جعلت فـداك ، حكيت فعـل جـدّك أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) ، قـال (عليـه السلام) : هكـذا نحبّ ، ثمّ دعا (عليـه السلام) بـالعشاء ، فـأجلسني عن يمينـه ، وأجلس عمـران عن يساره ، حتّى إذا فـرغنا قـال لعمران : انصرف مصـاحبـاً ، وبكّـر علينـا نطعمك طعام المدينة .

فكان عمران بعد ذلك يجتمع إليه المتكلّمون من أصحاب المقالات فيبطل أمرهم ، حتّى اجتنبـوه ؛ ووصله المأمـون بعشرة آلاف درهم ، وأعطاه الفضـل مالاً ، وحمله ؛ وولّاه الـرضا (عليه السلام) صدقات « بلخ » ، فأصاب الرغائب .



الفصل السادس

في اخبار الرضا واخبار ابائه عليهم السلام بشهادته

يقول المؤلّف : نكتفي في هذا الفصل بإيراد ما كتبه العلاّمة المجلسيّ رضوان الله عليه في (جلاء العيون) ، قال :

ثواب زيارة الرضا (عليه السلام) وكيفيّة شهادته

روى ابن بابويه بسند معتبر أنّ رجلاً من أهل خراسان قال لأبي الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام) : يا بن رسول الله رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في المنام كأنّه يقول لي : كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي ، واستُحفظتم وديعتي ، وغيّب في ثراكم نجمي ؟

فقال له الرضا (عليه السلام) :

أنا المدفون في أرضكم ، وأنا بضعة من نبيّكم ، وأنا الوديعة والنجم ، ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تبارك من حقّي وطاعتي ، فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة ومن كنّا شفعاء يوم القيامة نجا ، ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجنّ والإنس ، ولقد حدّثني أبي عن جدّي ، عن أبيه (عليهم السلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :

« من رآني في منامه فقد رآني ، لأنّ الشيطان لا يتمثّل في صورتي ولا صورة واحد من أوصيائي ، ولا في صورة أحد من شيعتهم ، وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوّة » .

ونقل عنه (عليه السلام) بسند معتبر آخر أنّه قال :

والله ما منّا (أهل البيت) إلاّ مقتول وشهيد ، فقيل له : يا بن رسول الله ، فمن يقتلك ؟ قال : شرّ خلق الله في زماني ، يقتلني بالسمّ ، ثم يدفنني في دار مضيعة وبلاد غربة ،

ألا فمن زارني في غربتي كتب الله عزّ وجلّ له أجر مئة ألف شهيد ، ومئة ألف صدّيق ، ومئة ألف حاجّ ومعتمر ، ومئة ألف مجاهد ، وحشر في زمرتنا ، وجعل في الدرجات العلى من الجنّة رفيقنا .

وروى أيضاً بسند معتبر عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال :

« ستدفن بضعة منّي بأرض خراسان ، لا يزورها مؤمن إلاّ أوجب الله عزّ وجلّ له الجنّة ، وحرّم جسده على النار » .

وروى أيضاً بسند معتبر عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال :

« يخرج ولد من ابني موسى اسم أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام إلى أرض طوس ، وهي بخراسان ، يقتل فيها بالسمّ ، فيدفن فيها غريباً ، من زاره عارفاً بحقّه أعطاه الله تعالى أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل » .

ونقل أيضاً بسند معتبر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال :

« سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسمّ ظلماً ، اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم ابن عمران موسى (عليه السلام) ، ألا فمن زاره في غربته غفر الله له ذنوبه ما تقدّم منها وما تأخّر ، ولو كانت مثل عدد النجوم ، وقطر الأمطار ، وورق الأشجار » .

ونقل العلاّمة المجلسيّ أيضاً في كتب أخرى له بسند معتبر عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله :

« إنّي سأقتل بالسمّ مظلوماً ، وأقبر إلى جنب هارون ، ويجعل الله تربتي مختلف شيعتي وأهل محبّتي ، فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة ، والذي أكرم محمّداً (صلّى الله عليه وآله) بالنبوّة ، واصطفاه على جميع الخليقة لا يصلّي أحد منكم عند قبري ركعتين إلاّ استحقّ المغفرة من الله عزّ وجلّ يوم يلقاه ؛ والذي أكرمنا بعد محمّد (صلّى الله عليه وآله) بالإمامة ، وخصّنا بالوصيّة إنّ زوّار قبري لأكرم الوفود على الله يوم القيامة ، وما من مؤمن يزورني فيصيب وجهه قطرة من الماء إلاّ حرّم الله تعالى جسده على النار » .

كيفيّة شهادته (عليه السلام) وحضور الجواد (عليه السلام) عند أبيه برواية أبي الصلت

روى أبو الصلت الهرويّ قال : بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن (عليه السلام) إذ قال لي :

يا أبا الصلت ، ادخل هذه القبّة التي فيها قبر هارون وائتني بتراب من أربعة جوانبها .

قال : فمضيت فأتيت به ، فلمّا مثلت بين يديه قال لي : ناولني هذا التراب ـ وهو عند الباب ـ فناولته ، فأخذه وشمّه ثمّ رمى به ، ثمّ قال : سيحفر لي ههنا فتظهر صخرة لو جُمع عليها كلّ معول بخراسان لم يتهيّأ قلعها ، ثم قال في الذي عند الرِّجل والذي عند الرأس مثل ذلك ، ثمّ قال : ناولني هذا التراب فهو من تربتي .

ثمّ قال (عليه السلام) : سيحفر لي في هذا الموضع فتأمرهم أن يحفروا إلى سبع مراقٍ إلى أسفل ، وأن تشقّ لي ضريحة ، فإن أبوا إلاّ أن يلحدوا فتأمرهم أن يجعلوا اللحد ذراعين وشبراً ، فإنّ الله تعالى سيوسّعه ما يشاء ، (ويجعله روضة من رياض الجنّة) ، فإذا فعلوا ذلك فإنّك ترى عند رأسي نداوة ، فتكلّمْ بالكلام الذي أعلّمك ، فإنّه ينبع الماء حتّى يمتلىء اللحد ، وترى فيه حيتاناً صغاراً ، ففتّت لها الخبز الذي أعطيك فإنّها تلتقطه ، فإذا لم يبق منه شيء خرجت منه حوتة كبيرة فالتقمت الحيتان الصغار حتّى لا يبقى منها شيء ، ثمّ تغيب ، فإذا غابت فضع يدك على الماء ثمّ تكلّم بالكلام الذي أعلّمك فإنّه ينضب الماء ولا يبقى منه شيء ، ولا تفعل ذلك إلاّ بحضرة المأمون .

ثمّ قال (عليه السلام) : يا أبا الصلت ، غداً أدخل على هذا الفاجر ، إنّ أنا خرجت مكشوف الرأس فتكلّم أكلّمك ، وإنّ خرجت وأنا مغطّى الرأس فلا تكلّمني .

قال أبو الصلت : فلمّا أصبحنا من الغد لبس ثيابه ، وجلس في محرابه ينتظر ، فبينا هو كذلك إذ دخل عليه غلام المأمون فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فلبس نعله ورداءه ، وقام ومشى وأنا أتبعه حتّى دخل على المأمون وبين يديه طبق عنب وأطباق فاكهة ، وبيده عنقود عنب قد أكل بعضه ، وبقي بعضه ؛ فلمّا أبصر بالرضا (عليه السلام) وثب إليه فعانقه ، وقبّل ما بين عينيه ، وأجلسه معه ، ثمّ ناوله العنقود وقال : يا بن رسول الله ، ما رأيت عنباً أحسن من هذا ، فقال له الرضا (عليه السلام) : ربّما كان عنباً حسناً يكون من الجنّة ، فقال له : كل منه ، فقال له الرضا (عليه السلام) : تعفيني عنه ، فقال : لا بدّ من ذلك ، وما يمنعك منه ؟ لعلّك تتّهمنا بشيء ! فتناول العنقود فأكل منه ، ثمّ ناوله فأكل منه الرضا (عليه السلام) ثلاث حبّات ، ثمّ رمى به وقام ، فقال المأمون : إلى أين ؟ فقال : إلى حيث وجّهتني ! وخرج مغطّى الرأس ، فلم أكلّمه حتّى دخل الدار ، فأمر أن يغلق الباب فغلق ،

ثمّ نام على فراشه ، ومكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً .

فبينا أنا كذلك إذ دخل عليَّ شابّ حسن الوجه ، قطط الشعر[1] ، أشبه الناس بالرضا

---

(١) رجل قطط الشعر : قصير الشعر جَعْدهُ .

(عليه السلام) ، فبادرت إليه وقلت له : من أين دخلت والباب مغلق ؟ فقال : الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق ، فقلت له : ومن أنت ؟ فقال لي : أنا حجّة الله عليك ، يا أبا الصلت أنا محمّد بن عليّ جئت أرى وأودّع أبي الغريب المظلوم ، ووالدي المعصوم المسموم، ثمّ مضى نحو أبيه (عليه السلام) فدخل وأمرني بالدخول معه ، فلمّا نظر إليه الرضا (عليه السلام) وثب إليه فعانقه وضمّه إلى صدره ، وقبّل ما بين عينيه ، ثمّ سحبه سحباً في فراشه ، وأكبّ عليه محمّد بن عليّ (عليهما السلام) يقبّله ويسارّه بشيء لم أفهمه ؛ ورأيت في شفتي الرضا (عليه السلام) زبداً أشدّ بياضاً من الثلج ، ورأيت أبا جعفر (عليه السلام) يلحسه بلسانه ، ثمّ أدخل يديه بين ثوبيه وصدره فاستخرج منه شيئاً شبيهاً بالعصفور فابتلعه أبو جعفر (عليه السلام) ، ومضى الرضا (عليه السلام) .

فقال أبو جعفر (عليه السلام) : قم يا أبا صلت ائتني بالمغتسل والماء من الخزانة فقلت : ما في الخزانة مغتسل ولا ماء ، فقال لي : ائتِ إليّ ما آمرك به ، فدخلت الخزانة فإذا فيها مغتسل وماء ، فأخرجته وشمّرت ثيابي لأغسّله معه ، فقال لي : تنحّ يا أبا الصلت فإنّ لي من يعينني غيرك ، فغسّله ؛ ثمّ قال لي : ادخل الخزانة فأخرج لي السفط الذي فيه كفنه وحنوطه ، فدخلت فإذا أنا بسفط لم أره في تلك الخزانة قطّ ، فحملته إليه ، فكفّنه وصلّى عليه ، ثمّ قال لي : ائتني بالتابوت ، فقلت : أمضي إلى النجّار حتّى يصلح التابوت ؟ قال : قم فإنّ في الخزانة تابوتاً ، فدخلت الخزانة فوجدت تابوتاً لم أره قطّ ، فأتيته به ، فأخذ الرضا (عليه السلام) بعدما صلّى عليه فوضعه في التابوت وصفّ قدميه ، وصلّى ركعتين لم يفرغ منهما حتّى علا التابوت ، فانشقّ السقف فخرج منه التابوت ومضى .

فقلت : يا بن رسول الله ، الساعة يجيئنا المأمون ويطالبنا بالرضا (عليه السلام) فما نصنع ؟ فقال لي : اسكت ، فإنّه سيعود يا أبا الصلت ، ما من نبيّ يموت بالمشرق ويموت وصيّه بالمغرب إلّا جمع الله تعالى بين أرواحهما وأجسادهما ، فما أتمّ الحديث حتّى انشقّ السقف ونزل التابوت ، فقام (عليه السلام) فاستخرج الرضا (عليه السلام) من التابوت ، ووضعه على فراشه كأنّه لم يغسّل ولم يكفّن .

ثمّ قال لي : يا أبا الصلت ، قم فافتح الباب للمأمون ففتحت الباب فإذا المأمون والغلمان بالباب ، فدخل باكياً حزيناً قد شقّ جيبه ، ولطم رأسه وهو يقول : يا سيّداه ! فجعت بك يا سيّدي ! ثمّ دخل وجلس عند رأسه وقال : خذوا في تجهيزه ، فأمر بحفر القبر ، فحفرت الموضع فظهر كلّ شيء على ما وصفه الرضا (عليه السلام) ، فقال له بعض جلسائه : ألست تزعم أنّه إمام ؟ قال : بلى ، قال : لا يكون الإمام إلّا مقدّم الناس ، فأمر أن يحفر له في القبلة ، فقلت : أمرني أن أحفر له سبع مراقٍ وأن أشقّ له ضريحة ، فقال :

انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصلت سوى الضريح ، ولكن يحفر له ويلحد !

فلمّا رأى ما ظهر من النداوة والحيتان وغير ذلك قال المأمون : لم يزل الرضا (عليه السلام) يرينا عجائبه في حياته حتّى أراناها بعد وفاته أيضاً ، فقال له وزير كان معه : أتدري ما أخبرك به الرضا (عليه السلام) ؟ قال : لا ، قال : إنّه أخبرك أنّ ملككم يا بني العبّاس مع كثرتكم وطول مدّتكم مثل هذه الحيتان ، حتّى إذا فنيت آجالكم ، وانقطعت آثاركم ، وذهبت دولتكم سلّط الله تعالى عليكم رجلاً منّا فأفناكم عن آخركم ؛ قال له : صدقت .

ثمّ قال لي المأمون : يا أبا الصلت ، علّمني الكلام الذي تكلّمت (حتى غيض الماء) ، قلت ؛ والله لقد نسيت الكلام من ساعتي ، وقد كنت صدقت ، فأمر بحبسي ودفن الرضا (عليه السلام) ، فحبست سنة ، فضاق عليّ الحبس ، وسهرت ليلة ودعوت الله بدعاء ذكرت فيه محمّداً وآله صلوات الله عليهم ، وسألت الله تعالى بحقّهم أن يفرّج عنّي ، فلم أستتمّ الدعاء حتّى دخل عليّ أبو جعفر محمّد بن عليّ (عليهما السلام) فقال لي : يا أبا الصلت ، ضاق صدرك ؟ فقلت : إي والله ، قال : قم ، فأخرجني ، ثمّ ضرب يده إلى القيود التي كانت ففكّها ، وأخذ بيدي وأخرجني من الدار والحرسة والغلمان يرونني ، فلم يستطيعوا أن يكلّموني ، وخرجت من باب الدار ، ثم قال لي : امض في ودائع الله ، فإنّك لن تصل إليه ولن يصل إليك أبداً .

قال أبو الصلت : فلم ألتق مع المأمون إلى هذا الوقت .

المأمون يدسّ السمّ للرضا (عليه السلام) في الرمّان :

وأيضاً روى ابن بابويه والشيخ المفيد بأسانيد مختلفة عن عليّ بن الحسين الكاتب أنّ الرضا (عليه السلام) حُمّ فعزم على الفصد ، وكان المأمون قد سبق وأوصى أحد غلمانه بأن يطيل أظفاره ، وفي رواية الشيخ المفيد أنّه عبد الله بن بشير ، ولم يطلع على هذا أحداً ، فلمّا عرف أن الإمام (عليه السلام) عازم على الفصد أخرج سمّاً يشبه التمر الهندي فأعطاه إلى غلامه وقال له : فتّ هذا بيدك ففتّه ، ثم قال له : كن معي ولا تغسل يدك ، وركب إلى الرضا (عليه السلام) وجلس حتى فصد بين يديه ، وفي رواية أخرى أنّه لم يدعه بل أخّر فصده .

وقال المأمون لذلك الغلام : هات من ذلك الرمّان ، وكان الرمّان في شجرة في بستان دار الرضا (عليه السلام) فقطف منه ، ثمّ قال : اجلس فَفُتّه ، ففتّ منه في جام ثمّ قال للرضا (عليه السلام) : مصّ منه شيئاً (فهو مفيد لما تشكو منه) ، فقال (عليه السلام) :

حتّى يخرج أمير المؤمنين ، فقال : لا والله إلاّ بحضرتي ، ولولا خوفي أن يرطّب معدتي لمصصته معك ، فمصّ منه ملاعق وخرج المأمون .

قال الراوي : فما صلّيت العصر حتّى قام الرضا (عليه السلام) خمسين مجلساً (وقد تساقطت أمعاؤه من هذا السمّ القاتل) ، فوجّه إليه المأمون : قد علمت أنّ هذه إفاقة وفتار للفصد !! وزاد الأمر في الليل ، فأصبح (عليه السلام) ميّتاً ، فكان آخر ما تكلّم به :

﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ ، ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ .

وبكّر المأمون من الغد ، فأمر بغسله وتكفينه ، ومشى خلف جنازته حافياً حاسراً يقول : يا أخي ، لقد ثلم الإسلام بموتك ، وغلب القدر تقديري فيك .

وذكر عن أبي الصلت الهرويّ أنّه قال : دخلت على الرضا (عليه السلام) وقد خرج المأمون من عنده ، فقال لي : يا أبا الصلت ، قد فعلوها ، وجعل يوحّد الله ويمجّده .

وذكر في (بصائر الدرجات) بسند صحيح أنّه (عليه السلام) قال في ذلك اليوم : رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الليلة في المنام فقال لي : يا عليّ ، اقدم إلينا فما عندنا أفضل ممّا أنت فيه .

الرضا (عليه السلام) يتفقّد حشمه ومواليه عند دنوّ أجله

روى ابن بابويه بسند حسن عن ياسر الخادم أنّه قال : لمّا كان بيننا وبين « طوس » سبعة منازل اعتلّ أبو الحسن (عليه السلام) ، فدخلنا « طوس » وقد اشتدّت به العلّة ، فبقينا بطوس أيّاماً ، فكان المأمون يأتيه في كلّ يوم مرّتين ، فلمّا كان في آخر يومه الذي قبض فيه كان ضعيفاً في ذلك اليوم ، فقال لي بعدما صلّى الظهر : يا ياسر ، أكل الناس شيئاً ؟ قلت : يا سيّدي ، من يأكل ههنا مع ما أنت فيه ؟ فانتصب (عليه السلام) ثمّ قال : هاتوا المائدة ، ولم يدع من حشمه أحداً إلاّ أقعده معه على المائدة يتفقّدهم واحداً واحداً ، فلمّا أكلوا قال : ابعثوا إلى النساء بالطعام ، فحمل الطعام إلى النساء .

فلمّا فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف ، فوقعت الصيحة ، وجاءت جواري المأمون ونساؤه حافيات حاسرات ، ووقعت الوجبة بطوس ، وجاء المأمون حافياً وحاسراً يضرب على رأسه ، ويقبض على لحيته ، ويتأسّف ويبكي وتسيل الدموع على خدّيه ، فوقف على الرضا (عليه السلام) وقد أفاق ، فقال : يا سيّدي ، والله ما أدري أيّ المصيبتين أعظم عليّ : فقدي لك وفراقي إيّاك ، أو تهمة الناس لي أنّي اغتلتك وقتلتك !

قال : فرفع طرفه إليه ، ثمّ قال : أحسن معاشرة أبي جعفر فإن عمرك وعمره هكذا ، وجمع بين سبّابتيه .

قال : فلمّا كان من تلك الليلة قضى (عليه السلام) بعدما ذهب من الليل بعضه ، فلمّا أصبح اجتمع الخلق وقالوا : هذا قتله واغتاله ، يعني المأمون ، وقالوا : قتل ابن رسول الله ، وأكثروا القول والجلبة ، فدعا المأمون محمّد بن جعفر عمّ الرضا (عليه السلام) فقال له : يا أبا جعفر ، أخرج إلى الناس وأعلمهم أنّ أبا الحسن لا يخرج اليوم ، وكره أن يخرجه فتقع الفتنة ، فخرج محمّد بن جعفر إلى الناس فقال : أيّها الناس ، تفرّقوا فإنّ أبا الحسن لا يخرج اليوم ، فتفرّق الناس ؛ وغسّل أبو الحسن في الليل ، ودفن .

وذكر الشيخ المفيد أنّه لمّا توفّي الرضا (عليه السلام) كتم المأمون موته يوماً وليلة ، ثم أنفذ إلى محمّد بن جعفر وجماعة آل أبي طالب الذين كانوا عنده ، فلمّا حضروه نعاه إليهم وبكى ، وأظهر حزناً شديداً وتوجّع ، وأراهم إيّاه صحيح الجسد ، وقال : يعزّ عليّ يا أخي أن أراك في هذه الحال ، قد كنت أؤمّل أن أقدم قبلك ، فأبى الله إلّا ما أراد .

إخباره (عليه السلام) هرثمة بن أعين بكيفيّة شهادته

روى ابن بابويه بسند معتبر عن هرثمة بن أعين أنّه قال : كنت ليلة بين يدي المأمون حتّى مضى من الليل أربع ساعات ، ثمّ أذن لي في الانصراف فانصرفت ، فلمّا مضى من الليل نصفه قرع قارع الباب ، فأجابه بعض غلماني ، فقال له : قل لهرثمة : أجب سيّدك .

قال : فقمت مسرعاً وأخذت عليّ أثوابي ، وأسرعت إلى سيّدي الرضا (عليه السلام) ، فدخل الغلام بين يديّ ودخلت وراءه ، فإذا أنا بسيّدي (عليه السلام) في صحن داره جالس ، فقال : يا هرثمة ، فقلت : لبّيك يا مولاي ، فقال لي : إجلس ، فجلست ، فقال لي :

اسمع وعِ يا هرثمة ، هذا أوان رحيلي إلى الله تعالى ولحوقي بجدّي وآبائي (عليهم السلام) ، وقد بلغ الكتاب أجله ، وقد عزم هذا الطاغي على سمّي في عنب ورمّان مفروك ، فأمّا العنب : فإنّه يغمس السلك في السمّ ويجذبه بالخيط في العنب ، وأمّا الرمّان : فإنّه يطرح السمّ في كفّ بعض غلمانه ، ويفرك الرمّان بيده ليلطّخ حبّه في ذلك السمّ ؛ وإنّه سيدعوني في اليوم المقبل ويقرّب إليّ الرمّان والعنب ويسألني أكلها ، فآكلها ، ثم ينفذ الحكم ويحضر القضاء .

فإذا أنا متّ فسيقول : أنا أغسّله بيدي ، فإذا قال ذلك فقل له عنّي بينك وبينه : إنّه قال لي : لا تتعرّض لغسلي ولا لتكفيني ولا لدفني ، فإنّك إن فعلت ذلك عاجلك من العذاب

ما أُخَر عنك ، وحلّ بك أليم ما تحذر ؛ فإنّه سينتهي .

قال : فقلت : نعم يا سيّدي ، قال : فإذا خلّى بينك وبين غسلي فسيجلس في علوّ من أبنيته مشرفاً على موضع غسلي لينظر ، فلا تَعَرَّضْ يا هرثمة لشيء من غلسي حتّى ترى فسطاطاً أبيض قد ضرب في جانب الدار ، فإذا رأيت ذلك فاحملني في أثوابي التي أنا فيها فضعني من وراء الفسطاط ، وقف من ورائه ، ويكون من معك دونك ، ولا تكشف عنّي الفسطاط حتّى لاتراني فتهلك .

وإنّه (المأمون) سيشرف عليك ويقول لك : يا هرثمة ، أليس زعمتم أنّ الإمام لا يغسّله إلاّ إمام مثله ، فمن يغسّل أبا الحسن عليّ بن موسى ، وابنُه محمّد بالمدينة من بلاد الحجاز ، ونحن بطوس ؟ فإذا قال ذلك فأجبه وقل له : إنّا نقول إنّ الإمام لا يجب أن يغسّله إلاّ إمام ، فإن تعدّى متعدّ وغسّل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدّي غاسله ، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غُلب على غسل أبيه ، ولو ترك أبو الحسن عليّ بن موسى بالمدينة لغسله ابنه محمّد ظاهراً مكشوفاً ، ولا يغسّله الآن أيضاً إلاّ هو من حيث يخفى .

فإذا ارتفع الفسطاط فسوف تراني مدرجاً في أكفاني ، فضعني على نعش واحملني ؛ فإذا أراد أن يحفر قبري فإنّه سيجعل قبر أبيه هارون الرشيد قبلة لقبري ، ولا يكون ذلك أبداً ، فإذا ضربت المعاول نبت عن الأرض ولم ينحفر منها شيء ، ولا مثل قلامة ظفر ، فإذا اجتهدوا في ذلك وصعب عليهم فقل له عنّي : إنّي أمرتك أن تضرب معولاً واحداً في قبلة قبر أبيه هارون الرشيد ، فإذا ضربت نفذ في الأرض إلى قبر محفور وضريح قائم .

فإذا انفرج ذلك القبر فلا تنزلني إليه حتّى يفور من ضريحه الماء الأبيض فيمتلىء منه ذلك القبر حتّى يصير الماء مع وجه الأرض ، ثمّ يضطرب فيه حوت بطوله ، فإذا اضطرب فلا تنزلني إلى القبر إلاّ إذا غاب الحوت وغار الماء ، فأنزلني في ذلك القبر وألحدني في ذلك الضريح ، ولا تتركهم يأتوا بتراب يلقونه عليّ ، فإنّ القبر ينطبق بنفسه ويمتلىء .

ثمّ قال لي : احفظ ما عهدت إليك واعمل به ، ولا تخالف ، قلت : أعوذ بالله أن أخالف لك أمراً يا سيّدي .

قال هرثمة : ثمّ خرجت باكياً حزيناً ، فلم أزل كالحبّة على المقلاة لا يعلم ما في نفسي إلاّ الله تعالى .

ثمّ دعاني المأمون فدخلت إليه ، فلم أزل قائماً إلى ضحى النهار ، ثمّ قال المأمون : امض يا هرثمة إلى أبي الحسن فأقرئه مني السلام وقل له : تصير إلينا أو نصير إليك ؟ فإن قال لك : بل نصير إليه فتسأله عنّي أن يقدّم ذلك .

قال : فجئته فإذا اطّلعت عليه قال لي : يا هرثمة ، أليس قد حفظت ما أوصيتك به ؟ قلت : بلى ، قال : قدّموا نعليّ فقد علمت ما أرسلك به ، فقدّمت نعله ومشى إليه ، فلمّا دخل المجلس قام إليه المأمون قائماً ، فعانقه وقبّل ما بين عينيه ، وأجلسه إلى جانبه على سريره ، وأقبل عليه يحادثه ساعة من النهار طويلة ، ثمّ قال لبعض غلمانه : يؤتى بعنب ورمّان .

قال هرثمة : فلمّا سمعت ذلك لم أستطع الصبر ، ورأيت النفضة قد عرضت في بدني ، فكرهت أن يتبيّن ذلك فيّ فتراجعت القهقرى حتّى خرجت ، فرميت نفسي في موضع من الدار .

فلمّا قرب زوال الشمس أحسست بسيّدي قد خرج من عنده ورجع إلى داره ، ثمّ رأيت الأمر قد خرج من عند المأمون بإحضار الأطبّاء والمترفّقين ، فقلت : ما هذه ؟ فقيل لي : علّة عرضت لأبي الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام) ، فكان الناس في شكّ وكنت على يقين لما أعرف منه .

قال : فلمّا كان من الثلث الثاني من الليل علا الصياح ، وسمعت الوجبة من الدار ، فأسرعت في من أسرع فإذا نحن بالمأمون مكشوف الرأس محلّل الأزرار ، قائماً على قدميه ينتحب ويبكي ، فوقفت في من وقفوا وأنا أتنفّس الصعداء .

ثمّ أصبحنا ، فجلس المأمون للتعزية ، ثمّ قام فمشى إلى الموضع الذي فيه سيّدنا (عليه السلام) ، فقال : أصلحوا لنا موضعاً فإنّي أريد أن أغسّله ، فدنوت منه فقلت له ما قاله سيّدي بسبب الغسل والتكفين والدفن ، فقال لي : لست أعرض لذلك ، ثمّ قال : شأنك يا هرثمة .

قال : فلم أزل قائماً حتّى رأيت الفسطاط قد ضرب ، فوقفت من ظاهره وكلّ من في الدار دوني ، وأنا أسمع التكبير والتهليل والتسبيح ، وتردّد الأواني ، وصبّ الماء ، وتضوّع الطيب الذي لم أشمّ أطيب منه ، فإذا بالمأمون قد أشرف عليّ من بعض علالي داره ، فصاح بي ، (وقال ما كان أخبرني به الإمام (عليه السلام) فأجبته بما أوصيت به) ، فسكت عنّي ، ثمّ ارتفع الفسطاط فإذا أنا بسيّدي (عليه السلام) مدرج في أكفانه ، فوضعته على نعشه ، ثمّ حملناه ، فصلّى عليه المأمون وجميع من حضر ، ثمّ جئنا إلى القبر فوجدتهم يضربون بالمعاول دون قبر هارون ليجعلوه قبلة لقبره ، والمعاول تنبو عنه لا تحفر ذرّة من تراب الأرض .

فقال لي : ويحك يا هرثمة ، أما ترى الأرض كيف تمتنع من حفر قبر له ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّه قد أمرني أن أضرب معولاً واحداً في قبلة قبر أبيك ، لا أضرب غيره ، فإن

أنا ضربت هذا المعول نفذ إلى قبر محفور غير يد تحفره ، وبان ضريح في وسطه ، فقال المأمون : سبحان الله ما أعجب هـذا الكلام ! ولا عجب من أمـر أبي الحسن ، فاضرب يـا هرثمـة حتّى نرى .

قال هرثمة : فأخـذت المعول بيـدي فضربت في قبلة قبر الـرشيد فنفـذ إلى قبر محفـور ، وبان ضريح في وسطه والناس ينظرون إليه ، فقال المأمون : أنزله إليه يـا هرثمـة ، فقلت : يا أمـير المؤمنين ، إنّ سيّـدي أمرني أن لا أنـزله إليـه حتّى ينفجر من أرض هـذا القبـر مـاء أبيض فيمتلىء منه القبر ، ثمّ يضطرب فيه حوت بطول القبر ، فإذا غاب الحوت وغار الماء وضعته على جانب قبره ، وخلّيت بينه وبين ملحده ، قال : فافعل يا هرثمة ما أمرت به .

قال هرثمة : فانتـظرت ظهور المـاء والحوت ، فـظهر ثمّ غـاب ، وغار المـاء ، فجعلت النعش إلى جانب قبره ، فغطّي قبره بثوب لم أبسطه ، ثمّ أنزله به إلى قبره بغير يدي ولا يد أحد ممّن حضر ، فأشار المأمون إلى الناس أهيلوا التراب عليه ، فقلت : لا تفعل يـا أمير المؤمنـين ، فقال ويحك فمن يملأه ؟ فقلت : قد أمرني أن لا يطرح عليه التراب ، وأخبرني أنّ القبر يمتـلىء من ذات نفسه ، ثمّ ينطبق ويتربّع على وجه الأرض ، فأشار المأمون إلى الناس أن كفّوا .

قال : فرموا ما في أيديهم من التراب ، ثمّ امتلأ القبر وانطبق وتربّع على وجـه الأرض ، فانصرف المأمون ، وانصرفت .

ودعاني المأمون وخلا بي ، ثمّ قـال : أسألـك بالله يـا هرثمـة لما صـدقتني عن أبي الحسن (عليه السلام) قدّس الله روحه بما سمعته منه ، فقلت : قد أخبرت أمير المؤمنين بما قـال لي ، فقال : بالله إلّا ما صدقتني عمّا أخبرك به غير الذي قلت لي .

قلت : يـا أمير المؤمنـين ، فعمّ تسألني ؟ فقـال : يا هـرثمة ، هـل أسرّ إليك شيئـاً غير هذا ؟ قلت : نعم ، قال : ما هو ؟ قلت : خبر العنب والرمّان ! فأقبل المأمون يتلوّن ألوانـاً ، يصفرّ مرّة ، ويحمّـر أخرى ، ويسـودّ أخرى ، ثم تمـدّد مغشياً عليـه ، فسمعته في غشيتـه وهو يهجر ويقول :

ويـل للمأمـون من الله ، ويل للمـأمون من رسـول الله (صلّى الله عليـه وآله) ، ويـل للمأمون من عليّ (عليه السلام) ، ويل للمأمون من فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ويـل للمـأمـون من الحسن والحسين (عليهما السلام) ، ويـل للمــأمـون من عـليّ بن الحسين (عليـه السلام) ، ويـل للمأمـون من محمّد بن عـليّ (عليـه السلام) ، ويـل للمـأمـون من جعفر بن محمّد (عليه السلام) ، ويل للمأمـون من موسى بن جعفـر (عليه السـلام) ، ويل للمأمون من علي بن موسى الـرضا (عليـه السلام)، هـذا والله هو الخسران المبين، يقول هـذا القول ويكرّره .

فلمّا رأيته قد أطال ذلك ولّيت عنـه وجلست في بعض نواحي الـدار ، فجلس ودعاني ، فـدخلت إليه وهـو جالس كـالسكران ، فقـال : والله ما أنت أعـزّ عليّ منـه ، ولا جميع من في الأرض والسماء ، لئن بلغني أنّك أعدت ممّا سمعت ورأيت شيئاً ليكوننّ هلاكك فيه .

فقلت : يـا أمير المؤمنـين ، إن ظهرت عـلى شيء من ذلك منّي فـأنت في حلّ من دمي ، قال : لا والله أو تعطيني عهداً وميثاقاً على كتمان هذا وترك إعادته ، فأخذ عليّ العهـد والميثاق ، وأكّده عليّ .

قال : فلمّا ولّيت عنه صفّق بيديه وقال :

﴿ يستخفـون من الناس ولا يستخفـون من الله وهو معهم إذ يبيّتـون مـا لا يـرضى من القول ، وكان الله بما يعملون محيطاً ﴾ .

ذكر القطب الراونديّ عن الحسن بن عبّاد ، وكان كاتب الرضـا (عليه السـلام) قال : دخلت عليه (عليه السلام) وقد عزم المأمون على المسير إلى بغداد فقال :

يا بن عبّاد ، ما ندخل العراق ولا نراه ، فبكيت وقلت : فآيستني أن آتي أهلي وولدي ، قال (عليه السلام) : أمّا أنت فستدخلها وإنّما عنيت نفسي .

فاعتلّ (عليه السلام) وتوفّي بقرية من قرى طوس ، وقد كـان تقدّم في وصيّتـه أن يحفر قبره ممّا يلي الحائط بينه وبين قبر هارون ثـلاث أذرع ـ وقد كـانوا حفـروا ذلك المـوضع لهـارون فكسرت المعاول والمساحي ، فتركوه وحفـروا حيث أمكن الحفر ـ وقـال : احفروا ذلـك المكان فإنّه سيلين عليكم ، وتجدون صورة سمكة من نحاس وعليهـا كتابـة بالعـبرانيّة ، فـإذا حفرتم لحدي فعمّقوه ، وردّوها ممّا يلي رجليّ .

فحفرنا ذلك المكان وكأنّ المحافر تقع في الـرمل الليّن، ووجـدنا السمكـة مكتوبـاً عليها بالعبرانيّة : « هذه روضة عليّ بن موسى ، وتلك حفرة هارون الجبّار » ، فرددناها ودفنّاهـا عند موضع قاله .

انتهى إلى هنا ما نقلناه عن كتاب (جلاء العيون) .

هذا ومن المناسب أن نشير إلى أمور ثلاثة :

الأوّل : أنّ الأشهر في تاريخ شهادة الـرضا (عليـه السـلام) شهـر صفر من سنـة ثلاث ومئتين ، عن خمس وخمسين عاماً من العمر ، غير أن هناك اختلافاً في تحديد يوم الـوفاة ، فـابن الأثير والطبرسيّ وبعض الآخرين يقولون إنّه اليوم الأخير من الشهر المذكور ، ويقول البعض : هـو الرابـع عشر منه ، وعن الكفعميّ : السـابـع عشر منـه ، أمّـا صـاحب كتـاب (العَـدَد)

وصاحب (مسار الشيعة) فيقولان : هو الثالث والعشرون من ذي القعـدة ، وهو اليـوم الذي تستحبّ فيه زيارته عن قرب وعن بعد .

وذكر السيد ابن طاووس في (الإقبال) ونقل الحميريّ عن الثقـة الجليل معمّـر بن خلّاد أنه قال :

قال لي أبو جعفر (عليه السلام) : يا معمّر اركب ، قلت : إلى أين ؟ قال : اركب كما يقـال لك ، قـال : فركبت فـانتهيت إلى وادٍ ، أو إلى وهدة فقـال لي : قف ههنـا ، فـوقفت ، فأتاني فقلت له : جعلت فداك ، أين كنت ؟ قال : دفنت أبي الساعة ؛ وكان بخراسان .

وذكر الشيخ الطوسيّ في (أعلام الورى) عن أميّة بن عليّ قال : كنت بـالمدينـة ، وكنت أختلف إلى أبي جعفر (عليه السلام) ، وأبو الحسن (عليـه السلام) بخـراسان ، وكـان أهل بيته وعمومة أبيه يأتونه ويسلّمون عليه ، فدعا يوماً الجاريـة فقال : قـولي لهم يتهيّأوا للمـأتم ، فلمّا تفرّقوا قالوا : هلا سألناه مأتم من ؟

فلمّا كـان من الغد فعـل مثل ذلـك ، فقالـوا : مـأتم من ؟ قـال : مـأتم خـير من عـلى ظهرها ، فأتانا خبر أبي الحسن (عليـه السلام) بعـد ذلك بـأيّام ، فـإذا هو قـد مات في ذلـك اليوم .

الثاني : أنّ العلماء لم يذكروا ولداً للإمام الـرضا (عليـه السلام) إلّا ابنـه الإمام محمّـداً التقي (عليه السلام) ، بل حصر البعض أولاده به (عليه السلام) ، ويقول الشيخ المفيـد : ومضى الـرضا (عليـه السلام) ولم يـترك ولداً إلّا ابنـه الإمـام بعـده أبـا جعفـر محمّـد بن عـليّ (عليهما السلام) ، وكانت سنّه يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهراً .

ويقول ابن شهر اشوب : كان للرضا (عليه السلام) من الولد ابنه أبـو جعفر محمّـد بن عليّ الجواد لا غير .

لكنّ العلّامة المجلسيّ ذكر في (بحار الأنوار) نقلاً عن (قرب الأسناد) أن البزنطيّ قال للرضا (عليه السلام) : منذ سنوات وأنا أسـألك عن الخليفـة بعدك فتقـول : ابني ، ولم يكن لك ولد ، وقد وهبك الله ولدين ، فأيّ ولديك هذين . . الخ .

وذكر ابن شهر اشوب في (المناقب) أن أصل مسجد زرد القائم بمرو هو أنّ الإمام الرضا (عليـه السـلام) صـلّى فيـه فبنـوه مسجـداً ، وقـد دفن فيـه فيـها بعـد ابن لـلإمـام الـرضـا (عليه السلام) ، أثرت عنه كرامات .

وأورد المجلسيّ (ره) في (البحـار) أيضاً في بـاب حسن الخلق رواية نقـلاً عن (عيـون

أخبار الرضا) ظاهرها أنّه كانت للرضا (عليه السلام) ابنة اسمها فاطمة روت الحديث عن أبيها ، والحديث هو :

عن فاطمة بنت الرضا ، عن أبيها ، عن أبيه جعفر بن محمّد عن أبيه وعمّه زيد ، عن أبيهما عليّ بن الحسين ، عن أبيه وعمّه ، عن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال : « من كفّ غضبه كفّ الله عنه عذابه ، ومن حسن خلقه بلّغه الله درجة الصائم القائم » .

ومسنداً عن فاطمة بنت عليّ بن موسى الرضا، عن أبيها الرضا ، عن آبائه ، عن عليّ (عليهم السلام) قال : « لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً»[١] .

وجاء أيضاً في كتب الأنساب أن الرضا (عليه السلام) كانت له ابنة اسمها فاطمة ، وهي زوجة محمّد بن جعفر بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كانت بنت أخي أبي هاشم الجعفريّ ، وهي أمّ الحسن بن محمّد بن جعفر بن القاسم ، وقد أورد الشبلنجيّ في (نور الأبصار) كرامة لهذه السيّدة ، وعلى من يطلبها الرجوع إليها هناك .

الثالث : إعلم أنّ الشعراء نظموا في رثاء الإمام الرضا (عليه السلام) قصائد كثيرة أوردها العلاّمة المجلسيّ (ره) في (البحار) باب : « ما أنشد من المراثي فيه (عليه السلام) » ، ونظراً لكونها قصائد بالعربية ، وكتابنا هذا فارسيّ[٢] ، فلا مجال لإيرادها هنا ، غير أنّنا نورد بعضها التماساً لليمن والبركة ؛ قال دعبل بن عليّ الخزاعي :

ألا ما لِعَين بالدموع استهلّت ... ولو نفدت[٣] ماء الشؤون لقلّت
على من بكته الأرض واسترجعت[٤] له ... رؤوس الجبال الشامخات وذلّت
وقد أعولت تبكي السماء لفقده ... وأنجمُها ناحت عليه وكلّت
فنحن عليه اليوم أجدر بالبكا ... لمَرْزِئةٍ عزّت علينا وجلّت
رزئنا رضيَّ الله سبط نبيّنا ... فأخلفت الدنيا له وتولّت
تجلّت مصيبات الزمان ولا أرى ... مصيبتنا بالمصطفَيْنَ تجلّت

(١) كما نقل المرحوم المؤلّف أيضاً في كتاب (السفينة) في باب الشين من كتاب (المسلسلات) خبراً عن تلك السيدة الجليلة في فضل الشيعة (المصحّح) .
(٢) الكتاب الذي بين يديك معرّب عن الفارسية .
(٣) ولو نفرت ماء . . .
(٤) واسترجفت له . . .

هذا ولدعبل بن عليّ قصائد كثيرة أنشدها في رثاء الرضا (عليه السلام) ، وقال محمّد بن حبيب الضبّيّ :

قبر بطوسٍ به أقام إمام ... حَتْمٌ إليه زيارة ولمام

قبر أقام به السلام وإذ غدا ... تُهدى إليه تحيّة وسلام

قبر سنا أنواره يجلو العمى ... وبِتُربِه قد تُدفع الأسقام

قبر إذا حلّ الوفود بربعه ... رحلوا وحُطت عنهمُ الآثام

وتزوّدوا أمن العقاب وأومنوا ... من أن يحلّ عليهم الإعدام

قبرٌ عليٍّ ابنُ موسى حَلّه ... بثراه يزهو الحِلّ والإحرام

من زاره في الله عارفَ حقّه ... فالمسّ منه على الجحيم حرام

واعلم أنّ ثواب زيارته (عليه السلام) أكثر من أن يذكر ، وقد اقتصرنا في كتابنا (مفاتيح الجنان) بإيراد بضع روايات في هذا الصدد ، وقد أشير إلى ذلك باختصار في بداية هذا الفصل ، وحيث لا يتسّع المقام للإطالة فقد زيّنا كتابنا ببعض الحكايات عمّا ظهر عن مشهده المقدّس من دلائل وكرامات وبركات .



الفصل السابع

كوكبة من أكابر أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام)

الأوّل : الشاعر الأوّل دعبل بن عليّ الخزاعيّ

ومقامه في الفضل والبلاغة والشعر والأدب يعلو عن الوصف ، وقد قال القاضي نور الله في (المجالس) : أحوال مبارك المصير هذا مذكورة بالتفصيل والإجمال في كتاب (كشف الغمّة) و(عيون أخبار الرضا) وسائر كتب الشيعة الإماميّة ، وأورد نقلاً عنه في (كشف الغمّة) قوله :

لمّا قلت « مدارس آيات » قصدت بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام) وهو بخراسان ، فوصلت المدينة وحضرت عنده وأنشدته إيّاها فاستحسنها ، وقال لي : لا تنشدها أحداً حتّى آمرك ؛ واتّصل خبري بالمأمون فأحضرني وسألني عن خبري ، ثم قال : يا دعبل ، أنشدني « مدارس آيات خلت من تلاوة » فأنكرت معرفتي بها فقال : يا غلام ، أحضر أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا ، فلم يكن ساعة حتّى حضر ؛ فقال له : يا أبا الحسن ، سألت دعبلاً عن « مدارس آيات » فذكر أنّه لا يعرفها ، فقال لي أبو الحسن : يا دعبل ، أنشدها ، فأخذت فيها فأنشدتها ، فاستحسنها وأمر لي بخمسين ألف درهم ، وأمر لي أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام) بقريب من ذلك ، فقلت : يا سيّدي ، إن رأيت أن تهبني شيئاً من ثيابك ليكون كفني ، فقال : نعم ، ثمّ دفع إليّ قميصاً قد ابتذله ومنشفة[1] لطيفة ، وقال لي : احفظ هذا تُحرس به .

ثمّ دفع إليّ ذو الرئاستين أبو العبّاس الفضل بن سهل وزير المأمون صلة ، وحملني على برذون مسرج .

---

(١) قال العلاّمة المجلسيّ : كأنّ المراد بالمنشفة : المنديل يُتمسح به .

وبعد مدّة كررت راجعاً إلى العراق ، فلمّا صرت في بعض الطرق خرج علينا بعض قطّاع الطريق فأخذوني ومن معي من الرفاق ، فبقيت في قميص خلق وأنا متأسّف من جميع ما كان معي على القميص والمنشفة ، أفكّر في قول سيّدي الرضا (عليه السلام) إذ مرّ بي واحد من قطّاع الطرق وتحته الفرس الذي حملني عليه ذو الرئاستين ، ووقف بالقرب منّي وهو ينشد : « مدارس آيات خلت من تلاوة » وهو يبكي .

فلمّا رأيت ذلك منه عجبت من لصّ يتشيّع ، ثمّ طمعت في القميص والمنشفة ، فقلت : يا سيّدي ، لمن هذه القصيدة ؟ فقال : ما أنت وذاك ويلك ! فقلت : لي فيه سبب أخبرك به ، فقال : هي أشهر بصاحبها من أن تجهل ، فقلت : من هو ؟ قال : دعبل بن عليّ شاعر آل محمّد جزاه الله خيراً ، فقلت : والله يا سيّدي أنا دعبل ، وهذه قصيدتي ، فقال : ويلك ، ما تقول ؟ قلت : الأمر أشهر من ذلك ، فأرسل إلى أهل القافلة فاستحضر منهم جماعة ، وسألهم عنّي فقالوا بأسرهم : هذا دعبل بن عليّ الخزاعيّ ، فقال : قد أطلقت كلّ ما أخذ من القافلة كرامة لك ، ثمّ نادى في أصحابه : من أخذ شيئاً فليردّه ، فرجع إلى الناس جميع ما أُخذ منهم ، ورجع إليّ جميع ما كان معي ، ثم بذرقنا[1] إلى المأمن ، فحرست أنا والقافلة ببركة القميص والمنشفة .

وجاء في كتاب (عيون أخبار الرضا) أنّه لمّا تخلّص دعبل من ورطته سار حتّى وصل إلى « قمّ » فسأله أهلها أن ينشدهم القصيدة ، فأمرهم أن يجتمعوا في المسجد الجامع ، وصعد المنبر وأنشدهم القصيدة ، فوصله الناس من المال والخلع بشيء كثير ، واتّصل بهم خبر الجبّة فسألوه أن يبيعها منهم بألف دينار فامتنع من ذلك ، فقالوا له : فبعنا شيئاً منها بألف دينار فأبى عليهم ، وسار عن « قمّ » .

فلمّا خرج من البلد لحق به قوم من أحداث العرب وأخذوا الجبّة منه ، فرجع إلى « قمّ » وسألهم ردّ الجبّة عليه ، فامتنع الأحداث في ذلك وعصوا المشايخ في أمرها ، وقالوا لدعبل : لا سبيل لك إلى الجبّة فخذ ثمنها ألف دينار ، فأبى عليهم ، فلمّا يئس من ردّهم الجبّة عليه سألهم أن يدفعوا إليه شيئاً منها ، فأجابوه إلى ذلك وأعطوه بعضها ، ودفعوا إليه ثمن باقيها ألف دينار .

وانصرف دعبل إلى وطنه فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله ، وكان الرضا (عليه السلام) قد وصله بصرّة فيها مئة دينار وقال له : احفظها فستحتاج إليها ، فأعطاها

---

(١) بذرق : خفَرَ .

دعبل لشيعة العراق فأعطوه مقابل كلّ دينار منها مئة درهم ، وهكذا عادت عليه تلك الصرّة بعشرة آلاف درهم .

وكانت له جارية لها من قلبه محلّ فرمدت رمداً عظيماً ، فأدخل أهل الطبّ عليها فنظروا إليها فقالوا : أمّا العين اليمنى فليس لنا فيها حيلة وقد ذهبت ، وأمّا اليسرى فنحن نعالجها ونجتهد، ونرجو أن تسلم، فاغتمّ دعبل لذلك غمّاً شديداً، وجزع عليها جزعاً عظيماً، ثمّ ذكر ما كان معه من فضلة الجبّة ، فمسحها على عيني الجارية ، وعصبها بعصابة منها من أوّل الليل فأصبحت وعيناها أصحّ ممّا كانتا قبلُ ببركة أبي الحسن الرضا (عليه السلام) .

يقول المؤلّف : إنّ صرّة الدنانير المئة التي وصل الرضا (عليه السلام) دعبلاً بها كانت من الدنانير الرضويّة التي سُكّت باسم الرضا (عليه السلام) ، ولهذا اشتراها الشيعة ديناراً بمئة درهم .

ونظراً لأن القاضي نور الله لم ينقل الرواية بكاملها من (عيون أخبار الرضا) بل نقل بدايتها من (كشف الغمّة) فلا غرو أنّ ذكر الجبّة والدنانير المئة جاء مجملاً ، وأشير هنا إلى بداية الرواية وفقاً لما جاء في (العيون) :

ذكر الشيخ الصدوق بسند معتبر أن دعبل بن عليّ الخزاعي (ره) دخل على عليّ بن موسى الرضا (عليهما السلام) بمرو فقال له : يا بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، إنّي قد قلت فيك قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك ، فقال (عليه السلام) : هاتها ، فأنشده ، فلمّا بلغ إلى قوله :

أرى فيأهم في غيرهم متقسّماً وأيديهُمُ من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن الرضا (عليه السلام) وقال له : صدقت يا خزاعيّ ، فلمّا بلغ إلى قوله :

إذا وُتروا مدّوا إلى واتريهمُ أكفّاً عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن (عليه السلام) يقلّب كفّيه ويقول : أجل والله منقبضات فلمّا بلغ إلى قوله :

لقد خفت في الدنيا وأيّام سعيها وإنّي لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الرضا (عليه السلام) : آمنك الله يوم الفزع الأكبر ، فلمّا انتهى إلى قوله :

وقبر ببغدادٍ لنفس زكيّة تضمّنها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا (عليه السلام) : أفلا أُلحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك ؟ فقال : بلى يا بن رسول الله ، فقال (عليه السلام) :

وقبر بطوس يا لها من مصيبة تَوقّد في الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً يفرّج عنّا الهمّ والكربات

فقال دعبل : يا بن رسول الله ، هذا القبر الذي بطوس قبر من هو ؟ فقال الرضا (عليه السلام) : قبري ، ولا تنقضي الأيّام والليالي حتّى تصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري ، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له .

ثمّ نهض الرضا (عليه السلام) بعد فراغ دعبل من إنشاد القصيدة ، وأمره أن لا يبرح من موضعه ، فدخل الدار ، فلمّا كان بعد ساعة خرج الخادم إليه بمئة دينار رضويّة ، فقال له : يقول لك مولاي : اجعلها في نفقتك ، فقال دعبل ؛ والله ما لهذا جئت ، ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شيء يصل إليّ ، وردّ الصرّة ، وسأل ثوباً من ثياب الرضا (عليه السلام) ليتبرّك ويتشرّف به ، فأنفذ إليه الرضا (عليه السلام) جبّة خزّ مع الصرّة ، وقال للخادم : قل له : خذ هذه الصرّة فإنّك ستحتاج إليها ، ولا تراجعني فيها .

فأخذ دعبل الصرّة والجبّة وانصرف ، وسار من « مرو » في قافلة ، فلمّا بلغ وسط قوهان[١] وقع عليهم اللصوص فأخذوا القافلة بأسرها ، وكتّفوا أهلها ، وكان دعبل فيمن كتّف ، وملك اللصوص القافلة وجعلوا يقسّمونها بينهم ، فقال رجل من القوم متمثّلاً بقول دعبل في قصيدته :

أرى فيأهم في غيرهم متقسّماً وأيديهم من فيئهم صفرات

فسمعه دعبل فقال له : لمن هذا البيت ؟ فقال : لرجل من خزاعة يقال له دعبل بن عليّ ، قال : فأنا دعبل قائل هذه القصيدة التي منها هذا البيت ، فوثب الرجل إلى رئيسهم وكان يصلّي على رأس تلّ ، وكان من الشيعة ، فأخبره ، فجاء بنفسه حتّى وقف على دعبل ، وقال له : أنت دعبل ؟ فقال : نعم ، فقال له ؛ أنشدني القصيدة ، فأنشدها ، فحلّ كتافه وكتاف جميع أهل القافلة ، وردّ إليهم جميع ما أخذ منهم لكرامة دعبل .

كانت ولادة دعبل في السنة التي توفّي فيها الإمام الصادق (عليه السلام) ، وكانت وفاته بـ« شوش » سنة ست وأربعين ومئتين .

ذكر أبو الفرج في (الأغاني) أنّ دعبل بن عليّ من الشيعة المشهورين بالميل إلى عليّ

(١) قوهان : ناحية بين هرات ونيسابور.

(عليه السلام) وقصيدته : « مدارس آيات » من أحسن الشعر ، وهي تقابل في الفخر كلّ ما قيل من مدائح في أهل البيت (عليهم السلام) ، ثمّ أورد أبو الفرج قصّة ورود دعبل على الإمام الرضا (عليه السلام) وصلته له بثلاثين ألف درهم رضويّ ، وخلعته عليه بثوب من أثوابه ، كما ذكر أنّ دعبلاً كتب قصيدة : « مدارس آيات » على ثوب وأحرم فيه وأمر بأن يكون في أكفانه .

كان دعبل دائم الخوف من خلفاء زمانه ، وكان يفرّ ويتخفّى لما قاله في هجائهم ، وكان مرهوب اللسان ، ويحكى عنه أنّه قال :

حين كنت فارّاً من الخليفة بتّ ليلة في نيسابور وحيداً ، وقد عزمت على قول قصيدة في عبد الله بن الطاهر في تلك الليلة ، وكنت أفكّر بها فإذا بصوت أسمعه فوق رأسي ـ وكنت قد أقفلت الباب ـ يقول : السلام عليكم ، ألِجُ يرحمك الله ؟ فأخذتني الرجفة ، وعرضت لي حال من الرعب الشديد ، فقال لي صاحب الصوت : لا تخفْ عافاك الله ، إنّي رجل من إخوتك من الجنّ ، ومن ساكني اليمن ، وقد ورد علينا وارد من أهل العراق وأنشدنا قصيدتك : « مدارس آيات » ، فأحببت أن أسمعها منك .

يقول دعبل : فأنشدته القصيدة فبكى حتّى جرى دمعه إلى الأرض ، ثمّ قال : رحمك الله ، ألا أحدّثك حديثاً يزيد في نيّتك ، ويكون عوناً لك في التمسّك بمذهبك ؟ قلت : بلى حدّثني ، قال : طالما كنت أسمع بذكر جعفر بن محمّد (عليهما السلام) ، ثم قصدته إلى المدينة فسمعته يقول : حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : « عليّ وشيعته هم الفائزون » ، ثم ودّعني وأراد أن يمضي فقلت له : رحمك الله ، أخبرني باسمك ، قال : أنا ظبيان بن عامر . انتهى .

الثاني : الحسن بن عليّ بن زياد الوشّاء البجليّ الكوفيّ

من وجوه الطائفة ، ومن أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) ، وهو ابن ابنة إلياس الصيرفيّ الذي كان من شيوخ أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) ، وقد روى عن جدّه إلياس أنّه قال وهو يحتضر : اشهدوا ، وليست هذه الساعة ساعة كذب ، لقد سمعت الصادق (عليه السلام) قال : والله لا يموت عبد يحبّ الله والرسول والأئمّة عليهم السلام فتمسّه النار ، أعاد هذا القول مرّتين أو ثلاثاً دون أن يُسأل .

وروى الشيخ الطوسيّ عن أحمد بن محمّد بن عيسى بن القمّيّ (ره) قال : رحلت في طلب الحديث إلى الكوفة ، فلقيت هناك الحسن بن عليّ الوشّاء ، فسألته أن يحضر لي كتابَي العلاء بن رزين وأبان بن عثمان ، فلمّا أحضرهما قلت له : أحبّ أن تجيزني في رواية هذين

الكتابين ، فقال : رحمك الله ما أعجلك ، اذهب فاكتب عنهما ، ثم استمع ، قلت : لست أميناً من حوادث الأيّام ، قال : لو كنت أعرف أن للحديث طالباً مثلك إذاً لأخذت الكثير من الحديث ، فقد أدركت في هذا المسجد تسعمئة من المشايخ كلّ منهم يقول : حدّثني جعفر بن محمّد .

يقول المؤلّف : يعرف من هذه الرواية كم كان طلب أهل قمّ للحديث قوياً من قبل ، حتّى أنهم كانوا يشدّون الرحال في طلبه من قمّ حتّى الكوفة ، كما يعرف اعتمادهم على الأصول ، فلا يروون الحديث دون إجازة من المشايخ ، أو دون السماع منهم .

وإجمالاً فهو من مشايخ الإجازة ، ويروي عنه الأجلّاء من أصحاب الأئمّة ، وإذا كان قد بدر منه عسر في وقفه على الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) فقد تداركه برجوعه إلى الإمام الرضا (عليه السلام) وقوله بإمامته والحجّة بعده .

وذكر ابن شهر اشوب عنه في (المناقب) قوله : كتبت مسائل كثيرة في كتاب وأحببت أن أتثبّت من أمر أبي الحسن الرضا (عليه السلام) وأختبره ، فلمّا كان الصبح صرت إلى منزله ، وكان بالباب جماعة جلوس فلم أقدر على الوصول إلى بابه ، فإذا أنا بغلام قد خرج من الدار في يده كتاب ، فنادى : أيّكم الحسن بن عليّ الوشّاء ابن ابنة إلياس البغداديّ ؟ فقلت : أنا الحسن بن عليّ الوشّاء ، فدفع إليّ كتاباً وقال : هذا جواب ما معك من المسائل ، فأخذته فقرأته فإذا والله فيه جواب مسألة مسألة ، فعند ذلك قطعت وتركت الوقف .

الثالث : الحسن بن عليّ بن فضّال التيْمُليّ الكوفيّ وكنيته أبو محمّد

قال القاضي نور الله في (المجالس) : إنّه أدرك الإمام موسى (عليه السلام) ، وهو من رواة الإمام الرضا (عليه السلام) ، وكان من خاصّته ، جليل القدر عظيم المنزلة ، كان زاهداً ورعاً ثقة في رواياته .

وجاء في كتاب النجاشيّ عن الفضل بن شاذان أنّه قال : كنت أدرس عند بعض القرّاء في أحد المساجد فرأيت قوماً يتحدّثون ، فقال أحدهم : في الجبل رجل يقال له ابن فضّال ، وهو أعبد من رأيت من الناس ، يخرج إلى الفلاة ويخرّ ساجداً فتجتمع عليه طيور الفلاة ، ويقع على الأرض غائباً عن نفسه حتّى ليظنّ من يراه من بعيد أنّه ثوب أو خرقة مرميّة ، ووحوش الفلاة ترتع حوله فلا تنفر منه لما تحسّ به عنده من غاية الأنس .

قال الفضل بن شاذان : بعد هذا الحديث خيّل إليّ أن هذه حال رجل من الزمان الماضي ، ولم يمض على سماعي له سوى القليل حين رأيت شيخاً حسن الصورة طيّب الشمائل عليه ثوب ورداء برسيّان ، وفي قدميه نعلان خضراوان ، يخرج من الباب ويسلّم على والدي

الذي كنت جالساً معه ، فوقف أبي احتراماً له وأفسح له مكاناً وأكرمه ، فلمّا مضى بعد قليل قلت لوالدي : من يكون هذا الشيخ : قال : هو الحسن بن عليّ بن فضّال ، قلت : العابد الفاضل المشهور ؟ قال : هو بعينه ، قلت : أليس من يقولون : إنّه في الجبل ؟ قال : هو كذلك ، قلت أيضاً : أليس يكون في الجبل على الدوام ؟ قال : كم أنت قليل العقل ، أفلا يستطيع القدوم من هناك في هذه الأيام ؟

قال : ثمّ قصصت على أبي ما سمعته من أهل المسجد في حقّ الحسن ، فقال : ما سمعته صحيح ، وهذا الحسن هو نفسه .

قدم الحسن إلى أبي مرّة ، فذهبت إليه واستمعت منه إلى كتاب ابن بكير وغيره من كتب الأحاديث ، وكثيراً ما كان يحضر كتابه إلى حجرتي ويقرأه عليّ ، وفي السنة التي حجّ فيها الطاهر بن الحسين الخزاعي أحد قادة المأمون ، وعند رجوعه إلى الكوفة ، ذكرت عنده فضائل الحسن ، بعث برسول إلى الحسن يعتذر منه لعدم تمكّنه من المثول عنده ، ويلتمس منه الحضور إليه ، فامتنع الحسن من الذهاب إليه ، ولّما كان أصحابه يحثّونه على لقاء الطاهر كان يأبى ويقول : إنّي لا أناسبه ، وأعلم أنّه مستغنٍ عن القدوم إلى منزلي من جهة تديّنه .

كان مصلّاه في جامع الكوفة عند أسطوانة يقال لها : السابعة ، وأسطوانة إبراهيم (عليه السلام) ، وكان عمره كلّه يقول بإمامة عبد الله الأفطح ، لكنه في مرضه الذي توفّي فيه رأى واقعة رجع بسببها عن تلك العقيدة إلى الحقّ ، رحمه الله تعالى .

كانت وفاة الحسن سنة أربع وعشرين ومئتين ، ومن مصنّفاته كتاب (الزيارات والبشارات) وكتاب (النوادر) وكتاب (الردّ على الغلاة) وكتاب في المتعة ، وكتاب في الناسخ والمنسوخ وكتاب (الملاحم) وكتاب (الصلاة) وكتاب (الرجال) . انتهى .

الرابع : الحسن بن محبوب السرّاد ، ويقال : الزرّاد أبو عليّ البجليّ الكوفيّ

ثقة جليل القدر من الأركان الأربعة في عصره ، ومن أصحاب الإجماع ، له كتب كثيرة منها كتاب (المشيخة) وكتاب (الحدود والديات والفرائض والنكاح والطلاق) وكتاب (النوادر) ويقرب من ألف ورقة ، وكتاب (التفسير) وغيرها ، يروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) ، وروى عن ستّين نفراً من أصحاب الصادق (عليه السلام) .

رُوي عن مبلغ اهتمام محبوب أبي الحسن بتربيته أنّه ـ حثّاً له على أخذ الحديث ـ جعل له على كلّ حديث يسمعه ويكتبه عن عليّ بن رئاب درهماً ، وعليّ بن رئاب هذا من ثقاة علماء شيعة الكوفة وأجلّائهم ، ويروي عن الصادق والكاظم عليهما السلام ، وكان أخوه يمان بن

رئاب من زعماء الخوارج ، وكان هذان الأخوان يلتقيان كلّ سنة ثلاثة أيّام فيتناظران ثم يفترقان دون كلام ، بل حتّى دون سلام .

ذكر الشيخ الكشّي عن عليّ بن محمّد القتيبي ، عن جعفر بن محمّد بن الحسن بن محبوب أنّه قال : نسب جدّي الحسن بن محبوب هو :

الحسن بن محبوب بن وهب بن جعفر بن وهب ، ووهب هذا كان عبداً سنديّاً مملوكاً لجرير بن عبد الله البجليّ ، وكان زرّاداً يصنع الدروع ، وقد تشرّف بلقاء أمير المؤمنين (عليه السلام) والتمس منه أن يشتريه من جرير ، ولمّا كان جرير يكره التخلّي عنه فقد قال : هذا الغلام حرّ وقد أعتقته ، فلمّا تأكّد من عتقه اختار خدمة أمير المؤمنين (عليه السلام) .

توفّي الحسن بن محبوب في أواخر سنة أربع وعشرين ومئتين عن خمسة وستّين عاماً .

أقول : نظراً لأنّ وهب جدّ الحسن كان زرّاداً فقد كان يقال له : الحسن الزرّاد ، حتى قال الرضا (عليه السلام) للبزنطيّ : لا تدْعُ الحسن بن محبوب بالزرّاد ، بل قل : السرّاد ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **وقدِّرْ في السرد** ﴾ ، ونهيه (عليه السلام) عن قول « زرّاد » بقول « سرّاد » لا لعيب في الأولى ، إذ معناهما واحد ، بل جلباً للاهتمام بالقرآن المجيد ، وترغيباً بالاستشهاد بكلامه ، إذ هو من كلام الله عزّ وجلّ ، كما روي في أحواله (عليه السلام) أن أحاديثه وأجوبته وما يماثلها مما يأتي به ، كلّه منتزع من القرآن المجيد .

الخامس : زكريّا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعريّ القمّيّ

ثقة جليل القدر ، كان ذا منزلة عند الرضا (عليه السلام) ، وقد ذكر الشيخ الكشّي عن زكريّا بن آدم أنّه قال : قلت للإمام الرضا (عليه السلام) : إنّي أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء بينهم ، فقال (عليه السلام) : لا تفعل ، فإنّ أهل قمّ يُدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن (عليه السلام) .

وروي عن عليّ بن المسيّب الهمدانيّ من ثقاة أصحاب الرضا (عليه السلام) أنّه قال : قلت للرضا (عليه السلام) : شقّتي بعيدة ، ولست أصل إليك في كلّ وقت ، فعمّن آخذ معالم ديني ؟ فقال : عن زكريّا بن آدم المأمون على الدين والدنيا .

هذا وممّا فاز به زكريّا ابن آدم زمالته للإمام الرضا (عليه السلام) في إحدى السنين من المدينة إلى مكّة للحجّ ، والمراد ظاهراً أنّه كان زميله في مركبه (عليه السلام) .

وذكر العلاّمة المجلسيّ نقلاً عن (تاريخ قمّ) أنّه قال في مدح أهل قمّ : أكثر أهل قمّ من الأشعريّين ، وقد دعا النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لهم بالغفران فقال : « اللهمّ اغفر

للأشعريّين صغيرهم وكبيرهم » ، وقال أيضاً : « الأشعريّون منّي وأنا منهم » .

ومن مفاخرهم أنّ أوّل من أظهر التشيّع بقمّ : موسى بن عبد الله بن سعيد الأشعريّ ، كما أنّ من مفاخرهم أن الرضا (عليه السلام) قال لزكريّا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري : « إنّ أهل قمّ يُدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن (عليه السلام) » ؛ ومنها : أنهم وقفوا المزارع والأملاك الكثيرة على الأئمّة (عليهم السلام) ، وكانوا أوّل من بعث لهم بالخمس ، وأنّ الأئمّة (عليهم السلام) أكرموا كثيراً منهم بالهدايا والتّحف والأكفان ، ومنهم : أبو جرير زكريّا بن إدريس ، وزكريّا بن آدم ، وعيسى بن عبد الله بن سعد وغيرهم . انتهى .

وروى الشيخ الكشّي بسند معتبر عن زكريّا بن آدم أنّه قال : دخلت على الرضا (عليه السلام) من أوّل الليل في حدثان لما مات أبو جوير رحمه الله ، فسألني عنه وترحّم عليه ، ولم يزل يحدّثني وأحدّثه حتّى طلع الفجر ، ثمّ قام (عليه السلام) وصلّى صلاة الفجر .

يقول المؤلّف : ظاهر هذه الرواية أنّ بقاءه (عليه السلام) مستيقظاً حتّى الفجر وهو يحادث زكريّا بن آدم ، يوجب أنّ هذا الحديث يشتمل على أمور عظيمة الأهمّيّة ، وهي ليست سوى المذاكرة بالعلوم والأسرار ، كما في حال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مع سلمان رضي الله تعالى عنه ، فقد روي ما يقرب من هذا :

روى ابن أبي الحديد عن (الاستيعاب) قال : قد روينا عن عائشة قالت : كان لسلمان رضي الله تعالى عنه مجلس من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يتفرّد به في الليل حتّى كان يغلبنا على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

بل يتحصّل من ظاهر الرواية أنّ الرضا (عليه السلام) لم يشغل ليلته تلك بالنوافل ، وهذا لم يكن إلّا لانشغاله بأمر يفضلها ألا وهو المذاكرة بالعلم .

قال الشيخ الصدوق في مجلسه الذي أملى فيه على المشايخ وصف دين الإماميّة : ومن أحيى ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان بمذاكرة العلم فهو أفضل .

هذا وإنّ قبره يقوم في وسط مقبرة قمّ في المحوّطة المعروفة بالشيخان الكبير ، وهو معروف ، ويقوم في جواره قبر ابن عمّه زكريّا بن إدريس بن عبد الله بن سعد الأشعريّ القمّيّ المعروف بأبي جُرَيْر ، ومن أصحاب الصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام) ، وكان ذا منزلة عند الرضا (عليه السلام) ، وفي جواره أيضاً دفن آدم بن إسحاق بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعريّ ، ابن أخي زكريّا بن آدم ، وهو ثقة جليل يعدّ في أصحاب الجواد (عليه السلام) ، ويعدّ زكريّا بن آدم ، في أصحاب الرضا والجواد (عليهما السلام) .

السادس : صفوان بن يحيى أبو محمّد البجليّ الكوفيّ بيّاع السابريّ

ثقة جليل وعابد زاهد ، ورع نبيل فقيه مسلّم ، كان ذا منزلة عند الرضا صلوات الله وسلامه عليه ، وجلالة شأنه تفوق الوصف .

قال صاحب (مجالس المؤمنين) : جاء في (الخلاصة) وكتاب ابن داود : أنّه كان أوثق أهل زمانه عند أصحاب الحديث وغيرهم ، وكان من رواة الرضا والجواد (عليهما السلام) ووكيلهما ، وكان أبوه من رواة الصادق (عليه السلام) ، وكانت له عنده منزلة عظيمة .

وجاء في كتاب (الفهرست) للنجاشيّ : صفوان ثقة عين ، وقال أبو عمرو الكشيّ : أجمع أصحابنا على تصحيح كلّ ما رواه صفوان ، وعلمه بالفقه مسلّم عندهم ، وكان صفوان قد اشترك في التجارة مع عبد الله بن جندب وعليّ بن النعمان ، وكانا من المؤمنين ، وكان كلّ منهم يصلّي في كلّ يوم إحدى وخمسين ركعة ، وقد تعاقدوا جميعاً في البيت الحرام إن مات منهم واحد صلى من بقي منهم صلاته ، وصام عنه ما دام حيّاً ، فمات صاحباه وبقي صفوان بعدهم فكان يفي لهما بذلك ، يصلّي كلّ يوم مئة وثلاثاً وخمسين ركعة ، ويصوم ثلاثة أشهر في السنة ، ويخرج زكاة ماله ثلاثة أمثال ، وكلّ شيء يفعله لنفسه من البرّ والإصلاح كان يفعله لصاحبيه ويهديه لروحيهما .

وقد بلغ من ورعه أنه اكترى بعيراً في سفرٍ له إلى الكوفة ، فطلب منه بعض جيرانه أن يحمل له إلى منزله دينارين يعطيهما لأهله ، فلم يفعل حتّى سأل الجمّال الإذن في حملهما انتهى .

يقول المؤلّف : لقد اقتدى بهذا الرجل الكبير الشيخ الأجلّ العالم الربّانيّ والمحقّق الصمدانيّ المرحوم الملاّ أحمد الأردبيليّ النجفيّ ، الذي بلغ في الورع والتقوى والزهد والقداسة والفضل الغاية القصوى ، حتّى أنّ العلاّمة المجلسيّ (ره) قال : لم أسمع بمن يماثله في المتقدّمين والمتأخّرين ، جمع الله بيننا وبين الأئمّة الطاهرين ؛ فقد روي أنّه في سفر من أسفاره من « الكاظمين » إلى النجف الأشرف اكترى راحلة لركوبه ولم يكن صاحبها معه ، ولما أراد التحرّك أعطاه أحد أهل بغداد رسالة ليوصلها معه إلى النجف ، فأخذ هذا الرجل الكبير الرسالة لكنّه توجّه إلى النجف ماشياً دون أن يركب تلك الراحلة ، وقال : لم أستأذن المكاريّ بحمل تلك الرسالة .

أقول : هذه الحكاية إذ تدلّ على شدّة احتياط المحقّق المذكور وعلى كثرة ورعه فإنّها تدلّ أيضاً على اهتمامه بقضاء حاجة أخيه في الدين ، ذلك أنه كان بمقدوره الاعتذار عن قبول تلك الرسالة ، لكنّه لم يشأ أن تفوته هذه الفضيلة ، ويروى عن الصادق (عليه السلام) قوله :

قضاء حاجة رجل مؤمن أفضل من حجّة وحجّة وحجّة ، حتّى بلغ عشراً ؛ وروي أن العابد في بني إسرائيل كان إذا بلغ الغاية في عبادته اختار من عباداته كلها السعي في حاجات الناس .

وإجمالاً ، فقد نقل عن معمّر بن خلّاد عن أبي الحسن (عليه السلام) أنّه قال :

« ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرّق رعاؤها بأضرّ في دين المسلم من الرئاسة » .

ثم قال بعد ذلك : لكنّ صفوان لا يحبّ الرئاسة .

وقال الشيخ الطوسيّ : إنّ صفوان من أربعين نفراً من أصحاب الصادق (عليه السلام) ، روى الحديث وصنّف كتباً كثيرة مثل كتب الحسين بن سعيد ، وله مسائل عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) ؛ وذكر الشيخ الكشّي أنّ صفوان بن يحيى توفّي بالمدينة المشرّفة سنة عشر ومئتين ، وأنّ الإمام محمّد التقيّ (عليه السلام) بعث بحنوطه وكفنه ، وأمر إسماعيل بن موسى (عليه السلام) بالصلاة عليه .

السابع : محمّد بن إسماعيل بن بَزيع أبو جعفر مولى المنصور العبّاسيّ

ثقة وصالح من صلحاء الطائفة الإماميّة ومن ثقاتها ، كثير الجلالة ، ومن أصحاب أبي الحسن موسى والرضا (عليهما السلام) ، وقد أدرك الجواد (عليه السلام) ، ويروى أنه كان مع أحمد بن حمزة بن بزيع في عداد الوزراء ، وقد أوصى الثقة جليل القدر عليّ بن النعمان ـ وكان من أصحاب الرضا (عليه السلام) ـ بإعطاء كتبه إلى محمّد بن إسماعيل بن بزيع .

وروى الكشّيّ أنّ الرضا (عليه السلام) قال : إنّ لله تبارك وتعالى بأبواب الظالمين من نوّر الله به البرهان ، ومكّن له في البلاد ، ليدفع بهم عن أوليائه ، ويصلح الله به أمور المسلمين لأنّهم ملجأ المؤمنين من الضرر ، وإليهم يفزع ذو الحاجة من شيعتنا ، بهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظَلَمة ، أولئك هم المؤمنون حقّاً ؛ إلى أن قال (عليه السلام) : ما على أحدكم أن لو شاء لنال هذا كلّه ؟ قال : قلت : بماذا جعلني الله فداك ؟ قال : يكون معهم فيسرّنا بإدخال السرور على المؤمنين من شيعتنا ، فكن منهم يا محمّد .

ومحمّد هذا هو من التمس من الجواد (عليه السلام) أن يهبه قميصاً يكون له كفناً ، فبعث به إليه بعد أن أمر بنزع أزراره ، وتوفّي محمّد في « فَيْد » وهو منزل في الطريق إلى مكّة .

وروى الشيخ الثقة الجليل ابن قولويه بسند صحيح عن محمّد بن أحمد بن يحيى الأشعريّ أنّه قال : أتيت مع عليّ بن بلال إلى قبر محمّد بن إسماعيل بن بزيع بفيد ، فقال لي عليّ بن هلال : إنّ صاحب هذا القبر روى لي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال : من جاء قبر أخيه المؤمن فوضع يده على القبر وقرأ سبع مرّات سورة « إنّا أنزلناه » كان آمناً يوم الفزع الأكبر .

وبرواية أخرى ، قال الراوي : أتيت مع عليّ بن بلال قبر ابن بزيع محمّد ، فجلس عند رأس القبر مستقبلاً القبلة ، وجعل القبر أمامه وقال : أخبرني صاحب هذا القبر أنه سمع الجواد (عليه السلام) يقول : من زار قبر أخيه المؤمن وجلس عند قبره مستقبلاً القبلة ، فوضع يده على القبر وقرأ « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » سبع مرّات أمن الفزع الأكبر .

يقول المؤلّف : إنّ الأمن من الفزع الأكبر ممكن أن يكون للقارىء كما هو ظاهر الخبر ، ومحتمل أن يكون للميّت كما يظهر من بعض المرويّات ، وقد رأيت في جماعة أنّ الشيخ الشهيد (ره) ذهب لزيارة أستاذه فخر المحقّقين ابن آية الله العلاّمة ، وقال : أنقل عن صاحب هذا القبر ، قال نقلاً عن والده بسنده عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّ من زار قبر أخيه المؤمن وقرأ عنده سورة القدر ، وقال :

« اللهمّ جاف الأرض عن جنوبهم ، وصاعد إليك أرواحهم ، وزدهم منك رضواناً ، وأسكن إليهم من رحمتك ما تصل به وحدتهم ، وتؤنس وحشتهم ، إنّك على كلّ شيء قدير » ، أمِنَ من الفزع الأكبر : القارىء والميّت .

ومن الأمور التي تدلّ على جلالة محمّد بن إسماعيل واختصاصه بالإمام الرضا (عليه السلام) ما نقل عن السيّد المرتضى والد العلاّمة الطباطبائيّ بحر العلوم ، من أنّه ليلة ولادة ابنه العلاّمة المذكور رأى في نومه أن الإمام الرضا صلوات الله عليه بعث محمّد بن اسماعيل بن بزيع بشمعة أضاءها على سقف منزل والد بحر العلوم ، فارتفع ضوء تلك الشمعة حتّى لم تُر نهايته .

أقول : لا شكّ أنّ تلك الشمعة كانت كناية عن العلاّمة بحر العلوم الذي أنار الدنيا بنوره ، ويكفي في جلالته أنّ الشيخ الأكبر الحاجّ الشيخ جعفر كاشف الغطاء رضوان الله عليه ـ مع فقاهته وجلالته ورئاسته ـ يمسح نعليه بفضل عمامته ؛ وورد بالتواتر أنّه تشرّف بلقاء إمام العصر عجّل الله فرجه الشريف ؛ ورويت عنه كرامات باهرة إلى الحدّ الذي دعا صاحب (الجواهر) لأن يقول فيه : صاحب الكرامات الباهرة والمعجزات القاهرة ، كانت ولادته في كربلاء المقدّسة سنة خمس وخمسين ومئة وألف ، وبقي نوره مشرقاً ما يقرب من ثمانية وخمسين عاماً آل بعدها إلى الغروب بالغرّي سنة اثنتي عشرة ومئتين وألف ، ويؤرخ لوفاته هذا الشطر : « مهديّها جدّاً وهاديها » .

الثامن : نصر بن قابوس

يروي عن الأئمّة الصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام) ، وكان ذا منزلة عندهم ، ذكر الشيخ الطوسيّ أنّه كان لعشرين سنة وكيلاً للصادق (عليه السلام) دون أن يعرف ذلك

عنه ، كان رجلاً خيّراً فاضلاً ، عدّه الشيخ المفيد في خواصّ وثقاة الإمام موسى (عليه السلام) ، وقال إنّه من أهل العلم والورع والفقه من شيعته (عليه السلام) روى عنه النصّ على إمامة الرضا (عليه السلام) .

وروى عنه الشيخ الكشّي قوله :

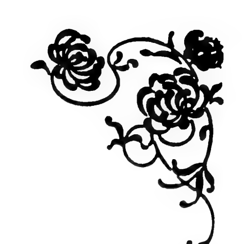
كنت عند أبي الحسن (عليه السلام) في منزله ، فأخذ بيدي فوقّفني على بيت من الدار ، فدفع الباب فإذا عليّ ابنه وفي يده كتاب ينظر فيه ، فقال لي : يا نصر ، تعرف هذا ؟ قلت : نعم ، هذا عليّ ابنك ، قال : يا نصر ، أتدري ما هذا الكتاب الذي في يده ينظر فيه ؟ فقلت : لا ، قال : هذا الجفر الذي لا ينظر فيه إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ .

قال الراوي : فلعمري ما شكّ نصر ولا ارتاب حتّى أتاه وفاة أبي الحسن (عليه السلام).

وروى أيضاً عن نصر بن قابوس أنّه قال :

قلت لأبي إبراهيم موسى بن جعفر (عليهما السلام) : إنّي سألت أباك : من الذي يكون بعدك ؟ فأخبرني أنّك أنت هو ، فلمّا توفّي أبو عبد الله (عليه السلام) ذهب الناس يميناً وشمالاً ، وقلت بك أنا وأصحابي ، فأخبرني من الذي يكون بعدك من ولدك ؟ قال : ابني عليّ (عليه السلام) .





الباب الحادي عشر

في تاريخ الإمام محمّد التقيّ (عليه السلام)

وفيه سبعة فصول



الفصل الأول

في ولادة الامام محمّد الجواد (عليه السلام) واسمه وألقابه

لقد وقع الاختلاف في تاريخ ولادة الإمام الجواد (عليه السلام) ، والمشهور بين العلماء والمشايخ هو التاسع عشر من شهر رمضان أو منتصفه ، سنة خمس وتسعين ومئة بالمدينة المشرّفة ، وذكر ابن عيّاش أنّ ولادته كانت في العاشر من رجب ، وما جاء في دعاء الناحية المقدّسة :

« اللهمّ إنّي أسألك بالمولودَيْن في رجب : محمّد بن عليّ الثاني وابنه عليّ بن محمّد المنتجب » يؤيّد قوله .

اسمه الشريف : محمّد ، وكنيته المشهورة : أبو جعفر ، وألقابه التقيّ والجواد والمختار والمنتجب والمرتضى والقانع والعالم ، وقيل غيرها أيضاً ، وقال الشيخ الصدوق : سمّي محمّد بن عليّ الثاني : التقيّ لأنّه اتّقى الله عزّ وجلّ فوقاه شرّ المأمون لّما دخل عليه بالليل سكران ، فضربه بسيفه حتّى ظنّ أنّه قد قتله ، فوقاه الله شرّه .

يقول المؤلّف : سيأتي تفصيل ذلك في فصل معجزاته (عليه السلام) إن شاء الله .

أمّه (عليه السلام) أمّ ولد يقال لها سبيكة ، ثمّ سمّاها الرضا (عليه السلام) خيزران ، وكانت نوبيّة من أهل بيت مارية القبطيّة أمّ ابراهيم ولد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وكانت من أفضل نساء زمانها ، وقد أشار إليها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بقوله : « بأبي ابن خِيَرة الإماء النوبيّة الطيّبة » .

وفي خبر يزيد بن سليط ولقائه الإمام موسى (عليه السلام) في طريق مكّة قال :

ثمّ قال أبو إبراهيم (عليه السلام) : إنّي أؤخذ في هذه السنة ، والأمر إلى ابني عليّ سَمِيِّ عليّ وعليّ ، فأمّا عليّ الأوّل فعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأمّا عليّ الآخر

فعليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، أعطي فهم الأوّل وحكمته وبصره ووده ودينه ، ومحنة الآخر وصبره على ما يكره ، وليس له أن يتكلّم إلاّ بعد هارون بأربع سنين .

ثمّ قال (عليه السلام) : يا يزيد ، فإذا مررت بالموضع ولقيته ، وستلقاه ، فبشّره أنّه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك ، وسيعلمك أنّك لقيتني ، فأخبره عند ذلك أنّ الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من أهل بيت مارية القبطيّة جارية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وإن قدرت أن تبلّغها منّي السلام فافعل ذلك .

يقول المؤلّف : وكفى في جلالة هذه المعظّمة الجليلة ما في هذا الخبر المعتبر من أمر موسى بن جعفر (عليه السلام) يزيد بن سليط أن يبلّغها منه السلام ، كما أمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جابر بن عبد الله الأنصاري أنّ يبلغ أبا جعفر الباقر (عليهما السلام) سلامه .

أمّا كيفيّة ولادته (عليه السلام) فقد ذكر العلاّمة المجلسيّ (ره) في (جلاء العيون) أنّ ابن شهر اشوب روى بسند معتبر عن حكيمة بنت أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، قالت :

لمّا حضرت ولادة الخيزران أمّ أبي جعفر (عليه السلام) دعاني الرضا (عليه السلام) فقال : يا حكيمة ، احضري ولادتها ، وأدخلني وإيّاها والقابلة بيتاً ، ووضع لنا مصباحاً ، وأغلق الباب علينا ، فلمّا أخذها الطلق طفىء المصباح وبين يديها طست ، فاغتممت بطفء المصباح ، فبينا نحن كذلك إذ بدر أبو جعفر (عليه السلام) في الطست ، وإذا عليه شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نوره حتّى أضاء البيت ، فأبصرناه ، فأخذته ووضعته في حجري ونزعت عنه ذلك الغشاء ، فجاء الرضا (عليه السلام) وفتح الباب وقد فرغنا من أمره ، فأخذه ووضعه في المهد ، وقال لي : يا حكيمة الزمي مهده .

قالت : فلمّا كان في اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء ، ثمّ نظر يمينه ويساره ، ثمّ قال : « أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله » ، فقمت ذعرة فزعة فأتيت أبا الحسن (عليه السلام) فقلت : سمعت من هذا الصبيّ عجباً ، فقال : وما ذاك ؟ فأخبرته الخبر ، فقال : يا حكيمة ، ما ترون من عجائبه أكثر .

وجاء في كتاب (عيون المعجزات) بسند معتبر عن كليم بن عمران قال :

قلت للرضا (عليه السلام) : ادع الله أن يرزقك ولداً ، فقال : إنّما أرزق ولداً واحداً ، وهو يرثني ، فلمّا ولد أبو جعفر (عليه السلام) قال الرضا (عليه السلام)

لأصحابه : قد ولد لي شبيه موسى بن عمران فالق البحار ، وشبيه عيسى ابن مريم قدّست أمّ ولدته ، وقد خلقت طاهرة مطهّرة .

ثمّ قال الرضا (عليه السلام) : يُقتل غصباً فيبكي له وعليه أهل السماء ، ويغضب الله على عدوّه وظالمه فلا يلبث إلّا يسيراً حتّى يعجل الله به إلى عذابه الأليم ، وعقابه الشديد ؛ وكان (عليه السلام) طول ليلته يناغيه .

المشهور أنّه كان (عليه السلام) حنطيّ اللون ، وقيل : أبيض معتدل القامة ، ونقش خاتمه : « نعم القادر الله ». انتهى .

وكان تسبيحه (عليه السلام) في الثاني عشر والثالث عشر من الشهر :

« سبحان من لا يعتدي على أهل مملكته ، سبحان من لا يؤاخذ أهل الأرض بألوان العذاب ، سبحان الله وبحمده » .



الفصل الثاني

طرف من فضائل الامام الجواد (عليه السلام) ومناقبه

أولاً : في دلائله الباهرة وما جرى من امتحانِه (عليه السلام) في مجلس المأمون

قال العلاّمة المجلسيّ وآخرون : لمّا قبض الرضا (عليه السلام) كانت سنّ أبي جعفر (عليه السلام) تسع سنين ، وقال البعض سبع سنين ، وكان (عليه السلام) بالمدينة عند وفاة أبيه ، وتحيّر بعض الشيعة في أمرهم وذلك لصغر سنّه ، حتّى توجّه علماء الشيعة وأفاضلهم وأشرافهم وأماثلهم إلى الحجّ ، وبعد أن أنهوا مناسك حجّهم دخلوا على أبي جعفر (عليه السلام) ، فأقرّوا بإمامته من كثرة ما رأوه من وفور علمه ، وما شهدوه من معجزاته وكراماته ، وزال عنهم أيّ أثر من شكّ أو شبهة راودت خواطرهم ، حتّى أنّ الشيخ الكلينيّ وآخرين ذكروا أنه في مجلس واحد ، أو في بضعة أيّام متوالية أجاب (عليه السلام) عن ثلاثين ألف مسأله من غوامض المسائل .

وبعد استشهاد الرضا (عليه السلام) غدا المأمون هدفاً للطعن والتجريح والملامة على الألسنة ، فأراد أن ينفي عن نفسه هذه الصورة ، فلما قدم إلى بغداد من خراسان كتب كتاباً إلى الجواد (عليه السلام) يستقدمه إليه معزّزاً مكرّماً ، فلمّا قدم (عليه السلام) إلى بغداد اتفق يوماً ـ قبل أن يلقى المأمون ـ أن خرج الأخير إلى الصيد ، فاجتاز بطرف البلد في طريقه والصبيان يلعبون ، وكان محمّد الجواد (عليه السلام) واقفاً معهم ، فلمّا أقبل المأمون انصرف الصبية هاربين ، ووقف أبو جعفر محمّد (عليه السلام) فلم يبرح مكانه ، فقرب منه المأمون فنظر إليه ،وقد ألقى الله عزّ وعلا عليه مسحة من قبول ، فوقف المأمون وقال له : يا غلام ما منعك من الانصراف مع الصبيان ؟ فقال له (عليه السلام) :

أيّها الخليفة ، لم يكن بالطريق ضيق لأوسّعه عليك بذهابي ، ولم يكن لي جريمة فأخشاها ، ولا أظنّ أنّك تعاقب من لا ذنب له .

فأعجبه كلامه ووجهه ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : محمّد ، قال : ابن من أنت ؟ قال : أنا ابن عليّ الرضا (عليه السلام) ؛ فلمّا سمع المأمون نسبه الشريف زال عجبه ، فترحمّ على أبيه ، وساق جواده إلى وجهته .

فلمّا بعد عن العمارة أخذ بازياً فأرسله على درّاجة ، فغاب عن عينيه غيبة طويلة ، ثم عاد من الجوّ وفي منقاره سمكة صغيرة ، وبها بقايا الحياة ، فعجب من ذلك غاية العجب ، فأخذها في يده وعاد أدراجه في الطريق الذي أقبل منه ، فلما وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان على حالهم ، فانصرفوا كما فعلوا أوّل مرّة ، وأبو جعفر لم يزايل مكانه ، فلمّا دنا منه المأمون قال له : يا محمّد ، ماذا في يدي ؟ فألهمه الله عزّ وجلّ أن قال :

إنّ الله تعالى خلق بمشيئته في بحر قدرته سمكاً صغاراً تصيدها بزاة الملوك والخلفاء ، فيختبرون بها سلالة أهل النبوّة !

فلمّا سمع المأمون كلامه زاد تعجبّه ، وجعل يطيل نظره إليه ، وقال : أنت ابن الرضا حقاً .

ثم استدعاه المأمون وزاد في إعزازه وإكرامه ، وأراد أن يزوّجه من ابنته أمّ الفضل ، فلمّا بلغ ذلك العبّاسيّين غلظ عليهم واستنكروه ، فاجتمعوا إلى المأمون فقالوا : ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا ، فإنّا نخاف أن يخرج به عنّا أمر قد ملّكناه الله عزّ وجلّ ، وينزل منّا عزّاً قد ألبسناه الله ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً ، وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرضا (عليه السلام) ما عملت ، فكفانا الله المهمّ من ذلك .

قال المأمون : أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ، ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى بكم .

فقالوا له : إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنّه صبيّ لا معرفة له ولا فقه ، فأمهله ليتأدّب ثمّ اصنع ما تراه بعد ذلك ، فقال لهم : ويحكم ! إنّي أعرف بهذا الفتى منكم ، وإنّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى وإلهامه ، لم تزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال ، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفت لكم من حاله .

فاجتمع رأيهم على اختيار أعلم علمائهم يحيى بن أكثم ، وهو يومئذ قاضي بغداد على أن يسائله ليقطعه ، وأعدّ المأمون مجلساً عظيماً لهذه الغاية دعي إليه العلماء والأشراف ، وأمر المأمون

أن يفرش لأبي جعفر موضع في صدر المجلس ، وأن يجعل له مسوّرتان[١] .

يقول الشيخ المفيد : وخرج أبو جعفر (عليه السلام) وهو يومئذ ابن سبع سنين وأشهر ، فجلس بين المسوّرتين ، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه ، وقام الناس في مراتبهم ، والمأمون جالس في موضع متّصل بموضع أبي جعفر (عليه السلام) .

فقال يحيى بن أكثم للمأمون : يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة ؟ فقال له المأمون : استأذنه في ذلك ، فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال : أتأذن لي جعلت فداك في مسألة ؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام) : سل إن شئت .

قال يحيى : ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً ؟

فقال أبو جعفر : قتله في حلّ أو حرم ؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً ؟ قتله عمداً أو خطأ ؟ حرّاً كان المحرم أو عبداً ؟ صغيراً كان أو كبيراً ؟ مبتدئاً بالقتل أو معيداً ؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها ؟ من صغار الصيد أم من كبارها ؟ مصرّاً على ما فعل أو نادماً ؟ في الليل كان قتله للصيد أم في النهار ؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً ؟!

فتحيّر يحيى بن أكثم ، وبان في وجهه العجز والانقطاع ، ولجلج حتّى عرف جماعة أهل المجلس أمره .

فقال المأمون : الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي ، ثمّ نظر إلى أهل بيته وقال لهم : أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه ؟

ثمّ أقبل على أبي جعفر (عليه السلام) فقال له : أتخطب يا أبا جعفر ؟ قال : نعم ، فقال له المأمون : اخطب لنفسك جعلت فداك ، قد رضيتك لنفسي ، وأنا مزوّجك أمّ الفضل ابنتي وإن رغم قوم لذلك .

فقال أبو جعفر (عليه السلام) : « الحمد لله إقراراً بنعمته ، ولا إله إلّا الله إخلاصاً لوحدانيّته ، وصلّى الله على محمّد سيّد بريّته ، والأصفياء من عترته» .

أمّا بعد ، فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال سبحانه : ﴿ **وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليم** ﴾ .

ثمّ إنّه (عليه السلام) قرأ على المأمون صيغة النكاح خاطباً أمّ الفضل بنت المأمون ،

(١) المسوّرة : متّكأ من الجلد .

وبذل لها من الصداق مهر جدّته فاطمة الزاهراء سلام الله عليها وهو خمسمئة درهم جياداً ، ولما تمّت صيغة النكاح أحضر خدم المأمون وحشمه الكثير من الغالية فخضبوا بها لِحى الخاصّة ، ثمّ مدّت إلى العامّة فتطيّبوا بها ، ووضعت الموائد فأكل الناس ، وخرجت الجوائز إلى كلّ قوم على قدرهم .

فلمّا تفرّق الناس وبقي من الخاصّة من بقي قال المأمون لأبي جعفر (عليه السلام) : إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه في ما فصّلته من وجوه من قتل المحرم لنعلمه ونستفيده .

فشرع (عليه السلام) يجيبه ، فيبيّن له حكم كلّ شقّ من الموضوع ، ولما انتهى من إجاباته قال له المأمون : أحسنت يا أبا جعفر ، أحسن الله إليك ، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك ، فقال أبو جعفر (عليه السلام) ليحيى : أسألك ؟ قال : ذلك إليك جعلت فداك ، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه ، وإلاّ استفدته منك .

فقال له أبو جعفر (عليه السلام) : أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلمّا ارتفع النهار حلّت له ، فلمّا زالت الشمس حرمت عليه ، فلمّا كان وقت العصر حلّت له ، فلمّا غربت الشمس حرمت عليه ، فلمّا دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له ، فلمّا كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه ، فلمّا طلع الفجر حلّت له ؛ ما حال هذه المرأة ، وبماذا حلّت له وحرمت عليه ؟

فقال له يحيى : لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال ، ولا أعرف الوجه فيه ، فإن رأيت أن تفيدناه .

فقال أبو جعفر (عليه السلام) : هذه أمة لرجل من الناس ، نظر إليها أجنبيّ في أوّل النهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له ، فلمّا كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه ، فلمّا كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له ، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه ، فلمّا كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلّت له ، فلمّا كان نصف الليل طلّقها واحدة فحرمت عليه ، فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّت له .

فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم : هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ، أو يعرف القول فيما تقدّم من السؤال ؟ قالوا : لا والله ، أنت أعلم منا بحال أبي جعفر (عليه السلام) ، فقال : ويحكم ! إنّ أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل ، وإنّ صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال .

ثمّ عدّد عليهم بعضاً من فضائل أبي جعفر (عليه السلام) حتّى انفضّ المجلس .

ولّما كان من الغد أخرج المأمون للناس الهدايا والعطاءات الجزيلة ، ولم يزل مكرماً لأبي جعفر (عليه السلام) معظّماً لقدره مدّة حياته .

ساعة للتوسّل بالجواد (عليه السلام) طلباً للتوسعة في الرزق: يقول المؤلّف: قسّم العلماء الأيام إلى اثنتي عشرة ساعة، نسبوا كلّ ساعة منها إلى أحد الأئمّة، فالساعة التاسعة تعود إلى الإمام الجواد (عليه السلام)، وفي دعاء تلك الساعة أشير إلى سؤال المأمون إيّاه (عليه السلام) عمّا في يده، وكذلك إلى سؤال يحيى بن أكثم إيّاه (عليه السلام) وإجابته (عليه السلام) لهما، وجاء في الدعاء:

« . . . وبالإمام الفاضل محمّد بن عليّ (عليه السلام) الذي سئل فوفّقته للجواب ، وامتُحن فعضدته بالتوفيق والصواب ، صلّى الله عليه وعلى أهل بيته الأطهار » .

والتوسّل بالجواد (عليه السلام) في الساعة طلباً للتوسعة في الرزق مفيد ، ويستحسن في التوسّل به قراءة هذا الدعاء :

« اللهمّ إنّي أسألك بحقّ وليّك محمّد بن عليّ (عليه السلام) إلاّ جدت به عليّ من فضلك ، وتفضّلت به عليّ من وسعك ، ووسّعت به عليّ من رزقك ، وأغنيتني عمّن سواك ، وجعلت حاجتي إليك ، وقضاها عليك ، إنّك لما تشاء قدير » .

ويقول البعض : إنّ قراءة هذا الدعاء بعد كلّ صلاة التماساً لأداء الدَّين مجرّب .

ثانياً : في أمره (عليه السلام) بالطواف عن الأئمّة (عليهم السلام)

روى الشيخ الكلينيّ عن موسى بن القاسم أنّه قال :

قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام) : قد أردت أن أطوف عنك وعن أبيك فقيل لي : إنّ الأوصياء لا يطاف عنهم ، فقال لي : بل طف ما أمكنك فإنّ ذلك جائز .

ثمّ قلت له بعد ثلاث سنين : إنّي كنت استأذنتك في الطواف عنك وعن أبيك فأذنت لي في ذلك ، فطفت عنكما ما شاء الله ، ثمّ وقع في قلبي شيء فعلمت به .

قال : وما هو ؟ قلت : طفت يوماً عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فقال (عليه السلام) ثلاث مرّات : صلّى الله على رسول الله ؛ قلت : ثمّ اليوم الثاني عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ثمّ طفت اليوم الثالث عن الحسن (عليه السلام) ، والرابع عن الحسين (عليه السلام) ، والخامس عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، وهكذا حتّى قلت : واليوم العاشر عنك يا سيّدي ، وهؤلاء الذين أدين الله بولايتهم .

فقال : إذن والله تدين الله بالدين الذي لا يقبل من العباد غيره .

قلت : وربّما طفت عن أمّك فاطمة صلوات الله عليها ، وربّما لم أطف ، فقال : استكثر من هذا فإنّه أفضل ما أنت عامله إن شاء الله .

ثالثاً : في تفكّره (عليه السلام) بما ورد على أمّه فاطمة (عليها السلام) من أذى

روي نقلاً عن (دلائل الطبريّ) عن محمّد بن هارون بن موسى ، عن أبيه ، عن ابن الوليد ، عن البرقيّ ، عن زكريّا بن آدم قال :

إنّي لعند الرضا (عليه السلام) إذ جيء بأبي جعفر (عليه السلام) وسنّه أقلّ من أربع سنين ، فضرب بيده إلى الأرض ، ورفع رأسه إلى السماء فأطال الفكر ، فقال له الرضا (عليه السلام) : (فديتك) بنفسي ، فلم طال فكرك ؟ فقال : فيما صُنع بأمّي فاطمة (عليها السلام) ، أما والله لأخرجنّهما ، ثمّ لأحرقنّهما ، ثمّ لأذرّينّهما ، ثم لأنسفنّهما في اليم نسفاً .

فاستدناه وقبّل ما بين عينيه ، ثم قال : بأبي أنت وأمّي ، أنت لها ، يعني الإمامة .

رابعاً : في رواية « الوسائل إلى المسائل »

ذكر السيّد ابن طاوس رضي الله عنه عن محمّد بن الحارث النوفليّ خادم الإمام محمّد التقيّ (عليه السلام) أنّه لمّا زوّج المأمون أبا جعفر محمّد بن عليّ بن موسى الرضا (عليهم السلام) ابنته كتب إليه إنّ لكلّ زوجة صداقاً من زوجها ، وقد جعل الله أموالنا في الآخرة مؤجّلة مذخورة هناك ، كما جعل أموالكم معجّلة في الدنيا ، وكنزها ههنا ، وقد أمهرت ابنتك « الوسائل إلى المسائل » ، وهي مناجاة دفعها إليّ أبي ، قال : دفعها إليّ أبي جعفر ، قال : دفعها إليّ محمّد أبي ، قال : دفعها إليّ عليّ بن الحسين أبي ، قال : دفعها إليّ الحسين أبي ، قال : دفعها إليّ الحسن أخي ، قال : دفعها إليّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، (عليهم السلام) ، قال : دفعها إليّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، قال : دفعها إليّ جبرئيل (عليه السلام) قال ؛ يا محمّد ، ربّ العزّة يقرئك السلام ، ويقول لك :

هذه مفاتيح كنوز الدنيا والآخرة ، فاجعلها وسائلك إلى مسائلك ، تصل إلى بغيتك فتنجح في طلبتك ، فلا تؤثرها في حوائج الدنيا فتبخس بها الحظّ من آخرتك ، وهي عشر وسائل تطرق بها أبواب الرغبات فتفتح ، وتطلب بها الحاجات فتنجح ، وهذه نسختها :

« اللهمّ إنّ خيرتك فيما استخرتك فيه تنيل الرغائب . . » .

يقول المؤلّف : لقد أوردت هذه المناجاة في كتاب (الباقيات الصالحات) ، فعلى طالبها الرجوع إليها هناك .

خامساً : في إخباره (عليه السلام) بالغيب

روى الطبريّ عن الشلمغانيّ قال :

حجّ إسحاق بن إسماعيل في السنة التي خرجت فيها الجماعة إلى أبي جعفر (عليه السلام) ، قال إسحاق ، فأعددت له في رقعة عشر مسائل لأسأله عنها ، وكان لي حمل فقلت : إذا أجابني عن مسائلي سألته أن يدعو الله لي أن يجعله ذكراً ، فلمّا سأله الناس قمت والرقعة معي لأسأله عن مسائلي ، فلمّا نظر إليّ قال لي : يا أبا يعقوب ، سمّه أحمد ، فولد لي ذكر فسمّيته أحمد ، فعاش مدّة ومات .

وكان ممّن خرج مع الجماعة عليّ بن حسّان الواسطيّ المعروف بالأعمش ، قال : حملت معي إليه من الآلة التي للصبيان بعضاً من الفضّة ، وقلت : أتحف مولاي أبا جعفر (عليه السلام) بها ، فلمّا تفرّق الناس عنه عن جواب لجميعهم قام فمضى إلى « صربا » واتّبعته ، فلقيت موفّقاً (خادمه) فقلت : استأذن لي على أبي جعفر (عليه السلام) ، فدخلت وسلّمت ، فردّ عليّ السلام وفي وجهه الكراهة ، ولم يأمرني بالجلوس ، فدنوت منه وفرّغت ما في كمّي بين يديه ، فنظر إليّ نظر مغضب ، ثمّ رمى يميناً وشمالاً ثمّ قال : ما لهذا خلقني الله ، ما أنا واللعب ؟ فاستعفيته ، فعفا عنّي .

سادساً : في إشارته (عليه السلام) إلى قدرة الله تعالى

جاء في (مدينة المعاجز) نقلاً عن (عيون المعجزات) أن عمر بن فرج الرخجيّ قال : قلت لأبي جعفر : إنّ شيعتك تدّعي أنّك تعلم كلّ ماء في دجلة ووزنه ، وكنّا على شاطىء دجلة ، فقال (عليه السلام) لي : يقدر الله تعالى أن يفوّض علم ذلك إلى بعوضة من خلقه أم لا ؟ قلت : نعم ، يقدر ، فقال : أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة ، ومن أكثر خلقه .

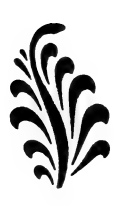
سابعاً : في إجابته (عليه السلام) عن ثلاثين ألف مسألة

روى الشيخ الكلينيّ وآخرون عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه قال : استأذن على أبي جعفر (عليه السلام) قوم من أهل النواحي فأذن لهم ، فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب ، وله عشر سنين .

يقول المؤلّف : من الممكن أن يسأل سائل عن مسألته دون أن يلاحظ أنّ آخر يسأل ويكون جوابه عن أكثرها بلا أو بنعم ، ويمكن أنّه (عليه السلام) كان يجيبهم بما يعلم من ضمائرهم قبل سؤالهم ، وذلك كما روي أنّ أحدهم قال له : جعلت فداك ، فقال له

(عليه السلام) : لا تقصر ، فلمّا سئل عن ذلك قال : هذا ملّاح في سفينة يريد أن يسأل عن صلاته : يصلّيها قصراً أو تماماً ، فقلت له : لا تقصر .

وقد أورد المجلسيّ (ره) وجوهاً عدّة في دفع استبعاد هذا الحديث لا مجال لإيرادها . والله هو العالم .



الفصل الثالث

في دلائل امامة الامام الجواد (عليه السلام) ومعجزاته

ونكتفي بذكر بعض معجزاته (عليه السلام) .

الأولى : روى الشيخ المفيد وابن شهر اشوب وآخرون أنّه لمّا توجّه أبو جعفر (عليه السلام) من بغداد منصرفاً من عند المأمون ومعه أمّ الفضل قاصداً بها إلى المدينة صار إلى شارع باب الكوفة ، ومعه الناس يشيّعونه ، فانتهى إلى دار المسيّب عند مغيب الشمس ، فنزل ودخل المسجد ، وكان في صحنه نبقة[1] لم تحمل بعد ، فدعا بكوز من الماء فتوضّأ في أصل النبقة ، فصلّى بالناس صلاة المغرب ، فقرأ في الأولى منها « الحمد » و« إذا جاء نصر الله » ، وقرأ في الثانية « الحمد » و« قل هو الله أحد » ، وقنت قبل ركوعه فيها ، وصلّى الثالثة وتشهّد ، ثمّ جلس هنيئة يذكر الله جلّ اسمه ، وقام من غير أن يعقّب ، وصلّى النوافل أربع ركعات وعقّب بعدها ، وسجد سجدتي الشكر ثمّ خرج .

فلمّا انتهى إلى النبقة رآها الناس وقد حملت حملاً حسناً ، فتعجبوا من ذلك ، وأكلوا منها فوجدوه نبقاً حلواً لا عجم له .

وودّعوه ، ومضى (عليه السلام) من وقته إلى المدينة ، فلم يزل بها إلى أن أشخصه المعتصم في أوّل سنة خمس وعشرين ومئتين إلى بغداد ، وأقام بها حتّى توفّي (عليه السلام) في آخر ذي القعدة من هذه السنة ، فدفن في ظهر جدّه أبي الحسن موسى (عليه السلام) .

وذكر عن الشيخ المفيد أنه قال : وقد أكلت من ثمرها وكان لا عجم له .

الثانية : روى القطب الراونديّ عن محمّد بن ميمون أنه كان مع الرضا (عليه السلام)

---

(١) النبق : حمل شجر السدر ، أشبه بالعنّاب قبل أن تشتدّ حمرته .

بمكّة قبل خروجه إلى خراسان ، قال : قلت له : إنّي أريد أن أتقدّم إلى المدينة ، فاكتب معي كتاباً إلى أبي جعفر (عليه السلام) ، فتبسّم وكتب ، وصرت إلى المدينة وقد كان ذهب بصري ، فأخرج الخادم أبا جعفر (عليه السلام) إلينا ، فحمله في المهد ، فناولته الكتاب فقال لموفّق الخادم : فضّه وانشره ، ففضّه ونشره بين يديه ، فنظر فيه ثمّ قال لي : يا محمّد ، ما حال بصرك ؟ قلت : يا بن رسول الله ، اعتلّت عيناي فذهب بصري كما ترى ؛ قال : فمدّ يديه فمسح بهما على عينيّ فعاد إليّ بصري كأصحّ ما كان ، فقبّلت يده ورجله ، وانصرفت من عنده وأنا بصير .

في إخباره (عليه السلام) عمّا في الضمائر وذكر طرف من كراماته (عليه السلام)

الثالثة : وروى أيضاً عن الحسين المكاري أنّه قال : دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) ببغداد وهو على ما كان من أمره (أي وجوده عند الخليفة معزّزاً مكرّماً) ، فقلت في نفسي : هذا الرجل لا يرجع إلى موطنه أبداً ، وما أعرف مطعمه (أي لن يرجع ويدع هذا الإكرام ولذيذ الطعام) .

قال : فأطرق (عليه السلام) رأسه ، ثمّ رفعه وقد اصفرّ لونه ، فقال ، يا حسين ، خبز شعير وملح جريش في حرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أحبّ إليّ ممّا تراني فيه .

الرابعة : جاء في (كشف الغمّة) عن القاسم بن عبد الرحمن ، وكان زيدياً ، قال : خرجت إلى بغداد ، فبينا أنا بها إذ رأيت الناس يتعادون ويتشرّفون ويقفون ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : ابن الرضا ، ابن الرضا ، فقلت : والله لأنظرنّ إليه ، فطلع على بغل أو بغلة ، فقلت : لعن الله أصحاب الإمامة حيث يقولون : إنّ الله افترض طاعة هذا !! فعدل إليّ وقال :

يا قاسم بن عبد الرحمن ، **﴿ أبشراً منّا واحداً نتّبعه ؟! إنّا إذاً لفي ضلال وسعر ﴾** .

فقلت في نفسي : ساحر والله ، فعدل إليّ فقال :

﴿ أألقي الذكر عليه من بيننا ؟! بل هو كذّاب أشر ﴾ .

قال : فانصرفت ، وقلت بالإمامة ، وشهدت أنّه حجّة الله على خلقه ، وحسن اعتقادي .

يقول المؤلّف : هاتان الآيتان الكريمتان في سورة « القمر » ، وهما بلسان قوم ثمود إذ كذّبوا نبيّ الله صالحاً (عليه السلام) ، والمراد إنكارهم لاتّباع رجل واحد منهم لا يمتاز بمزيّة يفضلهم بها ، بل هو لا مال له ولا أنصار ، وهم أولى منه وأحقّ ، كما يظنّون .

الخامسة : روى الشيخ المفيد والطبرسيّ وآخرون عن عليّ بن خالد أنّه قال : كنت في عسكر (سرّ من رأى) فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أتي به من ناحية الشام مكبّلاً ، وقالوا : إنّه تنبّأ .

قال عليّ : فداريت البوّابين والحجبة حتّى وصلت إليه ، فإذا رجل له فهم ، فقلت له : يا هذا ، ما قصّتك وما أمرك ؟ فقال لي :

كنت رجلاً بالشام أعبد الله في الموضع الذي يقال إنّه نصب فيه رأس الحسين (عليه السلام) ، فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبل على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يديّ ، فنظرت إليه فقال لي : قم ، فقمت فمشى بي قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة ، فقال لي : أتعرف هذا المسجد ؟ فقلت : نعم ، هذا مسجد الكوفة ، قال : فصلّى وصلّيت معه ، ثمّ انصرف وانصرفت معه ، فمشى قليلاً فإذا نحن بمسجد الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، فسلّم على الرسول وصلّيت معه ، ثمّ خرج وخرجت معه ، فمشى قليلاً فإذا أنا بمكّة ، فطاف بالبيت وطفت معه ، ثمّ خرج ومشى قليلاً فإذا أنا في موضعي الذي أعبد الله فيه بالشام ، وغاب الشخص عن عيني .

فبقيت متعجّباً حولاً ممّا رأيت ، فلمّا كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به ، ودعاني فأجبته ، ففعل كما فعل في العام الماضي ، فلمّا أراد مفارقتي بالشام قلت له :

سألتك بالذي أقدرك على ما رأيت منك إلاّ أخبرتني من أنت ، قال : أنا محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) .

فحدّثت من كان يصير إليّ بخبره ، فرقي ذلك إلى محمّد بن عبد الله الزيّات (وزير المعتصم) فبعث إليّ من أخذني وكبّلني بالحديد ، وحملني إلى العراق وحبست كما ترى ، وادّعى عليّ المحال

قال الراوي : فقلت له : أرفع القصّة إلى محمّد بن عبد الملك ؟ قال : افعل ، فكتبت عنه قصّة شرحت أمره فيها ، ورفعتها إلى محمّد بن عبد الملك ، فوقّع في ظهرها : قل للذي أخرجك في ليلة إلى الكوفة ، ومن الكوفة إلى المدينة ، ومن المدينة إلى مكّة ، وردّك من مكّة إلى الشام أن يخرجك من حبسك هذا .

قال عليّ بن خالد : فغمّني ذلك من أمره ، وانصرفت محزوناً عليه ، فلمّا كان من الغد باكرت إلى الحبس لأعلم الحال ، وآمره بالصبر والعزاء ، فوجدت الجند وأصحاب الحرس وخلقاً عظيماً من الناس يهرعون ، فسألت عن حالهم فقيل لي : المتنبّىء المحمول من الشام افتقد البارحة من الحبس .

وكان عليّ بن خالد هذا زيدياً ، فقال بالإمامة بعد ذلك ، وحسن اعتقاده .

يقول المؤلّف : لقد انتهى محمّد بن عبد الملك الزيات إلى ما يستحقّه ، قال المسعوديّ : لمّا انتقلت الخلافة إلى المتوكّل العبّاسيّ ، وبعد مضيّ عدّة أشهر غضب على محمّد بن عبد الملك فصادر أمواله كافّة وعزله ، وكان عبد الملك أيّام وزارته قد صنع تنوّراً من الحديد زوّده بمسامير كبيرة دقّت في قعره بحيث تبقى رؤوسها بارزة ، فإذا أراد تعذيب أحد أمر به فألقي في التنّور ، فيهلك بعد عذاب شديد من اصطدامه بتلك المسامير وضيق المكان ، فلمّا غضب المتوكّل على محمّد أمر به فألقي في ذلك التنور ، وبقي في العذاب أربعين يوماً حتّى هلك .

وفي اليوم الأخير من أجله طلب دواة وورقاً وكتب هذين البيتين وبعث بهما إلى المتوكّل :

هي السبيل فمن يوم إلى يوم كأنّه ما تراك العين في نوم
لا تجزعنّ رويداً إنّها دول دنيا تنقّل من قوم إلى قوم

فلم تصل الرقعة إلى المتوكّل في اليوم نفسه ، ولمّا تسلّمها في اليوم التالي أمر بإطلاقه من التنّور ، ولمّا ذهبوا إليه وجدوه وقد قضى نحبه .

وممّا يجدر التذكير به ما ذكرناه في باب شهادة الرضا (عليه السلام) من أنّ المأمون حبس أبا الصلت سنة ، ثم توسّل بأنوار محمّد وآله عليهم السلام بدعاء لم يتمّه حتّى كان الإمام الجواد (عليه السلام) عنده ، فأطلقه .

السادسة : روى الشيخ الكشّي عن محمّد بن سنان أنّه قال : شكوت إلى الرضا (عليه السلام) وجع العين فأخذ قرطاساً فكتب إلى أبي جعفر (عليه السلام) وهو أقلّ من ثلاث (سنين) ، ودفع الكتاب إلى الخادم وأمرني أن أذهب معه ، وقال : اكتم (يريد : إذا رأيت معجزة من الجواد (عليه السلام) فاكتمها) ، فأتيناه وخادم قد حمله ، ففتح الخادم الكتاب بين يدي أبي جعفر (عليه السلام) ، فجعل ينظر في الكتاب ويرفع رأسه إلى السماء ويقول : « ناجِ » ففعل ذلك مراراً فذهب كلُّ وجع في عيني ، وأبصرت بصراً لا يبصره أحد .

قال : فقلت لأبي جعفر (عليه السلام) : جعلك الله شيخاً على هذه الأمّة ، كما جعل عيسى ابن مريم شيخاً على بني إسرائيل ؛ ثم قلت له : يا شبيه صاحب فطرس .

قال محمّد : فانصرفت ، وقد أمرني الرضا (عليه السلام) أن أكتم ، فما زلت صحيح النظر حتّى أذعت ما كان من أبي جعفر (عليه السلام) في أمر عيني فعاودني الوجع .

قال الراوي : فقلت لمحمّد بن سنان : ما عنيت بقولك : « يا شبيه صاحب فطرس » ؟

فقال : إن الله غضب على ملك من الملائكة يدعى فطرس فدقّ جناحه ورمى به في جزيرة من جزائر البحر ، فلمّا ولد الحسين (عليه السلام) بعث الله تعالى جبرئيل (عليه السلام) إلى محمّد (صلّى الله عليه وآله) ليهنّئه بولادة الحسين (عليه السلام) ، وكان جبرئيل صديقاً لفطرس ، فمرّ به وهو في الجزيرة مطروح فخبّره بولادة الحسين (عليه السلام) وما أمره الله به ، وقال : هل لك أن أحملك على جناح من أجنحتي وأمضي بك إلى محمّد (صلّى الله عليه وآله) يشفع لك ؟ فقال له فطرس : نعم ، فحمله على جناح من أجنحته حتّى أتى به محمّد (صلّى الله عليه وآله) فبلّغه تهنئة ربّه تعالى ، ثمّ حدّثه بقصّة فطرس ، فقال محمّد (صلّى الله عليه وآله) لفطرس : امسح جناحك على مهد الحسين وتمسّح به ، ففعل ذلك فطرس ، فجبر الله جناحه ، وردّه إلى منزله مع الملائكة .

السابعة : روى الشيخ الكلينيّ وآخرون عن محمّد بن أبي العلاء إنّه قال :

سمعت يحيى بن أكثم قاضي سامّراء بعدما جهدت به وناظرته وحاورته وراسلته ، وسألته عن علوم آل محمّد (صلّى الله عليه وآله) فقال : بينا أنا ذات يوم دخلت أطوف بقبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فرأيت محمّد بن عليّ الرضا (عليه السلام) يطوف به ، فناظرته في مسائل عندي فأخرجها إليّ ، فقلت له : والله إنّي أريد أن أسألك مسألة واحدة ، وإنّي والله لأستحيي من ذلك ، فقال لي : أنا أخبرك قبل أن تسألني ، تسألني عن الإمام ، فقلت : هو والله هذا ، فقال : أنا هو ، فقلت : علامة ؟ فكان في يده عصا فنطقت فقالت : إنّه مولاي إمام هذا الزمان ، وهو الحجّة .

في عدم تأثير سيف المأمون فيه (عليه السلام) وخبر حرز الجواد (عليه السلام) وبعض دلائله

الثامنة : روى السيّد ابن طاووس في (مهج الدعوات) عن أبي نصير المهدانيّ ، عن حكيمة بنت محمّد التقيّ (عليه السلام) قالت :

لمّا مات محمّد التقيّ (عليه السلام) أتيت زوجته أمّ عيسى بنت المأمون فعزّيتها ، ووجدتها شديدة الحزن والجزع عليه ، تقتل نفسها بالبكاء والعويل ، فخفت عليها أن تتصدّع مرارتها .

فبينما نحن في حديثه وكرمه ووصف خلقه ، وما أعطاه الله تعالى من الشرف والإخلاص ، ومنحه من العزّة والكرامة إذ قالت أمّ عيسى : ألا أخبرك عنه بشيء عجيب وأمر جليل فوق الوصف والمقدار ؟ قلت : وما ذاك ؟ قالت : كنت أغار عليه كثيراً وأراقبه أبداً ، وربّما يسمعني الكلام فأشكو ذلك إلى أبي فيقول : يا بنيّة ، احتمليه فإنّه بضعة من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

فبينما أنا جالسة ذات يوم إذ دخلت عليّ جارية فسلّمت عليّ ، فقلت : من أنت ؟ فقالت : أنا جارية من ولد عمّار بن ياسر ، وأنا زوجة أبي جعفر محمّد بن عليّ الرضا ، زوجك ! فدخلني من الغيرة ما لا أقدر على احتماله ، وهممت أن أخرج وأسيح في البلاد ، وكاد الشيطان يحملني على الإساءة إليها ، فكظمت غيظي ، وأحسنت رفدها وكسوتها .

فلمّا خرجت المرأة من عندي نهضت ودخلت على أبي ، وأخبرته بالخبر ، وكان سكران لا يعقل ، فقال : يا غلام ، عليّ بالسيف ، فأتي به ، فركب وقال : والله لأقتلنّه ، فلمّا رأيت ذلك قلت : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » ، ما صنعت بنفسي وبزوجي ؟! وجعلت ألطم حرّ وجهي ، فدخل عليه والدي ، وما زال يضربه بالسيف حتّى قطّعه ، ثمّ خرج من عنده ، وخرجت هاربة من خلفه ، فلم أرقد ليلتي .

فلمّا ارتفع النهار اتيت أبي فقلت : أتدري ما صنعت البارحة قال : وما صنعت ؟ قلت : قتلت ابن الرضا ! فبرقت عينه وغشي عليه .

ثمّ أفاق بعد حين وقال : ويلك ! ما تقولين ؟! قلت : نعم والله يا أبت ، دخلت عليه ، ولم تزل تضربه بالسيف حتّى قتلته ، فاضطرب من ذلك اضطراباً شديداً ، وقال عليّ بياسر الخادم ، فجاء ياسر ؟ فنظر إليه المأمون وقال : ويلك ! ما هذا الذي تقول هذه ابنتي ؟ قال : صدقت يا أمير المؤمنين ، فضرب بيده على صدره وخدّه ، وقال : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » ، هلكنا والله وعطبنا ، وافتضحنا إلى آخر الأبد ، ويلك يا ياسر ، فانظر ما الخبر والقصّة عنه ، وعجّل عليّ بالخبر ، فإنّ نفسي تكاد أن تخرج الساعة .

فخرج ياسر وأنا ألطم حرّ وجهي ، فما كان بأسرع من أن رجع ياسر فقال : البشرى يا أمير المؤمنين ، قال : لك البشرى ، فما عندك ؟ قال ياسر : دخلت عليه فإذا هو جالس وعليه قميص ولحاف وهو يستاك ، فسلّمت عليه وقلت : يا بن رسول الله ، أحبّ أن تهب لي قميصك هذا أصلّي فيه وأتبرّك به ، وإنّما أردت أن أنظر إليه وإلى جسده ، هل به أثر السيف ، فوالله كأنّه العاج الذي مسّه صفرة ، ما به أثر !

فبكى المأمون طويلاً وقال: ما بقي مع هذا شيء! إنّ هذا لعبرة للأوّلين والآخرين ، ثمّ قال : يا ياسر ، أمّا ركوبي إليه وأخذي السيف ودخولي عليه فإنّي ذاكر له ، وخروجي عنه فلا أذكر شيئاً عنه ، ولا أذكر أيضاً انصرافي إلى مجلسي ، فكيف كان أمري وذهابي إليه ؟! لعنة الله على هذه الابنة لعناً وبيلاً ، تقدّم إليها وقل لها : يقول لك أبوك : والله لئن جئتني بعد هذا اليوم وشكوت منه ، أو خرجت بغير إذنه ، لأنتقمنّ له منك ؛ ثم سر إلى ابن الرضا وأبلغه عنّي السلام ، واحمل إليه عشرين ألف دينار ، وقدّم إليه « الشّهريّ » الذي ركبته البارحة ، ثمّ أمر بعد ذلك الهاشميين أن يدخلوا عليه بالسلام ، ويسلّموا عليه .

قال ياسر : فأمرتهم بذلك ، ودخلت أنا أيضاً معهم وسلّمت عليه ، وأبلغت التسليم ، ووضعت المال بين يديه ، وعرضت الشهريّ عليه ، فنظر إليه ثمّ تبسّم فقال : يا ياسر ، هكذا كان العهد بينه وبين أبي ، وبيني وبينه ، حتّى يهجم عليّ بالسيف ؟! أما علم أنّ لي ناصراً وحاجزاً يحجز بيني وبينه ؟

فقلت : يا سيّدي يا بن رسول الله ، دع عنك هذا العتاب ، فوالله ، وحقّ جدّك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ما كان يعقل شيئاً من أمره ، وما علم أين هو من أرض الله ، وقد نذر لله نذراً صادقاً وحلف أن لا يسكر بعد ذلك أبداً ، فإنّ ذلك من حبائل الشيطان ، فإذا أنت يا بن رسول الله أتيته فلا تذكر له شيئاً ، ولا تعاتبه على ما كان منه ، فقال (عليه السلام) : هكذا كان عزمي ورأيي والله ، ثم دعا بثيابه ولبس ونهض ، وقام معه الناس أجمعون حتّى دخل على المأمون .

خبر حرز الجواد (عليه السلام) : فلمّا رآه المأمون قام إليه وضمّه إلى صدره ، ورحّب به ، ولم يأذن لأحد في الدخول عليه ، ولم يزل يحدّثه ويسامره ، فلمّا انقضى ذلك قال له أبو جعفر (عليه السلام) : إنّ لك عندي نصيحة فاقبلها ، قال المأمون : بالحمد والشكر ، ثمّ قال : فما ذاك يا بن رسول الله ؟ قال : أحبّ أن لا تخرج بالليل ، فإنّي لا آمن عليك هذا الخلق المنكوس ، وعندي عقد تحصّن به نفسك وتحترز به عن الشرور والبلايا والمكاره ، والآفات والعاهات ، كما أنقذني الله منك البارحة ، ولو لقيت به جيوش الروم والترك ، واجتمع عليك وعلى غلبتك أهل الأرض جميعاً ما تهيّأ لهم منك شيء بإذن الله الجبّار ، وإنّ أحببت بعثت به إليك لتحترز به من جميع ما ذكرت لك ، قال : نعم ، فاكتب ذلك بخطّك وابعثه إليّ ، قال (عليه السلام) : نعم .

قال ياسر : فلمّا أصبح أبو جعفر (عليه السلام) بعث إليّ فدعاني ، فلمّا صرت إليه وجلست بين يديه دعا برقّ ظبيّ من ظبي تهامة ، ثمّ كتب بخطّه هذا العقد ، ثمّ قال : يا ياسر ، احمل هذا إلى المأمون وقل له أن يصوغ له قصبة من فضّة منقوش عليها ما أذكره بعد ، فإذا أراد شدّه على عضده فليشدّه على العضد الأيمن ، وليتوضّأ وضوءاً حسناً سابغاً ، وليصلّ أربع ركعات يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب ، وكلاً من آية الكرسي ، « وشهد الله » « والشمس وضحاها » و« والليل إذا يغشى » و« قل هو الله أحد » ، سبع مرّات ، فإذا فرغ منها فليشدّه على عضده الأيمن ، فيسلم عند الشدائد والنوائب بحول الله وقوّته كلّ شيء يخافه ويحذره ، وينبغي أن لا يكون طلوع القمر في برج العقرب .

ويروى أن المأمون بعد أن أخذ هذا الحرز منه (عليه السلام) غزا أهل الروم ففتح الله

عليه ، وصحبه معه في كلّ الغزوات والحروب التي خاضها فنصره الله ببركة هذا الحرز المبارك ، وهو يبدأ هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين . . » إلى آخر الحرز المعروف بحرز الجواد ، وهو معروف عند الشيعة ، وليس هذا موضع إيراده .

قال العلاّمة الطباطبائيّ بحر العلوم في (الدرّة) :

وجاز في الفضّة ما كان وعاء لمثل تعويذٍ وحرز ودعاء
فقد أتى فيه صحيح من خبر عاضده حرز الجواد المشتهَر[١]

التاسعة : روى أبو جعفر الطبريّ عن إبراهيم بن سعيد أنّه قال : رأيت محمّد بن عليّ ، أي الجواد (عليه السلام) يضرب بيده إلى ورق الزيتون فيصير في كفّه وَرِقاً[٢] ، فأخذت منه كثيراً وأنفقته في الأسواق فلم يتغيّر .

العاشرة : **في بعض دلائله (عليه السلام)** : وروى أيضاً عن عمارة بن زيد قال : رأيت الإمام محمّد التقيّ (عليه السلام) فقلت له : ما علامة الإمام يا بنْ رسول الله ؟ فقال : الإمام من يصنع هذا ، ثم وضع يده على صخرة فظهرت آثار أصابعه عليها .

قال الراوي : ثمّ رأيته يسحب الحديد دون أن يضعه في النار ، وينقش الصخر بخاتمه .

الحادية عشرة : روى ابن شهر اشوب وآخرون عن محمّد بن الريّان أنّه قال :

احتال المأمون على أبي جعفر (عليه السلام) بكلّ حيلة (ليجعله مثله من أهل الدنيا يميل إلى اللهو والفسوق) فلم يمكنه فيه شيء ، فلمّا أراد أن يبني عليه ابنته دفع إلى مئة وصيفة من أجمل ما يكنّ ، ومع كل واحدة منهنّ جام فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر (عليه السلام) إذا قعد في موضع الزفاف ، فلم يلتفت إليهنّ .

وكان رجل يقال له مخارق ، صاحب صوت وعود وضرب ، طويل اللحية ، فدعاه المأمون فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان في أمر من أمور الدنيا فأنا أكفيك أمره ، فقعد بين يدي أبي جعفر (عليه السلام) ، فشهق مخارق شهقة اجتمع إليه أهل الدار ، وجعل يضرب بعوده ويغني ، فعل هذا ساعة ، وأبو جعفر (عليه السلام) لا يلتفتُ إليه ، ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً ، ثمّ رفع رأسه إليه وقال : اتّق الله ياذا العثنون .

---

(١) المعتبر .

(٢) الوَرِق : الدراهم المضروبة .

قال : فسقط المضراب من يده والعود ، فلم ينتفع بيده إلى أن مات ؛ فسأله المأمون عن حاله فقال : لمّا صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا أفيق منها أبداً .

الثانية عشرة : روى القطب الراونديّ أنّ المعتصم دعا جماعة من وزرائه فقال : اشهدوا لي على محمّد بن عليّ بن موسى زوراً ، اكتبوا أنّه أراد أن يخرج ، ثم دعاه فقال : إنّك أردت أن تخرج عليّ ، فقال : والله ما فعلت شيئاً من ذلك ، قال : إنّ فلاناً وفلاناً شهدوا عليك ، فأحضروا فقالوا : نعم ، هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك !!

قال الراوي : وكان جالساً في بهو ، فرفع أبو جعفر (عليه السلام) يده وقال : اللهمّ إن كانوا كذبوا عليّ فخذهم .

قال : فنظرنا إلى ذلك البهو كيف يرجف ويذهب ويجيء ، وكلّما قام واحد وقع ، فقال المعتصم : يا بن رسول الله ، إنّي تائب ممّا قلت ، فادع ربّك أن يسكّنه ، فقال : اللهمّ سكّنه إنّك تعلم أنّهم أعداؤك وأعدائي ، فسكن .

الثالثة عشرة : وروى أيضاً عن إسماعيل بن عبّاس الهاشميّ قال : جئت إلى أبي جعفر (عليه السلام) يوم عيد فشكوت إليه ضيق المعاش ، فرفع المصلّى وأخذ من التراب سبيكة من ذهب فأعطانيها ، فخرجت بها إلى السوق فكانت ستّة عشر مثقالاً .

الرابعة عشرة : قال الشيخ الكشيّ نقلاً عن أحمد بن عليّ بن كلثوم السرخسيّ قال : رأيت رجلاً من أصحابنا (الإماميّة) يعرف بأبي زينبة ، فسألني عن أحكم بن بشّار المروزيّ ، وسألني عن قصّته وعن الأثر الذي في حلقه ، وقد كنت رأيت في بعض حلقه شبه الخطّ ، كأنّه أثر الذبح ، فقلت له : قد سألته مراراً فلم يخبرني .

قال أبو زينبة : كنّا سبعة نفر في حجرة واحدة ببغداد في زمان أبي جعفر الثاني (عليه السلام) ، فغاب عنّا أحكم من عند العصر ، ولم يرجع في تلك الليلة ، فلمّا كان في جوف الليل جاءنا توقيع من أبي جعفر (عليه السلام) أنّ صاحبكم الخراسانيّ (أي أحكم) مذبوح مطروح في لبد[1] في مزبلة كذا وكذا ، فاذهبوا وداووه بكذا وكذا ، فذهبنا فوجدناه مذبوحاً مطروحاً كما قال ، فحملناه وداويناه بما أمرنا فبرىء من ذلك .

قال أحمد بن عليّ الراوي : كان من قصّته أنّه تمتّع ببغداد في دار قوم ، فعلموا به ، فأخذوه وذبحوه ، وأدرجوه في لبد وطرحوه في مزبلة .

إشارة إلى استحباب المتعة : يقول المؤلّف : إنّ استحباب المتعة عند الشيعة ثابت ، بل

---

(١) اللبد : بساط من صوف أو غيره ، يجعل على ظهر الفرس تحت السرج .

روي عن الصـادق (عليه السـلام) قولـه ؛ ليس منّا من لا يؤمن بـرجعتنا ، ولا يقـول بحـلّ المتعة .

وعنـه (عليه السـلام) : « إنّ الله عزّ وجـلّ حرّم عـلى شيعتنا المسكـر من كلّ شراب . وعوّضهم عن ذلك المتعة » .

والمرويّات في فضل المتعة كثيرة ، ومنها ما رواه الشيخ المفيد (ره) في كتاب (المتعة) عن صـالح بن عقبـة ، عن أبيه قـال : قلت للإمـام الباقـر (عليه السـلام) : الشخص يتمتّع ، بثياب ؟ قال : إن كـان في هذا العمـل يريـد الله وامتثال الشريعـة ، ومخالفـة مَن منعها ، فـلا يتكلّم مع تلك المرأة إلاّ كتب الله تعالى له حسنة ، فإذا قاربها غفر الله بسبب هذا ذنوبه ، فـإذا اغتسل وهبه الله مغفرة بعدد كلّ شعرة جرى عليها الماء .

قال الراوي : قلت له متعجبّاً : بعدد كلّ شعرة في بدنه ؟ قال : نعم ، بعدد كلّ شعـرة في بدنه .

كما روي عن الصادق (عليه السلام) قـوله : مـا تمتّع شخص ثمّ اغتسـل إلاّ خلق الله من كلّ قطرة تقطر منه سبعين ملكاً يستغفرون له إلى يـوم القيامـة ، ويلعنون مجتنبهـا حتّى تقوم القيامة .

وروي أنّ أبا الحسن (عليه السلام) كتب إلى بعض مواليه : لا تصرّنّ على المتعة ، فـما عليك إنّما هو إقامة السنّة ، أي : تمتّع بالقـدر الذي تقـوم به السنّـة ، فلا تشغلك المتعـة حتّى تهجر نساءك وفراشك فتتركهنّ عاطلات ، فيكفرن ويبغضن الذي أمركم بها ، ويبغضننا[1] .



(١) الأحاديث المتقدّمة عن استحباب المتعة أتت مضموناً لا نصّاً (المعرّب) .

الفصل الرابع

في ذكر طرف من كلمات الجواد (عليه السلام) وحكمه

أوّلاً : قال (عليه السلام) : « الثقة بالله تعالى ثمن لكلّ غالٍ ، وسلّم إلى كلّ عالٍ » .

ثانياً : وقال (عليه السلام) : « عزّ المؤمن غناه عن الناس » .

ثالثاً : وقال (عليه السلام) : « لا تكن وليّ الله في العلانية ، عدوّاً له في السرّ » .

أقول : هذا القول له (عليه السلام) شبيه بقول جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ قال : « لا تسبّنّ إبليس في العلانية ، وأنت صديقه في السرّ » .

رابعاً : وقال (عليه السلام) : « من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنّة » .

خامساً : وقال (عليه السلام) : « كيف يضيع مَن الله تعالى كافله ؟ وكيف ينجو مَن الله تعالى طالبه ؟ ومن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه ، ومن عمل على غير علم أفسد أكثر ممّا يصلح » .

سادساً : وقال (عليه السلام) : « إيّاك ومصاحبة الشرّير ، فإنّه كالسيف المسلول يحسن منظره ، وتقبح آثاره » .

سابعاً : وقال (عليه السلام) : « كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة » .

ثامناً : روي أنّ رجلاً قال له : أوصني يا بن رسول الله ، قال : أو تقبل ؟ قال : نعم ، قال : « توسّد الصبر ، واعتنق الفقر ، وارفض الشهوات ، وخالف الهوى ، واعلم بأنّك لم تخل من عين الله ، فانظر كيف تكون » .

تاسعاً : وقال (عليه السلام) : « المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال : توفيقٍ من الله ، وواعظ من نفسه ، وقبول ممّن ينصحه » .

عاشراً : وقال (عليه السلام) : « لا تعاد أحداً حتّى تعلم الذي بينه وبين الله تعالى ، فإن كان محسناً فإنّه لا يسلمه إليك ، وإن كان مسيئاً فإنّ علمك به يكفيه ، فلا تعاده » .

حادي عشر : وقال (عليه السلام) : « القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال » .

يقول المؤلّف : الروايات في صدد القلب ورعايته كثيرة ، فيذكر عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قوله :

« في الإنسان مضغة إذا هي سلمت وصحّت سلم بها سائر الجسد ، فإذا سقمت سقم بها سائر الجسد ، وهي القلب » .

وروي عنه (صلّى الله عليه وآله) أيضاً : « إذا طاب قلب المرء طاب جسده ، وإذا خبث القلب خبث الجسد » .

وأوصى أمير المؤمنين ولده الحسن (عليهما السلام) فقال :

« إنّ من البلاء الفاقة ، وأشدّ من ذلك مرض البدن ، وأشدّ من ذلك مرض القلب ؛ وإنّ من النعم سعة المال ، وأفضل من ذلك صحّة البدن ، وأفضل من ذلك تقوى القلوب » .

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله :

« القلوب ثلاثة : قلب منكوس لا يعي على شيء من الخير ، وهو قلب الكافر ؛ وقلب فيه الخير والشرّ يعتلجان [1] ، فما كان منه أقوى غلب عليه ؛ وقلب مفتوح فيه مصباح يزهر فلا يطفأ نوره إلى يوم القيامة ، وهو قلب المؤمن » .

وعن الصادق (عليه السلام) : « إنّ منزلة القلب من الجسد بمنزلة الإمام من الناس » .

وروي أنّ موسى (عليه السلام) كان يعظ أصحابه فقام شخص فقدّ قميصه ، فجاء الوحي إلى موسى (عليه السلام) أن قل له : لا تقدّ قميصك ، بل قدّ من أجلي قلبك .

ولقد أجاد الحكيم السنائيّ إذ قال :

---

(١) في المصدر : « وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرّ فيه يعتلجان » .

استقرّ القلب فوق الجسدِ مطمئناً بمقام السيّدِ
إن شكا القلب اشتكى باقي الجسدْ ظلم أهل الخور من ضعف الأسد
إن ملأت القلب من سوء العمل صار شيطاناً ومثوىً للزلل
أسميت قلبك قطعة من لحم وتركت حقّ القلب دون الفهم
هذا الذي تزهو به وتفتخر إلى كلاب الحيّ يرمى فاعتبر
والقلب هذا مسكن ربّاني لا تجعلوه مسكن الشيطان(١)

ثاني عشر : وقال (عليه السلام) : « من أطاع هواه أعطى عدوّه مناه » .

ثالث عشر : ذكر الشيخ الصدوق عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني (ره) أنّه قال : قلت لمحمّد بن عليّ (عليه السلام) : يا بن رسول الله ، حدّثني بحديث عن آبائك عليهم السلام ، فقال :

حدّثني أبي عن جدّي ، عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا ، فإذا استووا هلكوا » ، قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال :

حدّثني أبي عند جدّي ، عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « لو تكاشفتم ما تدافنتم » .

قال : زدني يا بن رسول الله ، قال بالسند نفسه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : « إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء » .

وقد سمعت عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : « إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم بأخلاقكم » .

قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « من عتب على الزمان طالت معتبته » .

أقول : وبهذا المعنى قوله (عليه السلام) : « أغض على القذى وإلّا لن ترضى أبداً » .

وقال عبد العظيم (ره) : قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « مجالسة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار » .

---

(١) أبيات معرّبة عن الفارسيّة ، بتصرف (المعرّب) .

قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد » .

أقول : ومن كلماته (عليه السلام) أيضاً : « البغي آخر مدّة الملوك » .

قال : قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « قيمة كلّ أمرىء ما يحسنه » .

قال الخليل بن أحمد : إنّ أفضل قول يحثّ الإنسان على طلب العلم والمعرفة قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : « قيمة كلّ امرىء ما يحسنه » .

قال عبد العظيم (ره) قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « المرء مخبوء تحت لسانه » .

ومن هنا قوله أيضاً : « تكلّموا تعرفوا » .

قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « ما هلك امرؤ عرف قدره » .

قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم » .

أقول : جاء في فصل عظات الإمام الصادق (عليه السلام) ما يقرب من هذا . قال : قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « من وثق بالزمان صرع » .

قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « خاطر بنفسه مَن استغنى برأيه » .

قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « قلّة العيال إحدى اليسارين » .

قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « من دخله العُجب هلك » .

قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « من أيقن الخلف جاد بالعطيّة » .

أقول : لقد أشار إلى هذا المعنى بعض الشعراء في مدحه لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال :

جاد بالقرص والطوى ملء جنبيـ ـه وعاف الطعام وهو سَغوب
فأعاد القرص المنير عليه القر ص والمقرِضُ الكرام كسوب

روي أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) سقى نخلاً مقابل مدّ من شعير ، فطُحن له وخُبز ، فلما أراد الإفطار أتاه سائل على الباب ، فأعطاه الخبز وبات ليلته جائعاً .

وإلى هذا أشار الشاعر ، وانتهى إلى أنّه (عليه السلام) أبدل بقرص الخبز قرصاً منيراً ، كناية عن رجوع الشمس إليه عليه السلام .

قال عبد العظيم (ره) : قلت : زدني يا بن رسول الله ، قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « من رضي بالعافية ممّن دونه رزق السلامة ممّن فوقه » .

قال عبد العظيم (ره) : فقلت : كفى يا بن رسول الله .

يقول المؤلّف : تشتمل هذه الرواية على ستّة عشر قولاً من أقوال أمير المؤمنين (عليه السلام) حدّث الإمام الجواد (عليه السلام) بكلّ منها نقلاً عن آبائه العظام ، وسأقتدي به (عليه السلام) فأورد بدوري اثنتي عشرة كلمة من كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) نقلاً عن (نهج البلاغة)، فيصبح المجموع ـ مع الكلمات الإثني عشرة للجواد (عليه السلام) ـ أربعين حديثاً من حفظها كان مشمولاً بالحديث الشريف:

« من حفظ من شيعتنا أربعين حديثاً بعثه الله عزّ وجلّ يوم القيامة عالماً فقيهاً ، ولم يعذّبه » .

١ ـ قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « إذا تمّ العقل نقص الكلام » .

٢ ـ وقال (عليه السلام) : « أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله » .

وهو (عليه السلام) في كلمة من كلماته يتحدث عن هذا النوع من الناس الذين يتتبّعون سقطات الآخرين ويشهّرون بهم ، متجاهلين محاسن أعمالهم ، فيشبّههم بالذباب الذي يفتّش عن المواضع الفاسدة والقذرة من بدن الإنسان فيقع عليها ، ولا يعبأ بالمواضع الصحيحة منه .

٣ ـ وقال (عليه السلام) : « رأي الشيخ أحبّ إليّ من جَلَد الغلام » .

مغزى قوله (عليه السلام) من أن رأي المسنّ المتقدّم في السنّ أحبّ إليه من رجولة وجَلَد حديث السن لعلّه يكمن في أنّ رأي المسنّ المدبِّر إنّما يصدر عن عقل وتجربة ، ممّا يكون

سبباً للإصلاح ، بل لإطفاء الكثير من الفتن ، وهذا يباين جَلدَ الشباب المبنيّ غالباً على التهوّر وإلقاء النفس في التهلكة ، ممّا يكون سبباً لخطوات غير متّزنة تؤدّي غالباً إلى اشتعال نار الحرب ، وهلاك الكثير من الناس ، ولهذا يقول أبو الطيّب المتنبّي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أوّلٌ وهي المحلّ الثاني
فإذا هما اجتمعا النفس حرّة بلغت من العلياء كلّ مكان

٤ ـ وقال (عليه السلام): «فوت الحاجة أهون من طلبها إلى[1] غير أهلها».

ولقد أجاد من قال :

أقسم بالله لَمصّ النوى وشرب ماء القُلُب المالحة
أحسن بالإنسان من ذلّة ومن سؤال الأوجُهِ الكالحة
فاستعن بالله تكن ذا الغنى مغتبطاً بالصفقة الرابحة
طوبى لمن يصبح ميزانه يوم يلاقي . ربّه راجحة

٥ ـ وقال (عليه السلام) : « القناعة مال لا ينفد » .

أقول : سيأتي في فصل « معجزات الهادي (عليه السلام) » كلام في القناعة إن شاء الله .

٦ ـ وقال (عليه السلام) : « كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه لغيرك » .

ذلك أنّ على طالب السعادة لنفسه والتهذيب لخلقه أن يجعل الآخرين مرآة لعيوبه ، فيتأمّل في ما يصدر عنهم من حسن فيراه حسناً إن صدر عنه ، ومن قبح فيراه قبيحاً إن صدر عنه ، فيسعى من ثمّ في التخلّص من قبائحه ، والتخلّق بالخلق الحسن سعياً حثيثاً .

٧ ـ وقال (عليه السلام) : « كم من أكلة منعت أكلات » .

وفي معنى كلامه (عليه السلام) : « كم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً » . وقد أخذ الحريريّ في (المقامات) عنه قوله : « يا رُبّ أكل هاضت الآكل ومنعته مآكل » .

٨ ـ وقال (عليه السلام) : « كن في الفتنة كابن اللبون ، لا ظهر فيُركَب ، ولا ضرع فيُحلب » .

المغزى : تجنّب الفتن ، ولا ترفدها بقوة ساعد أو مال ، ودع عنك التفكير في استجلاب

(١) من .

نفع منها ، فكم من دماء فيها تُسفك ، وكم من أموال تُسلب ، وكم من أعراض تنتهك ، فتكون شريكاً في هذا كلّه ، وتخسر إذ ذاك آخرتك ودنياك .

٩ ـ وقال (عليه السلام): «ما عال من اقتصد».

١٠ ـ وقال (عليه السلام) : « ما قال الناس لشيء طوبى له إلاّ وقد خبّأ له الدهر يوم سوء » .

١١ ـ وقال (عليه السلام) : « من تذكّر بُعد السفر استعدّ » .

فمن ليس في صدد الاستعداد لسفره ، والتهيئة لزاد هذا السفر فهو لا شكّ في غفلة عن العالم الآخر ، فليدع عنه الغفلة ، وليعدّ لسفره ، وليقل مخاطباً نفسه :

إنّي وأنت من التراب وذي الشما ... ل إلى اليمين تروح فينا والشمال
والعمر يمضي حسرةً ، ماراح منـ ... ـه لا تضيّع غيره بردى المآل
في سكّة تمضي بنا نحو القبو ... ر وتستوي الأيّام فيها والليال
إن أظلمت نفس بحالِكِ مأثمٍ ... مرآة خوفك لا تزد فيها الصقال
الحيّ إنْ في قلبه مات التقى ... هو ميّت إذ ليس يحيا في انشغال[1]

ثمّ يورد المؤلّف بالعربيّة مخاطباً ذا الغفلة :

ما لَكَ في الخيمة مستلقياً ... قد نهض القوم وشدّوا الرحال
قد وعر المسلك ياذا الفتى ... أفلح من هيّأ زاد المآل
لا تك تغترّ بمعمورة ... يعقبها الهدم أو الانتقال
ما لَكَ تعصي ومنادي القبول ... من قِبل الحقّ ينادي : تعال

١٢ ـ وقال (عليه السلام) : « ما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار » .

جاء في التواريخ أنّه لما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير وأخضع العراق لحكمه وسلطانه قدم إلى الكوفة ، ودخل دار الإمارة ، وهناك اتّكأ بإرتياح وسرور على سرير الحكم ـ أمر برأس مصعب فوُضع بين يديه ، فقام أحد الحاضرين ـ ويقال له : عبد الملك بن عمر ـ وهو يرتجف ويقول مخاطباً ابن مروان :

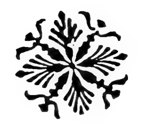
سلّم الله الأمير ، لقد رأيت في دار الإمارة هذه عجباً : كنت في هذا المجلس مع عبيد الله بن ياد ، فأتي برأس الإمام الحسين (عليه السلام) فوُضع بين يديه ، وبعد مدة

(١) تعريب خمسة أبيات عن الفارسيّة (المعرّب) .

استولى المختار على الكوفة ، وكنت معه في هذا المجلس حين أتي برأس ابن زياد فطرح بين يديه ، وبين المختار ، رأيت وأنا في هذا المجلس رأسه يلقى بين يدي مصعب بن الزبير ، وهأنذا مع الأمير في هذا المجلس وأرى رأس مصعب بين يديه ، وإنّي أعيذ الأمير بالله من شرّ هذا المجلس !!

فلمّا سمع عبد الملك بن مروان هذه القصّة أخذ يرتجف ، ثم أمر بدار الإمارة تلك فدكّت[١] .

يقول المؤلّف : يضمّ كتاب (كشف الغمّة) في أحوال الجواد (عليه السلام) أقوالاً كثيرة لأمير المؤمنين (عليه السلام) نقلها عنه الإمام الجواد (عليه السلام)، وحيث إنّ إيرادها يدعو للإطالة فلم نأت بها ، فعلى من يطلبها الرجوع إلى هناك .



(١) أورد المؤلّف رحمه الله بعد هذا أبياتاً تتضمّن القصّة المتقدّمة بحذافيرها نظماً ، فلم أجد ضرورة لتعريبها (المعرّب) .

الفصل الخامس

في استشهاد الإمام محمد الجواد (عليه السلام)

في أسباب وحيثيّات استشهاد الجواد (عليه السلام) وكيفيّته

بعد مضيّ الإمام الرضا (عليه السلام) استدعى المأمون ابنه الإمام الجواد (عليه السلام) إلى بغداد ، وزوّجه من ابنته أمّ الفضل ، وبعد مدّة قضاها (عليه السلام) في بغداد ، وسوء معاملة المأمون ينغّص عليه حياته ، طلب الإذن في الخروج إلى الحجّ ، ثمّ رجع من هناك إلى مدينة جدّه (صلّى الله عليه وآله) ، وبقي فيها حتّى وفاة المأمون ، واغتصاب المعتصم للحكم ، وكان هذا في السابع عشر من رجب سنة ثماني عشرة ومئتين من الهجرة .

كان المعتصم الخليفة يستمع إلى ما يتردّد عن فضائل الجواد (عليه السلام) وكراماته وكماله ، فتشتعل في صدره نائرة الحسد ، وتزيده الأيّام تصميماً على التخلّص منه ، ولمّا عزم على ذلك قام باستدعاء الإمام (عليه السلام) إلى بغداد .

ولمّا عزم (عليه السلام) على التوجه إلى بغداد أوصى بخلافته إلى ابنه الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) بمشهد من أكابر شيعته وثقاة أصحابه ، فنصّ عليه صراحة ، وأحال إليه كتب العلوم والأسلحة وآثار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وقد استقرّ عزمه على المضيّ إلى ما كتب له ، فودّع ابنه (عليه السلام) وفارق تربة جدّه (صلّى الله عليه وآله) ، بقلب دامٍ متوجّهاً إلى بغداد ، فدخلها في اليوم الثامن والعشرين من المحرّم سنة عشرين ومئتين ، وفي أواخر تلك السنة اغتاله المعتصم شهيداً مسموماً .

أمّا كيفيّة استشهاده (عليه السلام) ففيها اختلاف ، والمشهور أنّ زوجته أمّ الفضل ابنة المأمون سمّته بتحريض من عمّها المعتصم ، ذلك أنّ أمّ الفضل كانت تأخذ على زوجها ميله إلى غيرها من النساء والجواري ، وأنّه كان يؤثر عليها أمّ ابنه عليّ (عليه السلام) ، وكانت

وكثيرة الشكوى من ذلك في حياة أبيها ، فلا يلتفت المأمون إلى شكاواها لما كان من سياسته في تقريب الرضا (عليه السلام) ، والحرص على عدم التعرّض إلى أهل بيته .

غير أنّ أمّ الفضل دخلت على أبيها ذات ليلة وهو سكران لا يعقل ، وشكت إليه غيرتها من جارية من ولد عمّار بن ياسر ، الأمر الذي أغضبه ، فدخل على الإمام الجواد (عليه السلام) بالسيف وما زال يضربه حتى ظنّ أنّه قطّعه إرباً ، فإذا بهم يرونه في الصباح سالماً معافى لا أثر لجرح فيه ، كما تقدّم في الفصل الثالث .

ومجمل القول ، وكما جاء في (عيون المعجزات) فإنّه لما وقف المعتصم على انحراف أمّ الفضل عن أبي جعفر (عليه السلام) أشار عليها بأن تسمّه ، فأجابته إلى ذلك ، وجعلت سمّاً في عنب رازقيّ ووضعته بين يديه ، فلمّا أكل منه ندمت وجعلت تبكي ، فقال لها (عليه السلام) : ما بكاؤك ؟! والله ليضربنّك الله بعقر لا ينجبر وبلاء لا ينستر ، فماتت بعلّة في أغمض المواضع من جوارحها ، صارت ناسوراً ، فأنفقت مالها وجميع ما ملكته على تلك العلّة ، حتى احتاجت إلى الإسترفاد[1] ، وروي أنّ الناسور كان في فرجها .

وذكر المسعودي في (إثبات الوصية) ما يقارب هذا ، غير أنّه قال : إنّ المعتصم وجعفر بن المأمون كليهما قد حرّضا أمّ الفضل على قتله (عليه السلام) ، وإنّ جعفر بن المأمون تردّى في بئر وهو سكران فأخرج ميّتاً .

وذكر العلاّمة المجلسيّ في (جلاء العيون) أنّه لما بويع المعتصم جعل يتفقّد أحوال أبي جعفر (عليه السلام) ، فكتب إلى عبد الملك الزيّات عامله على المدينة أن ينفذ إليه التقيّ (عليه السلام) وأمّ الفضل ، فتجهزّ (عليه السلام) وخرج إلى بغداد ، ولما دخلها أكرمه وعظّمه ، وبعث بالتحف إليه وإلى أمّ الفضل ، ثم أنفذ إليه شراب حمّاض الأترجّ مختوماً بختمه مع غلام له يدعى أشناس ، وقال له : إن أمير المؤمنين بعث به إليك ، وهو شرابه المفضّل الذي صنعه لنفسه ، وقد ذاقه جماعة من الخاصّة ، ويوصيك أن تشرب منه بماء الثلج ، وكان الغلام قد أحضر معه ثلجاً فصنع له شراباً ، فقال (عليه السلام) : إشربها بالليل ، قال : إنّها تنفع باردة ، وأصرّ عليه في أن يشربها قبل ذوبان الثلج ، فشربها (عليه السلام) عالماً بفعلهم ، أي عالماً بأنّها ممزوجة بالسمّ .

اختلاف الفقهاء في كيفيّة قطع يد السارق

ذكر الشيخ العيّاشيّ عن زُرقان صاحب ابن ابي داود القاضي قال : رجع ابن أبي داود

---

(١) الإسترفاد : طلب الرفد ، أي المعونة .

ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتمّ ، فقلت له في ذلك فقال : وددت اليوم أنّي قد متّ منذ عشرين سنة ، فقلت له : ولِمَ ذاك ؟ قال : لما كان من أبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين ، قلت : وكيف كان ذلك ؟ قال :

إنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة ، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه ، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه ، وقد أحضر محمّد بن عليّ ، فسألنا عن القطع في أيّ موضع يجب أن يقطع ؟ فقلت من الكرسوع[1] ، قال : وما الحجّة في ذلك ؟ قلت : لأنّ اليد هي الأصابع والكفّ إلى الكرسوع ، ولقول الله في التيمّم : ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ ، واتّفق معي في ذلك قوم ؛ وقال آخرون : بل يجب القطع من المرفق ، قال : وما الدليل على ذلك ؟ قالوا : لمّا قال الله تعالى : ﴿ وأيديكم إلى المرافق ﴾ في الغسل دلّ ذلك على أنّ حدّ اليد هو المرفق .

قال : فالتفت المعتصم إلى محمّد بن عليّ (عليه السلام) فقال : ما تقول في هذا يا أبا جعفر ؟ قال (عليه السلام) : قد تكلّم القوم فيه ، قال : دعني ممّا تكلّموا به ، أيّ شيء عندك ؟ قال : أعفني عن هذا ، قال : أقسمت عليك بالله لمّا أخبرت بما عندك فيه .

فقال (عليه السلام) : أمّا إذا أقسمت عليّ بالله إنّي أقول : إنّهم أخطأوا فيه ، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع ، فيترك الكفّ ، قال : وما الحجّة في ذلك ؟ قال : قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) السجود على سبعة مواضع ومنها الكفّان ، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها ، وقال الله تعالى : ﴿ وأنّ المساجد لله ﴾ .

قال : فأعجب المعتصم ذلك ، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ .

قال ابن أبي داود : قامت قيامتي ، وتمنّيت أن لم أك حيّاً .

قال زرقان : بعد ثلاثة أيّام صار ابن أبي داود إلى المعتصم فقال له : إنّ نصيحة أمير المؤمنين عليّ واجبة ، فما وقع قبل أيّام ليس في مصلحة الخليفة ، قال : وما هو ؟ قال : جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيّته وعلماءها لأمر واقع من أمور الدين ، فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك ، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقوّاده ووزراؤه وكتّابه ، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه ، ثمّ يترك أقاويلهم كلّهم لقول رجل يقول شطر هذه

---

(١)الكرسوع : طرف الزند عند الرسغ .

الأمّة بإمامته ، ويدّعون أنّه أولى منه بمقامه ، ثمّ يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء !!

قال فتغيّر لون المعتصم وتنبّه لما نبّهته له وقال : جزاك الله عن نصيحتك خيراً .

وفي اليوم الرابع أمر فلاناً من كتّاب وزرائه أن يدعو أبا جعفر إلى منزله ، فدعاه فأبى أن يجيبه ، وقال : قد علمت أنّي لا أحضر مجالسكم ، فقال : إنّي إنّما أدعوك إلى الطعام ، وأحبّ أن تدخل منزلي فأتبرّك بذلك ، فقد أحبّ فلان ابن فلان من وزراء الخليفة لقاءك!!

فصار (عليه السلام) إليه ، فلمّا طعم من طعامه أحسّ السمّ ، فدعا بدابّته ، فسأله ربّ المنزل أن يقيم فقال : خروجي من دارك خير لك !!

فلم يزل يومه ذاك وليله في عذاب وألم حتّى قُبض عليه السلام . انتهى .

بعد غسله وتكفينه (عليه السلام) حملت جنازته إلى مقابر قريش ودفن إلى جنب جدّه موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، وتشير الظواهر إلى أنّ الواثق بالله صلّى عليه ، لكنّ الواقع هو أنّ ابنه عليّ النقيّ (عليه السلام) حضر من المدينة وقد طويت له الأرض ، وتصدى لتجهيز أبيه غسلاً وتكفيناً وصلاة ودفناً .

جاء في (بصائر الدرجات) عن رجل كان رضيع أبي جعفر (عليه السلام) قال :

بينا أبو الحسن (يعني عليّ بن محمّد الهادي (عليهما السلام)) جالس مع مؤدّب له بالمدينة يقرأ من اللوح على مؤدّبه ، وأبو جعفر (عليه السلام) ببغداد ، فإذا بأبي الحسن (عليه السلام) يبكي بكاء شديداً ، فسأله المؤدّب : ما بكاؤك ؟ فلم يجبه وقال : ائذن لي بالدخول ، فأذن له ، فارتفع الصياح والبكاء من منزله .

ثمّ خرج إلينا ، فسألناه عن البكاء فقال : إنّ أبي توفّي الساعة ، فقلنا : بم علمت ؟ قال : قد دخلني من إجلال الله ما لم أكن أعرفه قبل ذلك ، فعلمت أنّه قد مضى ، وأنّ الإمامة انتقلت إليّ ؛ وورد الخبر بعد مدّة بأنّه (عليه السلام) توفّي في تلك الساعة .

وفي تاريخ وفاته (عليه السلام)اختلاف ، والأشهر أنّه في آخر ذي القعدة من سنة عشرين ومئتين من الهجرة ، ويقال : السادس من ذي الحجّة ، بعد سنتين ونصف من موت المأمون ، ويؤيد ذلك قوله (عليه السلام) : « الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً » .

وذكر المسعوديّ أنّ وفاته (عليه السلام) كانت في الخامس من ذي الحجّة سنة تسع عشرة ومئتين ، وكان عمره عند وفاته خمساً وعشرين سنة وأشهراً .

الفصل السادس

ابناء الامام محمد الجواد (عليه السلام)

موسى المبرقع وأولاده وذراريه

ذكر الفاضل النسّابة السيّد ضامن بن شدقم الحسيني المدنيّ في (تحفة الأزهار في نسب الأئمّة الأطهار) أنّه كان للجواد (عليه السلام) أربعة أبناء : أبو الحسن الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) ، وأبو أحمد موسى المبرقع ، وأبو أحمد الحسين ، وأبو موسى عمران ؛ وبناته : فاطمة ، وخديجة ، وأمّ كلثوم ، وحكيمة ، وأمّهم أمّ ولد يقال لها سمانة المغربيّة ، ولم يكن له (عليه السلام) أبناء من أمّ الفضل ابنة المأمون ، وينحصر عقبه في اثنين من بنيه هما : الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) ، وأبو أحمد موسى .

يقول المؤلّف : يظهر من (تاريخ قمّ) أنّ زينب وأمّ محمّد وميمونة كنّ من بنات الجواد (عليه السلام) أيضاً ، ويذكر الشيخ المفيد في عداد بنات الجواد (عليه السلام) ابنة اسمها أمامة ، وموسى المبرقع هو جدّ السادات الرضويّين وحبل أولادهم غير المنقطع بحال والحمد لله ، وإليه ينتهي نسب أكثرهم ، وهو أوّل من قدم إلى قمّ من السادات الرضويّين وذلك سنة ست وخمسين ومئتين ، وكان يضع برقعاً على وجهه باستمرار ، ولذا كان يقال له المبرقع ، ولمّا قدم إلى قمّ أخرجه أهلها من العرب ، فذهب إلى « كاشان » وفيها تلقّاه أحمد بن عبد العزيز بن دُلَف العجليّ فأكرمه وخلع عليه الخلع الكثيرة والرواحل ، وجعل له كلّ سنة ألف مثقال ذهباً تعطى له مع جواد مسرج فما كان من زعماء العرب من أهل قمّ ، وبعد أن عادَوْه ، إلّا أن قدموا إليه معتذرين ، وعادوا به إلى قمّ ، معزّزاً مكرّماً ، وحَسُنت أحواله في قمّ حتّى اشترى قرى ومزارع بأمواله الخاصّة ، ثم قدمت عليه بعد ذلك أخواته زينب وأمّ محمّد وميمونة بنات الجواد (عليه السلام) ، ثمّ قدمت بعدهنّ بريهة ابنة موسى ، وجميعهنّ توفّين في قمّ ودفنّ عند فاطمة عليها السلام .

وزينب هي التي بنت قبّة على قبر المعصومة (عليها السلام) ، وأقيم بعد ذلك سقف على قبرها من الخوص والقصب[١] ، توفّي موسى ليلة الأربعاء ليومين بقيا من ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومئتين ، وصلّى عليه أمير قمّ العبّاس بن عمرو الغنويّ ، ودفن في موضعه المعروف الآن كما ذُكر في (تاريخ قمّ) وذكر السيّد ضامن بن شدقم أن موسى المبرقع مدفون بقمّ في بيت معروف بمنزل محمّد بن الحسن بن أبي خالد الأشعريّ المعروف بشنبولة .

أقول : محمّد بن الحسن هذا هو أحد رواة قمّ ومن أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) ، ووصيّ سعد بن سعد الأحوص الأشعريّ القمّيّ ، ويعرف الموضع الآن بمحلّة الموسويّين ، وهناك بقعتان ، في صغراهما صورة قبرين ، أحدهما قبر موسى المبرقع ، والآخر قبر أحمد بن محمّد بن أحمد بن موسى وأمّا كبراهما والموسومة بـ« الأربعين نجماً » ففي الكتابة فيها ورد اسم الشاه طهماسب وتاريخ ثلاث وخمسين وتسعمئة ، وأوّل من دفن فيها محمّد بن موسى المبرقع ، وبعده زوجه بريهة ابنة جعفر بن الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) ، وقد دفنت إلى جنب زوجها ، وقدم أخواها يحيى الصوفيّ وإبراهيم ابنا جعفر إلى قمّ وتسلّمها إرثها ، ثم انصرف إبراهيم وبقي يحيى بقمّ ، حيث اتخذ له موطناً ومقاماً في ميدان زكريّا بن آدم بالقرب من مشهد حمزة بن موسى بن جعفر (عليه السلام) .

وإلى جانب محمّد بن موسى وبالقرب من قبره تقوم قبور جماعة من العلويّين والسادات ومنهم : زينت وأمّ محمّد ابنتا موسى ، وأبو عليّ محمّد بن أحمد بن موسى وبناته فاطمة وبريهة وأمّ سلمة وأمّ كلثوم وغيرهنّ من العلويّات والفاطميّات وكلّهم من أعقاب موسى المبرقع وذراريه ، ومدفونون هناك .

ومحمّد بن أحمد بن موسى ، ويكنّى بأبي عليّ وبأبي جعفر أيضاً ، كان رجلاً فاضلاً شديد الورع ، حسن المحاورة حسن الهيئة ، فصيحاً عالماً عاقلاً ؛ وجاء في (تحفة الأزهار) أنّه كان يلقّب بالأعرج ، وكان رئيساً ونقيباً في قمّ ، وكان أميراً للحجّ ، وذُكر أنّ والي قمّ كان يشبّهه بالأئمّة في الفضل ، ويقول بقابليّته للإمامة ، وكانت وفاته في الثالث من ربيع الأوّل سنة خمس عشرة وثلاثمئة ، ودفن في مقبرة محمّد بن موسى .

وعن (تحفة الأزهار) أنّه كان لموسى المبرقع خمسة أبناء هم : أبو القاسم الحسين ، وعليّ ، وأحمد ، ومحمّد ، وجعفر ، وكان لأحمد بن موسى المبرقع ثلاثة أبناء هم : عبيد الله ، وأبو جعفر محمّد الأعرج ، والبقيّة في ولده لابنه أبي عبد الله أحمد نقيب قمّ .

---

(١) جاء في بعض نسخ (تاريخ قم) أنّ هذا المقام يحمل اسم محمّد بن موسى ، وذكر تاريخ وفاته ، ولم يرد ذكر لوفاة موسى وقبره .

يقول المؤلّف : إنّ أبا عبد الله أحمد بن محمّد الأعرج المذكور سيّد جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة ، وكان في قمّ رئيساً ونقيباً ، وكان متنسّكاً متعبّداً قريباً من قلوب الناس ، وكان رجلاً سخيّاً كريماً واسع الجاه ، كانت ولادته في قمّ سنة إحدى عشرة وثلاثمئة ، وفي شهر صفر سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة كانت وفاته ، وكانت وفاته مصيبة شديدة نزلت بأهل قمّ ، وهو الذي دفن مع موسى وليس أحمد بن موسى المبرقع الذي لا يعلم قدومه إلى قمّ ، وكان له أربعة أبناء[1] : أبو عليّ محمّد ، وأبو الحسن موسى ، وأبو القاسم عليّ ، وأبو محمّد الحسن ، وأربع إناث :

وبعد وفاته قصد أبناؤه ركن الدولة بمدينة الريّ ، فعزّاهم ركن الدولة وأمر برعايتهم وعدم وضع خراج على ممتلكاتهم ، وعادوا بعدها إلى قمّ ، ثمّ إنّ أبا عليّ محمّداً توجّه إلى خراسان ، فتلقّاه أهلها بالإعزاز والإكرام ، وأقام بخراسان حتّى مقتله أو مماته ، كما توجّه إلى خراسان أبو القاسم عليّ ، واتّخذ من طوس موطناً له ، بينما بقي أبو الحسن بقمّ ، وقام بتدبير شؤون أخيه أبي محمد وأخواته ، فوضع يده على ما تبقّى من ممتلكات أبيه ، وحرّر ما كان مرهوناً منها ، وكان طيّب السيرة ، وقاد حياته من أهل قمّ بأحسن وجه ، فكان يرعى حقوقهم ، فمالت إليه قلوبهم ورأسوه عليهم ، وفي سنة سبعين وثلاثمئة خرج إلى الحجّ ، وفي المدينة لقي بني عمومته فأشفق عليهم وقدّم لهم الخلع والعطايا ، فشكروه شكراً جزيلاً ، ومن ثمّ قفل عائداً إلى قمّ ، فتقاطر أهلها لاستقباله فرحين بعودته ، وأقاموا الزينات في الحواري والمناطق ، وكتب إليه الصاحب بن عبّاد مهنّئاً .

وإجمالاً فقد كان أبو الحسن موسى المذكور سيّداً فاضلاً متواضعاً سهل الجانب ، فوّضت إليه نقابة سادات قمّ ونواحيها ، وأوكلت إليه الشؤون والمخصّصات الشهريّة لسادات آبه وقمّ وكاشان وخوزن كافّتها ، وكان عددهم في تلك الأيام واحداً وثلاثين وثلاثمئة بين رجل وطفل ، وكانت مخصّصات كلّ منهم في الشهر ثلاثين منّاً من الخبز ، وعشر دراخمات[2] من الفضّة ، فإذا توفّي أحدهم طرح اسمه من كتاب المشاهرة وحلّ محلّه من يكون قد جاء إلى الوجود منهم ؛ وكان لأبي الحسن موسى أبناء عدّة منهم أبو جعفر ، وكان صهراً لذي الكفايتين أبي الفتح عليّ بن محمّد بن الحسين بن العميدات ، وزير ركن الدولة الديلميّ .

---

(١) ذِكر أربعة بنين يتّفق مع ما جاء في (تاريخ قم) ، أمّا في كتاب (المجدي) فقال في ذكر أولاد موسى المبرقع : « ومن أولاده يحيى بن أحمد بن أبي عليّ محمّد بن أحمد بن موسى بن محمّد التقيّ بن عليّ بن موسى الكاظم (عليهم السلام) ، وكان يحيى هذا رجلاً كريماً واسع الجاه ، وكان يسكن قمّ » . ثمّ ذكر مدح أبي القاسم الشاعر البصريّ له في ما قاله من شعره في قمّ .

(٢) اندراخما : وحدة نقديّة فضّية .

ومن أبناء أبي الحسن موسى العالم الجليل السيّد أبو الفتح عبيد الله بن موسى المذكور ، الذي أورد ذكره في (الفهرست) باسم الشيخ منتخب الدين ، وقال : إنّه ثقة تقيّ فاضل ، راوية لأخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام ، ومن تصانيفه كتاب (أنساب السادات) ، وكتاب في أحكام الحلال والحرام ، وكتاب في المذاهب المختلفة ، أخبرنا بهذه الكتب جماعة من الثقاة عن الشيخ المفيد النيسابوريّ عنه ، وليُعلم أنّه يروي عن عبيد الله المذكور غير المفيد النيسابوريّ أخوه العالم الجليل أبو سعيد محمّد بن أحمد النيسابوريّ جدّ الشيخ أبي الفتوح الرازيّ أيضاً ؛ وكان أولاد وذراري موسى المبرقع غالباً بقمّ ، ومنها انتشروا إلى قزوين وهمدان وخراسان وكشمير والهند وسائر البلاد ، وهم الآن في بلاد الشيعة من أعظم طوائف السادات وأكثرهم عزّاً وشرفاً .

قال القاضي نور الله في (المجالس) : الرضويّة نسب شريف للسادات العظام رضويّة المشهد المقدّس المنوّر ، والسادات الرضويّة في قمّ بمجموعهم ينتهون إلى أبي عبد الله أحمد نقيب قمّ ابن محمّد الأعرج بن أحمد بن موسى المبرقع بن الإمام محمّد التقيّ (عليه السلام)، والسيّد النقيب الأمير شمس الدين محمّد الذي يتّصل بأبي عبد الله أحمد نقيب قمّ بثلاث عشرة واسطة ، والذي قدم من قمّ إلى مشهد في زمان حكم الميرزا شاه رخ ، والميرزا أبو طالب المشهور هو من أولاده الأمجاد ، وقد شغل حكومة ولاية تبريز لمدة ، بناء على تفويض من السلطان مغفور ، والآن يسكن أبناء أخيه وأحفاده في المشهد الرضويّ المقدّس في احتشام وشوكة . انتهى .

وينتهي إلى أبي عبد الله أحمد النقيب أيضاً السيّد الأجلّ السيّد محسن بن السيّد رضيّ الدين محمّد بن السيّد مجد الدين عليّ بن السيّد رضيّ الدين محمّد بن بادشاه بن أبي القاسم بن ميسرة بن أبي الفضل بن بندار بن الأمير عيسى بن أبي محمّد جعفر بن عليّ بن أبي محمّد بن أحمد بن محمّد الأعرج بن أحمد بن موسى المبرقع بن الإمام الجواد (عليه السلام) ، الذي قال القاضي نور الله في حقّه : كان سيّداً فاضلاً عالي المقدار ، انتقل أبوه في زمان السلطان الميرزا حسين من قمّ إلى المشهد الرضويّ المقدّس ، حيث اشتغل فيه بتعليم علوم الدين وبالدعوة إلى دين آبائه الأطهار ، وقد اتّصل به الشيخ محمّد بن أبي جمهور وعاشره ، وزيّن باسمه بعض تصانيفه الشريفة ، وفي أيّام مجاورته في المشهد المقدّس وبيمن حمايته عقد مع العلماء من المخالفين أبحاثاً قويّة ، ومن أولاده الآن السيّد المتّقي العامل ، الإنسان الكامل ، صاحب الطهارة الملكيّة ، ثمرة الحديقة الفدكيّة ، الأمير محمّد جعفر الذي هو ـ لما يتميّز به من غاية الشرف ونفاسة الجوهر ـ في غنى عن مديح الذرّة الأحقر :

فتى لا يحبّ الزاد إلّا من التقى ولا يبتغي الخلّان إلّا ذوي الفضل

فـما مـنـه غـير الـعـلم يـرضي إلهـه ولا عـينـه تـرنـوا ولا أذن لـلغَـزْل[١]

منَّ الله علينا بطول بقائه ، ورزقني مرّة أخرى شرف لقائه . انتهى .

وقال بعض المتتبّعين : كان للأمير جعفر المذكور ابن يسمّى الأمير محمّد زمان ، وكان من العلماء أيضاً ، توفّي سنة إحدى وأربعين وألف ، وكان للأمير محمّد زمان ابن يدعى الأمير محمّد الحسن ، وكان من العلماء كذلك ، وكان للسيّد محسن ابن آخر يدعى الأمير محمّد المهديّ ، وكان أيضاً من العلماء ، وقد أجازه الشيخ علي كركيّ عند ذهابه نحو كاشان في قمّ سنة ستّ وثلاثين وتسعمئة ، وهكذا يُعلم أنّ قبر ذلك السيّد الجليل في قمّ في تكيّة قرب الصحن الشريف للمعصومة عليها السلام ، وهذه التكيّة تعرف اليوم بالمحمّديّة ، وفيها بقعة هو مدفون فيها .

أقول : تلك البقعة مشهورة بالمحمّديّة ، أمّا تلك التكيّة فتعرف بالحسينيّة ، وتقع في محلّة الحرم قرب الصحن الجديد ، وقيل : إنّه ينتسب إلى هذا السيّد الكبير السيّد صدر الدين بن الميرزا محمّد باقر الرضويّ القمّيّ شارح (الوافية) ، وأخوه الميرزا محمّد إبراهيم بن الميرزا محمّد باقر الرضويّ الذي كان من العلماء ، وكان من ساكني همدان ، إلى غير ذلك . انتهى .

وينتهي أيضاً إلى موسى المبرقع نسب السيّد الجليل الأمير محمّد بديع خادم الرضويّ (ره) كما ذكر السيّد ضامن المدنيّ في (التحفة) : محمّد بديع بن أبي طالب بن أبي القاسم بن محمّد بن غياث الدين عزيز بن شمس الدين محمّد بن محمود بن محمّد بن الأمير الهادي الحسن بن عليّ بن أبي الفتوح بن عيسى بن محمّد بن أبي محمّد جعفر بن أبي جعفر عليّ بن أبي عليّ محمّد بن أبي أحمد موسى الأبرش[٢] بن أبي عليّ محمّد الأعرج بن أحمد بن موسى المبرقع ، كان سيّداً ذا مروءة وشهامة ورفعة ورياسة وعظمة وجلالة ، وكان جمّ المحاسن ذا مودّة وصداقة ، وقد أهديته كتاب (الحقوق والمواريث) تأليف عزّ الدين عمر بن تاج الدين محمّد الفقيه الحسينيّ ، وكان محمّد بديع هذا القائم بأمر المشهد الرضويّ المقدّس ، وإليه يرجع الأعيان الأمجاد والزوّار والقصّاد ، وكان مرجعاً لأهل البلاد ، ثم أسند منصبه إلى ابنه غياث الدين ، بينما تولّى هو أمر أوقاف الإمام الرضا (عليه السلام) بأمر الشاه عبّاس بن الشاه صفيّ ، فانصرف إلى تعمير ما خرب منها وإكمالها واستحداث عمارات للغلّات ونحوها ، وكان

(١) تعريب للبيت الثاني فقط عن الفارسيّة ، بينما جاء البيت الأوّل بالعربيّة (المعرّب) .

(٢) يظهر أنّ « أبا أحمد موسى الأبرش » المذكور هنا خطأ ، والصحيح : أبو عبد الله أحمد بن أبي عليّ محمّد الأعرج .

والده أبو طالب سيّداً جليل القدر وجيهاً رئيساً جمّ المحاسن ، ذا مروءة عالية ، وخيرات جارية ، وكان للناس مقصداً وملجأً ، خدم في حرم الإمام الرضا (عليه السلام) من جانب الشاه عبّاس بن الشاه خدابنده ؛ وأراد الشاه عبّاس أن يتزوّج من ابنته ، غير أنّه اعتذر ، وزوّجها من ابن عمّها الأمير الحسن .

ثمّ قال السيّد ضامن : كان الأمير الحسن بن وليّ الله بن هداية الله بن مراد بن نعمة الله مشهوراً بالأمير الحسن القايينيّ وقد رأيته بالمشهد الرضويّ المقدّس في ذي الحجّة من سنة اثنتين وخمسين وألف ، كان عالماً فاضلاً كاملاً مدرّساً محققاً مدقّقاً ، وكان ابن عمّه محمّد إبراهيم بن الحسين بن نعمة الله بن هداية الله سيّداً جليل القدر ، عظيم الشأن ، رفيع المنزلة ، عالماً فاضلاً كاملاً ، وكان شيخ الإسلام في قايين ، ثم توجّه إلى الهند وبقي فيها مدّة ، ثمّ قصد مكّة المشرّفة سنة إحدى وستّين وألف ، وتوفّي هناك .

السيّدة حكيمة ابنة الإمام الجواد (عليه السلام)

اعلم أن حكيمة (بالكاف وليس حليمة باللام كما أصبح مشهوراً على ألسنة العوام) تمتاز بين بنات الإمام الجواد (عليه السلام) بالفضائل والمناقب ، وقد أدركت أربعة من الأئمّة ، وقد أسند الهادي (عليه السلام) إليها تعليم المكرّمة نرجس خاتون والدة إمام العصر (عليه السلام) معالم الدين وأحكام الشرع ، وتربيتها بالآداب الإلهيّة ، وبعد وفاة الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) تسنّمت منصب السفارة لإمام العصر صلوات الله عليه ، وكانت توصل عرائض الناس إليه (عليه السلام) كما توصل التوقيعات الصادرة عن تلك الناحية المقدّسة إلى الناس ، وهي تفخر بقبالة صاحب الأمر (عليه السلام) والتصدّي لشؤون ولادته ، كما تشرّفت عمّتها حكيمة خاتون ابنة الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) بقبالة ابن أخيها الإمام محمّد تقي (عليه السلام) ، وقد صرّح بهذا العلاّمة بحر العلوم طاب ثراه في كتاب (الرجال) .

وكانت هذه المخدّرة أوّل من لثمه (عليه السلام) ثمّ احتضنته وذهبت به إلى أبيه ، ثم عادت به إلى أمّه ، إجمالاً فقد كانت هذه المعظّمة تمتاز من بين السادات العلويّات والبنات الهاشميّات بالفضائل والمناقب والعبادة والتقوى والعلم ، وتفخر بحملها لأسرار الإمامة ، وقد صرّح العلماء باستحباب زيارتها ، وقبرها الشريف في سامرّاء في قبّة العسكريّين إلى الأدنى ملاصق لضريحهما (عليهما السلام) ، في ضريح على حدة ، ولم ترد في كتب المزار زيارة خاصّة بها .

قال العلاّمة المجلسيّ (ره) : لست أدري السبب في عدم تعرّض العلماء لزيارة تلك المصونة مع ما لها من فضيلة وجلالة .

وقال العلّامة بحر العلوم : عدم ذكر زيارة لتلك المعظّمة مع جلالتها ـ كما قال خالي المفضال ـ (يعني المجلسيّ ـ أمر عجيب ، والأعجب منه عدم تعرض الأكثرين كالشيخ المفيد في (الإرشاد) وغيره من كتب التاريخ والسير لنسب تلك المخدّرة في أولاد الإمام الجواد (عليه السلام) ، بل حصر بعض بناته (عليه السلام) في غيرها .

قال المفيد في (الإرشاد) : وخلّف ـ الجواد (عليه السلام) ـ عليّاً ابنه الإمام من بعده ، وموسى ، وفاطمة وأمامة ابنتيه ، ولم يخلّف ذكراً غير من سمّيناه . انتهى .



الفصل السابع

كوكبة من اكابر اصحاب الامام الجواد (عليه السلام)

الأوّل : أبو جعفر أحمد بن محمّد بن أبي نصر المعروف بالبزنطيّ الكوفيّ

ثقة جليل القدر ، وعن (مجالس المؤمنين) أنّه جاء في (الخلاصة) أنّه تشرّف بخدمة الإمام الرضا (عليه السلام) وكانت له عنده منزلة عظيمة ، وكان من خاصّة الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) ، وقد أجمع الأصحاب على تصحيح كلّ ما يرويه ، وأقرّوا بفقهه واجتهاده ، توفّي سنة إحدى وعشرين ومئتين بعد وفاة الحسن بن عليّ بن فضّال بثمانية أشهر .

وجاء في (مختار الكشّيّ) نقلاً عن أحمد قال :

دخلت يوماً مع صفوان بن يحيى ومحمّد بن سنان وعبد الله بن المغيرة ، أو عبد الله بن جندب على الإمام الرضا (عليه السلام) ، فمكثنا ساعة ثمّ قمنا فأمرني (عليه السلام) من بينهم بالجلوس فجلست ، فجعل يحدّثني ، كما سألته عن مسائل وسمعت الأجوبة عنها ، حتّى مضى من الليل أكثره ، فلمّا أردت الانصراف إلى منزلي قال : أتنصرف أو تنام هنا ؟ قلت : جعلت فداك ، إذا أمرتني بالانصراف انصرفت ، وإذا أمرتني بالبقاء بقيت ، فقال (عليه السلام) : نم هنا فالوقت متأخّر ، وقد أغلق الناس أبوابهم وذهبوا إلى النوم ، ثم قام (عليه السلام) ودخل بيته .

ولّما ظننت أنّه دخل بيته وقعت إلى الأرض ساجداً وقلت في سجدتي : الحمد لله الذي جعل حجّته ووارث علوم الأنبياء يخصّني من بين الإخوان والأصحاب بالأنس والرعاية ، وكنت لم أنصرف من سجدتي حين أقبل (عليه السلام) ونبّهني بقدومه ، فقمت فأخذ بيدي يفركها ويقول : يا أحمد ، إنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه أتى صعصعة بن صوحان عائداً له ، فلما أراد أن يقوم من عنده قال : يا صعصعة بن صوحان ، لا تفتخر بعيادتي إيّاك ، وانظر لنفسك فكأنّ الأمر قد وصل إليك ، ولا يلهينّك الأمل .

قال هذا وانصرف إلى بيته .

وذكر عنه أنّه قال : لمّا أتي بالرضا (عليه السلام) بأمر المأمون من المدينة ساروا به عن طريق البصرة مبتعدين عن الكوفة ، وكنت في ذلك الوقت بالقادسيّة ، فبعث إليّ (عليه السلام) بمصحف ، فلمّا فتحته رأيت أنّ سورة « لم يكن » فيه أطول ممّا هي عند الناس ، فحفظت منه آيات حتّى أتاني مسافرٌ مولى الرضا (عليه السلام) فأخذ المصحف منّي ووضعه في منديل ومهره ، ثمّ نسيت ما حفظته من ذلك المصحف ، ومهما حاولت أن أذكر كلمة واحدة منها لم يتيسّر لي .

الثاني : أبو محمّد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزديّ النيسابوريّ

ثقة جليل القدر ، من فقهاء الشيعة ومتكلّميهم ، وهو شيخ الطائفة عظيم الشأن يجلّ عن الوصف ، روى الحديث عن الإمام الجواد (عليه السلام) ، وقيل إنّه روى عن الرضا (عليه السلام) أيضاً ، كان أبوه من أصحاب يونس ، وصنّف الفضل مئة وثمانين كتاباً ، وقد ترحّم عليه أبو محمّد العسكريّ (عليه السلام) مرّتين ، وفي رواية : ثلاث مرّات ، وأورد الشيخ الكشّي روايات في مدحه ، ونقل أيضاً خبراً ينافي تلك الروايات ، وقد ردّ العلاّمة وآخرون على الروايات المنافية للمدح ، وهو رضي الله عنه أجلّ من أن يغمز عليه ، وهو رئيس طائفتنا رضي الله عنهم أجمعين .

وجاء في (مجالس المؤمنين) نقلاً عن كتاب (المختار) أن عبد الله بن الطاهر أخرج الفضل بن شاذان من نيسابور ، وبعد أن أشخصه إليه أمره بتفتيش كتبه وأن يكتبه وأن يكتب إليه عنها ، فكتب إليه الفضل رؤوس المسائل الإعتقاديّة من توحيد وعدل وما شابهها ، فلمّا وقع نظره عليها قال : هذا لا يكفي ، بل أريد معرفة قولك في السلف ، فقال له : إنّما أميل إلى أبي بكر ، أمّا عمر فلا أميل إليه ! فقال : ولم ذلك ؟ قال : لأنّه استبعد العبّاس من الشورى ، فتخلّص بجوابه اللطيف هذا ، والذي يلقى رضى العباسيّين من يدي هذا الفظّ الغليظ .

وروي عن السهل بن بحر الفارسيّ أنّه قال : في أواخر عهد صحبتي للفضل بن شاذان سمعته يقول : إنّي خليفة رهط من الأكابر الذين مضوا كمحمّد بن أبي عمير ، وصفوان بن يحيى وغيرهما ، وقد صحبتهم خمسين سنة وأخذت عنهم ، ولمّا مضى هشام بن الحكم خلفه يونس بن عبد الرحمن في الردّ على المخالفين ، فلمّا توفّي يونس كان خليفته في الردّ على المخالفين السكّاك ، وقد مضى بدوره وأنا خليفته .

يقول المؤلّف : السكّاك هو أبو جعفر محمّد بن الخليل البغداديّ ، وكان من المتكلّمين ،

ومن أصحاب هشام وتلميذاً له ، صنّف كتاباً في الإمامة .

وإجمالاً فجلالة الفضل بن شاذان أكثر من أن تذكر ، وقد توفّي في أيّام الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) ، ويقوم قبره في أرض نيسابور ، وهو قديم يقع اليوم خارج البلدة ، على بعد فرسخ منها تقريباً ، مع بقعة وصحن ومزار مشهور ، وقد كنت على قائمة القبر :

« هذا ضريح النحرير المتعال . . . الراوي عن الإمامين أبي الحسن عليّ بن موسى وأبي جعفر الثاني (عليهم السلام) ، زبدة الرواة ، ونخبة الهداة ، وقدوة الأجلّاء المتكلّمين ، وأسوة الفقهاء المتقدّمين ، الشيخ العلم الجليل الفضل بن شاذان بن الخليل ، طيّب الله ثراه ، قد وصل بلقاء ربّه في سنة « دويست وشصت » (ستين ومئتين) .

وكتب حول قائمة القبر :

« قد ترحّم عليه أبو محمّد الحسن العسكريّ (عليه السلام) فقال : رحم الله الفضل ثلاثة ولاء ، وقال (عليه السلام) أيضاً : أغبط أهل خراسان بمكان الفضل ، وقال محمّد بن إبراهيم الورّاق : خرجت إلى الحجّ فدخلت إلى مولاي أبي محمّد الحسن العسكريّ وأريته كتاب الفضل بن شاذان ، فنظر فيه ، وتصفّحه ورقة ورقة ، وقال (عليه السلام) : هذا صحيح ينبغي أن يعمل به ، رحم الله الفضل ، كتبه في سنة « دويست وشصت ويك » (إحدى وستّين ومئتين) .

لا يخفى أنّه ذكرت نبذة عن أحوال الفضل بن شاذان خلال الحديث عن أحوال الحسن بن عليّ بن الفضّال في أصحاب الرضا (عليه السلام) .

الثالث : أبو تمّام حبيب بن أوس الطائيّ الإماميّ النجاشيّ

ذكر العلّامة في (الخلاصة) أنّ أبا تمّام كان إماميّاً ، قال شعراً كثيراً في أهل البيت ، وقد قال أحمد بن الحسن : رأيت نسخة قديمة ، لعلّها في أيّام أبي تمّام أو ما يقرب من ذلك ، وقد كتبت فيها قصيدة لأبي تمّام ذكر فيها الأئمّة (عليهم السلام) حتّى الإمام أبي جعفر الجواد (عليه السلام) فلم يتجاوزه ، ذلك أنّه توفّي في أيامه (عليه السلام) وقال الجاحظ في كتاب (الحيوان) : حدّثني أبو تمّام ، وكان من رؤساء الرافضة . انتهى .

وإجمالاً ، فأبو تمّام صاحب (الحماسة) كان أوحد عصره في الفصاحة والبلاغة ، ويقال إنّه حفظ غيباً أربع عشرة أرجوزة عن العرب ، عدا القصائد والمقطوعات ، وهو في صناعة الشعر يحتلّ مكاناً رفيعاً ، وإبراهيم بن المدبّر ، مع أنّه كان من أهل العلم والمعرفة والأدب فهو لا يحفظ شيئاً من أشعاره ، ذلك أنّه كان يعاديه ، وكان أحياناً يشتمه ويلعنه ، وذات يوم

أنشده أحدهم شعراً لأبي تمّام دون أن ينسبه إليه ، فاستحسن إبراهيم ذلك الشعر وأمر ابنه أن يكتبه على ظهر كتاب ، ثم إنّ بعضهم قرأه فيما بعد فقال : أيّها الأمير ، هذا الشعر لأبي تمّام ، فلمّا سمع ذلك أمر ابنه بتمزيق تلك الصفحة من الكتاب .

وقد أنكر المسعوديّ هذا العمل من ابن المدبّر وقال : إنّه عمل قبيح منه ، فعلى العاقل أن يتلقّى الفائدة سواء أتت من صديق أو عدوّ ، من وضيع أو شريف ، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله : « الحكمة ضالّة المؤمن ، فخذ ضالّتك ولو من أهل الشرك » .

وذُكر عن بزرجمهر الحكيم أنّه قال : أخذت من كل شيء صفة حسنة حتى من الكلب والقطّ والخنزير والغراب ، فقيل له : ما الذي تعلّمته من الكلب ؟ قال : ألفته مع صاحبه ووفاؤه له ؛ قيل : ومن الغراب ما الذي تعلّمته ؟ قال : شدّة احترازه وحذره ؛ قيل : ومن الخنزير ما الذي أخذته ؟ قال : بكوره في حوائجه ؛ قيل : وما الذي أخذته من القطّ ؟ قال : حسن النغمة ، وكثرة تملّقه في المسألة .

توفّي أبو تمام في أيام الواثق سنة إحدى وثلاثين ومئتين بالموصل ، وقد بنى أبو نهشل بن حميد الطوسيّ قبّة على قبره .

الرابع : أبو الحسن علي بن مهزيار الأهوازيّ الدورَقيّ الأصل

جلالة شأنه وعظمة قدره أعظم من أن تذكر ، ويعرف من تواقيع الجواد (عليه السلام) الخارجة إليه مبلغ ما كان عليه من جلالة شأن ، ففي أحد تلك التواقيع ما مضمونه : قد سرّني ما ذكرته ، وأنت تسرّني دائماً ، سرّك الله بالجنّة ، ورضي عنك برضائي .

وفي توقيع آخر :

« وأسأل الله تعالى أن يحفظك من بين يديك ومن خلفك ، وفي كلّ حالاتك ، وأبشر فإنّي أرجو أن يدفع الله عنك ، والله أسأل أن يجعل لك الخير . . » الخ .

وفي توقيع آخر :

« وأمّا ما سألت من الدعاء فإنّك بعد لست تدري كيف جعلك الله عندي ، وربّما سمّيتك باسمك في نسبك مع كثرة عنايتي بك ، ومحبّتي لك ، ومعرفتي بما أنت عليه ، فأدام الله لك الفضل » .

وفي توقيع آخر :

« يا عليّ ، قد بلوتك وخبرتك في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير ، والقيام بما يجب عليك ، فلو قلتُ إنّي لم أر مثلك لرجوت أن أكون صادقاً » .

أقول : تأمّل في تلك التوقيعات الشريفة فإنّ فيها غنىً عن التعرّض لمدحه ، فإنّ مدح الإمام إمام كلّ مدح ، ومن تصدّى للقول بعده فقد تعرّض للقدح .

وإجمالاً ، فقد جاء في خبر أنّ عليّ بن مهزيار كان أبوه نصرانيّاً وأسلم ، وقيل إنّه في نفسه كان كذلك ، فهداه الله وتفقّه ، وروى عن الرضا والجواد (عليهما السلام) ، وصار من خاصّة أصحاب الجواد (عليه السلام) حتى أنّه أظهر وكالة عنه (عليه السلام) ، كما كانت عنده وكالة عن الهادي (عليه السلام) ، أيضاً في بعض النواحي ، ولم يكن في التواقيع التي كانت تخرج إلى الشيعة بشأنه إلاّ كلّ خير وحسن ، صنّف ثلاثة وثلاثين كتاباً .

وكان من عادته أنّه إذا طلعت الشمس ووضع رأسه للسجود لا يرفعه حتّى يدعو لألف نفر من إخوته في الإيمان بما كان يدعو به لنفسه ، ومن كثرة سجوده خشنت جبهته حتّى غدت كركبة البعير .

وعليّ هذا هو الذي في سنة ست وعشرين ومئتين ، وفي منزل القرعاء[1] ، قام من نومه في آخر الليل ، وخرج ليتوضّأ ، وكان في يده مسواك يستاك به ، فإذا به يرى في رأس المسواك ، شيئاً يخرج منه كلسان النار ، ويشعّ كأنّه الشمس ، فلمسه بيده فإذا هو لا حرارة فيه ، فتلا الآية الشريفة : ﴿ **الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً** ﴾ ، وقد استغرقه التفكير ، فلمّا عاد إلى موضعه ، وكان رفاقه في حاجة إلى النار ، فرأوا ذلك النور فخيّل إليهم أن عليّاً أحضر لهم ناراً ، فلمّا دنوا منه رأوا أنّه نار لا حرارة فيها ، وكان ضوؤها يخبو حيناً ويرتفع حيناً آخر ، حتّى خمد بعد المرّة الثالثة تماماً ، فلمّا نظروا إلى رأس المسواك لم يروا أثراً لنار أو احتراق أو سواد .

فلمّا قدم على الهادي (عليه السلام) وحكى له حكايته تأمّل (عليه السلام) ذلك المسواك وقال : كان ذلك نوراً ، وهو لميلك إلينا أهل البيت ، وطاعتك لي ولآبائي .

وكان إبراهيم أخو عليّ من الأجلاّء أيضاً ، وروي أنّه كان من سفراء إمام الزمان (عليه السلام) ، ومحمّد بن عليّ كان ثقة أيضاً ، وكان من أصحاب الهادي (عليه السلام) .

الخامس : ثقة الإسلام محمّد بن أبي عمير

اسم أبي عمير : زياد بن عيسى ، وكنيته محمّد : أبو أحمد ، وكان من موالي المهلّب بن أبي صفرة ، بغداديّ الأصل والمسكن ، كان رجلاً جليل القدر عظيم المنزلة عندنا وعند

---

(١) القرعاء : محلّ في طريق مكّة بين القادسيّة والعقبة ، وقبر عليّ بن مهزيار رضي الله عنه في الأهواز ، وله بقعة ومزار .

المخالفين ، ومن أصحاب الإجماع ، قال العامّة والخاصّة بتصديقه ووثاقته وجلالته ، وكان أعبد الناس وأورعهم ، وقيل إنّه أفضل وأفقه من يونس ، مع ما رووا في فقه يونس عن الفضل بن شاذان قوله :

« ما نشأ في الإسلام رجل من سائر الناس كان أفقه من سلمان الفارسيّ رضي الله عنه ، ولا نشأ بعده أفقه من يونس بن عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه » .

أدرك ابن أبي عمير الكاظم والرضا والجواد (عليهم السلام) ، وصنّف أربعة وتسعين كتاباً ، قاسى من المجن الكثير في أيّام الرشيد والمأمون فحبس سنين طويلة وتلقّى الكثير من لسع السياط إذ حوكم وطلب منه أن يرشد إلى الشيعة ويكشف عن أسمائهم ، ذلك أنّه كان على معرفة بشيعة العراق ، وحين جلدوه مرّة مئة سوط ، ونفدت طاقته على الاحتمال ، وكاد ينطق بأسمائهم أتاه صوت محمّد بن يونس بن عبد الرحمن يقول : يا محمّد بن أبي عمير ، اذكر موقفك بين يدي الله ، فأمسك ، وقد أمضى في الحبس أربع سنين ، ونزل به من الضرر في ماله ما يفوق مئة ألف درهم .

جمعت أخته كتبه في غرفة فهطل المطر وأتلفها ، فلا غرو أنّه كان يروي الحديث ممّا حفظه ، أو ممّا كتبه الناس نقلاً عن كتبه قبل تلفها ، ولذلك فإن أصحابنا لا يعتمدون مراسيله ، واتّخذوا مراسيله بحكم الأسانيد ، وعُدّت أختاه سعيدة ومنّة من الراويات .

وعن الكشيّ : محمّد بن أبي عمير أُخذ وحبس ، وأصابه من الجهد والضيق أمر عظيم ، وأخذ كلّ شيء كان له ، وصاحبه المأمون ، وذلك بعد موت الرضا (عليه السلام) ، وذهبت كتب ابن أبي عمير فلم تخلص كتب أحاديثه ، وكان يحفظ أربعين جلداً فسمّاه نوادر ، ولذلك تؤخذ أحاديثه منقطعة الأسانيد .

وفي رواية أيضاً أنّ السنديّ بن شاهك جلد مئة وعشرين عصاً بأمر من الرشيد بسبب تشيّعه ، ثم ألقوه في الحبس ، فدفع من ماله مئة وواحداً وعشرين ألف درهم ثمناً لخلاصه ، وجاء أنّ ابن أبي عمير كان متموّلاً يمتلك خمسمئة ألف درهم .

وذكر الشيخ الصدوق عن ابن الوليد ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه أنّه قال :

كان ابن أبي عمير رجلاً بزّازاً ، وكان له على رجل عشرة آلاف درهم ، فذهب ماله وافتقر ، فجاء الرجل فباع داراً له بعشرة آلاف درهم وحملها إليه فدقّ عليه الباب ، فخرج إليه محمّد بن أبي عمير رحمه الله فقال له الرجل : هذا مالك الذي لك عليّ فخذه ، فقال ابن أبي عمير : فمن أين لك هذا المال ، ورثته ؟ قال : لا ، قال : وُهب لك ؟ قال : لا ولكنّي بعت داري الفلانيّ لأقضي ديني ، فقال ابن عمير رحمه الله :

حدّثني ذريح المحاربيّ عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال : « لا يخرج الرجل عن مسقط رأسه بالدَّين » ، ارفعها فلا حاجة لي فيها ، والله إنّي محتاج في وقتي هذا إلى درهم ، وما يدخل ملكي منها درهم !!

وروي عن الفضل بن شاذان أنه قال :

لمّا دخلت العراق رأيت شخصاً يعاتب رفيقه ويقول : أنت رجل ذو عيال وتحتاج إلى الكسب والعمل ، ثم تسجد هذا السجود الطويل ؟ إنّي أخاف على عينيك أن تذهبا لطول سجودك ، فتضعف عن العمل ، إلى الكثير من قبيل هذا الكلام ، فقال له رفيقه أخيراً : ما أكثر لومك لي ، ويلك ، لو أن طول السجود يبعث على العمى ، فحريّ بابن عمير أن يعمى ، فهو يسجد بعد صلاة الفجر سجدة الشكر فلا يرفع رأسه منها إلّا عند الزوال !

وروى الشيخ الكشّي أنّ الفضل بن شاذان أتى ابن أبي عمير وكان ساجداً ، وطالت سجدته ، فلمّا رفع رأسه وذكر له طول سجدته تلك قال : لو رأيتم سجود جميل بن درّاج لما رأيتم سجودي طويلاً ! وقال : أتيت جميلاً وكان يسجد سجدة طويلة ، فلمّا رفع رأسه قلت له : لقد أطلت سجودك ! قال : لو رأيت طول سجدة معروف بن خرّبوذ لرأيت سجدتي سهلة !

ومن هذين الخبرين يغدو معلوماً أنّ ابن أبي عمير معروف بطول السجدة التي هي غاية الخضوع ومنتهى العبادة ، وأقرب ما يكون العبد إلى ربّه ، وأشدّ الأعمال على إبليس ، وهي محلّ التفات ، وكان ابن أبي عمير يقتدي في هذا العمل بإمام زمانه موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، « فإنّه عليه السلام كان حليف السجدة الطويلة ، والدموع الغزيرة والمناجاة الكثيرة ، والضراعات المتّصلة » ، كما كان فقهه وحديثه وعلمه وأخلاقه من بركات هذا البيت .

السادس : محمّد بن سنان أبو جعفر الزاهريّ

اختلفت أقوال العلماء في شأنه غاية الاختلاف ، حتّى من الشخص الواحد ، فقد ذكر الشيخ المفيد (ره) في (الإرشاد) أنّه كان من خاصّة الإمام الكاظم (عليه السلام) ومن ثقاته ، وأنّه من أهل الورع والفقه والعلم من شيعته (عليه السلام) ، وقال في رسالة أخرى : مطعون فيه ! وعدّه شيخ الطائفة في (الفهرست) و(الرجال) ضعيفاً ؛ وفي كتاب (الغيبة) في ذكر الممدوحين من خواصّ الأئمّة (عليهم السلام) عدّه معهم إذ قال : ومن الممدوحين حمران بن أعين . . إلى أن قال : ومنهم على ما رواه أبو طالب القمّي قال :

دخلت على أبي جعفر الثاني في آخر عمره فسمعته يقول : « جزى الله صفوان بن

يحيى ، ومحمّد بن سنان ، وزكريا بن آدم ، وسعد بن سعد عنّي خيراً ، فقد وفوا لي » .

وقال الشيخ أيضاً : وأمّا محمّد بن سنان فإنّه روي عن عليّ بن الحسن بن داود قال : سمعت أبا جعفر الثاني يذكر محمّد بن سنان بخير ويقول : « رضي الله عنه برضائي عنه ، فما خالفني وما خالف أبي قطّ » .

وآية الله العلاّمة رفع الله مقامه قال في (الخلاصة) : فيه توقّف ، وقال في المختلف : قد بيّنّا رجحان العمل برواية محمّد بن سنان .

وقال السيّد ابن طاووس (ره) في (فلاح السائل) : سمعت من يذكر طعناً على محمّد بن سنان ، ولعلّه لم يقف إلاّ على الطعن عليه ، ولم يقف على تزكيته والثناء عليه ، وكذلك يُحتمل في أكثر الطعون .

ثم ذكر المدائح التي قيلت فيه ، وذكر معجزة أبي جعفر (عليه السلام) التي أظهرها الله فيه ، وهي أنّه كان ضرير البصر فتمسّح بأبي جعفر الثاني فعاد إليه بصره ، كما تقدّم في فصل معجزات الجواد (عليه السلام) ، ونقل رواية أيضاً بأنه كان متقشّفاً متعبّداً .

وإجمالاً فقد بسط العلماء الكلام في محمّد بن سنان ، فعلى من يطلبه الرجوع إلى (الرجال الكبير) وتعليقه ، و(رجال) السيّد الأجلّ العلاّمة بحر العلوم ، و(خاتمة المستدرك) للشيخ المرحوم ، ذلك أن هذا المختصر ليس مقامه .

يقال إنّ بعض العارفين تفاءل بكتاب الله المجيد لاستعلام حال محمّد بن سنان فخرجت لناظره الآية الشريفة : ﴿ إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماء ﴾ .

ونسب محمّد بن سنان رضي الله عنه ينتهي إلى زاهر مولى عمرو بن الحمق الذي استشهد بكربلاء ، على هذا النحو : محمّد بن الحسن[1] بن سنان بن عبد الله بن زاهر ، وقد تمّت الإشارة إلى هذا في ترجمة زاهر ، في المجلّد الأوّل ، ومن بين أبناء محمّد وأحفاده مجموعة من رواة الحديث ومنهم أبو عيسى محمّد بن أحمد بن محمّد بن سنان ، أحد مشايخ الصدوق .

---

(١) لمّا توفّي الحسن والد محمّد أيّام طفولته كفله جدّه سنان ، فلا غرو أن نسبوا محمّداً إليه فصار يدعى : محمّد بن سنان .



الباب الثاني عشر

في تاريخ الامام ابي الحسن علي النقي (عليه السلام)

وفيه سبعة فصول



الفصل الأول

في ولادة الامام عليّ النقي (عليه السلام) واسمه وكنيته والقابه

الأشهر في ولادة الإمام الهادي (عليه السلام) هو منتصف ذي الحجّة سنة اثنتي عشرة ومئتين في ضاحية من ضواحي المدينة في موضع يقال له « صريا » ، وفي رواية ابن عيّاش : كانت ولادته (عليه السلام) في الثاني من رجب أو الخامس منه ، أمّه الجليلة هي سمانة المغربيّة ، وكانت تعرف بالسيّدة ؛ وهي من أهل الجنّة ، ذلك أنّها كانت تصوم السنّة دوماً ، ولا مثيل لها في الزهد والتقوى ، وجاء في (الدرّ النظيم) أنّ كنيتها أمّ الفضل .

وروى محمّد بن الفرج وعليّ بن مهزيار عن أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أنّه قال : « أمّي عارفة بحقّي ، وهي من أهل الجنّة ، لا يقربها شيطان مارد ، ولا ينالها كيد جبّار عنيد ، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام ، ولا تتخلّف عن أمّهات الصدّيقين والصالحين » .

اسمه الشريف : عليّ ، وكنيته : أبو الحسن ، ونظراً لأنّ الإمامين موسى والرضا (عليهما السلام) كانا يكنيان بأبي الحسن ، فيقال له (عليه السلام) : أبو الحسن الثالث ، كما يقال للرضا (عليه السلام) : أبو الحسن الثاني ، ويستبدل « الثالث » أحياناً بالماضي ، أو الهادي ، أو العسكريّ كما يقول أهل الحديث ، وأشهر ألقابه : النقيّ والهادي ؛ (وكان (عليه السلام) يلقّب أحياناً بالنجيب والمرتضى والعالم والفقيه والناصح والأمين والمؤتمن والطيّب والمتوكّل) ، وكان (عليه السلام) يخفي ذلك اللقب الأخير ويأمر أصحابه أن يعرضوا عنه لأنّه كان لقب الخليفة المتوكّل على الله .

ولمّا كانت المحلّة التي يسكنها الإمامان عليّ بن محمّد والحسن بن عليّ (عليهما السلام) بسامّراء تسمّى : عسكر فلذلك قيل لكلّ واحد منهما : العسكريّ .

وقيل في وصفه (عليه السلام) : كان معتدل القامة ، فيه نداوة ، أبيض الوجه مشرباً حمرة ، خفيف بروز الخدّين ، واسع العينين ، أزجّ الحاجبين ، بشوش الوجه ، وكان نقش

خاتمه : « الله ربّي وهو عصمتي من خلقه » ، وكـان له أيضـاً خاتم نقشـه : « حفظ العهود من أخلاق المعبود » .

وذكر السيّد ابن طاووس عن عبد العظيم الحسنيّ أنّ الإمام محمّد التقيّ (عليه السلام) كتب هذا الحرز لابنه الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) حين كان طفلاً في المهد ، ويعوّذه بـه ، ويأمر أصحابه به ، وهذا الحرز :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم ، اللهمّ ربّ الملائكـة والروح . . » الخ ، والحرز بكامله موجود في (مهج الدعوات) .

وكان تسبيحه (عليه السلام) : « سبحان من هو دائم لا يسهـو ، سبحان من هـو قائم لا يلهو ، سبحان من هو غنيّ لا يفتقر ، سبحان الله وبحمده » .



الفصل الثاني

طرف من فضائل الامام عليّ النقيّ (عليه السلام) ومناقبه

ونكتفي بذكر بضعة أخبار :

الأوّل : روى الشيخ الطوسيّ عن كافور الخادم قال : قال لي الإمام عليّ بن محمّد (عليهما السلام) : اترك لي السطل الفلانيّ في الموضع الفلانيّ لاتطهّر منه للصلاة ، وأنفذني في حاجة وقال : إذا عدت فافعل ذلك ليكون معدّاً إذا تأهّبت للصلاة ، واستلقى (عليه السلام) لينام ، وأنسيت ما قال لي ، وكانت ليلة باردة ، فأحسست به وقد قام إلى الصلاة ، وذكرت أنّي لم أترك السطل ، فبعدت عن الموضع خوفاً من لومه ، وتألّمت له حيث يشقى بطلب الإناء ، فناداني نداء مغضب ، فقلت : إنّا لله ، إيش[1] عذري أن أقول نسيت مثل هذا ؟ ولم أجد بدّاً من إجابته ، فجئت مرعوباً ، فقال : يا ويلك ! أما عرفت رسمي أنّني لا أتطهّر إلاّ بماء بارد ، فسخّنت لي ماء فتركته في السطل ؟! فقلت : والله يا سيّدي ما تركت السطل ولا الماء ، قال : الحمد لله ، لا تركنا رخصته ، ولا رددنا منحه ، الحمد لله الذي جعلنا من أهل طاعته ، ووفّقنا للعون على عبادته ، إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يقول : « إنّ الله يغضب على من لا يقبل رخصته » .

الثاني : وروى الشيخ أيضاً أنّه قيل للمتوكّل : ما يعمل أحد بك أكثر ممّا تعمله بنفسك في عليّ بن محمّد ، فلا يبقى في الدار إلاّ من يخدمه ولا يتعبونه بشيل ستر ، ولا فتح باب ! وهذا إذا علمه الناس قالوا : لو لم يعلم استحقاقه للأمر ما فعل به هذا ، دعه إذا دخل يشيل الستر لنفسه ، ويمشي كما يمشي غيره ، فتمسّه بعض الجفوة !

فأمر المتوكّل أن لا يُخدم ، ولا يشال بين يديه ستر ؛ وكان المتوكّل ما رئي أحد يهتمّ بالخبر

---

(١) لغة عامّيّة وتعني : أيّ شيء .

مثله (أي كان يهتمّ بالاطلاع على كلّ ما يجري في داره ، فيُكتب إليه فيه) .

قال : فكتب صاحب الخبر إليه : إنّ عليّ بن محمّد دخل الدار فلم يُخدم ، ولم يشل أحد ستراً بين يديه ، فهبّ هواء رفع الستر له ، فدخل .

قال : اعرفوا خبر خروجه ، فذكر صاحب الخبر أنّ هواء خالف ذلك الهواء فشال الستر له حتّى خرج !

فعرف المتوكّل أنّ هذا من كراماته (عليه السلام) ، فأمر أن يعودوا إلى سابق عهدهم فيرفعوا الستر بين يديه .

الثالث : روى أمين الدين الطبرسيّ عن محمّد بن الحسن الأشتر العلويّ قال :

كنت مع أبي على باب المتوكّل وأنا صبيّ في جمع من الناس ما بين طالبيّ إلى عبّاسيّ وجعفريّ ، ونحن وقوف إذ جاء أبو الحسن الهادي (عليه السلام) ، فترجّل الناس كلّهم حتى دخل ، فقال بعضهم لبعض : لمَ نترجّل لهذا الغلام ، وما هو بأكبرنا ولا بأشرفنا ولا بأسنّنا ؟! والله لا ترجّلنا له .

فقال أبو هاشم الجعفريّ : والله لتترجّلنّ له صغرة (أي أذلّة) إذا رأيتموه ؛ فما هو إلاّ أن أقبل وبصروا به حتّى ترجّل له الناس كلّهم ، فقال لهم أبو هاشم : أليس زعمتم أنّكم لا تترجّلون له ؟! فقالوا له : والله ما ملكنا أنفسنا حتّى ترجّلنا .

الرابع : ذكر الشيخ يوسف بن حاتم الشاميّ في (الدرّ النظيم) ، والسيوطيّ في (الدرّ المنثور) عن (تاريخ الخطيب) نقلاً عن محمّد بن يحيى أنّه قال :

قال يحيى بن أكثم في مجلس الواثق والفقهاء بحضرته : من حلق رأس آدم (عليه السلام) حين حجّ ؟ فتعايى القوم عن الجواب ، فقال الواثق : أنا أحضركم من ينبئكم بالخبر ، فبعث إلى عليّ بن محمّد الهادي (عليه السلام) فأحضره ، فقال له : يا أبا الحسن ، من حلق رأس آدم حين حجّ ؟ فقال : سألتك يا أمير المؤمنين إلاّ أعفيتني ، قال : أقسمت لتقولنّ ، قال :

أمّا إذا أبيت فإنّ أبي حدّثني عن جدّي ، عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « أمر جبرئيل أن ينزل بياقوتة من الجنّة ، فهبط بها فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه ، فحيث بلغ نورها صار حرماً » .

الخامس : روى الشيخ الإربليّ أنّ أبا الحسن الهادي (عليه السلام) خرج يوماً من « سرّ من رأى » إلى قرية ، لمهمّ عرض له ، فجاء رجل من الأعراب يطلبه ، فقيل له : قد

ذهب إلى الموضع الفلانيّ ، فقصده ، فلمّا وصل إليه قال (عليه السلام) له : ما حاجتك ؟ فقال أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسّكين بولاء جدّك عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وقد ركبني دين فادح أثقلني حمله ، ولم أر من أقصده لقضائه سواك ، فقال له أبو الحسن (عليه السلام) : طب نفساً وقرّ عيناً ، ثمّ أنزله ، فلمّا أصبح ذلك اليوم قال له أبو الحسن (عليه السلام) : أريد منك حاجة ، الله الله أن تخالفني فيها ، فقال الأعرابيّ : لا أخالفك ، فكتب (عليه السلام) ورقة بخطّه معترفاً فيها أنّ عليه للأعرابي مالاً عيّنه فيها ما يرجح على دينه، وقال: خذ هذا الخطّ، فإذا وصلت إلى سرّ من رأى أحضر إليّ وعندي جماعة، فطالبني به، وأغلظ القول عليّ في ترك إيفائك إيّاه، الله الله في مخالفتي، فقال: أفعل، وأخذ الخطّ.

فلمّا وصل أبو الحسن (عليه السلام) إلى سرّ من رأى ، وحضر عنده جماعة كثيرون من أصحاب الخليفة وغيرهم ، حضر ذلك الرجل وأخرج الخطّ وطالبه ، وقال كما أوصاه ، فألان أبو الحسن (عليه السلام) له القول ورفّقه ، وجعل يعتذر إليه ، ووعده بوفائه وطيّب نفسه ، فنقل ذلك إلى الخليفة المتوكّل ، فأمر أن يُحمل إلى أبي الحسن (عليه السلام) ثلاثون ألف درهم ، فلمّا حملت إليه تركها إلى أن جاء الرجل ، فقال : خذ المال فاقض منه دينك ، وأنفق الباقي على عيالك وأهلك ، واعذرنا .

فقال له الأعرابيّ : يا بن رسول الله ، والله إن أملي كان يقصر عن ثلث هذا ، ولكن ، اللهُ أعلم حيث يجعل رسالته ، وأخذ المال وانصرف .

يقول المؤلّف : هذه المنقبة منه (عليه السلام) تشبه ما روي عن الخضر (عليه السلام) ، وهو أنّ الديلميّ ذكر في (أعلام الدين) عن أبي أمامة أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال ذات يوم لأصحابه : ألا أحدّثكم عن الخضر ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال :

بينا هو يمشي في سوق من أسواق بني إسرائيل إذ بصر به مسكين فقال تصدّق عليّ بارك الله فيك ، قال الخضر : آمنت بالله ، ما يقضي الله يكون ، ما عندي من شيء أعطيكه ، قال المسكين : بوجه الله لمّا تصدّقت عليّ ، إنّي رأيت الخير في وجهك ، ورجوت الخير عندك .

قال الخضر (عليه السلام) : آمنت بالله ، إنّك سألتني بأمر عظيم ، ما عندي من شيء أعطيكه إلاّ أن تأخذني فتبيعني !! قال المسكين : وهل يستقيم هذا ؟ قال : الحقّ أقول لك ، إنّك سألتني بأمر العظيم ، سألتني بوجه ربّي عزّ وجلّ ، أمّا إنّي لا أخيّبك في مسألتي بوجه ربّي ، فبعني .

فقدّمه إلى السوق فباعه بأربعمئة درهم ، فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في

شيء ، فقال الخضر (عليه السلام) : إنّما ابتعتني التماس خدمتي ، فمرني بعمل ، قال : إنّي أكره أن أشقّ عليك ، إنّك شيخ كبير ، قال : لست تشقّ عليّ ، قال : قم فانقل هذه الحجارة .

قال : وكان لا ينقلها دونَ ستّة نفر في يوم ، فقام فنقل الحجارة في ساعته ، فقال له : أحسنت وأجملت ، وأطقت ما لم يطقه أحد .

ثمّ عرض للرجل سفر ، فقال : إنّي أحسبك أميناً ، فاخلفني في أهلي خلافة حسنة ، وإنّي أكره أن أشقّ عليك ، قال : لست تشقّ عليّ ، قال : فاضرب من اللبن شيئاً حتّى أرجع إليك .

فخرج الرجل ورجع وقد شُيِّد بناء ، فقال له الرجل : أسألك بوجه الله ما حسبك وما أمرك ؟ قال : إنّك سألتني بأمر عظيم ، بوجه الله عزّ وجلّ ، ووجه الله أوقعني في العبوديّة ، وسأخبرك من أنا ، أنا الخضر الذي سمعت به ، سألني مسكين صدقة ولم يكن عندي شيء أعطيه ، فسألني بوجه الله عزّ وجلّ ، فجعلت نفسي عبداً له حتّى باعني ، ومن سأل بوجه الله عزّ وجلّ فرادّ سائله وهو قادر سيقف يوم القيامة ليس لوجهه جلد ولا لحم ولا دم ، إلّا عظم يتقعقع .

قال الرجل : شققت عليك ولم أعرفك ، قال : لا بأس ، اتّقيت وأحسنت ، قال : بأبي أنت وأمّي ، احكم في أهلي ومالي بما أراك الله عزّ وجلّ ، أم أخيّرك فأخلي سبيلك ؟ قال : أحبّ إليّ أن تخلي سبيلي فأعبد الله على سبيله ، ففعل ، فقال الخضر : الحمد لله الذي أوقعني في العبوديّة فأنجاني منها .

السادس : روى القطب الراونديّ أن المتوكّل ـ أو الواثق أو واحداً غيرهما من الخلفاء ـ أمر العسكر ، وهم تسعون ألف فارس من الأتراك الساكنين بسرّ من رأى أن يملأ كلّ واحد مخلاة فرسه من الطين الأحمر ، ويجعلوا بعضه على بعض في وسط بريّة واسعة هناك ، فلمّا فعلوا ذلك صار مثل جبل عظيم ، اسمه تلّ المخالي[1] ، وصعد فوقه واستدعى أبا الحسن (عليه السلام) واستصعده وقال : استحضرتك لنظارة خيولي ، وقد كان أمرهم أن يلبسوا التجافيف[2] ويحملوا الأسلحة ، وقد عرضوا بأحسن زينة وأتمّ عدّة وأعظم هيبة ، وكان غرضه أن يكسر قلب كلّ من يخرج عليه ، وكان خوفه من أبي الحسن (عليه السلام) أن يأمر أحداً من أهل بيته أن يخرج على الخليفة ، فقال له أبو الحسن صلوات الله عليه :

---

(١) جمع مخلاة .

(٢) التجافيف : جمع تجفاف وهو آلة للحرب يُتّقى بها كالدرع .

وهل تريد أن أعرض عليك عسكري ؟ قال : نعم ، فدعا الله سبحانه فإذا بين السماء والأرض من المشرق والمغرب ملائكة مدججون فغشي على الخليفة ، فلمّا أفاق قال له أبو الحسن (عليه السلام) : نحن لا ننافسكم في الدنيا ، نحن مشتغلون بأمر الآخرة ، فلا عليك منّي ممّا تظنّ بأس .

السابع : روى الشيخ الطوسيّ وآخرون عن إسحاق بن عبد الله العلويّ العريضيّ قال :

ركب أبي وعمومتي إلى أبي الحسن علي بن محمّد (عليه السلام) وقد اختلفوا في الأيّام الأربعة التي تصام في السنة ، وهو مقيم بصريا قبل مصيره إلى سرّ من رأى ، فلمّا دخلوا عليه قال : جئتم تسألونني عن الأيّام التي تصام في السنة ، فقالوا : ما جئنا إلاّ لهذا ، فقال :

السابع عشر من ربيع الأول ، وهو اليوم الذي ولد فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، واليوم السابع والعشرون من رجب ، وهو اليوم الذي بعث فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واليوم الخامس والعشرون من ذي القعدة ، وهو اليوم الذي دحيت فيه الأرض ، واليوم الثامن عشر من ذي الحجّة ، وهو يوم الغدير .

الثامن : قال القطب الراونديّ : وأمّا عليّ بن محمّد الهادي (عليه السلام) فقد اجتمعت فيه خصال الإمامة ، وتكامل فضله وعلمه وخصاله الخيّرة ، وكانت أخلاقه كلّها خارقة للعادة كأخلاق آبائه عليهم السلام ، وكان بالليل مقبلاً على القبلة لا يفتر ساعة ، وعليه جبّة صوف ، وسجّادته على حصير ، ولو ذكرنا محاسن شمائله لطال بها الكتاب .

وقال صاحب (جنّات الخلود) كان (عليه السلام) معتدل القامة ، أبيض الوجه مشرباً حمرة ، واسع العينين ، أزجّ الحاجبين ، بشوش الوجه ، إن كنت مغموماً زال غمّك بالنظر إليه ، محبوب القلوب ، مهيباً ، لا يتملّق عدوّاً إذا لقيه ، شفتاه في تبسّم دائم وذكر الله ، وإذا مشى لم يباعد في خطوه ، يصعب تخطيه في مشيه ، كثير التعرّق .

الفصل الثالث

في دلائل الامام علي النقي (عليه السلام) ومعجزاته

ونكتفي بذكر بضعة أخبار :

الأوّل : قصّة يونس النقّاش : جاء في (أمالي الشيخ) عن المنصوريّ وكافور الخادم أنه كان في سرّ من رأى جار للهادي (عليه السلام) يقال له : يونس النقّاش يغشى الإمام (عليه السلام) في أكثر الأوقات ويخدمه ، فجاءه يوماً يرعد ، فقال : يا سيّدي ، أوصيك بأهلي خيراً ، قال (عليه السلام) : وما الخبر ؟ قال : عزمت على الرحيل ، قال : ولِمَ يا يونس ؟ وهو (عليه السلام) متبسّم ، قال : وجّه إليّ موسى بن بغا بفصّ ليس له قيمة لأنقشه ، ولّما أقبلت على نقشه كسرته إلى اثنين ، وموعده غداً وهو موسى بن بغا ! فإمّا ألف سوط أو القتل ، قال : امض إلى منزلك إلى غد ، فما يكون إلاّ خيراً .

فلمّا كان من الغد وافى بكرة يرعد فقال : قد جاء الرسول يلتمس الفصّ ، قال : امض إليه فما ترى إلا خيراً ، قال : وما أقول له يا سيّدي ؟ قال : فتبسّم وقال : امض إليه واسمع ما يخبرك به ، فلن يكون إلاّ خيراً .

قال : فمضى النقّاش وعاد يضحك ، قال : قال لي يا سيّدي : الجواري اختصمن ، فيمكنك أن تجعله فصّين حتّى نغنيك ! فقال (عليه السلام) : اللهمّ لك الحمد إذ جعلتنا ممّن يحمدك حقّاً ، ثمّ قال (عليه السلام) : فماذا قلت له ؟ قال : قلت له : أمهلني حتّى أتأمّل أمره كيف أعمله فقال (عليه السلام) : أصبت .

الثاني : روى الشيخ الصدوق في (الأماليّ) عن أبي هاشم الجعفريّ قال : أصابتني ضيقة شديدة فصرت إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد (عليهما السلام) فأذن لي ، فلمّا جلست قال : يا أبا هاشم ، أيّ نعم الله عزّ وجلّ عليك تريد أن تؤدّي شكرها ؟ قال أبو هاشم : فوجمت فلم أدر ما أقول له .

فابتدأ (عليه السلام) فقال : رزقك الإيمان فحرّم بدنك على النار ، ورزقك العافية فأعانتك على الطاعة ، ورزقك القنوع فصانك عن التبذّل ، يا أبا هاشم ، إنّما ابتدأتك لأنّي ظننت أنّك تريد أن تشكو لي مَن فعل بك هذا ! وقد أمرت لك بمئة دينار ، فخذها .

يقول المؤلّف : يستفاد من هذا الحديث الشريف أن الإيمان من أفضل النعم الإلهيّة ، وهو كذلك لأنّ قبول الأعمال كلّها منوط به ، وجاء في المجلّد الخامس عشر من البحار ، باب الرضى بموهبة الإيمان : وإنّه من أعظم النعم ، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبّت الإيمان في قلوبنا ، ويطهّر الديوان من ذنوبنا .

وبعد الإيمان نعمة العافية ، فنسأل الله تعالى العافية ، عافية الدنيا والآخرة .

وروي أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سئل : لو أدركتُ ليلة القدر فماذا أسأل الله ؟ قال (صلّى الله عليه وآله) : العافية ، وبعد العافية القناعة .

وروي في ذيل الآية الكريمة : **﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيّبة ﴾** :

ظاهر المعنى أنّ من عمل صالحاً مع الإيمان أحييناه في الدنيا حياة طيّبة ، ولا يستحقّها من دون الإيمان ؛ وسئل المعصوم (عليه السلام) عن قوله تعالى : « فلنحيينّه حياة طيّبة » فقال : هي القناعة .

وعن الصادق (عليه السلام) : لا مال أغنى من القناعة بالموجود .

أقول : الروايات في فضل القناعة كثيرة لا يتّسع المقام لذكرها ، روي أنّه قيل لحكيم : أرأيت شيئاً خيراً من الذهب ؟ قال : أجل ، القناعة ، وفي هذا قال بعض الحكماء : استغناؤك عن الشيء خير من استغنائك به .

قيل إنّ ديوجين الكلبيّ أحد أساطين حكماء اليونان كان زاهداً متقشّفاً ، لم يدّخر شيئاً ، ولم يتّخذ له مأوى ، ولما دعاه الإسكندر إلى مجلسه قال لرسول الإسكندر : قل له : ما منعك من القدوم إليّ هو الذي منعني من القدوم إليك ، فقد منعتك السلطة ، ومنعتني القناعة .

ولقد أجاد من قال :

وجدت القناعة أصل الغنى ... وصرت بأذيالها ممتسكْ
فلا ذا يراني على بابه ... ولا ذا يراني به منهمك
وعشت غنيّاً بلا درهم ... أمرّ على الناس شبه الملك

ولمولانا أبي الحسن الرضا (عليه السلام) :

لبست بالعفّة ثوب الغنى وصرت أمشي شامخ الرأس
لست إلى الناس مستأنساً لكنّني آنسُ بالناس
إذا رأيت التّيه من ذي الغنى تهت على التائه باليأس
ما أن تفاخرت على معدم ولا تضعضعت لإفلاس

الثالث : روى ابن شهر اشوب والقطب الراونديّ عن أبي هاشم الجعفريّ قال : دخلت على أبي الحسن (عليه السلام) فكلّمني بالهنديّة ، فلم أحسن أن أردّ عليه ، وكان بين يديه ركوة ملأى بالحصى ، فتناول حصاة واحدة ووضعها في فيه ومصّها مليّاً ، ثمّ رمى بها إليّ فوضعتها في فمي ، فوالله ما برحت من عنده حتّى تكلّمت بثلاثة وسبعين لساناً ، أوّلها الهنديّة .

الرابع : وروي أيضاً عن أبي هاشم الجعفريّ قال : شكوت إلى أبي الحسن (عليه السلام) ما ألقى من الشوق إليه إذا انحدرت من عنده إلى بغداد ، وما لي مركوب سوى برذوني هذا على ضعفه ، وسألته أن يدعو الله أن يقوّيني على زيارته ، فقال (عليه السلام) : قوّاك الله يا أبا هاشم وقوّى برذونك .

قال الراوي : وكان أبو هاشم يصلّي الفجر ببغداد ، ويسير على ذلك البرذون فيدرك الزوال من يومه ذلك في عسكر سرّ من رأى ، ويعود من يومه إلى بغداد إذا شاء على ذلك البرذون ، فكان هذا من أعجب الدلائل التي شوهدت .

الخامس : جاء في (أماليّ الشيخ الطوسيّ) عن الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) قال : أُخرجت إلى سرّ من رأى كرهاً ، ولو أخرجت عنها أخرجت كرهاً ؛ قال الراوي : ولِمَ يا سيّدي ؟ قال : لطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وقلّة دائها .

ثمّ قال (عليه السلام) : تُخرب سرّ من رأى حتّى يكون فيها خان وبقّال للمارّة ، وعلامة تدارك خرابها تدارك العمارة في مشهدي من بعدي .

السادس : ذكر القطب الراونديّ عن جماعة من أهل إصفهان ، قالوا : كان بإصفهان رجل يقال له عبد الرحمن ، وكان شيعياً .

قيل له : ما السبب الذي أوجب عليك القول بإمامة عليّ النقيّ (عليه السلام) دون غيره ؟ قال : شاهدت ما أوجب ذلك عليّ ، وهو أنّي كنت رجلاً فقيراً ، وكان لي لسان وجرأة ، فأخرجني أهل إصفهان سنة من السنين مع قوم آخرين إلى باب المتوكّل متظلّمين ، فكنّا بباب المتوكّل يوماً إذ خرج الأمر بإحضار عليّ بن محمّد بن الرضا (عليهم السلام) ، فقلت لبعض من حضر : من هذا الرجل الذي قد أمر بإحضاره ؟ فقيل هذا رجل علويّ تقول

الرافضة بإمامته ، ثمّ قال : وتقدّر أنّ المتوكّل يحضره للقتل ، فقلت : لا أبرح من ههنا حتّى أنظر إلى هذا الرجل ، أيّ رجل هو .

قال : فأقبل راكباً على فرس وقد قام الناس يمنة الطريق ويسرتها صفّين ينظرون إليه ، فلمّا رأيته وقع حبّه في قلبي ، فجعلت أدعو له في نفسي بأنّ يدفع الله عنه شرّ المتوكّل .

فأقبل يسير بين الناس وهو ينظر إلى عرف دابّته ، لا ينظر يمنة ولا يسرة ، وأنا أكرّر في نفسي الدعاء له ، فلمّا صار بإزائي أقبل بوجهه عليّ وقال : استجاب الله دعاءك ، وطوّل عمرك ، وكثّر مالك وولدك .

قال : فارتعدت من هيبته ، ووقعت بين أصحابي ، فسألوني : ما شأنك ؟ فقلت : خيراً ، ولم أخبر بذلك مخلوقاً ، فانصرفنا بعد ذلك إلى إصفهان ، ففتح الله عليّ بدعائه وجوهاً من المال حتّى أنّي اليوم أغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم ، سوى ما لي خارج داري ، ورزقت عشرة من الأولاد ، وقد بلغت الآن من عمري نيّفاً وسبعين سنة وأنا أقول بإمامة الرجل على الذي علم ما في قلبي ، واستجاب الله دعاءه في أمري .

السابع : وذكر القطب الراونديّ رواية ملخّصها أنّه ظهرت في أيّام المتوكّل امرأة تدّعي أنّها زينب بنت فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، فقال المتوكّل : أنت امرأة شابّة ، وقد مضى من زمان زينب حتّى الآن ما مضى من السنين : قالت : إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مسح عليّ وسأل الله أن يردّ عليّ شبابي في كلّ أربعين سنة .

فدعا المتوكّل مشايخ آل أبي طالب ، وولد العبّاس ، وقريش ، وعرّفهم حالها ، فروى جماعة وفاة زينب في سنة كذا ، فقالت : كذب وزور ، فإنّ أمري كان مستوراً عن الناس فلم يعرف لي حياة ولا موت ! فأقسم المتوكّل أن لا ينزلها عمّا ادّعت إلاّ بحجّة ، فقالوا : ادع ابن الرضا فلعلّ عنده شيئاً من الحجّة .

فبعث إليه فحضر ، فأخبره خبر المرأة فقال : كذبت ، فإنّ زينب توفّيت في سنة كذا ، قال : فإنّ هؤلاء قد رووا مثل هذا ، فعليك بحجّة تلزمها ؛ فقال : الحجّة على بطلان قولها أنّ لحوم بني فاطمة محرّمة على السباع ، فأنزلها إلى السباع ، فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرّها .

فقال لها : ما تقولين ؟ قالت : إنّه يريد قتلي ، قال (عليه السلام) : فههنا جماعة من ولد الحسن والحسين (عليهما السلام) فأنزل من شئت منهم .

قال الراوي : فتغيّرت وجوه الجميع ، وقال البعض : هو يحيل على غيره ، لم لا يكون

هو ؟ فقال المتوكّل : يا أبا الحسن ، لم لا تكون أنت ؟ قال : ذاك إليك ، فاغتنم المتوكّل الفرصة فقال : فافعل .

فأتي بسلّم ، فنزل أبو الحسن (عليه السلام) إليها وجلس ، فصارت الأسود إليه ورمت بأنفسها بين يديه ، فجعل يمسح على رؤوسها ، ثم أشار إليها بالاعتزال ، فاعتزلت طائعة .

قال الوزير للمتوكّل : هذا ليس صواباً ، فبادر إلى إخراجه قبل أن ينتشر خبره بين الناس ؛ فاستدعاه ، فلما أقبل (عليه السلام) إلى السلّم أحدقت به السباع تتمسّح بثيابه ، فأشار إليها بالرجوع ، فرجعت .

فصعد (عليه السلام) وقال : كلّ من زعم أنّه من ولد فاطمة فليجلس هذا المجلس ! فقال المتوكّل للمرأة : انزلي ! قالت : الله الله ادّعيت الباطل ، وأنا بنت فلان ، حملني الضرّ على ما قلت .

قال المتوكّل : ألقوها إلى السباع ، فاستوهبتها والدته ، فوهبها إيّاها .

الثامن : روى الشيخ المفيد وغيره عن خيران الأسباطيّ قال : قدمت على أبي الحسن عليّ بن محمّد (عليهما السلام) بالمدينة ، فقال لي : ما خبر الواثق عندك ؟ قلت : جعلت فداك ، خلّفته في عافية ، وعهدي به منذ عشرة أيّام ، فقال لي : إنّ أهل المدينة يقولون إنّه مات ، فقلت : أنا من أقرب الناس عهداً به ، قال : إنّ الناس يقولون إنّه قد مات !

قال : فلمّا قال إنّ الناس يقولون . . علمت أنّه يعني نفسه ، ثمّ قال لي : ما فعل جعفر ؟ قلت : تركته أسوأ الناس حالاً في السجن ، فقال لي : إنّه صاحب الأمر ! ثمّ قال : ما فعل ابن الزيّات ؟ قلت : الناس معه ، والأمر أمره ، قال : أما إنّه شؤم عليه .

قال : ثمّ إنّه سكت ، ثمّ قال : لا بدّ أن تجري مقادير الله وأحكامه ، يا خيران ، مات الواثق ، وقعد المتوكلّ جعفر مكانه ، وقتل ابن الزيّات ! قلت : متى جعلت فداك ؟ قال : بعد خروجك بستّة أيّام .

يقول المؤلّف : الواثق هارون بن المعتصم هو الخليفة العبّاسيّ التاسع ، وجعفر المتوكّل أخوه الذي خلفه في الحكم ، وابن الزيّات محمّد بن عبد الملك الكاتب صاحب التنّور المعروف ، الذي شغل منصب الوزارة في أيّام المعتصم والواثق ، ولمّا تسلّم المتوكّل الخلافة قتله ، كما سبقت الإشارة في فضل معجزات الجواد (عليه السلام) .

التاسع : ذكر الشيخ الطوسيّ عن الفحّام ، عن محمّد بن أحمد الهاشميّ المنصوريّ ،

عن عمّ أبيه أبي موسى عيسى بن أحمد بن عيسى بن المنصور قال : قصدت الإمام الهادي (عليه السلام) يوماً ، فقلت : يا سيّدي ، إنّ هذا الرجل (يعني المتوكّل) قد اطّرحني وقطع رزقي وملّني ، وما أتّهم في ذلك إلاّ علمه بملازمتي لك ، وإذا سألته شيئاً منه يلزمه القبول منك ، فينبغي أن تتفضّل عليّ بمسأله ، فقال : تكفى إن شاء الله .

فلمّا كان في الليل طرقني رسل المتوكّل ، رسول يتلو رسولاً ، فجئت والفتح بن خاقان على الباب قائم ، فقال : يا رجل ، أما تأوي في منزلك بالليل ؟ كدّني هذا الرجل ممّا يطلبك .

فدخلت ، وإذا المتوكّل جالس على فراشه ، فقال : يا أبا موسى ، نشغل عنك ، وتنسينا نفسك ؟ أيّ شيء لك عندي ؟ فقلت : الصلة الفلانيّة ، والرزق الفلانيّ وذكرت أشياء ، فأمر لي بضعفها ! فقلت للفتح : وافى عليّ بن محمّد إلى ههنا ؟ فقال : لا ، فقلت : كتب رقعة ؟ فقال : لا ، فولّيت منصرفاً ؛ فتبعني فقال لي : لست أشكّ أنّك سألته دعاء لك ، فالتمس لي منه دعاءً .

فلمّا دخلت إليه (عليه السلام) قال لي : يا أبا موسى ، هذا وجه الرضى ، فقلت : ببركتك يا سيّدي ، ولكن قالوا لي إنّك ما مضيت إليه ، ولا سألته ! فقال : إنّ الله تعالى علم أنّا لا نلجأ في المهمّات إلاّ إليه ، ولا نتوكّل في الملمّات إلاّ عليه ، وعوّدنا إذا سألناه الإجابة ، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا .

قلت : إنّ الفتح قال لي كيت وكيت ، قال : إنّه يوالينا بظاهره ، ويجانبنا بباطنه ، الدعاء لمن يدعو به[١] : إذا أخلصت في طاعة الله ، واعترفت برسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وبحقّنا أهل البيت ، وسألت الله تبارك وتعالى شيئاً لم يحرمك .

قلت : فتعلّمني يا سيّدي دعاء أختصّ به من الأدعيّة ؟ قال : هذا الدعاء كثيراً ما أدعو الله به ، وقد سألت الله أن لا يخيّب من دعا به في مشهدي بعدي ، وهو :

« يا عدّتي عند العُدد ، ويا رجائي والمعتمد ، ويا كهفي والسند ، ويا واحدُ يا أحد ، يا قل هو الله أحد ، أسألك اللهمّ بحقّ من خلقتهم من خلقك ، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً أن تصلّي عليهم ، وتفعل بي كَيْت وكيت » .

العاشر : ذكر القطب الراونديّ عن هبة الله بن أبي منصور الموصليّ أنّه قال :

كان بديار ربيعة كاتب نصرانيّ من أهل « كفر توثا »[٢] يسمّى يوسف بن يعقوب ، وكان

---

(١) « الدعاء لمن يدعو به » لعلّ المقصود : الدعاء المستجاب لمن يدعو به مخلصاً مستكملاً شرائط الدعاء ، وهذا يفسّر تعداد الشرائط (المعرّب) .

(٢) يقول في المراصد : « كفر توثا » اسم لقرية من قرى فلسطين (المصحّح) .

بينه وبين والدي صداقة ، فوافانا فنزل عند والدي ، فقال له والدي : ما شأنك قدمت في هذا الوقت ؟ قال : دعيت إلى حضرة المتوكّل ، ولا أدري ما يراد منّي ، إلاّ أنّي اشتريت نفسي من الله بمئة دينار قد حملتها لعليّ بن محمّد بن الرضا (عليهم السلام) ، فقال له والدي : قد وفّقت في هذا .

قال : وخرج إلى حضرة المتوكّل ، وانصرف إلينا بعد أيّام قلائل فرحاً مستبشراً ، فقال له والدي : حدّثني حديثك .

قال : صرت إلى سرّ من رأى وما دخلتها قطّ ، فنزلت في دار وقلت في نفسي : أحبّ أن أوصل الدنانير المئة إلى ابن الرضا (عليه السلام) قبل مصيري إلى باب المتوكّل، وقبل أن يعرف أحد قدومي ؛ وقد عرفت أنّ المتوكّل قد منع ابن الرضا (عليه السلام) من الركوب ، وأنّه ملازم داره ، فقلت : كيف أصنع ؟ رجل نصرانيّ يسأل عن دار ابن الرضا (عليه السلام)؟! لا آمن أن يُبدَر بي فيكون ذلك زيادة ما أحاذره ؛ ففكّرت ساعة في ذلك ، فوقع في قلبي أن أركب حماري وأخرج في البلد ، ولا أمنعه من حيث يذهب ، لعلي أقف على معرفة داره من غير أن أسأل أحداً .

قال : فجعلت الدنانير في كاغدة ، وجعلتها في كمّي وركبت ، فكان الحمار يتخرّق الشوارع والأسواق يمرّ حيث يشاء ، إلى أن صرت إلى باب دار ، فوقف الحمار ، فجهدت أن يزول فلم يزل ، فقلت لغلامي : سل لمن هذه الدار ، فقيل : هذه دار ابن الرضا (عليه السلام) ، فقلت : الله أكبر ، دلالة والله مقنعة !

قال : وإذا خادم أسود قد خرج فقال : أنت يوسف بن يعقوب ؟ قلت : نعم ، قال : انزل ، فنزلت ، فأقعدني في الدهليز ، فدخل ، فقلت في نفسي : هذه دلالة أخرى ، فمن أين عرف هذا الغلام اسمي ، وليس في هذا البلد من يعرفني ، ولا دخلته قطّ ؟!

قال : فخرج الخادم فقال : الدنانير المئة التي في كمّك في الكاغدة ، هاتها ! فناولته إيّاها ، وقلت : وهذه ثالثة ! ثمّ رجع إليّ وقال : ادخل ، فدخلت إليه ، وهو في مجلسه وحده ، فقال : يا يوسف ما آن لك ؟! فقلت : يا مولاي ؛ قد بان لي من البرهان ما فيه كفاية لمن اكتفى ، فقال :

هيهات ! إنّك لا تسلم ، ولكن سيسلم ولدك فلان ، وهو من شيعتنا ، يا يوسف ، إنّ أقواماً يزعمون أنّ ولايتنا لا تنفع أمثالكم ، كذبوا ، والله إنّها لتنفع أمثالك ، امض في ما وافيت له فإنّك سترى ما تحبّ ، وسيولد لك ولد مبارك .

قال : فمضيت إلى باب المتوكّل ، فنلت كلّ ما أردت ، فانصرفت .

قال هبة الله : فلقيت ابنه بعد هذا (يعني بعد موت والده) وهـو مسلم حسن التشيّع ، فـأخبرني أنّ أبـاه مات عـلى النصرانيّة ، وأنّـه أسلم بعد مـوت أبيه ، وكـان يقول : أنـا بشارة مولاي (عليه السلام) .

الحادي عشر : ذكر الشيخ الطبرسيّ عن أبي الحسين سعيد بن سهـل البصريّ أنّـه قال : كان جعفر بن القـاسم الهاشميّ البصـريّ يقول بـالوقف ، وكنت معـه بسرّ من رأى إذ رآه أبو الحسن (عليه السـلام) في بعض الطرق فقال لـه : إلى كم هذه النـومة ؟ أمـا آن لك أن تنتبـه منها ؟ فقال لي جعفر : سمعت ما قال لي عليّ بن محمّد ؟ قد والله قدح في قلبي شيئاً .

فلمّا كـان بعد أيّـام حدث لبعض أولاد الخليفـة وليمة فـدعانـا إليها ، ودعـا أبـا الحسن (عليـه السلام) معنـا ، فدخلنـا ، فلمّا رأوه أنصتوا إجـلالاً له ، وجعـل شابّ في المجلس لا يوقّره ، وجعل يلغط ويضحك ، فأقبل عليه وقال له : يا هذا ، تضحك ملء فيك وتذهل عن ذكر الله ، وأنت بعد ثلاثةٍ من أهل القبور ؟ قال : فقلنا هذا دليل حتّى ننظر ما يكون .

قال : فأمسك الفتى ، وكفّ عمّا هو عليه ، وطعمنا وخرجنـا ، فلمّا كان بعـد يوم اعتـلّ الفتى ، ومات في اليوم الثالث من أوّل النهار ، ودفن في آخره .

وحدّثني سعيد أيضاً قال : اجتمعنا أيضاً في وليمـة لبعض أهل سرّ من رأى وأبـو الحسن (عليه السلام) معنـا ، فجعل رجـل يعبث ويمزح ، ولا يـرى له جـلالة ، فـأقبل عـلى جعفر فقال : أما إنّه لا يأكل من هذا الطعام وسوف يرد عليه من خبر أهله ما ينغّص عليه عيشه .

قال : فمدّت المائدة ، فقال جعفر : ليس بعد هذا خـبر ، قد بـطل قولـه ، فوالله لقـد غسل الرجل يده وأهوى إلى الطعام ، فإذا غلامه قد دخل من بـاب البيت يبكي ، وقال لـه : الحق أمّك ، فقد وقعت من فوق البيت ، وهي بالموت .

قال جعفر : والله لا وقفت بعد هذا ، وقطعت عليه .

الثـاني عشر : روى ابن شهر اشـوب أنّه أتى النقيّ (عليـه السلام) رجـل خائف وهـو يرتعد ويقول : إنّ ابني أُخذ بمحبّتكم ، والليلة يرمونه من موضع كذا ، ويدفنونه تحته ، قال : فما تريد ؟ قال : ما يريد الأبوان ، فقال (عليه السـلام) : لا بأس عليـه ، اذهب فإنّ ابنـك يأتيك غداً .

فلمّا أصبح أتاه ابنه ، فقال : يا بنيّ ما شأنك ؟ قال : لمّا حفـروا القبر وشـدّوا لي الأيدي أتاني عشرة أنفس مطّهرة معطّرة ، وسألوا عن بكائي ، فذكرت لهم السبب ، فقالوا :

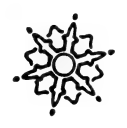
لو جُعل الطالب مطلوباً تجرّد نفسك وتخرج ، وتلزم تربة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ؟

قلت : نعم ، فأخذوا الحاجب فرموه من شاهق الجبل ، ولم يسمع أحد جزعه ، ولا رأوا الرجال ، وأوردوني إليك وهم ينتظرون خروجي إليهم ، وودّع أباه وذهب .

فجاء أبوه إلى الإمام (عليه السلام) وأخبره بحاله، وكان الغوغائيون يقولون: وقع كذا وكذا، والإمام (عليه السلام) يتبسّم ويقول: إنّهم لا يعلمون ما نعلم.

الثالث عشر : ذكر القطب الراونديّ عن أبي هاشم الجعفريّ أنّه قال : كان للمتوكّل مجلس بشبابيك كيما تدور الشمس في حيطانه قد جعل فيها الطيور التي تصوّت ، فإذا كان يوم السلام جلس في ذلك المجلس فلا يسمع ما يقال له ، ولا يُسمع ما يقول لاختلاف أصوات تلك الطيور ، فإذا وافاه عليّ بن محمّد بن الرضا (عليهم السلام) سكتت الطيور ، فلا يسمع منها صوت واحد إلى أن يخرج ، فإذا خرج من باب المجلس عادت الطيور في أصواتها .

قال : وكان عند المتوكّل عدّة من القوابج (أي الحجل) في الحيطان ، فكان يجلس في مجلس له عال ، ويرسل تلك القوابج تقتتل ، وهو ينظر إليها ويضحك منها ، فإذا وافى عليّ بن محمّد (عليهما السلام) ذلك المجلس لصقت القوابج بالحيطان ، فلا تتحرّك من مواضعها ، فإذا انصرف عادت في القتال .



الفصل الرابع

في ذكر طرف من كلمات الإمام الهادي (عليه السلام) القصيرة

أولاً : قال (عليه السلام) : « من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه » .

أقول : من المناسب هنا إيراد أبيات لسعدي إذ يقول :

ليس يلقى في عيون الناس قدرا ... من رأى في نفسه بالكبر فخرا
لا تقل : قالوا وقالوا من مديـ ... ـح لا تظنّ القول منهم فيك سحرا
كن عظيم النفس وانظر للذي فيـ ... ـه الرجا إذ ليس من نفسك ترى[1]

ثانياً : وقال (عليه السلام) : « المصيبة للصابر واحدة ، وللجازع اثنتان » .

أقول : الظاهر أنّ كون المصيبة للجازع مصيبتين ، هو أنّ إحداهما إنّما هي المصيبة التي نزلت به ، أمّا الثانية : فهي حرمانه من الأجر بسبب جزعه وعدم صبره ، كما جاء في رواية : « فإنّ المصاب من حُرم الثواب » ، وقد كتب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى معاذ يعزّيه بموت ابن له ، يقول (صلّى الله عليه وآله) :

« وقد كان ابنك من مواهب الله الهنيئة ، وعواريه المستودعة ، متّعك الله به في غبطة وسرور ، وقبضه منك بأجر كثير ؛ الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت واحتسبت ، فلا تجمعنّ عليك مصيبتين فيحبط لك أجرك ، وتندم على ما فاتك » .

والروايات والحكايات في مدح الصبر وثوابه كثيرة ، ونكتفي هنا برواية واحدة ، وحكاية واحدة ، أمّا الرواية :

---

(١) أبيات معرّبة عن الفارسيّة (المعرّب) .

فقد روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال : « إذا أدخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه ، والزكاة عن يساره ، والبرّ مطلّ عليه ، ويتنحّى الصبر ناحية ، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبرّ : دونكم صاحبكم ، فإنّ عجزتم عنه فأنا دونه » .

وأمّا الحكاية : فجاء في بعض التواريخ أنّ كسرى سخط على بزرجمهر الحكيم فأمر به فحبس في بيت مظلم مغلولاً بالحديد ، ومضى عليه في ذلك أيّام ، فبعث كسرى إليه من يستقصي خبره ، فلمّا حضره الرسول رآه منشرح الصدر ساكن النفس ، فقال له : أتكون في هذا الضيق وهذه الشدّة ، ونراك مطمئناً ناعم البال ؟! فقال : قد صنعت معجوناً من ستّة أخلاط ، فاستعملته ، فلا غرو أن أكون كما ترى ، قال الرسول : ألا تخبرني عن هذا المعجون لعلّي أستعمله عند وقوع المصائب فأنتفع به ؟

قال الحكيم : ستّة أخلاط : الأول : الاعتماد على الله عزّ وجلّ ، الثاني : ما قدّر سيكون ، الثالث : الصبر أفضل ما يستعمله الممتحن ، الرابع : إن لم أصبر فماذا أصنع ؟ الخامس : لعلّ مصيبة وقعت تتلوها مصيبة أشدّ منها ، أمّا السادس : فمن ساعة إلى ساعة فرج .

فلمّا نقل قوله إلى كسرى أمر بإطلاقه من حبسه وأكرمه .

ثالثاً : وقال (عليه السلام) : **« الهزل فكاهة السفهاء وصناعة الجهّال »** .

أقول : هذا المعنى يستقيم في كلمة « الهزل » المنتهية بلام ، أما إذا انتهت بالهمزة : « الهزء » كما وردت في بعض النسخ فتعني : التملّق بالاستهزاء والسخرية ، ولا شكّ أن هذا العمل لا يصدر إلاّ عن الأراذل والأوباش واللئام، وصاحبه بعيد عن الدين والإيمان، لا أثر لديه من علم أو عقل، بعيد عن الإنسانية بمراحل، فاقد لإسم الإنسان.

رابعاً : وقال (عليه السلام) : **« السهر ألذّ للمنام ، والجوع يزيد في طيب الطعام »** .

أقول : يريد (عليه السلام) به : الحثّ على قيام الليل ، وصيام النهار .

خامساً: وقال (عليه السلام): **«أذكر مصرعك بين يدي أهلك، فلا طبيب يمنعك، ولا حبيب ينفعك»**.

يقول المؤلّف: يشير (عليه السلام) إلى حالة إحضار ابن آدم كما قال تعالى:

﴿ . . إذا بلغت التراقي، وقيل من راقٍ﴾ أيّ: إذا بلغت روح المحتضر الحلقوم، فقيل

من يرقيه بالدعاء، أو يعالجه بالدواء؟ أو قيل: يا ملائكة الرحمة أرقوا به إلى السماء، أو: يا ملائكة العذاب خذوه إلى النار.

﴿ وظنّ أنّه الفراق ﴾ ، أي : أيقن المحتضر بوقوع الفراق ، وجاء في الحديث : العبد إذا عاين شدّة الموت سلّمت الأعضاء بعضها على بعض تقول : عليك السلام ، تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة ؛

﴿ والتفّت الساق بالساق ﴾ ، أي : تلتفّ الساقان من هول الموت وشدّة نزع الروح ، وقال البعض : المعنى أنّ شدّة الموت تجتمع وتلتفّ بشدّة الآخرة . .

أقول : رأيت من المناسب نقل هذا الدعاء الشريف هنا ، علّ الناظرين ينالون من فيض قراءته .

« إلهي ، كيف أصدر عن بابك بخيبة منك ، وقد قصدته على ثقة بك ؟ إلهي ، كيف تؤيسني من عطائك ، وقد أمرتني بدعائك ؟ صلّ على محمّد وآل محمّد ، وارحمني إذا اشتدّ الأنين ، وحظر عليّ العمل ، وانقطع منّي الأمل ؛ وأفضيت إلى المنون ، وبكت عليّ العيون ؛ وودّعني الأهل والأحباب ، وحُثي عليّ التراب ، ونُسي اسمي ، وبلي جسمي ، وانطمس ذكري ، وهجر قبري ؛ لم يزرني زائر ، ولم يذكرني ذاكر ؛ وظهرت منّي المآثم ، واستولت عليّ المظالم ؛ وطالت شكاية الخصوم ، واتّصلت دعوة المظلوم .

صلّ اللهمّ على محمّد وآل محمّد ، وأرض خصومي عنّي بفضلك وإحسانك ، وجد عليّ بعفوك ورضوانك ؛ إلهي ذهبت أيّام لذّاتي ، وبقيت مآثمي وتبعاتي ؛ وقد أتيتك منيباً تائباً ، فلا تردّني محروماً ولا خائباً ؛ اللهمّ آمن روعتي ، واغفر زلّتي ، وتب عليّ ، إنّك أنت التوّاب الرحيم » .

سادساً : وقال (عليه السلام) : « المقادير تريك ما لا يخطر ببالك » .

سابعاً : وقال (عليه السلام) : « الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة » .

أقول : من هذا القبيل قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : « لا تعلّقوا الجواهر في أعناق الخنازير » ، وجاء أنّ عيسى (عليه السلام) وقف يخطب في بني إسرائيل ، لا تحدّثوا الجهّال بالحكمة ، وإلاّ فقد ظلمتم الحكمة ، ولا تمنعوها عن أهلها ، وإلاّ فقد ظلمتموهم .

ولقد أجاد من قال :

« إنّه لكلّ تربة غرساً ، ولكلّ بناء أسّاً ؛ وما كلّ رأس يستحقّ التيجان ، ولا كلّ طبيعة تستحقّ إفادة البيان» .

وقال العالم (عليه السلام) : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب » :

البيت يهجره الملاك ويُغرق إن ضمّ كلباً ، والرسوم تُعلّق[١]

فإن كان لا بدّ (أي لا بدّ من الحديث مع الجاهل) فاقتصر معه على مقدار يبلغه فهمه ، ويسعه ذهنه ، فقد قيل : كما أنّ لبّ الثمار معدّ للأنام ، فالتبن معدّ للأنعام ، فلبّ الحكمة معدّ لذوي الألباب ، وقشورها مجعولة للأغنام .

الثامن : وقال (عليه السلام) : « إذا كان زمانُ العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن تظنّ بأحد سوءاً حتّى تعلم ذلك ، وإذا كان زمانُ الجور فيه أغلب من العدل فليس لأحد أن يظنّ بأحد خيراً حتى ذلك منه » .

يقول المؤلّف : رأيت من المناسب إيراد هذا الخبر :

روي عن حمران أنّه سأل الإمام الباقر (عليه السلام) : متى ستظهر دولة حقّكم ؟ فقال ما مضمونه : يا حمران ، إنّ لك أحباباً وإخوة وأصحاباً تعرّفك أحوالهم عن أحوال زمانك ، فليس هذا الزمان زمان خروج إمام الحقّ .

كان لأحد علماء الزمان السابق ابن لم تكن لديه رغبة في علم أبيه ، ولم يكن يسأله ، وكان لذلك العالم جار يأتيه ويأخذ العلم عنه ، ولما دنا أجل العالم دعا ابنه إليه وقال له : أي بنيّ ، إنّك لم تأخذ العلم عنّي ، وكنت راغباً عنه ، فلم تسألني شيئاً ، وإنّ لي جاراً كان يسألني ليأخذ عنّي ويحفظ ما يأخذه ، فإذا احتجت إلى شيء من العلم فعليك بجارنا ، ثم أراه إيّاه فعرفه ، ثم انتقل العالم إلى رحمة ربّه .

ثمّ إنّ ملك ذلك الزمان رأى مناماً فسأل عن ذلك العالم ليعبّره له ، فقيل : مات ، قال : ألم يترك ابناً ؟ قيل : بلى ، فاستدعاه ؛ فلمّا جاء رسول الملك في طلبه قال في نفسه : لست أدري لماذا يطلبني الملك ، وليس عندي علم ، فإذا سألني عن شيء افتضحت ! ثمّ تذكّر وصيّة أبيه ، فقصد بيت الرجل الذي علّمه أبوه فقال له :

لقد استدعاني الملك إليه ، ولست أدري مراده ، وكان أبي أوصاني إذا احتجت إلى العلم أن أجيء إليك .

قال الرجل : أنا أعرف لماذا طلبك الملك ، فإن أخبرتك ، فهل تقسم ما تناله منه بيننا ؟ قال : نعم ، ثم أقسم على ذلك ، وأخذ الرجل منه كتاباً يتعهّد فيه بالوفاء بما شرطه عليه ؛ ثم قال الرجل :

---

(١) تعريب بيت عن الفارسيّة (المعرّب) .

الملك رأى مناماً وقد استدعاك لكي يسألك عن هذا الزمان ، ما هو ؟ فقل له : إنّه زمان الذئاب .

فلمّا دخل الغلام مجلس الملك قال له : أتدري لِمَ استدعيتك؟ قال: نعم، لقد رأيت مناماً وتريد أن تسألني عن هذا الزمان ، قال الملك : صدقت ، فقل لي ما هذا الزمان ؟ قال زمان الذئاب .

سرّ الملك وأمر للغلام بجائزة ، فأخذها وقفل راجعاً إلى بيته ، لكنه لم يف بوعده فلم يعط الرجل نصيبه ، وقال : يمكن أن أموت قبل أن ينفد هذا المال ، فلن أكون بحاجة لسؤاله مرّة ثانية .

وبعد مرّة رأى الملك مناماً ثانياً ، فأرسل في طلب الغلام ، فندم الغلام على عدم وفائه العهد ، وقال في نفسه : لا علم عندي يمكّنني من الذهاب إلى الملك ، وكيف أذهب إلى جارنا العالم وأسأله وقد مكرت به فلم أف بعهدي له ؟! ثم قال : سأذهب إليه وأعتذر ، وسأقسم له ثانية أنّي سأفي بالعهد هذه المرّة ، لعلّه يقبل منّي .

ثم أتاه فقال له : لقد فعلت ما فعلت ، فلم أف بما عاهدت عليه ، وما عندي قد نفد فلم يتبقّ منه شيء ، وأنا الآن محتاج إليك فبالله عليك لا تحرمني ، وأقسم لك أنّي سأقتسم ما أناله هذه المرّة بيني وبينك ، فقد استدعاني الملك الآن ولست أدري ما الذي سيسألني عنه ، فقال العالم ؛ لقد استدعاك ليسألك عن منام آخر رآه ، وعن هذا الزمان ، فإن سألك فقل : هو زمان الغنم .

فلما دخل الغلام مجلس الملك سأله : أتدري لم استدعيتك ؟ قال :نعم ، رأيت مناماً وتريد أن تسألني عن هذا الزمان ، قال الملك : صدقت فقل الآن ما هذا الزمان ؟ قال : زمان الغنم .

فأمر له الملك بصلة أخذها وانصرف إلى بيته ، وهنا غلبه التردّد : أيفي بوعده للعالم أم يمكر به ؟ وبعد إعمال الفكر قال : لعلّي لن أحتاج إليه بعد الآن ، وعزم على الغدر !!

وبعد مدّة استدعاه الملك للمرّة الثالثة ، فندم على ما بدر من غدره ، وقال : كيف أذهب إليه بعد غدري به مرّتين ؟! فما العمل ، وأنا لا أعرف بماذا أجيب الملك ؟

وأخيراً قرّ رأيه على الذهاب إلى العالم ، فلمّا دخل عليه راح يقسم أنّه سيفي بوعده هذه المرّة ، والتمس منه تعليمه قائلاً : سأفي بالعهد هذه المرّة ، ولن أمكر بك ، فارحمني ولاتتخلّ عني !! فرضي العالم أيضاً ، وأخذ عليه العهد والميثاق ، ثم قال له : لقد استدعاك الملك ليسألك عن منام رآه ، وعن هذا الزمان ، فإذا سألك فقل : هو زمان العدل .

فلمّا دخل الغلام على الملك سأله جري عادته عن ماهيّة الزمان فأجابه : هو زمان العدل ، فأمر له بصلة ، فأخذها وقصد من فوره بيت العالم ، فوضع المال بين يديه وقال : هذا ما حصلت عليه جئت أقسمه فيما بيننا ، فقال له العالم :

كان الزمان الأوّل زمان الذئاب ، وكنت منهم ، لذا عقدت عزمك على عدم الوفاء ؛ وفي الزمان الثاني وكان زمن الغنم ، والغنم إذا عزمت على فعل شيء تردّدت ، وقد تردّدت أنت ، فقد أردت الوفاء لكنّك لم تفعل ، وبما أنّ هذا الزمان هو زمان العدل ، وشيمة العدل الوفاء ، فقد وفيت ، والآن خذ مالك فلا حاجة بي إليه !

قال العلّامة المجلسيّ (ره) : لعلّ غرضه (عليه السلام) من سرد هذه القصّة هو القول بأنّ أحوال كلّ زمان متشابهة ، فإذا كنتَ ترى من أنصارك وأصحابك المكر والغدر ، فكيف يأمنهم الإمام (عليه السلام) ويعتمد على عهودهم ، فيخرج على مخالفيه ؟!

أمّا إذا جاء زمان وفوا فيه بعهودهم ، وعاهدوا الله على أنّهم سيفون لإمامهم ، فسيأتي الأمر للإمام بالظهور ، أصلح الله تعالى أهل زماننا ، وجعل هذه العطيّة العظمى نصيباً لمحمّد وآله الطاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين .



الفصل الخامس

في ما جرى على الإمام الهادي (عليه السلام) في طريقه بين المدينة وسامرّاء

ولد الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) بالمدينة ونشأ فيها ، وكانت سنّه عند شهادة أبيه وانتقال الإمامة إليه ثماني سنين ، وبقي في المدينة حتّى أيّام جعفر المتوكّل الذي استدعاه إلى سرّ من رأى ، وذلك أن بريحة العبّاسيّ ، وكان إمام جماعة الحرمين ، كتب إلى المتوكّل يقول : إن كان لك بالحرمين حاجة فأخرج منهما عليّ بن محمّد ، فإنّه قد دعا إلى نفسه وتبعه خلق كثير ، وكتب إليه آخرون أيضاً بهذا المعنى ، كما كان والي المدينة عبد الله بن محمّد يؤذي الإمام (عليه السلام) ، حتّى أنّه كتب بشأنه للمتوكّل كتاباً استدعى غضب المتوكّل عليه (عليه السلام) .

ولما بلغ أبا الحسن (عليه السلام) ذلك كتب إلى المتوكّل يذكر له تحامله عليه، وكذبه فيما كتب به ، وإيذاءه له ؛ فأجابه المتوكّل بكتاب كلّه دجل وخداع وتضليل جاء فيه :

إنّ أمير المؤمنين قد علم براءتك ممّا نسب إليك ، وصدق نيّتك ، وأنّك لم تؤهّل نفسك لما يدّعيه عليك ، وقد ولّيت ما كان يليه عبد الله بن محمّد بن الفضل ، وأمرته بإكرامك وتبجيلك والانتهاء إلى أمرك ورأيك ، والتقرّب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك ، وأمير المؤمنين مشتاق إليك يحبّ إحداث العهد بك ، والنظر إليك ، فإن نشطت لزيارته والمقام قِبله ما أحببت ، شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة ، ترحل إذا شئت ، وتنزل إذا شئت كيف شئت ، وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند يرحلون برحيلك ويسيرون بسيرك فالأمر في ذلك إليك ، وقد تقدّمنا إليه بطاعتك ، فاستخر الله حتّى توافي أمير المؤمنين ، فما أحد من إخوانه وولده وأهل بيته وخاصّته ألطف منك منزلة ، ولا أحمد أثرة ، ولا هو لهم أنظر ، ولا عليهم أشفق وبهم أبرّ ، ولا هو إليهم أسكن منه إليك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

كتبه إبراهيم بن العبّاس في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ومئتين .

أمّا صنوف الأذى التي نزلت بهذا الإمام المبين (عليه السلام) من خصومه فكثيرة نكتفي بذكر بعضها :

أولاً : روى المسعوديّ عن يحيى بن هرثمة أنّه قال :

وجّهني المتوكّل إلى المدينة لإشخاص عليّ بن محمّد (عليه السلام) لشيء بلغه عنه ، فلمّا صرت إليها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على أبي الحسن ، فجعلت أسكّنهم وأحلف لهم بأنّي لم أومر فيه بمكروه ، وفتّشت بيته فلم أصب فيه إلاّ مصحفاً ودعاء وما أشبه ذلك .

وفي (تذكرة السبط) : « فلم أجد فيه إلاّ مصاحف وأدعية وكتب العلم ، فعظم في عيني » .

قال ابن هرثمة : فأشخصته وتولّيت خدمته ، وأحسنت عشرته ، فبينا نحن في يوم من الأيام والسماء صاحية والشمس ساطعة إذ ركب وعليه ممطر ، وقد عقد ذنب دابّته ، فعجبت من فعله ، فلم يكن بعد ذلك إلاّ هنيهة حتّى جاءت سحابة فأرخت عزاليها[1] ، ونالنا من المطر أمر عظيم جدّاً ، فالتفت إليّ وقال : أنا أعلم أنّك أنكرت ما رأيت ، وتوهّمت أنّي علمت من الأمر ما لا تعلمه ، وليس ذلك كما ظننت ، ولكنّي نشأت في البادية ، فأنا أعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر ، فلمّا أصبحت هبّت ريح شممت منها رائحة المطر ، فتأهّبت لذلك .

قال يحيى : فلمّا قدمت به مدينة السلام (بغداد) بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاطريّ ، وكان على بغداد ، فقال : يا يحيى ، إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، والمتوكّل من تعلم ، وأنت حرّضته على قتله كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خصمك ؛ فقلت : والله ما وقفت منه إلاّ على كلّ أمر جميل .

ومضى يحيى يقول : فصرت إلى سامرّاء ، فبدأت بوصيف التركيّ وكنت من أصحابه ، فقال : والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيري ، فعجبت من توافقهما في القول ، وعرّفت المتوكّل ما وقفت عليه ، وما سمعته من الثناء عليه ، فأحسن جائزته ، وأظهر برّه وتكرمته .

ثانياً : وروى الشيخ الكلينيّ وآخرون عن صالح بن سعيد أنّه قال :

---

(١) عزالي : جمع عزلاء ، وهي مصبّ الماء من القربة ، والقول إشارة إلى شدّة وقع المطر .

دخلت على أبي الحسن (عليه السلام) يوماً في سرّ من رأى فقلت : جعلت فداك ، في كلّ الأمور أرادوا إطفاء نورك وإخفاء ذكرك ، حتّى أنزلوك هذا الخان الذي لا ينزل فيه إلّا الصعاليك والأغراب ممّن لا شأن لهم ولا ذكر !

فقال لي (عليه السلام) : يا بن سعيد ، ههنا أنت في معرفة قدرنا ومنزلتنا ، وتظنّ أنّ هذا يتنافى مع رفعة شأننا ، ولا تعلم أنّ من رفعه الله فهذا لا يضعه ؛ ثمّ أومأ بيده فقال : انظر ، فنظرت فإذا بروضات آنفات ناضرات ، فيهنّ خيرات عطرات ، وحور وولدان ، وأنهار جارية ، فحار بصري وحسرت عيني ، فقال (عليه السلام) : حيث كنّا فهذا لنا عتيد (أي حاضر مهيّأ) ولسنا في خان الصعاليك .

ثالثاً : روى المسعودي في (إثبات الوصيّة) أنّه (عليه السلام) دخل دار المتوكّل فقام يصلّي ، فأتاه بعض المخالفين فوقف حياله فقال له : إلى كم هذا الرياء ؟ فأسرع الصلاة وسلّم ، ثمّ التفت إليه فقال : إن كنت كاذباً سحتك الله ، فوقع الرجل ميّتاً ، فصار حديثاً للدار .

رابعاً : روى الشيخ الكلينيّ والشيخ المفيد عن إبراهيم بن محمّد الطاهريّ أنّه قال :

مرض المتوكّل من خُراج خرج به ، فأشرف منه على الموت ، فلم يجسر أحد أن يسِمه بحديدة ، فنذرت أمّه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد (عليهما السلام) مالاً جليلاً من مالها .

وقال الفتح بن خاقان للمتوكل : لو بعثت إلى هذا الرجل، يعني أبا الحسن (عليه السلام) فسألته ، فإنّه ربّما كان عنده صفة شيء يفرّج الله به عنك ، فقال : ابعثوا إليه .

فمضى الرسول ورجع فقال : خذوا كُسب الغنم فديفوه[1] بماء الورد وضعوه على الخراج فإنّه نافع بإذن الله ، فجعل من يحضر المتوكّل يهزأ من قوله ، فقال لهم الفتح : وما يضرّ من تجربة ما قال ، فوالله إنّي لأرجو الصلاح به ؟

فأحضر الكُسب وديف بماء الورد ووضع على الخُراج فانفتح ، وخرج ما كان فيه ، وسرّت أمّ المتوكّل بعافيته ، فحملت إلى أبي الحسن (عليه السلام) عشرة آلاف دينار تحت ختمها ، واستبلّ (شفي) المتوكّل من علّته .

فلمّا كان بعد أيّام سعى البطحائيّ بأبي الحسن (عليه السلام) إلى المتوكّل وقال : عنده

(١) الكُسب : عصارة الدهن ، والدَّوف : الخلط والبلّ بماء ونحوه .

أموال وسلاح ، فتقدّم المتوكّل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً ويأخذ ما يجده عنده من أموال وسلاح ، ويحمله إليه .

قال إبراهيم بن محمّد ; قال لي سعيد الحاجب : صرت إلى دار أبي الحسن (عليه السلام) بالليل ومعي سلّم ، فصعدت عليه إلى السطح ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة ، فلم أدر كيف أصل إلى الدار ، فناداني أبو الحسن (عليه السلام) من الدار : يا سعيد ، مكانك حتّى يأتوك بشمعة ! فلم ألبث أن آتوني بشمعة فنزلت ، فوجدت عليه جبّة صوف وقلنسوة منها، وسجّادته على حصير بين يديه وهو مقبل على القبلة ، فقال لي : دونك البيوت ، فدخلتها وفتّشتها فلم أجد فيها شيئاً ، ووجدت البدرة مختومة بخاتم أمّ المتوكّل ، وكيساً مختوماً معها ، فقال لي أبو الحسن (عليه السلام) : دونك المصلّى ، فرفعته فوجدت سيفاً في جفن ملبوس ، فأخذت ذلك وصرت إلى المتوكّل .

فلمّا نظر إلى ختم أمّه على البدرة بعث إليها فخرجت إليه ، فسألها عن البدرة فقالت : كنت نذرت في علّتك إن عوفيت أن أحمل إليه من مالي عشرة آلاف دينار ، فحملتها إليه ، وهذا خاتمي على الكيس ما حرّكه ، وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمئة دينار ، فأمر أن يضمّ إلى البدرة بدرة أخرى ، وقال لي : احمل ذلك إلى أبي الحسن ، واردد عليه السيف والكيس بما فيه ، فحملت ذلك إليه واستحييت منه ، فقلت له : يا سيّدي ، عزّ عليّ دخولي دارك بغير إذنك ، ولكنّي مأمور ، فقال لي : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ﴾ .

إغارة جماعة من الأتراك على بيته (عليه السلام) ليلاً وتفتيشه

خامساً : روى جماعة من العلماء ومنهم المسعوديّ أنّه سُعي بأبي الحسن محمّد بن عليّ (عليهما السلام) إلى المتوكّل ، وقيل له : إنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته ، فوجّه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممّن في داره ، فوجده في البيت وحده ، فغلق عليه بابه ، وعليه مدرعة من شعر ، ولا بساط في البيت إلّا الرمل والحصى ، وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجّهاً إلى ربّه ، يترنّم بآيات القرآن في الوعد والوعيد ؛ فأخذ على ما وُجد عليه ، وحمل إلى المتوكّل في جوف الليل ، فمثل بين يديه والمتوكّل يشرب وفي يده كأس ، فلمّا رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه ، ولم يكن في منزله شيء ممّا قيل فيه ، ولا حالة يتعلّل عليه بها ، فناوله المتوكّل الكأس الذي في يده ، فقال : والله ما خامر لحمي ودمي قطّ ، فاعفني منه ، فأعفاه .

ثمّ قال : أنشدني شعراً أستحسنه ، فقال : إنّي لقليل الرواية للأشعار ، فقال : لا بدّ أن تنشدني ، فأنشده :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغناهم القلل
واستُنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم ... فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعدما قُبروا ... أين الأسرّة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعّمة ... من دونها تُضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ... وأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا
وطالما عمروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادّخروا ... فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطّلة ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

فبكى المتوكّل بكاء طويلاً حتّى بلّت دموعه لحيته ، وبكى من حضره ، وجاء في رواية (كنز الفوائد) للكراجكيّ : فضرب المتوكّل بالكأس الأرض ، وتنغّص عيشه في ذلك اليوم ، وفي الرواية الأولى أنه قال له : يا أبا الحسن ، أعليك دَيْن ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار ، فأمر بدفعها إليه ، وردّه إلى منزله من ساعته مكرّماً .

في استخفاف المتوكّل به (عليه السلام) وأذيّته له

سادساً : روى القطب الراونديّ عن الفضل بن أحمد الكاتب ، عن أبيه أحمد بن إسرائيل كاتب المعتزّ بالله بن المتوكّل أنّه قال :

كنّا مع المعتزّ يوماً فدخلنا على المتوكّل وكان قاعداً على سريره وعنده الفتح بن خاقان جالس إلى جنبه ، فسلّم المعتزّ ووقف ، ووقفت خلفه ، وكان عهدي إذا دخل رحّب به وأمره بالقعود ، فأطال القيام وهو لا يأذن له بالقعود (كان المتوكّل في هذا اليوم غاضباً أشدّ الغضب ، فلم يلتفت إلى ابنه) ، ونظرت إلى وجهه يتغيّر ساعة ، ويقبل على الفتح بن خاقان ويقول : هذا الذي تقول فيه ما تقول فعل كيت وكيت ، والفتح مقبل عليه يسكّنه ويقول : مكذوب عليه يا أمير المؤمنين ، وهو يتلظّى ويقول : والله لأقتلنّ هذا المرائي ، وهو الذي يدّعي الكذب ، ويطعن في دولتي ، ثمّ قال : جئني بأربعة من الخزر أجلاف لا يفقهون ، فجيء بهم ، ودفع إليهم أربعة أسياف ، وأمرهم إذا دخل أبو الحسن (عليه السلام) أن يقبلوا عليه بأسيافهم فيخبطوه ، وهو يقول : والله لأحرقنّه بعد القتل ! فما علمت إلاّ بأبي الحسن (عليه السلام) قد دخل ، وقد بادر الناس قدّامه وقالوا : قد جاء ، والتفتّ فإذا أنا به وشفتاه تتحرّكان ، وهو غير مكروب ولا جازع ، فلمّا بصر به المتوكّل رمى بنفسه عن السرير إليه ، وسبقه وانكبّ عليه فقبّل ما بين عينيه ، وسيفه بيده وهو يقول :

يا سيّدي ، يا بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، يا خير خلق الله ، يا مولاي يا أبا

الحسن ! وأبو الحسن (عليه السلام) يقول : أعيذك يا أمير المؤمنين بالله ، أعفني من هذا ، فقال : ما جاء بك يا سيّدي في هذا الوقت ؟ قال : جاءني رسولك فقال : المتوكّل يدعوك ! قال كذب ابن الفاعلة ، ارجع يا سيّدي من حيث شئت ، يا فتح ، يا معتز ، يا عبد الله ، شيّعوا سيّدكم وسيّدي !

فلمّا بصر به الخزر خرّوا سجّداً مذعنين ، فلمّا خرج دعاهم المتوكّل ، ثم أمر الترجمان أن يخبره بما يقولون ، ثم قال لهم : لِمَ لم تفعلوا ما أمرتكم به ؟ قالوا : شدّة هيبته ، رأينا حوله أكثر من مئة سيف لم نقدر أن نتأمّل حامليها ، فمنعنا ذلك عمّا أمرت ، وامتلأت قلوبنا من ذلك رعباً .

فقال المتوكّل : يا فتح ، هذا صاحبك ! وضحك الفتح فقال : الحمد لله الذي بيّض وجهه ، وأنار حجّته .

سابعاً : روى ابن بابويه وآخرون عن الصقر بن أبي دلف أنّه قال :

لّما حمل المتوكّل سيّدنا أبا الحسن (عليه السلام) إلى سرّ من رأى جئت أسأل عن خبره ، وكان (عليه السلام) محبوساً عند الزرّاقيّ حاجب المتوكّل ، فنظر إليّ الزرّاقيّ فقال : يا صقر ، ما شأنك وفيم جئت ؟ قلت لخير ، فقال : لعلّك تسأل عن خبر مولاك ؟ فقلت له : ومن مولاي ؟ مولاي أمير المؤمنين ، فقال : اسكت ، مولاك هو الحقّ ، فلا تحتشمني فإنّي على مذهبك ، فقلت : الحمد لله .

قال : أتحبّ أن تراه ؟ قلت : نعم ، قال : اجلس حتّى يخرج صاحب البريد ، فجلست ، فلمّا خرج قال لغلام له ، خذ بيدك الصقر وأدخله إلى الحجرة التي فيها العلويّ المحبوس ، وخلّ بينه وبينه ؛ فأدخلني إلى الحجرة فإذا هو جالس على صدر حصير وبحذاه قبر محفور ، فسلّمت عليه ، فردّ عليّ ، ثمّ أمرني بالجلوس ، ثمّ قال لي : يا صقر ، ما أتى بك ؟ قلت : سيّدي ، جئت أتعرّف خبرك ، ثمّ نظرت إلى القبر فبكيت ، فنظر إليّ فقال : يا صقر لا عليك ، لن يصلوا إلينا بسوء الآن ، فقلت : الحمد لله .

ثمّ قلت : يا سيّدي ، حديث يروى عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لا أعرف معناه ، قال : وما هو ؟ قلت : قوله (صلّى الله عليه وآله) : « لا تعادوا الأيّام فتعاديكم » ما معناه ؟ فأجابني ثمّ قال : ودّع واخرج ، فلا آمن عليك .

ثامناً : روى السيّد ابن طاووس وآخرون أنّه لّما أراد المتوكّل أن يبيّن حظوة الفتح بن خاقان وزيره عنده ، وقربه منه دون الناس جميعاً ، وكان يخفي غرضه الحقيقيّ وهو الحطّ من شأن الإمام الهادي (عليه السلام) والاستخفاف به ، ركب هو والفتح بن خاقان في يوم قائظ

شديد الحرّ ، وأمر الأشراف والأعيان والقادة بأن يخرجوا مشاةً بين أيديهما ، وأخرجوا في جملة الأشراف أبا الحسن عليّ بن محمّد (عليهما السلام) .

قال زرّافة حاجب المتوكّل : رأيته (عليه السلام) في ذلك اليوم يمشي وقد شقّ عليه ما لقيه من الحرّ والزحمة ، والعرق يتصبّب من بدنه المبارك ، فأقبلت إليه وقلت له : يا سيّدي ، يعزّ والله عليّ ما تلقى من هؤلاء الطغاة ، وما قد تكلّفته من المشقّة ، فقال لي (عليه السلام) : يا زرّافة ما ناقة صالح عند الله بأكرم منّي ، وفي رواية أخرى أنّه (عليه السلام) قال : إنّ قلامة ظفري أكرم عند الله من ناقة صالح وفصيلها .

قال زرّافة : فودّعته وانصرفت إلى منزلي ، وقصصت ما جرى على مؤدّب لولدي كنت أظنّه يتشيّع ، فقال لي : بالله إنّك سمعت هذا اللفظ منه ؟ فحلفت له أنّي سمعته منه ، فقال : اعلم أنّ المتوكّل لا يبقى في مملكته أكثر من ثلاثة أيّام ويهلك ، فانظر في أمرك ، وأحرز ما تريد إحرازه ، وتأهّب كي لا يصيبك ضرر بهلاك هذا الرجل ؛ فقلت له : من أين لك ذلك ؟ فقال لي : أما قرأت القرآن في قصّة الناقة ، وقوله تعالى : ﴿ **تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام ، ذلك وعد غير مكذوب** ﴾ ؟ ولا يجوز أن تبطل قول الإمام .

قال زرّافة : فغضبت منه وشتمته وطردته من بين يديّ ، فلمّا خلوت بنفسي تفكّرت وقلت : ما يضرّني أن آخذ بالحزم ، فإن كان من هذا شيء فبها ، وإن لم يكن لم يضرّني ذلك ، فانصرفت إلى جمع ما تفرّق من أموالي وجلست أنتظر انقضاء الأيّام الثلاثة ، فلمّا كان اليوم الثالث هجم المنتصر بن المتوكّل ومعه غلمانه الأتراك على المتوكّل فقتلوه وقطّعوه مع الفتح بن خاقان قطعاً حتّى لم يعرف أحدهما من الآخر ؛ فلقيت الإمام أبا الحسن (عليه السلام) بعد ذلك وعرّفته ما جرى مع المؤدّب وما قاله ، فقال : صدق ، إنّه لمّا بلغني الجهد في ذلك اليوم دعوت عليه ، فاستجاب الله عزّ وجلّ دعائي .

خبائث المتوكّل وجوره على آل أبي طالب

يقول المؤلّف : إنّ ما أنزله المتوكّل العباسيّ من عذاب وأذى بالإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) وبغيره من شيعته ومحبيه ، وبالعلويّين وبني فاطمة (عليها السلام) ، إلى ما أنزله بقبر الإمام الحسين (عليه السلام) وبزوّاره ، ممّا انقلب جميعه عليه (عليه السلام) هو أكثر من أن يُحتمل ، ذلك أن المتوكّل كان أكفر بني العبّاس : « وعاشر أكفرهم ، يقتله أخصّهم به » ، كما قال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) في إخباره بالمغيّبات ، ووصفه بأنّه رجل خبيث السريرة ، دنيء الفطرة ، وكان لئيماً شديد العداء لآل أبي طالب ، يأخذهم بالظنّ والتهمة ، وكان يدأب على أذيّتهم وتعذيبهم ، وإنّ إصراره على محو آثار قبر الحسين

(عليه السلام) وما أنزله من الأذى بزوّاره أظهر من الشمس وأبين من الأمس ، وقد تحدّثنا عن ذلك بإختصار في كتابنا (تتمّة المنتهى) .

قال القرمائي ، وهو أحد علماء السنّة في (أخبار الدول) : أمر المتوكّل سنة سبع وثلاثين ومئتين بهدم قبر الحسين (عليه السلام) ، وهدم البيوت في أطرافه ، وأمر بزراعة الأرض هناك ، ومنع الناس من زيارته ، وأمر بشقّ أرض كربلاء وحراثتها ، وكان أهل بغداد يشتمونه ويقولون فيه الفحش بالكتابة على الحيطان ، وينشد الشعراء القصائد في هجائه ، وممّا قيل فيه :

تالله إن كانت أميّة قد أتت ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها ... هذا لعمرُك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبّعوه رميما

وروى أبو الفرج الإصفهانيّ أنّ المتوكّل جعل عمر بن فرج الرخجيّ والياً على مكّة والمدينة ، فكان عمر يمنع الناس من البرّ بآل أبي طالب ، وتشدّد في ذلك حتّى خاف الناس على أرواحهم فكفّوا أيديهم عن رعاية العلويّين ، فضاق الأمر على بني أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى أنّ ثياب العلويّات غدت عتيقة ممزّقة ، فلم ير على إحداهن ثوب سليم تصلّي فيه ، سوى قميص عتيق كنّ يتناوبن عليه إذا أردن الصلاة ، فإذا انصرفن من الصلاة نزعنه ولبسن غيره ، ولا زلن يقاسين هذه العسرة حتّى هلك المتوكّل .

وإذا أردنا بيان خبائث المتوكّل وكفره لطال بنا الحديث، وفيما تقدم الكفاية في تبيان ما قاساه الإمام النقيّ (عليه السلام) في عهده الأسود، والله المستعان.

شهادة الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام)

قبض أبو الحسن عليّ بن محمّد الهادي (عليهما السلام) سنة أربع وخمسين ومئتين بالاتّفاق ، ووقع الاختلاف في يوم وفاته (عليه السلام) ، فاختار جملة من العلماء الثالث من رجب ، وبناء على أنّ ولادته (عليه السلام) كانت سنة اثنتين عشرة فإنّ سنّه كانت عند وفاته تقرب من اثنتين وأربعين سنة ، وكانت سنّه عند وفاة أبيه تقرب من ثماني سنين ، حيث تولّى الإمامة الكبرى والخلافة العظمى ، وكانت مدّة إمامته (عليه السلام) ثلاثاً وثلاثين سنة .

قال العلاّمة المجلسيّ :مكث (عليه السلام) في المدينة ما يقرب من ثلاث عشرة سنة طلبه المتوكّل بعدها إلى سرّ من رأى ، فأقام فيها عشرين سنة في بيت هو مدفنه الشريف الآن .

أقول: بناءً على ما روي من أنّ المتوكّل استدعاه إلى سامّراء سنة ثلاث وأربعين ومئتين،

فإنّ إقامته (عليه السلام) في سامرّاء تقرب من إحدى عشرة سنة ، وعلى قول المسعودي : تقرب من تسع عشرة سنة ، وأدرك في أيّام عمره الشريف بعض عهد المأمون ، وعهد المعتصم والواثق والمتوكّل والمنتصر والمستعين والمعتزّ ، وقبض في أيّام المعتزّ مسموماً .

قال المسعوديّ في (مروج الذهب) : حدّثني محمّد بن الفرج بمدينة « جرجان » في المحلّة المعروفة بغسّان قال : حدّثني أبو دعامة قال :

أتيت عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى (عليهم السلام) عائداً في علّته التي كانت وفاته منها ، فلمّا هممت بالانصراف قال لي : يا أبا دعامة ، قد وجب حقّك عليّ ، أفلا أحدّثك بحديث تسرّ به ؟ فقلت له : ما أحوجني إلى ذلك يا بن رسول الله ، قال :

حدّثني أبي محمّد بن عليّ عن أبيه عليّ ، وعن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب ، صلوات الله عليهم أجمعين ، أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال له : أكتب يا عليّ ، قلت : وما أكتب ؟ قال لي : أكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الإيمان ما وقرته القلوب ، وصدّقته الأعمال ، والإسلام ما جرى به اللسان ، وحلّت به المناكحة » .

قال أبو دعامة : فقلت : يا بن رسول الله ، ما أدري والله أيّهما أحسن : الحديث أم السند ، فقال : إنّها لصحيفة بخطّ عليّ بن أبي طالب ، وإملاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نتوارثها صاغراً عن كابر .

وذكر الشيخ الطبرسيّ هذه الأشعار رواية عن أبي هاشم الجعفريّ في صدد اعتلال الإمام الجواد (عليه السلام) :

مادت الأرض بي وآدت فؤادي ... واعترتني موارد العُرَواء
حين قيل الإمام نضو عليل ... قلت نفسي فدته كلّ الفداء
مرض الدين لاعتلالك واعتـ ... ـلّ وغارت له نجوم السماء
عجباً أن منيت بالداء والسّقـ ... ـم وأنت الإمام حسم الداء
أنت آسي الأدواء في الدين والدّنـ ... ـيا ومحيي الأموات والأحياء

ومجمل القول : فبناء على قول الشيخ الصدوق وبعض الآخرين فإنّ المعتمد العباسيّ أخا المعتزّ سمّ الإمام النقيّ (عليه السلام) ، ولم يكن عند فراشه وقت وفاته (عليه السلام) أحد غير ابنه الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) وبعد رحيله (عليه السلام) حضر الأمراء والأشراف جميعاً ، ووقف الإمام الحسن (عليه السلام) في جنازة أبيه باكياً حاسر

الرأس مشقوق الثياب ، وتولّى غسله وتكفينه ، ثمّ دفنه في حجرة كانت محلّ عبادته (عليه السلام) ، واعترض بعض الجهّال والحمقى على البكاء وخلافه عند وقوع مصيبة ، فقال (عليه السلام) : وما أدري أولئك الحمقى بدين الله ؟ !

كان موسى (عليه السلام) نبيّاً ، وفي مأتم أخيه هارون (عليه السلام) بكى وشقّ قميصه .

قال الشيخ الأجلّ عليّ بن الحسين المسعودي (ره) في (إثبات الوصيّة) :

حدّثنا جماعة كلّ واحد منهم يحكي أنّه دخل الدار ، أي دار أبي الحسن (عليه السلام)، يوم وفاته وقد اجتمع فيها جلّ بني هاشم من الطالبيّن والعبّاسيّن، واجتمع خلق من الشيعة ولم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمّد (عليه السلام) ، ولا عرف خبره إلّا الثقاة الذين نصّ أبو الحسن (عليه السلام) عندهم عليه ، فحكوا أنّهم كانوا في مصيبة وحيرة ، فهم في ذلك إذ خرج من الدار الداخلة خادم ، فصاح بخادم آخر : يا رياش ، خذ هذه الرقعة وامض بها إلى دار أمير المؤمنين ، وادفعها إلى فلان وقل له : هذه رقعة الحسن بن عليّ ، فاستشرف الناس لذلك ، ثمّ فتح من صدر الرواق باب وخرج خادم أسود ، ثمّ خرج بعده أبو محمّد حاسراً مكشوف الرأس مشقوق الثياب ، وعليه مبطّنة مُلحَم بيضاء ، وكان وجهه وجه أبيه (عليه السلام) لا يخطىء منه شيئاً ، وكان في الدار أولاد المتوكّل ، وبعضهم ولاة العهد ، فلم يبق أحد إلّا قام على رجله ، ووثب إليه أبو أحمد الموفّق ، فقصده أبو محمّد (عليه السلام) فعانقه ، ثمّ قال له : مرحباً بابن العمّ .

وجلس بين بابي الرواق والناس كلّهم بين يديه ، وكانت الدار كالسوق بالأحاديث ، فلمّا خرج وجلس أمسك الناس فما كنّا نسمع شيئاً إلّا العطسة والسعلة ، وخرجت الجارية تندب أبا الحسن (عليه السلام) ، فقال أبو محمّد (عليه السلام) : ما ههنا من يكفي مؤنة هذه الجاهلة[1] ؟ فبادر الشيعة إليها فدخلت الدار .

ثمّ خرج خادم فوقف بحذاء أبي محمّد ، فنهض (صلّى الله عليه) وأخرجت الجنازة وخرج يمشي حتى أُخرج بها إلى الشارع الذي بإزاء دار موسى بن بغا ، وقد كان أبو محمّد صلّى عليه قبل أن يخرج إلى الناس ، وصلّى عليه المعتمد لمّا أخرج ، ودفن (صلّى الله عليه) في دار من دوره .

وقال المسعوديّ أيضاً في (مروج الذهب) : وكانت وفاة أبي الحسن (عليه السلام) في

---

(١) الجارية (خ) .

يوم الإثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومئتين ، وسُمع في جنازته جارية تقول : ماذا لقينا في يوم الاثنين قديماً وحديثاً !!

وقال : أشارت الجارية بهذه الكلمة إلى يوم وفاة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، وجلافة المنافقين الطغام ، والبيعة التي عمّ شؤمها الإسلام ، وأخذت الجارية هذه عن عقيلة الهاشميّين زينب بنت أمير المؤمنين (عليهما السلام) في ندبتها على الحسين (عليه السلام) : « بأبي من أضحى عسكره يوم الإثنين نهباً » .

ولا يبعد أن تكون هذه الجارية هي نفسها التي سمع الإمام الحسن (عليه السلام) ندبتها فلم يستحسنها لكونها تخالف التقيّة .

وذكر المسعوديّ أيضاً في (إثبات الوصيّة) أنّه اشتدّ القيظ على الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) في تشييع جنازة أبيه من السير في الشارع للصلاة عليه ، ثم العودة ، إلى الإزدحام من كثرة الناس وضغطهم عليه ، فلمّا كان في طريق عودته بلغ دكّان بقّال كان قد رشّ الماء طلباً للبرودة ، فسلّم عليه واستأذنه في الجلوس لحظة يستريح فيها ، فأذن له وجلس ، والناس حوله وقوف ، فإذا بشابّ حسن الصورة نظيف الثوب يأتي على بغلة شهباء ، وتحت قبائه ثوب أبيض ، فنزل عن بغلته والتمس من الإمام (عليه السلام) أن يركب ، فركب (عليه السلام) حتّى صار إلى بيته .

ومن عصر ذلك اليوم بدأت التوقيعات تخرج من ناحيته (عليه السلام) كما كانت تخرج من ناحية أبيه ، فكأنّ الناس لم يفقدوا سوى شخص الإمام عليّ النقيّ عليه الصلاة والسلام .



الفصل السادس

ابناء الامام علي النقي (عليه السلام)

كان له (عليه السلام) من الأولاد خمسة بين ذكور وإناث ، وهم : أبو محمّد الحسن الإمام (عليه السلام) ، والحسين ، ومحمّد ، وجعفر ، وعليّة .

أما أحوال الإمام الحسن (عليه السلام) فسيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى ، وأمّا الحسين فلم يتسنّ لي الوقوف على أحواله سوى ما أوردته منها في (المفاتيح) وهو أنّه سيّد جليل القدر عظيم الشأن ، وقد استفدت من بعض المرويّات أنّه كان يعبرٍ عن مولانا الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) وأخيه الحسين بن عليّ المذكور بالسبطين، تشبيهاً لهما بجدّيهما سبطي الرحمة الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام).

وجاء في رواية أبي الطيّب أن صوت الحجّة بن الحسن صلوات الله عليه يشبه صوت الحسين ، وجاء في (شجرة الأولياء) أنّ الحسين بن الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) كان من الزهّاد والعبّاد ، مقرّاً لأخيه بالإمامة .

ومجمل القول : فإن قبر الحسين يقع في جوار قبري أبيه وأخيه (عليهما السلام) في سامرّاء ، في القبّة السامية نفسها .

وأما السيّد محمّد[1] المكنّى بأبي جعفر فمعروف بجلالة القدر ونبل الشأن ، ويكفيه فضلاً أنّه كان أهلاً للإمامة ، وكان أكبر أبناء الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) ، وكان الشيعة يظنّون بأنّه الإمام بعد أبيه (عليه السلام) ، غير أنّ أباه (عليه السلام) وقبل أن يمضي نصّ

---

(١) قال في (لمجدي) عند ذكر أبي محمّد العسكريّ (عليه السلام) وأخيه حتّى بلغ « بَلَدَ » ، وهي قرية فوق الموصل بسبعة فراسخ ، فهات بالسواد ، فقبره هناك عليه شمهد ، وقد زرته « انتهى .

على أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) بعد وفاة محمّد ، وقال له : « يا بنيّ ، أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً » ، يريد بالأمر الإمامة .

والأحاديث الأوّليّة في شأن أبي جعفر كثيرة ، منها ما جاء عن الشيخ المفيد والطوسيّ والطبرسيّ ، وقد ذكر الشيخان الطوسيّ والطبرسيّ عن جماعة من بني هاشم أنهم قالوا :

حضرنا يوم توفّي محمّد بن عليّ بن محمّد دار أبي الحسن (عليه السلام) وقد بسط له في صحن داره والناس جلوس حوله ، وقدّرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب وبني العبّاس وقريش ومئة وخمسون رجلاً ، سوى مواليه وسائر الناس ، إذ نُظِر إلى الحسن بن عليّ وقد جاء مشقوق الجيب ، حتّى جاء عن يمينه ، ونحن لا نعرفه .

فنظر إليه أبو الحسن (عليه السلام) بعد ساعة ثمّ قال : يا بنيّ ، أحدث لله شكراً ، فقد أحدث فيك أمراً .

فبكى الحسن (عليه السلام) واسترجع وقال : الحمد لله ربّ العالمين ، إيّاه نشكر تمام نعمه علينا ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

فسألنا عنه ، فقيل لنا : هذا الحسن ابنه ، وقدّرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة أو نحوها ، فيومئذ عرفناه ، وعلمنا أنّه قد أشار إليه بالإمامة ، وأقامه مقامه .

وذكر الشيخ الطوسيّ عن شاهويه بن عبد الله الجلّابيّ أنه قال :

كنت رويت عن أبي الحسن العسكري (عليه السلام) في أبي جعفر ابنه روايات تدلّ عليه، فلمّا مضى أبو جعفر قلقت لذلك، وبقيت متحيّراً لا أتقدّم ولا أتأخّر، وخفت أن أكتب إليه في ذلك، فلا أدري ما يكون.

فكتبت إليه أسأله الدعاء أن يفرّج الله علينا في أسباب من قبل السلطان كنّا نغتمّ بها في غلماننا ، فرجع الجواب بالدعاء وردّ الغلمان علينا ، وكتب في آخر الكتاب : أردت أن تسأل عن الخلف بعد مضيّ أبي جعفر ، وقلقت لذلك ، فلا تغتم ، فإنّ الله لا يضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتّى يتبيّن لهم ما يتّقون .

صاحبكم بعدي أبو محمّد ابني ، وعنده ما تحتاجون إليه يقدّم الله ما يشاء ، ويؤخّر ما يشاء : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ .

قد كتبت بما فيه بيان وإقناع لذي عقل يقظان .

وقال شيخنا في (النجم الثاقب) : ومزار السيّد محمّد المذكور على ثمانية فراسخ من

سامَراء ، قرب قرية « بلد » ، وكان من الأجلّاء والسادات ذوي الكرامات المتواترة حتّى عند أهل السنّة وأعراب البادية الذين يجلّونه غاية الإجلال ، ويهابونه ، ولا يقسمون كذباً عنده قطّ ، ويقصدونه في الأطراف وينذرون له النذور ، بل يجري الفصل في غالب الخصومات في سامَرّاء وأطرافها بالقسم به ، وقد رأينا تكراراً أنّه إذا بلغ الأمر إلى القسم ردّ المنكر المال إلى أصحابه متجنّباً أداء القسم ، وكم شوهدت منه كرامات باهرات جمعها بعض العلماء وكتب رسالة في فضله ، وفّقه الله تعالى .

وقال السيّد ضامن في (التحفة) : إنّ من أولاد السيّد محمّد شمس الدين بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن الحسين بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن الإمام الهادي (عليه السلام) المشهور بالأمير سلطان البخاري لأنّه ولد ونشأ في بخارى ، وكان يقال لأولاده : البخاريّون ، وكان سيّداً ورعاً عابداً صالحاً زاهداً ، صحب علماء كباراً واقتبس منهم وتصدّ مجالسهم ، ثمّ توجّه من بخارى نحو بلاد الروم واستوطن مدينة « بروساء » وذكرت له كرامات كثيرة ، توفي في تلك المدينة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمئة ، وقبره هناك مشهور ، ومزار يزوره الناس وينذرون له النذور .

وقال السيّد حسن البراقيّ إنّ عقب سليل الأئمّة السيّد محمّد من نسل شمس الدين هذا ، وله سلالة منتشرة في الأطراف ، ومن أولاده علاء الدين إبراهيم وابنه عليّ ، وابنه يوسف ، وابنه حمزة ، وابنه السيد محمّد يَعاج . انتهى .

وأمّا جعفر فَمَثَله مَثَل ابن نوح النبيّ (عليه السلام) ويلقّب بالكذّاب وادّعى الإمامة بغير حقّ، وأضلّ الخلق، وباع، صبيّة جعفرية، وردت في ذمّه أخبار كثيرة ليس ذكرها بالمهمّ، وكان يقال له أبو الكرّين لما قيل من أنّ له مئة وعشرين ولداً .

في (المجدي) : قبره في دار أبيه بسامرّاء ، وله خمس وأربعون سنة ، (توفّي) سنة إحدى وسبعين ومئتين .

ومن أولاده : أبو الرضا محسن بن جعفر الذي خرج في أعمال دمشق في أيام المقتدر بالله ، فقتل وحملت رأسه إلى بغداد ، ونصبت على جسر هناك .

ومن أولاده أيضاً عيسى بن جعفر ، ويعرف بابن الرضا ، وكان عالماً فاضلاً كاملاً ، سمع الحديث عنه الشيخ الأجلّ أبو محمّد هارون بن موسى التلعُكْبَريّ سنة خمس وعشرين وثلاثمئة ، وأخذ الإجازة منه .

وجاء نقلاً عن (تاريخ قم) أنّ بريهة بنت جعفر بن الإمام الهادي (عليه السلام) كانت زوجة لمحمّد بن موسى المبرقع ، قدمت مع زوجها إلى قمّ ، وبعد وفاة زوجها محمّد توفّيت

ودفنت إلى جنبه في مشهده ، وقبراهما في البقعة المعروفة بـ« الأربعون بنتاً »[1] ؛ وبعد وفاتها قدم أخواها إبراهيم ويحيى الصوفيّ ابنا جعفر إلى قمّ لتسلّم تركتها ، وبعد أن تسلّماها ارتحل إبراهيم عن قمّ ، بينما بقي يحيى الصوفيّ فيها ، واتّخذ له سكناً في ميدان زكريا بن آدم بالقرب من مشهد حمزة بن موسى بن جعفر (عليه السلام) ، وتزوّج فيها من شهر بانو بنت أمين الدين أبي القاسم بن المرزبان بن مقاتل ، ورزق منها بأبي جعفر ، وفخر العراق ، وستّيّة ، الذين أنجبوا أبناء كثراً عرفوا بالصوفيّة .

وفي (المجدي) أنّ من أولاد جعفر الكذّاب أبوالفتح أحمد بن محمّد بن محسن بن يحيى بن جعفر المذكور ، وبعد ولادته توفّي أبوه أبو عبد الله محمّد ، وكان جليلاً نقيباً ، دفن في مقابر قريش ، وكان أخوه أبو القاسم عليّ فاضلاً أديباً حافظاً للقرآن ، تغرّب إلى مصر ، ويرمى بالنصب .



(١) اسم البقعة بالفارسيّة « چهل دختران » ، وفي نسخه « چهل اختران » وفي هذه الحالة تعني : « الأربعون نجماً » (المعرّب) .

الفصل السابع

كوكبة من أصحاب الامام علي النقي (عليه السلام)

الأوّل : الحسين بن سعيد بن حمّاد بن سعيد بن مهران مولى عليّ بن الحسين (عليه السلام) الأهوازيّ

ثقة جليل القدر ، من رواة الرضا والجواد والهادي (عليهم السلام) ، كوفيّ الأصل ، انتقل مع أخيه الحسن إلى الأهواز ومنها تحوّل إلى قمّ ، ونزل على الحسن بن أبان ، وتوفّي في قمّ .

ألّف ثلاثين كتاباً ، وصنّف أخوه الحسن خمسين كتاباً ، وشارك في تصنيف الكتب الثلاثين المذكورة ، وهذه الكتب الثلاثون معروفة بين الأصحاب بحيث تقاس بها كتب السائرين فيقال : كتب فلان مثل كتب الحسين بن سعيد الأهوازيّ الثلاثين .

والحسن بن سعيد هو مَن أوصل عليّ بن مهزيار وإسحاق بن إبراهيم الحُضينيّ إلى الرضا (عليه السلام) ، كما أوصل بعدهما عليّ بن الريّان إليه (عليه السلام) ، وكان السبب في هداية الرجال الثلاثة ، والباعث على معرفتهم بالدين الحقّ ، وعنه سمعوا الحديث وبه عُرفوا ؛ كما أنّه أوصل عبد الله بن محمّد الحضينيّ إليه (عليه السلام) ، وأحمد بن الحسين يلّقب بـ« الدندان » ، وقد رمي بالغلوّ ، وتوفّي في قمّ .

الثاني : خيران الخادم مولى الرضا (عليه السلام)

ثقة جليل القدر ، من أصحاب أبي الحسن الثالث (عليه السلام) وفي (منتهى المقال) أنّه كان من أصحاب الرضا والجواد والهادي (عليهم السلام)، ومستودعاً لِأسرارهم.

وخيران هو الذي وافى الإمام الجواد (عليه السلام) في سفره إلى الحج ، قال خيران : فلمّا نظرت إليه (عليه السلام) تهيّبته ودهشت ، وكان قائماً على دكّة ، فذهبت لأصعد الدكّة

من غير درجة ، فأشار إلى موضع الدرجة فصعدت وسلّمت ، فردّ السلام ، ومدّ إليّ يده فأخذتها وقبّلتها ووضعتها على وجهي ، وأقعدني بيده ، فأمسكت يده ممّا دخلني من الدهش ، فتركها في يدي ، لما سكنت خلّيتها ؛ ثمّ قلت له : مولاك الريّان بن شبيب يقرئك السلام ويسألك الدعاء له ولولده ، فدعا له ولم يدع لولده . . . الخ .

ويُعلم من بعض المرويّات أنّ خيران كان وكيله (عليه السلام) وجاء في ذيل الرواية أنّه (عليه السلام) قال له : اعمل برأيك فإنّ رأيك رأيي ، ومَن أطاعك أطاعني .

ولخيران مسائل يرويها عن الهادي (عليه السلام) ، وهو الذي كان يلزم باب أبي جعفر (عليه السلام) ليخدمه أثناء اعتلاله (عليه السلام) ، فأتاه رسول من قبل الجواد (عليه السلام) فقال له : مولاك يقرئك السلام ويقول لك : إنّي ماضٍ ، والأمر صائر إلى ابني عليّ ، وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي . وهذا الحديث مشهور في باب النصّ على الإمام الهادي (عليه السلام) ، وفيه القضيّة المعروفة عمّا جرى بين خيران وبين أحمد بن محمّد بن عيسى في هذا الصدد ؛ وخيران هو أبي الخيرانيّ .

الثالث : أبو هاشم الجعفريّ داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم

ثقة جليل الشأن عظيم القدر ، عظيم المنزلة عند الأئمّة (عليهم السلام) ، أدرك أيّام الرضا (عليه السلام) حتّى إمام الزمان صاحب الأمر (عليهم السلام) وروى عنهم جميعاً .

عدّه السيّد ابن طاووس في وكلاء الناحية المقدّسة ، وله أخبار ومسائل وأشعار جيّدة في شأن الأئمّة (عليهم السلام) ، ولابن عيّاش كتاب في أخبار أبي هاشم ينقل عنه الشيخ الطبرسيّ في (أعلام الورى) ، وسنذكر عنه بضعة أخبار خلال الحديث عن معجزات الإمام العسكريّ (عليه السلام) إن شاء الله ؛ توفّي سنة إحدى وستّين ومئتين .

وقال المسعودي : قبره مشهور ، والظاهر أن مزاره ببغداد ، ذلك أنّه من أهلها ومستوطنيها ، وكان رجلاً ذا ورع وزهد ونسك وعلمٍ وعقل ، وكان كثير الرواية ، ولم يكن بين آل أبي طالب في زمانه أحد بعلّو نسبه ، وكان أبوه القاسم أميراً على اليمن ورجلاً جليلاً ، وأمّ القاسم : أمّ حكيم بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر ، فالقاسم بن إسحاق يكون ابن خالة الإمام الصادق (عليه السلام) ، وابن أخي أبي هاشم محمّد بن جعفر بن القاسم زوج فاطمة بنت الرضا (عليه السلام) .

الرابع : عبد العظيم بن عبد الله بن عليّ بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)

من أكابر المحدّثين ، ومن أعاظم العلماء والزهّاد والعبّاد ، وذوي الورع والتقوى ، وهو من أصحاب الجواد والهادي (عليهما السلام) وكان في غاية الانقطاع إليهما والتوسّل بهما ، وروى أحاديث كثيرة عنهما ، وقد أوردت موجزاً عن أحوال هذا الرجل الكبير خلال الحديث عن بني الإمام الحسن (عليه السلام) في هذا الكتاب ، وفي (مفاتيح الجنان) ، ونكتفي هنا بالحديث الذي يشتمل على عرض دينه على إمام زمانه الإمام الهادي (عليه السلام) :

ذكر الشيخ الصدوق وغيره عن جناب عبد العظيم أنّه قال :

دخلت على سيّدي عليّ بن محمّد ، فلمّا بصر بي قال : مرحباً يا أبا القاسم ، أنت ولينا حقّاً ، فقلت له : يا بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إنّي أريد أن أعرض عليك ديني ، فإن كان مرضيّاً ثبتّ عليه حتّى ألقى الله عزّ وجلّ ، فقال : هات يا أبا القاسم ، فقلت :

إنّي أقول : إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء ، خارج من الحدّين ، حدّ الإبطال[1] وحد التشبيه ، وإنّه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر ، بل هو مجسّم الأجسام ، ومصوّر الصور ، وخالق الأعراض والجواهر ، وربّ كلّ شيء ومالكه ، وجاعله ومحدثه ، وإن محمّداً عبده ورسوله خاتم النبيينّ ، لا نبيّ بعده إلى يوم القيامة ؛ وإنّ شريعته خاتمة الشرائع ، ولا شريعة بعده إلى يوم القيامة .

وأقول : إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، ثمّ الحسن ، ثمّ الحسين ، ثمّ عليّ بن الحسين ، ثمّ محمّد بن عليّ ، ثم جعفر بن محمّد ،ثم موسى بن جعفر ، ثم عليّ بن موسى ، ثمّ محمّد بن عليّ ، ثم أنت يا مولاي .

فقال (عليه السلام) : ومن بعدي الحسن ابني ، فكيف للناس بالخلف من بعده ؟ فقلت : وكيف ذلك يا مولاي ؟

قال : لأنه لا يُرى شخصه ، ولا يحلّ ذكره باسمه حتّى يخرج ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً .

---

(١) حدّ الإبطال هو أنْ لا تثبت له صفة ، وحدّ التشبيه أن تثبت له (صفة) على وجه يتضمّن التشبيه بالمخلوقين .

فقلت : أقررت ، وأقول : إنّ وليّهم وليّ الله ، وعدوّهم عدوّ الله ، وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله .

وأقول : إنّ المعراج حقّ ، والمسألة في القبر حقّ ، وإنّ الجنّة حقّ ، والنار حقّ ، والصراط حقّ ، والميزان حقّ ، وإنّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وإنّ الله يبعث من في القبور .

وأقول : إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحجّ ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقال عليّ بن محمّد (عليه السلام) : « يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده ، فاثبت عليه ، ثبّتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

الخامس : عليّ بن جعفر الهميناويّ[1]

وكيل الهادي (عليه السلام) ، وكان ثقة ، سُعي به عند المتوكّل فأمر بحبسه وعزم على قتله ، فبلغ ذلك عليّ بن جعفر فكتب إلى الإمام الهادي (عليه السلام) من محبسه يقول : الله الله فيّ يا سيّدي ، فقد والله خفت أن أرتاب ، فأجابه (عليه السلام) : إذا بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك ، وكان هذا في ليلة الجمعة ، فأصبح المتوكّل محموماً ، واشتدّت به الحمّى حتّى يوم الاثنين ، فارتفعت الصيحة عليه ، فأمر بتخلية المحبوسين واحداً فواحداً ، وخصّ عليّاً بالذكر ، فأمر بإطلاقه وأن يجعله في حلّ ، فأفرج عنه ، وخرج إلى مكّة بأمر أبي الحسن (عليه السلام) مجاوراً بها ، وبرىء المتوكّل من علّته .

السادس : ابن السكّيت يعقوب بن إسحاق الأهوازيّ الشيعيّ

أحد أئمّة اللغة ، وحامل لواء علم العربيّة والأدب والشعر ، وصاحب (إصلاح المنطق) ، ومن خواصّ الإمامين الجواد والهادي (عليهما السلام) ، كان ثقة جليلاً ، قتله المتوكّل سنة أربع وأربعين ومئتين ، ذلك أنّه كان مؤدّباً لأولاد المتوكّل ، فسأله ذات يوم : هل ولداي المعتزّ والمؤيّد أفضل عندك أم الحسن والحسين ؟ فراح ابن السكّيت يعدّد فضائل الحسنين (عليهما السلام) ، فأمر المتوكّل غلمانه من الأتراك بأن يدوسوه تحت أقدامهم ، ثمّ نقلوه إلى بيته فمات من غده .

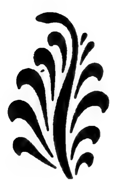
وعلى قول : إنّه أجاب المتوكّل بقوله : إنّ قنبراً خادم الإمام (عليه السلام) أفضل منك ومن ولديك ، فأمر المتوكّل فاستلّ لسانه من قفاه ، وكان يقال له : ابن السكّيت لكثرة سكوته .

---

(١) نسبة إلى قرية من قرى سواد بغداد

ومن الغريب أنّه وقع فيها حذره من عثرات اللسان بقوله قبل ذلك بيسير :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه	وليس يصاب المرء من عثرة الرِّجل
فعثرته في القول تُذهب رأسه	وعثرته في الرجل تبرأ عن مهل





الباب الثالث عشر

في تاريخ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

وفيه ستة فصول



الفصل الأول

ولادة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وكنيته وألقابه

كانت ولادة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بالمدينة الطيّبة سنة اثنتين وثلاثين ومئتين من الهجرة في شهر ربيع الآخر ، وفي تحديد اليوم اختلاف .

قال العلّامة المجلسيّ (ره) : الأشهر أن يوم ولادته (عليه السلام) هو يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر ، وقال البعض : ليلة الرابع منه ، وقد أشار شيخنا الحرّ العامليّ (ره) إلى هذا الاختلاف في (تاريخه) بقوله :

مولده شهر ربيع الآخر وذاك في اليوم الشريف العاشر
في يوم الإثنين وقيل الرابع وقيل في الثامن وهو شائع

اسمه الشريف : الحسن ، وكنيته : أبو محمّد ، وأشهر ألقابه : الزكيّ والعسكريّ ، وكان يعرف هو وأبوه وجدّه ، كلّ في زمانه بابن الرضا ، ونقش خاتمه : « سبحانه من له مقاليد السماوات والأرض » ، وعلى قول : « أنا لله شهيد » ، وكان تسبيحه في السادس عشر والسابع عشر من الشهر :

« سبحان من هو في علوّه دانٍ ، وفي دنوّه عالٍ ، وفي إشراقه منير ، وفي سلطانه قويّ ، سبحان الله وبحمده » .

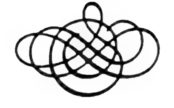
اسم أمّه الماجدة : حُدَيْث ، وقيل : سُلَيْل ، ويقال لها : الجدّة ، وكانت في غاية الصلاح والورع والتقوى ، وهي في جنّات الخلود إذ ولد في أيّامها إمام الزمان (عليه السلام) ، وكفى في فضلها أنّها كانت مفزع الشيعة وغوثهم بعد وفاة الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) .

قال المسعوديّ في (إثبات الوصيّة) : روي عن العالم (عليه السلام) أنه لمّا دخلت

سُلَيْل أمّ الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) على الهادي (عليه السلام) قال : سُلَيلْ سلّت من كلّ آفة وعاهة ، ومن كلّ رجس ونجاسة ، ثمّ قال : لا تلبثين حتّى يعطيك الله عزّ وجلّ حجّته على خلقه الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

ثم قال المسعوديّ : وحملت بالإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) بالمدينة وولد (عليه السلام) بالمدينه سنة إحدى وثلاثين ومئتين ، وكانت سنّ الهادي (عليه السلام) في ذلك الوقت ستّ عشرة سنة وأشهراً ، ثمّ خرج به (عليه السلام) إلى العراق سنة ستّ وثلاثين ومئتين ، وكانت سنّه أربع سنين وأشهراً .

أقول : وردت خلال الحديث عن أحوال الهادي (عليه السلام) في ذكر السيّد محمّد نصوص عن الهادي (عليه السلام) على إمامة الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) .



الفصل الثاني

طرف من مكارم أخلاق الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ونوادر أموره

أولاً : روى الشيخ المفيد وغيره أنّه دخل العبّاسيّون على صالح بن وصيف عندما حبس أبو محمّد (عليه السلام) فقالوا له : ضيّق عليه ولا توسّع ، فقال لهم صالح : ما أصنع به ؟ وقد وكّلت به رجلين شرّ من قدرت عليه ، أحدهما عليّ بن يارمش والآخر اقتامش ، وقد صارا من العبادة والصلاة والصيام على أمر عظيم ! ثمّ أمر بإحضار الموكّلين فقال لهما : ويحكما ، ما شأنكما في أمر هذا الرجل ؟ فقالا : ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كلّه ، لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة ، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا ؟!

فلمّا سمع ذلك العبّاسيّون انصرفوا خاسئين .

يقول المؤلّف : يظهر من الروايات أنّه (عليه السلام) كان أكثر أوقاته محبوساً وممنوعاً من المعاشرة ، وكان مشغولاً بالعبادة لله عزّ وجلّ ، كما يظهر من الحديث التالي :

روى المسعوديّ أنّ الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) كان يحجب نفسه عن كثير من شيعته عدا القليل من خاصّته ، ولمّا انتهى الأمر إلى الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) صار يكلّم الخواصّ وغيرهم من وراء ستر ، إلاّ عندما كان يركب إلى السلطان ، وكان هذا العلم منه ومن أبيه قبله توطئة لغيبة صاحب الزمان (عليه السلام) ، كي يألف الشيعة ذلك فلا يستوحشوا من غيبته ، وهكذا جرت العادة في الاحتجاب والاختفاء .

ثانياً : روي أنّه لمّا حبس المعتمد أبا محمّد (عليه السلام) في يدي عليّ بن حزين وحبس جعفراً أخاه معه ، كان المعتمد يسأل عليّاً عن أخباره في كلّ وقت ، فيخبره أنّه يصوم النهار ويصلّي الليل .

فسأله يوماً من الأيّام عن خبره فأخبره بمثل ذلك ، فقال له : إمض الساعة إليه وأقرئه

منّي السلام وقل له : انصرف إلى منزلك مصاحباً .

قال عليّ بن حزين : فجئت إلى باب الحبس فوجدت حماراً مسرجاً ، فدخلت عليه فوجدته جالساً وقد لبس خفّه وطيلسانه وشاشته ، فلمّا رآني نهض ، فأدّيت إليه الرسالة ، فركب ، فلمّا استوى على الحمار وقف ، فقلت له : ما وقوفك يا سيّدي ؟ فقال لي : حتّى يجيء جعفر ، فقلت : إنّما أمرني بإطلاقك دونه ، فقال لي : ترجع إليه فتقول له : خرجنا من دار واحدة جميعاً ، فإذا رجعت وليس هو معي كان في ذلك ما لا خفاء به عليك .

فمضى وعاد ، فقال له : يقول لك : قد أطلقت جعفراً لك ، لأنّي حبسته بجنايته على نفسه وعليك ، وبما يتكلّم به ، وخلّى سبيله فصار معه إلى داره .

ثالثاً : عن عيسى بن صبيح قال : دخل الحسن العسكريّ (عليه السلام) علينا الحبس وكنت به عارفاً ، وقال : لك خمس وستّون سنة ، وأشهر ويوم ؛ وكان معي كتاب دعاء وعليه تاريخ مولدي ، وإنّني نظرت فيه فكان كما قال (عليه السلام) .

ثمّ قال : هل رزقت من ولد ؟ قلت : لا ، قال : اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً ، فنعم العضد الولد ، ثم تمثّل (عليه السلام) :

من كان ذا ولد يدرك ظلامته إنّ الذليل الذي ليست له عضد

قلت : ألك ولد ؟ قال : إيّ والله ، سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، فأمّا الآن فلا ، ثمّ تمثّل :

لعلّك يوماً أن تراني كأنّما بنيّ حواليّ الأسود اللوابد
فإنّ تميماً قبل أن يلد الحصى[1] أقام زماناً وهو في الناس واحد

رابعاً : روي أنّه (عليه السلام) سُلِّم إلى نحرير ، وكان يضيّق عليه ويؤذيه ، فقالت له امرأته : اتّق الله ، فإنّك لا تدري من في منزلك ، وذكرت له صلاحه وعبادته ، وقالت له : إنّي أخاف عليك منه ، فقال : والله لأرمينّه بين السباع .

ثمّ استأذن في ذلك فأذن له ، فرمى به إليها ، ولم يشكّوا في أكلها له ، فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال فوجدوه (عليه السلام) قائماً يصلّي ، وهي حوله ، فأمر بإخراجه إلى داره .

---

(١) المراد بالحصى : العدد الكثير .

يقول المؤلّف : وإلى هذه الدلالة الباهرة أشير في التوسّل به (عليه السلام) في دعاء اليوم الحادي عشر :

« وبالإمام الحسن بن عليّ (عليهما السلام) الذي طرح للسباع فخلّصْتَه من مرابضها ، وامتحن بالدوابّ الصعاب فذلّلْتَ له مراكبها » .

وفي الفقرة الثانية من الدعاء إشارة إلى ما شاع وذاع من أنّه كان للخليفة المستعين بالله بغل صعب شموس ، لا يقدر أحد على إلجامه ولا إسراجه ولا ركوبه ، فجاء أبو محمّد (عليه السلام) يوماً إلى رؤية الخليفة ، فقال له : ألتمس منك يا أبا محمّد إلجام هذا البغل وإسراجه ، وكان غرضه : إمّا أن يذلّل البغل ويركبه ، أو أن يقتله البغل ؛ فقام (عليه السلام) ووضع يده على كفل البغل فعرق حتّى سال العرق منه ، وصار في غاية التذلّل له ، فأسرجه وألجمه ، ثمّ ركبه وأركضه في الدار ، فتعجّب الخليفة من ذلك ، ووهبه له (عليه السلام) .

خامساً : ذكر ابن شهر اشوب في (المناقب) نقلاً عن كتاب (التبديل) لأبي القاسم الكوفيّ أنّ إسحاق الكنديّ ، وكان فيلسوف العراق في زمانه ، أخذ في تأليف كتاب في (تناقض القرآن) ، وشغل نفسه بذلك ، وتفرّد به في منزله ، وأنّ بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) ، فقال له أبو محمّد (عليه السلام) :

أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكنديّ عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن ؟! فقال التلميذ : نحن من تلامذته ، فكيف يكون منّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره ؟ فقال أبو محمّد (عليه السلام) : أتؤدّي إليه ما ألقيه إليك ؟ قال : نعم ، قال :

فسِر إليه وتلطّف مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله ، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل له : قد حضرتني مسألة أسألك عنها ، فإنّه يستدعي ذلك منك ، فقال له :

إن أتاك المتكلّم بهذا القرآن وقال : هل يجوز أن يكون مراد الله عزّ وجلّ بما تكلّم به غير المعاني التي قد ظننتها وذهبت إليها ؟ فسيقول : إنّه من الجائز لأنّه يفهم إذا سمع ، فإذا أوجب ذلك فقل له : فما يدريك لعلّه قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فتكون واضعاً لغير معانيه ؟

فصار الرجل إلى الكنديّ وتلطّف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة فقال له : أعد عليّ ، فأعاد عليه ، فتفكّر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة ، وسائغاً في النظر ، فقال : أقسمت عليك إلّا أخبرتني من أين لك هذا ، فقال : إنّه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك ، فقال : كلّا ، ما مثلك من اهتدى إلى هذا ، ولا من بلغ هذه المنزلة ، فعرّفني من أين لك هذا ، فقال : أمرني به أبو محمّد (عليه السلام) ، فقال : الآن جئت به (أي : جئت بالقول

الحقّ) ، وما كان ليخرج مثل هذا إلاّ من ذلك البيت ؛ ثمّ إنّه دعا بالنار فأحرق جميع ما ألّفه .

سادساً : روى العلاّمة المجلسيّ (ره) عن بعض مؤلّفات أصحابنا ، عن عليّ بن عاصم الكوفيّ خبراً حاصله : أنّه دخل على الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) فأجلسه على بساط وقال له : إنّك على بساط جلس عليه كثير من النبيّين والمرسلين ، وأراه آثار أقدامهم .

قال عليّ : فأهويت على الأقدام فقبّلتها ، وقبّلت يد الإمام (عليه السلام) وقلت له : إنّي عاجز عن نصرتكم بيدي ، وليس أملك غير موالاتكم ، والبراءة من أعدائكم ، واللعن لهم في خلواتي ، فكيف حالي يا سيّدي ؟

فقال (عليه السلام) : حدّثني أبي عن جدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :

« من ضعف عن نصرتنا أهل البيت ، ولعن في خلواته أعداءنا بلّغ الله صوته إلى جميع الملائكة ، فكلّما لعن أحدكم أعداءنا صاعدته الملائكة ، ولعنوا من لا يلعنهم ، فإذا بلغ صوته إلى الملائكة استغفروا له وأثنوا عليه ، وقالوا : اللهمّ صلّ على روح عبدك هذا الذي بذل في نصرة أوليائه جهده ، ولو قدر على أكثر من ذلك لفعل ؛ فإذا النداء من قبل الله تعالى يقول : يا ملائكتي ، إنّي قد أحببت دعاءكم في عبدي هذا ، وسمعت نداءكم ، وصلّيت على روحه مع أرواح الأبرار ، وجعلته من المصطفيْن الأخيار .

سابعاً : جاء في (بحار الأنوار) أنّ صاحب (تاريخ قمّ) قال :

رويت عن مشايخ قمّ أنّ أبا الحسن الحسين بن الحسن بن جعفر بن محمّد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كان بقمّ يشرب الخمر علانية ، فقصد يوماً لحاجة باب أحمد بن إسحاق الأشعريّ ، وكان وكيلاً للأوقاف بقمّ ، فلم يأذن له ، ورجع إلى بيته مهموماً .

فتوجّه أحمد بن إسحاق إلى الحجّ ، فلمّا بلغ سرّ من رأى استأذن على أبي محمّد الحسن العسكريّ (عليه السلام) فلم يأذن له ، فبكى أحمد لذلك طويلاً وتضرّع حتّى أذن له .

فلمّا دخل قال : يا بن رسول الله ، لم منعتني الدخول عليك ، وأنا من شيعتك ومواليك ؟ قال (عليه السلام) : لأنّك طردت ابن عمّنا عن بابك ، فبكى أحمد وحلف أنّه لم يمنعه من الدخول عليه إلاّ لأن يتوب من شرب الخمر ، قال : صدقت ، ولكن لا بدّ من إكرامهم واحترامهم على كلّ حال ، وأن لا تحقّرهم ولا تستهين بهم لانتسابهم إلينا ، فتكون من الخاسرين .

فلمّا رجع أحمد إلى قمّ أتاه أشرافها ، وكان الحسين معهم ، فلمّا رآه أحمد وثب إليه واستقبله وأكرمه ، وأجلسه في صدر المجلس ، فاستغرب الحسين ذلك منه واستبعده ، وسأله عن سببه ، فذكر له ما جرى بينه وبين العسكريّ (عليه السلام) في ذلك .

فلمّا سمع ذلك ندم من أفعاله القبيحة ، وتاب منها ، ورجع إلى بيته وأهرق الخمور وكسر آلاتها ، وصار من الأتقياء المتورّعين ، والصلحاء المتعبّدين ، وكان ملازماً للمساجد معتكفاً فيها حتّى أدركه الموت ، ودفن قريباً من مزار فاطمة رضي الله عنها .

يقول المؤلّف : جاء في (تاريخ قمّ) أن السيّد أبا الحسن المذكور كان أوّل من قدم إلى قمّ من السادات الحسينيّة ، فلمّا توفّي دفن بمقبرة بابلان ، وتتّصل قبّته بقبّة فاطمة بنت موسى (عليه السلام) من الجانب الذي يتّصل من المدينة بذلك الباب . انتهى .

ويقرب من هذا ما نقل عن عليّ بن عيسى الوزير من أنّه قال :

كنت أحسن إلى العلويّين بالمدينة فأجريت لكلّ منهم في السنة ما يكفيه ويكفي عياله من طعام ولباس ، وكنت أنجز هذا العمل منذ قدوم شهر رمضان حتّى انقضائه ؛ وكان من بينهم شيخ من بني موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، وكنت قد قرّرت له خمسة آلاف درهم في السنة ، واتّفق لي عند عبوري ذات يوم من أيام الشتاء أن رأيته مطروحاً يقيء من سكره ، وقد تلطّخ بالأوحال ، وكان في أسوأ حال ، وفي شارع عامّ ، فقلت في نفسي كيف أعطي هذا الفاسق خمسة آلاف درهم كلّ سنة ليصرفها في معصية الله ؟ لا بدّ أن أمنع مقرّر هذه السنة .

فلمّا حلّ الشهر المبارك جاءني هذا الشيخ فوقف على بابي ، فلمّا وافيت سلّم عليّ وطلب منّي نصيبه ، فقلت : لا ، ولا كرامة ، فلن تنال نصيبك لتصرفه في معصية الله ، ألم أرك وأنت سكران في الشتاء ؟! عد إلى بيتك ولا تأتني بعد الآن .

وفي تلك الليلة رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في المنام والناس مجتمعون حوله ، فدنوت منه ، فأعرض عنّي ، فصعب الأمر عليّ ، فقلت : يا رسول الله ، أتصنع هذا بي مع كثرة إحساني إلى بنيك ، وبرّي بهم ، ووفور إنعامي عليهم ؟ فتكافئني بالإعراض عنّي ؟! قال : نعم لماذا طردت ابننا فلاناً عن باب بيتك بأسوأ حال يائساً بعد أن قطعت عطاءه السنويّ ؟ فقلت : عندما وقفت على معصيته القبيحة ، وشرحت الأمر وقلت : لقد منعت عطاءه لكي لا أكون عوناً له في معصية الله تعالى ، فقال : وهل تعطيه من أجله أم من أجلي ؟ قلت : بل من أجلك ، فقال : إذاً لكنت سترت ما بدر منه من أجلي ، ولكونه حفيداً لي ، فقلت : سأفعل ذلك بكلّ إعزاز وإكرام ، وانتبهت من نومي .

ولمّا كان الصباح بعثت في طلب ذلك الشيخ ، ولمّا رجعت من الديوان ودخلت بيتي

أمرت بإدخاله عليّ ، وأمرت غلامي بأن يحضر له عشرة آلاف درهم في كيسين ، وقلت له : إن طرأ نقص عليك فأعلمني ، وصرفته راضياً ؛ فلمّا بلغ صحن البيت عاد إليّ وقال : أيّها الوزير ، ما السبب في إبعادك إيّاي أمس وعطفك عليّ اليوم ومضاعفتك العطاء لي ؟ قلت : لا شيء إلاّ الخير ، فامض راشداً ، قال : لا والله لن أمضي ما لم أقف على السبب ؛ فقصصت عليه قصّة المنام ، فجرت الدموع من عينيه وقال : إنّي نذرت نذراً واجباً أن لا أعود لما رأيت ، وأن لا أقرب معصية ، وأن لا أحج جدّي لمحاجّتك ، ثم تاب ، وحسنت توبته .

يقول المؤلّف : شرب الخمر من المعاصي الكبيرة ، بل روي : إنّ الله جعل للشرّ أقفالاً ، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب ؛ وفي الخبر أنّ الصادق (عليه السلام) قال : الشراب أمّ الخبائث وسرّ كلّ شرّ ، تمرّ على الشارب ساعة يفقد فيها عقله ، فهو لا يعرف ربّه ، ولا يدع معصية إلاّ ارتكبها ، ولا حرمة إلاّ هتكها ، ولا رحماً موصولة إلاّ قطعها ، ولا فاحشة إلاّ أتاها ؛ وأنّ السكران قياده بيد الشيطان ، فإذا أمره بالسجود للأوثان سجد ، فهو طوع أمر الشيطان يجرّه حيث يشاء .

وفي حديث عن الباقر (عليه السلام) أنّه قال ما مضمونه : شرب الخمر يدخل صاحبه في الزنى والسرقة وقتل النفس المحترمة ، وفي الشرك بالله تعالى وأفاعيل الخمر تعلو على كلّ ذنب كما تعلو شجرتها على كلّ شجرة .

وفي روايات كثيرة جاء أنّ مدمن الخمر يلقى الله حين يلقاه كعابد وثن ، وأنّ شارب الخمر ليس أهلاً للمحبة ، فلا تجالسوه ، ولا تأتمنوه على أمانة ، ولا تزوّجوه إذا خطب ، ولا تعودوه إذا مرض ، ولا تحضروه إذا مات ، ولا تصدّقوه إذا حدّث ؛ ومن شرب الخمر لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة ، ولا ينال شفاعة النبي (صلّى الله عليه وآله) ، ولا يرد الحوض ، ويسقى يوم القيامة من طينة خبال (وهي صديد يخرج من زناة أهل النار) .

أقول : الروايات في هذا الباب أكثر من أن تحصى ، وما يشاهد من المفاسد والشرور المترتّبة على شرب المسكرات لا يحتاج إلى بيان ، لهذا يذكر أن كثيراً من الدول الأوربية قد سنّت قوانين وأحكاماً مشدّدة للحدّ من شرب المسكرات ، وجاء في بعض صحفها ومجلاّتها مقالات تفصّل مفاسد المسكرات وعيوبها .

فقد جاء في فقرة منها : « أنّ أفضل شراب إنّما هو الماء الخالص العذب ، غير أنّ الأطبّاء في بعض الدول يجيزون تناول القليل من الشراب إمّا لفقدان الماء العذب الصافي ، وإمّا لمقتضيات الطقس ، وذلك للتخفيف من ثقل الماء بتناوله ممزوجاً به ، باعتقاد أنّه أفضل ، وما لم يطرأ مرض يستلزم تناول الشراب فلا فائدة في تناوله ، فالمسكرات جميعها تضرّ بوجود

الإنسان ، وقد قال العقلاء ما يجدر قوله في صدد أضرار المسكرات بالتفصيل ، ومن يتصوّر الفائدة في المسكر فإنّه كمن ينشد الحياة في زباني العقرب ، إذا كان للسمّ خاصّيّته الترياق ، ويمكن أيضاً أن تُلتمس في شرب المسكر منفعة ، أمّا إذا وقف شخص نقيّ المشرب على ماهيّة المسكر لعافه بحكم صفاء طبيعته ، ولو كان في القطرة منه تجديد لروحه .

وشارب الخمر يرمي بعمل يومه إلى غده ، ويحمل يومه أيضاً السبب في تأجيل عمل الغد ، وقد تقدّم أنّ من المفاسد الكثيرة للشراب ما تبرز منه أسباب تشويه سمعة العائلات المحترمة كما تحمل أسباب الخراب إليها ، وإذا نظرنا بعين الإنصاف لرأينا أن ظهور العديد من العلل والأمراض المهلكة إنّما يعود لانتشار تعاطي المسكرات ، ذلك أنّه في البلدان التي لا يتوفّر فيها الشراب وغيره من المسكرات ، أو هي محظورة بحكم الدين ، فسكّان تلك البلاد آمنون من هذه الأمراض ، بل هم أصحّاء الأجسام أقوياء البنى » .

وإجمالاً ، فقد كتبت مقالات شتّى من هذا القبيل غير أن المقام لا يتّسع لذكر المزيد ، فنكتفي بهذا المقدار .

ثامناً : روي عن أبي سهل البلخيّ أنّه قال :

كتب رجل إلى أبي محمّد يسأله الدعاء لوالديه ، وكانت الأمّ غالية ، والأب مؤمناً ، فوقّع (عليه السلام) : رحم الله والدك .

وكتب آخر يسأل الدعاء لوالديه ، وكانت الأمّ مؤمنة ، والأب ثنويّاً (أي : يقول بثنائيّة الإله ولا يقول بالتوحيد) ، فوقّع (عليه السلام) : رحم الله والدتـك ، والتاء منقـوطة (أي لفت (عليه السلام) إلى ضبط التاء بذكره لها بالاسم كي لا تقرأ ياء) .



الفصل الثالث

دلائل امامة الامام الحسن العسكري (عليه السلام) ومعجزاته الباهرة

الأولى : روى القطب الراونديّ عن جعفر بن الشريف الجرجانيّ أنّه قال :

حججت سنة فدخلت على أبي محمّد (عليه السلام) بسرّ من رأى ، وقد كان أصحابنا حمّلوا معي شيئاً من المال ، فأردت أن أسأله إلى من أدفعه ، فقال قبل أن أقول ذلك : إدفع ما معك إلى المبارك خادمي .

قال: ففعلت، وخرجت وقلت: إنّ شيعتك بجرجان يقرئونك السلام، قال: أوَ لست منصرفاً بعد فراغك من الحجّ؟ قلت: بلى، قال: فإنّك تصير إلى جرجان من يومك هذا إلى مئة وسبعين يوماً ، وتدخلها يوم الجمعة لثلاث ليال يمضين من شهر ربيع الآخر ، في أوّل النهار ، فأعلمهم أنّي أوافيهم في ذلك اليوم في آخر النهار ، وامض راشداً فإنّ الله سيسلّمك ويسلّم ما معك ، فتقدم على أهلك وولدك ، ويولد لولدك الشريف ابن فسمّه الصلت بن الشريف بن جعفر بن الشريف ، وسيبلغ الله به ، ويكون من أوليائنا .

فقلت : يا بن رسول الله ، إنّ إبراهيم بن إسماعيل الجرجانيّ من شيعتك ، وهو كثير المعروف إلى أوليائك ، يُخرج إليهم في السنة من ماله أكثر من مئة ألف درهم ، وهو أحد المتقلّبين في نعم الله بجرجان ، فقال : شكر الله لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل صنيعه إلى شيعتنا ، وغفر له ذنوبه ، ورزقه ذكراً سويّاً قائلاً بالحقّ ، فقل له : يقول لك الحسن بن عليّ : سمّ ابنك أحمد .

قال الراوي : فانصرفت من عنده ، وحججت ، فسلّمني الله حتّى وافيت جرجان في يوم الجمعة في أول النهار الثالث من شهر ربيع الآخر ، على ما ذكره (عليه السلام) وجاءني أصحابنا يهنّئونني فوعدتهم أنّ الإمام (عليه السلام) وعدني أن يوافيكم في آخر هذا اليوم ، فتأهّبوا لما تحتاجون إليه ، واغدوا في مسائلكم وحوائجكم كلّها .

فلمّا صلّوا الظهر والعصر اجتمعوا كلّهم في داري ، فوالله ما شعرنا إلاّ وقد وافانا أبو محمّد (عليه السلام) ، فدخل إلينا ونحن مجتمعون ، فسلّم هو أوّلاً علينا ، فاستقبلناه وقبّلنا يده ، ثمّ قال : إنّي كنت وعدت جعفر بن الشريف أن أوافيكم في آخر هذا اليوم ، فصلّيت الظهر والعصر بسرّ من رأى ، وصرت إليكم لأجدّد بكم عهداً ، وها أنا قد جئتكم الآن ، فاجمعوا مسائلكم وحوائجكم كلها .

فأوّل من ابتدأ المساءلة النضر بن جابر ، قال : يا بن رسول الله ، إنّ ابني جابراً أصيب ببصره منذ شهر فادع الله أن يردّ إليه عينيه ، قال : فهاته ، فمسح بيده على عينيه فعاد بصيراً ، ثمّ تقدّم رجل فرجل يسألونه حوائجهم ، وأجابهم إلى كلّ ما سألوه حتّى قضى حوائج الجميع ودعا لهم بخير ، فانصرف من يومه ذلك .

الثانية : وعن أبي هاشم الجعفريّ أنّه قال :

سمعت أبا محمّد يقول : من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل : ليتني لا أؤاخذ إلاّ بهذا ، فقلت في نفسي : إنّ هذا لهو الدقيق ، وينبغي للرجل أن يتفقّد من نفسه كلّ شيء ، فأقبل عليّ أبو محمّد (عليه السلام) فقال : صدقت يا أبا هاشم ، الزم ما حدّثتك به نفسك ، فإنّ الإشراك في الناس أخفى من دبيب الذرّ[1] على الصفا في الليلة الظلماء ، ومن دبيب الذرّ على المسح[2] الأسود .

يقول المؤلّف : يعبّر عن هذا القسم من الذنوب بالمحقّرات ، وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال : اتّقوا المحقّرات من الذنوب فإنّها لا تغفر .

ويروى عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال : إنّ إبليس رضي منكم بالمحقّرات ، وقال (صلّى الله عليه وآله) : يا بن مسعود ، لا تحقّرنّ ذنباً ولا تصغّرنّه ، واجتنب الكبائر ، فإنّ العبد إذا نظر إلى ذنوبه دمعت عيناه قيحاً ودماً ، يقول الله تعالى : **﴿ يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾** .

وقال (صلّى الله عليه وآله) لأبي ذرّ : إنّ المؤمن ليرى ذنبه كأنّه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه ، وإنّ الكافر ليرى ذنبه كأنّه ذباب مرّ على أنفه .

ومن أقوال أمير المؤمنين (عليه السلام) : أشدّ الذنوب ما استخفّ به صاحبه .

---

(١) الذرّ : صغار النمل .

(٢) المسح : الكساء من شعر ، أو البلاس يقعد عليه .

وروى عليّ بن إبراهيم القمّي عن الصادق (عليه السلام) أنّ الله عزّ وجلّ خلق حيّة أحاطت بالسماوات والأرض ، وجمعت رأسها وذنبها تحت العرش ، فإذا رأت معاصي العباد غضبت وطلبت الإذن بالتهام السماوات والأرض ، والروايات في هذا الباب كثيرة .

وروي عن الصادق (عليه السلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه : ائتونا بحطب ، فقالوا : يا رسول الله ، نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب ، قال : فليأت كلّ إنسان بما قدر عليه ، فجاؤوا به حتّى رموا بين يديه بعضه على بعض ؛ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : هكذا تجتمع الذنوب .

غير خاف أنّ غرضه (صلّى الله عليه وآله) من أمره أصحابه بإحضار الحطب كان إلفاتهم إلى أنّ الأرض القرعاء وإن بدت للناظر خالية من الحطب فقد أمكن بالبحث العثور على كمّيّة كبيرة من الحطب ، وإنّ الذنوب أيضاً تبدو للناظر على النحو نفسه ، فإذا بُحث عنها وعدّت اجتمع منها الكثير .

الثالثة : وروي عن أبي هاشم أيضاً أنّ أبا محمّد (عليه السلام) ركب يوماً إلى الصحراء فركبت معه ، فبينما هو يسير قدّامي وأنا خلفه إذ عرض لي فكر في دَين كان عليّ قد حان أجله ، فجعلت أفكّر في أيّ وجه قضاؤه ، فالتفت إليّ وقال : الله يقضيه .

ثمّ انحنى على قربوس سرجه فخطّ بسوطه خطّة في الأرض فقال : يا أبا هاشم ، انزل فخذ واكتم ، فنزلت فإذا سبيكة ذهب ، فوضعتها في خفّي وسرنا ، فعرض لي الفكر ، فقلت : إنّ كان فيها تمام الدّين وإلاّ فإنّي أرضي صاحبه بها ، ونحبّ أن ننظر في وجه نفقة الشتاء ، وما نحتاج إليه فيه من كسوة وغيرها ، فالتفت إليّ ، ثمّ انحنى ثانية ، فخط بسوطه مثل الأولى ، ثمّ قال : انزل وخذ واكتم ، فنزلت فإذا بسبيكة[1] فجعلتها في الخفّ الآخر .

وسرنا سيراً يسيراً ، ثمّ انصرف إلى منزله وانصرفت إلى منزلي ، فنزلت وحسبت ذلك الدين وعرفت مبلغه ، ثم وزنت سبيكة الذهب فخرجت بقسط ذلك الدين ، ما زادت وما نقصت ، ثمّ نظرت ما نحتاج إليه لشتوتي من كلّ وجه فعرفت مبلغه الذي لم يكن بدّ منه ، على الاقتصاد بلا تقتير ولا إسراف ، ثمّ وزنت سبيكة الفضّة فخرجت على ما قدّرته ، ما زادت ولا نقصت .

وذكر ابن شهر اشوب في (المناقب) عن أبي هاشم أنّه قال :

كنت مضيّقاً فأردت أن أطلب من أبي محمّد (عليه السلام) معونة فاستحييت ، فلمّا

---

(١) بسبيكة فضّة (خ) .

صرت إلى منزلي وجّه إليّ بمئة دينار ، وكتب إليّ : إذا كانت لك حاجة فلا تستحي واطلبها تأتك على ما تحبّ أن تأتيك إن شاء الله تعالى .

الرابعة : وروي أيضاً عن أبي هاشم أنّه قال :

دخلت على أبي محمّد (عليه السلام) وكان يكتب كتاباً ، فحان وقت الصلاة الأولى ، فوضع الكتاب من يده ، وقام إلى الصلاة ، فرأيت القلم يمرّ على باقي القرطاس من الكتاب ويكتب حتّى انتهى إلى آخره ، فخررت ساجداً ، فلمّا انصرف من الصلاة أخذ القلم بيده ، وأذن للناس .

يقول المؤلّف : إنّ ما رواه أبو هاشم وشاهده من معجزات الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) أكثر ممّا يتّسع له المقام ، فقد روي عنه رحمه الله أنّه قال : ما دخلت على أبي الحسن وأبي محمّد (عليهما السلام) قطّ إلّا رأيت منهما دلالة وبرهاناً ، وقد سبق ذكر بعض المرويّات عنه خلال الحديث عن دلائل الهادي (عليه السلام) ومعجزاته .

الخامسة : ذكر القطب الراوندي عن فطرس[١] ، رجل متطبّب ، وقد أتى عليه مئة سنة ونيّف ، فقال :

كنت تلميذ بختيشوع طبيب المتوكّل ، وكان يصطفيني ، فبعث إليه ، الحسن العسكريّ (عليه السلام) أن يبعث إليه بأخص أصحابه عنده ليفصده ، فاختارني وقال : قد طلب مني الحسن (عليه السلام) من يفصده ، فسر إليه ، وهو أعلم في يومنا هذا ممّن هو تحت السماء ، فاحذر أن تعترض عليه في ما يأمرك به ، فمضيت إليه ، فأمر بي إلى حجرة وقال : كن ههنا إلى أن أطلبك .

قال الراوي : وكان الوقت الذي أتيت إليه فيه عندي جيّداً محموداً للفصد ، فدعاني في وقت غير محمود له ، فأحضر طستاً كبيراً عظيماً ، ففصدت الأكحل ، فلم يزل الدم يخرج حتى امتلأ الطست ، ثمّ قال لي : اقطع الدم ، فقطعته ، وغسل يده وشدّها وردّني إلى الحجرة ، وقدّم لي من الطعام الحارّ والبارد شيئاً كثيراً ، وبقيت إلى العصر ، ثمّ دعاني وقال : سرّح[٢] ، ودعا بذلك الطست ، فسرّحت ، وخرج الدم إلى أن امتلأ الطست ، فقال : اقطع فقطعت وشدّ يده ، وردّني إلى الحجرة فبتّ فيها ؛ فلمّا أصبحت وظهرت الشمس دعاني وأحضر ذلك الطست ، وقال : سرّح ، فسرّحت ، وخرج من يده مثل اللبن الحليب إلى أن امتلأ

---

(١) عن فطرس البطريق (خ) .

(٢) يريد : أطلق الدم ليجري .

الطست ، ثم قال : اقطع ، فقطعت ، وشدّ يده ، وتقدّم إليّ بتخت ثياب وخمسين ديناراً ، وقال : خذ هذا ، واعذر ، وانصرف .

فأخذت ذلك وقلت : يأمرني السيّد بخدمة ؟ قال : نعم ، بحسن صحبة من يصحبك من دير العاقول .

فصرت إلى بختيشوع فقلت له القصّة ، فقال : أجمعت الحكماء على أنّ أكثر ما يكون في بدن الإنسان سبعة أمنان من الدم ، وهذا الذي حكيت لو خرج من عين ماء لكان عجباً ! وأعجب ما فيه اللبن ! ففكّر ساعة ، ثمّ مكث ثلاثة أيّام بلياليها يقرأ الكتب على أن يجد في هذه القصّة ذكراً في العالم فلم يجد ، ثمّ قال : لم يبق اليوم في النصرانيّة أعلم بالطبّ من راهب بدير العاقول ، فكتب إليه كتاباً يذكر فيه ما جرى .

فخرجت وناديته (الراهب) فأشرف عليّ وقال : من أنت ؟ قلت : صاحب بختيشوع ، قال : معك كتابه ؟ قلت : نعم ، فأرخى إليّ زنبيلاً فجعلت الكتاب فيه ، فرفعه وقرأ الكتاب ، فنزل من ساعته فقال : أنت الرجل الذي فصدت ؟ قلت : نعم ، قال : طوبى لأمّك !

وركب بغلاً ، ومرّ في فيافي سرّ من رأى وقد بقي من الليل ثلثه ، قلت : أين تحبّ ، دار أستاذنا أو دار الرجل ؟ فقال : دار الرجل ، فصرنا إلى داره قبل الأذان ، ففتح الباب وخرج إلينا خادم أسود ، وقال : أيّكما صاحب دير العاقول ؟ فقال الراهب : أنا ، جعلت فداك ، فقال : انزل ، وقال للخادم : احفظ البغلين ، وأخذ بيده ودخلا .

فأقمت إلى أن أصبحنا وارتفع النهار ،ثمّ خرج الراهب وقد رمى بثياب الرهبانيّة ولبس ثياباً بيضاء ، وقد أسلم ، وقال : خذ بي الآن إلى دار أستاذك ، فسرنا إلى باب بختيشوع ، ولمّا رآه بادر يعدو إليه ، ثمّ قال : ما الذي أزالك عن دينك ؟ قال : وجدت المسيح فأسلمت على يده ! قال : وجدت المسيح ؟! فقال : نعم ، أو نظيره ، فإنّ هذه الفصدة لم يفعلها في العالم إلّا المسيح ، وهذا نظيره في آياته وبراهينه .

ثمّ عاد إلى الإمام (عليه السلام) ولزم خدمته إلى أن مات .

السادسة : روى الشيخ الكلينيّ عن ابن الكرديّ ، عن محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن موسى بن جعفر (عليهما السلام) أنّه قال :

ضاق بنا الأمر ، فقال لي أبي : امض بنا حتّى نصير إلى هذا الرجل ، يعني أبا محمّد (عليه السلام) ، فإنّه قد وصف عنه سماحة ، فقلت : تعرفه ؟ قال : ما أعرفه ولا رأيته قطّ ، فقصدناه ، فقال لي أبي وهو في طريقه : ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمسمئة درهم ،

مئتي درهم للكسوة ، ومئتي درهم للدَّين ، ومئة للنفقة ، فقلت في نفسي : ليته أمر لي بثلاثمئة درهم ، مئة أشتري بها حماراً ، ومئة للنفقة ، ومئة للكسوة ، وأخرج إلى الجبل .

قال : فلمّا وافينا الباب خرج إلينا غلامه ، فقال : يدخل عليّ بن إبراهيم ومحمّد ابنه ، فلمّا دخلنا عليه وسلّمنا قال لأبي : يا عليّ ، ما خلّفك عنّا إلى هذا الوقت ؟ فقال : يا سيّدي استحييت أن ألقاك على هذه الحال ، فلمّا خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبي صرّة فقال : هذه خمسمئة درهم ، مئتان للكسوة ، ومئتان للدين ، ومئة للنفقة ، وأعطاني صرّة فقال : هذه ثلاثمئة درهم ، اجعل مئة في ثمن حمار ، ومئة للكسوة ، ومئة للنفقة ، ولا تخرج إلى الجبل ، وصر إلى سوراء .

قال : فصار إلى سوراء ، وتزوّج بامرأة ، ودخْله ألف دينار ، ومع هذا يقول بالوقف .

فقال ابن الكرديّ : فقلت له : ويحك ! أتريد أمراً هو أبين من هذا ؟ فقال : هذا أمر قد جرينا عليه .

السابعة : روي عن إسماعيل بن محمّد بن عليّ بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب أنّه قال :

قعدت لأبي محمّد (عليه السلام) على ظهر الطريق ، فلمّا مرّ بي شكوت إليه الحاجة ، وحلفت له أنّه ليس عندي درهم فما فوقه ، ولا غداء ولا عشاء ، فقال تحلف بالله كاذباً وقد دفنت مئتي دينار ؟! وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطيّة ، أعطه يا غلام ما معك ؛ فأعطاني غلامه مئة دينار ، ثمّ أقبل عليّ فقال لي : إنّك تحرمها أحوج ما تكون إليها ، يعني الدنانير التي دفنت .

قال الراوي : وصدق (عليه السلام) وكان كما قال ، دفنت مئتي دينار وقلت : تكون ظهراً وكهفاً لنا ، فاضطررت ضرورة شديدة إلى شيء أنفقه ، وانغلقت عليّ أبواب الرزق ، فنبشت عنها فإذا ابن لي قد عرف موضعها ، فأخذها وهرب ، فما قدرت منها على شيء .

الثامنة : قال صاحب (تاريخ قمّ) في ذكره للسادات الذين قدموا إلى قمّ ونواحيها : إنّ محمّد الخزريّ بن عليّ بن عليّ بن الحسن الأفطس بن عليّ الأصغر بن عليّ بن الحسين (عليه السلام) قدم إلى الحسن بن زيد بطَبرستان وبقي عنده مدّة أعطاه بعدها سمّاً فمات ، وعاد بنوه إلى « ابه » ، فأقاموا بها .

ثمّ قال : يحكي أبو القاسم بن إبراهيم بن عليّ أنّ إبراهيم بن محمّد الخزريّ ، قال : خفي عليّ وعلى أخي عليّ خبر أبينا واشتبه علينا مكان وجوده ، فخرجنا من المدينة بطلبه ، وقلت في نفسي : لا بدّ لي في التفتيش عن أبي من أن أقصد مولاي الحسن بن عليّ

(عليهما السلام) فأسأله عن أمر والدي فأقف منه على أحواله ، فقصدت سرّ من رأى وصرت إلى بابه (عليه السلام) فلم أر حداً هناك من شدّة القيظ ، فجلست أنتظر خروج أحد من الدار ، وإذا بي أسمع صوت الباب ، وخرجت من الدار جارية تقول : إبراهيم بن محمّد الخرزيّ ، فتوجهّت إليها وقلت : لبيك ، أنا هو ، قالت : مولاي يسلّم عليك ويقول : هذا يوصلك إلى أبيك ، وأعطتني صرّة فيها عشرة دنانير ، فأخذتها وانصرفت .

وفي الطريق تذكّرت أنّي لم أسأل مولاي عن خبر والدي وعن مُقامه ، فأردت الرجوع ، لكنّي تذكّرت كلام الجارية إذ قالت : هذا يوصلك إلى أبيك ، فعرفت أنّي سأصل إلى أبي .

وهكذا خرجت في طلبه حتّى لقيته في طبرستان حيث يقيم عند الحسن بن زيد ، وكان قد بقي معي من الدنانير العشرة دينار واحد ، فرويت له ما جرى معي ، ثمّ لزمته حتّى دسّ له الحسن بن زيد السمّ فمات به ، ورحلت من ثمّ إلى « آبه » .



الفصل الرابع

طرف من أقوال الامام الحسن العسكريّ (عليه السلام)

أولاً : قال (عليه السلام) : « لا تمار فيذهب بهاؤك ، ولا تُمازح فيُجترأ عليك » .

أقول : قد تقدّم في أقوال الرضا (عليه السلام) كلام في ذمّ المراء ، وفي أقوال الكاظم (عليه السلام) في المزاح .

ثانياً : وقال (عليه السلام) : « من التواضع السلام على كلّ من تمرّ به ، والجلوس دون شرف المجلس » .

يقول المؤلّف : سبق نظير هذا في أقوال الباقر (عليه السلام) .

ثالثاً : وقال (عليه السلام) : « أورع الناس من وقف عند الشبهة ، أعبد الناس من أقام على الفرائض ، أزهد الناس من ترك الحرام ، أشدّ الناس اجتهاداً من ترك الذنوب » .

رابعاً : وقال (عليه السلام) : « قلب الأحمق في فمه ، وفم الحكيم في قلبه » .

حاصل قوله (عليه السلام) أن الأحمق يقول القول أوّلاً ، ثمّ يفكّر في ما إذا كان الصلاح فيما قاله أم لا ، على العكس من الحكيم الذي يفكّر أوّلاً في ما يريد قوله ، فإذا رأى فيه الصلاح قاله .

خامساً : وقال (عليه السلام) : « لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض » .

سادساً : وقال (عليه السلام) : « ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون » .

أقول : لعلّ الشيخ السعدي استلهم هذا القول المبارك في قوله :

إمّا رأيت يتيماً لفّه الحَزَن على فراق أبٍ قد لفّه الكفن

لا تبلثمنّ بُنَيّاً أو تداعبه عند اليتيم ولا إيّاه تحتضن[1]

سابعاً : وقال (عليه السلام) : « رياضة الجاهل وردّ المعتاد عن عادته كالمعجز» .

أقول : روي عن عيسى (عليه السلام) أنّه قال :

داويت المرضى فشُفوا بإذن الله ، وأحييت الموتى بإذن الله ، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه .

ثامناً : وقال (عليه السلام) : « لا تكرم الرجل بما يشقّ عليه » .

تاسعاً : وقال (عليه السلام) : « من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه ، ومن وعظه علانية فقد شانه » .

عاشراً : وقال (عليه السلام) : « من أنس بالله استوحش من الناس » .

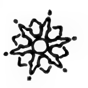
قال الله تعالى : « قل الله ثمّ ذرهم » .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « عِظَم الخالق عندك يصغّر المخلوق في عينك » .

حادي عشر : وقال (عليه السلام) : « لو عقل أهل الدنيا خربت » .

ثاني عشر : وقال (عليه السلام) : « إنّ للجود مقداراً فإذا زاد عليه فهو سرق ، وللحزم مقدار فإذا زاد عليه فهو جبن وللإقتصاد مقداراً فاذا زاد عليه فهو بخل ، وللشجاعة مقداراً فإذا زادت عليه فهو تهوّر » .

وقال (عليه السلام) : « كفاك أدباً لنفسك تجنّبك ما تكره من غيرك » .



(١) تعريب لبيت عن الفارسيّة (المعرّب) .

الفصل الخامس

في استشهاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

كيفيّة وفاته (عليه السلام) واجتماع أهل سرّ من رأى لتجهيزه

ذكر العلاّمة المجلسيّ (ره) في (جلاء العيون) عن ابن بابويه رحمه الله وآخرين أنّهم رووا عن رجل من أهل قمّ أنّه قال :

حضرنا مجلس أحمد بن عبيد الله بن خاقان ، وهو عامل السلطان يومئذ على الخراج والضياع بكورة قمّ ، وكان من أنصب خلق الله وأشدّهم عداوة لهم ، فجرى ذكر المقيمين من آل أبي طالب بسرّ من رأى ، ومذاهبهم وصلاحهم وأقدارهم عند السلطان ، فقال أحمد بن عبيد الله :

ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلويّة مثل الحسن بن عليّ بن محمّد بن الرضا (عليهم السلام) ، ولا سمعت به في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه ، عند أهل بيته والسلطان وجميع بني هاشم ، وتقديمهم إيّاه على ذوي السنّ منهم والخطر ، وكذلك القوّاد والوزراء والكتّاب وعوامّ الناس .

وإنّي كنت قائماً ذات يوم على رأس أبي ، وهو يوم مجلسه للناس ، إذ دخل عليه حجّابه فقالوا له : ابن الرضا على الباب ، فقال بصوت عال : ائذنوا له ، فدخل رجل أسمر ، أعين ، حسن القامة ، جميل الوجه ، جيّد البدن ، حدث السنّ ، له جلالة وهيبة ؛ فلمّا نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطوات ، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم ، ولا بالقوّاد ولا بأولياء العهد ، فلمّا دنا منه عانقه وقبّل وجهه ومنكبيه ، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاّه الذي كان عليه ، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه وجعل يكلّمه ويكنّيه ، ويفديه بنفسه وأبويه ، وأنا متحيّر ممّا أرى منه ، إذ دخل عليه الحجّاب فقالوا : الموفّق[1] قد جاء .

---

(١) الموفّق : طلحة بن المتوكّل ، أخو الخليفة المعتمد على الله ، ووليّ عهده وصاحب جيشه . =

وكان الموفّق إذا جاء ودخل على أبي تقدّم حجّابه وخاصّة قوّاده فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين ، إلى أن يدخل ويخرج ، ولم يزل أبي مقبلاً عليه يحدّثه حتّى نظر إلى غلمان الخاصّة فقال حينئذ : يا أبا محمّد ، إذا شئت فقم ، جعلني الله فداك ، ثمّ قال لغلمانه : خذوا به خلف السماطين لئلاّ يراه الأمير ، يعني الموفّق ، وقام أبي فعانقه وقبّل وجهه ومضى .

فقلت لحجّاب أبي وغلمانه : ويلكم ، من هذا الذي فعل به أبي هذا الذي فعل ؟ فقالوا : هذا رجل من العلويّة يقال له الحسن بن عليّ ، يعرف بابن الرضا ، فازددت تعجّباً .

فلم أزل يومي ذلك قلقاً متفكّراً في أمره وأمر أبي ، وما رأيت منه حتّى كان الليل ، وكانت عادته أن يصلّي العتمة ، ثمّ يجلس فينظر في ما يحتاج من المؤامرات ، وما يرفعه إلى السلطان ، فلمّا نظر وجلس جئت فجلست بين يديه ، فقال : يا أحمد ، ألك حاجة ؟ قلت : نعم يا أبه ، إن أذنت سألتك عنها ، فقال : قد أذنت لك يا بنيّ ، فقل ما أحببت ، فقلت : يا أبه ، من الرجل الذي رأيتك الغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والإكرام والتبجيل ، وفديته بنفسك وأبويك ؟ فقال :

يا بنيّ ، ذلك ابن الرضا ، ذاك إمام الرافضة ، فسكت ساعة فقال : يا بنيّ ، لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العبّاس ما استحقّها أحد من بني هاشم غير هذا ، فإنّ هذا يستحقّها في فضله وعفافه وهديه ، وصيانة نفسه وزهده وعبادته ، وجميل أخلاقه وصلاحه ، ولو رأيت أباه لرأيت رجلاً جليلاً نبيلاً خيّراً فاضلاً .

فازددت قلقاً وتفكّراً ، وغيظاً على أبي ممّا سمعت منه فيه ، ولم يكن لي همّة بعد ذلك إلاّ السؤال عن خبره ، والبحث عن أمره ، فما سألت عنه أحداً من بني هاشم والقوّاد والكتّاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلاّ وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحلّ الرفيع ، والقول الجميل ، والتقديم له على أهل بيته ومشايخه وغيرهم ، وكلّهم يقول : هو إمام الرافضة ، فعظم قدره عندي ، إذ لم أر له وليّاً ولا عدوّاً إلاّ وهو يحسن القول فيه ، والثناء عليه .

فقال له بعض أهل المجلس من الأشعريّين : يا أبا بكر ، فما حال أخيه جعفراً ؟ فقال : ومن جعفر فيُسأل عن خبره ، أو يقرن به ؟ إنّ جعفر معلن بالفسق ، ماجن شرّيب للخمور ، أقلّ من رأيت من الرجال ، وأهتكهم لستر نفسه .

= وقد أورد المصنّف رحمه الله أنّ الموفّق كان خليفة زمانه بينما هو في كتابه (الأنوار البهيّة) يصفه بأنّه أخو الخليفة المعتمد ووليّ عهده .

وكما في (البحار) أيضاً ، فاقتضى التنويه (المعرّب) .

وأقبل على ذمّه لجعفر ، وأكثر من ذلك ، ثمّ عاد إلى الحديث عن أبي محمّد (عليه السلام) فقال :

والله لقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن عليّ (عليهما السلام) ما تعجّبت منه ، وما ظننت أنّه يكون ، وذلك أنّه لما اعتلّ بُعث إلى أبي أنّ ابن الرضا قد اعتلّ ، فركب من ساعته مبادراً إلى دار الخلافة ، ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة نفر من خدم أمير المؤمنين ، كلّهم من ثقاته وخاصّته ، فيهم نحرير ، وأمرهم بلزوم دار الحسن بن عليّ ، وتعرّف خبره وحاله ، وبعث إلى نفر من المتطبّبين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده في الصباح والمساء .

فلمّا كان بعد ذلك بيومين جاء إلى والدي من أخبره أنّه قد ضعف ، فركب حتّى بكّر إليه ، ثمّ أمر المتطبّبين بلزومه ، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه ، وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممّن يوثق به ليلازموه باستمرار ، وذلك كي لا يعلم الناس بأمر السمّ الذي أعطوه للإمام (عليه السلام) ، وكي يبدو لهم أنّه مات حتف أنفه (عليه السلام) ، فلم يزالوا هناك حتّى توفيّ (عليه السلام) لأيّام مضت من شهر ربيع الأوّل من سنة ستّين ومئتين .

وصارت سرّ من رأى ضجّة واحدة : مات ابن الرضا ، وبعث السلطان إلى داره من يفتّشها ويفتّش حُجَرها ، وختم على جميع ما فيها ، وطلبوا أثر ولده ، وجاؤوا بنساء يعرفن بالحبل فدخلن على جواريه ، فنظرن إليهنّ ، فذكرت بعضهنّ أنّ هناك جارية بها حبل ، فأمر بها فجعلت في حجرة ووكّل بها نحرير الخادم وأصحابه ، ونسوة معهم .

ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته (عليه السلام) ، وعطّلت الأسواق ، وركب أبي وبنو هاشم والقوّاد والكتّاب وسائر الناس إلى جنازته (عليه السلام) ، فكانت سرّ من رأى يومئذ شبيهة بالقيامة ، فلمّا فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى المتوكّل فأمره بالصلاة عليه ، فلمّا وضعت الجنازة للصلاة دنا أبو عيسى منها فكشف عن وجهه ، فعرضه على بني هاشم من العلويّة والعبّاسيّة ، والقوّاد والكتّاب والقضاة والفقهاء والمعدّلين وقال :

هذا الحسن بن عليّ بن محمّد بن الرضا (عليهم السلام) ، مات حتف أنفه على فراشه . حضر من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ، ومن المتطبّبين فلان وفلان ، ومن القضاة فلان وفلان .

ثمّ غطّى وجهه ، وقام فصلّى عليه ، وحمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه (عليهما السلام) .

فلمّا دفن وتفرّق الناس اضطرب السلطان وأصحابه في طلب ولده ، وكثر التفتيش في

المنازل والدور ، ذلك أنّ السلطان كان قد بلغه أنّ ابناً للإمـام الحسن (عليه السـلام) سيولـد وسيستولي على العـالم ، يكون عـلى يديـه انقراض دول البـاطل ، ولم يـزل الذين وكّلوا بحفظ الجارية التي توهّموا عليها الحمل ملازمين لها سنتين وأكثر حتّى تبيّن لهم بطلان الحبل .

ثمّ أقبلوا على قسمة ميراثه (عليه السلام) وفقاً للمذهب السنيّ ، بـين أمّه وأخيـه جعفر الكذّاب ، وادّعت أمّه وصيّته وثبت ذلك عند القاضي ، والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده ، فجاء جعفر بعد قسمة الميراث إلى أبي وقال له : اجعل لي مرتبة أبي وأخي وأوصل إليك في كـلّ سنة عشرين (مئتي) ألف دينار ، فزبره أبي وأسمعه وقال له :

يا أحمق ، إنّ السلطان أعزّه الله جرّد سيفه وسوطه في الذين زعموا أنّ أباك وأخاك أئمّـة ليردّهم عن ذلك فلم يقدر عليه ، ولم يتهيّأ له صرفهم عن هـذا القول فيهـما ، وجهد أن يـزيل أباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيّأ له ذلك ، فإن كنت عنـد شيعة أبيـك وأخيك إمـاماً فـلا حاجة بك إلى سلطان يرتّبـك مراتبهم ، ولا غـير سلطان ، وإن لم تكن عندهم بهـذه المنزلـة لم تنلها بها .

واستقلّه عند ذلك واستضعفه ، وأمر أن يحجب عنـه فلم يأذن لـه بالـدخول عليـه حتّى مات أبي ، والسلطان يطلب أثر ولد الحسن حتّى اليوم .

رواية أبي الأديان وإتمام الحجّة عليه بالنسبة لإمام العصر (عج)

روى ابن بابويه بسند معتبر عن أبي الأديان أنّه قال :

كنت أخدم الحسن بن علي (عليهما السلام) وأحمل كتبه إلى الأمصار ، فدخلت إليـه في علّتـه التي توفّي بهـا صلوات الله عليه فكتب معي كتباً وقال : تمضي بهـا إلى المـدائن ، وإنّـك ستغيب خمسة عشر يوماً فتدخل إلى سرّ من رأى يوم الخامس عشر ، وتسمع الواعية في داري ، وتجدني على المغتسل .

قال أبو الأديان : فقلت : يا سيّدي ، فإذا كان ذلك فمن؟ قال : من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم بعدي ، فقلت : زدني ، فقال : من يصلي عليّ فهـو القائم بعـدي ، فقلت : زدني ، فقال : من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي .

قال أبو الأديـان : فمنعتني هيبته أن أسأله : أيّ هميـان ؟ وخرجت بـالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ، ودخلت سرّ من رأى يوم الخامس عشر كـما قال لي (عليـه السلام) ، فـإذا أنا بالواعية في داره ، وإذا أنا بجعفر أخيه بباب الدار والشيعة حوله يعزّونه ، ويهنّئـونه ! فقلت في نفسي : إن يكن هذا الإمام فقد حالت الإمامة ! لأنّي كنت أعرفه يشرب النبيذ ، ويقامـر في الجوسق ، ويلعب بالطنبور ، فتقدّمت فعزّيت وهنّيت ، فلم يسألني عن شيء .

ثمّ خرج عقيد (الخادم) فقال لجعفر : سيّدي ، قد كفّن أخوك فقم للصلاة عليه ، فدخل جعفر والشيعة من حوله ، فلمّا صرنا بالدار إذا نحن بالحسن بن عليّ (عليهما السلام) على نعشه مكفّناً ، فتقدّم جعفر ليصلّي على أخيه ، فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سمرة ، بشعره قطط ، بأسنانه تفليج ، فجبذ رداء جعفر وقال : تأخّر يا عمّ ، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي .

فتأخّر جعفر وقد اربدّ وجهه ، فتقدّم الصبيّ فصلّى عليه ، ودفن إلى جانب قبر أبيه (عليه السلام) .

ثمّ قال لي : يا بصريّ ، هات جوابات الكتب التي معك ، فدفعتها إليه ، وقلت في نفسي : هذه اثنتان ، وبقي الهميان ، ثمّ خرجت إلى جعفر وهو يزفر ، فقال له حاجز الوشّاء ليقيم عليه الحجّة : يا سيّدي ، من الصبيّ ؟ فقال : والله ما رأيته قطّ ولا عرفته ؛ فنحن جلوس إذ قدم نفر من قمّ ، فسألوا عن الحسن بن عليّ (عليهما السلام) فعرفوا موته ، فقالوا : فمن ؟ فأشار الناس إلى جعفر فسلّموا عليه وعزّوه وهنّأوه ، وقالوا : معنا كتب ومال ، فقل ممّن الكتب ، وكم المال ؟ فقام ينفض أثوابه ويقول : يريدون منّا أن نعلم الغيب !

قال : فخرج الخادم فقال : معكم كتب فلان وفلان ، وهميان فيه ألف دينار ، عشرة منها مطليّة ، فدفعوا الكتب والمال وقالوا : الذي وجّه بك لأجل ذلك هو الإمام . (وهذا الهميان هو ما أشار إليه الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام)) .

ثمّ دخل جعفر على المعتمد وكشف له ذلك ، فوجّه المعتمد خدمه ، فقبضوا على صيقل الجارية ، وطالبوها بالصبيّ فأنكرته ، وادّعت حملاً بها لتغطّي على حال الصبيّ ، فسلّمت إلى ابن أبي الشوزاب القاضي (لكي يقتل الوليد إذا ولدته) .

وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى فجأة ، وخروج صاحب الزنج بالبصرة ، فشغلوا بذلك عن الجارية ، فخرجت عن أيديهم .

وروى أيضاً بسند معتبر عن محمّد بن الحسين أنّه قال :

مات أبو محمّد (عليه السلام) يوم الجمعة مع صلاة الغداة ، وكان في تلك الليلة قد كتب بيده كتباً كثيرة إلى المدينة ، وذلك في شهر ربيع الأوّل لثمان خلون منه سنة ستّين ومئتين للهجرة ، ولم يحضره في ذلك الوقت إلّا صيقل الجارية، وعقيد الخادم ، ومن علم الله غيرهما (يعني صاحب الأمر (عليه السلام))

قال عقيد : فدعا (عليه السلام) بماء قد أغلي بالمصطكيّ فجئنا به إليه ، فقال صيقل :

أبدأ بالصلاة ، جيئوني ، فجئنا به ، وبسطنا في حجره المنديل ، وأخذ من صيقل الماء فتوضّأ وصلّ صلاة الصبح على فراشه ، وأخذ القدح ليشرب فأقبل القدح يضرب ثناياه ويده ترتعد ، فلمّا شرب وأخذت صيقل القدح من يده مضى من ساعته صلّى الله عليه .

كانت وفاته (عليه السلام) باتّفاق الأكثر من المحدّثين والمؤرّخين لثمان خلون من ربيع الأوّل سنة ستّين ومئتين من الهجرة ، وذكر الشيخ الطوسيّ في (المصباح) : الأوّل من شهر ربيع الأوّل ، وقال الأكثر : إنّه كان يوم جمعة ، وقال البعض : الأربعاء ، وقال آخرون : الأحد ، أما عن عمره الشريف عند وفاته فقيل تسع وعشرون سنة ، وقيل : ثمان وعشرون ، وكانت مدّة إمامته نحو ستّ سنين .

قال ابن بابويه وآخرون : سمّه المعتمد ، وجاء في (عيون المعجزات) عن أحمد بن إسحاق أنّه قال :

دخلت يوماً على أبي محمّد (عليه السلام) فقال لي : يا أحمد ، ما كان حالكم في ما كان الناس فيه من الشكّ والارتياب ؟ (يريد بصدد القائم بعده) ، قلت : لمّا ورد الكتاب بخبر مولد سيّدنا (عليه السلام) لم يبق منّا رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم إلاّ قال بالحقّ ، فقال (عليه السلام) : أما علمتم أنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله تعالى .

ثمّ أمر أبو محمّد (عليه السلام) والدته بالحجّ في سنة تسع وخمسين ومئتين ، وعرّفها ما يناله في سنة ستّين ، وما يقع بعد وفاته من فتن ، ثمّ سلّم الاسم الأعظم والمواريث والسلاح إلى القائم الصاحب (عليه السلام) ، وخرجت أمّ محمّد إلى مكّة ، وقبض (عليه السلام) في شهر ربيع الآخر سنة ستّين ومئتين ، ودفن بسرّ من رأى إلى جانب أبيه صلوات الله عليهما ، وكان من مولده إلى وقت مضيّه تسع وعشرون سنة . (انتهى ما نقلناه عن جلاء العيون) .

يروي الشيخ الطوسيّ بسنده عن أبي سليمان داود بن غسّان البحرانيّ أنّه قال :

قرأت عند أبي سهل إسماعيل بن عليّ النوبختيّ وكان شيخ المتكلّمين من أصحابنا في بغداد ، وذا جلالة في الدين والدنيا ، صنّف كتباً منها (الأنوار في تواريخ الأئمّة الأطهار) ، قال :

كانت ولادة الحجّة بن الحسن صلوات الله عليه وعلى آبائه بسامرّاء سنة ستّ وخمسين ومئتين ، والدته اسمها صيقل ، وكنيته أبو القاسم ، أوصى بذلك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال : اسمه اسمي ، وكنيته كنيتي ، ولقبه المهديّ ، وهو الحجّة والإمام المنتظر وصاحب الزمان صلوات الله عليه .

ثمّ قال أبو سهل : دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ (عليهما السلام) في المرضة التي

مات فيها ، وأنا عنده إذ قال لخادمه عقيد ، وكان الخادم أسود نوبيّاً قد خدم من قبله عليّ بن محمّد (عليهما السلام) ، وهو ربّى الحسن (عليه السلام) ، قال له : يا عقيد ، اغل لي الماء بمصطكيّ ، فأغلي له ، ثمّ جاءت به صيقل الجارية أمّ الخلف (عليه السلام) ، فلمّا صار القدح في يديه وهمّ بشرب به جعلت يده ترتعد حتّى ضرب القدح ثنايا الحسن (عليه السلام) فتركه من يده ، وقال لعقيد : ادخل البيت فإنّك ترى صبيّاً ساجداً فائتني به .

قال أبو سهل : قال عقيد : فدخلت أتحرّى فإذا أنا بصبيّ ساجد سبّابته نحو السماء ، فسلّمت عليه ، فأوجز في صلاته ، فقلت : إنّ سيّدي يأمرك بالخروج إليه ، إذ جاءت أمّه صيقل ، فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن (عليه السلام) .

قال أبو سهل : فلمّا مثى الصبيّ بين يديه سلّم ، وإذا هو درّيّ اللون ، وفي شعر رأسه قطط ، مفلجّ الأسنان ، فلمّا رآه الحسن (عليه السلام) بكى ، وقال : يا سيّد أهل بيته ، اسقني الماء فإنّي ذاهب إلى ربّي ؛ وأخذ الصبيّ القدح المغلّي بالمصطكيّ بيده ، ثم حرّك شفتيه ، ثمّ سقاه ، فلمّا شربه قال : هيّئوني للصلاة ، فطرح في حجره منديل فوضّأه الصبيّ واحدة واحدة (يعني بأقلّ الواجب) ومسح على رأسه وقدميه ، فقال له أبو محمّد (عليه السلام) .

أبشر يا بنيّ ، فأنت صاحب الزمان ، وأنت المهديّ ، وأنت حجّة الله على أرضه ، وأنت ولدي ووصيّي ، وأنا ولدتك ، وأنت « م ح م د » بن الحسن بن علي بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) ، ولدك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وأنت خاتم الأئمّة الطاهرين ، وبشّر بك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وسمّاك وكنّاك ، عهد عهده إليّ أبي عن آبائك الطاهرين ، صلّى الله على أهل البيت ربّنا إنّه حميد مجيد .

ومات الحسن بن عليّ من وقته ، صلوات الله عليهم أجمعين .

روى الشيخ الطوسيّ عن الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) أنّه قال : « قبري بسرّ من رأى أمان لأهل الجانبين » .

قال المجلسيّ الأوّل (ره) : عنى بالجانبين الشيعة والسنّة ، وقال : إنّ بركته (عليه السلام) أحاطت بالصديق والعدوّ ، كما أنّ قبر الكاظمين (عليهما السلام) صار أماناً لبغداد .

وقال الشيخ الأجلّ عليّ بن عيسى الإربليّ في كتاب (كشف الغمّة) الذي ألّفه سنة سبع وسبعين وستّمئة :

حكى لي بعض الأصحاب أنّ الخليفة المستنصر مشى مرّة إلى سرّ من رأى ، وزار العسكريّين (عليهما السلام) ، وخرج فزار التربة التي دفن فيها الخلفاء من آبائه وأهل بيته ، وهم في قبّة خربة يصيبها المطر ، وعليها ذرق الطيور ، وأنا رأيتها على هذه الحال ، فقيل له :

أنتم خلفاء الأرض وملوك الدنيا ، ولكم الأمر في العالم ، وهذه قبور آبائكم بهذه الحال ؛ لا يزورها زائر ؟ ولا يخطر بها خاطر ، وليس فيها أحد يميط عنها الأذى ؟ وقبور هؤلاء العلويّين كما ترونها بالستور والقناديل والفرش والزلالي والفراشين والشمع والبخور وغير ذلك ؟!

فقال : هذا أمر سماويّ لا يحصل باجتهادنا ، ولو حملنا الناس على ذلك ما قبلوه ولا فعلوا .

وصدق ، فإنّ الاعتقادات لا تحصل بالقهر ، ولا يتمكّن أحد من الإكراه عليها . انتهى .



الفصل السادس

كوكبة من أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

الأوّل : الشيخ الأجلّ أبو عليّ أحمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك الأحوص الأشعريّ

ثقة رفيع القدر ، من أجلّاء أهل قمّ ، وكان أهله وأقرباؤه من أصحاب الأئمّة (عليهم السلام) ، ومن كبار المحدّثين ، وقد تمّ التطرّق إلى العديد منهم خلال الحديث عن أصحاب الصادق والرضا (عليهما السلام) ، كعمران بن عبد الله ، وعيسى بن عبد الله ، وزكريّا بن آدم ، وزكريّا بن إدريس رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد روى أحمد بن إسحاق عن الجواد والهادي (عليهما السلام) ، وكان من خاصّة أبي محمّد العسكريّ (عليه السلام) ، وممّن رأى صاحب العصر صلوات الله عليه كما سيأتي في الباب الرابع عشر إن شاء الله تعالى ، وكان شيخ القمّيّين ورسولهم ، ومن السفراء الممدوحين الذين خرج التوقيع الشريف بمدحهم ، وجاء في (ربيع الشيعة) أنّه كان من الوكلاء والسفراء والأبواب المعروفين .

وأورد الشيخ الصدوق في (كمال الدين) حديثاً مبسوطاً جاء في آخره أنّ أحمد أراد أن يطلب من أبي محمّد (عليه السلام) بسرّ من رأى خرقة يجعلها كفناً له ، فأعطاه (عليه السلام) ثلاثة عشر درهماً وأوصاه أن لا يصرفها إلاّ في حاجة نفسه ، وأنّ ما أراده سيناله .

قال الراوي الشيخ الجليل سعد بن عبد الله : فلمّا انصرفنا من عنده (عليه السلام) وعلى ثلاثة فراسخ من « حلوان » المعروفة الآن بـ « جسر ذهاب » حمّ أحمد بن إسحاق واشتدت عليه العلّة حتى يئسنا من شفائه ، فلمّا بلغنا حلوان نزلنا في محطّ القوافل ، فقال لنا أحمد : دعوني الليلة وحدي وعودوا إلى بيوتكم ، فعاد كلّ منّا إلى بيته ، ولّما دنا الصبح كنت

أفكّر في ما جرى ، وما فتحت عيني حتّى رأيت كافوراً خادم مولاي أبي محمّد (عليه السلام) يقول : أحسن الله بالخير عزاكم ، وجبر بالمحبوب رزيّتكم ، ثمّ قال : لقد فرغنا من غسل صاحبكم وتكفينه ، يعني أحمد ، فقوموا لدفنه ، فإنّه أكرمكم محلاً عند سيّدكم ، ثمّ غاب من أعيننا .

وحلوان هي نفس « ذهاب » المعروفة على طريق كرمانشاه إلى بغداد ، ويقع قبره قرب مجرى نهر تلك القرية على بعد ألف قدم تقريباً إلى الجنوب ، وفوق ذلك القبر يقوم بناء حقير خرب ونتيجة لتخاذل وجهل المتموّلين من الأهالي ، بل نتيجة لتواكل ، أهل كرمانشاه جميعهم وتردّدهم بقي القبر دون لافتة ولا إسم ، ولا يزوره حتّى واحد من ألف من الزوّار ، مع أنّه الرجل الذي بعث الإمام (عليه السلام) خادمه بطيّ الأرض له مع كفن لتجهيزه ، والرجل الذي تمّ بناء مسجد قمّ المعروف بأمره وتوجيهه ، والذي كان لسنين وكيلاً للإمام (عليه السلام) في تلك النواحي ، ممّا يوجب أن يكون الاهتمام به أكثر وأفضل ، فيجعل قبره مزاراً معتبراً ، ويتمّ نوال الفيوض الإلهيّة ببركة صاحب القبر وبواسطته رحمه الله .

الثاني : أحمد بن محمّد بن مطهّر

يدعوه الشيخ الصدوق بصاحب أبي محمّد (عليه السلام) ، ويقول شيخنا في (خاتمة المستدرك) : ليس المراد بصاحبه هو أنّه من أصحاب الإمام العسكريّ (عليه السلام) فحسب ، إنّما يبدو لنا أنّه كان القائم على أموره (عليه السلام) ، وأنّه بلغ الكمال في أعماله ، الأمر الذي يكشف عن مرتبة هي فوق العدالة .

روى الثقة الثبت عليّ بن الحسين المسعوديّ في (إثبات الوصية) عن الحميريّ ، عن أحمد بن إسحاق أنّه قال :

دخلت على أبي محمّد (عليه السلام) فقال لي : يا أحمد ، ما كان حالكم في ما كان الناس فيه من الشكّ والارتياب ؟ قلت : لمّا ورد الكتاب بخبر مولد سيّدنا (عليه السلام) لم يبق منّا رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم إلاّ قال الحقّ ، قال (عليه السلام) : أما علمتم أنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله تعالى ؟

ثمّ أمر (عليه السلام) والدته بالحجّ في سنة تسع وخمسين ومئتين ، وعرّفها ما يناله في سنة ستّين ، ثمّ سلّم الاسم الأعظم والمواريث والسلاح إلى القائم الصاحب (عليه السلام) ، وخرجت أمّ أبي محمّد إلى مكّة ، وتولّى أبو عليّ أحمد بن محمّد بن مطهّر شأنها ؛ فلمّا وصلوا بعض المنازل لقيتهم قوافل من الأعراب فعرّفوهم بشدّة الخوف وقلّة الماء

فانصرف أكثر الناس سوى من كانوا في الناحية[١] فقد مضوا في سبيلهم سالمين .

والظاهر أن ذلك الرجل الذي أقامه الإمام (عليه السلام) على أسور أهله ـ وفيهم أمّه ومن هو كنفسه ـ في هذا السفر الكبير الطويل لا بدّ أن يكون في مقام رفيع من الوثاقة والأمانة والفطنة .

ومن هذا الخبر يتبيّن إجمال ما في الكافي من باب مولد أبي محمّد (عليه السلام) بإسناده عن أبي عليّ المطهّريّ أنّه كتب إليه (عليه السلام) بالقادسيّة يعلمه انصراف الناس ، وأنّه يخاف العطش ، فكتب (عليه السلام) : امضوا ولا خوف عليكم إن شاء الله ، فمضوا سالمين ، والحمد لله ربّ العالمين .

الثالث : أبو سهل إسماعيل بن عليّ بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت

شيخ متكلّمي إماميّة بغداد ، كان كبير الطائفة النوبختيّة في زمانه ، وكان ذا جلالة في الدين والدنيا ، يجري مجرى الوزراء ، صنّف كتباً كثيرة منها كتاب (الأنوار في تواريخ الأئمّة الأطهار) (عليهم السلام) ، وقال ابن النديم في (الفهرست) : جمع هذا الشيخ كتباً كثيرة ، وكتب بخطّه الكثير من النسخ ، مصنّفاته ومؤلّفاته في الكلام والفلسفة وغيرهما كثيرة ، كان يجتمع عنده جماعة من ناقلي كتب الفلسفة كأبي عثمان الدمشقيّ ، وإسحاق ، وثابت ، وغيرهم ؛ ومن غلمانه أبو الحسن السوسَنْجِرديّ المعروف بالحمدونيّ ، واسمه محمّد بن بشر وهو صاحب كتاب (الإنفاد) في الإمامة . انتهى .

أقول : محمّد بن بشر المذكور من صلحاء وعيون الأصحاب ومتكلّميهم ، وقد حجّ خمسين حجّة ماشياً .

وأبو سهل خال أبي محمّد الحسن بن موسى النوبختيّ الفيلسوف صاحب كتاب (الفرق) ، سعدَ بشرف لقاء إمام الزمان صلوات الله عليه ، كما تقدّم خبره خلال الحديث عن وفاة العسكريّ (عليه السلام) ، وكان هذا الشيخ الجليل سبباً في افتضاح الحلّاج ، فقد فكّر الحلّاج أنّه يستطيع الاحتيال على أبي سهل كالآخرين فيوقعه بالحيلة في مصيدة ، ولمّا كان أبو سهل يحتلّ عند الناس مكانة رفيعة ، وكان معروفاً عندهم بالعلم والأدب والعقل والمعرفة ، فإذا أمكن إيقاعه في مصيدة فإنّ الضَّعَفة من العوامّ سينصرفون عنه .

بادر الحلّاج بالكتابة إليه يدعوه للقدوم عليه زاعماً أنّه وكيل لصاحب الزمان

---

(١) قال الشيخ الكفعميّ : الناحية هي كلّ مكان وُجد فيه صاحب الأمر (عليه السلام) في الغيبة الصغرى ، وتردّد عليه الوكلاء هناك .

(عليه السلام) ، وقال : إنّي مأمور بدعوتك لئلا يحصل لك في هذا الأمر شكّ أو ارتياب !!

فلمّا وقف أبو سهل على مضمون الكتاب أجابه يقول : إن كنت وكيلاً لصاحب الزمان (عليه السلام) فلا بدّ لك من دلائل وبراهين كي نؤمن لما تزعم ، وما أريده منك إنّما هو أمر بسيط يكون شاهداً على دعواك ، وهو أمر سهل ، فأنا أميل إلى الجواري ، وعندي بالفعل العديد منهنّ وأنا أنعم بوصالهنّ ، غير أنّ أثر الشيخوخة بدأ يظهر في رأسي ووجهي ، فإذا ما التفتن إلى بياض شعري انصرفن عنّي ، وأبدلنني بالوصال هجراناً ، وبالنور ظلاماً ، الأمر الذي دعاني إلى الإقبال على الخضاب في كلّ جمعة ، فإن كنت صادقاً في دعواك فاجعل السواد في شعري فلا أحتاج معه إلى الخضاب ، فأدخل في ما أنت فيه ، وأدعو الناس إليك !!

فلمّا وقف الحلّاج على الجواب عرف أنّ سهمه قد أخطأ المرمى فندم على ما فعل ، ولم يجبه على كتابه ، ولم يبعث إليه برسول .

وأقبل أبو سهل بعد ذلك ينشر هذه القصّة في المجالس والمحافل ، حتّى غدا الحلّاج أكثر الناس افتضاحاً ، وانكشف الستر عن حقيقة أعماله ، وخلص الناس من مصائده !!

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم ، وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة ، وباهتوهم كي لا يطمعوا في الفساد في الإسلام ، ويحذرهم الناس ولا يتعلّمون من بدعهم ؛ يكتب الله لكم بذلك الحسنات ، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة » .

بيان : يقال : بهته بهتاً ، أي : أخذه بغتةٍ ، فتبهتهم أيّ تحيّرهم ، وبُهت الرجل على صيغة المجهول ، أي : انقطع وذهبت حجّته ، يحتمل أن يكون المراد بأهل الريب : الذين يشكّون في الدين ويشكّكون الناس فيه بإلقاء الشبهات .

الرابع : محمّد بن صالح بن محمّد الدهقان

من أصحاب الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) ، ومن وكلاء الناحية المقدّسة .

ذكر الشيخ المفيد عنه أنّه قال : لمّا مات أبي وصار الأمر إليّ كان لأبي على الناس سفاتج[1]من المال الغريم ، يعني صاحب الأمر (عليه السلام) .

قال الشيخ المفيد : وهذا رمز كانت الشيعة تعرفه قديماً بينها ، ويكون خطابها عليه للتقيّة .

---

(١) السفاتج : جمع سُفْتَجَة ، وهي أن تعطي مالاً لرجل فيعطيك خطّاً يمكّنك من استرداد ذلك المال من عميل له في مكان آخر ، فتأمن من أخطار الطريق .

قال : فكتبت إليه (عليه السلام) أعلمه ، فكتب إليّ : طالبهم واستقص عليهم ؛ فقضاني الناس إلاّ رجل واحد، وكانت عليه سفتجة بأربعمئة دينار، فجئت إليه أطلبه فمطلني ، واستخفّ بي ابنه وسفه عليّ ، فشكوته إلى أبيه فقال : وكان ماذا ؟! فقبضت على لحيته، وأخذت برجله وسحبته إلى وسط الدار، فخرج ابنه مستغيثاً بأهل بغداد يقول: قمّيّ رافضيّ قد قتل والدي ! فاجتمع عليّ منهم خلق كثير ، فركبت دابّتي وقلت : أحسنتم يا أهل بغداد ، تميلون مع الظالم على الغريب المظلوم ؟! أنا رجل من أهل همدان ، من أهل السنّة ، وهذا ينسبني إلى قمّ ، ويرميني بالرفض ليذهب بحقّي ومالي .

قال: فمالوا عليه وأرادوا أن يدخلوا إلى حانوته حتّى سكّنتهم، وطلب إليّ صاحب السفتجة أن آخذ ما فيها، وحلف بالطلاق أنّه يوفيني مالي في الحال، فاستوفيت منه .





الباب الرابع عشر

في تاريخ الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن (عليه السلام)

وفيه ثمانية فصول



الفصل الأول

في ولادة صاحب العصر (عليه السلام) وأحوال والدته

تاريخ ولادته وألقابه (عليه السلام)

قال العلاّمة المجلسيّ (ره) في (جلاء العيون) : الأشهر في تاريخ ولادة صاحب العصر صلوات الله عليه أنّها كانت في السنة الخامسة والخمسين والمئتين من الهجرة ، وقال البعض : سنة ستّ وخمسين ، وآخرون : سنة ثمان وخمسين ؛ والمشهور أن يوم ولادته كان يوم الجمعة الخامس عشر من شعبان ، وقال البعض الثامن من شعبان ، وكانت ولادته بسرّ من رأى بالاتّفاق ، ويوافق اسمه وكنيته اسم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكنيته ، ولا يجوز ذكر اسمه زمن غيبته ، والحكمة في ذلك مجهولة ، أمّا ألقابه فالمهديّ والمنتظر والحجّة والصاحب .

أحوال السيّدة نرجس وقصّة رؤياها

روى ابن بابويه والشيخ الطوسيّ بأسناد معتبرة عن بشر بن سليمان النخّاس ، وهو من ولد أبي أيّوب الأنصاريّ ، أحد موالي أبي الحسن وأبي محمّد (عليهما السلام) وجارهما في سرّ من رأى ، قال :

أتاني كافور الخادم فقال : مولانا أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكريّ يدعوك إليه ، فأتيته ، فلمّا جلست بين يديه قال لي : يا بشر ، إنّك من ولد الأنصار ، وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف ، وأنتم ثقاتنا أهل البيت ، وإنّي مزكّيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة ، بسرّ أطلعك عليه ، وأنفذك في ابتياع أمة .

فكتب كتاباً لطيفاً بخطّ روميّ ولغة روميّة ، وطبع عليه خاتمه ، وأخرج شقّة صفراء فيها مئتان وعشرون ديناراً ، فقال : خذها وتوجّه بها إلى بغداد ، واحضر معبر الفرات ضحوة يوم كذا ، فإذا وصلَتْ إلى جانبك زواريق السبايا وترى الجواري فيها ، ستجد طوائف المبتاعين

من وكلاء قوّاد بني العبّاس وشرذمة من فتيان العرب ، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمّى عمر بن يزيد النخّاس عامّة نهارك ، إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا ، لابسة حريرين صفيقين ، تمتنع من العرض ولمس المبتاعين ، والانقياد لمن يحاول لمسها ، وتسمع صرخة روميّة من وراء ستر رقيق ، فاعلم أنها تقول : واهتك ستراه ، فيقول بعض المبتاعين : عليّ ثلاثمئة دينار ، فقد زادني العفاف فيها رغبة ، فتقول له بالعربيّة : لو برزت في زيّ سليمان بن داود ، وعلى شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة ، فأشفق على مالك ، فيقول النخّاس : فما الحيلة ولا بدّ من بيعك ؟ فتقول الجارية : وما العجلة ولا بدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه ، وإلى وفائه وأمانته ؟

فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخّاس وقل له : إنّ معي كتاباً ملطّفاً لبعض الأشراف كتبه بلغة روميّة وخطّ روميّ ، ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه ، فناولها إيّاه لتتأمّل منه أخلاق صاحبه ، فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك .

قال بشر بن سليمان : فامتثلت جميع ما حدّه لي مولاي أبو الحسن (عليه السلام) في أمر الجارية ، فلمّا نظرت في الكتاب بكت بكاءً شديداً وقالت لعمر بن يزيد : بعني من صاحب هذا الكتاب ، وحلفت بالمحرّجة والمغلّظة (من الأيمان) أنّه إذا امتنع من بيعها منه قتلت نفسها ؛ فما زلت أشاحّه في ثمنها حتّى استقرّ الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي (عليه السلام) من الدنانير ، فاستوفاه ، وتسلّمت الجارية ضاحكة مستبشرة وانصرفت بها إلى الحجيرة التي كنت آوي إليها ببغداد ، فما أخذها القرار حتّى أخرجت كتاب مولانا (عليه السلام) من جيبها وهي تلثمه ، وتطبقه على جفنها ، وتضعه على خدّها وتمسحه على بدنها ؛ فقلت : تعجّباً منها : تلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه ؟ فقالت : أيّها العاجز الضعيف المعرفة بمحلّ أولاد الأنبياء ، أعرني سمعك وفرّغ لي قلبك ، أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ، وأمّي من ولد الحواريّين تنسب إلى وصيّ المسيح شمعون بن حمّون بن الصفا ، وأنبّئك بالعجب :

إنّ جدّي قيصر أراد أن يزوّجني من ابن أخيه ، وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة ، فجمع في قصره من نسل الحواريّين من القسّيسين والرهبان ثلاثمئة رجل ، ومن ذوي الأخطار منهم سبعمئة رجل ، وجمع من أمراء الأجناد وقوّاد العسكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف ، وأبرز من بهيّ ملكه عرشاً مصاغاً من أصناف الجوهر ، ورفعه فوق أربعين مرقاة ، فلمّا صعد ابن أخيه ، وأحدقت الصُّلُب ، وقامت الأساقفة عكّفاً ، ونشرت أسفار الإنجيل تسافلت الصلب من الأعلى فلصقت الأرض ، وتقوّضت أعمدة العرش فانهارت إلى القرار ، وخرّ الصاعد (ابن أخي القيصر) من العرش مغمياً عليه ، فتغيّرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم ، فقال كبيرهم لجدّي :

أيها الملك ، أعفني من ملاقاة هذه النحوس الدالّة على زوال هذا الدين المسيحيّ ، فتطيّر جدّي من ذلك تطيّراً شديداً ، وقال للأساقفة : أقيموا هذه الأعمدة ، وارفعوا الصلبان ، وأحضر أخ هذا العاهر المنكوس جدّه ، لأزوّجه هذه الصبيّة ، فيدفع نحوسه عنكم بسعوده .

ولمّا فعلوا ذلك حدث على الثاني مثل ما حدث على الأوّل ، وتفرّق الناس ، وقام جدّي قيصر مغتمّاً فدخل منزل النساء ، وأرخيت الستور .

وأُريتُ في تلك الليلة كأنّ المسيح وشمعون وعدّة من الحواريّين قد اجتمعوا في قصر جدّي ، ونصبوا فيه منبراً يباري السماء علوّاً وارتفاعاً في الموضع الذي كان نصب جدّي فيه عرشه ، ودخل عليه محمّد (صلّى الله عليه وآله) وختنه ووصيّه (عليهم السلام) وعدّة من أبنائه .

فتقدّم إليه المسيح فاعتنقه ، فقال له محمّد (صلّى الله عليه وآله) : يا روح الله ، إنّي جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته مليكة لابني هذا ، وأومأ بيده إلى أبي محمّد (عليه السلام) ابن صاحب هذا الكتاب ، فنظر المسيح إلى شمعون وقال له : قد أتاك الشرف ، فصل رحمك برحم آل محمّد (عليهم السلام) ، قال : قد فعلت ، فصعد ذلك المنبر ، فخطب محمّد (صلّى الله عليه وآله) وزوّجني من ابنه ، وشهد المسيح (عليه السلام) ، وشهد أبناء محمّد (عليهم السلام) ، والحواريّون .

فلمّا استيقظت أشفقت أن أقصّ هذه الرؤيا على أبي وجدّي مخافة القتل ، فكنت أسرّها ولا أبديها لهم ، وضرب صدري بمحبّة أبي محمّد (عليه السلام) حتّى امتنعت من الطعام والشراب ، فضعفت نفسي ، ودقّ شخصي ، ومرضت مرضاً شديداً ، فما بقي في مدائن الروم طبيب إلاّ أحضره جدّي وسأله عن دوائي ، فلمّا برّح به اليأس قال : يا قرّة عيني ، هل يخطر ببالك شهوة فأزوّدكِها في هذه الدنيا ؟ فقلت : يا جدّي ، أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة ، فلو كشفت العذاب عمّن في سجنك من أسارى المسلمين ، وفككت عنهم الأغلال ، وتصدّقت عليهم ومنّيتهم الخلاص رجوت أن يهب المسيح وأمّه لي العافية .

فلمّا فعل ذلك تجلّدت في إظهار الصحّة من بدني قليلاً ، وتناولت يسيراً من الطعام ، فسرّ بذلك ، وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم .

فأُريت أيضاً بعد أربع عشرة ليلة كأنّ سيّدة نساء العالمين فاطمة (عليها السلام) قد زارتني ومعها مريم بنت عمران ، وألف من وصائف الجنان ، فتقول لي مريم : هذه سيّدة النساء (عليها السلام) أمّ زوجك أبي محمّد ، فأتعلّق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمّد

من زيارتي ؛ فقالت سيّدة النساء (عليها السلام) : إنّ ابني أبا محمّد لا يزورك وأنت مشركة بالله على مذهب النصارى ، وهذه أختي مريم بنت عمران تبرأ إلى الله من دينك ، فإن ملت إلى رضى الله تعالى ورضى المسيح ومريم (عليهما السلام) وإلى زيارة أبي محمّد إيّاك فقولي : « أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّد رسول الله » فلمّا تكلّمت بهذه الكلمة ضمّتني سيّدة النساء إلى صدرها ، وطيّبت نفسي وقالت : الآن توقعي زيارة أبي محمّد ، وإنّي منفذته إليك ، فانتبهت وأنا أنول وأتوقّع لقاء أبي محمّد (عليه السلام) ، فلمّا كان في الليلة القابلة رأيت أبا محمّد (عليه السلام) وكأنّي أقول له : جفوتني يا حبيبي بعد أن أتلفت نفسي معالجة حبّك ! فقال : ما كان تأخّري عنك إلاّ لشركك ، فقد أسلمت وأنا زائرك في كلّ ليلة ، إلى أن يجمع الله شملنا في العيان ، فما قطع عنّي زيارته بعد ذلك ، إلى هذه الغاية .

قال بشر بن سليمان : فقلت لها : وكيف وقعت في الأسارى ؟ فقالت : أخبرني أبو محمّد (عليه السلام) في ليلة من الليالي قال : إنّ جدّك سيسيّر جيشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا ، ثمّ يتبعهم ، فعليك باللحاق بهم متنكّرة في زيّ الخدم مع عدّة من الوصائف ، من طريق كذا ، ففعلت ذلك ، فوقفت علينا طلائع المسلمين حتّى كان من أمري ما رأيت وما شاهدت ، وما شعر بأنّي ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك ، وذلك باطلاعي إيّاك عليه ، ولقد سألني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرت وقلت : نرجس ، فقال : اسم الجواري .

قلت : العجب أنّك روميّة ولسانك عربيّ ؟ قالت : نعم ، من ولوع جدّي وحمله إيّاي على تعلّم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمانة له في الاختلاف إليّ ، وكان تقصدني صباحاً ومساء وتفيدني العربيّة حتّى استمرّ لساني عليها واستقام .

ورود السيّدة نرجس إلى سرّ من رأى ولقاؤها الإمام الهادي (عليه السلام) قال بشر : فلمّا انكفأتُ بها إلى سرّ من رأى دخلت على مولاي أبي الحسن (عليه السلام) فقال : كيف أراك الله عزّ الإسلام وذلّ النصرانيّة ، وشرف محمّد وأهل بيته (عليهم السلام) ؟ قالت : كيف أصف لك يا بن رسول الله ما أنت أعلم به منّي ؟ قال : فإنّي أحبّ أن أكرمك ، فأيّما أحبّ إليك : عشرة آلاف دينار ، أم بشرى لك بشرف الأبد ؟ قالت : بل بشرى بشرف الأبد ، فأنا لا أريد مالاً ، قال : أبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً ، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ؛ قلت : ممّن ؟ قال : ممّن خطبك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) له ليلة كذا في شهر كذا من سنة كذا ، ثمّ قال لها بالروميّة : ممّن زوّجك المسيح (عليه السلام) ووصيّه ؟ قالت : من ابنك أبي محمّد (عليه السلام) ، فقال : هل تعرفينه ؟

قـالت : وهـل خلت ليلة لم يـزرني فيها منـذ الليلة التي أسلمت على يـد سيّـدة النسـاء (عليها السلام) .

قـال : فقال مـولانا : يـا كافـور ، ادع أختي حكيمة ، فلمّا دخلت قـال لها : هـا هية ، فاعتنقتها طويلاً وسرّت بها كثيراً ، فقال لها أبو الحسن (عليه السلام) : يا بنت رسـول الله ، خـذيهـا إلى منـزلـك وعلّميهـا الفـرائض والسنن ، فـإنّها زوجـة أبي محمّـد ، وأمّ القـائم (عليه السلام) .

كيفيّة الحمل بإمام العصر (عليه السلام) وولادته

روى الشيخ الكلينيّ ، وابن بابويه ، والشيخ الطوسيّ ، والسيّد المرتضى ، وغـيرهـم من ذوي الشأن من المحدّثين بأسناد معتبرة عن حكيمة بنت أبي جعفر الجـواد (عليه السـلام) أنّها قالت :

كانت لي جارية يقال لها نرجس ، فزارني ابن أخي الحسن العسكريّ (عليه السلام) ، وأقبل يحدّ النظر إليها ، فقلت لـه : يا سيّـدي ، لعلّك هويتهـا فأرسلهـا إليك ؟ فقـال : لا يا عمّة ، لكنّي أتعجّب منها ، فقلت : وما عجبك ؟ فقـال (عليه السـلام) : سيخرج منهـا ولد كـريم على الله عـزّ وجلّ ، يمـلأ الله به الأرض عـدلاً وقسطاً كـما ملئت جوراً وظلماً ، فقلت : فأرسلها إليك يا سيّدي ؟ فقال : استأذني في ذلك أبي .

قـالت : فلبست ثيـابي وأتيت منـزل أبي الحسن ، فسلّمت وجلسـت ، فبـدأني (عليه السلام) وقال : يا حكيمة ، ابعثي بنرجس إلى ابني محمّـد ، فقلت : يا سيّـدي ، على هذا قصدتك أن أستأذنك في ذلك ، فقال : يا مباركة ، إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ أن يشركك في الأجر ، ويجعل لك في الخير نصيباً .

قـالت حكيمـة : فلم ألبث أن رجعت إلى منـزلي وزيّنتهـا ووهبتهـا لأبي محمّـد (عليـه السلام) ، وجمعت بينـه وبينها في منـزلي ، فأقـام عندي أيّـاماً ، ثمّ مضى إلى والـده ، ووجّهت بها معه .

قـالت : فمضى أبو الحسن (عليـه السلام) وجلس أبـو محمّد (عليـه السـلام) مكـان والـده ، وكنت أزوره كما كنت أزور والـده ، فجاءتني نـرجس يـومـاً تخلع خفّي وقـالت : يـا مـولاتي ، نـاوليني خفّـك ، فقلت : بـل أنت سيّـدتي ومـولاتي ، والله لا دفعت إليـك خفّي لتخلعيه ، بل أخدمك على بصري ؛ فسمع أبو محمّد (عليه السلام) ذلك فقال : جـزاك الله خيـراً يا عمّـة ، فجلست عنده إلى وقت غـروب الشمس ، فصحت بجاريتي وقلت : نـاوليني ثيابي لأنصرف ، فقال (عليه السـلام) : يا عمّتاه ، بيتي الليلة عندنا فإنّه سيـولد الليلة المـولود

الكريم على الله عزّ وجلّ الذي يحيي الله عزّ وجلّ به الأرض بعد موتها ، قلت : ممّن يا سيّدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحمل ؟ فقال : من نرجس لا من غيرها ، قالت : فوثبت إلى نرجس فقلّبتها ظهراً لبطن فلم أر بها أثراً من حبل ، فعدت إليه فأخبرته بما فعلت ، فتبسّم ثمّ قال لي : إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل ، لأنّ مَثَلها مثل أمّ موسى لم يظهر بها الحبل ، ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها ، لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى ، وهذا نظير موسى (عليه السلام) .

وفي رواية أخرى أنّه (عليه السلام) قال : إنا معاشر الأوصياء لسنا نُحمل في البطون ، وإنّما نحمل في الجُنوب ، ولا نخرج من الأرحام وإنّما نخرج من الفخذ الأيمن من أمّهاتنا ، لأنّا نور الله الذي لا تناله الدناسات .

قالت حكيمة : فدخلت على نرجس وعرّفتها بذلك ، فقالت : لست أرى أثراً في نفسي يا سيّدتي ، فقمت فأفطرت ، ونمت بقرب من نرجس فلم أزل أرقبها وغفوت غفوة ، ثم استيقظت ، فلم أزل مفكّرة في ما وعدني أبو محمّد (عليه السلام) من أمر وليّ الله (عليه السلام) ، فقمت قبل الوقت الذي كنت أقوم في كلّ ليلة للصلاة ، فصلّيت صلاة الليل حتّى بلغت إلى الوتر ، فقامت نرجس فخرجت وأسبغت الوضوء ، ثمّ عادت فصلّت صلاة الليل ، فوقع في قلبي أنّ الفجر قد قرب ، فقمت لأنظر فإذا بالفجر الأوّل (الكاذب) قد طلع ، فتداخل قلبي الشكّ من وعد أبي محمّد (عليه السلام) ، فناداني من حجرته : لا تشكّي يا عمّة ، فإنّ الأمر قد قرب .

وإذ ذاك اضطربت نرجس فضممتها إلى صدري وسمّيت عليها ، فصاح أبو محمّد (عليه السلام) وقال : اقرئي عليها : ﴿ إنّا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ ، فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها : ما حالك ؟ قالت : ظهر الأمر الذي أخبرك به مولاي ، فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني فأجابني الجنين من بطنها يقرأ كما أقرأ ، وسلّم عليّ ؛ ففزعت لما سمعت ، فصاح بي أبو محمّد (عليه السلام) : لا تعجبي من أمر الله عزّ وجلّ ، إنّ الله تبارك وتعالى ينطقنا بالحكمة صغاراً ، ويجعلنا حجّة في أرضه كباراً ، فلم يستتمّ الكلام حتّى غُيّبت عنّي نرجس فلم أرها ، كأنّه ضرب بيني وبينها حجاب ، فعدوت نحو أبي محمّد (عليه السلام) وأنا صارخة فقال لي : ارجعي يا عمّة فإنّك ستجدينها في مكانها .

فرجعت ، فلم ألبث أن كشف الحجاب بيني وبينها ، وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشّى بصري ، وإذا أنا بالصبيّ (عليه السلام) ساجداً على وجهه ، جاثياً على ركبتيه ، رافعاً سبّابتيه نحو السماء وهو يقول :

« أشهد أن لا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأنّ جدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وأنّ أبي أمير المؤمنين وصيّ الله » .

ثمّ عدّ إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه ، فقال (عليه السلام) :

« اللهمّ أنجز لي أمري ، وثبّت وطأتي ، واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً » .

وفي رواية أخرى قالت : لمّا ولد السيّد (عليه السلام) ظهر منه نور ساطع فبلغ أفق السماء ، ورأيت طيوراً بيضاً تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثمّ تطير ، فصاح أبو محمّد الحسن (عليه السلام) فقال : يا عمّة ، تناوليه فهاتيه ، فلمّا تناولته ضممته إليّ فإذا به مفروغ منه (مختون مقطوع حبل السرّة) ، نظيف منظّف ، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب :

﴿ جاء الحقّ وزهق الباطل ، إنّ الباطل كان زهوقاً ﴾ .

قالت حكيمة : فأتيته به ، فما أن رأى أباه حتّى سلّم عليه ، فتناوله وأخرج لسانه فمسحه على عينيه ، ثمّ أدخله في فيه وأذنيه ، وأجلسه على راحته اليسرى ، ومسح يده على رأسه وقال له : يا بنيّ ، انطق بقدرة الله ، فاستعاذ وليّ الله (عليه السلام) من الشيطان الرجيم واستفتح :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمّة ، ونجعلهم الوارثين * ونمكّن لهم في الأرض ، ونُري فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون ﴾ .

أقول : وهاتان الآيتان الكريمتان مصداق لما جاء من أحاديث معتبرة في شأن صاحب الأمر وآبائه صلوات الله عليهم .

قالت حكيمة : ثم صلّى (عليه السلام) على رسول الله وعلى أمير المؤمنين والأئمّة (عليهم السلام) واحداً واحداً حتّى انتهى إلى أبيه ، وكانت الطيور ترفرف على رأسه ، فصاح أبو محمّد (عليه السلام) بطير منها : احمله واحفظه ، وردّه إلينا في كلّ أربعين يوماً ، فتناوله الطائر وطار به في جوّ السماء ، وأتبعه سائر الطير .

فسمعت أبا محمّد (عليه السلام) يقول : استودعتك الذي استودعته أمّ موسى ، فبكت نرجس فقال لها : اسكتي ، فإنّ الرضاع محرّم عليه إلاّ من ثديك ، وسيعاد إليك كما رُدّ موسى إلى أمّه ، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ فرددناه إلى أمّه كي تقرّ عينها ولا تحزن ﴾ ؛ فقلت : ما هذا الطائر ؟ قال : هذا روح القدس الموكّل بالأئمّة (عليهم السلام) ، يوفّقهم ويسدّدهم ويربّيهم بالعلم .

قالت حكيمة : فلمّا أن كان بعد أربعين يوماً وجّه إليّ ابن أخي (عليه السلام) فدعاني ، فدخلت عليه فإذا أنا بصبيّ يتحرّك ويمشي بين يديه ، فقلت : سيّدي ، هذا ابن سنتين ! فتبسّم (عليه السلام) ثمّ قال : إنّ أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمّة ينشأون بخلاف ما ينشأ غيرهم ، وإنّ الصبيّ منّا إذا أتى عليه شهر كان كمن يأتي عليه سنة ، وإنّ الصبيّ منّا ليتكلّم في بطن أمّه ، ويقرأ القرآن ، ويعبد ربّه عزّ وجلّ ، وعند الرضاع تطيعه الملائكة وتتنزّل عليه صباح مساء .

ثمّ قالت حكيمة : فلم أزل أرى ذلك الصبيّ كلّ أربعين يوماً ، إلى أن رأيته يافعاً قبل مضيّ أبي محمّد (عليه السلام) بأيّام قلائل فلم أعرفه ، فقلت لأبي محمّد (عليه السلام) : من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه ؟ فقال : ابن نرجس وهو خليفتي من بعدي ، وعن قليل تفقدونني ، فاسمعي له وأطيعي .

قالت : فمضى أبو محمّد (عليه السلام) بعد أيّام قلائل ، ووالله إنّي لأراه صباحاً ومساء ، وإنّه لينبّئني عمّا أسأله عنه ، ووالله إنّي لأريد أن أسأله عن الشيء فيبدأني فيجيبني قبل أن أسأله .

وفي رواية أخرى : جاء أنّ حكيمة قالت : فلمّا كان في اليوم الثالث اشتدّ شوقي إلى وليّ الله ، فأتيت أبا محمّد (عليه السلام) فسألته : أين مولاي ؟ قال : استودعته من هو أحقّ به منك ومنّا ، فإذا كان اليوم السابع فأتينا ؛ فلمّا كان في اليوم السابع جئت فإذا بمهد عليه أثواب خضر ، فعدلت إلى المهد ورفعت عنه الأثواب فإذا أنا بوليّ الله كالبدر ، فجعل يضحك في وجهي ويتبسّم ، فناداني أبو محمّد (عليه السلام) : يا عمّتي ، هلمّي فتاي إليّ ، فأتيته له ، فتناوله فأدلى لسانه في فيه ثمّ قال : تكلّم يا بنيّ ، فنطق (عليه السلام) بالشهادتين ثم صلّى على رسول الله وسائر الأئمّة صلوات الله عليهم ، ثمّ قال : « بسم الله الرحمن الرحيم » وتلا الآيتين المتقدّمتين .

ثمّ قال له الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) اقرأ يا بنيّ ممّا أنزل الله على أنبيائه ورسله ، فابتدأ بصحف آدم فقرأها بالسريانيّة ، وكتاب إدريس ، وكتاب نوح ، وكتاب هود ، وكتاب صالح ، وصحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى ، وفرقان جدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ثمّ قصّ قصص الأنبياء والمرسلين إلى عهده .

ثمّ قال أبو محمّد (عليه السلام) : لمّا وهب لي ربّي مهديّ هذه الأمّة أرسل ملكين فحملاه إلى سرادق العرش ، فخاطبه الحقّ تعالى فقال له : مرحباً بك عبدي ، لنصرة ديني ،

وإظهار أمري ، ومهدي عبادي ، آليت أنّي بك آخذ ، وبك أعطي وبك أغفر ، وبك أعذّب ، أيّها الملكان ، ردّاه على أبيه ردّاً رفيقاً ، وأبلغاه سلامي ، وقولا إنّه في ضماني وكنفي وبعيني ، إلى أن أحقّ به الحقّ ، وأزهق به الباطل ، ويكون الدين لي واصباً . انتهى ما نقلناه عن (جلاء العيون) .

وفي (حقّ اليقين) ذكرت ولادته (عليه السلام) بهذه الكيفيّة ، مع بعض روايات أخرى ، ومنها :

روي عن محمّد بن عثمان العَمْريّ أنّه قال :

لمّا ولد السيّد قال أبو محمّد (عليه السلام) ابعثوا إليّ أبا عمرو (أبي) فبعث إليه ، فصار إليه فقال : اشتر عشرة آلاف رطل خبزاً ، وعشرة آلاف رطل لحماً وفرّقها ، أحسبه قال : على بني هاشم ، وعقّ عنه بكذا وكذا شاة .

وعن نسيم ومارية الخادمين قالا :

لمّا سقط صاحب الزمان (عليه السلام) من بطن أمّه سقط جاثياً على ركبتيه ، رافعاً سبّابتيه إلى السماء ، ثم عطس فقال : الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمّد وآله ، زعمت الظلمة أنّ حجّة الله داحضة ، ولو أذن لنا في الكلام لزال الشكّ .

وعن نسيم الخادم أيضاً قال :

دخلت على صاحب الزمان (عليه السلام) بعد مولده بليلة ، فعطست عنده ، فقال لي : يرحمك الله .

قال نسيم : ففرحت بذلك ، فقال لي : ألا أبشّرك في العطاس ؟ فقلت : بلى ، قال : هو أمان من الموت ثلاثة أيّام .

أسماؤه وألقابه وكناه وشمائله (عليه السلام)

أمّا أسماؤه وألقابه (عليه السلام) فقد ذكر شيخنا المرحوم ثقة الإسلام النوريّ (ره) في (النجم الثاقب) مئة واثنين وثمانين اسماً له (عليه السلام) ونذكر هنا بعضاً منها التماساً للبركة :

الأوّل : بقيّة الله ـ روي أنّه إذا خرج (عليه السلام) أسند ظهره إلى الكعبة ، واجتمع إليه ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً ، وأوّل ما ينطق به هذه الآية : ﴿ بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ ،ثمّ يقول : أنا بقيّة الله وحجّته وخليفته عليكم ، فلا يسلّم عليه مسلّم إلّا قال : السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه .

الثاني : **الحجّة** : وهذا من ألقابه الشائعة (عليه السلام) إذ يُذكر به في كثير من الأدعية والأخبار ، وقد ذكره أكثر المحدّثين ، مع أنّ سائر الأئمّة (عليهم السلام) شركاء في هذا اللقب ، وجميعهم حجج من الله على الخلق ، غير أنّ اختصاصه به (عليه السلام) مبعثه أنه أينما جاءت قرينة أو شاهد فالمراد به هو (عليه السلام) ، وقال البعض : إنّ لقبه حجّة الله بمعنى غلبة الله وتسلّطه على الخلائق ، ذلك أنّ كلا الأمرين سيتحقّقان بواسطة ظهوره (عليه السلام) ، ونقش خاتمه « أنا حجّة الله » .

الثالث : **الخلف ، والخلف الصالح** ـ وقد تكرّر ذكره بهذا اللقب على ألسنة الأئمّة (عليهم السلام) ، والمراد بالخلف الخليفة ، فهو (عليه السلام) خلف لجميع الأنبياء والأوصياء السالفين ، وعنده جميع علومهم وصفاتهم وخصائصهم ، والمواريث الإلهيّة التي تنتقل من واحد إلى الآخر ، وكلّها مجموعة عنده .

وجاء في حديث اللوح المعروف الذي رآه جابر عند الزهراء (عليها السلام) ، بعد ذكر العسكريّ (عليه السلام) : وإذ ذاك أكمل هذا بابن أو خلف يكون رحمة لجميع العالمين ، عليه كمال صفوة آدم ، ورفعة إدريس ، وسكينة نوح ، وحِلم إبراهيم ، وشدّة موسى ، وبهاء عيسى ، وصبر أيّوب .

وفي حديث المفضّل المشهور أنّه إذا ظهر (عليه السلام) اتّكأ على ظهر الكعبة ، وقال : يا معشر الخلائق ، من أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فها أنذا آدم وشيث ، وذكر على هذا النحو نوحاً وساماً وإبراهيم وإسماعيل وموسى وشمعون ، ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وسائر الأئمّة (عليهم السلام) .

الرابع : **الشريد** ـ تكرّر ورود هذا اللقب على ألسنة الأئمّة (عليهم السلام) ، وخاصة على لسان أمير المؤمنين والباقر (عليهما السلام) ، والشريد بمعنى الطريد ، أي المطرود من هذا الخلق الضّال ، الذي لا هم عرفوه ، ولا هم عرفوا قدر نعمة وجوده ، ولا هم أقبلوا على أداء حقّه وأداء واجب شكره ، بل إنّهم بعد أن يئس أوائلهم من التسلّط عليه وقتله وقمع الذرّيّة الطاهرة أقبل الخلف منهم على نفيه وطرده من القلوب مستخدمين اللسان والقلم في هذا الصدد ، وها هو (عليه السلام) يقول لإبراهيم بن عليّ بن مهزيار :

«إنّ أبي صلّى الله عليه عهد إليّ أن لا أوطّن من الأرض إلّا أخفاها وأقصاها ، إسراراً لأمري ، وتحصيناً لمحلّي من مكائد أهل الضلال » إلى أن قال : قال أبي صلوات الله عليه :

« فعليك يا بنيّ بلزوم خوافي الأرض ، وتتبّع أقاصيها ، فإنّ لكلّ وليّ من أولياء الله عزّ وجلّ عدواً مقارعاً ، وضدّاً منازعاً » .

الخامس : الغريم ـ من الألقاب الخاصّة به (عليه السلام) ، ومن الشائع في الأخبار إطلاقه عليه ، والغريم : تعني الدائن ، وتعني المدين أيضاً ، والظاهر أنها هنا على المعنى الأوّل ، وهذا اللقب كقولهم : الغلام ، إذا أريد الإشارة إليه (عليه السلام) من باب التقيّة ، فكان الشيعة إذا أرادوا إرسال ماله إليه أو إلى وكلائه ، أو أرادوا أن يوصوا ، أو أن يطالبوه بشيء دعوه بهذا اللقب ، وكان (عليه السلام) دائناً لغالب أرباب الزراعة والصناعة والتجارة والحرف كما سبق القول عند الحديث عن محمّد بن صالح في أصحاب الحسن العسكريّ (عليه السلام) .

قال العلامّة المجلسيّ (ره) : يمكن أن يكون الغريم بمعنى المدين ، فتكون تسميته (عليه السلام) بهذا الاسم تشبيهاً له بشخص مدين قد أخفى نفسه عن الناس بسبب ديونه ، أو أنّ الناس كانوا يطلبونه (عليه السلام) ليأخذوا عنه العلوم والشرائع فيفرّ منهم بسبب التقيّة ، فهو إذاً غريم مستتر ، صلوات الله عليه .

السادس : القائم ـ ويعني القائم بأمر الله تعالى ، ذلك أنّه (عليه السلام) لا يزال ليل نهار يترقّب أمر الله عزّ وجلّ ليظهر بمحض الإشارة .

وقد روي أنّه (عليه السلام) سمّي بالقائم لأنّه سيقوم بالحقّ ، وجاء عن الصقر بن أبي دلف أنّه قال :

سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ الرضا (عليهما السلام) : ولِمَ سمّي القائم ؟ قال : لأنّه يقوم بعد موت ذكره ، وارتداد أكثر القائلين بإمامته .

وعن أبي حمزة الثماليّ أنّه قال :

سألت الباقر صلوات الله عليه : يا بن رسول الله ، ألستم كلّكم قائمين بالحقّ ؟ قال : بلى ، قلت : فلمَ سمّي القائم قائماً ؟ قال : لمّا قتل جدّي الحسين صلّى الله عليه ضجّت الملائكة إلى الله عزّ وجلّ بالبكاء والنحيب ، وقالوا : إلهنا وسيّدنا ، أتغفل عمّن قتلوا صفوتك وابن صفوتك ، وخيرتك من خلقك ؟! فأوحى الله عزّ وجلّ إليهم :

قرّوا ملائكتي ، فوعزّتي وجلالي لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين ؛ ثمّ كشف الله عزّ وجلّ عن الأئمّة من ولد الحسين (عليه السلام) للملائكة ، فسرّت الملائكة بذلك ، فإذا أحدهم قائم يصلّي ، فقال الله عزّ وجلّ : بذلك القائم أنتقم منهم .

أقول : سيأتي في الفصل السادس إن شاء الله كلام في باب الوقوف تعظيماً لهذا الأسم المبارك .

السابع : « مُ حَ مَّ دْ » ـ صلى الله عليه وعلى آبائه وأهل بيته ـ الاسم الأصلي وتسميته الإلهيّة الأولى ، كما جاء في الأخبار المتواترة الخاصّة والعامّة أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : المهديّ اسمه اسمي ، وجاء في خبر اللوح المستفيض أنّ اسمه (عليه السلام) جاء على هذا النحو : « أبو القاسم محمّد بن الحسن حجّة الله القائم » .

هذا ولا يخفى ـ بمقتضى الأخبار الكثيرة المعتبرة ـ حرمة ذكر هذا الاسم المبارك في المجالس والمحافل حتّى ظهوره الميمون ، وهذا الحكم من خصائصه (عليه السلام) ، وهو مسلّم به عند قدماء الإماميّة من المتكلّمين والمحدّثين ؛ حتّى أنّه يظهر من أقوال الشيخ الأقدم الحسن بن موسى النوبختيّ أنّ هذا الحكم من خصائص مذهب الإماميّة ، ولم يُنقل عن أحد خلافه حتّى عهد الخواجة نصير الدين الطوسيّ ، إذ يقول هذا المرحوم بالجواز ، ولم يرد بعده ما يخالف ذلك إلاّ من صاحب (كشف الغمّة) ، وفي عصر الشيخ البهائي كان في هذه المسألة نظر ، وكانت محلاًّ للشجار بين الفضلاء حتّى لقد أُلّفت فيها رسائل منفردة مثل (شرعة التسمية) للمحقّق الداماد ، و(رسالة تحريم التسمية) للشيخ سليمان الماخوريّ ، و(كشف التعميّة) لشيخنا الحرّ العامليّ ، وغيرها ، وتجد تفصيل ذلك في (النجم الثاقب) .

الثامن : **المهديّ** ـ صلوات الله عليه ، وهو أشهر أسمائه وألقابه (عليه السلام) عند الفرق الإسلاميّة كافّة .

التاسع : **المنتظر** ـ وتعني من ينتظر الخلائقُ كافّة مقدمه المبارك .

العاشر : **الماء المَعين** ـ وتعني الماء الظاهر الجاري على الأرض ، وقد روي في (كمال الدين) و(غيبة الشيخ) عن الباقر (عليه السلام) أنّه قال في الآية الكريمة : ﴿ **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ، فمن يأتيكم بماء معين** ﴾ : إنّها نزلت في القائم ، يقول : إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هو ، فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السماء والأرض ، وحلال الله جلّ وعزّ وحرامه ؟

ثمّ قال : والله ما جاء تأويل الآية ، ولا بدّ أن يجيء تأويلها .

وجاء ما يقرب من هذا المضمون في عدّة أخبار أخرى هنا وفي (غيبة النعمانيّ) و (تأويل الآيات) ، ووجه تشبيهه بالماء هو أنّه سبب حياة كلّ شيء ظاهر ، بل إنّ تلك الحياة التي جاءت بسبب ذلك الوجود العظيم وتجيء بمراتب أعلى وأتمّ وأشدّ وأكثر دواماً من الحياة المستمدّة من الماء ، بل إنّ حياة الماء نفسه إنّما هي منه .

وروي في (كمال الدين) عن الباقر (عليه السلام) في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **اعلموا**

أنّ الله يحيي الأرض بعد موتها ﴾ قال : يحييها الله عزّ وجلّ بالقائم بعد موتها ، ويعني بموتها : كفر أهلها ، والكافر ميّت .

وبرواية الشيخ الطوسيّ في الآية المذكورة أنّه قال : يصلح الله الأرض بقائم آل محمّد ، بعد موتها : يعني بعد جور أهل مملكتها .

هذا ولا يخفى أنّه إذ كانت أيّام الظهور استفاض الناس منت هذا النبع الربّانيّ بيسر وسهولة فانتفعوا بها كالعطشان إلى جانب نهر جار سلسبيل ما عليه إلاّ أن يغترف ، ولهذا جاء التعبير عنه (ع) بماء معين ، وفي أيّام الغيبة فقد رفع الله لطفه الخاصّ عن الخلق جزاء سوء أعمالهم ، ولا بدّ لهم أن يلتمسوا الفيض منه بعد تعب وعذاب وعجز وتضرّع وإنابة ، ولا بدّ من المعاناة وتعلّم العلم ، كالعطشان الذي يريد أن ينفع الماء من بئر عميقة وحيداً فعليه أن يتزوّد بالآلات والأسباب كي ينضح الماء ويطفىء نار العطش ، لهذا عُبّر عنه (ع) بالبئر المعطّلة ؛ والمقام لا يتّسع لمزيد من الشرح .

وأمّا شمائله (ع) فقد روي أنّه أشبه الناس برسول الله (ص) في الخلق والخُلق ، وشمائله (ص) ، وما جُمع عن شمائله(ع) من المرويّات أنّه أبيض مشرّب حمرة ، حنطيّ تشوبه صفرة من قيام الليل ، أجلى الجبهة أبيضها ، متّصل ما بين الحاجبين ، أقنى الأنف ، حسن الوجه ، ونور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه ، سهل الوجه ، على خدّه الأيمن خال كأنّه نجم يتلألأ ، وعلى رأسه فرق بين وفرتين كأنّه ألفٌ بين واوين ، مفلّج الثنايا ، أسود العينين أكحلهما ، في رأسه علامة ، عريض المنكبين وفي بطنه وساقه أشبه بجدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وجاء في وصفه (ع) : المهديّ طاووس أهل الجنّة ، وجهه كالقمر الدرّيّ ، عليه جلابيب النور ، عليه جيوب النور تتوقّد بشعاع ضياء القدس ، وهو كأقحوانة أرجوان قد تكاثف عليها الندى ، وأصابها ألم الهوى ، وهو كغصن بان أو قضيب ريحان ، ليس بالطويل ولا بالقصر اللازق ، بل مربوع القامة مدوّر الهامة ، على خدّه الأيمن خال كأنّه فتات مسك على رضراضة عنبر ، له سمت ما رأت العيون أقصد منه ، صلّى الله عليه وآله وعلى آبائه الطاهرين .

الفصل الثاني

في ذكر جملة من خصائص صاحب الزمان (عليه السلام)

أولاً : امتياز نور ظلّه (عليه السلام) في عالم الأظلّة بين أنوار الأئمّة (عليهم السلام) ، وجاء في أخبار المعراج وغيره أنّ نوره (عليه السلام) بين أنوار الأئمّة (عليهم السلام) كالنجم يتلألأ بين سائر الكواكب .

ثانياً : شرف النسب ، ففي نسبه (عليه السلام) شرف نسب آبائه الأطهار (عليهم السلام) ، والذين نسبهم أشرف الأنساب ، ويختصّ ببلوغ نسبه من جهة أمّه إلى قياصرة الروم ، وينتهي إلى شمعون الصفا وصيّ عيسى (عليه السلام) الذي ينتهي نسبه إلى كثير من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام .

ثالثاً : حمل ملكين له يوم ولادته إلى سرادق العرش ، وخطاب الله عزّ وجلّ له بقوله : مرحباً بك عبدي لنصرة ديني ، وإظهار أمري ، ومهدي عبادي ، آليت أنّي بك آخذ وبك أعطي ، وبك أغفر وبك أعذّب .. الخ .

رابعاً : بيت الحمد ـ روي أنّ لصاحب هذا الأمر بيت يقال له بيت الحمد ، فيه سراج مضيء منذ يوم ولادته ، ولا يزال مضيئاً حتّى يوم خروجه (عليه السلام) بالسيف .

خامساً : جمعه (عليه السلام) بين كنية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واسمه ، وجاء في (المناقب) أنّه قال : اتركوا اسمي ولا تتركوا كنيتي .

سادساً: حرمة ذكر اسمه كما تقدّم .

سابعاً : خُتمت به (عليه السلام) الوصاية والحجّة .

ثامناً : غيبته (عليه السلام) منذ ولادته ، واستيداعه روح القدس ، وتربيته في عالم

النـور وفضاء القـدس فلم تَشُبْ أيّ جزء منـه شائبـة من قـذارة بني آدم ومعـاصيهـم ، ولـوث الشياطين ، ومجالسته وأنسه بالملأ الأعلى والأرواح القدسيّة .

تاسعاً : عدم صحبته (عليه السلام) للكفّار والمنافقين والفسّاق خوفاً وتقيّة وتجنّباً لهم ، فهو منذ ولادته حتّى اليوم لم تلمس يد ظالم له طرفاً ، ولم يصحب كافراً ولا منافقاً ، فهو في نأي عن منازلهم .

عاشراً : عدم وجود بيعة لأحد من الطغاة في عنقه ، فقد جـاء في (أعلام الـورى) عن الإمام الحسن (عليه السلام) أنّه قال :

ما منّا أحد إلاّ ويقع في عنقـه بيعة لـطاغية زمـانه إلاّ القـائم الذي يصـلّي خلفه روح الله عيسى ابن مريم .

حـادي عشر : أنّ له في ظهـره عـلامـة تشبـه العـلامـة في ظهـر رسـول الله (صـلّى الله عليه وآله) والتي يقال لها ختم النبوّة ، ولعلّ علامته (عليه السلام) إشارة إلى ختم الوصاية .

ثـاني عشر : تخصيصه من الله عـزّ وجلّ بـذكره في الكتب السـماويّة والأخبـار المعراجيّـة باللقب دون سائر الأوصياء (عليهم السلام) ، بل بألقاب متعدّدة دون ذكر اسمه الشريف .

ثالث عشر : ظهور آيات غريبة وعلامات سماويّة وأرضيّة لظهوره (عليه السلام) ممّا لم يتوفّر لولادة وظهور أيّ حجّة آخر ، بل جاء في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تبـارك وتعالى : ﴿ سنـريهم آياتنـا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيـنّ لهم أنّه الحقّ ﴾ ، أنّـه فسّرهـا بآيـات وعلامـات ما قبـل الظهـور ، وفسّر تبينّ الحقّ بخـروج القائم (عليـه السلام) وقال : هو الحقّ من عند الله عزّ وجلّ ، يراه الخلق ، ولا بـدّ منه ، وهـذه الآيات والعـلامات كثيرة ، حتّى لقد ذكر منها بعضهم نحواً من أربعمئة .

رابع عشر : أنّ نداءً سـماويّاً يقـارن ظهوره (عليـه السلام) وفقـاً لما جـاء في مرويّـات كثيرة ، فقد روى عليّ بن إبراهيم في تفسير الآية الكريمة : ﴿ واستمع يـوم ينادِ المنـادِ من مكان قريب ﴾ عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال : ينـادي مناد من السـماء باسم القـائم وأبيه (عليهما السلام) ؛ وروي في (غيبة النعمانيّ) عن البـاقر (عليـه السلام) أنّـه قال في خـبر : ينادي مناد من السماء القائم (عليه السلام) فيسمـع ما بـين المشرق والمغرب ، فـلا يبقى راقد إلاّ قام ، ولا قائم إلاّ قعد ، ولا قاعـد إلاّ قام عـلى رجليه من ذلـك الصوت ، ثمّ قـال : وهو صوت جبرئيل في شهر رمضان ليلة الجمعة الثالثة والعشرين ، وعلى هذا المضمون أخبار كثيرة فاقت حدّ التواتر ، ومنها أنّ ذلك من المحتومات .

خامس عشر : سقوط الأفلاك عن سرعة سيرها وبطء حركتها ، فقد روى الشيخ المفيـد

عن أبي بصير ، عن الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث طويل في سيرة القائم (عليه السلام) أنّه قال : فيمكث على ذلك سبع سنين مقدار كلّ سنة عشر سنين من سنيّكم هذه ، ثمّ يفعل الله ما يشاء .

قال : قلت : جعلت فداك ، وكيف تطول السنون ؟ قال : يأمر الله تعالى الفلك باللبوث وقلّة الحركة فتطول الأيّام لذلك والسنون .

قال : قلت له : إنّهم يقولون : إذا تغيّر فسد ، يعني العالم ، قال : ذلك قول الزنادقة ، فأمّا المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك ، وقد شقّ الله القمر لنبيّه (صلّى الله عليه وآله) وردّ الشمس من قبله ليوشع بن نون ، وأخبر بطول يوم القيامة ، وأنّه كألف سنة ممّا تعدّون .

سادس عشر : ظهور مصحف أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي جمعه بلا تغيير ولا تبديل بعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وفيه جميع ما نزل عليه (صلّى الله عليه وآله) على سبيل الإعجاز ، والذي عرضه بعد جمعه على الصحابة فأعرضوا عنه ، فأخفاه (عليه السلام) ، وبقي على حاله حتّى يظهر على يديه ، ويؤمر الخلق بقراءته وحفظه ، ونظراً لاختلاف ترتيب المصحف المذكور عن المصحف المتداول اليوم فإنّ حفظه سيكون من التكاليف المشكلة على المكلّفين .

سابع عشر : تظليل غمامة بيضاء له (عليه السلام) تظلّله من الشمس ، وينادي منها مناد بلسان فصيح يسمعه الثقلان والخافقان : هو المهديّ من آل محمّد (عليهم السلام) ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

وهذا النداء هو غير الصوت الذي تقدّم ذكره في الفقرة الرابعة عشرة .

ثامن عشر : وجود الملائكة والجانّ في عسكره (عليه السلام) وظهورهم كأنصار له .

تاسع عشر : عدم تأثير طول الأعصار وتعاقب الليل والنهار وسير الفلك الدوّار في بنيته ومزاجه وأعضائه وقواه وصورته وهيئته (عليه السلام) ، فهو بهذا العمر الطويل الذي بلغ حتّى الآن خمساً وتسعين وألف سنة[1] ، ويعلم الله ما يبلغه من العمر حتّى ظهوره ، فإذا ظهر كان كابن ثلاثين أو أربعين ، في حين أنّ أحداً من طوال الأعمار من الأنبياء السالفين لم ينج من سهام الشيخوخة والهرم : ﴿ **إنّ هذا بعلي شيخاً** ﴾ ، ويشكو آخر من ضعف الشيخوخة فيقول : ﴿ **إنّي وهن العظم منّي واشتعل الرأس شيباً** ﴾ .

روى الشيخ الصدوق عن أبي الصلت الهرويّ أنّه قال :

---

(١) لا يخفى أنّ تقدير عمره الشريف إنّما كان في أيّام تأليف الكتاب (المعرّب) .

قلت للرضا (عليه السلام) : ما علامة القائم منكم إذا خرج ؟ قال : علامته أن يكون شيخ السنّ شابّ المنظر ، حتّى إنّ الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها .

عشرون : انتفاء النفور والاستيحاش من بين الحيوانات بعضها من البعض الآخر ، وبينها وبين الإنسان ، وارتفاع العداوة من بين الجميع كما كان الأمر قبل مقتل هابيل ، ويروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله : إذا قام قائمنا . . . ولذهبت الشحناء من قلوب العباد ، واصطلحت السباع والبهائم ، حتّى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلّا على النبات ، وعلى رأسها زبّيلها لا يهيّجها سبع ولا تخافه .

حادي وعشرون : كون جماعة من الأموات في ركابه (عليه السلام) ، فقد ذكر الشيخ المفيد أنه سيكون من أنصاره (عليه السلام) سبعة وعشرون رجلاً من قوم موسى ، وسبعة من أصحاب الكهف ، ويوشع بن نون ، وسلمان ، وأبو ذرّ ، وأبو دجانة الأنصاريّ ، والمقداد ، ومالك الأشتر ، وسيكونون ولاته على البلاد .

وقد روي أنّ من قرأ دعاء العهد : « اللهمّ ربّ النور العظيم . . » أربعين صباحاً كان من أنصاره (عليه السلام) ، فلو مات قبله لأخرجه الله من قبره ليكون معه .

ثاني وعشرون : إخراج الأرض كنوزها وذخائرها التي استودعها إيّاها .

ثالث وعشرون : كثرة الأمطار والنباتات والأشجار والثمار وسائر النعم الأرضيّة ، حتّى تتبدّل الأرض في ذلك الوقت عن حالها في أوقات أخر مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **يوم تُبدّل الأرض غير الأرض** ﴾ .

رابع وعشرون : اكتمال عقول الناس ببركة وجوده (عليه السلام) ، ووضعه يده المباركة على رؤوس العباد فيجمع بها عقولهم ؛ وارتفاع الحقد والحسد من قلوبهم ، وهو ما صار لهم طبيعة ثانية مذ قتل هابيل حتّى اليوم ، وكثرة العلم والحكمة فيهم ، فيُقذف العلم في قلوب المؤمنين فلا يحتاج المؤمن لعلم أخيه ، ويظهر إذ ذاك تأويل الآية الكريمة : ﴿ **يغن الله كلًّا من سعته** ﴾ .

خامس وعشرون : المدّ في أسماع أنصاره (عليه السلام) وفي أبصارهم حتّى ليكون بينهم وبين القائم (عليه السلام) أربعة فراسخ فيكلّمهم فيسمعون ، وينظرون إليه وهو في مكانه .

سادس وعشرون : طول أعمار أصحابه وأنصاره (عليه السلام) ، فقد روى أنّه يعمّر أحدهم حتّى يولد له ألف ذكر .

سابع وعشرون : زوال العاهات والضعف من أبدان أنصاره (عليه السلام) .

ثامن وعشرون : إعطاء الرجل منهم قوّة أربعين رجلاً ، وجعلُ قلوبهم كزبر الحديد ، فلو قذفوا بها الجبال لفلقتها .

تاسع وعشرون : استغناء العباد بنوره (عليه السلام) عن نور الشمس والقمر ، وقد جاء في تفسير الآية الكريمة : ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربّها** ﴾ . أنّ مربي الأرض إمام الزمان صلّى الله عليه وعلى آبائه .

ثلاثون : كون راية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) معه (عليه السلام) .

حادي وثلاثون : أنّ درع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تكون من القائم (عليه السلام) في قدها وتناسبها على بدنه الشريف كما كانت من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

ثاني وثلاثون : ذخر السحاب الصعب له خاصّة (عليه السلام) ، وهو ما كان فيه رعد وصاعقة أو برق ، يركبه ويرقى فى الأسباب ، أسباب السماوات السبع والأرضين السبع .

ثالث وثلاثون : رفع التقيّة والخوف من الكفّار والمشركين والمنافقين (التقيّة التي كان يُعمل بها قبل ظهوره عليه السلام) ، وتيسير العبوديّة لله تعالى ، والجري في أمور الدنيا والدين على السنن الإلهيّة والأحكام السماويّة بعد أن دعت الحاجة للتساهل في بعضها من خوف المخالفين وارتكاب أعمال غير لائقة طبقاً لفعل الظالمين ، كما وعد الله تعالى بقوله :

﴿ **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً** ﴾ .

رابع وثلاثون : عموم سلطته (عليه السلام) الأرض كلّها من المشرق إلى المغرب برّاً وبحراً ، عماراً وخراباً ، جبلاً وسهلاً ، حتّى لا يبقى موضع إلاّ جرى فيه حكمه ونفذ فيه أمره ، والأخبار في هذا المعنى متواترة : ﴿ **وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً** ﴾ .

خامس وثلاثون : امتلاء الأرض كلّها قسطاً وعدلاً ، كما أنّ أصغر خبر إلهيّ أو نبويّ ، خاصّ عامّ ، جاء فيه ذكر للمهديّ (عليه السلام) لم يخل من هذه البشارة وهذه المنقبة له (عليه السلام) .

سادس وثلاثون : إصداره (عليه السلام) أحكامه بين الناس بعلم إمامته دون أن

يسأل الناس بيّنة أو شاهداً ، فهو يحكم بحكم داود وسليمان (عليهما السلام) .

سابع وثلاثون : إتيانه (عليه السلام) بأحكام لم تجر فيما سبق عهده كقتله الشيخ الزاني ومانع الزكاة ، ويعطي الأخ ميراثه من أخيه في عالم الذرّ ، أيّ أن كلّ نفرين عقدا بينهما هناك عقد أخوّة ، يرثان أحدهما الآخر هنا ، وروى الشيخ الطبرسيّ (ره) أنّه (عليه السلام) يقتل ابن عشرين سنة لم يتعلّم علوم دينه وأحكام مسائله .

ثامن وثلاثون : خروج مراتب العلم كافّة ، كما ذكر القطب الراونديّ في (الخرائج) عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال :

العلم سبعة وعشرون حرفاً ، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان ، فلم يعرف الناس حتّى اليوم غير الحرفين ، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثّها في الناس ، وضمّ إليها الحرفين حتّى يبثّها سبعة وعشرين حرفاً .

تاسع وثلاثون : نزول سيوف من السماء لأنصاره (عليه السلام) .

أربعون : إطاعة البهائم لأصحابه (عليه السلام) .

حادي وأربعون : انبجاس نهرين من ماء ولبن في ظهر الكوفة مقرّ حكمه (عليه السلام) ، وذلك من حجر موسى (عليه السلام) الذي يحمله معه .

فقد جاء في (الخرائج) عن الباقر (عليه السلام) أنّه قال : إذا قام القائم بمكّة وأراد أن يتوجّه إلى الكوفة نادى مناديه : ألا لا يحمل أحد منكم طعاماً ولا شراباً ، ويحمل حجر موسى الذي انبجست منه اثنتا عشرة عيناً ، فلا ينزل منزلاً إلاّ نصبه فانبجست منه العيون ، فمن كان جائعاً شبع ، ومن كان عطشاناً روي .

ثاني وأربعون : نزول عيسى (عليه السلام) من السماء لنصرة المهديّ (عليه السلام) وصلاته خلفه ، كما جاء في مرويّات كثيرة ، بل إنّ الله تعالى عدّها من مناقبه (عليه السلام) ، فقد ورد في كتاب (المختصر) للحسن بن سليمان الحلّيّ في خبر طويل أنّ الله تبارك و تعالى أوحى إلى رسوله (صلّى الله عليه وآله) ليلة المعراج :

. . . وأعطيتك أن أُخرج من صلبه (صلب عليّ (عليه السلام)) أحد عشر مهدياً ، كلّهم من ذرّيّتك ، من البكر البتول ، آخر رجل منهم يصلّي خلفه عيسى ابن مريم ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، أنجي به من الهلكة ، وأهدي به من الضلالة وأبرىء به الأعمى ، وأشفي به المريض .

ثالث وأربعون : قتل الدجّال اللعين ، وهو من العذابات الإلهيّة لأهل القبلة ، فقد

جاء في (تفسير عليّ بن إبراهيم) عن الباقر (عليه السلام) في تفسير العذاب في قوله تعالى : ﴿ **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم** ﴾ قال : هو الدجّال والصيحة ، وقال (عليه السلام) : ما من نبيّ جاء إلّا خوّف الناس من فتنة الدجّال .

رابع وأربعون : عدم جواز التكبير سبع تكبيرات على جنازة أحد بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلّا على جنازته (عليه السلام) ، كما جاء في بحث وفاة أمير المؤمنين ووصيّته لابنه الحسن (عليهما السلام) .

خامس وأربعون : كون تسبيحه (عليه السلام) من الثامن عشر من الشهر حتّى آخره ، فإنّ للحجج الطاهرة (عليهم السلام) تسبيحات خلال أيّام الشهر ، فتسبيح النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) في اليوم الأول من الشهر ، وتسبيح أمير المؤمنين (عليه السلام) في اليوم الثاني منه ، وتسبيح الزهراء (عليها السلام) في اليوم الثالث منه ؛ وتسبيح سائر الأئمّة (عليهم السلام) على هذا الترتيب حتّى تسبيح الرضا (عليه السلام) فيكون في العاشر والحادي عشر منه ، وتسبيح الجواد (عليه السلام) في الثاني عشر والثالث عشر منه ، وتسبيح الهادي (عليه السلام) في الرابع عشر والخامس عشر منه ، وتسبيح الحسن العسكريّ (عليه السلام) في السادس عشر والسابع عشر منه ، وتسبيح الحجّة (عليه السلام) في الثامن عشر منه وحتّى آخر الشهر ؛ وهذا تسبيحه (عليه السلام) :

« سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله مداد كلماته ، سبحان الله زنة عرشه ، والحمد لله مثل ذلك » .

سادس وأربعون : انقطاع سلطان الجبابرة ودولة الظُّلمة بوجوده (عليه السلام) ، فلن يكون مُلك آخر على وجه الأرض ، وتتّصل دولته (عليه السلام) بالقيامة برجعة سائر الأئمّة (عليهم السلام) ، أو بدولة بنيه (عليه السلام) ، وذُكر أنّ الصادق (عليه السلام) كان يكثر من الترنّم بهذا البيت :

لكلّ أناس دولة يرقبونها ودولتنا في آخر الدهر تظهر

الفصل الثالث

في اثبات وجود الامام الثاني عشر وغيبته (عليه السلام)

ونكتفي في هذا الصدد بما أورده العلاّمـة المجلسيّ (ره) في كتاب (حقّ اليقـين) ، ومن رام التفاصيل فيمكنه الرجوع إلى كتاب (النجم الثاقب) وغيره .

النصوص الواردة بشأن صاحب العصر (عليه السلام) عن طريق أهل السنّة

قال العلاّمة المجلسيّ (ره) : اعلم أنّ أحاديث خروج المهديّ (عليه السلام) قد رواها الخاصّة والعامّة بطرق متواترة ، فقد جـاء في (جامـع الأصول) عن صحيـح البخاريّ ومسلم وأبي داود والـترمذيّ عن أبي هـريـرة أنّـه قـال : قـال رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه) مـا مضمونه :

والذي نفسي بيده سينـزل ابن مريم فيحكم بـالعدل، فيبيـد صلبان النصـارى، ويهلك الخنازير، ويرفع الجزية، أي لا يقبل منهم غير الإسلام، وتكثر الأموال حتّى يعطي أحدهم فلا يقبـل؛ ثمّ قال (صـلّى الله عليه وآلـه): كيف أنتم إذا نزل ابن مـريم، وإمـامكم منكم، يعني المهديّ (عليه السلام)؟

وجاء في صحيح مسلم رواية عن جابر أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :

لا تـزال طائفـة من أمّتي تقاتـل على الحقّ فتكـون لهم الغلبة إلى يـوم القيامـة ؛ ثمّ قـال (صلّى الله عليه وآله) : ينزل عيسى ابن مريم (عليه السلام) فيقول أمـيرهم المهديّ : تعـال صلّ بنا ، فيقول : ألا إنّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة من الله عزّ وجلّ لهذه الأمّة .

وجاء في مسند أبي داود والترمذيّ عن ابن مسعود أنّ رسول الله (صـلّى الله عليه وآلـه) قال :

لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث رجلاً من أمّتي ، أو من أهل بيتي ، يواطىء اسمه اسمي فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وفي رواية أخرى : لا تذهب الدنيا حتّى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي .

وعن أبي هريرة أنّه قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي .

وفي سنن أبي داود مرفوعاً إلى عليّ (عليه السلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :

لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً .

وجاء في سنن أبي داود أيضاً عن أمّ سلمة قالت :

سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : المهديّ من عترتي من ولد فاطمة .

وروى أبو داود والترمذيّ عن أبي سعيد الخدريّ أنه قال :

المهديّ منّي ، أجلى الجبهة أقنى الأنف ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يملك سبع سنين .

ورويا أيضاً عن أبي سعيد أنّه قال : خشينا وقوع البدع بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فسألناه عن ذلك فقال : سيخرج في أمّتي المهديّ ويملك خمس سنين أو سبع سنين أو تسع سنين ، فيجيء برجل فيقول : يا مهدي ، أعطني أعطني ، فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله .

وجاء في سنن الترمذي عن أبي إسحاق أنّه قال :

قال عليّ (عليه السلام) ونظر إلى ابنه الحسين : إنّ ابني هذا سيّد كما سمّاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وسيخرج من صلبه رجل باسم نبيّكم يشبهه في الخلق ويشبهه في الخُلق ، يملأ الأرض عدلاً .

وجمع الحافظ أبو نعيم ـ وهو من مشاهير محدّثي العامّة ـ أربعين حديثاً من صحاحهم تشتمل على صفات المهديّ (عليه السلام) وأحواله واسمه ونسبه ، ومنها عن عليّ بن هلال عن أبيه قال :

دخلت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو في الحالة التي قبض فيها فإذا فاطمة عند رأسه ، فبكت حتّى ارتفع صوتها ، فرفع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إليها رأسه فقال : حبيبتي فاطمة ، ما الذي يبكيك ؟ فقالت : أخشى الضيعة من بعدك ، فقال : يا حبيبتي ، أما علمت أنّ الله عزّ وجلّ اطّلع على الأرض اطّلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته ، ثمّ اطلع اطّلاعة فاختار منها بعلك وأوحى إليّ أن أنكحك إيّاه .

يا فاطمة ، ونحن أهل بيت قد أعطانا الله عزّ وجلّ سبع خصال لم يعط أحداً قبلنا ، ولا يعطي أحداً بعدنا : أنا خاتم النبيين ، وأكرم النبيّين على الله عزّ وجلّ ، وأحبّ المخلوقين إلى الله عزّ وجلّ ، وأنا أبوك ، ووصيّي خير الأوصياء وأحبّهم إلى الله عزّ وجلّ ، وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء وأحبّهم إلى الله عزّ وجلّ ، وهو حمزة بن عبد المطّلب عمّ أبيك وعمّ بعلك ، ومنّا من له جناحان يطير في الجنّة ، مع الملائكة حيث يشاء ، وهو ابن عمّ أبيك وأخو بعلك ، ومنّا سبطا هذه الأمّة ، وهما ابناك الحسن والحسين ، وهما سيّدا شباب أهل الجنّة ، وأبوهما ـ والذي بعثني بالحقّ ـ خير منهما .

يا فاطمة ، والذي بعثني بالحقّ إنّ منهما مهديّ هذه الأمّة ، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً ، وتظاهرت الفتن ، وانقطعت السبل ، وأغار بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيراً ، ولا صغير يوقّر كبيراً ، فيبعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً ، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به ، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

يا فاطمة ، لا تحزني ولا تبكي ، فإنّ الله عزّ وجلّ أرحم بك وأرأف عليك منّي ، وذلك لمكانك منّي وموقعك من قلبي ، قد زوّجك الله زوجك وهو أعظمهم حسباً ، وأكرمهم منصباً ، وأرحمهم بالرعيّة ، وأعدلهم بالسويّة ، وأبصرهم بالقضيّة ، وقد سألت ربّي عزّ وجلّ أن تكوني أوّل من يلحقني من أهل بيتي .

وقال عليّ (عليه السلام) : لم تبق فاطمة بعده (صلى الله عليه وآله) إلاّ خمسة وسبعين يوماً حتّى ألحقها الله به (صلّى الله عليه وآله) .

يقول المؤلّف : نسب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) المهديّ (عليه السلام) إلى الحسنين (عليهما السلام) لأنّه من نسل الإمام الحسن (عليه السلام) من جهة الأمّ ، ذلك أنّ أمّ الإمام الباقر (عليه السلام) كانت ابنة الإمام الحسن (عليه السلام) ، ورويت بضعة أحاديث أخرى أنّه من نسل الإمام الحسين (عليه السلام) .

وروى الدارقطنيّ ـ وهو من مشاهير محدّثي العامّة ـ حديثاً طويلاً عن أبي سعيد الخدريّ ، وقال في آخره : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : ومنّا ـ والله الذي لا إله إلاّ

هو ـ مهديّ هذه الأمّة الذي يصلّي خلفه عيسى ابن مريم ، ثمّ ضرب بيده على منكب الحسين (عليه السلام) فقال : من هذا مهديّ هذه الأمّة .

وروى أبو نعيم أيضاً عن حذيفة وأبي أمامة الباهليّ أنّ المهديّ (عليه السلام) وجهه كأنّه كوكب دريّ ، في خدّه الأيمن خال أسود .

وعن عبد الرحمن بن عوف أنّه (عليه السلام) أفرق الثنايا ؛ وعن عبد الله بن عمير أنّه يخرج (عليه السلام) وعلى رأسه غمامة فيها مناد ينادي : هذا المهديّ خليفة الله فاتّبعوه ؛ وعن جابر بن عبد الله وأبي سعيد أنّ عيسى (عليه السلام) يصلّي خلف المهديّ (عليه السلام) .

وجمع صاحب (كفاية الطالب) محمّد بن يوسف الشافعيّ ـ وهو من علماء العامّة ـ كتاباً في باب ظهور المهديّ (عليه السلام) وصفاته وعلاماته يشتمل على خمسة وعشرين باباً ، وقال في أوّله : إنّي جمعت هذا الكتاب وعرّيته عن طرق الشيعة .

وعندي من (شرح السنّة) للحسين بن مسعود البغويّ ـ وهو من كتب العامّة المشهورة المعتبرة ـ نسخة قديمة كتبت فيها إجازات علمائهم ، وفيها خمسة أحاديث في أوصاف المهديّ عن صحاحهم .

وقد روى الحسين بن مسعود الفرّاء في (المصابيح) المتداول الآن بين العامّة خمسة أحاديث في خروج المهديّ (عليه السلام) .

ونقل بعض علماء الشيعة عن كتب العامّة المعتبرة مئة وستّة وخمسين حديثاً في هذا الباب ؛ كما روي في كتب الشيعة المعتبرة ما يزيد على ألف حديث في ولادة المهديّ (عليه السلام) وفي غيبته ، وأنّه الإمام الثاني عشر ، ومن نسل الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) ، وأكثر هذه الأحاديث مقرون بالإعجاز ، ذلك أنها تخبر بتسلسل الأئمّة (عليهم السلام) حتّى الإمام الثاني عشر ، وخفاء ولادته ، وأنّه (عليه السلام) ستكون له غيبتان ، الثانية أطول من الأولى ، وأنّه (عليه السلام) ستخفى ولادته مع سائر خصوصيّاته ، وجميع ذلك وقع بالترتيب ؛ ومن المعلوم أنّ الكتب المشتملة على هذه الأخبار صنّفت قبل ظهور هذه المراتب بسنين ، فهذه الأخبار ـ وبقطع النظر عن تواترها من جهات أخرى عديدة ـ تفيد العلم ، إضافة إلى ولادته (عليه السلام) واطّلاع جمع كبير على تلك الولادة ، ورؤية جماعة كثيرة له (عليه السلام) من ثقاة الأصحاب ، من حين ولادته وحتّى غيبته الكبرى ، وما بعدها معلوم ، فقد ذكر في الكتب المعتبرة للخاصّة والعامّة كما سيأتي بعد أن شاء الله تعالى .

وقد ذكر صاحب (الفصول المهمّة) و(مطالب السؤول) و(شواهد النبوّة) وابن خلّكان وكثير من المخالفين في كتبهم ولادة المهديّ (عليه السلام) مع سائر ما يختصّ به ممّا رواه الشيعة ، فكما أنّ ولادة آبائه الأطهار معلومة فولادته (عليه السلام) معلومة أيضاً ، وإنّ ما يستبعده المخالفون من طول غيبته (عليه السلام) وخفاء ولادته وطول عمره الشريف فهو غير ذي فائدة ، ذلك أنّ ما ثبت بالبراهين القاطعة لا يمكن نفيه بمجرّد الاستبعاد ، فقد أنكر كفّار قريش المعاد بمحض استبعادهم عودة الحياة إلى العظام بعد أن أضحت رميماً ، مع الكثير من أشباه ذلك ممّا وقع في الأممّ الغابرة ، ووردت فيه الأحاديث عند الخاصّة والعامّة ، فإنّ ما وقع في الأمم الغابرة يمكن وقوع ما يماثله في هذه الأمّة .

إلى أن قال : وقد اطّلع رهط كبير معروفة أسماؤهم على ولادته (عليه السلام) مثل السيّدة حكيمة ، والقابلة التي كانت جارة لهم في سرّ من رأى ، وبعد ولادته وحتّى وفاة الإمام العسكريّ (عليه السلام) دخل عليه جمع كبير ، والمعجزات التي ظهرت عند ولادته في أمّه السيّدة نرجس تفوق الحدّ والعدّ والحساب ؛ وقد وردت في (بحار الأنوار) و(جلاء العيون) ورسائل أخرى .

ذكر من تشرّف برؤيته (عليه السلام) وقصّة عليّ بن مهزيار

روى الشيخ الصدوق محمّد بن بابويه في (حقّ اليقين) بسند صحيح عن أحمد بن إسحاق أنّه قال :

دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ (عليهما السلام) وأنا أريد أن أسأله عن الخلف بعده فقال لي مبتدئاً : يا أحمد بن إسحاق ، إنّ الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم ، ولا تخلو إلى يوم القيامة من حجّة لله على خلقه ، به يدفع البلاء عن أهل الأرض ، وبه ينزل الغيث ، وبه يخرج بركات الأرض .

قال : فقلت : يا بن رسول الله ، فمن الإمام والخليفة بعدك ؟ فنهض (عليه السلام) فدخل البيت ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين فقال : يا أحمد بن إسحاق ، لولا كرامتك على الله وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا ؛ إنّه سمّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكنيّه ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يا أحمد بن إسحاق، مَثَله في هذه الأمّة مثل الخضر (عليه السلام)، ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبنّ غيبة لا ينجو فيها من التهلكة إلّا من يثبّته الله على القول بإمامته، ووفّقه للدعاء بتعجيل فرجه.

قال أحمد بن إسحاق : فقلت له : يا مولاي ، هل من علامة يطمئنّ إليها قلبي ؟ فنطق

الغلام (عليه السلام) بلسان عربيّ فصيح فقال : أنا بقيّة الله في أرضه ، والمنتقم من أعدائه ، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق .

قال أحمد بن إسحاق : فخرجت مسروراً فرحاً ، فلمّا كان من الغد عدت إليه فقلت له : يا بن رسول الله ، لقد عظم سروري بما أنعمت عليّ ، فما السنّة الجارية من الخضر وذي القرنين ؟ فقال : طول الغيبة يا أحمد فقلت يا بن رسول الله ، وإنّ غيبته لتطول ؟ فقال : إيّ وربيّ حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ، فلا يبقى إلاّ من أخذ الله عهده بولايتنا ، كتب في قلبه الإيمان ، وأيّده بروح منه .

يا أحمد بن إسحاق ، هذا أمر من الله ، وسرّ من سرّ الله ، وغيب من غيب الله ، فخذ ما آتيتك واكتمه ، وكن من الشاكرين تكن غداً رفيقنا في علّيّين .

وروى أيضاً عن يعقوب بن منفوس[١] أنّه قال :

دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ (عليهما السلام) وهو جالس على دكّان في الدار ، وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل ، فقلت له : سيّدي ، من صاحب هذ الأمر ؟ فقال : ارفع الستر ، فرفعته ، فخرج إلينا غلام خماسيّ[٢] له عشر أو ثمان أو نحو ذلك ، واضح الجبين ، أبيض الوجه ، درّيّ المقلتين ، شثن الكفّين ، معطوف الركبتين[٣] ، في خدّه الأيمن خال ، وفي رأسه ذؤابة ، فجلس على فخذ أبي محمّد (عليه السلام) فقال : هذا صاحبكم ، ثمّ وثب فقال له : يا بنيّ ، ادخل إلى الوقت المعلوم ، فدخل البيت وأنا أنظر إليه ، ثمّ قال لي : يا يعقوب ، انظر من في البيت ، فدخلت فما رأيت أحداً .

وروى أيضاً بسند صحيح عن محمّد بن معاوية ، ومحمّد بن أيوب ، ومحمّد بن عثمان العَمْريّ أنّهم قالوا :

عرض علينا أبو محمّد الحسن بن عليّ (عليهما السلام) ابنه ونحن في منزله ، وكنّا أربعين رجلاً ، فقال :

هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم ، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في دينكم ، أما إنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا .

---

(١) منقوش .

(٢) خماسيّ : عبّر عنها المؤلّف بقوله ما تعريبه : غلام قامته خمسة أشبار (المعرّب) .

(٣) معطوف الركبتين : أي مائلتين إلى قدّام لعظهما وغلظهما ، كما أنّ شثن الكفّين : غلظهما .

قالوا : فخرجنا من عنده ، فما مضت إلاّ أيّام قلائل حتّى مضى أبو محمّد (عليه السلام) .

قصّة عليّ بن مهزيار : و(حقّ اليقين) أيضاً ذكر الشيخ الصدوق ، والشيخ الطوسيّ ، والطبرسيّ وآخرون بأسناد صحيحه عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار ، والبعض عن عليّ بن إبراهيم بن مهزيار أنّه قال :

حججت عشرين حجّة لعلّي أفوز برؤية صاحب الأمر (عليه السلام) فلم يتيسّر لي ذلك ، وكنت ذات ليلة نائماً في مرقدي إذ رأيت في ما يرى النائم قائلاً يقول لي : يا بن مهزيار ، حجّ في هذه السّنة فإنّك تلقى صاحب زمانك .

فانتبهت فرحاً مسروراً ، فما زلت في صلاتي حتّى انفجر عمود الصبح وفرغت من صلاتي ، وخرجت أسأل عن الحاجّ فوجدت رفقة تريد الخروج ، فبادرت مع أوّل من خرج أريد الكوفة ، فلمّا وافيتها جعلت أسأل عن الخبر وأقفو الأثر ، فلا خبراً سمعت ، ولا أثراً وجدت ، فلم أزل كذلك إلى أن خرجت حتّى وافيت مكّة ، فما زلت بين الإياس والرجاء متفكّراً في أمري ، وعاتباً على نفسي ، وقد جنّ الليل وأردت أن يخلو لي وجه الكعبة لأطوف بها ، وأسأل الله أن يعرّفني أملي فيها .

فبينا أنا كذلك وقد خلا لي وجه الكعبة إذ قمت إلى الطواف ، فإذا أنا بفتى مليح الوجه طيّب الرَّوْح ، متّزر ببردة ، متّشح بأخرى ، وقد عطف بردائه على عاتقه ، فلمّا دنوت منه التفت إليّ فقال : ممّن الرجل ؟ فقلت : من الأهواز ، فقال : أتعرف بها ابن الخضيب ؟ فقلت : رحمه الله ، دُعي فأجاب ، فقال : رحمه الله ، فلقد كان بالنهار صائماً ، وبالليل قائماً وللقرآن تالياً ، ولنا موالياً .

ثمّ قال : أتعرف بها عليّ بن مهزيار ؟ فقلت : أنا عليّ بن مهزيار ، فقال : أهلاً وسهلاً بك يا أبا الحسن ، ما فعلت العلامة التي بينك وبين أبي محمّد (عليه السلام) ؟ فقلت : معي ، قال : أخرجها إليّ ، فأخرجت إليه خاتماً حسناً على فصّه « محمّد وعليّ » (وبرواية أخرى : « كانت كتابته : يا الله يا محمّد ، يا عليّ ») ، فلمّا رآه بكى بكاء طويلاً حتّى بلّ أطماره ، ثمّ قال : رحمك الله يا أبا محمّد ، فقد كنت إماماً عادلاً ابن أئمّة أبا إمام ، أسكنك الله الفردوس الأعلى مع آبائك .

ثمّ قال : أخبرني عمّا توخّيت بعد الحج ، قلت : أردت ابن أبي محمّد (عليه السلام) ، قال : قد بلغت ما أردت ، وأنا رسوله إليك ، فصر إلى رحلك وكن على أهبة السفر ، حتّى إذا ذهب الثلث من الليل وبقي الثلثان فالحق بنا إلى شعب بني عامر ، فإنّك ترى مناك .

قال ابن مهزيار : فانصرفت إلى رحلي أطيل الفكر ، حتّى إذا هجم الوقت قمت إلى رحلي فأصلحته ، وقدّمت راحلتي فحمّلتها ، وصرت في متنها حتّى لحقت الشعب ، فإذا أنا بالفتى هناك يقول : أهلاً وسهلاً يا أبا الحسن ، طوبى لك فقد أُذن لك .

فسار وسرت بسيره حتّى جاز بي عرفات ومنى ، وصرت في أسفل ذروة الطائف فقال لي : يا أبا الحسن ، انزل وخذ في أهبة الصلاة ، فنزل ونزلت ، حتّى إذا فرغ من صلاته وفرغت قال لي : خذ في صلاة الفجر وأوجز ، فأوجزت فيها ، وسلّم وعفّر وجهه في التراب ، ثمّ ركب وأمرني بالركوب ، ثمّ سار وسرت بسيره حتّى علا الذروة ، فقال : المح ، هل ترى شيئاً ؟ فلمحت فرأيت بقعة نزهة كثيرة العشب والكلأ ، فقلت : يا سيّدي ، أرى بقعة كثيرة العشب والكلأ ، فقال لي : هل في أعلاها شيء ؟ فلمحت فإذا أنا بكثيب رمل فوقه بيت من شعر يتوقّد نوراً ، فقال لي : هل رأيت شيئاً ؟ فقلت : أرى كذا وكذا ، فقال لي : يا بن مهزيار ، طب نفساً وقرّ عيناً ، فإنّ هناك أمل كلّ مؤمّل .

ثمّ قال لي : انطلق بنا ، فسار وسرت حتّى جزنا الذروة ، ثمّ قال لي : انزل فههنا يذلّ كلّ صعب ، فنزل ونزلت حتّى قال لي : يا بن مهزيار ، خلّ عن زمام الراحلة ، فقلت : على من أخلّفها وليس ههنا أحد ؟ فقال : إنّ هذا حرم لا يدخله إلاّ وليّ ، ولا يخرج منه إلاّ وليّ ، فخلّيت عن الراحلة ، وسار وسرت معه ، فلمّا دنا من الخباء سبقني وقال لي : هناك ، إلى أن يؤذن لك ، فما كان إلاّ هنيئة فخرج إليّ وهو يقول : طوبى لك فقد أُعطيت سؤلك .

قال : فدخلت عليه صلوات الله عليه وهو جالس على نمط عليه نطعُ أدمٍ أحمر ، متّكىءٌ على مسوّرة أدم فسلّمت فردّ عليّ السلام ، ولمحته فرأيت وجهاً مثل فلقة قمر ، لا بالخرق ولا بالنزق ، ولا بالطويل الشامخ ولا بالقصير اللاصق ، ممدود القامة ، صلت الجبين ، أزجّ الحاجبين ، أدعج العينين ، أقنى الأنف ، سهل الخدّين ، على خدّه الأيمن خال كأنّه فتاتة مسك على بياض الفضّة ، فإذا برأسه وفرة سحماء سبطة تطال شحمة أذنه ، وكأنّ صفحة غرّته كوكب دُرّي ، له سمت ما رأت العيون أقصد منه ، ولا أعرف حسناً وسكينة وحياء .

ثمّ سألني عن إخواني متقدّمهم ومتأخرهم ، فقلت : بأبي أنت وأمّي ، إنّهم في ضنك عيش وهناة ، قد ألبسوا جلباب الذلّة بين القوم ، فقال : قاتلهم الله أنّى يؤفكون ، كأنّي بالقوم وقد قتلوا في ديارهم ، وأخذهم أمر ربّهم ليلاً أو نهاراً ، يا بن مهزيار ، لتملكونهم كما ملكوكم وهم يومئذ أذلاّء .

ثمّ قال : إنّ أبي (صلّى الله عليه) عهد إليّ أن لا أوطّن من الأرض إلاّ أخفاها وأقصاها ، إسراراً لأمري ، وتحيناً لمحلّي من مكائد أهل الضلال ، والمردة من أحداث الأمم الضوالّ ، حتّى يأذن الله تعالى لي بالظهور .

وقال لي أبي صلوات الله عليه : يا بنيّ ، إنّ الله جلّ ثناؤه لم يكن ليخلّي أطباق أرضه ، وأهل الجدّ في طاعته وعبادته بلا حجّة يُستعلى بها ، وإمام يؤتمّ به ، ويقتدى بسبل سنّته ومنهاج قصده ، وأرجو يا بنيّ أن تكون أحد من أعدّه الله لنشر الحقّ وطيّ الباطل ، وإعلاء الدين وإطفاء الضلال ، فعليك يا بنيّ بلزوم خوافي الأرض ، وتتبّع أقاصيها ، فلا يوحشنّك ذلك ، واعلم أنّ قلوب أهل الطاعة والإخلاص نزّع إليك مثل الطير إذا أمّت أوكارها ، وهم معشر يطلعون بمخائل الذلّة والاستكانة ، وهم عند الله بررة أعزّاء ، يبرزون بأنفس مختلّة محتاجة ، وهم أهل القناعة والاعتصام استنبطوا الدين فوازروه على مجاهدة الأضداد ، خصّهم الله تعالى باحتمال الضيم ليشملهم بالعزّ في دار القرار ، وجبلهم على خلائق الصبر لتكون لهم العاقبة الحسنى ، وكرامة حسن العقبى .

فاقتبس يا بنيّ نور الصبر على موارد أمورك تفز بدرك الصنع في مصادرها ، واستشعر العزّ في ما ينوبك تحظ بما تحمد عليه إن شاء الله .

فكأنّك يا بنيّ بتأييد نصر الله قد آن ، وتيسير الفلح وعلوّ الكعب قد حان ، وكأنّك بالرايات الصفر والأعلام البيض تخفق على أثناء أعطافك ما بين الحطيم وزمزم ، وكأنّك بترادف البيعة وتصافي الولاء يتناظم عليك تناظم الدرّ في مثاني العقود ، وتصافق الأكفّ على جنبات الحجر الأسود ، تلوذ بفنائك ، من ملأ برأهم الله من طهارة الولاء ونفاسة التربة ، مقدّسة قلوبهم من دنس النفاق ، مهذّبة أفئدتهم من رجس الشقاق ، ليّنة عرائكهم للدين ، خشنة ضرائبهم عن العدوان ، واضحة بالقبول أوجههم ، نضرة بالفضل عيدانهم ، يدينون بدين الحقّ وأهله ، فعندها يتلألأ صبح الحقّ ، وينجلي ظلام الباطل ، ويقصم الله بك الطغيان ، ويعيد معالم الإيمان ، تهتزّ بك أطراف الدنيا بهجة ، وتووب شوارد الدين إلى أوكارها ، تتهاطل عليك سحائب الظفر ، وتهتزّ بك أغصان العزّ نضرة ، إنّ الله بالغ أمره .

قال : ثمّ قال (عليه السلام) : ليكن مجلسي هذا عندك مكتوماً إلاّ عن أهل الصدق والأخوّة الصادقة في الدين .

قال ابن مهزيار : فمكثت عنده حيناً أقتبس ما أورى من موضحات الأعلام ونيّرات الأحكام ، ثم استأذنته في القفول لتراخي اللقاء عمّن خلّفت بالأهواز فأذن لي .

فلمّا ازف ارتحالي عرضت عليه مالاً كان معي يزيد على خمسين ألف درهم ، وسألته أن يتفضّل بالأمر بقبوله منّي ، فابتسم وقال : استعن به على منصرفك ، فإنّ الشقّة أمامك بعيدة ، ثمّ دعا لي من صالح دعائه ؛ وقفلت عنه راجعاً .

والحكايات والأخبار في هذا الباب كثيرة .

الفصل الرابع

في ذكر المعجزات التي صدرت عن امام الزمان (عليه السلام) في الغيبة الصغرى

إعلم أنّ ما ذكر من المعجزات التي صدرت عن القائم (عليه السلام) في أيّام غيبته الصغرى وإبّان اختلاف النوّاب والسفراء إليه كثير ، وحيث لا يتّسع هذا الكتاب للبسط في ذلك فإنّنا نكتفي منها باليسير .

الأولى : روى الشيخ الكلينيّ والقطب الراونديّ عن رجل من أهل المدائن أنّه قال :

كنت مع رفيق لي حاجّاً فإذا شابّ قاعد عليه إزار ورداء ، فقوّمناهما مئة وخمسين ديناراً ، وفي رجله نعل صفراء ما عليها غبار ولا أثر السفر ، فدنا منه سائل فتناول من الأرض فأعطاه ، فأكثر السائل الدعاء ، وقام الشابّ وذهب وغاب .

فدنونا من السائل فقلنا : ما أعطاك ؟ قال : آتاني حصاة من ذهب ، قدّرناها عشرين مثقالاً ، فقلت لصاحبي : مولانا معنا ولا نعرفه ؟ اذهب بنا في طلبه ، فطلبنا الموقف كلّه فلم نقدر عليه ، فرجعنا وسألنا عنه من كان حوله فقالوا : شابّ علويّ من المدينة يحجّ في كلّ سنة ماشياً .

الثانية : روى القطب الراونديّ في (الخرائج) عن الحسن المسترقّ أنّه قال :

كنت يوماً في مجلس الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة فتذاكرنا أمر الناحية[1] ، وكنت أزري عليها ، إلى أن حضر المجلس عمّي الحسين يوماً فأخذت أتكلّم في ذلك ، فقال : يا بنيّ ، قد كنت أقول بمقالتك هذه إلى أن ندبت لولاية قمّ حين استصعبَتْ على

---

(١) لا يخفى أن المارد بالناحية كلّما ذكرت الإشارة إلى حيث تخرج تواقيعه (عليه السلام) .

السلطان ، وكان كلّ من ورد إليها من جهة السلطان يحاربه أهلهـا ، فسُلّم إليّ جيش وخرجت نحوها .

فلمّا بلغت إلى ناحية « طرز » خرجت إلى الصيد ففاتتني طريدة فأتبعتها وأوغلت في أثرها حتّى بلغت إلى نهر فسرت فيه ، وكلّما أسير يتّسع النهر ، فبينما أنا كذلك إذ طلع عليّ فارس تحته شهباء ، وهو متعمّم بعمامة خزّ خضراء ، لا يرى منه سوى عينيه ، وفي رجله خفّان أحمـران ، فقال لي : يا حسين ، فلا هو أمّرني ولا كنّـاني[1] ، فقلت : ماذا تـريد ؟ قـال : لِمَ تزري عـلى الناحية ، ولِمَ تمنع أصحابي خمس مالك ؟ وكنتُ الرجل الـوقور الـذي لا يخاف شيئـاً فأرعـدت وتهيّبته ، وقلت له : أفعل يا سيّـدي ما تـأمر بـه ، فقال : إذا مضيت إلى المـوضع الـذي أنت متـوجّه إليـه فدخلتـه عفواً ، وكسبت مـا تكسب فيه ، تحمـل خمسـه إلى مستحقّـه ، فقلت : السمـع والطاعـة ، فقال : امض راشـداً ، ولوى عنـان دابّتـه وانصرف ، فلم أدر أيّ طـريق سلك ، وطلبته يميناً وشمالاً فخفي عليّ أمره ، وازددت رعباً ، وانكفأت راجعاً إلى عسكري ، وتناسيت الحديث .

فلمّا بلغت قمّ ـ وعندي أنّي أريد محاربة القوم ـ خرج إليّ أهلها وقالـوا : كنّا نحـارب من يجيئنا بخلافهم لنـا ، فأمّـا إذا وافيت أنت فلا خـلاف بيننا وبينـك ، ادخل البلد فـدبّرهـا كما ترى .

فأقمت فيها زمـاناً ، وكسبت أمـوالاً زائدة عـلى ما كنت أتـوقّع ، ثمّ وشى القـوّاد بي إلى السلطان ، وحسدت على طول مقامي وكثرة ما اكتسبت ، فعزلت ورجعت إلى بغداد .

فـابتدأت بـدار السلطان وسلّمت ، وأقبلت إلى منزلي ، وجـاءني فيمن جاءني محمّـد بن عثمان العمريّ ، فتخطّى الناس حتّى اتّكأ على تكأتي ، فاغتظت من ذلك ، ولم يـزل قاعـداً ما يـبرح والناس داخلون وخـارجون ، وأنـا أزداد غيظاً ، فلمّا تصرّم المجلس دنـا إليّ وقال : بيني وبينـك سرّ فاسمعـه ، فقلت : قل ، فقـال : صاحب الشهبـاء والنهر يقـول : قـد وفينـا بمـا وعدنا !

فذكرت الحديث وارتعت من ذلك وقلت : السمـع والطاعـة ، فقمت فأخـذت بيده ، ففتحت الخـزائن ، فلم يزل يخمّسهـا إلى أن خمّس شيئاً كنت قـد أنسيته ممّـا كنت قـد جمعتـه ، وانصرف ، ولم أشكّ بعد ذلك ، وتحقّقت الأمر .

---

[1] أي : لم يقل لي : أيّها الأمير ، ولا يا أبا عبد الله ، تعظيماً وتوقيراً ، بل سمّاني باسمي وقـال : يا حسـين ، تحقيراً !

قـال الحسن ناصر الـدولة : وأنـا منذ سمعت هـذا من عمّي أبي عبـد الله زال مـا كـان اعترضني من شكّ .

الثالثة : روى الشيخ الطوسيّ وآخـرون أنّ علـيّ بن بـابـويـه بعث مـع أبي القـاسم الحسين بن روح رضي الله عنه بقعة إلى الصاحب (عليه السلام) يسـأله فيهـا الولـد ، فكتب إليه : قد دعونا الله لك بذلك ، وسترزق ولدين ذكرين خـيّرين ؛ فولـد له محمّد والحسين من أمّ ولد ، وقد ترك محمّد تصـانيف كثيرة منهـا كتاب (من لا يحضره الفقيـه) ، وأعقب الحسين نسـلاً كثيراً من المحـدّثين ، وكـان محمّـد يفخـر ويقـول : أنـا ولـدت بـدعـوة صـاحب الأمـر (عليـه السلام) ؛ وكـان أساتـذته إذا قـرّظوه يقـولون : يحق لمن ولـد بدعـوة صـاحب الأمـر (عليه السلام) أن يكون كذلك .

الرابعة : روى الشيخ الطوسيّ عن رشيق أنّه قال :

بعث إلينا المعتضد ـ ونحن ثلاثة نفر ـ فأمـرنا أن يـركب كلّ واحـد منّا فـرساً ويجنب[١] آخر، ونخرج مخفّفين لا يكون معنا قليل ولا كثير، وقال لنا، إلحقوا بسـامّرة، ووصف لنـا محلّةً وداراً وقال: إذا أتيتموها برأسه .

فوافينا سامّرة فوجدنا الأمر كما وصفه ، وفي الدهليز خادم أسود وفي يده تكّة ينسجهـا ، فسـألناه عن الـدار ومن فيها ، فقـال : صاحبهـا ، فوالله مـا التفت إلينا ، وقـلّ اكتراثـه بنا ، فكبسنا الدار كما أمرنا فوجدنا داراً سريّة ، ومقابل الدار ستر ما نظرت قطّ إلى أنبـل منه ، كـأنّ الأيدي رفعت عنه في ذلك الوقت ، ولم يكن في الدار أحد .

فرفعنا الستر فإذا بيت كبير كأنّ بحـراً فيه ، وفي أقصى حصـير قد علمنـا أنه عـلى الماء ، وفـوقه رجـل من أحسن الناس هيئـة قائم يصـلّي ، فلم يلتفتْ إلينا ولا إلى شيء من أسبـابنا ، فسبق أحمد بن عبد الله ليتخطّى البيت فغرق في الماء ، وما زال يضطرب حتّى مددت يدي إليه فخلّصته ، وأخرجته فغشي عليه ساعة ، وعاد صاحبي الثاني إلى فعل ذلـك الفعل فنـاله مثـل ذلك ، وبقيت مبهوتاً .

فقلت لصاحب البيت : المعذرة إلى الله وإليـك ، فوالله مـا علمت كيف الخبر ، ولا إلى من أجيء ، وأنا تائب إلى الله ، فما التفت إلى شيء ممّا قلنا ، وما انفتـل عمّا كـان فيه ، فهـالـنا ذلك وانصرفنا عنه .

وقد كان المعتضد ينتظرنا ، وقد تقدّم إلى الحجّاب إذا وافيناه أن ندخل عليه في أيّ وقت

---

(١) يجنب آخر : يقود إلى جنبه فرساً آخرون راكب .

كان ؛ فوافيناه في بعض الليل فأدخلنا عليه ، فسألنا عن الخبر فحكينا له ما رأينا ، فقال : ويحكم ، لقيكم أحد قبلي ، وجرى منكم إلى أحد سبب أو قول ؟ قلنا : لا ،فحلف بأشدّ الأيمان أنّه إنّ بلغه هذا الخبر ليضربنّ أعناقنا ، فما جسرنا أن نحدّث به إلاّ بعد موته .

الخامسة : روى محمّد بن يعقوب الكليني عن بعض جلاوزة السواد أنّه قال : شهدت نسيماً غلام الخليفة بسرّ من رأى وقد كسر باب دار الإمام العسكريّ (عليه السلام) بعد وفاته ، فخرج إليه صاحب الأمر (عليه السلام) وبيده طبرزين فقال : ما تصنع في داري ؟ فأرعد نسيم وقال : إنّ جعفراً (الكذّاب) زعم أنّ أباك مضى ولا ولد له ، فإن كانت دارك فقد انصرفت عنك ؛ وخرج من الدار .

قال الراوي عليّ بن قيس : فقدم علينا غلام من خدّام الدار فسألته عن هذا الخبر ، فقال : من حدّثك بهذا ؟ قلت : حدّثني بعض جلاوزة السواد ، فقال لي : لا يكاد يخفى على الناس شيء !!

السادسة : روى الشيخ ابن بابويه وآخرون أن أحمد بن إسحاق ـ وكان من وكلاء الإمام العسكريّ (عليه السلام) ـ صحب سعد بن عبد الله ـ وكان من ثقاة الأصحاب إلى لقاء أبي محمّد (عليه السلام) لسؤاله عن بعض المعاضل والمسائل ؛ قال سعد بن عبد الله :

وردنا سرّ من رأى فانتهينا منها إلى باب سيّدنا (عليه السلام) طلب أحمد الإذن بدخولنا فأذن لنا ، وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطّاه بكساء طبريّ فيه ستّون ومئة صرّة من الدنانير والدراهم ، على كلّ صرّة منها ختم صاحبها .

فدخلنا على مولانا وعلى فخذه الأيمن غلام يناسب المشتري في الخلقة والمنظر ، وعلى رأسه فرق بين وفرتين كأنّه ألف بين واوين ، وبين يدي مولانا رمّانة ذهبيّة تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب الفصوص المركّبة عليها ، قد كان أهداها إليها بعض رؤساء البصرة ، وبيده قلم إذا أراد أن يسطّر به على البياض قبض الغلام على أصابعه ، فكان مولانا (عليه السلام) يدحرج الرمّانة بين يديه ويشغله بردّها لئلاّ يصدّه عن الكتابة .

ولمّا أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طيّ كسائه فوضعه بين يديه نظر الإمام (عليه السلام) إلى الغلام وقال له : يا بنيّ ، فضّ الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك ، فقال : يا مولاي ، أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة قد شيب أحلّها بأحرمها ؟ فقال مولاي (عليه السلام) : يا بن إسحاق ، استخرج ما في الجراب ليميّز ما بين الأحلّ والأحرم منها .

فأوّل صرّة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام : هذه لفلان ابن فلان من محلّة كذا بقمّ ،

تشتمل على اثنين وستينَ ديناراً : فيها من ثمن حجيرة باعها صاحبها وكانت إرثـاً له من أخيـه خمسة وأربعون دينـاراً ، ومن أثمان تسعـة أثواب أربعـة عشر ديناراً ، وفيهـا من أجرة حـوانيت ثلاثة دنانير .

فقال مولانـا (عليه السـلام) : صدقت يـا نبيّ ، دلّ الرجـل على الحـرام منها ، فقـال (عليـه السلام) : فتّش عن دينـار رازيّ[1] السكّة ، تـاريخه سنـة كذا قـد انطمس من نصف إحدى صفحتيه نقشـه ، وقراضـة آمليّة (أي دينـار مقروض منـه قراضـة) وزنها ربع دينـار ، والعلّة في تحريمها (الـدينارين) أنّ صـاحب هذه الجملة وزن في شهـر كذا من سنـة كذا عـلى حائك من جيرانه مَنّاً وربع مَنٍّ من الغزل ، فأتت على ذلك مدّة قُيّض في انتهائها لذلـك الغزل سارق، فأخبر به الحائك صاحبه فكذّبه، واستردّ منه بدل ذلك مَنّاً ونصف مَنٍّ غزلاً أدقّ ممّا كان دفعه إليه، واتّخذ من ذلك ثوباً كان هذا الدينار مع القراضة ثمنه .

فلمّا فتـح (أحمد) رأس الصرّة صـادف رقعة في وسط الـدنانـير بـاسم من أخـبر عنـه ، وبمقدارها على حسب ما قـال ، واستخرج الـدينار والقـراضة بتلك العـلامة (أي : استـردّهما وسلّم الباقي) .

ثمّ أخرج صرّة أخرى فقال الغلام (عليه السلام) : هذه لفلان ابن فـلان من محلّة كذا بقمّ تشتمـل على خمسـين ديناراً لا يحـلّ لنا مسّهـا ، قال : وكيف ذلـك ؟ قـال : لأنّها من ثمن حنطة حاف صاحبها على أكّاره في المقاسمة ، وذلك أنّه قبض حصّته منها بكيل وافٍ ، وكال ما خصّ الأكّار بكيل نجس ، فقال مولانا (عليه السلام) : صدقت يا بنيّ .

ثمّ قال : يا بن إسحاق ، احملها بأجمعها لتردّها أو توصي بردّها على أربابها ، فلا حاجـة لنا في شيء منها .

ولمّا أراد سعد بن عبد الله أن يسأل عن مسائله قال له أبو محمّـد (عليه السـلام) : سل قرّة عيني ـ وأومأ إلى الغلام ـ عمّا بدا لك منها ، فسأله عمّا أراد وتلقّى أجوبته الشافيه ، كما ذكره (عليه السلام) ببعضها ممّا أنسيه وأجابه عنها .

(والحديث طويل ، وقد أوردناه في سائر الكتب) .

السابعة : روى الشيخ الكلينيّ وابن بابويه وآخـرون رحمة الله عليهم بـأسناد معتـبرة عن غانم الهندي أنّه قال :

كنت بمدينة الهند المعروفـة بقشمير الـداخلة وأصحاب لي يقعـدون على كـراسيّ عن يمين

---

(١) رازيّ السكّة : نسبة إلى الريّ .

الملك ، أربعون رجلاً كلّهم يقرأ الكتب الأربعة : التوراة والإنجيل ، والزبور وصحف إبراهيم، نقضي بين الناس، ونفقّههم في دينهم ونفتيهم في حلالهم وحرامهم، يفزع الناس إلينا، الملك فمن دونه .

فتجارينا ذكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقلنا : هذا النبيّ المذكور في الكتب قد خفي علينا أمره ، ويجب علينا الفحص عنه وطلب أثره ، واتّفق رأينا وتوافقنا على أن أخرج فأرتاد لهم .

فخرجت ومعي مال جليل ، فسرت اثني عشر شهراً حتّى قربت من كابل ، فعرض لي قوم من الترك فقطعوا عليّ وأخذوا مالي ، وجرحت جراحات شديدة ، ودُفعت إلى مدينة كابل، فأنفذني ملكها لمّا وقف على خبري إلى مدينة بلخ إذ ذاك داود بن العبّاس، فبلغه خبري وأنّي خرجت مرتاداً من الهند ، وتعلّمت الفارسيّة وناظرت الفقهاء وأصحاب الكلام ، فأرسل إليّ فأحضرني مجلسه ، وجمع عليّ الفقهاء فناظروني ، فأعلمتهم أنّي خرجت من بلدي أطلب هذا النبيّ الذي وجدته في الكتب ، فقال لي : من هو ، وما اسمه ؟ فقلت : محمّد ، فقال : هو نبيّنا الذي تطلب ، فسألتهم عن شرائعه فأعلموني ، فقلت لهم : أنا أعلم أنّ محمّداً نبيّ ، ولا أعلمه أهو الذي تصفون أم لا ، فأعلموني موضعه لأقصده فأسائله عن علامات عندي ودلالات ، فإن كان صاحبي الذي طلبت آمنت به ، فقالوا : قد مضى ، فقلت : فمن وصيّه وخليفته ؟ فقالوا : أبو بكر ، قلت : فسمّوه لي فإنّ هذه كنيته ، قالوا : عبد الله بن عثمان ونسبوه إلى قريش ، قلت : فانسبوا لي محمّداً نبيّكم ، فنسبوه لي فقلت : ليس هذا صاحبي الذي طلبت ، صاحبي الذي أطلبه خليفته أخوه في الدين ، وابن عمّه في النسب ، وزوج ابنته ، وأبو ولده ، ليس لهذا النبيّ ذرّيّة على الأرض غير ولد هذا الرجل الذي هو خليفته .

فلمّا سمع الفقهاء مقالتي وثبوا وقالوا : أيّها الأمير ، إنّ هذا قد خرج من الشرك إلى الكفر ، هذا حلال الدم .

فقلت لهم : يا قوم ، أنا رجل معي دين متمسّك به لا أفارقه حتّى أرى ما هو أقوى منه ، إنّي وجدت صفة هذا الرجل في الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ، وإنّما خرجت من بلاد الهند ومن العزّ الذي كنت فيه طلباً له ، فلمّا فحصت عن أمر صاحبكم الذي ذكرتم لم يكن النبيّ الموصوف في الكتب ، فكفّوا عنّي .

وبعث العامل إلى رجل يقال له : الحسين بن إسكيب[1] ، فدعاه وقال له : ناظر هذا

(١) كان الحسين بن إسكيب من أصحاب الإمام العسكريّ (عليه السلام) .

الرجل الهنديّ ، فقال له الحسين : أصلحك الله ، إنّ عندك الفقهاء والعلماء وهم أعلم وأبصر بمناظرته ، فقال له : ناظره كما أقول لك ، واخل به والطف له .

فقال لي الحسين بن إسكيب بعدما فاوضته : إنّ صاحبك الذي تطلبه هو النبيّ الذي وصفه هؤلاء ، وليس الأمر في خليفته كما قالوا : هذا النبيّ محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب ، ووصيّه عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب ، وهو زوج فاطمة بنت محمّد ، وأبو الحسن والحسين سبطي محمّد (صلّى الله عليه وآله) .

قال غانم : فقلت : الله أكبر ، هذا الذي طلبت ، فانصرفت إلى داود بن العبّاس فقلت له : أيّها الأمير ، وجدت ما طلبت ، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ؛ فبرّني ووصلني ، وقال للحسين : تفقّده ، فمضيت إليه حتّى أنست به ، وفقّهني في ما احتجت إليه من الصلاة والصيام والفرائض .

قلت للحسين: إنّا نقرأ في كتبنا أنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله) خاتم النبيّين، لا نبيّ بعده ، وأنّ الأمر من بعده إلى وصيّه ووارثه وخليفته من بعده ، ثمّ إلى الوصيّ بعد الوصيّ ، لا يزال أمر الله جارياً في أعقابهم حتّى تنقضي الدنيا ، فمن وصيٌ وصيٍ محمّد (صلّى الله عليه وآله) قال : الحسن ثم الحسين ابنا محمّد (صلّى الله عليه وآله) ، ثمّ ساق الأمر في الوصيّة حتّى انتهى إلى صاحب الزمان (عليه السلام) ، ثمّ أعلمني ما حدث ، فلم يكن لي همّة إلّا طلب الناحية .

قال الراوي : فوافى غانم قمّ ، وقعد مع أصحابنا سنة أربع وستّين ومئتين حتّى وافى بغداد ومعه رفيق له من أهل السند كان صحبه على المذهب ، قال غانم :

وأنكرت من رفيقي بعض أخلاقه فهجرته ، وخرجت حتّى سرت إلى العبّاسيّة أتهيّأ للصلاة ، وإنّي لواقف متفكّر في ما قصدت لطلبه إذا أنا بآت قد أتاني فقال : أنت فلان (دعاني باسمي الذي يدعونني به بالهند) ، فقلت : نعم ، فقال : أجب مولاك .

فمضيت معه فلم يزل يتخلّل بي الطرق حتّى أتى داراً وبستاناً فإذا أنا به (عليه السلام) جالس ، فقال بالهنديّة : مرحباً يا فلان ، كيف حالك ؟ وكيف خلّفت فلاناً وفلاناً ، حتّى عدّ الأربعين كلّهم فساءلني عنهم واحداً واحداً ، ثم أخبرني بما تجارينا ، كلّ ذلك بكلام الهند ، ثمّ قال : أردت أن تحجّ مع أهل قمّ ؟ قلت : نعم يا سيّدي ، فقال : لا تحجّ معهم ، وانصرف سنتك هذه وحجّ في قابل ، ثمّ ألقى إليّ صرّة كانت بين يديه ، فقال لي : اجعلها نفقتك ، ولا تدخل ببغداد إلى فلان ، وسمّاه لي ، ولا تطلعه على شيء .

قال الراوي : فانصرف غانم ولم يحجّ ، وقد جاء من أخبر أن الحاجّ في تلك السنة

انصرفوا من العقبة ولم يقض لهم الحجّ ، ومعلوم أنّه (عليه السلام) أمره أن لا يحجّ في سنته تلك ، فانصرف إلى خراسان ، فأقام بها مدّة ، ثمّ مات رحمه الله .

الثامنة : روى القطب الراونديّ عن جعفر بن محمّد بن قولويه أستاذ الشيخ المفيد (ره) أنّه قال :

لمّا خرّب القرامطة ـ أعني الإسماعيلة الملاحدة ـ الكعبة وجاؤوا بالحجر الأسود إلى الكوفة فنصبوه في مسجدها ، وأرادوا سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة أن يردّوه إلى مكانه من البيت ـ وكان ذلك في أوائل الغيبة الكبرى ـ كان أكبر همّي : من ينصب الحجر الأسود ؟ لأنّه ورد في الأحاديث الصحيحة أنّه لا ينصب الحجر الأسود في مكانه إلاّ الحجّة صاحب الزمان ، كما جرى قبل البعثة عندما خرّب السيل الكعبة فنصبه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وفي زمان الحجّاج إذ خرّب الكعبة فوق رأس عبد الله بن الزبير ، أرادوا إعادة نصب الحجر فلم يستقرّ حتّى وضعه الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مكانه فاستقر :

لهذا خرجت حاجّاً في تلك السنّة ، فلمّا وصلت بغداد اعتللت علّة صعبة خفت منها على نفسي ، ولم يتهيّأ لي ما قصدته ، فاستنبت المعروف بابن هشام ، وأعطيته رقعة مختومة أسأل فيها عن مدّة عمري ، وهل تكون الموتة في هذه العلّة أمّ لا ؟ وقلت له : همّي إيصال هذه الرقعة إلى واضع الحجر في مكانه ، وأخذ جوابه ، وإنّما أندبك لهذا .

قال ابن هشام : لمّا حصلت بمكّة ، وعُزم على إعادة الحجر بذلت لسدنة البيت جملة تمكّنت معها من الكون بحيث أرى واضع الحجر في مكانه ، فأقمت معي منهم من يمنع عنّي ازدحام الناس ، فكلّما عمد إنسان لوضعه اضطرب ولم يستقم ، فأقبل غلام أسمر اللون حسن الوجه فتناوله ووضعه في مكانه فاستقام كأنّه لم يزل عنه ، وعلت لذلك الأصوات ، فانصرف خارجاً من الباب ، فنهضت من مكاني أتبعه ، وأدفع الناس عنّي يميناً وشمالاً حتّى ظُنّ بي الاختلاط في العقل ، والناس يفرجون لي ، وعيني لا تفارقه حتّى انقطع عن الناس فكنت أسرع الشدّ خلفه وهو يمشي على تؤدة السير ولا أدركه .

فلمّا حصل بحيث لا أحد يراه غيري وقف ، والتفت إليّ فقال : هات ما معك ، فناولته الرقعة ومن غير أن ينظر إليها : قال : قل له : لا خوف عليك في هذه العلّة ، ويكون ما لا بدّ منه بعد ثلاثين سنة .

قال : فوقع عليّ الخوف حتّى لم أطق حراكاً ، وتركني وانصرف .

فلمّا بلغ ابن قولويه ما جرى ازداد يقيناً ، وعاش حتّى كان سنة سبع وستّين وثلاثمئة اعتلّ ، وأخذ ينظر في أمره وتحصيل جهازه إلى قبره ، فكتب وصيّته واستعمل الجدّ في ذلك ،

فقيل له : ما هذا الخوف ؟ ونرجو أن يتفضّل الله بالسلامة ، فما عليك بمخوفة ، فقال : هذه السنة التي خُوّفت فيها ، فمات في علّته ، وألحقه الله بمواليه الأطهار في دار القرار .

التاسعة : روى الشيخ ابن بابويه عن أحمد بن فارس الأديب أنّه قال :

قدمت إلى همدان فوجدت أهلها على المذهب السنيّ ، غير ناس يعرفون ببني راشد ، وهم كلّهم يتشيّعون ، ومذهبهم مذهب أهل الإمامة ؛ فسألت عن سبب تشيّعهم بين أهل همدان فقال لي شيخ منهم رأيت فيه صلاحاً وسمتاً : إنّ سبب ذلك أنّ جدّنا الذي ننسب إليه خرج حاجّاً فقال :

لمّا صدرنا من الحجّ وسرنا منازل في البادية نشطت في النزول والمشي ، فمشيت طويلاً حتّى أعييت وتعبت ، وقلت في نفسي : أنام نومة تريحني ، فإذا جاء أواخر القافلة قمت ؛ فما انتبهت إلّا بحرّ الشمس ، ولم أر أحداً فاستوحشت ، ولم أر طريقاً ولا أثراً ، فتوكّلت على الله عزّ وجلّ وقلت : أسير حيث وجّهني .

فمشيت غير طويل فوقعت في أرض خضراء نضرة كأنّها قريبة عهد بغيث ، وإذا تربتها أطيب تربة ، ونظرت في سواء تلك الأرض إلى قصر يلوح فقصدته ، فلمّا بلغت الباب رأيت خادمين أبيضين ، فسلّمت عليهما فردّا عليّ ردّاً جميلاً ، وقالا : اجلس فقد أراد الله بك خيراً ؛ وقام أحدهما فدخل واحتبس غير بعيد ، ثمّ خرج فقال : قم فادخل ، فدخلت قصراً لم أر بناء أحسن من بنائه ولا أضوأ منه ، وتقدّم الخادم إلى ستر على بيت فرفعه ؛ ثمّ قال لي : ادخل ، فدخلت البيت فإذا فتى جالس في وسط البيت ، وقد علّق على رأسه من السقف سيف طويل تكاد ظُبته تمسّ رأسه ، والفتى بدر يلوح في ظلام ، فسلّمت فردّ السلام بألطف الكلام وأحسنه .

ثمّ قال لي : أتدري من أنا ؟ فقلت : لا والله ، فقال : أنا القائم من آل محمّد (صلّى الله عليه وآله) ، أنا الذي أخرج في آخر الزمان بهذا السيف ـ وأشار إليه ـ فأملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً .

فسقطت على وجهي وتعفّرت ، فقال : لا تفعل ، ارفع رأسك ، أنت فلان من مدينة بالجبل يقال لها همدان ، قلت : صدقت يا سيّدي ومولاي ، قال : فتحبّ أن تؤوب إلى أهلك ؟ قلت : نعم يا سيّدي ، وأبشّرهم بما أتاح الله عزّ وجلّ لي .

فأومأ إلى الخادم فأخذ بيدي ، وناولني صرّة ، وخرج ومشى معي خطوات ، فنظرت إلى ظلال وأشجار ومنارة ومسجد ، فقال : أتعرف هذا البلد ؟ قلت : إنّ بقرب بلدنا بلدة تعرف بأسد آباد وهي تشبهها ، قال : هذه أسد آباد ، امض راشداً ، فالتفتّ فلم أره .

ودخلت أسد آباد وإذا في الصرّة أربعون أو خمسون ديناراً ، فوردت همدان وجمعت أهلي وبشّرتهم بما أتاح الله لي ويسّره عزّ وجلّ ، ولم نزل بخير ما بقي معنا من تلك الدنانير .

العاشرة : روى المسعوديّ والشيخ الطوسيّ وآخرون عن أبي نعيم محمّد بن أحمد الأنصاريّ أنّه قال :

وجّه قوم من المفوّضة والمقصّرة كامل بن إبراهيم المدنيّ إلى أبي محمّد (عليه السلام) في سرّ من رأى لمناظرته .

قال كامل : فقلت في نفسي : أسأله : لا يدخل الجنّة إلاّ من عرف معرفتي ، وقال بمقالتي .

قال : فلمّا دخلت على سيّدي أبي محمّد (عليه السلام) نظرت إلى ثياب بيض ناعمة عليه ، فقلت في نفسي : وليّ الله وحجّته يلبس الناعم من الثياب ، ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان ، وينهانا عن لبس مثله ، فقال متبسّماً : يا كامل ـ وحسر عن ذراعيه فإذا مسح أسود خشن على جلده ـ هذا لله ، وهذا لكم ؛ فسلّمت وجلست إلى باب عليه ستر مرخيّ فجاءت الريح فكشفت طرفه ، فإذا أنا بفتى كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها ، فقال لي :

يا كامل بن إبراهيم ، فاقشعررت من ذلك وأُلهمت أن قلت : لبّيك يا سيّدي ، فقال : جئت إلى وليّ الله وحجّته تسأله هل يدخل الجنّة إلاّ من عرف معرفتك وقال بمقالتك ، فقلت : إيّ والله ، قال : إذاً والله يقلّ داخلها ، والله إنّه ليدخلها قوم يقال لهم : الحقّيّة ، قلت : يا سيّدي ، ومن همّ ؟ قال : قوم من حبّهم لعليّ (عليه السلام) يحلفون بحقّه ، ولا يدرون ما حقّه وفضله .

ثمّ سكت (عليه السلام) عنّي ساعة ، ثمّ قال : وجئت تسأله عن مقالة المفوّضة ، كذبوا ، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله ، فإذا شاء شئنا ، والله يقول : ﴿ **وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله** ﴾ .

ثمّ رجع الستر إلى حالته فلم أستطع كشفه ، فنظر إليّ أبو محمّد (عليه السلام) متبسّماً فقال : يا كامل ، ما جلوسك قد أنبأك بحاجتك الحجّة من بعدي ؟

فقمت وخرجت ، ولم أعاينه بعد ذلك .

قال أبو نعيم : فلقيت كاملاً فسألته عن هذا الحديث ، فحدّثني به .

الحادية عشرة : ذكر الشيخ المحدّث الفقيه عماد الدين أبو جعفر بن محمّد بن عليّ بن

محمّد الطوسيّ المشهديّ المعاصر لابن شهر اشوب في كتاب (ثاقب المناقب) عن جعفر بن أحمد أنّه قال :

دعاني أبو جعفر محمّد بن عثمان وأخرج إليّ ثوبين معلمين وصرّة فيها دراهم ، فقال لي : نحتاج أن تصير بنفسك إلى واسط في هذا الوقت ، وتدفع ما دفعت إليك إلى أوّل رجل يلقاك عند صعودك من المركب إلى الشطّ بواسط .

قال : فتداخلني من ذلك غمّ شديد وقلت : مثلي يرسَل في هذا الأمر ، ويحمّل هذا الشيء الوتح ؟[1]

قال : فخرجت إلى واسط وصعدت من المركب ، فأوّل رجل تلقّاني سألته عن الحسن بن محمّد بن قطاة الصيدلانيّ وكيل الوقف بواسط ، فقال : أنا هو ، من أنت ؟ فقلت : أنا جعفر بن محمّد ثمّ قلت : أبو جعفر العَمريّ يقرأ عليك السلام ، ودفع إليّ هذين الثوبين وهذه الصرّة لأسلّمها إليك ؛ فقال : الحمد لله ، فإنّ محمّد بن عبد الله الحائريّ قد مات ، وقد خرجت لأصلح كفنه ؛ فحلّ الثياب فإذا بها ما يحتاج إليه من حبرة وثياب وكافور ، وفي الصرّة كرى الحمّالين والحفّار ، قال : فشيّعنا جنازته وانصرفت .

الثانية عشرة : ورُوي أيضاً عن الحسين بن عليّ بن محمّد القمّيّ المعروف بأبي عليّ البغداديّ أنّه قال :

كنت ببخارى ، فدفع إليّ المعروف بابن جاوشير عشر سبائك ذهباً وأمرني أن أسلّمها بمدينة السلام إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح قدّس الله روحه ، فحملتها معي .

فلمّا بلغت « آمويه » ضاعت منّي سبيكة من تلك السبائك ، ولم أعلم بذلك حتّى دخلت مدينة السلام ، فأخرجت السبائك لأسلّمها فوجدتها ناقصة واحدة ، فاشتريت سبيكة بوزنها وأضفتها إلى التسع ، ثمّ دخلت على الشيخ أبي القاسم ووضعت السبائك بين يديه ، فقال لي : خذ تلك السبيكة التي اشتريتها ، وأشار إليها بيده ، فإنّ السبيكة التي ضيّعتها قد وصلت إلينا ، وها هي ذي ، ثمّ أخرج إليّ تلك السبيكة التي كانت ضاعت منّي بآمويه ، فنظرت إليها وعرفتها .

الثالثة عشرة : وروي أيضاً عن الحسين بن عليّ المذكور أنّه قال :

سألتني امرأة عن وكيل مولانا (عليه السلام) من هو ؟ فأخبرها بعض القمّيّين أنّه أبو القاسم الحسين بن روح ، وأشار لها إليّ .

---

(١) الوتح : القليل التافه .

فدخلتْ عليه وأنا عنده ، فقالت له ، أيّها الشيخ ، أيّ شيء معي ؟ فقال : ما معك ألقيه في دجلة ، ثمّ ائتيني حتّى أخبرك ؛ فذهبت المرأة وحملت ما كان معها فألقته في دجلة ثمّ رجعت ودخلت إلى أبي القاسم الروحيّ وأنا عنده ، فقال لمملوكة له : أخرجي إليّ الحقّة ، فأتته بحقّة فقال للمرأة :

هذه الحقّة التي كانت معك ورميت بها في دجلة ، أخبرك بما فيها أو تخبرينني ؟ فقالت له : بل أخبرني .

فقال : في هذه الحقّة زوج سوار ذهب ، وحلقة كبيرة فيها جوهر ، وحلقتان صغيرتان فيهما جوهر ، وخاتمان أحدهما فيروزج والآخر عقيق ، وكان الأمر كما ذكر لم يغادر منه شيئاً .

ثمّ فتح الحقّة فعرض عليّ ما فيها ، ونظرت المرأة إليه فقالت : هذا الذي حملته بعينه ورميت به في دجلة ، فغشي عليّ وعلى المرأة فرحاً لما شاهدناه من صدق الدلالة .

قال الحسين أبو عليّ البغداديّ بعدما حدّثني بهذين الحديثين : أشهد الله تعالى أنّ هذا الحديث كما ذكرته لم أزد فيه ولم أنقص منه ، وحلف بالأئمّة الأثني عشر صلوات الله عليهم أنّه صدق في ما حدّث به ، ما زاد فيه ولا أنقص منه .

الرابعة عشرة : وروي أيضاً عن عليّ بن سنان الموصليّ ، عن أبيه أنّه قال :

لمّا قبض سيّدنا أبو محمّد العسكريّ (عليه السلام) وفد من قمّ والجبال وفود بالأموال التي كانت تُحمل على الرسم ، ولم يكن عندهم خبر وفاته (عليه السلام) ، فلمّا أن وصلوا إلى سرّ من رأى سألوا عن سيّدنا الحسن بن عليّ (عليهما السلام) فقيل لهم : إنّه قد فقد ، قالوا : فمن وارثه ؟ قالوا : أخوه جعفر بن عليّ ، فسألوا عنه فقيل لهم : قد خرج متنزّهاً وركب زورقاً في الدجلة يشرب ومعه المغنّون .

قال : فتشاور القوم وقالوا : ليست هذه صفات الإمام ، وقال بعضهم لبعض : امضوا بنا لنردّ هذه الأموال على أصحابها ، فقال أبو العبّاس محمّد بن جعفر الحميريّ القمّيّ : قفوا بنا حتّى ينصرف هذا الرجل ونختبر أمره على الصحّة .

قال : فلمّا انصرف دخلوا عليه ، فسلّموا عليه وقالوا : يا سيّدنا ، نحن قوم من أهل قمّ ، ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها ، وكنّا نحمل إلى سيّدنا أبي محمّد الحسن بن عليّ (عليهما السلام) الأموال ، فقال : وأين هي ؟ قالوا : معنا ، قال : احملوها إليّ ، قالوا : إنّ لهذه الأموال خبراً طريفاً ، فقال : وما هو ؟ قالوا : إنّ هذه الأموال تجمع ويكون فيها من عامّة الشيعة الدينار والديناران ، ثمّ يجعلونها في كيس ويختمون عليها ، وكنّا إذا وردنا بالمال قال سيّدنا أبو محمّد (عليه السلام) : جملة المال كذا وكذا ديناراً ، من فلان كذا ومن فلان كذا

حتّى يأتي على أسماء الناس كلّهم ، ويقول ما على الخواتيم من نقش ؛ فقال جعفر : كذبتم ، تقولون على أخي ما لم يفعله ، هذا علم الغيب !

قال : فلمّا سمع القوم كلام جعفر جعل ينظر بعضهم إلى بعض ، فقال لهم : احملوا هذا المال إليّ ، فقالوا : إنّا قوم مستأجَرون ، وكلاء لأرباب المال ، ولا نسلّم المال إلاّ بالعلامات التي كنّا نعرفها من سيّدنا الحسن (عليه السلام) ، فإنّ كنت الإمام فبرهن لنا ، وإلاّ رددناها إلى أصحابنا يرون فيها رأيهم .

قال : فدخل جعفر على الخليفة ، وكان بسرّ من رأى ، فاستعداه عليهم ، فلمّا حضروا قال الخليفة : احملوا هذا المال إلى جعفر ، قالوا : أصلح الله الأمير ، إنّا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب هذه الأموال ، وهي وديعة لجماعة أمرونا أن لا نسلّمها إلاّ بعلامة ودلالة ، وقد جرت بهذا العادة مع أبي محمّد الحسن (عليه السلام) ؛ فقال الخليفة : وما الدلالة التي كانت لأبي محمّد ؟ قالوا : كان يصف الدنانير وأصحابها ، والأموال وكم هي ، فإذا فعل سلّمناها إليه ، وقد وفدنا عليه مراراً فكانت هذه علامتنا منه ودلالتنا ، وقد مات ، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر فليقم لنا ما كان يقيم لنا أخوه ، وإلاّ رددناها إلى أصحابها .

فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنّ هؤلاء قوم كذّابون يكذبون على أخي ، وهذا علم الغيب ، فقال الخليفة : القوم رسل ، وما على الرسول إلاّ البلاغ .

فبهت جعفر ولم يحر جواباً ، فقال القوم : يتطوّل أمير المؤمنين بإخراج أمره إلى من يبدرقنا (أي : يحرسنا) حتى نخرج من هذه البلدة ، قال : فأمر لهم بنقيب فأخرجهم منها .

فلمّا أن خرجوا من البلد خرج عليهم غلام أحسن الناس وجهاً كأنّه خادم ، فنادى : يا فلان ابن فلان ، ويا فلان ابن فلان ، أجيبوا مولاكم ، فقالوا : أنت مولانا ؟ قال : معاذ الله ، أنا عبد مولاكم ، فسيروا إليه . قالوا : فسرنا معه حتّى دخلنا دار مولانا الحسن بن عليّ (عليهما السلام) فإذا ولده القائم (عليه السلام) قاعد على سرير كأنّه فلقة القمر ، فسلّمنا عليه ، فردّ علينا السلام ثمّ قال : جملة المال كذا وكذا ديناراً : حمل فلان كذا ، وفلان كذا ، ولم يزل يصف حتّى وصف الجميع ، ثمّ وصف ثيابنا ورحالنا وما كان معنا من الدوابّ ، فخررنا سجّداً لله عزّ وجلّ شكراً لما عرفنا ، وقبّلنا الأرض بين يديه ، ثمّ سألناه عمّا أردنا فأجاب ، فحملنا إليه الأموال ، وأمرنا القائم (عليه السلام) أن لا نحمل إلى سرّ من رأى بعدها شيئاً ، فإنّه ينصب لنا ببغداد رجلاً نحمل إليه الأموال ، وتخرج من عنده التوقيعات .

قالوا : فانصرفنا من عنده بعد أن دفع إلى أبي العبّاس محمّد بن جعفر القمّيّ الحميريّ شيئاً من الحنوط والكفن وقال له : أعظم الله أجرك في نفسك .

قال الراوي : فما بلغ أبو العبّاس عقبة همدان حتىّ توفّي رحمه الله ، وكان بعد ذلك تحمل الأموال إلى بغداد ، إلى النوّاب المنصوبين ، وتخرج من عندهم التوقيعات .

الخامسة عشرة : روي عن أبي محمّد الحسن بن وجناء أنّه قال :

كنت ساجداً تحت الميزاب في رابع أربع وخمسين حجّة بعد العتمة وأنا أتضرّع في الدعاء إذ حرّكني محرّك فقال : قم يا حسن بن وجناء .

قال : فقمت فإذا جارية صفراء نحيفة البدن أقول إنّها من أبناء أربعين فما فوقها . فمشت بين يديّ وأنا لا أسألها عن شيء ، حتّى أتت بي دار خديجة صلوات الله عليها وفيها باب في وسط الحائط ، وله درج يرتقي إليه .

فصعدت الجارية ، وجاءني النداء : اصعد يا حسن ، فصعدت فوقفت بالباب ، وقال لي صاحب الزمان (عليه السلام) : يا حسن ، أتراك خفيت عليّ ؟ والله ما من وقت في حجّك إلاّ وأنا معك فيه ، ثمّ جعل يعدّ عليّ أوقاتي ، فوقعت مغشياً على وجهي ، فأحسست بيده قد وقعت عليّ ، فقمت ، فقال لي : يا حسن ، الزم بالمدينة دار جعفر بن محمّد (عليه السلام) ، ولا يهمّنك طعامك وشرابك ، ولا ما يستر عورتك ؛ ثمّ دفع إليّ دفتراً فيه دعاء الفرج ، وصلوات عليه فقال : فبهذا فادع ، وهكذا صلّ عليّ ولا تعطه إلاّ محقّي أوليائي ، فإنّ الله جلّ جلاله موفّقك ، فقلت : مولاي ،لا أراك بعدها ؟ فقال : يا حسن ، إذا شاء الله .

قال الحسن : فانصرفت من حجّتي ولزمت دار جعفر بن محمّد (عليه السلام) ، فأنا أخرج منها فلا أعود إليها إلاّ لثلاث خصال : لتجديد وضوء ، أو لنوم ، أو لوقت الإفطار ؛ فأدخل بيتي وقت الإفطار فأصيب رباعيّاً مملوءاً ماء ، ورغيفاً على رأسه ، عليه ما تشتهي نفسي بالنهار ، فآكل ذلك فهو كفاية لي ، وكسوة الشتاء في وقت الشتاء ، وكسوة الصيف في وقت الصيف ، وإنّي لأدخل الماء بالنهار فأرشّ البيت ، وأدع الكوز فارغاً ، وأوتى بالطعام ولا حاجة لي إليه ، فأصّدّق به ليلاً لئلاّ يعلم بي من معي .

يقول المؤلّف : ذكر شيخنا في (النجم الثاقب) أنّ أحد ألقاب صاحب الزمان صلوات الله عليه : « مبدي الآيات » ، أي مظهر آيات الله ، أو محلّ لبروز الآيات الإلهيّة وظهورها ؛ ذلك أنّه منذ اليوم الذي مُدّ فيه بساط الخلافة في الأرض ، وسار عليه الأنبياء والرسل (عليهم السلام) بآيات بيّنات ومعجزات باهرات لهداية الخلق ، ونهضوا يرشدون الناس ليعلوا كلمة الحقّ ويزهقوا الباطل ، فإنّ الله جلّ وعلا لم يقيّض لأحد من الإعزاز والتكريم ، ولم يرسل من الآيات مقدار ما أرسله للمهديّ صلوات الله عليه ، وأجرى

وسيجري له عمراً بهذا الطول لأنه عزّ وجلّ يعلم أين سينتهي به ، وسيظهر كابن ثلاثين سنّاً وهيئة ، ولا يزال تظلّله غمامة بيضاء ، وسيرتفع منه النداء بلسان فصيح : إنّي أنا مهديّ آل محمّد (عليهم السلام) ، وإنّه ليضع يده على رؤوس شيعته فتكمل لهم عقولهم ، وسيكون في عسكره الملائكة ظاهرين يراهم الناس كما في عهد إدريس النبيّ (عليه السلام) ، وعسكر من الجنّ ولن يكون في عسكره طعام وشراب ، بل حجر يحملونه فيكون منه طعامهم وشرابهم ، ولأشرقت الأرض بنوره حتّى لا تبقى حاجة لشمس أو قمر ، ولارتفع الميل إلى الشر والإضرار من السباع والبهائم ، ولارتفع الخوف والوحشة ، ولأخرجت الأرض كنوزها ، ولأبطأ سير الفلك ، ولمشى عسكره على الماء ولأخبر الجبل أو الصخرة بمن يختفي وراءهما من الكفّار ، ولأمر بالكافرين فأُخذوا بسيماهم ، وسيكون في عسكره الكثير من الأموات فيضربون بالسيف على رؤوس الأحياء ، إلى غير ذلك من الآيات العجيبة ، وكذلك الآيات التي ستظهر قبل ظهوره (عليه السلام) مما لا يحصى عددها ، وقد ذكر الكثير منها في كتاب الغيبة ، وهي كلّها مقدّمة وتمهيد لمقدمه ، ولم يتهيأ عشرها لمقدم أيّ حجّة غيره .



الفصل الخامس

في حكايات من رأى القائم (عليه السلام) في الغيبة الكبرى

وتشمل حكاية من تعرّف على القائم (عليه السلام) بشرف المشاهدة ، أو من عرف بعد مفارقته إيّاه هو أنّه بقرينة قطعيّة ، أو من وقف على معجزة منه (عليه السلام) في نوم أو يقظة ، أو عن طريق أثر من الآثار الدالّة على وجوده المقدّس .

وقد أورد شيخنا في (النجم الثاقب) مئة حكاية في هذا الباب ، ونكتفي نحن في هذا الكتاب المبارك بإيراد ثلاث وعشرين منها ، إلى حكايتين أخريين إحداهما حكاية الحاجّ عليّ البغداديّ ، والأخرى حكاية الحاجّ السيّد أحمد الرشتيّ أوردناهما في كتاب (المفاتيح) .

الحكاية الأولى : قصّة إسماعيل الهرقليّ

يقول العالم الفاضل عليّ بن عيسى الإربليّ في (كشف الغمّة) :

حدّثني جماعة من ثقاة إخواني أنّه كان في بلاد الحلّة شخص يقال له : إسماعيل بن الحسن الهرقليّ من قرية يقال لها : « هرقل » ، مات في زماني وما رأيته ، حكى لي ولده شمس الدين قال :

حكى لي والدي أنّه خرج فيه وهو شابّ على فخذه الأيسر توثة[1] مقدار قبضة الإنسان ، وكانت في كلّ ربيع تتشقّق ويخرج منها دم وقيح ، ويقطعه ألمها عن كثير من أشغاله ، فحضر إلى الحلّة يوماً ودخل إلى مجلس السيّد رضيّ الدين عليّ بن طاووس وشكا إليه ما يجده ، فأحضر له السيّد أطبّاء الحلّة وأراهم الموضع فقالوا : هذه التوثة فوق العرق الأكحل ، وعلاجها خطر ، فمتى قطعت خيف أن ينقطع العرق فيموت .

---

(١) التوثة أو التوتة : لحمة متدليّة كالتوت ، قد تكون حمراء ، وقد تصير سوداء .

فقال له السيّد : أنا متوجّه إلى بغداد ، وربّما كـان أطبّاؤهـا أعرف وأحـذق من هؤلاء ، فاصحبني ، فصحبه فأحضر الأطبّاء فقالوا كما قال أولئك ، فضاق صـدره ، فقال لـه السيّد : إنّ الشرع قد فسح لك في الصلاة في هذه الثياب ، وعليك الاجتهاد في الاحتراس .

فقـال والدي : إذا كـان الأمر هكـذا وقد حصلتُ في بغـداد فأتـوجّه إلى زيـارة المشهـد الشريف بسرّ من رأى ، ثم توجّه إلى هناك .

يقول صاحب (كشف الغمّة) : حدّثني ولده قال : قال لي أبي :

لمّـا دخلت المشهـد وزرت الإمـامـين الهـمـامـين عـليّ النقيّ والحسن العسكـريّ (عليهما السلام) نزلت السرداب ، واستغثت بالله تعـالى وبصاحب الأمـر (عليه السـلام) ، وقضيت الليل في السرداب ، حتّى إذا كان الصباح مضيت إلى دجلة فاغتسلت وغسلت ثيابي ، وملأت إبريقاً كان معي وصعدت أريد المشهد لمعاودة الزيارة ، فـرأيت أربعة فـرسان خـارجين من بـاب السور ، وكـان حول المشهـد قوم من الشرفـاء يرعـون أغنـامهم ، فحسبتهم منهم ، فالتقينا فرأيت شابّـين يتقلّد كلّ منهـما سيفاً ، وشيخـاً منقّباً بيـده رمح . والآخـر متقلّد بسيف وعليـه فرجيّـة ملوّنة فـوق السيف ، وهو متحنّـك بعذبتـه فوقف الشيـخ صاحب الـرمح بـين الـطريف ، ووضع كعب رمحـه في الأرض ووقف الشابّـان عن يسار الـطريق ، وبقي صـاحب الفرجيّة على الطريق ، مقـابلاً لي ، ثمّ سلّمـوا عليّ فـرددت عليهم السلام ، فقـال لي صاحب الفرجيّة : أتروح إلى أهلك غداً ؟ قلت : نعم ، قال : تقدّم حتّى أبصر ما يوجعك .

قـال : فكرهت مـلامستهم ، وقلت في نفسي : أهلُ البـادية مـا يكـادون يحـترزون من النجاسة ، وأنا قد خـرجت من الماء وقميصي مبلول . ثم إنّي مـع ذلك تقـدّمت إليه ، فلزمني بيدي ، ومدّني إليه ، وجعل يلمس جانبي من كتفي إلى أن أصابت يده التوثة . فعصرها بيـده فأوجعني ، ثمّ استوى في سرج فرسه كما كان ، فقال لي الشيخ : أفلحت يا إسماعيل !

فتعجّبت من معرفته باسمي ، فقلت : أفلحنا وأفلحتم إن شـاء الله ، فقال : هـذا هو الإمام ، فتقدّمت إليـه فاحتضنتـه وقبّلت فخذه ، ثمّ إنّـه ساق وأنـا أمشي معه محتضنـه فقال : ارجـع ، فقلت : لا أفارقـك أبداً ! فقـال : المصلحة رجـوعك ، فـأعدت عليـه مثـل القـول الأوّل ، فقال الشيخ : ما تستحيي ! يقول لك الإمام مرّتين : ارجع ، وتخالفه ؟!

فجبهني بهذا القول فوقفت ، فتقدّم خطوات والتفت إليّ وقال إذا وصلت بغـداد فلا بـدّ أن يطلبك أبو جعفر ، يعني الخليفة المستنصر فإذا حضرت عنده وأعطاك شيئاً فلا تأخذه ، وقل لولدنا الرضيّ ليكتب لك إلى عليّ بن عوض ، فإنّي أوصيه يعطيك الذي تريد .

ثمّ سـار وأصحابـه معه ، فلم أزل قـائماً أبصرهم حتّى بعـدوا ، وحصـل عنـدي أسف

لمفارقته ، فقعدت على الأرض ساعة ، ثمّ مشيت إلى المشهد ، فاجتمع القوّام حولي وقالوا : نرى وجهك متغيّراً ، أوجعك شيء ؟ قلت : لا ، قالوا : خاصمك أحد ؟ قلت : لا ، ليس عندي ممّا تقولون خبر ، لكن أسألكم : هل عرفتم الفرسان الذين كانوا عندكم ، فقالوا : هم من الشرفاء أرباب الغنم ، فقلت : بل هو الإمام (عليه السلام) . فقالوا : الإمام هو الشيخ أو صاحب الفرجيّة ؟ فقلت : هو صاحب الفرجيّة ، فقالوا : أريته المرض الذي فيك ؟ فقلت : هو قبضه بيده وأوجعني ، ثمّ كشفت رجلي فلم أر لذلك المرض أثراً ، فتداخلني الشكّ من الدهش ، فأخرجت رجلي الأخرى فلم أر شيئاً ، فانطبق الناس عليّ ومزّقوا قميصي، فأدخلني القوّام خزانة ومنعوا الناس عنّي .

وكان ناظر « بين النهرين » بالمشهد ، فسمع الضجّة وسأل عن الخبر فعرّفوه ، فراح ليكتب الواقعة ، وبتّ في المشهد ، وصلّيت الصبح وخرجت ، وخرج الناس معي إلى أن بعدت عن المشهد ، فرجعوا عنّي ، ووصلت إلى « أوانى »[1] فبتّ بها ، وبكّرت منها أريد بغداد ، فرأيت الناس مزدحمين على القنطرة العتيقة يسألون كلّ من ورد عليهم عن اسمه ونسبه وأين كان ، فسألوني عن اسمي ومن أين جئت فعرّفتهم ، فاجتمعوا عليّ ومزّقوا ثيابي ، وكادت روحي تفارق منّي الجسد .

وكان ناظر « بين النهرين » ، كتب إلى بغداد وعرّفهم الحال ، وخرج السيّد رضي الدين ومعه جماعة ، فردّوا الناس عنّي ، وسألني : أعنك يقولون ؟ قلت : نعم ، فنزل عن دابّته وكشف فخذي فلم ير شيئاً ، فغشي عليه ساعة ، ثم انتبه فأخبرني أن الوزير طلبه وأعلمه أنّهم كتبوا إليه من المشهد بخبر رجل يخصّه ، وأنّه أمره بإحضاري إليه ، ثمّ أخذ بيدي وأدخلني على الوزير ، وكان قمّياً ، فقال له : يا مولاي ، هذا أخي وأقرب الناس إلى قلبي .

فسألني الوزير عن القصّة فحكيت له ، فأحضر الأطبّاء الذين أشرفوا على علّتي فسألهم عنها وعن مداواتها فقالوا : ما دواؤها إلاّ القطع ، ومتى قطعها مات ، فقال : فبتقدير أن يقطع ولا يموت ، في كم تبرأ ؟ فقالوا : في شهرين ، ويبقى في مكانها حضيرة بيضاء لا ينبت فيها شعر ، فسألهم الوزير : متى رأيتموه ؟ قال : منذ عشرة أيّام ، فكشف الوزير عن الفخذ التي كان فيها الألم فإذا هي مثل أختها ليس فيها أثر أصلاً .

فصاح أحد الأطبّاء ـ وكان نصرانياً ـ : هذا والله من عمل المسيح ! فقال الوزير : حيث لم يكن عملكم فنحن نعرف من عملها .

---

(١) أوانى ، بالألف المقصورة : بلدة في ناحية بغداد .

ثمّ إنّ الوزير بعث بي إلى الخليفة المستنصر ، فسألني عن القصّة فعرّفته بها كما جرت ، فتقدّم لي بألف دينار فقال : خذ هذه فأنفقها ، فقلت : ما أجسر آخذ منها حبّة واحدة ، فقال : ممّن تخاف ؟ فقلت : من الذي فعل معي هذا ، قال لي : لا تأخذ من أبي جعفر شيئاً ، فبكى الخليفة ، وخرجت من عنده ولم آخذ شيئاً .

يقول صاحب (كشف الغمّة) : كان من محاسن ما اتّفق لي أنّي كنت يوماً أحكي هذه القصّة لجماعة عندي ، وكان شمس الدين محمّد ولد إسماعيل عندي وأنا لا أعرفه ، فلمّا انقضت الحكاية قال : أنا ولده لصلبه فعجبت من هذا الاتّفاق وقلت له ؛ هل رأيت فخذه وهي مريضة ؟ فقال : لا ، فقد كنت صغيراً ، ولكنّي رأيتها بعدما صلحت ، ولا أثر فيها ، وقد نبت في موضعها شعر ؛ وكان أبي يحضر إلى بغداد كلّ سنة ويزور سرّ من رأى كلّ يوم من إقامته هناك علّه يفوز برؤيته (عليه السلام) فلم يُكتب له ذلك ، وقد زار سامّراء أربعين مرّة ، ثمّ مات رحمه الله بحسرته .

الحكاية الثانية : تأثير رقعة الاستغاثة

وهي قصّة العابد الصالح التقيّ المرحوم السيّد محمّد بن السيّد عبّاس العامليّ ، الساكن أيّام حياته في قرية « جبشيث »[١] ، من قرى جبل عامل ؛ وهو من بني أعمام السيّد النبيل والعالم المتبحّر الجليل السيّد صدر الدين العامليّ الإصفهانيّ ، صهر شيخ فقهاء عصره الشيخ جعفر النجفيّ أعلى الله مقامهما .

وكان من قصّة السيّد محمّد المذكور أنّه من كثرة تعدّي أهل الجور عليه[٢] خرج من وطنه خائفاً هارباً مع شدّة فقره وقلّة بضاعته ، فلم يكن عنده يوم خروجه إلاّ ما يسدّ قوت يومه ، وكان متعفّفاً لا يسأل أحداً .

وساح في الأرض برهة من دهره ، ورأى في أيّام سياحته في نومه ويقظته عجائب كثيرة ، إلى أن انتهى أمره إلى مجاورة النجف الأشرف ، وسكن في بعض الحجرات الفوقانيّة من الصحن المقدّس ، وكان في شدّة الفقر ، ولم يكن يعرفه بتلك الصفة إلاّ قليل ، حتّى توفّي رحمه الله في النجف الأشرف بعد خمس سنوات من يوم خروجه من قريته .

قال الراوي : وكان أحياناً يراودني ، وكان كثير العفّة والحياء ، يحضر عندي أيّام إقامة

---

(١) جبشيث : اسم مختصر من « جبّ شيث نبيّ الله » وهو اسم بئر هناك تنسب إلى ذلك النبيّ (عليه السلام) .

(٢) كانوا يريدون إدخاله في سلك عسكرهم .

التعزية ، وربّما استعار منّي بعض كتب الأدعية ، وكان كثيراً ما لا يتمكّن لقوته إلّا على تميرات ، وكان يواظب على الأدعية المأثورة لسعة الرزق ، حتّى أنّه ما ترك شيئاً من الأذكار المرويّة والأدعية المأثورة .

واشتغل بعض أيّامه على عرض حاجته على صاحب الزمان (عليه السلام) أربعين يوماً ، فكان يكتب حاجته ، ويخرج كلّ يوم قبل طلوع الشمس من البلد ، من الباب الصغير الذي يخرج منه إلى البحر ، ويبعد عن طرف اليمين مقدار فرسخ أو أزيد ، بحيث لا يراه أحد ، ثمّ يضع عريضته في بندقة من الطين ، ويودعها أحد نوّابه (عليه السلام) ، ويرميها في الماء ، إلى أن مضى عليه ثمانية أو تسعة وثلاثون يوماً .

قال يوماً بعد رجوعه : كنت في غاية الملالة وضيق الخلق ، أمشي مطرقاً رأسي ، فإذا أنا برجل كأنّه لحق بي من ورائي ، وكان في زيّ العرب ، فسلّم عليّ ، فرددت عليه السلام ، بأقلّ ما يُردّ ، وما التفتّ إليه لضيق خلقي ، فسايرني مقداراً وأنا على حالي ، فقال بلهجة أهل قريتي :

سيّد محمّد ، ما حاجتك ؟ يمضي عليك ثمانية أو تسعة وثلاثون يوماً تخرج قبل طلوع الشمس إلى المكان الفلانيّ ، وترمي العريضة في الماء ، تظنّ أنّ إمامك ليس مطّلعاً على حاجتك ؟

قال : فتعجّبت من ذلك لأنّي لم أطلع أحداً على شغلي ، ولا أحد رآني ، ولا أحد من أهل جبل عامل في المشهد لم أعرفه ، خصوصاً أنّه لابس الكفّيّة والعقال وليس مرسوماً في بلادنا ، فخطر في خاطري وصولي إلى المطلب الأقصى ، وفوزي بالنعمة العظمى ، وأنّه الحجّة على البرايا إمام العصر ، روحي له الفداء .

وكنت سمعت قديماً أنّ يده المباركة من النعومة بحيث لا تبلغها يد أحد من الناس ، فقلت في نفسي : أصافحه ، فإن كانت يده كما سمعت أصنع ما يحقّ بحضرته ، فمددت يدي وأنا على حالي لمصافحته ، فمدّ يده المباركة فصافحته ، فإذا يده كما سمعت ، فتيقّنت الفوز والفلاح ، فرفعت رأسي ، ووجّهت له وجهي ، وأردت تقبيل يده المباركة ، فلم أر أحداً .

الحكاية الثالثة : قصّة تشرّف السيّد محمّد العامليّ بلقائه (عليه السلام)

وذكر العالم الصفيّ المبرور السيّد المتّقي المذكور قال :

وردت المشهد الرضويّ المقدّس للزيارة ، وأقمت فيه مدّة ، وكنت في ضنك وضيق مع وفور النعمة ورخص أسعارها ، ولمّا أردت الرجوع مع سائر الزائرين لم يكن عندي شيء من الزاد ، حتّى قرص لقوت يومي ، فتخلّفت عنهم ، وبقيت يومي إلى زوال الشمس ، فزرت

مولاي ، وأدّيت فرض الصلاة ، ورأيت أنّي لو لم ألحق بالقافلة فلن يتيسّر لي رفقة عن قريب ، وإن بقيت أدركني الشتاء وساءت حالي .

فخرجت من الحرم المطهّر بعد أن دعوت وشكوت ، وقلت في نفسي : أمشي على أثرهم ، فإن متّ جوعاً استرحت ، وإلاّ لحقت بهم ، فخرجت من البلد وسألت عن الطريق ، وصرت أمشي حتّى غربت الشمس وما صادفت أحداً ، فعلمت أنّي أخطأت الطريق ، وأنا ببادية مهولة لا يرى فيها سوى الحنظل ، وقد أشرفت من الجوع والعطش على الهلاك ، فصرت أكسر حنظلة حنظلة لعلّي أظفر من بينها ببطّيخة حتّى كسرت نحواً من خمسمئة ، فلم أظفر بها ، وطلبت الماء والكلأ حتّى جنّني الليل ، ويئست منهما ، فأيقنت الفناء ، واستسلمت للموت ، وبكيت على حالي .

وتراءى لي مكان مرتفع فصعدته ، فوجدت في أعلاه عيناً من الماء ، فتعجّبت ، وشكرت الله عزّ وجلّ ، وشربت الماء وقلت في نفسي : أتوضّأ وأصلّي لئلاّ ينزل بي الموت وأنا مشغول الذمّة بها ، فبادرت إليها .

فلمّا فرغت من العشاء الآخرة وامتلأت البيداء بأصوات السباع وغيرها ، وكنت أعرف من بينها صوت الأسد والذئب ، وأرى أعين بعضها تتوقّد كأنّها السراج ، فزادت وحشتي ، إلاّ أنّي كنت مستسلماً للموت ، فأدركني النوم لكثرة التعب ، وما أفقت إلاّ والأصوات قد خمدت ، والدنيا بنور القمر قد أضاءت ، وأنا في غاية الضعف ، فرأيت فارساً مقبلاً عليّ ، فقلت في نفسي : إنّه يقتلني لأنّه يريد متاعي فلا يجد شيئاً عندي ، فيغضب لذلك فيقتلني ، ولا أقلّ من أن تصيبني منه جراحة .

فلمّا وصل إليّ سلّم عليّ ، فرددت عليه السلام ، وطابت منه نفسي ، فقال : ما لك ؟ فأومأت إليه بضعفي ، فقال : عندك ثلاث بطّيخات ، لم لا تأكل منها ؟ فقلت : لا تستهزىء بي ودعني في حالي ، فقال لي : انظر وراءك ، فنظرت فرأيت شجرة بطّيخ عليها ثلاث بطّيخات كبار ، فقال : سدّ جوعك بواحدة ، وخذ معك اثنتين ، وعليك بهذا الصراط المستقيم فامش عليه ، وكل نصف بطّيخة أوّل النهار والنصف الآخر عند الزوال ، واحفظ بطّيخة فإنّها تنفعك ، فإذا غربت الشمس تصل إلى خيمة سوداء يوصلك أهلها إلى القافلة ، وغاب عن بصري .

فقمت إلى تلك البطّيخات فكسرت واحدة منها فرأيتها في غاية الحلاوة واللطافة ، كأنّي ما أكلت مثلها ، فأكلتها ، وأخذت معي الاثنتين ، ولزمت الطريق ، وجعلت أمشي حتّى طلعت الشمس ومضى على طلوعها مقدار ساعة ، فكسرت واحدة منهما وأكلت نصفها ، وسرت إلى زوال الشمس فأكلت النصف الآخر ، وأخذت الطريق .

فلمّا قرب الغروب بدت لي تلك الخيمة ، ورآني أهلها فبادروا إليّ وأخذوني بعنف وشدّة ، وذهبوا بي إلى الخيمة كأنّهم زعموني جاسوساً ، وكنت لا أعرف التكلّم إلّا بلسان العرب ، ولا يعرفون لساني ، فأتوا بي إلى كبيرهم ، فقال لي بشدّة وغضب : من أين جئت ؟ تصدقني وإلّا قتلتك ، ورحنا نتبادل التخاطب بكل حيلة حتّى شرحت له حالي ، فقال : أيّها السيّد الكذّاب ، لا يعبر من الطريق الذي تدّعيه متنفّس إلّا تلف ، أو أكله السباع ، ثمّ إنّك كيف قدرت على تلك المسافة البعيدة في الزمان الذي تذكره ، ومن هذا المكان إلى المشهد المقدّس مسيرة ثلاثة أيّام ؟! اصدقني وإلّا قتلتك ، وشهر سيفه في وجهي .

فبدا له البطّيخ من تحت عباءتي ، فقال : ما هذا ؟ فقصصت عليه قصّته ، فقال الحاضرون : ليس في هذه الصحراء بطّيخ ، خصوصاً هذه البطّيخة التي ما رأينا مثلها أبداً .

ثم رجعوا إلى أنفسهم ، وتكلّموا فيما بينهم ، وكأنّهم علموا صدق مقالتي ، وأنّ هذه معجزة من الإمام (عليه السلام) ، فأقبلوا عليّ ، وقبّلوا يديّ ، وصدّروني في مجلسهم ، وأكرموني غاية الإكرام ، وأخذوا لباسي تبركاً به ، وكسوني ألبسة جديدة فاخرة ، وأضافوني يومين وليلتين .

فلمّا كان اليوم الثالث أعطوني عشرة توامين ، ووجّهوا معي ثلاثة منهم حتّى أدركت القافلة .

الحكاية الرابعة : قصّة تشرّف السيّد عطوة الحسنيّ بلقائه (عليه السلام)

يقول العالم الفاضل الألمعيّ عليّ بن عيسى الإربليّ صاحب (كشف الغمّة) : حكى لي السيّد باقي بن عطوة العلويّ الحسنيّ قال :

كان أبي عطوة زيديّ المذهب ، وكان يشكو علّة عجز الأطبّاء عن علاجها ، وكان ينكر علينا نحن بنيه الميل إلى مذهب الإماميّة ويقول : لا أصدّقكم ولا أقول بمذهبكم حتّى يجيء صاحبكم - يعني المهديّ (عليه السلام) - فيبرئني من هذا المرض ، ولا يفتأ يكرر هذا القول .

فبينا نحن مجتمعون عند وقت العشاء الآخرة ذات ليلة إذا أبونا يصيح ويستغيث بنا ، فأتيناه سراعاً فقال : الحقوا صاحبكم فالساعة خرج من عندي ، فخرجنا فلم نر أحداً ، فعدنا إليه وسألناه فقال : إنّه دخل إليّ شخص وقال : يا عطوة ، فقلت : من أنت ؟ فقال : أنا صاحب بنيك قد جئت لأبرئك ممّا بك ، ثم مدّ يده فعصر موضع الألم عندي ومشى ، ومددت يدي فلمّ أجد لما بي أثراً .

قال لي ولده : وبقي مثل الغزال ليس به علّة ، واشتهرت هذه القصّة ، وسألت عنها غير ابنه فأخبروني عنها وأقرّوا بها .

يقول صاحب الكتاب بعد إيراده هذه القصة مع قصّة إسماعيل الهرقليّ المتقدّمة : إنّ الأخبار عن القائم (عليه السلام) في هذا الباب كثيرة ، وإنّه رآه جماعة قد انقطعوا في طريق الحجاز وغيرها فخلّصهم ، وأوصلهم إلى حيث أرادوا ، ولولا خشية الإطالة لذكرتها .

الحكاية الخامسة : في ذكر دعاء العبرات

قال آية الله العلّامة الحلّي رحمه الله في كتاب (منهاج الصلاح) ، في شرح دعاء العبرات .

الدعاء المعروف ، وهو مرويّ عن الصادق جعفر بن محمّد (عليهما السلام) وله ـ من جهة السيّد السعيد رضيّ الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الآوي قدّس الله روحه ـ حكاية معروفة بخطّ بعض الفضلاء ، في هامش ذلك الموضع من (المنهاج) روى المولى السعيد فخر الدين محمّد بن الشيخ الأجلّ جمال الدين ، يعني العلّامة ، الذي روى عن والده عن جدّه الفقيه سديد الدين يوسف عن السيّد الرضيّ المذكور أنّه كان مأخوذاً (أي مسجوناً) عند أمير من أمراء السلطان جرماغون مدّة طويلة مع شدّة وضيق ، فرأى في نومه الخلف الصالح المنتظر ، فبكى وقال : يا مولاي ، اشفع في خلاصي من هؤلاء الظلمة ، فقال (عليه السلام) : ادع بدعاء العبرات ، فقال : ما دعاء العبرات ؟ فقال (عليه السلام) : إنّه في مصباحك ، فقال : يا مولاي ، ما في مصباحي دعاء ، فقال (عليه السلام) : انظر تجده ، فانتبه من منامه ، وصلّى الصبح ، وفتح المصباح فلقي ورقة مكتوباً فيها هذا الدعاء بين الأوراق فدعا به أربعين مرّة .

وكان لهذا الأمير امرأتان ، إحداهما عاقلة مدبّرة ، وهو كثير الاعتماد عليها ، فجاء الأمير في نوبتها فقالت له : أخذت أحداً من أولاد أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ؟ فقال لها : لم تسألين عن ذلك ؟ فقالت : رأيت شخصاً كأنّ نور الشمس يتلألأ من وجهه ، فأخذ بخلقي بين أصبعيه ثمّ قال : أرى بعلك أخذ ولدي وهو يضيّق عليه في المطعم والمشرب ، فقلت له : يا سيّدي ، من أنت ؟ قال : أنا عليّ بن أبي طالب ، قولي له : إن لم تخلّ عنه لأخربنّ بيته .

فشاع هذا المنام وبلغ السلطان ، فقال : ما أعلم ذلك ، وطلب نوّابه فقال : من عندكم مأخوذ ؟ فقالوا : الشيخ أمرت بأخذه ، فقال : خلّوا سبيله ، وأعطوه فرساً يركبها ، ودلّوه على الطريق وليمض إلى بيته .

وقال السيّد الأجلّ عليّ بن طاووس في آخر (مهج الدعوات) :

ومن ذلك ما حدّثني به صديقي والمؤاخي لي محمّد بن محمّد القاضي الآويّ ضاعف الله جلّ جلاله سعادته ، وشرّف خاتمته ؛ وذكر له حديثاً عجيباً وسبباً غريباً ، وهو أنّه كان قد

حدث له حادثة ، فوجد هذا الدعاء في أوراق لم يجعله فيها بين كتبه ، فنسخ منه نسخة ، فلمّا نسخه فقد الأصل الذي كان قد وجده .

الحكاية السادسة : قصّة الأمير إسحاق الاسترا باديّ

وهذه القصّة رواها العلاّمة المجلسيّ في (البحار) عن والده ، وأنا الحقير رأيت بخطّ والده الملاّ محمّد التقيّ رحمه الله في ظهر الدعاء المعروف بالحرز اليمانيّ قصّة أكثر بسطاً ممّا هو مذكور هنا ، مع إجازة لبعضهم ، وها أنذا أنقل ترجمتها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة على أشرف المرسلين محمّد وعترته الطاهرين ، وبعد :

فقد التمس منّي السيّد النجيب الأديب الحسيب زبدة السادات العظام والنقباء الكرام الأمير محمّد هاشم أدام الله تعالى تأييده بجاه محمّد وآله الأقدسين أن أجيز له الحرز اليمانيّ المنسوب إلى أمير المؤمنين وإمام المتّقين ، وخير الخلائق بعد سيّد النبيّين صلوات الله وسلامه عليهما ما دامت الجنّة مأوى الصالحين ، فأجزته دام تأييده ، وما يرويه من الدعاء هو منّي بإسنادي عن السيّد العابد الزاهد الأمير إسحاق الاسترا بادي ، المدفون بقرب سيّد شباب أهل الجنّة أجمعين ـ بكربلاء ـ عن مولانا ومولى الثقلين ، خليفة الله تعالى ، صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الأقدسين .

وقال السيّد : كنت في الطريق إلى مكّة فتأخّرت عن القافلة ، ويئست من الحياة فنمت على ظهري كالمحتضر ، وأخذت في قراءة الشهادة ، وإذا بي أرى فوق رأسي مولانا ومولى العالمين ، خليفة الله على الناس أجمعين ، فقال لي : قم يا إسحاق ، فقمت ، وكنت عطشان فسقاني حتّى رويت ، وأردفني خلفه ، فأخذت في قراءة الحرز اليمانيّ ، وهو (عليه السلام) يصحّحه لي في بعض المواضع حتّى أكملته ، فإذا أنا بالأبطح ، فقال : انزل فلمّا نزلت غاب عنّي ، فلمّا كان بعد تسعة أيّام وصلت القافلة ، واشتهرت بين أهل مكّة أنّي أتيت بطيّ الأرض ، وبعد أداء المناسك تواريت عن الناس .

وكان هذا السيّد قد حجّ أربعين حجّة ماشياً ، فلمّا تشرّفت بلقائه في إصفهان عندما قدم من كربلاء قاصداً زيارة مولى الكونين الإمام عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليهما ، وكان في ذمّته مهر زوجته سبعة تومانات كانت مودعة عند شخص من ساكني المشهد الرضويّ ، فرأى في نومه أنّ أجله قد اقترب ، فقال : لقد جاورت في كربلاء خمسين سنة كي أموت هناك ، وأخاف أن يأتيني الموت في مكان غيره ، فلمّا علم بحاله بعض إخواننا أعطاه ذلك المبلغ ، وبعث معه بعض إخواننا في الله .

قال ذلك الأخ : لمّا بلغ السيّد كربلاء وأدّى الـدَّين الذي عليـه وقع مـريضاً ، وتـوفّي في اليوم السابع ودفن في منزله .

وقد رأيت منه أمثـال هذه الكـرامات خـلال إقامتـه في إصفهان ، رضي الله عنـه ، ولي إجازات كثيرة لهذا الدعـاء ، لكنّي اقتصرت على هـذا ، وأرجو أنّـه ـ دام تأييـده ـ لا ينساني في مظانّ الدعوات ، وألتمس منه أن لا يدعو بهذا الدعـاء إلاّ لله تبارك وتعـالى ، وأن لا يدعـو به لهلاك عدوّه إن كان ذا إيمان ، ولو كان فـاسقاً أو ظـالماً ، وأن لا يـدعو بـه لأجل الـدنيا الـدنيّة كلّها ، بل يجدر الدعاء به . التماساً للتقرّب من الله تبارك وتعالى ، ودفعاً لضرر شياطين الإنس والجنّ عنه وعن جميع المؤمنـين ، فإن أمكنـه أن ينوي القـربة في هـذا ، وإلاّ فالأوْلى تـرك جميع المطالب غير القرب من الله تعالى شأنه .

نمّقه بيمناه الداثرة أحوج المربوبين إلى رحمـة ربّه الغنيّ محمّـد تقيّ بن المجلسيّ الإصبهانيّ حامداً لله تعالى ، ومصلّياً على سيّد الأنبياء ، وأوصيائه النجباء الأصفياء . انتهى .

وقد ذكر خاتم العلماء المحدّثين الشيخ أبو الحسن ، تلميذ العلاّمة المجلسيّ هذه الحكايـة في أواخر مجلّد (ضياء العالمين) ، عن أستاذه عن والده ، حتّى ورود السيّد إلى مكّة ثمّ قال :

قـال والـد شيخي : فـأخـذت منه هـذه النسخـة من الـدعـاء عـلى تصحيـح الإمام (عليه السلام) وأجازني بروايته عن الإمام (عليه السلام) ؛ وهو أجاز ولده الذي هو شيخي المذكور طـاب ثراه ، وكـان ذلك الـدعاء من جملة إجـازات شيخي لي ، وقد مضى عـليّ ، وأنا أدعو به أربعون سنة ، ورأيت منه خيراً وفيراً .

ثمّ ذكر قصّة منام السيّد ، وأنّه قيل لـه في المنام : عجّـل بالـذهاب إلى كـربلاء فقـد دنا أجلك ، وهذا الدعاء موجود بالنحو المذكور في المجلّد التاسع عشر من (بحار الأنوار) .

الحكاية السابعة : وتشتمل على أدعية الفرج

ذكر السيّد رضيّ الدين عليّ بن طاووس في كتاب (فرج المهوم) وذكـر العلاّمـة المجلسيّ في (البحار) عن كتاب (الدلائل) للشيخ أبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ أنّه قال :

حدّثنا أبو جعفر محمّد بن هارون بن موسى التلعكبريّ قـال : حدّثني أبـو الحسين بن أبي البغل الكاتب قال :

تقلّدت عمـلاً من أبي منصور بن صـالحان ، وجـرى بيني وبينـه مـا أوجب استتـاري ، فـطلبني وأخافني ، فمكثت مستتـراً خائفـاً ، ثمّ قصدت مقـابر قـريش (أي : مرقـد الكـاظم (عليه السلام)) ليلة الجمعـة ، واعتمدت المبيت هنـاك للدعاء والمسـألة ، وكـانت ليلة ريح

ومطر ، فسألت أبا جعفر القيّم أن يغلّق الأبواب ، وأن يجتهد في خلوة الموضع لأخلو بما أريده من الدعاء والمسألة ، وآمن من دخول إنسان ممّا لم آمنه ، وخفت من لقائي له ، ففعل وقفل الأبواب ، وانتصف الليل ، وورد من الريح والمطر ما قطع الناس عن الموضع ، ومكثت أدعو وأزور وأصلّي .

فبينا أنا كذلك إذ سمعت وطأً عند مولانا موسى (عليه السلام) ، وإذا رجل يزور ، فسلّم على آدم وأولي العزم ، ثمّ الأئمّة واحداً واحداً إلى أن انتهى إلى صاحب الزمان (عليه السلام) فلم يذكره ، فعجبت من ذلك وقلت : لعلّه نسي أو لم يعرف ، أو هذا مذهب الرجل

فلمّا فرغ من زيارته صلّى ركعتين ، وأقبل إليّ عند مولانا أبي جعفر (عليه السلام) ، فزار مثل تلك الزيارة وذلك السلام ، وصلّى ركعتين ، وأنا خائف منه إذ لم أعرفه ، ورأيته شابّاً تامّاً من الرجال ، عليه ثياب بيض وعمامة ، محنّك بذؤابة ، ورداه على كتفه مسبل ، فقال : يا أبا الحسين بن أبي البغل أين أنت عن دعاء الفرج ؟ فقلت : وما هو يا سيّدي ؟ فقال : تصلّي ركعتين وتقول :

« يا من أظهر الجميل وستر القبيح ، يا من لم يؤاخذ بالجريرة ، ولم يهتك الستر ؛ يا عظيم المنّ ، يا كريم الصفح ، يا حسن التجاوز ، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ، يا منتهى كلّ نجوى ، يا غاية كلّ شكوى ، يا عون كلّ مستعين ، يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها ، يا ربّاه (عشر مرّات) يا غاية رغبتاه (عشر مرّات) أسألك بحقّ هذه الأسماء ، وبحقّ محمّد وآله الطاهرين (عليهم السلام) إلاّ ما كشفت كربي ، ونفّست همّي ، وفرّجت غمّي ، وأصلحت حالي » .

وتدعو بعد ذلك ما شئت ، وتسأل حاجتك ، ثمّ تضع خدّك الأيمن على الأرض ، وتقول مئة مرّة في سجودك :

« يا محمّد يا عليّ ، يا عليّ يا محمّد ، اكفياني فإنّكما كافياي ، وانصراني فإنّكما ناصراي » .

وتضع خدّك الأيسر على الأرض ، وتقول مئة مرّة :

« أدركني » وتكرّرها كثيراً وتقول : « الغوث الغوث الغوث » حتّى ينقطع النفس ، وترفع رأسك ، فإنّ الله بكرمه يقضي حاجتك إن شاء الله .

فلمّا شغلت بالصلاة والدعاء خرج ، فلمّا فرغت خرجت إلى أبي جعفر لأسأله عن الرجل ، وكيف دخل ، فرأيت الأبواب على حالها مغلّقة مقفلة ، فعجبت من ذلك وقلت :

لعلّة بـات ههنـا ولم أعلم ، فـانتهيت إلى أبي جعفـر القيّم ، فخـرج إليّ من بيت الـزيت (أي الحجرة حيث محل زيت السراج) فسألته عن الرجل ودخوله فقال : الأبواب مقفلة كـما ترى ، ما فتحتها ، فحدّثته بـالحديث فقـال : هذا مـولانا صـاحب الزمـان صلوات الله عليه ، وقـد شاهدته مراراً في مثل هذه الليلة عند خلوّ المرقد في الناس .

فتأسّفت على ما فاتني منه ، وخرجت عند اقتراب الفجر ، وقصدت الكرخ إلى الموضـع الـذي كنت مستتراً فيـه ، فما أضحى النهـار إلاّ وأصحاب ابن الصـالحان يلتمسـون لقـائي ، ويسألون عنّي أصدقائي ومعهم أمان من الوزير ، ورقعة بخـطّه فيها كـلّ جميل ، فحضرتـه مع ثقة من أصدقائي عنده ، فقام والتزمني وعاملني بما لم أعهده منه ، وقال :

انتهت بـك الحال إلى أن تشكـوني إلى صاحب الـزمان صلوات الله عليـه ؟ فقلت : قد كان منّي دعاء ومسـألة ، فقـال : ويحك ، رأيت البـارحة مـولاي صاحب الـزمان صلوات الله عليه في النوم ، يعني ليلة الجمعة ، وهو يأمرني بكلّ جميل ، ويجفو عليّ جفوة خفتها .

فقلت : لا إلـه إلاّ الله ، أشهـد أنّهم الحقّ ومنتهى الحقّ ، رأيت البـارحـة مـولانـا في اليقظة ، وقال لي كـذا وكذا ، وشرحت مـا رأيته في المشهـد ، فعجب من ذلك ؛ وجـرت منه بحقّي أمور عظام حسان بهذا المعنى ، وبلغتُ منه غاية ما لم أظنّه ، ببركة مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه .

يقول المؤلّف : هناك عدّة أدعية تسمّى بدعاء الفرج :

الدعاء الأول : الدعاء المتقدّم ذكره في هذه الحكاية .

الـدعاء الثـاني : الدعـاء المذكـور في الكتاب الشريف (الجعفـريّات) عن أمـير المؤمنين (عليه السلام) ، فقد دخل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يشكو إليه حاجة فقال لـه : ألم أعلّمك الكلمات التي أهداني إيّـاها جـبرئيل ؟ وهي تسعـة عشر حرفـاً ، مكتوبٌ عـلى جبين جبرئيل منها أربعة ، وأربعة على جبين ميكائيـل ، وأربعة عـلى جبين إسرافيـل ، وأربعة حـول الكرسيّ ، وثلاثة حول العرش ، ما دعا بتلك الكلمات مكروب ولا فقير ولامهموم ولا مغمـوم ولا شخص يخاف من سلطان أو شيطان إلاّ كفاه الله عزّ وجلّ ، وهي :

« يا عماد من لا عماد له ، ويا سند من لا سند له ، ويا ذخر من لا ذخر له ، ويا حرز من لا حـرز له ، ويـا فخر من لا فخـر له ، ويـا ركن من لا ركن له ، يـا عظيم الـرجاء ، يـا عـزّ الضعفاء ، يا منقذ الغرقى ، يـا منجيَ الهلكى ، يا محسن ، يـا منعم ، يا مفضـل ، أسأل الله الذي لا إله إلاّ أنت ، الذي سجد لك سواد الليل ، وضوء النهـار ، وشعاع الشمس ، ونـور القمر ، ودويّ الماء ، وحفيف الشجر ، يا الله يا رحمن ، يا ذا الجلال والإكرام » .

(وقد سمّى أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الدعاء بدعاء الفرج) .

الدعاء الثالث : ذكر الشيخ الكفعميّ في (الجنّة الواقية) أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقال : يا رسول الله ، لقد كنت غنيّاً فافتقرت ، وكنت صحيحاً فمرضت ، وكنت عند الناس مقبولاً فصرت مبغوضاً ، وكنت على القلوب خفيفاً فصرت ثقيلاً ، وكنت فرحاً فاجتمعت علي الهموم ، وضاقت عليّ الأرض على رحبها ، أسعى طوال النهار في طلب الرزق فلا أحصل على شيء .

فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله) : لعلّك تستعمل ميراث الهموم ، قال : وما ميراث الهموم ؟ قال (صلّى الله عليه وآله) : لعلّك تضع العمامة على رأسك وأنت قاعد ، وتلبس السروال وأنت واقف ، أو تقضم أظفارك بأسنانك ، أو تمسح وجهك بتحاشية ثوبك ، أو تبول في ماء راكد ، أو ترقد على وجهك ، فقال : أفعل شيئاً من هذا ، فقال له (صلّى الله عليه وآله) : اتّق الله يا رجل ، وخلّص ضميرك ، واقرأ هذا الدعاء ، وهو دعاء الفرج :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إلهي ، طموح الآمال قد خاب إلاّ لديك ، ومعاكف الهمم قد تقطّعت إلاّ عليك ، ومذاهب العقول قد سمت إلاّ إليك ، فإليك الرجاء ، وإليك الملتجى ، يا أكرم مقصود ، ويا أجود مسؤول ، هربت إليك بنفسي يا ملجأ الهاربين بأثقال الذنوب أحملها على ظهري ، وما أجد لي إليك شافعاً سوى معرفتي بأنّك أقرب من رجاه الطالبون ، ولجأ إليه المضطرّون ، وأمّل ما لديه الراغبون .
يا من فتق العقول بمعرفته ، وأطلق الألسن بحمده ، وجعل ما امتنّ به على عباده كفاءً لتأدية حقّه ، صلّ على محمّد وآله ، ولا تجعل للهموم على عقلي سبيلاً ، ولا للباطل على عملي دليلاً ، وافتح لي بخير الدنيا يا وليّ الخير » .

الدعاء الرابع : ذكر الفاضل المتبحّر السيد على خان المدنيّ في (الكلم الطيّب) عن جدّه أنّ دعاء الفرج هو هذا :

« اللهمّ يا ودود يا ودود يا ودود ، ياذا العرش المجيد يا فعّالاً لما يريد ، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك ، وبرحمتك التي وسعت كلّ شيء ، لا إله إلاّ أنت يا مبدىء يا معيد ، لا إله إلاّ أنت يا إله البشر ، يا عظيم الخطر ، منك الطلب وإليك الهرب وقع بالفرج ، يا مغيث أغثني » . (تقول ثلاث مرّات) .

دعاء الفرج الخامس : الدعاء المرويّ في كتاب (مفاتيح النجاة) للمحقّق السبزواريّ ، ومطلعه :

« اللهمّ إنّي أسألك يا الله يا الله يا الله ، يا من علا فقهر » ، وهو دعاء طويل .

الحكاية الثامنة : قصّة تشرّف الشريف عمر بن حمزة بلقائه (عليه السلام)

قال الشيخ الجليل والأمير الزاهد ورّام بن أبي فراس في آخر المجلّد الثاني في كتاب (تنبيه الخاطر) : حدّثني السيّد الجليل الشريف أبو الحسن عليّ بن إبراهيم العُريضيّ العلويّ الحسينيّ عن عليّ بن عليّ بن نما قال : حدّثنا الحسن بن عليّ بن حمزة الأقساسيّ[1] في دار الشريف عليّ بن جعفر بن عليّ المدائنيّ العلويّ قال :

كان بالكوفة شيخ قصّار ، وكان موسوماً بالزهد ، منخرطاً في سلك السياحة ، متبتّلاً للعبادة ، مقتفياً للآثار الصالحة ؛ فاتّفق يوماً أنّني كنت بمجلس والدي ، وكان هذا الشيخ يحدّثه وهو مقبل عليه .

قال الشيخ : كنت ذات ليلة بمسجد جعفيّ ، وهو مسجد قديم في ظاهر الكوفة ، وقد انتصف الليل ، وأنا بمفردي فيه للخلوة والعبادة ، إذ أقبل عليّ ثلاثة أشخاص فدخلوا المسجد ، فلمّا توسّطوا صرحته جلس أحدهم ثمّ مسح الأرض بيده يمنة ويسرة ، فخضخض الماء ونبع ، فأسبغ الوضوء منه ، ثمّ أشار إلى الشخصين الآخرين بإسباغ الوضوء فتوضأا ، ثمّ تقدّم فصلّى بهما إماماً ، فصلّيت معهم مؤتمّاً به .

فلمّا سلّم وقضى صلاته بهرني حاله ، واستعظمت فعله من إنباع الماء ، فسألت الشخص الذي كان منهما على يميني عن الرجل فقلت له : من هذا ؟ فقال لي : هذا صاحب الأمر ولد الحسن (عليه السلام) ، فدنوت منه وقبّلت يديه ، وقلت له : يا بن رسول الله ، ما تقول في الشريف عمر بن حمزة ، هل هو على الحقّ ؟ فقال : لا ، وربّما اهتدى ، إلاّ أنّه لا يموت حتّى يراني .

قال : فاستطرفنا هذا الحديث من الشيخ ، فمضت برهة طويلة فتوفّي الشريف عمر ، ولم يُسمع أنّه لقيه ، فلمّا اجتمعت بالشيخ الزاهد أذكرته بالحكاية التي كان ذكرها ، وقلت له مثل الرادّ عليه : أليس كنت ذكرت أنّ هذا الشريف لا يموت حتّى يرى صاحب الأمر الذي أشرت إليه ؟ فقال لي : ومن أين علمت أنّه لم يره ؟

ثمّ إنّني اجتمعت فيما بعد بالشريف أبي المناقب ولد الشريف عمر بن حمزة ، وتفاوضنا أحاديث والده ، فقال : إنّا كنّا ذات ليلة في آخر الليل عند والدي وهو في مرضه الذي مات فيه ، وقد سقطت قوّته ، وخفت صوته ، والأبواب مغلّقة علينا ، إذ دخل علينا شخص هبناه واستطرفنا دخوله ، وذهلنا عن سؤاله ، فجلس إلى جنب والدي وجعل يحدّثه مليّاً ، ووالدي يبكي ، ثمّ نهض .

---

(١) أقساس : قرية من قرى الكوفة (المصحح) .

فلمّا غاب عن أعيننا تحامل والدي وقال : أجلسوني ، فأجلسناه وفتح عينيه وقال : أين الشخص الذي كان عندي ؟ فقلنا : خرج من حيث أتى ، فقال : اطلبوه ، فذهبنا في أثره فوجدنا الأبواب مغلّقة ، ولم نجد له أثراً ، فعدنا إليه فأخبرناه بحاله ، وأنّا لم نجده ، وسألناه عنه ، فقال : هذا صاحب الأمر .

ثمّ عاد إلى ثقله في المرض ، وأغمي عليه .

يقول المؤلّف : أبو محمّد الحسن بن حمزة الأقساسيّ المعروف بعزّ الدين الأقساسيّ من أجلّة سادات الكوفة وشرفائها وعلمائها ، وكان شاعراً ماهراً ، وكان الناصر بالله العبّاسيّ قد نصبه نقيباً للسادات ، وكان مع المستنصر بالله العبّاسيّ في زيارة سلمان (رض) فقال له المستنصر : لكم يكذب غلاة الشيعة في أحاديثهم فيقولون : إن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) سار في ليلة من المدينة إلى المدائن فغسّل سلمان ورجع في نفس الليلة! فأجابه أبو محمّد بهذه الأبيات :

أنكرت ليلةَ إذ سار الوصيّ (إلى)[1] أرض المدائن لمّا (واجب)[1] طلبا
وغسّل الطهرَ سلماناً وعاد إلى عرايض يثرب والإصباح ما وجبا
وقلت : ذلك من قول الغلاة وما ذنب الغلاة إذا لم يوردوا كذبا
فآصفُ قبل ردّ الطرف من سبأ بعرش بلقيس وافى يخرق الحجبا
فأنت في آصفٍ لم تغل فيه بلى في حيدرٍ أنا غالٍ إنّ ذا عجبا
إن كان أحمد خير المرسلين فذا خير الوصيّين أو كلّ الحديث هبا

ومسجد جعفيّ من المساجد المباركة المعروفة بالكوفة ، وقد صلّى أمير المؤمنين (عليه السلام) هناك أربع ركعات وسبّح تسبيح الزهراء (عليها السلام) وناجى مناجاة طويلة بعد ذلك ، ممّا هو موجود في كتب المزار ، وجاء ذكره في الصحيفة العلويّة الثانية ، ولا أثر لهذا المسجد اليوم .

الحكاية التاسعة : قصّة أبي راجح الحمّاميّ

ذكر العلاّمة المجلسيّ (ره) في (البحار) نقلاً عن كتاب (السلطان المفرّج عن أهل الإيمان) تأليف العالم الكامل السيّد عليّ بن عبد الحميد النيليّ النجفيّ ، قال عليّ بن عبد الحميد عند ذكر من رأى القائم (عليه السلام) :

فمن ذلك ما اشتهر وذاع ، وملأ البقاع ، وشهد بالعيان أبناء الزمان وهو قصّة أبي

(١) ما بين الأقواس استدراك من المعرّب .

راجح الحمّاميّ بالحلّة ، وقد حكى ذلك جماعة من الأعيان الأماثل ، وأهل الصدق الأفاضل ، ومنهم الشيخ الزاهد العابد المحقّق شمس الدين محمّد بن قارون سلّمه الله تعالى ، قال :

كان الحاكم بالحلّة شخصاً يدعى مرجان الصغير ، وكان ناصبيّاً ، فرُفع إليه أنّ أبا راجح هذا يسبّ الصحابة ، فأحضره وأمر بضربه ، فضرب ضرباً شديداً مهلكاً على جميع بدنه ، حتّى أنّه ضرب على وجهه فسقطت ثناياه ، وأُخرج لسانه فجعل فيه مسلّة من الحديد ، وخرق أنفه ووضع فيه حبل من الشعر ، وشُدّ فيه حبل آخر وأمر بأن يجرّ منه فيدار به في أزقّة الحلّة ، فداروا به والضرب يأخذ من جميع جوانبه ، حتّى سقط إلى الأرض وعاين الهلاك .

وأُخبر الحاكم بذلك فأمر بقتله ، فقال الحاضرون : إنّه شيخ كبير ، وقد حصل له ما يكفيه ، وهو ميّت لما به ، فاتركه يموت حتف أنفه ، ولا تتقلّد بدمه ؛ وبالغوا في ذلك حتّى أمر بتخليته وقد انتفخ وجهه ولسانه ؛ فنقله أهله ، ولم يشكّ أحد أنّه يموت من ليلته .

فلمّا كان من الغد غدا عليه الناس فإذا هو قائم يصلّي على أتمّ حالة ، وقد عادت ثناياه التي سقطت كما كانت ، واندملت جراحاته ولم يبق لها أثر ، والشجّة قد زالت من وجهه .

فعجب الناس من حاله وسألوه عن أمره فقال : إنّي لمّا عاينت الموت ولم يبق لي لسان أسأل الله تعالى به فقد كنت أسأله بقلبي ، واستغثت بسيّدي ومولاي صاحب الزمان (عليه السلام) ، فلمّا جنّ عليّ الليل إذا بالدار قد امتلأت نوراً ، وإذا بمولاي صاحب الزمان قد أمرّ يده الشريفة على وجهي وقال لي : اخرج وكدّ على عيالك ، فقد عافاك الله تعالى . فأصبحت كما ترون .

وحكى الشيخ شمس الدين محمّد بن قارون المذكور قال : وأقسم بالله تعالى إنّ أبا راجح هذا كان ضعيفاً جدّاً ، ضعيف التركيب ، أصفر اللون ، شين الوجه ، مقرّض اللحية ، وكنت دائماً أدخل الحمّام الذي هو فيه ، وكنت دائماً أراه على هذه الحالة وهذا الشكل ، فلمّا أصبحت كنت ممّن دخل عليه ، فرأيته وقد اشتدّت قوّته ، وانتصبت قامته ، وطالت لحيته ، واحمرّ وجهه ، وعاد كأنّه ابن عشرين سنة ، ولم يزل على ذلك حتّى أدركته الوفاة .

ولمّا شاع هذا الخبر وذاع طلبه الحاكم وأحضره عنده ، وقد كان رآه بالأمس على تلك الحالة ، وهو الآن على ضدّها كما وصفناه ، ولم ير لجراحاته أثراً ، وثناياه قد عادت ؛ فداخل الحاكم في ذلك رعب عظيم .

وكان يجلس في مقام الإمام (عليه السلام) في الحلّة ، ويعطي ظهره القبلة الشريفة ، فصار بعد ذلك يجلس ويستقبلها ، وعاد يتلطّف بأهل الحلّة ، ويتجاوز عن مسيئهم ، ويحسن

إلى محسنهم ، ولم ينفعه ذلك ، بل لم يلبث في ذلك إلاّ قليلاً حتّى مات .

الحكاية العاشرة : قصّة الكاشانيّ المريض وشفائه ببركته (عليه السلام)

وجاء في (البحار) أيضاً : أخبرني جماعة من أهل النجف الأشرف أنّ رجلاً من أهل كاشان أتى إلى النجف متوجّهاً إلى بيت الله الحرام ، فاعتلّ علّة شديدة حتّى يبست رجلاه ولم يقدر على المشي ، فخلّفه رفقاؤه عند رجل من الصلحاء كان يسكن في بعض حجرات المدرسة المحيطة بالروضة المقدّسة ، وذهبوا إلى الحجّ .

فكان هذا الرجل (النجفيّ) يغلق عليه الباب كلّ يوم ويذهب إلى الصحارى للتنزّه ، ولطلب الدراريّ التي تؤخذ منها ، فقال له في بعض الأيّام : إنّي قد ضاق صدري واستوحشت من هذا المكان ، فاذهب بي اليوم واطرحني في مكان واذهب حيث شئت .

قال الكاشانيّ : فأجابني إلى ذلك ، وحملني وذهب بي إلى مقام خارج النجف يقال له : مقام القائم (عليه السلام) ، فأجلسني هناك ، وغسل قميصه في الحوض وطرحه على شجرة كانت هناك ، وذهب إلى الصحراء ، وبقيت وحدي مغموماً أفكّر في ما يؤول إليه أمري .

فإذا أنا بشابّ صبيح الوجه أسمر اللون ، دخل الصحن ، وسلّم عليّ وذهب إلى بيت المقام ، وصلّى عند المحراب ركعات بخضوع وخشوع لم أر مثله قطّ ، فلمّا فرغ من الصلاة أتاني وسألني عن حالي ، فقلت له : ابتليت ببليّة ضقت بها ، لا يشفيني الله فأسلم منها ، ولا يذهب بي فأستريح ؛ فقال : لا تحزن سيعطيك الله كليهما ، وذهب .

فلمّا خرج رأيت القميص وقد وقع على الأرض ، فقمت وأخذته وغسلته وطرحته على الشجرة ، وتفكّرت في أمري وقلت : كنت لا أقدر على القيام والحركة ، فكيف صرت هكذا ؟! فنظرت إلى نفسي فلم أجد شيئاً ممّا كان بي ، فعلمت أنّه كان القائم صلوات الله عليه ، فخرجت فنظرت في الصحراء فلم أر أحداً ، فندمت ندامة شديدة .

فلمّا أتاني صاحب الحجرة سألني عن حالي ، وتحيّر في أمري ، فأخبرته بما جرى ، فتحسّر على ما فات منه ومنّي ، ومشيت معه إلى الحجرة .

قال الرواة : وبقي الرجل سالماً حتّى عاد الحاجّ وعاد رفقاؤه ، وكان معهم مدّة ثمّ مرض ومات ، ودفن في الصحن المقدّس ، وظهر صحّة ما أخبره به (عليه السلام) من وقوع الأمرين معاً .

يقول المؤلّف : لا يخفى أن في العديد من الأماكن مواضع مخصوصة تُعرف بمقامات القائم (عليه السلام) أمثال وادي السلام ، ومسجد السهلة ، والحلّة ، وخارج قمّ وغيرها ،

ويبدو أنّ لقاء الناس له (عليه السلام) يتمّ في تلك المواضع ، أو أنّ المعجزات تظهر عنه (عليه السلام) فيها ، ولهذا اعتبرت تلك الأماكن الشريفة محلّاً للأنس وتردّد الملائكة ، وقلّة الشياطين فيها ، وهذا أحد الأسباب في قرب استجابة الدعاء وقبول العبادات ، وقد وردت بعض الأخبار في أنّ لله تعالى مواضع يحبّ أن يُعبد فيها ، وأنّ وجود أمثال هذه الأماكن كالمساجد ، ومشاهد الأئمّة (عليهم السلام) ، ومقابر سلالة الأئمّة والصلحاء والأبرار يعدّ من الألطاف الإلهيّة الغيبيّة للعباد من المضطرّين والمرضى والمنقطعين والمظلومين والخائفين والمحتاجين ونظرائهم من ذوي الهموم التي تفرّق القلوب وتشتّت الخواطر وتخلّ بالحواسّ ، فيلوذون بها ويتضرّعون ، ويسألون الله بواسطة صاحب هذا المقام ، يلتمسون العلاج لأوجاعهم ، ويطلبون الشفاء ودفع شرّ الأشرار ، وكثيراً ما اقترنت تضرّعاتهم بسرعة الإجابة ، فيغدون مرضى ويروحون معافين ، ويحضرون مظلومين وينصرفون بالغبطة والرضى ، يأتون في اضطراب وحيرة ويعودون بالطمأنينة وراحة البال .

ولا شكّ أنّهم كلّما اقترن سعيهم بالأدب والاحترام ، زاد ما يلقونه هناك من الخير ، ومن المحتمل أن هذه المواضع جميعها تدخل في عداد البيوت التي أمر الله تعالى أن تُرفع ويذكر فيها اسمه ، وامتدح من يسبّحونه فيها بالغدوّ والآصال ؛ والمقام لا يتّسع لمزيد من الشرح .

الحكاية الحادية عشرة : قصّة الرمّان والوزير الناصبيّ بالبحرين

وجاء في ذلك الكتاب الشريف أيضاً أنّ بعض الأفاضل الكرام والثقاة الأعلام قال :

لمّا كانت بلدة البحرين تحت حكم الفرنجة جعلوا والياً عليها رجلاً من المسلمين ليكون أدعى إلى تعميرها وأصلح بحال أهلها ، وكان هذا الوالي من النواصب ، وله وزير أشدّ نصباً منه ، يظهر العداوة لأهل البحرين لحبّهم لأهل البيت (عليهم السلام) ، ويحتال في إهلاكهم والإضرار بهم بكلّ حيلة .

فلمّا كان في بعض الأيام دخل الوزير على الوالي وبيده رمّانة ، فأعطاها الوالي ، فإذا مكتوب عليها :

« لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ خلفاء رسول الله » .

فتأمّل الوالي فرأى الكتابة من أصل الرمّانة ، بحيث لا يحتمل عنده أن تكون من صناعة البشر ، فتعجّب من ذلك ، وقال للوزير : هذه آية بيّنة وحجّة قويّة على إبطال مذهب الرافضة ، فما رأيك في أهل البحرين ؟ فقال له : أصلحك الله ، إنّ هؤلاء جماعة متعصّبون ، ينكرون البراهين ، وينبغي أن تحضرهم وتريهم هذه الرمّانة ، فإن قبلوا ورجعوا إلى مذهبنا كان لك الثواب الجزيل بذلك ، وإن أبوا إلّا المقام على ضلالتهم فخيّرهم بين ثلاث : إمّا أن يؤدّوا

الجزية وهم صاغرون ، أو يأتوا بجواب عن هذه الآية البيّنة التي لا محيص لهم عنها ، أو تقتل رجالهم وتسبي نساءهم وأولادهم ، وتأخذ بالغنيمة أموالهم !!

فاستحسن الوالي رأيه ، وأرسل إلى العلماء ، والأفاضل الأخيار والنجباء ، والسادة الأبرار من أهل البحرين وأحضرهم ، وأراهم الرمّانة ، وأخبرهم بما رأى فيهم إن لم يأتوا بجواب شاف ، من القتل والأسر وأخذ الأموال ، أو أخذ الجزية على وجه الصغار كالكفّار ؛ فتحيّروا في أمرها ، ولم يقدروا على جواب ، وتغيّرت وجوههم ، وارتعدت فرائصهم .

فقال كبراؤهم : أمهلنا أيّها الأمير ثلاثة أيّام لعلّنا نأتيك بجواب ترتضيه ، وإلّا فاحكم فينا ما شئت ، فأمهلهم ، فخرجوا من عنده خائفين مرعوبين متحيّرين .

فاجتمعوا في مجلس وأجالوا الرأي في ذلك ، فاتّفق رأيهم على أن يختاروا من صلحاء البحرين وزهّادهم عشرة ، ففعلوا ثمّ اختاروا من العشرة ثلاثة ، فقالوا لأحدهم : اخرج الليلة إلى الصحراء واعبد الله فيها ، واستغث بإمام زماننا وحجّة الله علينا ، لعلّه يبيّن لك ما هو المخرج من هذه الداهية الدهماء .

فخرج وبات طوال ليلته متعبّداً خاشعاً داعياً باكياً ، يدعو ويستغيث بالإمام (عليه السلام) ، حتّى أصبح ولم ير شيئاً ، فأتاهم وأخبرهم ، فبعثوا في الليلة الثانية الثاني منهم ، فرجع كصاحبه ، ولم يأتهم بخبر ، فازداد قلقهم وجزعهم .

فأحضروا الثالث ، وكان تقيّاً فاضلاً اسمه محمّد بن عيسى ، فخرج الليلة الثالثة حافياً حاسر الرأس إلى الصحراء ، وكانت ليلة مظلمة ، فدعا وبكى ، وتوسّل إلى الله تعالى في خلاص هؤلاء المؤمنين ، وكشف هذه البليّة عنهم ، واستغاث بصاحب الزمان .

فلمّا كان في آخر الليل إذا هو برجل يخاطبه ويقول : يا محمّد بن عيسى ، مالي أراك على هذه الحالة ، ولماذا خرجت إلى هذه البريّة ؟ فقال له : أيّها الرجل دعني ، فإنّي خرجت لأمر عظيم وخطب جسيم لا أذكره إلّا لإمامي ، ولا أشكوه إلّا إلى من يقدر على كشفه عنّي .

فقال : يا محمّد بن عيسى ، أنا صاحب الأمر ، فاذكر حاجتك ؛ فقال : إن كنت هو فأنت تعلم قصّتي ، ولا تحتاج إلى أن أشرحها لك ، فقال له : نعم ، خرجت لما دهمكم من أمر الرمّانة وما كتب عليها ، وما أوعدكم الأمير به .

قال محمّد بن عيسى : فلمّا سمعت ذلك توجّهت إليه وقلت له : نعم يا مولاي ، لأنت تعلم ما أصابنا ، وأنت إمامنا وملاذنا والقادر على كشفه عنّا .

فقال صلوات الله عليه : يا محمّد بن عيسى ، إنّ الوزير لعنه الله في داره شجرة رمّان ،

فلمّا حملت تلك الشجرة صنع شيئاً من الطين على هيئة الرمّانة ، وجعلها نصفين ، وكتب في داخل كلّ نصف بعض تلك الكتابة ، ثمّ وضعها على الرمّانة ، وشدّهما عليها وهي صغيرة ، فأثّر فيها وصارت هكذا ، فإذا مضيتم غداً إلى الوالي فقل له : جئتك بالجواب ، ولكنّي لا أبديه لك إلاّ في دار الوزير ، فإذا مضيتم إلى داره فانظر عن يمينك فترى غرفة ، فقل للوالي : لا أجيبك إلاّ في تلك الغرفة ، وسيأبى الوزير ذلك ، فبالغ أنت في ذلك ولا ترض إلاّ بالصعود إليها ، فإذا صعد فاصعد معه ولا تتركه يتقدّم عليك ، فإذا دخلت الغرفة رأيت فيها كوّة فيها كيس أبيض ، فانهض إليه وخذه تر فيه تلك الطينة التي عملها لهذه الحيلة ، ثمّ ضعها أمام الوالي ، وضع الرمّانة فيها لينكشف له جليّة الحال .

يا محمّد بن عيسى ، قل للوالي أيضاً : إنّ لدينا معجزة أخرى ، وهي أنّ هذه الرمّانة ليس فيها إلاّ الرماد والدخان ، وإن أردت صحة ذلك فمر الوزير بكسرها ، فإذا كسرها طار الرماد والدخان على وجهه ولحيته .

فلمّا سمع محمّد بن عيسى ذلك من الإمام فرح فرحاً شديداً ، وقبّل الأرض بين يدي الإمام صلوات الله عليه ، وانصرف إلى أهله بالبشارة والسرور .

فلمّا أصبحوا مضوا إلى الوالي ، ففعل محمّد بن عيسى كلّ ما أمره الإمام ، وظهر كلّ ما أخبره ، فالتفت الوالي إلى محمّد بن عيسى وقال له : من أخبرك بهذا ؟ فقال : إمام زماننا وحجّة الله علينا ، فقال : ومن إمامكم ؟ فأخبره بالأئمّة واحداً بعد واحد ، إلى أن انتهى إلى صاحب الأمر ، صلوات الله عليهم .

فقال الوالي : مدّ يدك ، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأنّ الخليفة من بعده بلا فصل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ثمّ أقرّ بالأئمّة إلى آخرهم (عليهم السلام) ، وحسن إيمانه .

وهذه القصّة مشهورة عند أهل البحرين ، وقبر محمّد بن عيسى عندهم معروف يزوره الناس .

الحكاية الثانية عشرة : قصّة مناظرة رجل من الشيعة مع رجل من السنّة

ذكر العالم الفاضل الخبير الميرزا عبد الله الإصفهانيّ ، تلميذ العلاّمة المجلسيّ (ره) في الفصل الثاني من خاتمة القسم الأوّل من كتاب (رياض العلماء) أنّ الشيخ أبا القاسم بن محمّد بن أبي القاسم الحاسميّ هو الفاضل العالم الكامل المعروف بالحاسميّ ، وهو من كبار مشايخ أصحابنا ، ويظهر أنّه من قدماء الأصحاب .

وقال الأمير السيّد الحسين العامليّ المعروف بالمجتهد ، المعاصر للسلطان الشاه عبّاس

الماضي الصفوي ، في أواخر رسالته التي ألّفها في أحوال أهل الخلاف في الدنيا والآخرة ، في مقام الحديث عن بعض المناظرات الواقعة بين الشيعة وأهل السنّة ، ما نصّه :

الثانية منها حكاية غريبة وقعت في البلدة الطيّبة همدان بين شيعيّ اثني عشريّ ، وبين شخص سنيّ ، رأيتها في كتاب قديم يحتمل حسب العادة أنّ تاريخ كتابته يعود إلى ثلاثمئة سنة قبل الآن ، وجاء فيه :

قامت بين بعض علماء الشيعة الاثني عشريّة واسمه أبو القاسم محمّد بن أبي القاسم الحاسمّي وبين بعض علماء أهل السنّة واسمه رفيع الدين الحسين صداقة وصحبة قديمتان ، وشراكة في الأموال ، ومخالطة في أكثر الأحوال وفي الأسفار ، ولم يكن أحدهما ليخفي مذهبه عن صاحبه ، وكان أبو القاسم يدعو رفيع الدين مازحاً بالنصب ، كما ينسب رفيع الدين أبا القاسم إلى الرفض ، ولم يقع بينهما خلال صحبتهما أي بحث في المذهب ، إلى أن اتّفق لهما يوماً أن تبادلا الكلام في ذلك ، وكانا في مسجد بلدة همدان الذي يقال له : المسجد العتيق ، وأثناء الكلام جعل رفيع الدين الحسين يفضّل فلاناً وفلاناً على أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وردّ عليه أبو القاسم ففضّل أمير المؤمنين (عليه السلام) على فلان وفلان ، واستدلّ أبو القاسم على صحّة مذهبه بذكر الآيات والأحاديث الكثيرة ، وذكر المقامات والكرامات والمعجزات التي صدرت عنه (عليه السلام) ، بينما جعل رفيع الدين يعكس الأمر ، ويستدلّ على فضل أبي بكر على عليّ (عليه السلام) بصحبة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) له في الغار ، ودعوته إيّاه بالصدّيق الأكبر بين المهاجرين والأنصار ، وأنّه خُص من بينهم بالمصاهرة والخلافة والإمامة ، كما أورد عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) حديثين في شأن أبي بكر ، أحدهما أنّه منه بمنزلة القميص . . الخ ، والآخر أنّه (صلّى الله عليه وآله) يُنصر باثنين بعده : أبي بكر وعمر .

فلمّا سمع أبو القاسم مقالته قال له : بأيّ وجه وسبب تفضّل أبا بكر على سيّد الأوصياء ، وسند الأولياء ، وحامل اللواء ، وعلى إمام الجنّ والإنس ، قسيم الجنّة والنار ، في حين أنّك تعلمت أنّ عليّاً (عليه السلام) هو الصدّيق الأكبر والفاروق الأزهر ، وهو أخو رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وزوج البتول ؟ وتعلم أيضاً أنّه عندما خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نحو الغار هارباً من الظلمة والفجرة الكفّار ، نام في فراشه ، وشاركه في العسر والفقر ، وأنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سدّ أبواب الصحابة إلى المسجد إلاّ باب عليّ (عليه السلام) ، وأنّه رفع عليّاً (عليه السلام) على كتفه فحطم الأصنام في فجر الإسلام ، وأنّ الله عزّ وجلّ زوّجه من فاطمة (عليها السلام) في الملأ الأعلى ، وأنّه قاتِلُ عمرو بن عبد ودّ ، وفاتح خيبر ، وأنّه لم يشرك بالله طرفة عين ، على نقيض أولئك الثلاثة ،

وتعلم أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) شبّهه بالأنبياء الأربعة حيث قال :

من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى موسى في شدّته ، وإلى عيسى في زهده ، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب .

فمع هذه الفضائل والكمالات الظاهرة الباهرة ، إلى قرابته من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، إلى ردّ الشمس له ، كيف يعقل أو يجوز تفضيل أبي بكر على عليّ (عليه السلام) ؟!

فلمّا سمع رفيع الدين مقالة صاحبه وظهور فضل عليّ (عليه السلام) على أبي بكر تزعزع ما كان يربطه بأبي القاسم من علاقة خاصّة ، وتبادلا كلاماً قال رفيع الدين بعده :

أترضى بحكم أوّل داخل إلى هذا المسجد ، فإلى أيّنا حكم رضينا حكمه ؟

تردّد أبو القاسم هنيئة ، فهو يعرف تماماً مذهب أهل همدان ، وأنهم من أهل السنّة ، فخاف من هذا الشرط ، لكنّه أمام إلحاح صاحبه قبل بالشرط على مضض ، ولم يمض إلاّ قليل حتّى ظهر شابّ تبدو عليه مخايل النجابة والجلالة ، وكان يبدو من حالته أنّه قادم من سفر ، ودخل الشاب المسجد وطاف فيه ، وبعد الطواف دنا منهما ، فسارع رفيع الدين إليه وهو يضطرب ، وبعد السلام على الشابّ عرض عليه ما كان بينه وبين صاحبه ، وبالغ في إظهار مذهبه إلى الشاب مشفعاً أقواله بالأيمان المؤكّدة ، وأقسم عليه أن يقول ما يعتقد واقعاً ، فبادر الشابّ دون توقّف فأنشد هذين البيتين :

ومتى أقل مولاي أفضل منهما ... أكن للذي فضّلته متنقّصاً
ألم تر أنّ السيف يزري بحدّه ... مقالك : هذا السيف أحدى[1] من العصا

وبعد أن فرغ الشابّ من قراءة البيتين ، وأبو القاسم ورفيع الدين في ذهول ممّا رأياه من فصاحته وبلاغته ، أرادا معرفة المزيد عن حاله لكنه غاب عن ناظريهما ولم يجدا له أثراً ، فما كان من رفيع الدين بعد أن رأى ما رأى إلاّ أن تخلّى عن مذهبه ، وقال بالإمامة الإثني عشريّة .

قال صاحب (الرياض) بعد إيراده هذه القصّة : يظهر أنّ ذلك الشابّ هو القائم (عليه السلام) ، ويؤيّد هذا الكلام ما سيرد في الباب التاسع ، وأمّا البيتان المذكوران فموجودان في كتب العلماء مع زيادة طفيفة على هذا النحو :

يقولون لي فضّل عليّاً عليهمُ ... فلست أقول التبر أغلى من الحصى
إذا أنا فضّلت الإمام عليهمُ ... أكن للذي فضّلته متنقّصاً
ألم تر أنّ السيف يزري بحدّه ... مقالة : هذا السيف أعلى[1] من العصا

---

(١) و(٢) أصلح للحداء وهو سوق الإبل ، ، وأعلى : أرفع مكانة .

وقال في (الرياض) : هذان البيتان مادّة لهذه الأبيات .

الحكاية الثالثة عشرة : قصّة شفاء الشيخ الحرّ العامليّ من مرضه ببركته (عليه السلام)

قال المحدّث الجليل الشيخ الحرّ العامليّ في (أثبات الهداة) : كنت في عصر الصبا وسنّي عشر سنين أو نحوها حين أصابني مرض شديد جداً حتّى اجتمع أهلي وأقاربي وبكوا وتهيّأوا للتعزية ، وأيقنوا أنّي أموت تلك الليلة ، فرأيت النبيّ والأئمّة الإثني عشر صلوات الله عليهم وأنا فيما بين النائم واليقظان ، فسلّمت عليهم وصافحتهم واحداً واحداً ، وجرى بيني وبين الصادق (عليه السلام) كلام ، ولم يبق في خاطري إلاّ أنّه دعا لي .

فلمّا سلّمت على صاحب الأمر (عليه السلام) وصافحته بكيت وقلت : يا مولاي ، أخاف أن أموت في هذا المرض ، ولم أقض وطري من العلم والعمل ، فقال (عليه السلام) : لا تخف ، فإنّك لا تموت في هذا المرض ، بل يشفيك الله وتعمّر عمراً طويلاً ، ثمّ ناولني قدحاً كان في يده ، فشربت منه ، وأفقت في الحال ، وزال عنّي المرض بالكلّيّة ، وجلست ، وتعجّب أهلي وأقاربي، ولم أحدّثهم بما رأيت إلاّ بعد أيّام .

الحكاية الرابعة عشرة : قصّة لقاء المقدّس الأردبيليّ بالقائم (عليه السلام)

قال المحدّث السيّد نعمة الله الجزائري في (الأنوار النعمانيّة) : أخبرني أوثق مشايخي في العلم والعمل ، وكان تلميذاً لمولاي الأردبيليّ من أهل « تفرش » واسمه الأمير علاّم ، وكان في غاية الفضل والورع ، قال :

كانت لي حجرة في المدرسة المحيطة بالقبّة الشريفة بالغريّ ، واتّفق لي ذات ليلة أن خرجت بعد أن فرغت من المطالعة ، وكان قد ذهب كثير من الليل ، فبينا أنا أجول في الصحن رأيت شخصاً مقبلاً نحو الروضةالمقدّسة ، فتساءلت إن كان الرجل من لصوص القناديل ، فأقبلت نحوه ، فلمّا قربت منه عرفت أنّه أستاذنا الفاضل العالم التقيّ الزكيّ مولانا أحمد الأردبيليّ قدّس الله روحه ، فأخفيت نفسي عنه حتّى أتى الباب وكان مقفلاً ، فانفتح له عند وصوله إليه ، وجرى مثل ذلك عند الباب الثاني والثالث حتّى دخل الروضة المقدّسة ، فسلّم ، وردّ عليه السلام ، صوت من جهة القبر الشريف ، وسمعته يحدّث الإمام (عليه السلام) في مسألة علميّة ، ثم خرج فمشيت خلفه حتّى خلّف الغريّ متوجّهاً نحو مسجد الكوفة ، فكنت خلفه بحيث لا يراني حتّى دخل المسجد ، وصار إلى المحراب الذي استشهد أمير المؤمنين صلوات الله عليه عنده ، فسمعته يتكلّم مع أحدهم في المسألة نفسها ، ثم خرج من المسجد ورجع أدراجه ، ورجعت خلفه وهو لا يراني ، وعندما وصل إلى بوّابة البلدة كان الصبح قد أسفر ، فأظهرت نفسي له وقلت : يا مولانا ، لقد كنت معك حيث دخلت الروضة المقدّسة

إلى الآن ، وأقسم عليك إلاّ أخبرتني بما جرى عليك ، ومن هو الشخص الأوّل الذي كلّمته ومن هو الثاني ؟

فقال : أخبرك على أن لا تخبر به أحداً ما دمت حيّاً ، فلمّا توثّق ذلك منّي قال : كنت أفكّر في بعض المسائل ، وقد استغلقت عليّ فوقع في قلبي أن آتي أمير المؤمنين (عليه السلام) وأسأله عن ذلك ، ولمّا فعلت أحالني (عليه السلام) إلى صاحب الزمان (عليه السلام) وقال : ائت مسجد الكوفة فالقائم هناك هذه الليلة ، وإنّه إمام زمانك ، فسله مسألتك .

الحكاية الخامسة عشرة : قصّة المرحوم محمّد تقيّ المجلسيّ

جاء في (شرح من لا يحضره الفقيه) ضمن ترجمة المتوكّل بن عمير راوي الصحيفة السجّاديّة الكاملة ، قال رحمه الله :

كنت في أوائل البلوغ طالباً لمرضاة الله تعالى وساعياً في طلب رضاه عزّ وجلّ ، ولم يكن لي قرار بذكره إلى أن رأيت بين النوم واليقظة أنّ صاحب الزمان صلوات الله عليه كان واقفاً في الجامع القديم بإصفهان قريباً من باب الطنابيّ الذي هو الآن مَدْرَسي ، فسلّمت عليه ، وأردت أن أقبّل رجله فلم يدعني ، فقبّلت يده ، وسألته مسائل قد أشكلت عليّ ، منها أنّي كنت أوسوس في صلاتي ، وكنت أقول : إنّها ليست كما طُلبت منّي ، وأنا مشتغل بالقضاء ولا يمكنني إتيان صلاة الليل ، وسألت عنه شيخنا البهائيّ رحمه الله تعالى ، فقال : صلّ صلاة الظهر والعصر والمغرب بقصد صلاة الليل ، فسألت الحجّة (عليه السلام) : أصلّي صلاة الليل ؟ فقال : صلّها ، ولا تفعل كالمصنوع الذي كنت تفعل ، إلى غير ذلك من المسائل التي لم تبق في بالي .

ثمّ قلت : يا مولاي ، لا يتيسّر لي أن أصل إلى خدمتك كلّ وقت ، فأعطني كتاباً أعمل عليه دائماً ، فقال (عليه السلام) : أعطيت لأجلك كتاباً إلى المولى محمّد التاج ، وكنت أعرفه في النوم[1] ، وقال (عليه السلام) اذهب وخذه منه ، فخرجت من باب المسجد إلى ذلك الشخص ، فلمّا رآني قال لي : بعثك الصاحب (عليه السلام) إليّ ؟ قلت : نعم ، فأخرج من جيبه كتاباً قديماً ، فلمّا فتحته ظهر لي أنّه كتاب الدعاء ، فقبّلته ووضعته على عيني ، وانصرفت عنه متوجّهاً إلى الصاحب (عليه السلام) ، وهنا انتبهت من النوم ولم يكن معي ذلك الكتاب .

فشرعت في التضرّع والبكاء لفوات ذلك الكتاب إلى أن طلع الفجر ، فلمّا فرغت من

---

(١) يريد أن معرفته بمحمّد التاج مقتصرة على المنام ، بينما هو لا يعرفه فعلاً .

الصلاة والتعقيب وقع في خاطري أنّ مولانا محمّد التاج هو الشيخ البهائيّ نفسه ، وأنّ تسميته بالتاج لاشتهاره من بين العلماء ، فجئت إلى مَدْرَسِهِ ، وكان في جوار المسجد الجامع ، فرأيته مشتغلاً بمقابلة الصحيفة (السجّاديّة) ، وكان معه القارىء السيد صالح أمير ذو الفقار الكالبايكانيّ ، فجلست ساعة حتّى فرغ من عمله ، والظاهر أنّ كلامهما كان في سند الصحيفة ، لكن للغمّ الذي كان عندي لم أفهم كلامهما ، وكنت أبكي ، فتوجّهت إلى الشيخ وقصصت عليه رؤياي وأنا أبكي لفوات الكتاب ، فقال الشيخ : أبشر بالعلوم الإلهيّة والمعارف اليقينيّة ، وجميع ما كنت تطلب دائماً ، وكان أكثر صحبتي مع الشيخ في التصوّف ، وكان مائلاً إليه .

فلم يسكن قلبي وخرجت باكياً متفكّراً ، فأُلقي في روعي أن أذهب إلى الجانب الذي ذهبت إليه في النوم ، فلمّا وصلت إلى دار البطّيخ رأيت رجلاً صالحاً اسمه آغا حسن ، فأتيته وسلّمت عليه ، فقال : الكتب الوقفيّة عندي ، وكلّ من يأخذ منها من الطلبة لا يعمل بشروط الوقف ، ولعلّك تعمل بها ، انظر إلى هذه الكتب ، فما احتجت إليه منها فخذه ، فذهبت معه إلى بيت كتبه ، فأعطاني أوّل ما أعطاني الكتاب الذي رأيته في النوم ، فشرعت في البكاء وقلت : هذا يكفيني ، وليس في بالي أنّي ذكرت له المنام أم لا ، ثمّ أتيت إلى الشيخ ، وشرعت في المقابلة مع نسخته التي كتبها جدّ أبيه عن نسخة الشهيد ، وكان الشهيد (ره) قد كتب نسخته عن نسخة عميد الرؤساء وابن السكون ، وكان قابلها مع نسخة ابن إدريس دون واسطة ، أو بواسطة واحدة .

وكانت النسخة التي أعطانيها الصاحب (عليه السلام) مكتوبة بخطّ الشهيد وكانت موافقة لها غاية الموافقة حتّى في النسخ التي كان مكتوباً على هامشها ، وبعد أن فرغت من المقابلة شرع الناس في المقابلة مع النسخة التي عندي ، وببركة عطاء الحجّة (عليه السلام) صارت الصحيفة الكاملة في جميع البلاد كالشمس الطالعة في كلّ بيت ، وسيّما في إصفهان ، فإنّ لدى أكثر الناس صحائف متعدّدة ، وأكثرهم صلحاء ومن أهل الدعاء ، وكثير منهم مستجابو الدعوة ، وهذه آثار إعجاز صاحب الأمر (عليه السلام) ، وما أعطانيه الله تعالى من العلوم بسبب الصحيفة لا أحصيها .

يقول المؤلّف : ذكر العلاّمة المجلسيّ (ره) في (البحار) إجازة مختصرة عن والده بصدد الصحيفة الكاملة ، وقال : إنّي أروي الصحيفة الكاملة المعروفة ، بـ« زبور آل محمّد » و« إنجيل أهل البيت » (عليهم السلام) ، والدعاء الكامل أتى بأسانيد كثيرة وطرق مختلفة ، أحدها ذلك الذي أرويه بنحو المناولة عن مولاي صاحب الزمان وخليفة الرحمن صلوات الله عليه في منام طويل . . الخ .

الحكاية السادسة عشرة : قصّة الورد والخرابات

قال العلاّمة المجلسيّ في (البحار) : أخبرني جماعة عن السيّد السند الفاضل الميرزا محمّد الاسترابادي نوّر الله مرقده أنّه قال :

إنّني كنت ذات ليلة أطوف حول بيت الله الحرام إذ أتى شابّ حسن الوجه فأخذ في الطواف ، فلمّا قرب منّي أعطاني طاقة ورد أحمر في غير أوانه ، فأخذته منه وشممته ، وقلت له : من أين يا سيّدي ؟ قال : من الخرابات ؛ ثمّ غاب عنّي فلم أره .

يقول المؤلّف : ذكر الشيخ الأجلّ الأكمل عليّ ابن العالم النحرير الشيخ محمّد ، ابن المحقّق المدقّق الشيخ حسن صاحب (العالم) ابن العالم الربّانيّ الشهيد الثاني رحمهم الله في كتاب (الدرّ المنثور) ، ضمن أحوال والده الشيخ محمّد صاحب (شرح الاستبصار) وغيره ، مجاور مكّة في الحياة وفي الممات ، قال :

حدّثتني زوجته ابنة السيّد محمّد أبي الحسن (ره) وأمّ أولاده أنّه لمّا توفّي المرحوم كان يسمع عنده تلاوة القرآن طوال تلك الليلة ، وممّا هو مشهور عنه أنّه كان في الطواف فأعطاه رجل وردة من ورود الشتاء ، ممّا لم يكن معروفاً في تلك البلاد ، كما لم يكن الأوان أوانها ، فسأله : من أين ؟ فقال له : من الخرابات ، ولما أراد النظر إليه غاب عنه ، فلم يره بعد هذا السؤال .

ولا يخفى أنّ السيّد الجليل الميرزا محمّد الاستراباديّ سابق الذكر صاحب كتب الرجال المعروفة و(آيات الأحكام) وكان مجاوراً في مكّة المعظّمة ، وأستاذاً للشيخ محمّد المذكور ، وقد أورد اسمه تكراراً بكلّ توقير في (شرح الاستبصار) ، وكانا كلاهما جليلي القدر ذوي مقام عال ، ويحتمل أن هذه الواقعة جرت لكليهما ، أو أنّ الراوي اشتبه في اتحاد الاسم والبلد ، ولو أن الاحتمال الثاني أقرب .

الحكاية السابعة عشرة : قصّة تشرّف الشيخ قاسم بلقائه (عليه السلام)

قال الفاضل المتبحّر السيّد عليّ خان الحويزيّ : حدّثني رجل من ذوي الإيمان من أهل بلادنا يقال له : الشيخ قاسم ، وكان كثير السفر إلى الحجّ ، قال :

تعبت يوماً من المشي فنمت تحت شجرة ، فطال نومي ، ومضى عنّي الحاجّ كثيراً ، فلمّا انتبهت علمت من الوقت أنّ نومي قد طال ، وأن الحاجّ بعد عنّي ، وصرت لا أدري إلى أين أتوجّه ، فمشيت على جهة وأنا أصيح بأعلى صوتي ، يا أبا صالح ، قاصداً بذلك صاحب الأمر (عليه السلام) ؛ كما ذكره ابن طاووس في كتاب (الأمان) فيما يقال عند إضلال الطريق .

فبينا أنا أصيح كذلك إذا براكب على ناقة وهو على زيّ البدو ، فلمّا رآني قال لي : أنت منقطع عن الحاجّ ؟ فقلت : نعم ، فقال : اركب خلفي لألحقك بهم ، فركبت خلفه ، فلم يكن إلا ساعة وإذا قد أدركنا الحاجّ ، فلمّا قربنا أنزلني وقال لي : امض لشأنك ، فقلت له : إنّ العطش قد أضرّ بي ، فأخرج من شداده ركوة فيها ماء وسقاني منه ، فوالله إنّه ألذ وأعذب ماء شربته .

ثمّ إنّي مشيت حتّى دخلت الحاجّ ، والتفتّ إليه فلم أره ، ولا رأيته في الحاجّ قبل ذلك ولا بعده ، حتّى رجعنا .

الحكاية الثامنة عشرة : قصّة استغاثة رجل سنيّ بالقائم (عليه السلام) وإغاثته له

حدّثني العالم الجليل والحبر النبيل ، مجمع الفضائل والفواضل الصفيّ الوفيّ ، المولى علي الرشتيّ طاب ثراه ، وكان عالماً برّاً تقيّاً زاهداً ، حاوياً لأنواع العلم ، بصيراً ناقداً ، من تلامذة خاتم المحقّقين الشيخ المرتضى أعلى الله مقامه ، والسيّد السند الأستاذ الأعظم دام ظلّه ، ولمّا طالت شكوى أهل بلاد « لار » ونواحيها إليه من عدم وجود عالم عامل كامل نافذ الحكم فيهم أرسله إليهم ، وعاش فيهم سعيداً ، ومات هناك حميداً رحمه الله ، وقد صاحبته مدّة سفراً وحضراً ، ولم أجد في خلقه وفضله نظيراً إلّا يسيراً .

قال : رجعت مرّة من زيارة أبي عبد الله (عليه السلام) عازماً للنجف الأشرف من طريق الفرات ، فلمّا ركبنا في بعض السفن الصغار التي كانت بين كربلاء وطويريج رأيت أن ركّابها من أهل الحلّة ، ومن طويريج تفترق طريق الحلّة والنجف ، واشتغل الجماعة باللهو واللعب والمزاح ، ورأيت واحداً منهم لا يدخل في عملهم عليه آثار السكينة والوقار ، فلا يمازح ولا يضحك ، وكانوا يعيبون على مذهبه ويقدحون فيه ، ومع ذلك كان شريكاً في أكلهم وشربهم ، فتعجّبت منه ، إلى أن وصلنا إلى محلّ كان الماء فيه قليلاً ، فأخرجنا صاحب السفينة ، فكنّا نمشي على شاطىء النهر .

فاتّفق اجتماعي مع هذا الرجل في الطريق ، فسألته عن سبب مجانبته عن أصحابه ، وذمّهم إيّاه وقدحهم فيه ، فقال : هؤلاء من أقاربي من أهل السنّة ، وأبي منهم ، وأمّي من أهل الإيمان ، وكنت أيضاً منهم ، ولكنّ الله منّ عليّ بالتشيّع ببركة الحجّة صاحب الزمان (عليه السلام) ، فسألته عن كيفيّة إيمانه ، فقال :

اسمي ياقوت ، وأنا أبيع الدهن عند جسر الحلّة ، فخرجت في بعض السنين لجلب الدهن من أهل البراريّ خارج الحلّة ، فبعدت عنها بمراحل ، إلى أن قضيت وطري من شراء ما كنت أريده منه ، وحملته على حماري ، ورجعت مع جماعة من أهل الحلّة ، ونزلنا في بعض

المنازل وغنا ، وانتبهت فما رأيت أحداً منهم وقد ذهبوا جميعاً ، وكانت طريقنا في برّيّة قفر ذات سباع كثيرة ، ليس في أطرافها معمورة إلاّ بعد فراسخ كثيرة ، فقمت وجعلت الحمل على الحمار ، ومشيت خلفه ، فضلّ عنّي الطريق ، وبقيت خائفاً من السباع والعطش ، فأخذت استغيث بالخلفاء والمشايخ ، وأسألهم الإعانة ، وجعلتهم شفعاء عند الله تعالى ، وتضرّعت كثيراً فلم يظهر منهم شيء ، فقلت في نفسي : إنّي سمعت من أمّي أنّها كانت تقول : إنّ لنا إماماً حيّاً يكنّى أبا صالح ، يرشد الضالّ ، ويغيث الملهوف ويعين الضعيف ، فعاهدت الله تعالى إن استغثت به فأغاثني أن أدخل في دين أمّي .

فناديته واستغثت به ، فإذا برجل من جانبي وهو يمشي معي ، وعليه عمامة خضراء ، وكانت خضرتها مثل خضرة هذا النبات ، وأشار إلى نبات على حافّة النهر .

ثمّ دلّني على الطريق ، وأمرني بالدخول في دين أمّي ، وذكر كلمات نسيتها وقال : ستصل عن قريب إلى قرية أهلها جميعاً من الشيعة ، فقلت : يا سيّدي ، أنت لا تجيء معي إلى هذه القرية ؟ فقال : لا ، لأنه استغاث بي ألف نفس في أطراف البلاد أريد أن أغيثهم ، ثمّ غاب عنّي ، فما مشيت إلاّ قليلاً حتّى وصلت إلى القرية ، وكانت على مسافة بعيدة ، ووصل الجماعة إليها بعدي بيوم .

فلمّا دخلت الحلّة ذهبت إلى سيّد الفقهاء السيّد مهديّ القزوينيّ طاب ثراه ، وذكرت له القصّة ، فعلّمني معالم ديني ، فسألته عملاً أتوصّل به إلى لقائه (عليه السلام) مرّة أخرى ، فقال : زر أبا عبد الله (عليه السلام) أربعين ليلة جمعة .

قال : فكنت أزوره من الحلّة في ليالي الجمع ، إلى أن بقي واحدة ، فذهبت من الحلّة يوم الخميس ، فلمّا وصلت إلى باب البلد إذا جماعة من أعوان الظالمين يطالبون الواردين بالتذكرة ، وما كان عندي تذكرة ولا قيمتها ، فبقيت متحيّراً ، والناس متزاحمون على الباب ، فأردت مراراً أن أتخفّى وأجوز عنهم فما تيسّر لي ، وإذا بصاحبي صاحب الأمر (عليه السلام) في زيّ لباس طلبة الأعاجم ، عليه عمامة بيضاء ، في داخل البلد ، فلمّا رأيته استغثت به ، فخرج وأخذني معه ، وأدخلني من الباب فما رآني أحد ، فلمّا دخلت البلد افتقدته من بين الناس ، فبقيت متحسّراً على فراقه (عليه السلام) .

الحكاية التاسعة عشرة : قصّة لقاء العلاّمة بحر العلوم به (عليه السلام) في مكّة

ذكر العالم الجليل الملاّ زين العابدين السلماسي عن ناظر أمور العلاّمة بحر العلوم أيّام مجاورته بمكّة أنّه قال :

كان رحمه الله ـ مع كونه في بلد الغربة ، منقطعاً عن الأهل والإخوة ـ قويّ القلب في

البذل والعطاء ، غير مكترث بكثرة المصارف ، فاتّفق في بعض الأيّام أنّنا لم نجد إلى درهم سبيلاً ، فعرّفته الحال ، وكثرة المؤونة وانعدام المال ، فلم يقل شيئاً ؛ وكان دأبه أن يطوف بالبيت بعد الصبح ، ويأتي إلى الدار فيجلس في القبّة المختصّة به ، فنأتي إليه بالغليان[1] فيشربه ، ثمّ يخرج إلى قبّة أخرى يجتمع فيها تلامذته من كلّ المذاهب ، فيدرّس كلًّا على مذهبه .

فلمّا رجع من الطواف في اليوم الذي شكوت إليه في أمسه نفاد النفقة ، وأحضرت الغليان على العادة ، إذا بالباب يدقّه أحدهم ، فاضطرب أشدّ الاضطراب ، وقال لي : خذ الغليان وأخرجه من هذا المكان ، وقام مسرعاً ففتح الباب ، ودخل شخص جليل في هيئة الأعراب وجلس في تلك القبّة ، وقعد السيّد عند بابها في غاية الذلّة والمسكنة والأدب ، وأشار إليّ أن لا أقرّب إليه الغليان .

فقعدا ساعة يتحدّثان ، ثمّ قام ، فقام السيّد مسرعاً وفتح الباب ، وقبّل يده ، وأركبه على جمله الذي أناخه عنده ، ومضى لشأنه .

ورجع السيّد مغيّر اللون ، وناولني براءة وقال : هذه حوالة على رجل صرّاف ، قاعد في جبل الصفا ، فاذهب إليه وخذ منه ما أحيل عليه ؛ فأخذتها وأتيت بها إلى الرجل الموصوف ، فلمّا نظر إليها قبّلها وقال : عليّ بالحماميل (أي : الحمّالين) ، فذهبت وأتيت بأربعة حماميل ، فجاء بالدراهم من الصنف الذي يقال له : « ريال فرانسة » ويساوي الواحد منها خمسة قرانات عجميّة ويزيد ، فحملوها على أكتافهم وأتينا بها إلى الدار .

ولّما كان في بعض الأيّام ذهبت إلى الصرّاف لأسأله عن حاله ، وممّن كانت تلك الحوالة ، فلم أر صرّافاً ولا دكّاناً ، فسألت بعض من حضر في ذلك المكان عن الصرّاف فقال : ما عهدنا في هذا المكان صرّافاً أبداً ، وإنّما يقعد فيه فلان ، فعرفت أنّه من أسرار الملك المنّان ، وألطاف وليّ الرحمن .

قال : وحدّثني بهذه الحكاية الشيخ العالم الفقيه النحرير المحقّق الوجيه ، صاحب التصانيف الرائقة ، والمناقب الفائقة ، الشيخ محمّد حسين الكاظميّ ، المجاور بالنجف الأشرف أطال الله بقاه ، عمّن حدّثه من الثقاة ، عن الشخص المذكور .

الحكاية العشرون : قصّة العلّامة بحر العلوم في السرداب المطهّر

حدّثني السيّد السند ، والعالم المعتمد ، المحقّق الخبير ، والمطّلع البصير السيّد عليّ سبط

---

(١) الغليان : ما يسمّيه العامّة : الغليون : أو النارجيلة .

السيد بحر العلوم أعلى الله مقامه ، وكان عالماً مبرّزاً له (البرهان القاطع في شرح النافع) في عدّة مجلّدات ، عن الصفيّ المتقيّ والثقة الزكيّ السيّد المرتضى صهر السيّد على بنت أخته ، وكان مصاحباً به في السفر والحضر ، مواظباً على خدماته في السرّ والعلانية ، قال :

كنت معه في سرّ من رأى في بعض أسفار زيارته ، وكان السيّد ينام في حجرة وحده ، وكانت لي حجرة بجنب حجرته ، وكنت في نهاية المواظبة في أوقات خدماته بالليل والنهار ، وكان يجتمع إليه الناس في أوّل الليل إلى أن يذهب شطر منه ؛ فاتّفق أنّه في بعض الليالي قعد على عادته ، والناس مجتمعون حوله ، فرأيته كأنّه يكره الاجتماع ويحبّ الخلوة ، ويتكلّم مع كلّ واحد بكلام فيهْ إشارة إلى تعجيله بالخروج من عنده ، فتفرّق الناس ولم يبق غيري ، فأمرني بالخروج .

فخرجت إلى حجرتي متفكّراً في حالته في تلك الليلة ، فامتنع عنّي الرقاد ، فصبرت زماناً ، ثمّ خرجت متخفّياً لأتفقّد حاله ، فرأيت باب حجرته مغلقاً ، فنظرت من شقّ الباب وإذا بالسراج على حاله وليس فيها أحد ، فدخلت الحجرة فعرفت من وضعها أنّه ما نام في تلك الليلة .

فخرجت حافياً متخفّياً أطلب خبره ، وأقفو أثره ، فدخلت الصحن الشريف فرأيت أبواب قبّة العسكريّين مغلقة ، فتفقّدت أطراف خارجها فلم أجد له أثراً ، فدخلت صحن السرادب فرأيته مفتّح الأبواب ، فنزلت الدرج متأنّياً بحيث لا يسمع منّي حسّ ولا حركة ، فسمعت همهمة من صفّة السرداب كأن أحداً يتكلّم مع آخر ، ولم أميّز الكلمات ، إلى أن بقي من الدرجات ثلاث أو أربع ، وكان دبيبي أخفى من دبيب النملة في الليلة الظلماء على الصخرة الصمّاء ، فإذا بالسيّد قد نادى من مكانه هناك : يا سيّد مرتضى ، ما تصنع ؟ ولم خرجت من المنزل ؟

فبقيت متحيّراً ساكناً كالخشب المسنّدة ، وعزمت على الرجوع قبل الجواب ، ثمّ قلت في نفسي : كيف تخفي حالك على من عرفك من غير طريق الحواس ؟! فأجبته معتذراً نادماً ، ونزلت في خلال الاعتذار إلى حيث شاهدت الصفّة ، فرأيته وحده واقفاً تجاه القبلة ، ليس لغيره هناك أثر ، فعرفت أنّه يناجي الغائب عن أبصار البشر ، صلوات الله عليه .

الحكاية الحادية والعشرون : في تأكيده (عليه السلام) على خدمة الأب المسنّ

ذكر العالم العامل والفاضل الكامل ، قدوة الصلحاء السيّد محمّد الموسويّ الرضويّ النجفيّ ، المعروف بالهنديّ ، وكان من العلماء المتّقين ، يؤمّ الجماعة في حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، عن العالم الثقة الشيخ باقر بن الشيخ هادي الكاظميّ المجاور بالنجف

الأشرف ، عن رجل صادق اللهجة كان حلّاقاً ، وله أب كبير مسنّ ، وهو لا يقصّر في خدمته ، حتّى أنّه يحمل له الإبريق إلى الخلاء ، ويقف ينتظره حتى يخرج فيأخذه منه ، ولا يفارق خدمته إلّا ليلة الأربعاء ، فإنّه يمضي إلى مسجد السهلة ، ثمّ ترك الرواح إلى المسجد ، فسألته عن سبب ذلك ، فقال :

خرجت أربعين أربعاء ، فلمّا كانت الأخيرة لم يتيسّر لي أن أخرج إلى أن قرب المغرب ، فمشيت وحدي وصار الليل ، وبقيت أمشي حتّى بقي ثلث الطريق ، وكانت الليلة مقمرة ، فرأيت أعرابيّاً على فرس قد قصدني ، فقلت في نفسي : هذا سيسلبني ثيابي ، فلمّا انتهى إليّ كلّمني بلسان البدو من العرب ، وسألني عن مقصدي ، فقلت : مسجد السهلة ، فقال : معك شيء من المأكول ؟ فقلت : لا ، فقال : أدخل يدك في جيبك ، فقلت : ليس فيه شيء ، فكرّر عليّ القول بزجر حتّى أدخلت يدي في جيبي ، فوجدت فيه زبيباً كنت اشتريته لطفل عندي ونسيته ، فبقي في جيبي .

ثمّ قال لي الأعرابيّ : « أوصيك بالعود » ثلاث مرّات ، والعود في لسانهم : اسم للأب المسنّ ، ثمّ غاب عن بصري ، فعلمت أنّه المهديّ (عليه السلام) ، وأنّه لا يرضى بمفارقتي لأبي ، حتّى في ليلة الأربعاء ، فلم أعد .

وقد حدّثني بهذه الحكاية أيضاً أحد علماء النجف المعروفين .

يقول المؤلّف (عبّاس) : الآيات والأخبار في التوصية بالوالدين ، والأمر بالإحسان والعطف عليهما كثيرة ، ورأيت من المناسب ذكر بعض الأحاديث هنا التماساً للبركة .

روى الشيخ الكلينيّ عن منصور بن حازم أنّه قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : أيّ الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة في وقتها ، وبرّ الوالدين ، والجهاد في سبيل الله ، فإنّك إن تُقتل تكن حيّاً عند الله ترزق ، وإنّ تمت فقد وقع أجرك على الله ، وإن رجعت خرجت من ذنوبك كيوم ولدت ؛ قلت : إنّ لي أبوين كبيرين يزعمان أنّهما يأنسان بي ، ويكرهان خروجي ، فقال (عليه السلام) : فقرّ مع والديك ، فوالذي نفسي بيد قدرته لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة .

كما روى الشيخ الكلينيّ أيضاً خبراً حاصله أن زكريّا بن إبراهيم كان نصرانيّاً ، فأسلم وحجّ ، فدخل على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال : إنّ أبي وأمّي وأهل بيتي على النصرانيّة ، وأمّي مكفوفة البصر ، فأكون معهم وآكل من آنيتهم ؟ فقال : يأكلون لحم الخنزير ؟ فقلت : لا ، ولا يمسّونه، فقال : لا بأس ، ثمّ أوصاه بأن يبرّ أمّه .

قال زكريّا : فلمّا قدمت الكوفة ألطفت لأمّي ، وكنت أطعمها وأفلّي رأسها وثوبها ،

وأخدمها ، فقالت لي : يا بنيّ ، ما كنت تصنع بي هـذا وأنت على ديني ، فـما الذي أرى منـك منـذ هاجـرت فدخلت في الحنيفيّـة ؟ فقلت : رجل من ولـد نبيّنا أمـرني بهذا ، فقـالت : هذا الـرجل هـو نبيّ ؟ فقلت : لا ، ولكنّه ابن نبيّ ، فقـالت : يـا بنيّ ، إنّ هـذا نبيّ ، إنّ هـذه وصايا الأنبياء فقلت : يا أمّي ، إنّه ليس يكون بعد نبيّنا نبيّ ، ولكنّه ابنه ، فقـالت : يا بنيّ ، دينك خير دين ، اعرضه عليّ ، فعرضته عليها فدخلت في الإسلام ، وعلّمتهـا فصلّت الظهـر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثمّ عرض لها عارض في الليل ، فقالت : يا بنيّ ، أعد عليّ ما علّمتني ، فأعدته عليها ، فأقرّت به وماتت ، فلمّا أصبحت كان المسلمون الذين غسّلوهـا ، وكنت أنا الذي صلّيت عليها ونزلت في قبرها .

كـما روى أيضاً عن عـمّار بن حيّان أنّـه قال : خـبّرت أبا عبـد الله (عليه السـلام) بـبرّ إسماعيل ابني بي ، فقـال : لقد كنت أحبّـه ، وقد ازددت لـه حبّاً ؛ إنّ رسـول الله (صلّى الله عليه وآله) أتته أخت له من الـرضاعـة ، فلمّا نظر إليهـا سرّ بها ، وبسط ملحفتـه لها فـأجلسها عليها ، ثم أقبل يحدّثها ويضحك في وجهها ، ثم قامت وذهبت ، وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها ، فقيل له : يا رسول الله ، صنعت بـأخته مـا لم تصنع بـه وهو رجـل ، فقال : لأنّها كانت أبرّ بوالديها منه .

وروى عن إبراهيم بن شعيب أنّه قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : إنّ أبي قـد كـبر جدّاً وضعف ، فنحن نحمله إذا أراد الحـاجة ، فقـال : إن استـطعت أن تـلي ذلـك منـه فافعل ، ولقّمه بيدك ، فإنّه جُنّة لك غداً .

وروى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال ما مؤدّاه : من أحبّ أن يهوّن الله عليه سكرات الموت فليصل ذوي قرباه ، وليبرّ والديه ، فـإذا فعل ذلـك هوّن الله عليه سكرات الموت ، ولم يصل إليه سوء قطّ .

الحكاية الثانية والعشرون : قصّة تشرّف الشيخ حسين آل رحيم بلقائه (عليه السلام)

حـدّث الشيخ العـالم الفاضـل الشيخ بـاقر النجفيّ نجـل العالم العـابـد الشيـخ هـادي الكاظميّ المعروف بآل طالب قال :

كـان في النجف الأشرف رجل مؤمن يسمّى الشيـخ حسـين رحيم من الأسرة المعـروفـة بآل رحيم ، وحدّثنا أيضاً العالم الفاضل والعابد الكامل ، مصباح الأتقياء الشيخ طه ، عن آل العالم الجليل والزاهد العابد دون بـديل الشيـخ حسين النجف ، إمـام الجماعـة الآن في مسجد الهنديّة بالنجفّ الأشرف ، والحائز على قبول الخاصّـة والعامّـة في التقوى والصـلاح والفضل ، بأنّ الشيخ حسين رحيم المشار إليه كان في سلك أهل العلم ذا نيّة صـادقة ، وقـد ابتلي بمـرض

السعال ، فإذا سعل خرج من صدره مع الأخلاط دم ، وكان مع ذلك في غاية الفقر والاحتياج ، لا يملك قوت يومه ، وكان يخرج في أغلب وقته إلى البادية ، إلى الأعراب الذين في أطراف النجف الأشرف ليحصل على القوت ، ولو على شعير .

وكان مع ذلك قد تعلّق قلبه بامرأة من أهل النجف ، وكان يطلبها من أهلها وما أجابوه إلى ذلك لقلّة ذات يده ، وكان في همّ وغمّ شديدين من جهة ابتلائه بذلك .

فلمّا اشتدّ به الحال وأيس من تزوّج البنت عزم على ما هو معروف عند أهل النجف من أنّه إذا أصيب امرؤ بأمر فواظب على الرواح إلى مسجد الكوفة أربعين ليلة أربعاء فلا بدّ أن يرى صاحب الأمر ، عجّل الله فرجه ، من حيث لا يعلم ، ويقضي له مراده .

قال المرحوم الشيخ باقر : قال الشيخ حسين : فواظبت على ذلك أربعين ليلة ، فلمّا كانت الليلة الأخيرة ، وكانت ليلة شتاء مظلمة ، وقد هبّت ريح عاصفة فيها قليل من المطر ، وأنا جالس في الدكّة التي هي داخل باب المسجد ، وكانت الدكّة الشرقيّة المقابلة للباب الأوّل ، وتكون على الطرف الأيسر عند دخول المسجد ، ولا أتمكّن من دخول المسجد من جهة سعال الدم ، ولا يمكن قذفه في المسجد وليس معي شيء أتّقي به البرد ، وقد ضاق صدري ، واشتدّ عليّ همّي وغمّي ،وضاقت الدنيا في عيني ، وأنا أفكّر أنّ الليالي قد انقضت ، وهذه آخرها وما رأيت أحداً ، ولا ظهر لي شيء ، وقد تعبت هذا التعب العظيم ، وتحمّلت الخوف والمشاقّ أربعين ليلة أجيء فيها من النجف إلى مسجد الكوفة ، ويكون لي الإياس من ذلك !!

فبينما أنا أفكّر في ذلك ، وليس في المسجد أحد أبداً ، وقد أوقدت ناراً لأسخنّ عليها قهوة جئت بها من النجف ، لا أتمكّن من تركها لتعوّدي عليها ، وكانت قليلة جداً ، إذا بشخص من جهة الباب الأول متوجه إليّ ، فلمّا نظرته من بعيد تكدّرت ، وقلت في نفسي : هذا أعرابيّ من أطراف المسجد قد جاء ليشرب من القهوة ، وأبقى بلا قهوة في هذا الليل المظلم ، ويزيد عليّ همّي وغمّي .

فبينما أنا أفكّر في ذلك إذا به قد وصل إلي ، وسلّم عليّ باسمي ، وجلس في مقابلي ، فتعجّبت من معرفته باسمي ، وظننته من الذين أخرج إليهم في بعض الأوقات من أطراف النجف الأشرف ، فصرت أسأله من أي العرب يكون ، قال : من بعض العرب ، فصرت أذكر له الطوائف التي في أطراف النجف فيقول ؛ لا ، لا ، وكلّما ذكرت له طائفة قال : لا ، لست منها ، فأغضبني فقلت له : أجل أنت من طريطرة ، مستهزئاً ، وهو لفظ بلا معنى ، فتبسّم من قولي وقال : لا عليك من أينما كنت ، ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ فقلت : وأنت ما عليك من السؤال عن هذه الأمور ؟ فقال : ما ضرّك لو أخبرتني ؟ فتعجّبت من حسن أخلاقه وعذوبة منطقه ، فمال قلبي إليه ، وصار كلّما تكلّم ازداد حبّي له ، فعملت له السبيل من التتن

وأعطيته ، فقال : انت اشرب ، فأنا ما أشرب ، وصببت له في الفنجان قهوة وأعطيته ، فأخذه وشرب قليلاً منه ، ثمّ ناولني الباقي وقال : أنت اشربه ، فأخذته وشربته ، ولم ألتفت إلى عدم شربه تمام الفنجان ، ولكن يزداد حبّي له آناً فآناً .

فقلت له : يا أخي ، قد أرسلك الله إليّ في هذه الليلة تؤنسني ، أفلا تروح معي لنجلس عند قبر مسلم (عليه السلام) ونتحدّث ؟ فقال : أروح معك ، فحدّث حديثك ، فقلت : أحكي لك الواقع ، أنا في غاية الفقر والحاجة مذ عرفت نفسي ، ومعي سعال أتنخّع الدم وأقذفه من صدري منذ سنين ، ولا أعرف علاجه ، وما عندي زوجة ، وقد علق قلبي بامرأة من أهل محلّتنا في النجف الأشرف ، ومن جهة قلّة ما في اليد ما تيسّر لي أخذها ؛ وقد غرّني هؤلاء الملاّئيّة[1] وقالوا لي : اقصد في حوائجك صاحب الزمان ، وبتْ أربعين ليلة أربعاء في مسجد الكوفة ، فإنّك تراه ويقضي لك حاجتك ، وهذه آخر ليلة من الأربعين وما رأيت فيها شيئاً ، وقد تحمّلت هذه المشاقّ في تلك الليالي ، فهذا الذي جاء بي ، وهذه حوائجي .

فقال لي وأنا غافل غير ملتفت : أمّا صدرك فقد برىء ، وأمّا المرأة فتأخذها عن قريب ، وأمّا فقرك فيبقى على حاله حتّى تموت .

فقلت وأنا غير ملتفت إلى هذا البيان أبداً : ألا نروح إلى حضرة مسلم ؟ قال : قم ، فقمت وتوجّه أمامي ، فلمّا وردنا أرض المسجد قال : ألا نصلّي صلاة تحيّة المسجد ؟ فقلت : بلى ، فوقف قريباً من الشاخص الموضوع في المسجد وأنا خلفه بفاصلة ، ثمّ كبّرت للصلاة ، وشرعت بقراءة الفاتحة ، فإذا به يقرأ الفاتحة قراءة ما سمعت أحداً يقرأ مثلها أبداً ، فمن حسن قراءته قلت في نفسي : لعلّه هو صاحب الزمان ، وذكرت كلمات له تدلّ على ذلك ، ثم نظرت إليه بعدما خطر في قلبي ذلك ، وهو في الصلاة ، فإذا به قد أحاطه نور عظيم منعني من تشخيص شخصه الشريف ، وهو مع ذلك يصلّي وأنا أسمع قراءته ، فارتعدت فرائصي ، ولم استطع قطع الصلاة خوفاً منه ، فأكملتها على أيّ وجه كان ، وقد علا النور عن وجه الأرض ، فصرت أبكي وأعتذر من سوء أدبي معه عند باب المسجد ، وقلت له : أنت صادق الوعد ، وقد وعدتني الرواح معي إلى قبر مسلم .

وبينما أنا أكلّم النور إذا بالنور قد توجّه نحو قبر مسلم ، فتبعته ، فدخل النور الحضرة ، وصار في جوّ القبّة وبقي على ذلك ، وأنا لم أزل أبكي ، حتّى إذا طلع الفجر عرج النور .

فلمّا كان الصباح التفتّ إلى قوله (عليه السلام) : أمّا صدرك فقد برىء ، وإذا أنا

---

(١) جمع ملا وهو رجل الدين ، والتعبير من اصطلاحات أهل العراق .

صحيح الصدر ، وليس بي سعال أبداً ، وما مضى أسبوع إلاّ وسهّل الله عليّ أخذ البنت من حيث لا أحتسب ، وبقي فقري على ما كان ، كما قال (عليه السلام) ، والحمد لله .

الحكاية الثالثة والعشرون : في إجلائه (عليه السلام) بني عنيزة عن طريق الزوّار

حدّثني مشافهة سيّد الفقهاء وسند العلماء ، العالم الربّانيّ السيّد مهديّ القزوينيّ ساكن الحلّة ، قال أيّده الله :

خرجت يوم الرابع عشر من شهر شعبان من الحلّة أريد زيارة الحسين (عليه السلام) ليلة النصف منه ، فلمّا وصلت إلى شطّ الهنديّة[1] وعبرت إلى الجانب الغربيّ منه وجدت الزوّار الذاهبين من الحلّة وأطرافها ، والواردين من النجف ونواحيه محاصرين جميعاً في بيوت عشيرة بني طرف من عشائر الهنديّة[1] ، ولا طريق لهم إلى كربلاء ، لأنّ عشيرة عنيزة قد نزلت على الطريق وقطعته عن المارّة ، ولا يدع أفرادها أحداً يخرج من كربلاء ولا أحداً يلج إليها إلاّ انتهبوه .

قال : فنزلت على رجل من العرب ، وصلّيت صلاة الظهر والعصر ، وجلست أنتظر ما يكون من أمر الزوّار ، وقد تغيّمت السماء وأمطرت مطراً يسيراً .

فبينما نحن جلوس إذ خرج الزوّار بأسرهم من البيوت متوجّهين نحو طريق كربلاء ، فقلت لبعض من معي : اخرج واسأل ما الخبر ، فخرج ورجع إليّ وقال لي : إنّ عشيرة بني طرف قد خرجوا بالأسلحة الناريّة ، وتعهّدوا بإيصال الزوّار إلى كربلاء ، ولو آل الأمر إلى القتال مع بني عنيزة .

فلمّا سمعت ذلك قلت لمن معي : هذا الكلام لا أصل له ، لأنّ بني طرف لا قدرة لهم على مقابلة بني عنيزة ، وأظنّ هذه مكيدة منهم لإخراج الزوّار عن بيوتهم ، لأنّهم استثقلوا بقاءهم عندهم وفي ضيافتهم .

فبينما نحن كذلك إذ رجع الزوّار إلى البيوت ، فتبيّن الحال كما قلت ، ولم يدخل الزوّار إلى البيوت ، بل جلسوا في ظلالها والسماء متغيّمة ، فأخذتني لهم رقّة شديدة ، وأصابني انكسار عظيم ، فتوجّهت إلى الله بالدعاء والتوسّل بالنبيّ وآله ، وطلبت إغاثة الزوّار ممّا هم فيه .

فبينما أنا على هذه الحال إذ أقبل فارس على فرس كريم لم أر مثله ، وبيده رمح طويل ،

(١) شط الهنديّة ، فرع يتفرّع من الفرات ، ينفصل عنه تحت المسيّب ويجري إلى الكوفة ، والهنديّة قصبة معتبرة تقع على حافّة هذا الشط ، ويقال لها طويريج ، وتقع على الطريق بين الحلّة وكربلاء .

وهو مشمّر عن ذراعيه ، فأقبل يخبّ به جواده حتّى وقف على البيت الذي أنا فيه ، وكان بيتاً من الشعر مرفوع الجوانب ، فسلّم فرددنا عليه السلام ، فقال : يا مولانا ـ يسمّيني باسمي ـ بعثني من يسلّم عليك وهم كنج محمّد آغا ، وصفر آغا ، وكانا من قوّاد العساكر العثمانيّة ، ويقولان : فليأت الزوّار ، فإنّا قد طردنا عنيزة عن الطريق ، ونحن ننتظره مع عسكرنا في عرقوب السليمانيّة على الجادة ، فقلت له : وأنت معنا إلى عرقوب السليمانيّة ؟ قال : نعم ، فأخرجت الساعة فإذا قد بقي من النهار ساعتان ونصف تقريباً ، فقلت : إلينا بخيلنا ، فقدّمت إلينا ، فتعلّق بي ذلك البدويّ الذي نحن عنده وقال : يا مولاي ، لا تخاطر بنفسك وبالزوّار ، وأقم الليلة حتّى يتّضح الأمر ، فقلت له : لا بدّ من الركوب لإدراك الزيارة المخصوصة .

فلمّا رآنا الزوّار قد ركبنا تبعوا أثرنا بين راجل وراكب ، فسرنا والفارس المذكور بين أيدينا كأنه الأسد الخادر ، ونحن خلفه ، حتى وصلنا إلى عرقوب السليمانيّة ، فصعد عليه وتبعناه في الصعود ، ثم نزل ، وارتقينا إلى أعلى العرقوب فنظرنا فلم نر له عيناً ولا أثراً ، فكأنّما صعد في السماء أو نزل في الأرض ، ولم نر قائداً ولا عسكراً .

فقلت لمن معي : أبقي شكّ في أنّه صاحب الأمر ؟ فقالوا : لا والله ، وكنت وهو بين أيدينا أطيل النظر إليه كأنّي رأيته من قبل ، لكنّني لا أذكر أين رأيته ، فلمّا فارقنا تذكّرت أنّه الشخص الذي زارني بالحلّة ، وأخبرني بواقعة السليمانيّة .

وأمّا عشيرة عنيزة فلم نر أثراً لهم في منازلهم ، ولم نر أحداً نسأله عنهم ، سوى أنّنا رأينا غبرة شديدة مرتفعة في كبد البرّ ، فوردنا كربلاء تخبّ بنا خيولنا ، فوصلنا إلى باب البلد وإذا بعكسر على السور فنادوا : من أين جئتم ، وكيف وصلتم ؟ ثمّ نظروا إلى سواد الزوّار فقالوا : سبحان الله ، والبرّيّة امتلأت بالزوّار ، فأين صارت عنيزة ؟ فقلت لهم : اجلسوا في البلد وخذوا أرزاقكم ، ولمكّة ربّ يرعاها .

وهذا القول مضمون كلام عبد المطّلب حين صار إلى ملك الحبشة في طلب إبله التي استولى عليها الأحباش ، فقال له الملك : ولم لا تطلب منّي ردّ البيت إليكم ؟! فقال : « أنا ربّ الإبل ؛ وللبيت ربّ يحميه » .

قال : فدخلنا البلد ، فإذا أنا بكنج محمّد آغا جالساً على تخت قريب من الباب ، فسلّمت عليه ، فقام في وجهي فقلت له : يكفيك فخراً أنّك ذُكرت باللسان ، فقال : ما الخبر ؟ فأخبرته بالقصّة ، فقال لي : يا مولاي ، من أين أعلم أنّك قادم للزيارة حتّى أرسل لك رسولاً ؟ وأنا وعسكري منذ خمسة عشر يوماً محاصرون في البلد لا نستطيع الخروج خوفاً من عنيزة ؟!

ثم قال لي : فأين صارت عنيزة ؟ قلت : لا علم لي سوى أنّي رأيت غبرة شديدة في كبد البرّ كأنّها غبرة الظعائن ؛ ثمّ أخرجت الساعة وإذا قد بقي من النهار ساعة ونصف ، فكان مسيرنا كلّه في ساعة ، وبين منازل بني طرف وكربلاء ثلاث فراسخ .

ثمّ بتنا تلك الليلة بكربلاء ، فلمّا أصبحنا سألنا عن خبر عنيزة فأخبرنا بعض الفلاّحين ممّن في بساتين كربلاء قال : بينما عنيزة جلوس في أنديتهم وبيوتهم إذا بفارس قد طلع عليهم على فرس مطهّم ، وبيده رمح طويل ، فصرخ فيهم بأعلى صوته : يا معشر عنيزة ، قد جاءكم الموت الزؤام ، عساكر الدولة العثمانيّة متوجّهة إليكم بخيلها ورجالها ، وها هم على أثري مقبلون فارحلوا ، وما أظنّكم تنجون منهم ؛ فألقى الله فيهم الخوف والذلّ ، حتّى أنّ الرجل منهم يترك بعض متاع بيته استعجالاً للرحيل ، فلم تمض ساعة حتّى ارتحلوا بأجمعهم ، وتوجّهوا نحو البرّ ؛ فقلت له : صف لي الفارس ، فوصفه لي فإذا هو صاحبنا بعينه .

والحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة على محمّد وآله الطاهرين .

يقول المؤلّف : ليست هذه الكرامات من السيّد المرحوم ببعيدة ، فقد ورث العلم والعمل عن عمّه الأجلّ الأكمل السيّد باقر القزوينيّ صاحب خاله السيّد بحر العلوم أعلى الله تعالى درجتهم ، وكان عمّه قد أدّبه وربّاه وأطلعه على الخفايا والأسرار ، حتّى بلغ مقاماً لا تحوم حوله الأفكار ، وحاز من الفضائل والخصائص ما لم يجتمع في غيره من العلماء الأبرار .

منها أنّه بعد أن هاجر من النجف الأشرف إلى الحلّة واستقرّ بها شرع في هداية الناس ، وإيضاح الحقّ وإبطال الباطل ، تشيّع ببركة دعوته من داخل الحلّة وأطرافها من الأعراب ما يقرب من مئة ألف نفس ، صاروا شيعة إماميّة مخلصين .

بل حدّثني طاب ثراه شفاهاً فقال : لمّا وردت الحلّة لم يكن في الذين يدّعون التشيّع من علائم الإماميّة سوى حمل موتاهم إلى النجف الأشرف ، ولا يعرفون من أحكامهم شيئاً حتّى البراءة من أعداء الله ، وصاروا بهدايته صلحاء أبراراً أتقياء ، وهذه منقبة عظيمة اختصّ بها .

ومنها الكمالات النفسيّة من الصبر والتقوى والرضى ، وتحمّل أعباء العبادة ، وسكون النفس ، ودوام الاشتغال بذكر الله تعالى ، وكان في بيته لا يطلب من أهله وأولاده شيئاً ممّا يحتاج إليه من غداء وعشاء وقهوة وغليان وغيرها عند وقتها ، ولولا التفاتهم ومواظبتهم لكان يمرّ عليه اليوم والليلة من غير أن يتناول شيئاً منها ، مع ما كان عليه من التمكّن والثروة ، والسلطنة الظاهرة ، والعبيد والإماء ، وكان يجيب الدعوات ، ويحضر الولائم والضيافات ، لكنّه كان يحمل معه كتباً ويقعد في ناحية ويشتغل بالتأليف ، ولا خبر له عمّا فيه القوم ، فلا يخوض معهم في أحاديثهم إلاّ أن يُسأل فيجيب .

وكان دأبه في شهر الصيام أن يصلّي المغرب في المسجد مع الجماعة ، ويصلّي بعده النوافل المقرّرة للمغرب في شهر رمضان وهي ألف ركعة في الشهر كلّه ، ثمّ يأتي منزله فيفطر ، ويرجع إلى المسجد فيصلّي العشاء بالناس ، ثمّ يصلّي نوافلها المرتّبة . ثم يأتي منزله والناس معه على كثرتهم ، فإذا اجتمعوا شرع واحد من القرّاء فتلا بصوت حسن آيات من كتاب الله في التحذير والترغيب والموعظة ، فترقّ القلوب القاسية وتبتلّ العيون الجافّة ، ثم يقرأ آخر خطبة من مواعظ نهج البلاغة ، ويقرأ ثالث تعزية أبي عبد الله (عليه السلام) ، ثمّ يشرع أحد الصلحاء في قراءة أدعية شهر رمضان ، ويتابعه الآخرون ، إلى أن يحين وقت السحور فيتفرّقون . ويذهب كلّ إلى مستقرّه .

وبالجملة ، فقد كان في المراقبة والمواظبة على الأوقات والنوافل والسنن والقراءة آية في عصره ، مع كونه طاعناً في السنّ ، وقد كنّا معه في طريق الحجّ ذهاباً وإياباً ، وصلّينا في مسجد الغدير ، والجحفة ، وتوفّي رحمه الله في طريق عودته قبل الوصول إلى « سماوة » بخمسة فراسخ تقريباً ، وذلك سنة ثلاثمئة وألف ، ودفن في النجف الأشرف قرب مرقد عمّه الأكرم ، وعلى قبره قبّة عالية .

وقد ظهر منه عند وفاته من قوّة الإيمان والطمأنينة والإقبال وصدق اليقين ما لا ينقضي منه العجب ، مع كرامة باهرة بحضور جمع غفير من مؤالف ومخالف .

ومنها تصانيفه الرائقة في الفقه والأصول والتوحيد والكلام وغيرها ، ومنها كتاب في إثبات كون الفرقة الناجية فرقة الإماميّة ، وهو من الكتب النفيسة ، طوبى له وحسن مآب .



الفصل السادس

في بعض تكاليف العباد بالنسبة لإمام العصر عجل الله فرجه

يتناول الحديث في هذا الفصل آداب العبوديّة ومراسم الطاعة لدى أولئك الذين يحنون رؤوسهم طاعة لإمام العصر (عليه السلام) وامتثالاً لأمره ، والذين يلتقطون الفتات عن موائد إحسانه وجوده المبارك ، والذين يقرّون ويوقنون أنّ هذا الإمام الكريم واسطة لتلقّي الفيوضات الإلهيّة والنعم اللامتناهية دنيا وآخرة ، وإليك بيانها .

أوّلاً : اختزان مشاعر الهمّ في أيّام غيبة القائم (عليه السلام)

ولهذا أسباب متعدّدة :

منها : احتجابه (عليه السلام) ، والحرمان من جميل وصاله ، واكتحال العيون بمرآه ، ففي (العيون) عن الإمام الرضا (عليه السلام) ، ضمن خبر يتعلّق به (عليه السلام) قال : « كم من حرّى مؤمنة وكم من مؤمن متأسّف حيران حزين عند فقدان الماء المعين » ويعني الحجّة (عليه السلام) .

وجاء في دعاء الندبة : « عزيز عليّ أن أرى الخلق ولا تُرى ، ولا أسمع لك حسيساً ولا نجوى ؛ عزيز عليّ أن تحيط بك دوني البلوى ، ولا ينالك منّي ضجيج ولا شكوى ، بنفسي أنت من مغيّب لم يخل منّا ، بنفسي أنت من نازح ما نزح عنّا ، بنفسي أنت أمنية شائق يتمنّى ، من مؤمن ومؤمنة ذكراك فحنّا ، عزيز عليّ أن أبكيك ويخذلك الورى . . » إلى آخر الدعاء الذي هو نموذج عن ألم القلب لمن شرب كأساً من معين محبّته (عليه السلام) .

ومنها : الحظر القائم على ذلك السلطان عظيم الشأن من أن يزاول الرتق والفتق وإجراء الأحكام والحقوق والحدود ، وهو يرى حقّه في أيدي غيره .

فعن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال لعبد الله بن ظبيان بأنّه لا يأتي عيد على

المسلمين ، لا أضحى ولا فطر ، إلاّ جدّد الله لآل محمّد حزناً ، سأل الراوي : ولماذا ؟ فقال (عليه السلام) : إنّهم يرون حقّهم في أيدي غيرهم .

ومنها : خروج جماعة من السرّاق الباطنيّين للدين المبين من مكامنهم ، ووقوع الشكوك والشبهات في قلوب العامّة ، بل في قلوب الخاصّة ، حتّى لا تزال طائفة إثر طائفة ترتدّ عن دين الله ، ويعجز علماء الحقّ عن إظهار علمهم ، ويصدق قول الصادقين (عليهم السلام) بأنّ وقتاً سيجيء يكون القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر .

وقد روى الشيخ النعمانيّ عن عميرة بنت نفيل أنّها قالت :

سمعت الحسين بن عليّ (عليه السلام) يقول : لا يكون الأمر الذي تنتظرون حتّى يبرأ بعضكم من بعض ، ويتفل بعضكم في وجه بعض ، وحتّى يشهد بعضكم بالكفر على بعض ، ويلعن بعضكم بعضاً .

قلت : ما في ذلك خير ؟ قال : الخير كلّه في ذلك ، عند ذلك يقوم قائمنا فيرفع ذلك كلّه .

كما روي عن الصادق (عليه السلام) خبر بهذا المضمون نفسه .

وعن مالك بن ضمرة أنّه قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

يا مالك ، كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا ؟ وشبّك أصابعه وأدخل بعضها في بعض ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عند ذلك من خير ؟ قال : الخير كلّه عند ذلك يا مالك ، عند ذلك يقوم قائمنا فيتقدّم سبعين رجلاً يكذبون على الله وعلى رسوله فيقتلهم ، ثمّ يجمعهم الله على أمر واحد .

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنّه قال :

لتمخضنّ يا معشر الشيعة ، شيعة آل محمّد كمخيض الكحل في العين ، لأنّ صاحب الكحل علم متى يقع في العين ، ولا يعلم متى يذهب ؛ فيصبح أحدكم وهو يرى أنّه على شريعة من أمرنا فيمسي وقد خرج منها ، ويمسي وهو على شريعة من أمرنا فيصبح وقد خرج منها .

وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنّه قال :

والله لتكسرنّ كسر الزجاج ، وإنّ الزجاج يعاد فيعود كما كان ، والله لتكسرنّ كسر الفخّار ، وإنّ الفخّار لا يعود كما كان ، والله لتمحصنّ ، والله لتغربلنّ ، والله لتمتحننّ حتّى لا يبقى منكم إلاّ الأقلّ ، ثمّ صعّر كفّه .

ووردت أخبار كثيرة على هذا المنوال ، فالشيخ الصدوق عليه الرحمة ذكر في (كمال الدين) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال :

كأنّي بكم تجولون جولان الإبل تبتغون المرعى فلا تجدونه يا معشر الشيعة .

وروى عنه أيضاً أنّه قال (عليه السلام) لعبد الرحمن بن سيابة :

كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى ولا علم ، يبرأ بعضكم من بعض ؟ فعند ذلك تميّزون وتمحّصون وتغربلون .

وروى عن سدير الصيرفيّ أنّه قال : دخلت أنا والمفضّل بن عمرو وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله جعفر بن محمّد (عليهما السلام) فرأيناه جالساً على التراب وعليه مسح خيبريّ مطوّق بلا جيب ، مقصرّ الكمّين ، وهو يبكي بكاء الواله ، كالثكلى ذات الكبد الحرّى ، قد نال الحزن من وجنتيه ، وشاع التغيّر على عارضيه ، وأبلت الدموع محجريه وهو يقول :

سيّدي ، غيبتك نفت رقادي ، وضيّقت عليّ مهادي ، وأسرت منّي راحة فؤادي ، سيّدي ، غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد ، وفقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد ، فما أحسّ بدمعة ترقأ في عيني ، وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا .

قال سدير : فاستطارت عقولنا ولهاً ، وتصدّعت قلوبنا جزعاً ، وظننّا أنّه سمةٌ لمكروهة قارعة ، أو حلّت به من الدهر بائقة ، فقلنا : لا أبكى الله يا بن خير الورى عينيك ، من أيّ حادثة تستنزف دمعتك ، وتستمطر عبرتك ؟ وأيّ حالة حتمت عليك هذا المأتم ؟

فزفر الصادق (عليه السلام) زفرة وقال : إنّي نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم ، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا ، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، الذي خصّ الله تقدّس اسمه به محمّداً والأئمّة من بعده ، عليه وعليهم السلام ، وتأمّلت فيه مولد قائمنا وغيبته ، وإبطاءه وطول عمره ، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان ، وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته ، وارتداد أكثرهم عن دينهم ، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي ألزمهم الله تعالى إيّاها في أعناقهم ، فأخذتني الرقّة ، واستولت عليّ الأحزان . . الخبر .

ويكفي في هذا المقام هذا الخبر الشريف ، فإذا كانت الحيرة وتفرّق الشيعة وابتلاؤهم في أيّام الغيبة ، وتولّد الشكوك في قلوبهم سبباً لبكاء الصادق (عليه السلام) قبل سنين من وقوعها ، مما نفى عنه النوم ، فإنّ المؤمن المبتلى بذلك الحدث العظيم ، وقد غرق في دوّامة

مظلمة موّاجة لا قرار لها ، أحقّ بالبكاء والأنين والقلق والحزن والغمّ المستديم ، والتضرّع إلى الباري جلّ وعلا .

ثانياً : من تكاليف العباد في عصر الغيبة : انتظار فرج آل محمّد (عليهم السلام)

هذا الانتظار الذي يجب أن يتّسم بالدوام والاستمرار مع ترقّب ظهور دولة الحقّ القاهرة والحكومة الظاهرة لمهدي آل محمّد (عليهم السلام) ، وانتشار العدل والقسط في الأرض ، وغلبة الدين القويم على جميع الأديان وفقاً لما أخبر الله تعالى نبيّه الأكرم ووعده ، بل بشّر به جميع الأنبياء والأمم ، وأنّ يوماً سيأتي لا يعبدون فيه سوى الله عزّ وجلّ ، ولا يبقى على الدين ستر أو حجاب خوفاً من أحد ، وينحسر عن العباد كلّ بلاء وشدّة ، كما جاء في زيارة مهديّ آل محمّد (عليهم السلام) :

« السلام على المهديّ الذي وعد الله به الأمم أن يجمع به الكلم ، ويلمّ به الشعث ، ويملأ به الأرض عدلاً وقسطاً ، وينجز به وعد المؤمنين » .

وكان الوعد بهذا الفرج قد حدّدت له السنة السبعون من الهجرة ، فيروي الشيخ الراونديّ في (الخرائج) عن أبي إسحاق السميعي وعمرو بن الحمق ، وهو أحد أربعة كانوا موضعاً لأسرار أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال : دخلت على عليّ (عليه السلام) لمّا ضُرب في الكوفة فقلت له : لا بأس عليك ، ما هو إلّا خدش ، فقال : والذي نفسي بيده ، إنّي مفارقكم ، ثم قال (عليه السلام) : إلى السبعين بلاء ، ثلاث مرّات ، قلت : أليس بعد البلاء رخاء ؟ فلم يجبني وغشي عليه . . إلى أن يقول : فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّك قلت : إلى السبعين بلاء ، أليس بعد البلاء رخاء ؟ قال : بلى ، إنّ بعد البلاء رخاء ، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب .[١]

وروى الشيخ الطوسيّ في كتاب (الغيبة) والكلينيّ في (الكافي) عن أبي حمزة الثمالي أنّه قال :

قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : إنّ عليّاً (عليه السلام) كان يقول : إلى السبعين بلاء ، وكان يقول : بعد البلاء رخاء ، وقد مضت السبعون ولم نر رخاء ؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام) : يا ثابت[٢] ، إنّ الله تعالى كان وقّت هذا الأمر في السبعين ، فلمّا قتل الحسين اشتدّ غضب الله على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومئة ، فحدّثناكم فأذعتم

---

(١) الحديث أتى مضموناً وليس نصّاً .

(٢) هو ثابت بن دينار وكنيته أبو حمزة .

الحديث ، وكشفتم قناع السرّ فأخّره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا ، ويمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أمّ الكتاب .

قال أبو حمزة : وقلت ذلك لأبي عبد الله (عليه السلام) فقال : قد كان كذلك ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد (عليهما السلام) أنّه قال :

من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم (عليه السلام) .

وروى أيضاً عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال ذات يوم :

ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزّ وجلّ من العباد عملاً إلّا به ؟ فقلت : بلى ، فقال : شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، والإقرار بما أمر الله ، والولاية لنا ، والبراءة من أعدائنا ، يعني الأئمّة خاصّة ، والتسليم لهم ، والورع والاجتهاد ، والطمأنينة والانتظار للقائم .

ثمّ قال : إنّ لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء .

ثمّ قال : من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر ، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر ، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه ، فجدّوا وانتظروا ، هنيئاً لكم أيّتها العصابة المرحومة .

وروى الشيخ الصدوق في (كمال الدين) عنه (عليه السلام) أنه قال : من دين الأئمّة الورع والعفّة والصلاح ، وانتظار الفرج بالصبر .

وعن الرضا (عليه السلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :

أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال : المنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله .

وذكر الشيخ الطبرسيّ في (الاحتجاج) أنّ توقيعاً خرج من الناحية المقدّسة على يد محمّد بن عثمان ، جاء في آخره :

وأكثروا من الدعاء بتعجيل الفرج ، فإن ذلك فرجكم .

وروى الشيخ الطوسيّ (ره) في (الغيبة) عن المفضّل أنّه قال : ذكرنا القائم (عليه السلام) ومن مات من أصحابنا ينتظره ، فقال لنا أبو عبد الله (عليه السلام) :

إذا قام أُتي المؤمن في قبره فيقال له : يا هذا ، إنّه قد ظهر صاحبك ، فإن تشـأ أن تلحق به فالحق ، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربّك فأقم .

وروى الشيخ البرقيّ في (المحاسن) عنه (عليه السلام) أنّه قال لرجل من أصحابه :

من مـات منكم على هـذا الأمـر منتـظراً لـه كـان كمن كـان في فسـطاط القـائم (عليـه السلام) ، وفي رواية أخرى : بل كمن كان مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ؛ وفي رواية أخرى : كمن استشهد بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

وروى أيضاً عن محمّد بن الفضيل ، عن الرضا (عليه السلام) أنه قال :

سألته عن شيء من الفـرج ، فقال ؛ أليس انتـظار الفرج من الفـرج ؟ إن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين ﴾ .[١]

وعنه (عليه السلام) أيضاً :

ما أحسن الصبر وانتظار الفرج ، أما سمعت قول الله تعالى :

﴿ وارتقبـوا إنّي معكم رقيب ﴾[٢] ، وقـولـه عـزّ وجـلّ : ﴿ فـانتــظروا إنّي معكم من المنتظرين﴾[٣]؟ فعليكم بالصبر، فإنّه إنّما يجيء الفرج على اليـأس، فقد كـان الذين من قبلكم أصبر منكم .

ثالثاً : من التكاليف الدعاء لحفظ الوجود المبارك لإمام العصر (عليه السلام)

ففي الـدعـاء حفظ لـه (عليـه السـلام) من شرور شيـاطين الإنس والجنّ ، والتـماس لتعجيل النصرة والظفر والغلبة له (عليه السلام) على الكفّار والملحدين والمنافقين ، وهذا نوع من إظهار العبوديّة لله ، وإظهار الشوق وزيادة المحبّة له (عليه السلام) .

والأدعية الواردة في هذا المقام كثيرة ، وأحدهـا يروى عن يـونس بن عبد الـرحمن ، وقد أمره الإمام الرضا (عليه السلام) ، أن يدعو به لصاحب الأمر (عليه السلام) ، ومطلعه :

« اللهمّ ادفع عن وليّك وخليفتك وحجّتك . . » إلى آخر الدعاء ، وقد أوردناه في كتاب (المفاتيح) في باب زيارة صاحب الأمر (عليه السلام) .

وغيره صلوات منسوبة إلى أبي الحسن الضرّاب الإصفهانيّ ، وقد أوردناها في (المفاتيح) في آخر أعمال يوم الجمعة .

---

(١) سورة يونس : الآية ٢٠ .

(٢) سورة هود : الآية ٩٣ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٧١ .

وأيضاً هذا الدعاء الشريف :

« اللهمّ كن لوليّك (فلان ابن فلان ، وعوضاً عن فلان ابن فلان تقول) : الحجّة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كلّ ساعة وليّاً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً ، حتّى تسكنه أرضك طوعاً ، وتمتّعه فيها طويلاً » .

وتكرّر هذا الدعاء ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان وأنت واقف وقاعد وفي كلّ وضع ، وفي كلّ مكان وُجدت ، وفي كلّ زمان من دهرك حضرت ، تقرأ هذا الدعاء بعد تمجيد الله تعالى ، والصلاة على النبيّ وآله (عليهم السلام) ، إلى غيره من الأدعية الواردة ، والمقام لا يتّسع لذكرها ، فعلى من يطلبها الرجوع إلى (النجم الثاقب) .

رابعاً : التصدّق بالممكن ، وفي كلّ وقت لحفظ وجوده المبارك (عليه السلام)

ذلك أنّه ليست من نفس أعزّ وأكرم ـ ولا ينبغي أن تكون ـ من الوجود المقدّس لإمام العصر (عليه السلام) ، أرواحنا له الفداء ، بل أن يكون أحبّ من النفس إلى النفس ، فإذا لم يكن الأمر كذلك ، فهو ضعف ونقص في الإيمان ، وخلل في العقيدة ، كما جاء بأسانيد معتبرة عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ويروى أنّه قال :

لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أنا وأهل بيتي أحبّ إليه من نفسه وبنيه والناس جميعاً .

وكيف لا يكون ذلك كذلك في حين أنّ وجود وحياة الموجودات كافّة ، إلى الدين والعقل والصحة والعافية ، وسائر النعم الظاهرة والباطنة إنّما هي من شعاع وجوده المقدّس ووجود أوصيائه صلوات الله عليهم ، وبما أنّ ناموس العصر ومدار الدهر ، ونور الشمس والقمر ، وصاحب هذا القصر والأعتاب ، وسبب سكون الأرض وسير الأفلاك ، ورونق الدنيا من السمك إلى السماك ، حاضرٌ في قلوب الأخيار ، وغائب عن إنسان عين الأغيار في هذه الأعصار ، الحجّة بن الحسن صلوات الله عليهما ، وأنّ ثياب الصحّة والعافية موضوعة على قدر القامة الموزونة لتلك النفس المقدّسة ، والقدّ المعتدل لتلك الذات المطهّرة ، فعلى كلّ مغرور معجب ، ممّن لا همّ لهم سوى سلامة أنفسهم وحفظها وصيانتها ، فلا يدرون أنّه لا يليق ـ سوى ذلك الوجود المقدّس ـ بالوجود ، وهو الجدير بالعافية والسلامة ، من الحتميّ واللازم عليهم أن يكون جلّ همّهم ، وأهمّ غرض لهم التوسّل بكلّ وسيلة وسبب كالدعاء والتضرّع والصدقة ، والتماس السلامة والحفظ لذلك الوجود المقدّس ، ففي ذلك بقاء صحّتهم ، واستجلاب عافيتهم ، وقضاء حوائجهم ، ودفع البليّة عنهم .

خامساً : الحج عن النفس والحجّ بالنيابة عن إمام العصر (عليه السلام)

وذلك كما كانت عليه العادة بين الشيعة قديماً ، وكما قرّر هو (عليه السلام) .

يروي القطب الراونديّ في (الخرائج) أنّ أبا محمّد الوَعْلَجيّ كان له ولدان ، وكان أحدهما على الطريقة المستقيمة ، وهو أبو الحسن ، وكان يغسّل الأموات ؛ وكان ولده الآخر يسلك مسالك الأحداث في الإجرام وارتكاب الحرام .

دُفع إلى أبي محمّد المذكور مال يحجّ به عن صاحب الزمان (عليه السلام) ، وكان ذلك عادة الشيعة وقتئذ ؛ فأعطى أبو محمّد شيئاً من المال إلى ابنه الموسوم بالفساد ، وصحبه معه ، وخرج إلى الحجّ ، ولمّا عاد حكى أنّه لمّا كان في موقف عرفة رأى إلى جانبه شاباً حسن الوجه ، أسمر اللون ، بذؤابتين ، مقبلاً على شأنه في الابتهال والدعاء والتضرّع .

قال : فلمّا قرب نفر الناس التفت إليّ فقال : يا شيخ ، أما تستحي ؟ فقلت : من أيّ شيء يا سيّدي ؟ قال : يُدفع إليك مال تحجّ عمّن تعلم فتعطي منه إلى فاسق يشرب الخمر ؟! يوشك أن تذهب عينك هذه ، وأومأ إلى عيني ، وأنا إلى الآن في وجل ومخافة .

قالوا : فما مضى عليه أربعون يوماً بعد مورده حتّى خرج في عينه التي أومأ إليها قرحة ، فذهبت .

سادساً : الوقوف تعظيماً لدى سماع اسمه المبارك (عليه السلام)

وخاصّة إذا ذكر الاسم المبارك : القائم ، كما استقرّت عليه سيرة أبناء الطائفة الإماميّة ، كثّرهم الله تعالى ، في مختلف بلادهم من عرب وعجم وترك وهنود وديالمة ، وهذا يكشف بحدّ ذاته عن وجود أصل وأساس لهذا العمل ، ولو أنّه لم يتّضح لنا بعد ، غير أنّه سُمع من عديد من العلماء وأهل الاطّلاع أنّهم رأوا خبراً في هذا الباب نقله بعض العلماء ، وهو أنّ العالم المتبحّر الجليل السيّد عبد الله سبط المحدّث الجزائريّ سئل عن هذا الأمر ، وأنّه أجاب عنه في بعض تصانيفه بما يفيد أنّه رأى خبراً مضمونه أنّ الاسم المبارك ذُكر يوماً في مجلس الإمام الصادق (عليه السلام) فوقف (عليه السلام) احتراماً له وتعظيماً .

أقول : كان هذا كلام شيخنا في (النجم الثاقب) ، غير أنّ العالم المحدّث الجليل والفاضل الماهر المتبحّر سيّدنا الأجلّ السيّد حسن الموسويّ الكاظميّ أدام الله بقاءه قال في تكملة (أمل الآمل) ما مفاده أن أحد علماء الإماميّة عبد الرضا بن محمّد ـ وهو من أولاد المتوكّل ـ وضع كتاباً في وفاة الإمام الرضا (عليه السلام) وسمه باسم (تأجيج نيران الأحزان في وفاة سلطان خراسان) ، ومن متفرّدات ذلك الكتاب قوله : روي أنّه لمّا كان دعبل الخزاعيّ ينشد قصيدته التائية للإمام الرضا (عليه السلام) ووصل إلى هذا البيت :

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

وقف الإمام الرضا (عليه السلام) على قدميه ، وأحنى رأسه الشريف إلى الأرض بعد أن وضع كفّه اليمنى على رأسه ، وقال :

اللهمّ عجّل فرجه ومخرجه ، وانصرنا به نصراً عزيزاً . انتهى

سابعاً : الدعاء والتضرّع إلى الله تعالى في زمان الغيبة

من تكاليف العباد في ظلمات الغيبة التضرع وسؤال الله تعالى أن يكلأ الإيمان والدين بحفظه من تطرّق شبهات الشياطين وزنادقة المسلمين ، وقراءة الأدعية الواردة في ذلك ، ومنها دعاء رواه الشيخ النعمانيّ والشيخ الكلينيّ بأسانيد متعدّدة عن زرارة أنّه قال :

سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : إنّ للقائم (عليه السلام) غيبة قبل أن يقوم ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : يخاف ، وأشار إلى بطنه ، ثمّ قال : وهو المنتظر الذي يشكّ الناس في ولادته ، فمنهم من يقول : مات أبوه ولم يخلّف ، ومنهم من يقول : هو حمل ، ومنهم من يقول : هو غائب ، ومنهم من يقول : قد ولد قبل وفاة أبيه بسنتين ، وهو المنتظر ، غير أنّ الله تبارك وتعالى يحبّ أن يمتحن الشيعة ، فعند ذلك يرتاب المبطلون .

قال زرارة : فقلت : جعلت فداك ، فإن أدركت ذلك الزمان فأيّ شيء أعمل ؟ قال : يا زرارة ، إن أدركت ذلك الزمان فالزم هذا الدعاء :

« اللهمّ عرّفني نفسك ، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك ، اللهمّ عرّفني رسولك ، فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك ، اللهمّ عرّفني حجّتك ، فإنّك إنّت لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني » .

ودعاء آخر طويل يبدأ بالدعاء المتقدّم ، وبعده : « اللهمّ لا تمتني ميتة جاهليّة ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني . . » إلى آخر الدعاء ، وقد أوردناه في ملحق كتاب (المفاتيح) ، وذكره السيّد ابن طاووس في (جمال الأسبوع) بعد الأدعية المأثورة بعد صلاة عصر يوم الجمعة ، ثم قال : فإن كان لك عذر عن جميع ما ذكرناه من تعقيب عصر الجمعة فاحذر أن تهمل قراءته ، أي إنّنا بعد أن عرفنا هذا الدعاء فمن فضل الله جلّ جلاله أن خصّنا به (عليه السلام) ، فعليك باعتماده .

أقول : جاء ما يقرب من كلام ابن طاووس في ذيل الصلوات المنسوبة إلى أبي الحسن الضرّاب الإصفهانيّ ، ويستفاد من هذا الكلام حصولهم على شيء في هذا الباب من جانب صاحب الأمر (عليه السلام) ، وهو عن مقامهم غير مستبعد .

ودعاء آخر رواه الشيخ الصدوق عن عبد الله بن سنان قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) :

ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ، ولا إمام هدى ، لا ينجو منها إلّا من دعا بدعاء الغريق .

قلت : وكيف دعاء الغريق ؟ قال : تقول :

« يا الله يا رحمن يا رحيم ، يا مقلّب القلوب ، ثبّت قلبي على دينك » .

فقلت : يا مقلّب القلوب والأبصار ثبّت قلبي على دينك .

فقال : إن الله عزّ وجلّ مقلّب القلوب والأبصار ، ولكن قل كما أقول : « يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك » .

ثامناً : الإستمداد منه (عليه السلام) والاستعانة والاستغاثة به ، ورقعة الحاجة .

وذلك عند الشدائد والأهوال ، والبلايا والأمراض ، ومواجهة الشبهات والفتن من الأطراف والجوانب ، وعدم العثور على سبيل للعلاج ، وإذا أريد منه (عليه السلام) حلّ شبهة ، ورفع كربة ، ودفع بليّة .

ذلك أنّه (عليه السلام) ـ حسب القدرة الإلهيّة ، والعلوم اللّدنيّة الربّانيّة ـ مطّلع على أحوال كلّ أحد ، وفي كلّ مكان ، قادر على إجابة ما يُسأل ، فيضه عامّ ، وهو لم يغفل عن النظر في أمور رعاياه ، ولا يغفل ، وهو القائل في توقيع بعث به إلى الشيخ المفيد :

« . . فإنّا يحيط علمنا بأنبائكم ، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم ، ومعرفتنا بالزلل (بالبلاء) الذي أصابكم » .

وذكر الشيخ الطوسيّ في كتاب (الغيبة) بسند معتبر عن أبي القاسم الحسين بن روح ، النائب الثالث رضي الله عنه ، قال :

اختلف أصحابنا في التفويض وغير ذلك ، فأتيت أبا طاهر بن بلال في أيّام استقامته ، أي قبل أن يختار بعض المذاهب الباطلة ، فأعلمته بهذا الاختلاف ، فقال : أمهلني ، فأمهلته أيّاماً ، ثم عدت إليه ، فأخرج لي حديثاً بإسناده عن الصادق (عليه السلام) أنه قال ما مفاده :

إذا أراد الله تعالى أمراً عرضه على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثمّ على أمير المؤمنين (عليه السلام) ثمّ على الأئمّة (عليهم السلام) واحداً فواحداً حتّى ينتهي إلى صاحب الزمان (عليه السلام) ، فيخرج إذ ذاك إلى الدنيا .

وإذا أراد الملائكة رفع عمل إلى الله عزّ وجلّ عرض على صاحب الزمان (عليه السلام) ثمّ على واحد فواحد حتّى يعرض على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثمّ يعرض على الله عزّ وجلّ فكلّ ما ينزل من عند الله فعلى أيديهم ، وما يصعد إليه عزّ وجلّ فمن جهتهم ، وليسوا في غنى عن الله عزّ وجلّ طرفة عين .

وروى السيّد حسين المفتي الكركي سبط المحقّق الثاني في كتاب (دفع المناورات) نقلاً عن كتاب (البراهين) عن أبي حمزة ، وعن الكاظم (عليه السلام) أنّه قال :

سمعته (عليه السلام) يقول ما مفاده : ما من ملك يبعثه الله إلى الأرض في أمر إلا ابتدأ بالإمام (عليه السلام) فعرضه عليه ، وإنّ محلّ تردّد ملائكة الله تبارك وتعالى صاحب هذا الأمر .

وفي خبر أبي الوفاء الشيرازيّ أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال ما معناه : إذا أصبت بالضعف والضرّ فاستغث بالحجّة (عليه السلام) الذي يدركك ، فهو المغيث والملاذ لكلّ من استغاث به .

وروى الشيخ الكشّي والشيخ الصفّار في (البصائر) عن رميلة أنّه قال : أصبت بحمّى شديدة في أيّام أمير المؤمنين (عليه السلام) فوجدت في نفسي خفّة في يوم جمعة فقلت في نفسي : لا أعلم شيئاً أفضل من أن أصبّ عليّ ماء (يعني أن يغتسل) وأصلّي خلف أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ففعلت ذلك وقصدت المسجد ؛ فلمّا صعد أمير المؤمنين (عليه السلام) المنبر عاودتني الحمّى ، فلما رجع أمير المؤمنين (عليه السلام) ودخل القصر دخلت معه ، فقال لي : يا رميلة ، رأيتك لست على بعضك ، وبرواية أخرى : فالتفت إليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال : يا رميلة ، مالي أراك لست على بعضك ؟ فأعلمته بما كنت فيه ، وما حملني على الرغبة بالصلاة خلفه ، فقال : يا رميلة ، ما اعتلّ مؤمن إلاّ مرضنا لعلّته ، وما حزن إلاّ حزنا لحزنه ، وما دعا إلاّ أمّنّا على دعائه ، وما سكت إلاّ دعونا له .

فقلت له : يا أمير المؤمنين ، جعلت فداك ، هذا اللطف والمرحمة لمن هو معك في هذا القصر ، فما حال أولئك الذين هم في أطراف الأرض ؟ فقال : يا رميلة ، إنّه ما غاب عنّا مؤمن في مشرق الأرض ولا في مغربها .

وروى الشيخ الصدوق والصفّار والشيخ المفيد وآخرون أيضاً بأسانيد كثيرة عن الباقر والصادق (عليهما السلام) أنّهما قالا ما مؤدّاه : إنّ الله عزّ وجلّ لا يدع الأرض إلاّ وفيها عالم يعرف الزيادة والنقصان فيها ، فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم ، وبرواية : طرحهم ، وإذا أنقصوا شيئاً أكمله لهم ، ولو لم يكن ذلك لاختلطت على المسلمين أمورهم ، وبرواية : لم يعرفوا الحقّ من الباطل .

وجاء في (تحفة الزائر) للمجلسيّ ، وفي (مفاتيح النجـاة) للسبزواريّ أنّ من كـانت له حاجة فليكتب ما يأتي في رقعة يطرحهـا في قبر من قبـور الأئمّة (عليهم السـلام) ، أو يطويهـا ويختمها ، ثم يصنع طيناً من تراب طاهر ويجعلها فيه ثمّ يرمي بها في نهر أو بئـر عميقة أو غـدير ماء ، لتصل إلى صاحب الزمان صلوات الله وسلامه عليه ، فيتولّى هو بنفسه إخراج الحـاجة . وهذا هو نصّ الرقعة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، كتبت يا مولاي صلوات الله عليـك مستغيثاً ، وشكـوت ما نـزل بي مستجيراً بـالله عزّ وجـلّ ثمّ بك في أمـر قد دهمني ، وأشغـل قلبي ، وأطـال فكـري . وسلبني بعض لبّي ، وغيّر خطير نعمة الله عندي ، أسلمني عند تخيّل وروده الخليل ، وتبرّأ منّي عند ترائي إقباله إليّ الحميم ، وعجـزت عن دفاعـه حيلتي ، وخانني في تحمّله صـبري وقوّتي ، فلجأت فيه إليك ، وتوكّلت في المسألة لله ـ جلّ ثناؤه ـ عليه وعليك في دفاعه عنّي علماً بمكـانك من الله ربّ العالمين وليّ التدبير ومالك الأمور ، واثقاً بـك في المسارعـة في الشفاعـة إليه ـ جـلّ ثناؤه ـ في أمري ، متيقّناً لإجابته ـ تبارك وتعالى ـ إيّاك بإعطائي سؤلي ، وأنت يـا مولاي جـدير بتحقيق ظنّي وتصديق أملي فيك ، في أمر كذا وكذ (ويذكر في محل كذا وكذا حاجتـه) في ما لا طاقة لي بحمله ، ولا صبر لي عليه ، وإن كنت مستحقّاً له ولأضعافه بقبيح أفعالي ، وتفـريطي في الواجبات التي لله عزّ وجلّ ، فـأغثني يا مـولاي ـ صلوات الله عليك ـ عنـد اللهف ، وقدّم المسألة لله ـ عزّ وجلّ ـ في أمري قبل حلول التلف وشماتة الأعداء ، فبك بُسطت النعمة علـيّ ، واسأل الله جلّ جلاله لي نصـراً عزيـزاً وفتحاً قـريباً فيـه بلوغ الآمال ، وخـير المبادي وخـواتيم الأعمال ، والأمن من المخاوف كلّها في كلّ حـال ، إنّه جـلّ ثناؤه لما يشاء فعّـال ، وهو حسبي ونعم الوكيل في المبدأ والمآب » .

ثمّ ليأت إلى ذلك النهـر أو الغديـر ، وليعتمد عـلى أحد وكـلائه (عليـه السلام) ، إمّـا عثمان بن سعيد العَمْـريّ ، أو ولده محمّـد بن عثمان ، أو الحسـين بن روح ، أو عليّ بن محمّـد السمريّ ، فينادي واحداً منهم ويقول :

« يا فلان ابن فلان ، سلام عليك ، أشهد أنّ وفاتك في سبيل الله ، وأنّك حيّ عند الله مرزوق ، وقد خاطبتك في حياتك التي لك عند الله عزّ وجلّ ، وهذه رقعتي وحاجتي إلى مـولانا (عليه السلام) ، فسلّمها إليه وأنت الثقة الأمين » .

ثم ليرم الرقعة في نهر أو غدير فتلبّ حاجته ، ويستفاد من هذا الخبر الشريـف أنّ أولئـك الأشخاص الأربعة العظام كما كانوا في الغيبة الصغرى واسطة بين إمام العصر (عليه السـلام) وبين رعايـاه في عرض الحـوائج والـرقاع ، وتلقّي الـردود وإبلاغ التـوقيعات ، فهم كـذلك في الغيبة الكبرى يفخرون بهذا المنصب الكبير في ركابـه المبارك ، فيُعلم بـذلك أنّ مـائدة إحسـان

وجود إمام الزمان صلوات الله عليه وكرمه وفضله ونعمه ، مبسوطة لكلّ مضطرب ضعيف ، وضائع منهك ، ومتحيّر جاهل تائه ، وأنّ بابه مفتوح ، وجادّته مشرعة ، مع صدق الاضطرار والحاجة ، والعزم مع صفاء الطويّة وإخلاص السريرة ، فمن كان جاهلاً جرّعه من شراب علمه ، أو تائهاً أخذ بيده إلى سواء سبيله ، أو مريضاً ألبسه لبوس عافيته .

كما يظهر ويتّضح من السير والحكايات والقصص المتقدّمة كنه المقصود في هذا المقام ، وهو أنّ صاحب الزمان صلوات الله عليه حاضر بين العباد ، وناظر إلى أحوال الرعيّة ، وقادر على كشف البلايا ، وعالم بالأسرار والخفايا ، فهو غير معزول عن منصب خلافته جرّاء غيبته واستتاره عن الناس ، وهو غير متخلّ عن لوازم ومقتضيات رئاسته الإلهيّة ، وغير عاجز عن قدرته الربّانيّة ، وهو إذا أراد حلّ مشكل وقع في القلب ، فعله دون حاجة لرؤية عين أو جهد يد ، وإذا أراد لقلب أن يميل ويتشوّق إلى كتاب أو عالم يكون فيه أو عنده دواء ألمه فعل ذلك بأنّ يعلّمه دعاءه حيناً ، أو يبيّن له دواء مرضه في منامه حيناً آخر .

وقد شوهد وسُمع أنّ كثيراً من أرباب الاضطرار والحاجة ـ مع صدق ولائهم وإقرارهم بالإمامة ـ كانوا في موقع العجز والالتماس والشكوى لكنّهم لم يروا أثراً لإجابة ، أو كشف بليّة ، علاوة على امتلاك هذا المضطرّ لموانع الدعاء والقبول غالباً ، أو لاشتباهه في كونه مضطراً وهو ليس كذلك ، فتاه وتحيّر ، لكنّهم بيّنوا له الطريق ، كالجاهل بالأحكام العمليّة ، إذ أحيل إلى عالمه ، كما جاء في التوقيع المبارك في جواب مسائل إسحاق بن يعقوب ، وكان مرقوماً :

« وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتي عليكم ، وأنا حجّة الله عليهم » .

فما دامت يد الجاهل تصل إلى العالم أو إلى كتابه في الأحكام فهو ليس مضطراً ، وكذلك من كان العالم قادراً على حلّ مشكلته ودفع الشبهة والحيرة عنه من الظواهر ونصوص الكتاب والسنّة والإجماع فليس بعاجز أو ضعيف ، كما أنّ أولئك الذين تجاوزوا في معاشهم وأسباب حياتهم الحدود الإلهيّة والموازين الشرعيّة ، ولم يقنعوا ويقتصروا على المقدار الممدوح في الشرع بسبب أنّهم لا يمتلكون بعضاً ممّا لا يتعلّق به العيش فهم غير مضطرّين ، إلى غير ذلك من الأمور التي يرى الإنسان فيها نفسه عاجزاً مضطرّاً ، فيظهر له بعد التأمّل الصادق خلاف ذلك ، وعلى فرض أنّه كان في اضطرار صادق فلعلّ صلاحه أو صلاح النظام ككلّ لا يكمن في إجابته ، مع أنه لم يوعد كلّ مضطرّ بالإجابة ، نعم ، إنّ إجابة المضطرّ لا تصدر إلاّ عن الله تعالى أو عن خلفائه ، لا أنّهم يجيبون كلّ مضطرّ ، وقد وُجد في أيّام الحضور والظهور ، في المدينة ومكّة والكوفة الكثير من أصناف المضطرّين والعجزة كافّة ، وكانوا غالباً من الموالين والمحبّين ، وكثيراً ما كانوا يسألون فلا يجابون ، وهكذا فلم يحدث أنّ كلّ عاجز في كلّ زمان

أجيب إلى كلّ ما سأل ، ورُفع عنه اضطراره ، ذلك لأنّ هذا يورث اختلالاً في النظام ، ويدفع الأجر الجزيل والثواب العظيم الذي سيدركه أصحاب البلاء والمصائب الذين يتمنّون إذا شاهدوه في يوم الجزاء لو أنّ أبدانهم قُرضت في الدنيا بالمقاريض ، وأنّ الله تعالى مع تلك القدرة الكاملة ، والغناء المطلق ، والعلم المحيط بذرّات الموجودات وجزئيّاتها لم يفعل كذلك مع عباده .



الفصل السابع

في ذكر بعض علامات ظهور صاحب الزمان (عج الله فرجه)

وسنكتفي في هذا الفصل بإيراد موجز عمّا كتبه السيّد السند الفقيه ، المحدّث جليل القدر المرحوم السيّد إسماعيل العقيليّ النوريّ ـ نوّر الله مرقده ـ في كتاب (كفاية الموحّدين) ، وتلك العلامات هي على قسمين : علامات حتميّة ، وعلامات غير حتميّة ، ونذكرها بنحو الإجمال ، والمقصود ترتيب ذكرها .

العلامات الحتمية

الأولى : خروج الدجّال : وذلك اللعين يدّعي الألوهيّة ، وبوجوده تسفك الدماء وتقع الفتنة في العالم ، ويظهر في الأخبار أنّ إحدى عينيه عوراء ممسوحة ، والأخرى (اليسرى) في جبهته تضيء كأنّها كوكب ، فيها علقة كأنّها ممزوجة بالدم ، عظيم الخلقة ضخم الجثّة ، عجيب الشكل غريب الهيئة ، كثير المهارة في السحر ، بين يديه جبل أسود يخيّل للناس أنّه جبل من طعام ، وخلفه جبل أبيض يخيّل للرائي أنه ماء عذب جار ، ينادي بأعلى صوته : إليّ أوليائي ، أنا ربّكم الأعلى ! فتجتمع إليه الشياطين والمردة من الظالمين والمنافقين ، والسحرة والكهنة ، والكفرة وأولاد الزنا ، ويحيط به الشياطين يشتغلون بآلات اللهو واللعب والتغنّي بجميع النغمات ، واللعب بالعود والمزمار والدفّ والبربط وغيرها ، فتنشغل بتلك الألحان قلوب تابعيه ، ويندفع صغار العقول من النساء والرجال إلى الرقص ، ويمشي الناس خلفه تشدّهم تلك الأنغام الأخّاذة كأنّهم سكارى .

وفي رواية أمامة أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال ما مؤدّاه :

على كلّ مؤمن يرى الدجّال أن يبصق في وجهه ، ويقرأ السورة المباركة « الحمد » لدفع سحر هذا اللعين فلا يترك أثره فيه ؛ فإذا ظهر امتلأ العالم بالفتن والفساد ، ووقعت الحرب بينه

وبين جيش القائم (عليه السلام) ، وأخيراً يقتل بيده المباركة ، أو يقتله عيسى ابن مريم (عليهما السلام) .

الثانية : الصيحة والنداء السماويّان :

وتدلّ أخبار كثيرة على كونهما من الحتميّات ، وفي حديث المفضّل بن عمر (ره) عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال :

يدخل القائم (عليه السلام) مكّة ، ويظهر إلى جانب الكعبة ، فإذا طلعت الشمس وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس يسمعه من في السماوات والأرضين : يا معشر الخلائق ، هذا مهديّ آل محمّد ، ويسمّيه جدّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ويكنّيه ، وينسبه إلى أبيه الحسن الحادي عشر إلى الحسين بن عليّ صلوات الله عليهم أجمعين .

ثمّ يقول : بايعوه تهتدوا ، ولا تخالفوا أمره فتضلّوا .

فأوّل من يقبّل يده الملائكة ، ثمّ الجنّ ، ثمّ النقباء ، ويقولون : لبّيك ، سمعنا وأطعنا ، وتقبل الخلائق من البدو والحضر ، والبرّ والبحر ، يحدّث بعضهم بعضاً ، ويستفهم بعضهم بعضاً ما سمعوا بآذانهم .

فإذا دنت الشمس للغروب صرخ صارخ من مغربها : يا معشر الخلائق ، ظهر ربّكم بالوادي اليابس ، وهو عثمان بن عنبسة ، من ولد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فبايعوه تهتدوا ، ولا تخالفوا عليه فتضلّوا ، فيردّ عليه الملائكة والجنّ والنقباء قوله ، يكذّبونه ، فلا يبقى ذو شكّ ولا مرتاب ولا منافق ولا كافر إلّا ضلّ بالنداء الأخير .

كما ينادى بنداء سماويّ آخر قبل ظهور حجّة الله (عليه السلام) ، وهو أيضاً في عداد الحتميّات التي لا بدّ من وقوعها ، يسمعه أهل المشرق والمغرب ، وذلك المنادي هو جبرئيل الذي ينادي بأعلى صوته : الحقّ مع عليّ وشيعته ، ثمّ ينادي إبليس في وسط النهار بين الأرض والسماء بنداء يسمعه الجميع : الحقّ مع عثمان وشيعته ، وتكون هذه الصيحة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان .

الثالثة : خروج السفيانيّ : وذلك من الوادي اليابس ، أي البيداء الخالية من الماء والكلأ ما بين مكّة والشام ، وهو رجل وحش الوجه ، عليه أثر الجدريّ ، أزرق العينين ، اسمه عثمان بن عنبسة من ولد يزيد بن معاوية ، يملك كور الشمس الخمس : دمشق وحمص وفلسطين والأردنّ وقنّسرين ، ثم يبعث بجيش إلى الأطراف فيتّجه قسم كبير من جيشه نحو بغداد والكوفة ، فيعمل في أهلهما القتل والدمار والإفساد ، ويقع في الكوفة والنجف الأشرف قتل كثير ، ثم يتّجه شطر من جيشه نحو الشام ، وشطر آخر نحو المدينة ، فإذا بلغها استباحها

ثلاثة أيّام ، وأعمل فيها قتلاً وتدميراً كبيراً ، وبعدها يتّجه نحـو مكّة فـلا يبلغها ؛ أمـا الجيش الذي يمم شطر الشام فيظفـر به جيش الحجّـة (عليه السـلام) فيبيده عن آخـره ويغنم كلّ مـا يحمله رجاله .

وتمتـدّ فتنة هـذا اللعين إلى أنحـاء البلاد كـافّـة ، وتشتـد خـاصّـة عـلى أصحـاب عـليّ (عليه السلام) وشيعته ، حتّى أن منادياً ينادي من قبله : ألا من جـاء برأس رجـل من شيعة عليّ فله ألف درهم ، فيثب الجار عـلى جاره ويقـول : هذا منهم ، فيضرب عنقـه ويأخـذ ألف درهم .

أمّـا الجيش المتجّه إلى مكّـة فإنّـه لا يبلغها ، فـإذا كان في البيـداء ما بينهـا وبين المـدينـة خسفت به الأرض ، فابتلعته بما فيه من فرسـان وسلاح ، ويبلغ تعـدادهم ثلاثمئـة ألف ، فلا ينجو منهم سوى أخوين اثنين من جهينة يحوّل الملائكة وجهيهما إلى قفاهما ، ويقولـون لأحدهمـا وهـو البشير : تـوجّه إلى مكّـة وبشّر صاحب الأمـر (عليه السـلام) بهـلاك جيش السفيـانيّ ، ويقولون للآخر وهو النذير : توجّه إلى الشام وأنذر السفيانيّ ، فيتوجّهان إلى حيث أمـرا ، فإذا بلغ النذير السفيانيّ بالخبر ترك الشـام وتوجّـه إلى الكوفـة ، وفعل فيهـا ما فعـل من سبي ودمار وقتل ، حتّى إذا بلغ القائم (عليه السلام) الكوفة في أثـره فرّ منهـا عائـداً إلى الشام ، فـأرسل (عليه السلام) في أثره من يطلبه ، فيصلون إليه عند بيت المقدس فتضرب عنقه على الصخـرة هناك .

الرابعة : الخسف بجيش السفيانيّ في البيداء ، كما تقدّم ذكره .

الخامسة : قتل النفس الزكيّة : وهو من ولد آل محمّد (عليهم السلام) ، ويكون مقتله ما بين الركن والمقام .

السـادسة : خـروج السيّـد الحسنيّ : وهـو الفتى الصبيـح ، يخـرج من طـرف الـديلم وقزوين ، وينادي بصوت له فصيح : يا آل محمّد ، أجيبوا الملهوف ، والسيّد الحسنيّ هـذا هو كما يظهر من ولد الحسن المجتبى (عليه السلام) ، يخرج فلا يدعو بدعوى الباطل ، ولا يدعو إلى نفسـه ، إذ هـو من شيعـة الأئمّـة الخلّص ، يتبـع الـدين الحقّ ، فـلا يـدّعي النيـابـة ولا المهدويّة ، قائد كبـير مطاع ، يمشي عـلى درب شريعة خـاتم النبيين (صـلّى الله عليه وآلـه) في القول والعمل ، يلتحق به جمع كبير من المؤمنين بعد أن فشا الظلم وساد الفسّاق ، وتجيبه كنوز الله بـالـطالقـان ، وهي كنـوز ليست من فضّـة ولا ذهب ، بـل هي رجـال قلوبهم كـزبـر الحديد ، على البراذين الشهب ، بأيديهم الحراب ؛ ولم يزل يقاتل بهم الظلمة حتّى يـرد الكوفـة وقد صفا أكثر الأرض ، فيجعلها له معقلاً .

فيتّصل به وبأصحابه خبر المهديّ (عليه السلام) وقدومه من المدينـة إلى الكوفـة ، فيأتي إليه مع أصحابه ويطلب منه دلائل الإمامة ومواريث الأنبياء .

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : وهو والله يعلم أنّه المهديّ ، وإنّـه ليعرفـه ، ولم يرد بذلك الأمر إلاّ ليعرّف أصحابه من هو .

ثمّ إنّ القائم (عليه السـلام) يخرج للحسنيّ دلائـل الإمامـة ومواريث الأنبيـاء ، فيقول الحسنيّ : الله أكبر ، مدّ يدك يا بن رسول الله حتّى نبايعك ، فيمدّ يده فيبايعـه ، ويبايـع سائـر العسكـر الـذي مـع الحسنيّ إلاّ أربعـة آلاف منهم ، وهم أصحـاب المصـاحف المعـروفـون بالزيديّة ، ومصاحفهم معلّقة حول أعناقهم ، فإنّهم إذ يرون الدلائل والمعجزات يقولـون : ما هذا إلاّ سحر عظيم !

فيقبل المهديّ (عليه السلام) على الطائفة المنحرفة فيعظهم ويدعوهم ثـلاثة أيّـام ، فلا يـزدادون إلاّ طغيانـاً وكفراً ، فيـأمر بقتلهم ، فيقتلون جميعـاً ، وكانت حـالهم كحـال خـوارج النهروان الذين كانوا في عسكر أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفّين .

السـابعة ظهـور كفّ من السماء ، وفي روايـة أخرى : ظهـور وجه وصـدر وكفّ في عين الشمس .

الثامنة : كسوف الشمس وخسوف القمـر : فالكسـوف يقع في الخـامس عشر من شهر رمضان ، ويقع الخسوف في آخره .

التاسعة : العـلامات التي تـظهر في رجب : روى الشيـخ الصدوق عن الإمـام الرضـا (عليه السلام) أنّه قال :

لا بدّ للشيعة من فتنة صمّاء صيلم ، وذلـك عند فقـدان الثالث من ولـدي ، يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض ، فإذا اقترب ظهوره نودي الناس في رجب ثـلاثة أصـوات من السماء يسمعها جميع الخلق : الصوت الأوّل : « ألا لعنة الله على القوم الظالمين » ، والصوت الثاني : « أزفت الآزفه » أي : قرب الأمر الذي يقع يوماً بيوم ووقتاً بوقت ، والصوت الثالث : يـرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس ، وينادي منادٍ : هذا أمير المؤمنين (عليه السلام) قد كرّ في هلاك الظالمين » ، فعند ذلك يأتي الناس الفرج .

العاشرة : اختلاف بني العبّـاس وانقراض دولتهم : وقـد جاء العلم بـذلك في الأخبـار الواردة ، وأنّهم يختلفون قبل قيام القائم (عليه السلام) وتنقرض دولتهم من جهة خراسان .

العلامات غير الحتميّة

وأمّا العلامات غير الحتميّة فكثيرة ، ظهر بعضها ، وبعضها الآخر لم يقع بعد ، ونشير هنا إلى بعضها بنحو الإجمال :

الأولى : هدم حائط مسجد الكوفة .

الثانية : انبثاق نهر من شطّ الفرات وجريانه في أزقّة الكوفة .

الثالثة : إعمار مدينة الكوفة بعد خرابها .

الرابعة : خروج الماء من بحر النجف .

الخامسة : جريان نهر من الفرات إلى الغريّ ، وهو النجف الأشرف .

السادسة : ظهور نجم مذنّب قرب نجم الجدي .

السابعة : وقوع قحط شديد قبل ظهوره (عليه السلام) .

الثامنة : وقوع زلزال شديد وانتشار الطاعون في كثير من البلاد .

التاسعة : القتل البيوح ، وهو القتل الكثير الذي لا يهدأ .

العاشرة : تحلية المصاحف ، وزخرفة المساجد، وتطويل المنابر.

الحادية عشرة : خراب مسجد براثا .

الثانية عشرة : ظهور نار في مشرق الأرض تبقى في الجوّ ثلاثة أيّام أو سبعة ، وتكون مبعث تعجّب وخوف .

الثالثة عشرة : ظهور حمرة شديدة في أطراف السماء تمتدّ حتّى تنتشر في آفاقها .

الرابعة عشرة : كثرة القتل وسفك الدماء في الكوفة من قبل رايات مختلفة .

الخامسة عشرة : مسخ لطائفة من أهل البدع حتّى يصيروا قردة وخنازير .

السادسة عشرة : إقبال رايات سود من قبل خراسان .

السابعة عشرة : نزول مطر شديد في جمادى الثانية ورجب ، لم ير مثيل له .

الثامنة عشرة : إطلاق العنان للعرب يعملون ما شاؤوا ، ويتّجهون أنّى شاؤوا .

التاسعة عشرة : خروج الناس عن سلطان العجم .

العشرون : طلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ، ثمّ ينعطف حتّى يكاد يلتقي طرفاه ، وله بريق يُغشي العيون .

الحادية والعشرون : غلبة ظلمة الكفر والفسوق والعصيان على العالم .

ولعلّ المقصود بهذه العلامة غلبة الكفر والفسق والفجور والظلم على العالم ، وانتشار ذلك في الأقطار كافّة ، واشتداد ميل الخلق إلى عادات الكفّار وأطوارهم من قول وفعل ، ومعاش وأوضاع دنيويّة ، والتشبّه بهم في الحركات والسكنات ، والمساكن واللباس ، ومجاراتهم في ضعفهم وتكاسلهم في أمور الدين وآثار الشريعة ، وعدم تقيّدهم بالآداب الشرعية ، وخاصّة في هذا الشطر من الزمان الذي يشتدّ فيه يوماً فيوماً التشبّه بأهل الكفر في جميع النواحي الدنيويّة ، بل في اقتباس قواعد الكفر عنهم والعمل بها في الأمور الظاهريّة ، وما أكثر ما يقع الاعتقاد والاعتماد الكامل على أقوالهم وأعمالهم ، والوثوق التامّ بهم في الأمور كافّة ، وربما سرى هذا إلى الكثير من المعتقدات حتّى تخلّى الناس بالمرّة عن أصول العقائد الإسلامية بل أخذوا يعلّمون الأطفال آدابهم وقواعدهم كما هو مرسوم فعلاً ، فلا يدعون في البداية لآداب الإسلام وقواعده أن ترسخ في أذهانهم ، حتّى إذا وصلوا إلى سنّ البلوغ انجرفوا بالكليّة نحو فساد العقيدة ، وعدم التديّن بدين الإسلام ، وتستمّر على هذا المنوال حياتهم ، وحياة أولئك الذين يعيشون معهم من الأهل والعيال .

بل إنّك لو أمعنت النظر لرأيت أن الكفر قد أحاط بالعالم إلاّ أقلّ القليل من عباد الله ، الذين هم في الغالب من ضعاف الإيمان ونواقص الإسلام ، ذلك لأنّ أكثر بلاد المعمورة واقع تحت سيطرة الكفّار والمشركين والمنافقين ، وأنّ أكثر الناس ، إنّما هم من أهل الكفر والشرك والنفاق إلاّ ما ندر ، كما أنّ أهل الإيمان تجدهم وقد دبّت بينهم أسباب الفرقة والخلاف في أصول معتقدهم ومذهبهم حتّى غدا أهل الحقّ بينهم قلّة ، وهذه القلّة من أهل الإيمان ، من خواصّ وعوامّ ، تجد الكثير منهم ، قد مالوا إلى ارتكاب المعاصي واقتراف المحرّمات ، وفعل الظلم والتعدّي من أحدهم على الآخر في أمور دينه ودنياه ، وهم يظلمون أنفسهم حتّى لا يبقى عندهم من الإيمان إلاّ اسم دون مسمّى ، وإلاّ رسم لا يتّفق مع آثار الشريعة ، فلا يبقى من الإسلام أثر إلاّ القليل ، ولن يترتّب على وجودهم هذا من ترويج للدين شيء حتّى يغدو المعروف عند الناس منكراً ، والمنكر معروفاً ، ولا يبقى من الإسلام إلاّ اسمه ورسمه ، حتّى كأنّ منهج أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) والسجايا المرضيّة للأئمّة الأطهار سلام الله عليهم قد هجرت وقلبت ، وكأنّه قرب أن تطوى صحيفة الشريعة والعياذ بالله ، على مرأى ومسمع من الخلق كلّهم ، إذ نرى ما ذُكر في الأخبار يشتدّ ويقوى يوماً فيوماً ، وأنّ ما ذكره رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً إنّما هو كائن في شطر من هذا

الزمان وقد غدا بيّناً واضحاً ، ويقرب من هذا ما ذكر من أنّ الأرض تمتلىء ظلماً وجوراً ، وما نراه إنّما هو عين الظلم والجور .

فينبغي لتلك القلّة من عباد الله المؤمنين أن يسألوا الله تعالى ـ ليلاً ونهاراً ، وتضرّعاً وابتهالاً ـ التعجيل بفرج آل محمّد (عليهم السلام) .

من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في علامات الظهور

« إذا صاح الناقوس ، وكبس الكابوس ، وتكلّم الجاموس ، فعند ذلك عجائب ، وأيّ عجائب ! أنار النار بنصيبين ، وظهرت راية عثمانيّة بواد سود ، واضطربت البصرة ، وغلب بعضهم بعضاً ، وصبا كلّ قوم إلى قوم . . إلى أن قال (عليه السلام) : وأذعن هرقل بقسطنطينيّة لبطارقة سفيانيّ ، فعند ذلك توقّعوا ظهور متكلّم موسى من الشجرة على طور » .

ومن بعض درر كلماته (عليه السلام) في علامات ظهور القائم (عليه السلام) :

« إذا أمات الناس الصلاة ، وأضاعوا الأمانة ، واستحلّوا الكذب ، وأكلوا الربا ، وأخذوا الرشى ، وشيّدوا البنيان ، وباعوا الدين بالدنيا ، واستعملوا السفهاء ، وشاوروا النساء ، وقطعوا الأرحام ، واتّبعوا الأهواء ، واستخفّوا بالدماء .

وكان الحلم ضعفاً ، والظلم فخراً ، وكانت الأمراء فجرة ، والوزراء ظلمة ، والعرفاء خونة ، والقرّاء فسقة ، وظهرت شهادات الزور ، واستعلن الفجور ، وقول البهتان ، والإثم والطغيان .

وحلّيت المصاحف ، وزخرفت المساجد وطوّلت المنائر ، وأكرم الأشرار ، وازدحمت الصفوف ، واختلفت الأهواء ، ونقضت العقود ، واقترب الموعود .

وشارك النساء أزواجهنّ في التجارة حرصاً على الدنيا ، وعلت أصوات الفسّاق واستمع منهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، واتّقي الفاجر مخافة شرّه ، وصدّق الكاذب ، وائتمن الخائن ، واتّخذت القيان والمعازف ، ولعن آخرُ هذه الأمّة أوّلها .

وركب ذوات الفروج السروج ، وتشبّه النساء بالرجال والرجال بالنساء ، وشهد الشاهد من غير أن يستشهد ، وشهد الآخر لذمام بغير حقّ عرفه ، وتُفقّه لغير الدين ، وآثروا عمل الدنيا على الآخرة ، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب ، وقلوبهم أنتن من الجيف ، وأمرّ من الصبر ؛ فعند ذلك الوحى الوحى[1] ، العجل العجل ، خير المساكن يومئذ بيت

(١) الوحى : الصوت ، العجلة ، النار .

المقدس ، ليأتينّ على الناس زمان يتمنّى احدهم أنّه من سكّانه » .

في أنّ بغض الكفّار والملحدين من أركان الدين

يقول المؤلّف : رأيت من المناسب أن أورد هنا ملخّصاً لكلام شيخنا المرحوم ثقة الإسلام النوريّ طاب ثراه في (الكلمة الطيّبة) بعد أن أثبت أنّ الفرقة الاثني عشرية هي الفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة ، وأنّ نجاة هذه الجماعة في هذه الأعصار في غاية الضعف والعجز والقلّة والذلّة ، وذلك بسبب أمور عديدة يأتي على رأسها ما يجري من تردّد الكفار على البلاد الإيرانيّة المقدّسة جيئة وذهابا ، وكثرة تحبّب المسلمين لهم ومراودتهم ، وانتشار الأمتعة والملابس والآلات وأثاث البيوت الرائجة عند أهل الكفر والشرك في كلّ مدينة وقرية حتّى لم يتبقّ شيء من ضروريّات الحياة وأسباب الراحة والاستقرار إلاّ ما يحمل علامة منهم أو اسماً أو رسماً أو ذكرى ، وكان من نتائج هذا وآثاره ما نشهده من مفاسد ومضارّ لا تحصى ظهرت في الإسلام .

منها أولاً : أنّ البغض القلبيّ للكفّار والملحدين ، والذي هو من أركان الدين وأجزاء الإيمان قد ارتفع من القلوب ، وأنّ محبّتهم ـ والتي هي على النقيض من محبّة الله وأوليائه كما النار والماء ـ مطلوبة ، بل بلغت حدّ المراودة ، وغدا الاختلاط بهم مداعاة للافتخار وسبباً للتباهي ، في حين أن الله تعالى يقول :

﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ .

فكيف لو كان أجنبيّاً غريباً ؟! إنّ محبّهم لا حظّ له من الإيمان .

ويقول تعالى أيضاً :

﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة . . ﴾ الآية .

وروي في (من لا يحضره الفقيه) عن الصادق (عليه السلام) أنّ الله أوحى إلى نبيّ من أنبيائه أن قل للمؤمنين أن لا يلبسوا لباس أعدائي ، وأن لا يأكلوا طعام أعدائي ، وأن لا يسبروا في سبل أعدائي فيصيروا أعداء لي كما هم أعدائي .

وجاء في كتاب (الجعفريّات) ما يوافق هذا المضمون من أقوال أمير المؤمنين (عنيه السلام) ، وقال في آخره : وأن لا يتشكّلوا بأشكال أعدائي .

وروي في (أمالي الصدوق) عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال :

من أحبّ كافراً فقد أبغض الله ، ومن أبغض كافراً فقد أحبّ الله ، ثمّ قال (عليه السلام) : صديق عدوّ الله عدوُّ الله .

وروي في (صفات الشيعة) عن الرضا (عليه السلام) أنّه قال ما مؤدّاه :

إنّ ممّن ينتحلون محبّتنا أهل البيت أناس تكون فتنتهم أشدّ على شيعتنا من الدجّال، قال الراوي : ولم ذاك ؟ قال : لمحبّتهم أعداءنا وبغضهم محبّينا ، فإذا كان ذلك اختلط الحقّ بالباطل ، واشتبه الأمر فلا يعرف المؤمن من المنافق .

وروي عنه (عليه السلام) أيضاً قوله في صدد أهل الجبر والتفويض والغلاة كما جاء في (الخصال) :

.. فمن أحبّهم فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبّنا ، ومن والاهم فقد عادانا ، ومن عاداهم فقد والانا ، ومن وصلهم فقد قطعنا ، ومن قطعهم فقد وصلنا ، ومن جفاهم فقد برّنا ، ومن برّهم فقد جفانا ، ومن أكرمهم فقد أهاننا ، ومن أهانهم فقد أكرمنا ، ومن قبلهم فقد ردّنا ، ومن ردّهم فقد قبلنا ، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ، ومن صدّقهم فقد كذّبنا ، ومن كذّبهم فقد صدّقنا ،ومن أعطاهم فقد حرمنا ، ومن حرمهم فقد أعطانا .

يا بن خالد ، من كان من شيعتنا فلا يتّخذنّ منهم وليّاً ولا نصيراً .

ولمّا كانت حال هذا الصنف من الكفرة كذلك ، فحال سائر الكفّار إن لم تكن أسوأ فلن تكون أقلّ سوءاً .

ومنها ثانياً : أنّ بغض الدين ومنهج المسلمين ، والعداء للمتديّنين والعلماء والصالحين المتأدّبين بآداب الشريعة ، والاستنكار بالقلب واللسان لمعاشرتهم والتشبّه بهم ، كلّها أمور تثبت وتستقرّ في القلوب يوماً بعد يوم ، ذلك أنّ كلاّ منّا ينفر بالفطرة ممّن يخالف طريقه ، وينكر سلوكه الذي ما اختاره إلاّ من قِبل المحبّة ، ووهم اللذّة والمنفعة ، وخاصّة إذا كان ذلك المخالف في معرض النهي والردع ، فيتمّ دفعه قدر الإمكان عن اتّباع هذه الطريقة ، وقد بلغ شيوع وانتشار هذه المفسدة حداً أصبحت معه معاملة أهل الدين وأرباب العلوم تكاد تقرب من معاملة يهوديّ مسكين تدفع رؤيته القلب إلى النفور ، والوجه إلى العبوس ، وتدفع إلى إنزال الأذيّة به إن أمكن ، بل إنّ النفور من ذوي العمائم ـ الذين ينغّص وجودهم العيش ، ويحول دون اللهو والطرب ـ قد كثر ، كما أنّ الزجر والهزء والسخرية ، والغمز بالعيون والأيدي استخفافاً قد ازداد ، بل إنّ محاكاة حركات وسكنات أهل العلم في أوقات التحصيل والعبادة غدت من الأسباب المضحكة في مجالس لهوهم وزينتهم ، ومحافل طربهم ، ويخرجون ذلك

أحياناً في لبوس الشعر ومضامين النظم ، إلى الأعمال التي يمارسها الكفّار إذا رأوا المؤمنين من هزء بالألسنة ، وإشارات بالحواجب والعيون ، واحتقار واستخفاف بالقدر الميسور لهم .

وقد توعّد الله عزّ وجلّ في مواضع متعدّدة الفسّاق والفجّار بعذاب الدنيا والآخرة على هذا السلوك الذي يحاكيه تصرّف الناس في هذه الأعصار ، وهذا البغض والنفور يتناقض كلّياً مع لزوم تعظيمهم واحترامهم ، ويباينه أشدّ المباينة ، ولا يلتقي معه على أيّ صعيد .

وإنّ أخباراً كثيرة حصرت الإيمان بالحبّ في الله والبغض في الله ، وقالت : لا إيمان إلّا في الحبّ في الله والبغض في الله ، وحبّ ما يرضاه ويحبّه ، وبغض أعداء الله وبغض ما يحبّون .

وجاء في (نهج البلاغة) أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال ما مؤدّاه :

لو لم يكن فينا إلّا محبّتنا لما أبغضه الله ، وتعظيمنا لما وضعه الله لكفانا في مخالفتنا لله وإعراضنا عن أمره .

وإجمالاً ، فقد بلغت طبيعة أعمال أمّة نبيّ آخر الزمان (صلّى الله عليه وآله) أنّ أغلب العوامّ لا يعلمون عن ضروريّات المسائل شيئاً ، بل لقد شاع بين الناس العديد من كلمات الكفر والتعابير المنكرة التي تورث الارتداد ، من جرّاء مجالسة النصارى والدهريّين والزنادقة ، والتردّد على مجالسهم ، حتّى صار الناس يبتعدون عن الدين فوجاً إثر فوج وهم لا يعلمون ، وإذا علموا لم يهتمّوا ، وصار الأكابر والأعيان يفتخرون باقتراف الكبائر كالأكل والشرب في شهر رمضان في محضر من الناس ، بل إنّهم يضحكون ويسخرون من المتديّنين ، وينعتونهم بعدم الشعور والإدراك ، ويعدّونهم في سلك الجهلة عديمي الذوق ، ويسمّونهم أحياناً بالخُشُب المقدّسة ! ويعترضون باستمرار على أفعال الله عزّ وجلّ ويحطّون من قيمتها ، ويمتدحون الحكماء وأهل الصنائع من الفرنجة ، ويتّخذون من تعظيم عقولهم وإدراكاتهم أوراداً على ألسنتهم وزينة لمجالسهم ، ويعدّون أعمالهم وصنائعهم شيئاً خارقاً ، مع أنّها إجمالاً لا تعدو أن تكون أعمالاً تكميليّة في العلم الطبيعيّ والرياضيّ ، ويزيدون فيجعلونها سواء مع معجزات الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) ، ويهربون من مجالس علماء الحقّ ، ويملّون من أحاديث الدين وذكر المعاد ، فإذا ما ضمّهم محفل ـ دون رغبة منهم ـ لجأوا إلى النوم ، أوانصرفوا بقلوبهم إلى أمور مغايرة .

وهم يتصوّرون رعاية الفقراء وأهل الدين لغواً لا نفع فيه ، ويعتبرون الأموال المخصّصة لذلك أموالاً نجسة أتت عن طرق محرّمة ، ومن دماء الأرامل والأيتام ، وينفقون أموالهم على المعاصي العظيمة والأمور المحرّمة ، وهم الأغنياء الأجلّاء كما يزعمون ، أمّا العلماء والأتقياء فهم آكلوا أموال الناس وهم المتسوّلون الأذلّاء كما يدّعون .

يحبّون استعمال أوعية الذهب والفضّة ، لباس رجالهم المذهّب والحرير ، لحاهم حليقة كبني أميّة وبني مروان ، حديثهم المحبب ولسانهم المفضّل ما كان فرنسيّاً أو إنكليزيّاً ، أنيسهم وجليسهم كتب الضلال ومؤلّفات الكفرة ، عوضاً عن كتاب الله وآثار الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) .

اليهود الذين حشروا السنين الطويلة في بلاد الفرنجة مع المسيحيّين لم يتخلّوا عن مراسم دينهم وقواعد ملّتهم ، بينما أفرغ المسلمون قلوبهم من الإسلام لمجرّد رحلات معدودة ، وأشهر معدودة قضوها في تلك الأنحاء ، وقليلة هي المعاصي التي لم تنتشر بعد ، والتي لا يخفى قبحها عن الأنظار ، كما هي قليلة الطاعات والعبادات التي لم يبق منها سوى الإسم والصورة ، والتي لم يداخلها الفساد والخلل من نواحٍ متعدّدة ، وعجز أهل الحقّ عن إقامة المعروف والنهي عن المنكر ، ويئسوا من قدرتهم على التأثير ، ولم يتبقّ لهم في الخلوات سوى البكاء على ضعف الإيمان ، والغمّ على غربة الإسلام وشيوع المنكر .

حديث سلمان وإخبار النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بانتشار الفساد

والحمد لله على ظهور صدق أخبار النبيّ الخاتم صلوات الله عليه وآله ، بوقوع هذه المفاسد وغيرها في أمّته ، فيروي الشيخ الجليل عليّ بن إبراهيم القمّيّ في (تفسيره) عن ابن عبّاس أنّه قال :

حججنا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حجّة الوداع ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، ثمّ أقبل علينا بوجهه فقال : ألا أخبركم بأشراط الساعة ؟ وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان فقال : بلى يا رسول الله ، فقال (صلّى الله عليه وآله) :

إنّ من أشراط القيامة إضاعة الصلوات ، واتّباع الشهوات ، والميل إلى الأهواء ، وتعظيم أصحاب المال ، وبيع الدين بالدنيا ، فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في الماء ممّا يرى من المنكر ، فلا يستطيع أن يغيّره .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : أي والذي نفسي بيده يا سلمان ، إنّ عندها يليهم أمراء جورة ، ووزراء فسقة ، وعرفاء ظلمة ، وأمناء خونة .

فقال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

فقال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده يا سلمان ، إنّ عندها يكون المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، ويؤتمن الخائن ، ويخوّن الأمين ، ويصدّق الكاذب ، ويكذّب الصادق .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده يا سلمان ، فعندها تكون إمارة النساء ، ومشاورة الإماء ، وقعود الصبيان على المنابر ، ويكون الكذب ظرفاً والزكاة مغرماً ، والفيء مغنماً ، ويجفو الرجل والديه[1] ويبرّ صديقه ، ويطلع الكوكب المذنب .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة ، ويكون المطر قيظاً ، ويغيظ الكرام غيظاً ، ويحتقر الرجل المعسر ، فعندها تقارب الأسواق ، إذ قال هذا : لم أبع شيئاً وقال هذا : لم أربح شيئاً ، فلا ترى إلاّ ذامّاً لله .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده يا سلمان ، فعندها يليهم أقوام إن تكلّموا قتلوهم ، وإنّ سكتوا استباحوا حقّهم ، ليستأثرون أنفسهم بفيئهم ، وليطأون حرمتهم ، وليسفكُنّ دماءهم ، وليملأُنّ قلوبهم دغلاً ورعباً ، فلا تراهم إلاّ وجلين خائفين ، مرعوبين مرهوبين .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده يا سلمان ، إنّ عندها يؤتى بشيء من المشرق ، وشيء من المغرب ، يلون أمّتي ، فالويل لضعفاء أمّتي منهم ، والويل لهم من الله . لا يرحمون صغيراً ، ولا يوقّرون كبيراً ، ولا يتجاوزون عن مسيء ، جثّتهم جثّة الآدميّين ، وقلوبهم قلوب الشياطين .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها يكتفي الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، ويُغار على الغلمان كما يُغار على الجارية في بيت أهلها ، ويتشبّه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، ولتركبنّ ذوات الفروج السروج ، فعليهنّ من أمّتي لعنة الله .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

---

(١) يحتمل * أنّ المراد : انّ الرجل يجفو أبويه ويبرّ صديقه .

(*) ـ المعنى هو قطعاً كذلك ، لأنّ الحديث في النسخ الصحيحة : «ويبرّ صديقه» لا : «ويبرأ من صديقه» (المصحّح) .

قال (صلّى الله عليه وآله) : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، إنّ عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس ، وتحلّى المصاحف ، وتطوّل المنارات ، وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة ، وألسن مختلفة .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده ، وعندها تحلّى ذكور أمّتي بالذهب ، ويلبسون الحرير والديباج ، ويتّخذون جلود النمور صفاقاً .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها يظهر الربا ، ويتعاملون بالعِينة[١] والرشى ، ويوضع الدين ، وترفع الدنيا .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها يكثر الطلاق ، فلا يقام لله حدّ ، ولن يضرّوا الله شيئاً .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها تظهر القينات والمعازف ، ويليهم شرار أمّتي .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها يحجّ أغنياء أمّتي للنزهة ، ويحجّ أوساطها للتجارة ، ويحجّ فقراؤهم للرياء والسمعة ، فعندها يكون أقوام يتعلّمون القرآن لغير الله ، ويتّخذونه مزامير ، ويكون أقوام يتفقّهون لغير الله ، ويكثر أولاد الزنى ، ويتغنّون بالقرآن ، ويتهافتون على الدنيا .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده يا سلمان ، ذاك إذا انتهكت المحارم ، واكتسبت المآثم ، وتسلّط الأشرار على الأخيار ، ويفشو الكذب ، وتظهر اللجاجة ، وتغشو الفاقة ، ويتباهون باللباس ، ويمطرون في غير أوان المطر ، ويستحسنون الكوبة[٢]

(١) العينة : السلعة ، وكانت تباع بثمن مؤجّل ، ثم يشتريها البائع بثمن أقلّ ، وهذا تحايل لتحليل الربا .
(٢) الكوبة : البربط ، وقيل : الطبل .

المعازف ، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتّى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلّ من الأمة ، ويظهر قرّاؤهم وعبّادهم فيما بينهم التلاوم ، فأولئك يُدعون في ملكوت السماوات الأرجاس والأنجاس .

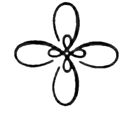
قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

فقال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده يا سلمان ، فعندها لا يحضّ الغنيّ على الفقير ، حتّى أنّ السائل يسأل فيما بين الجمعتين لا يصيب أحداً يضع في كفّه شيئاً .

قال سلمان : وإنّ هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (صلّى الله عليه وآله) : إيّ والذي نفسي بيده يا سلمان . انتهى الخبر .

ومجمل القول : فإن الغيرة في الدين ، والعصبيّة في المذهب ترتفعان من الخلق ، فإذا أصيب أحد بضررٍ شامل في دينه من قبل كافرٍ ومخالف فإنّه لا يغتمّ لذلك بمقدار ما يغتمّ لضرر جزئيّ يصيبه في ماله من أخ مسلم ، بل إنّه لا يهتمّ أبداً ولو خرج الناس عن دينهم فوجاً إثر فوج !!



الفصل الثامن

النواب الاربعة لامام العصر (عليه السلام)

ونكتفي هنا بما جاء في كتاب (كفاية الموحّدين) بهذا الصدد .

النائب الأول: عثمان بن سعيد العَمْريّ

وكان في كمال الوثوق والأمانة ، معتمداً عند الإمامين عليّ النقيّ والحسن العسكريّ (عليهما السلام) ، ووكيلاً لهما في حياتهما ، وكان أسديّاً نسبة إلى جدّه جعفر العمريّ ، وكان سمّاناً يتّجر بالسمن ، وقيل إنّ ذلك كان تقيّة وتغطية لأمر سفارته عن أعداء الله ، وكان الشيعة إذا حملوا أموالاً لأبي محمّد الحسن العسكريّ (عليه السلام) أنفذوها إليه فجعلها في زقاق السمن ، وحملها إلى أبي محمّد (عليه السلام) .

وجاء في رواية لأحمد بن إسحاق القمّيّ ، وكان من أجلّاء الشيعة وعلمائهم قال :

دخلت على أبي الحسن عليّ بن محمّد صلوات الله عليه في يوم من الأيّام ، فقلت : يا سيّدي ، أنا أغيب وأشهد ، ولا يتهيّأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كلّ وقت ، فقول مَن نقبل ؟ وأمر من نمتثل ؟ فقال لي صلوات الله عليه : هذا أبو عمرو والثقة الأمين ، ما قاله لكم فعنيّ يقوله ، وما أدّاه إليكم فعني يؤدّيه .

وذكر العلّامة المجلسيّ عليه الرحمة في (البحار) أنّ جماعة من ثقاة أهل الحديث رووا أنّ جماعة من أهل اليمن قدموا إلى الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) يحملون أموالاً ، فقال (عليه السلام) لأبي عمرو : امض يا عثمان فإنّك الوكيل ، والثقة المأمون على مال الله ، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيّين ما حملوه من المال .

فقال اليمنيّون : يا سيّدنا ، والله إنّ عثمان لمن خيار شيعتك ، ولقد زدتنا علماً بموضعه

من خدمتك ، وأنّه وكيلك وثقتك على مال الله ، قال : نعم ، واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمريّ وكيلي ، وأنّ ابنه محمّداً وكيل ابني مهديّكم .

وجاء أيضاً في (البحار) بسنده أنّه لمّا مات الحسن بن عليّ (عليهما السلام) حضر غسله عثمان بن سعيد في الظاهر من الحال وتولّى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه ، وأنّ صاحب الأمر (عليه السلام) جعله بعد وفاة أبيه (عليه السلام) وكيلاً له ونائباً تخرج على يديه الأجوبة عمّا تسأل الشيعة عنه من مسائل ، وتحمل إليه أموال سهم الإمام (عليه السلام) ، وكانت تشاهد منه ـ ببركة وجود صاحب الأمر (عليه السلام) ـ أمور غريبة كالإخبار بالمغيّبات ، والأخبار عن الأموال التي تحمل إليه ، عن صفتها ومقدارها وتعيين أصحابها ، وحلّيّتها وحرمتها ، وذلك قبل أن تسلّم إليه ، وكلّ ذلك يأتيه من جانب الحجّة (عليه السلام) ، كما كانت الحال مع سائر وكلائه (عليه السلام) الذين فازوا بالوكالة والسفارة عنه بدلائل وكرامات منه (عليه السلام) .

النائب الثاني: محمّد بن عثمان بن سعيد العَمْريّ

قد وثّقه الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) كما وثّق أباه ، وأخبر شيعته بأنّه من وكلاء ابنه المهديّ (عليه السلام) ، ولمّا توفّي أبوه عثمان بن سعيد العمريّ خرج توقيع من جانب الحجّة (عليه السلام) في تعزيته بأبيه وتنصيبه وكيلاً له (عليه السلام) في مقام أبيه ، وهذا نصّ التوقيع برواية الصدوق وغيره :

« إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، تسليماً لأمره ، ورضى بقضائه وبفعله ، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً ، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه (عليهم السلام) ، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ، ساعياً في ما يقرّبه إلى الله عزّ وجلّ وإليهم ، نضّر الله وجهه ، وأقاله عثرته ، وأجزل الله لك الثواب ، وأحسن لك العزاء ، رزئت ورزئنا ، وأوحشك فراقه وأوحشنا ، فسرّه الله من منقلبه .

وكان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده ، ويقوم مقامه بأمره ، ويترحّم عليه ؛ وأقول : الحمد لله فإنّ الأنفس طيّبة بمكانك ، وما جعله الله عزّ وجلّ فيك وعندك ، أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفّقك ، وكان لك وليّاً وحافظاً وراعياً » .

ودلالة هذا التوقيع الشريف على جلالة قدر هذين الرجلين الكبيرين وعظمة درجتهما هي في غاية الرفعة والمناعة .

وروى العلّامة المجلسيّ عليه الرحمة أيضاً في (البحار) عن (غيبة الشيخ الطوسيّ)

رحمة الله عليه ، عن جماعة من الأصحاب أنّه لمّا توفّي عثمان بن سعيد خرج توقيع من جانب الحجّة (عليه السلام) إلى ابنه محمّد بن عثمان بن سعيد العمريّ ، هذا لفظه :

« والابن وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه ، ونضّر وجهه ، يجري عندنا مجراه ، ويسدّ مسدّه ، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل ، تولّاه الله » .

ورويت أيضاً رواية أخرى عن الكلينيّ بأنّ توقيعاً خرج عن صاحب الأمر (عليه السلام) جاء فيه :

« وأمّا محمّد بن عثمان العمريّ ـ رضي الله عنه وعن أبيه من قبل ـ فإنّه ثقتي ، وكتابه كتابي » .

وجرت على يديه دلائل كثيرة ومعجزات للإمام (عليه السلام) للشيعة ، حيث كان أيام النيابة مرجعاً للشيعة كافّة من جانب الحجّة (عليه السلام) .

وروي عن أمّ كلثوم ابنته أن محمّد بن عثمان صنّف كتباً في الفقه ممّا سمعه من أبي محمّد الحسن (عليه السلام) ، ومن الصاحب (عليه السلام) ، ومن أبيه عثمان بن سعيد ، وقد وصلت هذه الكتب بعد وفاته إلى الحسين بن روح رضي الله عنه .

وروى الشيخ الصدوق عليه الرحمة بسنده عن محمّد بن عثمان بن سعيد أنّه قال :

والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة ، يرى الناس ويعرفهم ، ويرونه ولا يعرفونه .

وفي رواية أخرى أنّه سئل فقيل له : هل رأيت صاحب هذا الأمر ؟ قال : نعم ، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول : « اللهمّ أنجز لي ما وعدتني » ، ورأيته صلوات الله عليه متعلّقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول : « اللهمّ انتقم بي من أعدائك » .

النائب الثالث: الحسين بن روح النوبختيّ

وكان في أيّام سفارة محمّد بن عثمان قد تصدّى لبعض الأمور بتكليف منه ، وكان واحداً من عديدين كانوا موضع ثقة واعتماد من محمّد بن عثمان ، وكلّهم كان أخصّ به من أبي القاسم بن روح ، وكان جماعة لا يشكّون في أنّ السفارة بعد محمّد بن عثمان منتقلة إلى جعفر بن أحمد ، لما كان من خصوصيّته به ، بل إنّه لمّا كان محمّد بن عثمان في أواخر عمره كان لا يأكل طعاماً إلّا ما أُصلح في منزل جعفر بن أحمد .

يروي العلّامة المجلسيّ (ره) في (البحار) عن (غيبة الشيخ الطوسيّ) أنّه لمّا حضرت

أبا جعفر محمّد بن عثمان العمريّ الوفاة كان جعفر بن أحمد جالساً عند رأسه ، وأبو القاسم بن روح عند رجليه ، فالتفت إلى جعفر بن أحمد فقال : أُمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح ، فلما سمع جعفر بن أحمد ذلك قام وأخذ بيد أبي القاسم وأجلسه في مكانه ، وتحوّل إلى عند رجليه .

وذُكر في رواية معتبرة أن محمّد بن عثمان بن سعيد جمع وجوه الشيعة وشيوخهم قبل موته فقال لهم : إن حدث عليّ حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختيّ ، فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي ، فارجعوا إليه ، وعوّلوا في أموركم عليه .

وفي رواية معتبرة أخرى كما جاء في (البحار) أنّ جماعة من وجوه الشيعة اجتمعوا عند محمّد بن عثمان فقالوا له : إن حدث أمر فمن يكون مكانك ؟ فقال لهم : هذا أبو القاسم الحسين بن روح القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر (عليه السلام) ، والوكيل له ، والثقة الأمين ، فارجعوا إليه في أموركم ، وعوّلوا عليه في مهمّاتكم ، فبذلك أمرت ، وقد بلّغت .

وجاء في بعض النسخ أنّ توقيعاً خرج من قبل الحجّة (عليه السلام) بشأن الشيخ أبي القاسم بن روح ، كما ورد في (البحار) عن جماعة من حملة الأخبار والثقاة ، وهذا لفظه :

« نعرفه عرّفه الله الخير كلّه ورضوانه ، وأسعده بالتوفيق ، وقفنا على كتابه ووثقنا بما هو عليه ، وإنّه عندنا بالمنزلة والمحلّ اللذين يسرّانه ، زاد الله في إحسانه إليه ، إنّه وليّ قدير . والحمد لله الذي لا شريك له ، وصلّى الله على رسوله محمّد وآله وسلّم ، تسليماً كثيراً » .

ويذكر أنّه كان رحمه الله من أعقل الناس عند المخالف والموافق ، وكان يستعمل التقيّة في بغداد ، وبلغ من حسن سلوكه مع المخالفين أنّ كلاّ من المذاهب الأربعة كان يدّعي أنّه منه ، وكان كلّ فريق يفخر بانتسابه إليه .

النائب الرابع: أبو الحسن عليّ بن محمّد السَّمُريّ

بعد وفاة الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح عليه الرحمة خرج توقيع بأمر من الحجّة إمام العصر (عليه السلام) يقضي بأن يقوم مقامه الشيخ أبو الحسن عليّ بن محمّد السمريّ ، وقد جرت على يديه كرامات ومعجزات ، كانت تأتي على يديه أجوبة المسائل التي يسأل الشيعة عنها حضرة الحجّة عجّل الله فرجه ، وكانت الأموال تحمل إليه ، ولمّا حضرته الوفاة حضر الشيعة عنده وسألوه عن الموكّل بعده ومن يقوم مقامه فأجابهم : لله أمر هو بالغه ؛ أي أن الغيبة الكبرى ستقع بعده .

وفي رواية أخرى عن الشيخ الصدوق أنّه لما حضرت الوفاة الشيخ أبا الحسن السمريّ حضر الشيعة عنده وسألوه عمّن يقوم مقامه فقال إنّه لم يؤمر بأن يوصي إلى أحد بعده في هذا الشأن .

وروي عن الشيخ الطوسيّ في كتاب (الغيبة) ، وعن الشيخ الصدوق في كتاب (كمال الدين) أنّه لمّا حضرت الشيخ أبا الحسن عليّ بن محمّد السمريّ الوفاة أخرج للناس توقيعاً جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، يا عليّ بن محمّد السمريّ ، أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام ، فاجمع أمرك ، ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامّة ، فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً ، وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة ، ألا من ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانيّ والصيحة فهو كذّاب مفتر ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم » .

قال الراوي : فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده ، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه ، فقيل له : من وصيّك من بعدك ؟ فقال : لله أمر هو بالغه ، وقضى ، رضي الله عنه وأرضاه .

وجاء عن الشيخ الصدوق أيضاً في كتاب (كمال الدين) أنّ وفاة عليّ بن محمّد السمريّ كانت سنة تسع وعشرين وثلاثمئة من الهجرة ، وبناء على هذا تكون مدّة الغيبة الصغرى التي أمر سفراء ووكلاء ونوّاب الحجّة (عليه السلام) فيها بالسفارة والنيابة الخاصّة تقرب من أربع وسبعين سنة ، منها ما يقرب من ثمان وأربعين سنة أيّام سفارة عثمان بن سعيد العمريّ وابنه محمّد بن عثمان ، وما يقرب من ستّ وعشرين سنة أيّام سفارة الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح والشيخ أبي الحسن عليّ بن محمّد السمريّ ، وانقطعت السفارة بعد ذلك ، ووقعت الغيبة الكبرى .

فمن ادّعى السفارة والنيابة الخاصة ، أو ادّعى المشاهدة على طبقها فهو كذّاب مفتر على الحجّة عجّل الله فرجه ، بل إنّ مرجع الدين وأحكام الشريعة يعود بأمره (عليه السلام) إلى العلماء والفقهاء والمجتهدين الذين تثبت النيابة لهم على سبيل العموم ، كما خرج التوقيع الشريف بذلك في الإجابة عن مسائل إسحاق بن يعقوب ، وهو من أجلّة علماء الشيعة وحملة الأخبار ، فقد وسّط إسحاقُ بن يعقوب محمّد بن عثمان بن سعيد العمريّ أن يوصل له كتاباً سأل فيه عن مسائل ، فورد التوقيع بخطّ صاحب الزمان (عليه السلام) وممّا جاء فيه :

« وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنّهم حجّتي عليكم ، وأنا حجّة الله عليهم » .

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر محمّد الباقر (عليه السلام) أنّه جاء الأمر بما نصّه :

« انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً ، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً ، فإذا حكم بحكمنا فلم يُقبل منه فإنّما بحكم الله استخفّ ، وعلينا ردّ ، والرادّ علينا رادّ على الله ، وهو في حدّ الشرك بالله » .

وفي رواية أخرى :

« مجاري الأمور بيد العلماء بالله ، الأمناء على حلاله وحرامه » .

يستفاد من أمري حجّة الله هذين أنّ العلماء وحفظة علومهم وأخبارهم وآثارهم الذين هم من أصحاب النظر وأهل الاستنباط عن علم ومعرفة ، العارفين بما صدر عنهم من أحكام هم الذين أُمر المكلّفون بالرجوع إليهم في مسائل الحلال والحرام وقطع المنازعات ، إذ ما يقولونه حجّة على عامّة المكلّفين ، لتوفّر شرائط الفتيا فيهم من قدرة على الاستنباط ، ومن العدالة والبلوغ والعقل ، وسائر شروط الاجتهاد ، ولهم النيابة العامّة إذ أنّ الخلق مكلّفون ـ من باب الإلجاء والاضطرار ـ بالرجوع إليهم ، أمّا غير هذا ، من تعيين نائب خاصّ في زمان الغيبة الكبرى فلم يأمر (عليه السلام) بذلك ، بل إنّه حكم بانقطاع السفارة والنيابة الخاصّة . انتهى .

وهكذا تمّ ما قُدر إيراده وإثباته في هذا الكتاب الشريف ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة خمسين وثلاثمئة وألف من الهجرة ، في جوار الروضة الرضويّة على ثاويها آلاف التسليمات والتحيّات ، بيد الأحقر العاصي عبّاس بن محمّد رضا القمّيّ .

مع رجاء واثق وأمل صادق بألا ينسى الإخوان المؤمنون وشيعة أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ، هذا العاصي الأسود من دعاء الخير وطلب المغفرة .

والحمد لله أوّلاً وآخراً ، وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

محتويـــات الكتـــاب

الباب السادس

في تاريخ الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (ع)

الباب السابع
في تاريخ الإمام محمد الباقر (ع)

الباب الثامن
في تاريخ الإمام جعفر الصادق (ع)

الباب التاسع
في تاريخ الإمام موسى الكاظم (ع)

الباب العاشر
في تاريخ الإمام عليّ بن موسىٰ الرضا (ع)

الباب الحادي عشر
في تاريخ الإمام محمّد التقيّ (ع)

الباب الثاني عشر
في تاريخ الإمام أبي الحسن عليّ النقيّ (ع)

الباب الثالث عشر
في تاريخ الإمام الحسن العسكريّ (ع)

الباب الرابع عشر
في تاريخ الإمام الثاني عشر الحجّة بن الحسن (ع)

